



من تفسير وتأمّلات
الآباء الأولين

أخبار الأيام الثاني

٢٠١٢
الطبعة الأولى

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس - سبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد، آمين

شكر

قام الدكتور بولس روفائيل بأوتوا - كندا منذ حوالي ثلاثة أعوام، بوضع لمسات جميلة مختصرة لسفري أخبار الأيام الأول والثاني. كما قام الشماس بيشوي بشرى فايز والمهندس بشرى فايز بترجمة الرد على بعض الآيات التي تبدو صعبة من المرجعين:

1. Hard Sayings of the Bible, 1996 by Walter C. Kaiser Jr., Peter H. Davids, F. F. Bruce, Manfred T. Brauch, published by InterVarsity Press.

2. Geisler, N. L., & Howe, T. A. (1992). *When critics ask : A popular handbook on Bible difficulties* (2001). Wheaton, Ill., Victor Books.

الرب يعوضهم على تعب محبتهم واهتمامهم.

اسم الكتاب: أخبار الأيام الثاني.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة: الأولى ٢٠١٢

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرس - سبورتج.

المطبعة: الأنبا رويس بالعباسية.

رقم الإيداع:

مقدمة في

أخبار الأيام الثاني

طلب وجه الملك السماوي

يهمل البعض دراسة أخبار الأيام الثاني لاعتقادهم أنه تكرر لما ورد في سفري الملوك، غير أنه يُعتبر مخزناً إلهياً يُقدّم لنا كنوزاً إلهية ثمينة.

في الواقع جاء سفر أخبار الأيام الثاني امتداداً طبيعياً لأخبار الأيام الأول.

١. لقد رقد داود النبي وقلبه كان متهللاً، لأنه وهو رجل التسييح منذ صباه وربما منذ طفولته، كان يلدُّ له أن يتغنّى بمزاميره وهو يرعى غنم أبيه، فيشعر كمن يشارك السمايين حياتهم المتلهلة، وها هو ابنه سليمان يبني الهيكل بيت التسييح والعبادة.

٢. رقد داود وهو يُعدُّ كل المملكة لتحقيق شهوة قلبه أن يبني بيتاً للرب، وقد كرس إمكانياته لحساب هذا العمل، وها هو يُسلم العرش لسليمان، لا لهدف سوى أن يُنمّم الوعد الإلهي له أن ابنه يبني الهيكل.

٣. بدأ سفر أخبار الأيام الأول بآدم وحواء اللذين تسلّمَا جنة عدن ليتمتعا بحياة شبه سماوية في العالم الجميل الذي خلقه الله لهما ولنسلهما، لكن سرعان ما أفسداهما ونسلهما هذا الجمال البديع. نال بنو آدم الوعد بالإصلاح والتجديد لكل ما قد فسد، يُحقِّقه الخالق نفسه كمُخلِّصٍ للبشرية، وانتهى السفر بموت داود الذي اشتهى أن يُقيم موضعاً مقدساً لتابوت العهد، علامة الحضور الإلهي وسط الشعب. وها هو يبدأ أخبار الأيام الثاني بسليمان الذي لا عمل له سوى بناء الهيكل كمركزٍ للأرض كلها، يُعلن الحضور الإلهي.

٤. إن كان سفر أخبار الأيام الأول دخل بنا إلى رحلة ممتعة من آدم إلى داود، ليؤكد أن ابن داود قادم لأجل خلاص كل بني آدم أو كل العالم، فإن هذا السفر ركّز على بيت داود لكي يدعو كل المؤمنين ابنَ داود كي يسكن في وسطهم كما في قلوبهم. إنه سفر ملكوت الله المبارك في حياتنا.

لقد أبرز السفر السابق أن ربنا يسوع هو الملك الحقيقي المستحق وحده أن نعبد، حاثاً إيانا على التشبُّه بـداود الملك رجل الصلاة والتسييح لا شاول. أما هذا السفر، فيحثنا على طلب هذا الملك، والتمتع بالشركة معه (٧: ١٤؛ ١٤: ٤، ٧؛ ١٥: ٢، ٤، ١٢، ١٣، ١٥؛ ١٧: ٤، ١٩؛ ٣: ٢٠؛ ٣:

٢٢: ٩؛ ٢٦: ٥؛ ٣٠: ١٩؛ ٣١: ٢١؛ ٣٤: ٣ (الخ)، وأن نُقيم له فينا بيتاً.

مملكة بيت داود

رأينا في دراستنا لسفر أخبار الأيام الأول، أن عدو الخير لم يتوقَّف عن مقاومة الملك داود، وأيضاً بيته مع شعب يهوذا بعد الانقسام لكي يطفئ هذا السراج، لكن نعمة الله كانت تعمل في حفظ النسل الملكي من بيت داود حتى يأتي ابن داود في ملء الزمان ليملك في قلوب المؤمنين، ويهبهم برّه.

يبدأ هذا السفر بمُلْك سليمان باني هيكل الرب، ثم يستكمل تاريخ ملوك يهوذا بعد انشقاق العشرة أسباط في بدء استلام رحبعام بن سليمان العرش، ويكْمَل حتى سبي يهوذا إلى بابل، وعودتهم في السنة السبعين من السبي.

بدأ السفر بالمملكة في قمة مجدها وعظمتها وغناها. هذه المملكة التي كانت تفوق الممالك الأربع التي تتبأ عنها دانيال النبي بتفسيره التمثال الذي رآه نبوخذنصر. بدأت هذه الممالك الأربع بنبوخذنصر، إذ يقول له دانيال: "فأنت هذا الرأس من ذهب" (دا ٢: ٣٨). واستمرت حوالي سبعين عاماً، وتلاها مملكة فارس ومادي لمدة ١٣٠ عاماً، ثم مملكة الإغريق المنقسمة إلى أربعة فروع ودامت ٣٠٠ عام، ثم ثلاثمائة أخرى تحت الحكم الروماني.

كان داود النبي والملك بطلاً أعظم من هؤلاء جميعاً، وكان سليمان ملكاً في قمة المجد بين الأمم والشعوب أكثر منهم. استمر بيت داود على العرش لأكثر من أربعة قرون. وبعد خسوف طويل سطعت المملكة ثانية بمجيء المسيح ابن داود: "لنمو رياسته وللسلام لا نهاية" (إش ٩: ٧).

في الفترة ما بين الانقسام في عصر رحبعام حتى السبي الأشوري امتزج مُلْك يهوذا بمُلْك إسرائيل. أما غاية هذا فهو تأكيد أن الذين تجاهلوا العبادة لله أو قاوموها وانحرفوا إلى العبادة الوثنية، حصدوا الفشل والانحطاط. وعلى العكس فإن الملوك الصالحين من يهوذا تمتّعوا بالنجاح والنصرة والازدهار.

سليمان الملك

اختصت الأصحاحات التسعة الأولى بشخصية الملك سليمان، في نفس الوقت اختصت ست أصحاحات من التسعة ببناء الهيكل، الذي يُعتَبَر أهم إنجازات سليمان.

كثيرون يُفكِّرون في سليمان من جهة كثرة زوجاته، وهذا لم يكن حسب مشيئة الله، وقد أثمرت هذه الخطية مرارة بانقسام المملكة في أيام ابنه رحبعام. غير أن هذا لم يُحطِّم الجانب الإيجابي والغيرة

المقدسة نحو بناء الهيكل والاهتمام بالعبادة.

في مقدمة قصيدته عن سليمان والزانيتين، يُعلنُ القديس مار يعقوب السروجي عن مرارة نفسه، لأنه قضى زماناً لا يطلب فيه شيئاً من الله، حاسباً نفسه أنه مستحق الجلادات، لأنه لا يغرف من غنى الكنوز الإلهية بالسؤال الدائم، كما سأل سليمان الله أن يهبه حكمة سماوية لرعاية شعب الله. وفي نفس الوقت يقف في حيرة: تُرى هل يطلب من الرب الذي أعطاه الكثير ولم يُقدِّم الشكر اللاتق به، فحسب نفسه ناكراً للجميل أو جاحداً، أم يكف عن الطلب ويصمت، حاسباً صمته وعدم سؤاله أمراً غير لائق. كان مُعدَّباً ومُتَحَيِّراً بين التزامه بالصمت وسؤاله من الله ليهبه من كنوزه! ما شدَّ انتباه القديس مار يعقوب السروجي أن سليمان التجأ إلى الله، يطلب منه ما يشتهيهِ وهو الحكمة. لذلك يحسب نفسه أنه يستحق الجلادات، لأنه لم يفعل ما فعله سليمان، ولمدة طويلة لم يطلب من الله شيئاً.

❖ هوذا كل الأجيال تأخذ ثروتها من سخائك، لأن ثروتك ضخمة، وكنزك فيفيض كالينبوع. من لا يسأل منك شيئاً تحسبه كسولاً، ومن يأتي ويطلب منك، فهذا لنفعه. إذًا أنا أستحق الجلادات والضربات، لأنني أهملت أن آخذ منك أي غنى لمدة طويلة. من سألك ولم ينل منك كل احتياجاته؟! أو من دعاك ولم ينل منك كل أسئلته?!¹

القديس مار يعقوب السروجي

مع كل ما تَمَنَّع به سليمان من بركات خلال بركات أبيه داود الملك البار، غير أنه يلزمنا أن ندرك مسئولية كل إنسانٍ شخصياً عن إيمانه وسلوكه في يوم الرب العظيم.

❖ يبدأ الأشرار يتوسلون أمام الأبرار (ويقولون): نرجو منكم، تضرعوا واطلبوا لأجلنا.

الديان مُخيف، وأفعالنا غير حسنة، اطلبوا لأجلنا لكي يرضى علينا...

ينظر الأخ البار إلى أخيه الذي صنع الإثم وهو يتعدَّب، ويخاف أن يتوسل لأجله.

آدم العظيم لا يُفيد قايين بكُرهه في عذابه، ولا يعترف به أمام الديان.

إسحق البار لا يقترب من عيسو الشره حين يذمُّونه ليجيب عنه، ويدافع عن جهالته.

داود بكل جمال إيمانه لا يُعِين سليمان حين يحاكمونه بسبب وثنيته.

النفس التي تخطئ هي التي تُحاسِب أمام الديان، ولا توجد هناك فرصة ليتوسل أحد لأجل

¹ ميمر ١١ على الزانيتين (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بهنام).

قريبه...

لماذا لم تُعْطِ هؤلاء العذارى الخمس الحكيمات الزيت من أنيتهن؟
 قلن: لعله لا يكفي لنا ولكن، لأنه لا يكفي أحدًا إلا لنفسه قدام ذلك العرش.
 أعمال كل إنسانٍ مُصَوَّرَةٌ على وجهه، ولا يقدر أحد أن يتزيّن بأعمال رفيقه^١.

القديس مار يعقوب السروجي

يستطيع الإنسان أن يُدركَ هدف سفرَي أخبار الأيام بالمقارنة بين ما ورد في ملوك الثاني عن سليمان وما ورد عنه في أخبار الأيام الثاني. ففي الملوك تحتل قصة الزانيتين مركز الصدارة لإبراز حكمة سليمان منذ شبابه المُبَكَّر في بدء حُكْمِهِ. فخلال عطية الحكمة التي وُهِبَتْ له من الله لم ينشغل بمحاكمة الزانيتين على سلوكهما المُثْمين كزانيتين، وإنما اهتم بإنقاذ الرضيع الصغير من يد الزانية المغتصبة له، وتسليمه لأمه المملوءة حنواً عليه! إنه يُمَثِّلُ رجل الحكمة والحب والعدل والسلام! أما في أخبار الأيام، فلم يُشِرْ إلى هذه القصة، إنما رَكَّزَ السفر على بناء الهيكل وتدبير أمور العبادة، مثل إيقاد بخور عطر والتمنّع بخبز الوجوه الدائم والمُحْرَقَات والسبوت والأهلة والأعياد والاهتمام بتنظيم فِرَق التسبيح، إنه رجل العبادة والتهليل كمن في السماء عينها.

الملوك بعد الانقسام

لم يوجد ملك واحد صالح في مملكة الشمال (إسرائيل)، لذا لم يُرَكِّزِ السفر على هذه المملكة، بل على مملكة يهوذا وعلى سلالة داود.

وُجِدَ ملوك صالحون بارزون في مملكة يهوذا، اهتموا بالنهضة الروحية للأمة، كما وُجِدَ ملوك أشرار دفعوا المملكة للتأديب الإلهي بالسبي البابلي الذي دام سبعين عامًا.

نداء كورش بالعودة من السبي

لم يُسَجَّلْ لنا السفر شيئاً عن فترة السبي، وكأنها فترة ساقطة من حياة شعب الله، لأنه بسبب إصراره على العناد، فقد شركته مع الله، وعبادته في الهيكل، وتقديم الذبائح التي هي رمز لذبيحة السيد المسيح الكفّارية.

^١ الميمر ٥٠ على العذارى العشر المكتوبات في بشارة مخلصنا (مت ٢٥: ١-١٣؛ لو ١٢: ٣٥-٤٠) (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)، ميمر ٤٧ على العشر العذارى، يُقرأ باكر يوم الأربعاء من البصخة، مطبعة مصر بالفجالة تحت إشراف يوسف بك منقريوس.

ملاحح السفر

١. يُعْتَبَرُ هذا السفر امتداداً طبيعياً لسفر أخبار الأيام الأول، وقد كان السفران سفرًا واحدًا في النصوص العبرية الأصلية.

٢. ما ورد في هذا السفر لا يُعْتَبَرُ تكررًا لما ورد في سفري الملوك بلا هدف. فالسفر هنا في حقيقته ليس عرضًا تاريخيًا للملوك منذ نياحة داود إلى الرجوع من السبي البابلي، إنما في جوهره هو عرض عملي لدور العبادة الحقيقية والاهتمام بقدسية الهيكل منذ الانطلاق العملي لبنائه حتى تدميره على أيدي البابليين، وسقوط الشعب في السبي بسبب تهاونهم في العبادة، وعدم مراعاتهم لمحبة الله واقتنائهم مخافة الرب البناءة.

إنه بحق سفر بيت الرب ودعوة الكنيسة كجماعة مُقَدَّسة، بل وكل مؤمنٍ أن يلتهب قلبه للعبادة بالروح والحق، حتى تُقَامَ مملكة الله في الإنسان الداخلي كعربونٍ لأورشليم العليا.

٣. يَخْتَلَفُ غرض الوحي هنا عنه في سفري الملوك. ففي الملوك يُقَدَّمُ عَرْضًا تاريخيًا روحياً، يكشف عن محبة الله لشعبه، مع مقابلة الشعب بكل فئاته حتى الكهنة هذا الحب الإلهي الفائق بالرغبة في التحرُّر من الله كمن يريد السيادة واستعبادهم. وفي نفس الوقت يجد الكثيرون سعادتهم أو حياتهم في اللذات الجسدية والرجاسات والافتداء بالشعوب الوثنية. لذا اهتم سفر الملوك بإبراز أخطاء حتى للملوك الصالحين، وإبراز بشاعة المملكة المنشقة إسرائيل التي كانت تضم عشرة أسباط، إذ لم يوجد بين ملوكها ملك واحد صالح يود أن يلتصق بالله.

٤. إصرار إسرائيل على العصيان، ومقاومة الحق الإلهي والخلط بين عبادة الله والعبادة الوثنية والتحالف أحياناً مع شعوب وثنية ضد يهوذا مع كراهية لبيت داود، دفع بالمملكة إلى السبي الأشوري، وهو من أشنع أنواع السبي في التاريخ.

٥. لقد وُجِدَ ملوك صالحون في يهوذا، هؤلاء أيضاً كان لهم أخطاء خطيرة، وغالباً ما كان أبناؤهم أشراراً، لا يسلكون بالاستقامة في عيني الرب. وبعد سبي مملكة إسرائيل بواسطة آشور، لم تتعظ مملكة يهوذا بهذا السبي، بل سقطوا فيما سقطت فيه مملكة إسرائيل وانتهت المملكة بالسبي البابلي.

٦. جاء سفر أخبار الأيام الثاني يؤكد نعمة الله العاملة حتى في أحلك العصور، فإنه دائماً توجد بقية مقدسة تطلب القدوس في أمانة ما استطاعت.

٧. بدأ سفر أخبار الأيام الثاني باستلام سليمان الحكيم المملكة، ويُلاحَظ فيه:

أ. بدا كأن العمل الأول والرئيسي، بل والوحيد هو الاهتمام بالهيكل بيت الرب.

ب. لم يذكر الصراع على العرش بعد موت داود، لأنه أراد إبراز أن تولي سليمان العرش كان

رمزاً لمجيء ملك السلام كلمة الله المتجسد ليُقيَم ملكوته في قلوب المؤمنين.

ج. أبرز شخصية سليمان كما لو كان ملكاً كاهناً، مع أنه ليس من سبط لاوي، لكنه كان رمزاً

للسيد المسيح ملك الملوك ورئيس الكهنة السماوي في نفس الوقت.

٨. ظهر ارتباط العرش الملكي بالهيكل، فلا نجاح للواحد دون الآخر. نرى يهوياذع رئيس الكهنة

في شجاعة وبروح التقوى اهتم بإعداد العرش ليوأش من نسل داود، وكان المشير له. وعلى النقيض

حين حاول عُزَيَّا اقتحام العمل الكهنوتي مستخدماً سلطانه كملك، أُصيب بالبرص في الحال (أصحاء

٢٦).

٩. للأسف وُجِدَ من نسل داود ملوك غاية في الشر مثل آحاز بن يوئام وحفيد عُزَيَّا، فقد جمع

أنية بيت الله وقطعها، وأغلق أبواب بيت الرب، وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية في مدن يهوذا. أطفأ

السرچ، إذ كان يحمل عداوة مُرّة نحو الله والعبادة له، وكان من ثمر ذلك أنه دَمَّر مملكة يهوذا، في

أيام أحفاده.

١٠. مع كل ما فعله آحاز الشرير، تلقفت نعمة الله ابنه حزقيا "الذي عمل المستقيم في عيني

الرب حسب كل ما عمل داود أبيه". كانت النعمة مستعدة للعمل، وبالفعل عملت في أناس كان آباؤهم

أشراراً. من أمثلة ذلك:

عملت في يوئام الذي خاف الرب وهو ابن عُزَيَّا المختلس للعمل الكهنوتي.

وعملت في حزقيا الملك الصالح ابن آحاز الملك الشرير.

وأيضاً في يوشيا الصالح الذي جاء بعد منسى وآمون الشريرين.

١١. لم يتوقّف الله عن إرسال أنبياء سواء لمملكة إسرائيل أو يهوذا حتى في أشر اللحظات، بل

غالبًا ما كان يُرسلُ أنبياء عظماء وأصحاب سلطان ليقفوا أمام الملوك الأشرار.

١٢. الله في محبته للبشر يبحث عن إنسانٍ مُقدَّسٍ في كل الأرض، ليكون بركة للآخرين: "لأن

عيني الرب تجولان في كل الأرض، ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه" (٢ أي ٩ : ٩).

في كل جيلٍ نسمع عن بقية تبدو مجهولة، لكنها معروفة لدى الله، موضع سروره ورضاه.

أقسام السفر

الباب الأول: مُلك سليمان (١-٩)

- ١ . بدء حكم سليمان
- ٧-٢ . بناء الهيكل
- ٩-٨ . أمجاد عصر سليمان

الباب الثاني: الملوك بعد سليمان (١٠-٣٦).

- ١٢-١٠ . انشقاق في عصر رحبعام
- ١٣ . نشاط روحي في عصر أبيّا
- ١٦-١٤ . نشاط وسعادة في عصر آسا
- ٢٠-١٧ . تقوى ورخاء في عصر يهوشافاط
- ٢٢-٢١ . انحطاط في عصر يهورام وأخزيا وعثليا
- ٢٥-٢٣ . تقلقل في عصر يوأش وأمصيا
- ٢٦ . رخاء في عصر عزّيا
- ٢٧ . عصر يوثام
- ٢٨ . دنس في عصر آحاز
- ٣٢-٢٩ . مجد في عصر حزقيا
- ٣٣ . شر في عصريّ منسى وآمون
- ٣٥-٣٤ . إصلاح في عصر يوشيا
- ٣٦ . هلاك ودمار في أيام أبناء يوشيا

من وحي أخبار الأيام الثاني

هَبْ لِي أَنْ أَبْنِي بَيْتَكَ الْمُقَدَّسَ!

❖ إلهي، اخترت سليمان بن داود يجلس على العرش.

وهبته أن يبني لك بيتاً مقدساً!

أشبعته قلبه بك، فلم يطلب لنفسه شيئاً.

طلب الحكمة وهو شاب، ليرعى شعبك.

وهبته أكثر مما سأل، وفوق ما طلب.

اقتنى الالتصاق بك، يا مصدر الشبع.

بك صار غنياً وممجداً ومملوء سلاماً.

❖ وهبتي روح التبني لأبيك السماوي.

بك يا ملك الملوك أصير ابناً وملكاً.

لن أشتهي لنفسي شيئاً، سوى أن أتشبه بك، يا محب البشر.

أحب كل إنسان حتى المقاومين لي.

بك أتمتع بالحكمة السماوية، فأطلب خلاص كل البشر.

أشتهي أن يصير الكل هيكلًا مقدسًا لك.

يُسمع صوت التسبيح من كل قلب!

وتصعد رائحة بخور زكية من كل نفسٍ.

وتُقدّم مُحَرِّقَاتِ الْحَبِّ بلا توقُّفٍ.

❖ تحزن نفوسنا لما حدث بعد موت سليمان.

نرى انقسام المملكة بسبب عنف رجبام وجهالاته.

اجتمعت الأسباط العشرة ضدك.

أقامت العجول والتيوس لكي تتعبد لها.

ورفضت الالتصاق بك، يا واهب الحياة!

للأسف سقط السبطان بعد ثلاث سنوات في عبادة الأوثان.

تحوّلا عنك يا شمس البرّ،

أحبا الظلمة أكثر من النور الإلهي.

❖ **بِحُبِّكَ حَوَّلْتَ الشَّرَّ إِلَى الْخَيْرِ.**

عزلت الجداء (الأسباط العشرة) عن الخراف.
حفظت مملكة يهوذا، ليبقى سراج بيت داود مشتعلًا.
أنت ضابط التاريخ، أنت كلّي الصلاح.
أنت تعمل عبر كل الأجيال لخلاص البشر.

❖ **فِي وَسْطِ الظَّلامِ الدَّامِسِ لَمْ تَتْرُكْ نِعْمَتَكَ الْبَشَرِيَّةَ.**

وُجِدَ وَسْطَ الْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةَ مِنْ رَجَعُوا إِلَيْكَ.
تركوا أسباطهم، والتصقوا بأورشليم ويهوذا.
سلكوا بالروح، ولم يطبقوا شهوات الجسد!
ووسط السبطين وُجِدَتْ بَقِيَّةٌ مَقْدَسَةٌ لَكَ.

❖ **بِذَلِّ عَدُوِّ الْخَيْرِ كُلِّ طَاقَاتِهِ لِيُطْفِئَ السَّرَاحَ الْمُنِيرَ.**

لم يكف عن جذب ملوك يهوذا الشر.
لكن بقي وعذك صادقًا.

وفي أحلك الظروف وُجِدَ طِفْلٌ مِنَ النِّسْلِ الْمَلِكِيِّ (يوشيا).

❖ **مَاذَا نَقُولُ؟! فِي دَهْشَةٍ نَعْجِبُ لِأَعْمَالِ حَبِكَ.**

فُئِمَتْ بِتَأْدِيبِ شَعْبِكَ بِالسَّبِيِّ الْبَابِلِيِّ.

عبرت سنوات السبي السبعين ثقيلة للغاية.
ظن الكثيرون استحالة تحقيق وعودك الإلهية.
هل من رجوع من السبي بعد كل هذا الزمان؟
هل يجلس ابن لداود على العرش؟
هل يُقَامُ هَيْكَلُ سَلِيمَانَ الَّذِي تَهْدَمُ تَمَامًا.
هل تعود أورشليم مدينةً لله مقدسة؟

❖ **أَنْتِ إِلَهَ الْمَسْتَحْيَلَاتِ! عَادَ الشَّعْبُ بِأَمْرِ كُورَشِ الْفَارَسِيِّ.**

أُفِيْمَ الْهَيْكَلِ، وَبُنِيَ أورشليم، وعادت العبادة.

لم يكن هذا كله إلا رمزاً لك يا ابن داود.

عتقتنا بصليبك من عبودية إبليس!

أقمت من اليهود والأمم كنيسة مقدسة!

وهبتنا أن نُقيم ملكوتك في قلوبنا!

أعطيتنا سلطاناً ملوكياً، فننعم بحرية مجد أولاد الله!

والآن هَبْ لي ألا أكف عن الصلاة والعمل،

حتى أرى بيتك المقدس قائماً في كل القلوب!

لك المجد يا مُخَلِّص العالم!

الباب الأول

مُنْكَ سَلِيمَان

أَخْبَار الْأَيَّامِ الثَّانِي ١-٩

حُكْم سُلَيْمَانَ

أخبار الأيام ١ - ٩

اهتم السفر بالحديث عن حُكْم سليمان الذي عُرفَ بالحكمة والسلام، فكان رمزاً لعصر رب المجد يسوع الذي يُقدِّم نفسه لنا، نقتنيه في حياتنا بكونه حكمة الله (١ كو ١ : ٢٤)، وإله السلام (١ كو ١٤ : ٣٣).

لا يشير السفر إلى شيءٍ من أخطاء سليمان، لكي يكون رمزاً لملكوت المسيح السماوي الذي يقيمُه روح الله القدوس في أعماق قلوبنا. نسمع الصوت الإلهي: "ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧ : ٢١).

مُلك سليمان وبرز المسيح

تجاهل السفر الحكم على أدونيا الذي قاوم داود أباه، وشمعي الذي أهان داود وسخر به، ويوآب الذي عُرفَ بالتمرد. بناء على طلب أبيه داود أصدر سليمان الحكم عليهم بالموت (١ مل ١ : ٢-١). وردت قصة الزانيتين اللتين اختلفتا بسبب محاولة كل منهما أن تنسب الطفل الحي لها والميت للأخرى (١ مل ٣ : ١٦-٢٨). كشف الملك عن الحقيقة بحكمة، ولم يُدكَر عنه أن حكَّم عليهما بسبب شرهما كزانيتين وسكرهما حتى لم تشعر إحداهما بأنها رقدت على طفلها حتى مات، ولم تشعر الأخرى بأن الأولى سرقت الطفل من حضنها ووضعت طفلها الميت بدلاً منه، إنما ما أبرزه السفر كيف بحكمة كشف الملك عن الحق، وفضح الكذب والخبث والاحتتيال.

قيل عنه: "وكان الرب إلهه معه وعظَّمه جداً"، وهو في هذا رمز للسيد المسيح القائل نيابة عن البشرية التي تسترد الحياة الملوكية فيه: "اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً، وأقاصي الأرض ملكاً لك" (مز ٨ : ٢).

الأصحاح الأول

بدء حُكْم سليمان

افتتح هذا السفر حديثه عن سليمان بزيارته خيمة الاجتماع في مدينة جبعون. أما التابوت فكان مقره في أورشليم.

إذ استولى داود على أورشليم وضع في قلبه أن يُحضِرَ التابوت إلى أورشليم بكونها عاصمة مملكته. حمل هذا العمل رمزاً لملكوت ربنا يسوع في حياتنا، وسكانه في قلوبنا، وخضوعنا بالحب له. في الأصحاح الثاني نرى أن خطة داود تحققت، إذ بدأ العمل لبناء هيكل الرب بواسطة سليمان بكونه رمزاً للسيد المسيح ملك السلام، الذي أقام منا هيكله بروحه القدس.

١. الرب يُعَظِّم سليمان
٢. خيمة الاجتماع أولاً
٣. المذبح والذبائح
٤. الله يتراعى لسليمان
٥. سليمان يطلب الحكمة والمعرفة
٦. الله يعطي أكثر مما نسأل
٧. سليمان ومركباته وخيله

١. الرب يُعَظِّم سليمان

وَتَشَدَّدَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ،

وَكَانَ الرَّبُّ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَعَظَّمَهُ جَدًّا. [١]

في الأصحاح الأخير من أخبار الأيام الأول قيل: "وعظّم الرب سليمان جدًّا في أعين جميع إسرائيل، وجعل عليه جلالاً ملكياً، لم يكن على ملك قبيله في إسرائيل" (١ أي ٢٩: ٢٥).

يقول الرب: "أكرم الذين يكرمونني" (١ صم ٢: ٣٠). فقد أكرم سليمان الرب؛ أعطى الأولوية للرب. قبل أن يجلس على العرش ليُمَارِسَ أي عمل ملوكي خاص بالأمة، جمع كل القيادات والشعب، وذهب إلى مرتفعة جبعون، يُقدِّم ذبيحة للرب في خيمة الله التي عملها موسى عبد الرب في البرية [٣].

لقد استلم عرشًا عليه نزاع من إخوته، لكن الرب شدّده وعظّمه، لأنه كان معه.

في هذا السفر يبدو سليمان في غنى وعظمة وسلطانٍ ومجدٍ منذ بدء تجليسه، دون إبراز تزايد في هذا كما في سفر الملوك. لأن هذا السفر يُقدّم لنا سليمان كرمزٍ للسيد المسيح الذي نزل ليحمل البشرية إلى سماواته، ويهبهم الشركة في الأمجاد. إن كان في تواضعه افتقر، إنما لكي يغنيننا بفقره، فأمجاده ليست خارجًا عنه، إنما هو مصدر الغنى والبرّ والقداسة والمجد، يود أن يهبنا ذاته، فنرى فيه كل الكفاية.

❖ لا خير إلاّ واحد وهو الله، الذي وحده أيضًا يجلب للإنسان السعادة، ويعطيه السلام والاستقرار والاطمئنان^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ في تكريمنا لله نكرم أنفسنا. من يفتح عينيه لينظر نور الشمس يتقبّل البهجة فيه... من يكرمون الله إنما يفعلون هذا لخلاصهم ولعظم نفعهم؛ كيف؟ لأن من يتبع الفضيلة يُمجدّ الله... لئُمدّ الله ولنحمله في أجسادنا وأرواحنا (١ كو ٦ : ٢٠)^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. خيمة الاجتماع أولاً

وَكَلَّمَ سُلَيْمَانَ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رُؤَسَاءَ الْأُلُوفِ وَالْمَنَاتِ وَالْقُضَاةِ،

وَكُلَّ رَئِيسٍ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ رُؤُوسَ الْآبَاءِ [٢]

واضح أن الذين كانوا حول سليمان في مراكز قيادية، كانوا مُجيبين للعبادة، لذا شاركوا سليمان حُبّه للحياة التعبدية الجماعية.

فَدَهَبَ سُلَيْمَانُ وَكُلُّ الْجَمَاعَةِ مَعَهُ إِلَى الْمُرْتَفَعَةِ الَّتِي فِي جِبْعُونَ،

لَأَنَّهُ هُنَاكَ كَانَتْ خَيْمَةُ الْإِجْتِمَاعِ خَيْمَةُ اللَّهِ،

الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي الْبَرِّيَّةِ. [٣]

كانت جبعون في وقت من الأوقات أعظم مقدس في إسرائيل، صارت في ذلك الحين مُجرّد

^١ الأب الياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٨. عظة على المزمور

^٢ In 1 Tim. Hom. 4.

محطة في الطريق إلى أورشليم. لم تُذكر النقائص التي تفسد جمال جبعون كمركز للعبادة (١ مل ١: ٤-٣). هناك خيمة الاجتماع، خيمة الله التي عملها موسى عبد الرب في البرية... ومذبح النحاس الذي عمله بصلئيل بن أوري بن حور ووضعه أمام مسكن الرب (٢ أي ١: ٣-٥).

التّف كل بني إسرائيل حَوْلَ الملك سليمان، ويصف هنا رحلته مع كل إسرائيل إلى جبعون. ذكر السفر هنا تفاصيل لم ترد في سفر الملوك [٣-٦]، ليذكر أن ما يفعله سليمان جاء امتدادًا لما فعله موسى قديمًا. فقد أراد الملك تأكيد تقديسه وتقديره لخيمة الاجتماع التي أقامها موسى النبي منذ حوالي ٣٠٠ عام، ومذبح النحاس الذي صنعه بصلئيل (خر ٣١: ٣٨). فبناء هيكل سليمان لا يعني تحطيمًا للعبادة التي ورثها إسرائيل، إنما هو امتداد لها تحمل ذات الفكر^١.

بدأ سليمان عهده بزيارة شعبية لخيمة الاجتماع ومذبح الرب. إنها فاتحة صالحة لعمله، إذ شعر الكل بالحاجة إلى حضرة الله في وسطهم، وحضورهم في بيت الرب، بل ويكون الرب في رفقتهم في كل رحلة حياتهم.

وَأَمَّا تَابُوتُ اللَّهِ، فَأَصْعَدَهُ دَاوُدُ مِنْ قَرْيَةِ يِعَارِيمَ عِنْدَمَا هَيَّأَ لَهُ دَاوُدُ،
لَأَنَّهُ نَصَبَ لَهُ خَيْمَةً فِي أُورُشَلِيمَ. [٤]

٣. المذبح والذبائح

وَمَذْبُحُ النُّحَاسِ الَّذِي عَمِلَهُ بَصَلُّئِيلُ بْنُ أُورِي بْنِ حُورٍ،
وَضَعَهُ أَمَامَ مَسْكَنِ الرَّبِّ.

وَطَلَّبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ وَالْجَمَاعَةُ. [٥]

سرُّ قوة الخيمة المذبح الذي يشير إلى الصليب وذبيحة السيد المسيح لخلص العالم. خلال الصليب نحمل برَّ المصلوب، فنصير في عينيّ الله أبرارًا، بهذا نترنّم، قائلين: "لأن عينيّ الرب على الأبرار، وأذنيه إلى طلبتهم، ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر" (١ بط ٣: ١٢).

ذهاب القادة والشعب مع سليمان إلى جبعون حيث خيمة الاجتماع والمذبح، يُشير إلى مرافقتنا للسيد المسيح المصلوب، ملك السلام لننعم بالمسكن السماوي، ونختبر الصليب، قوة الله للخلص (رو ١: ١٦).

^١ Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship. Orthodox Reflections on Chronicles, 2 Chr. 1.*

وَصَعِدَ سُلَيْمَانُ هُنَاكَ إِلَى مَذْبَحِ النَّحَاسِ أَمَامَ الرَّبِّ،
الَّذِي كَانَ فِي خَيْمَةِ الْجَمْعِ،
وَأَصْعَدَ عَلَيْهِ أَلْفَ مُحْرَقَةٍ. [٦]

أصعد سليمان على المذبح ألف محرقة [٦]، وربما أكثر من ذلك من ذبائح السلامة، علامة البهجة والفرح أمام الرب.

أبرز الكاتب في بدء حديثه عن سليمان أنه أصعد على مذبح النحاس ألف محرقة، وعندما تراءى الله لسليمان قال له: "اخترت هذا المكان لي بيت ذبيحة" (٧: ١٢). فإن كان رقم ١٠٠٠ في الكتاب المقدس كثيرًا ما يشير إلى السماء والسماويات، فإن هذا السفر الذي ركز على الهيكل والعبادة، غايته الإعلان عن انفتاح أبواب السماء لليهود كما للأمم لكي تقدم كنيسة العهد الجديد التي تضم الجميع ذبيحة المحرقة الكاملة، أي الحب الكامل لله، كما قدّم إبراهيم ابنه الحبيب ذبيحة محرقة مقبولة ورائحة رضا أمام الله.

ويلاحظ بعض الدارسين أن أخبار الأيام لا يشير إلى ذبيحة الخطية ولا إلى ذبيحة الإثم، حتى يبدو المذبح كأنه قد كُرس لذبائح المحرقات والسلامة. فبناء بيت الرب هو دعوة موجهة لكل البشرية كي تسمو وتشارك السمائيين ذبائح الحمد والشكر والتسبيح، كتعبير عن الحب والتجاوب مع محبة الله الفائقة لخليقته العاقلة.

إذ كان القديس أغناطيوس مهتمًا بالروح وهو في طريقه للاستشهاد، عبّر عن نظرتة للكنيسة بكونها جسد المسيح المبذول؛ إذ يقدم المسيح الإفخارستيا، جسده ودمه المبذولين لتعيش الكنيسة تتعم مع عريسها المصلوب بروح البذل. هذا ما دفعه لتعريف الكنيسة "موضع الذبيحة *Thysiasterion*" في أكثر من موضع^١.

❖ زادك الله غنى، تكرم بهذه المنح على من يعتبرونها ويرغبون فيها، فأنا كاهن سيدي يسوع المسيح وله أقدم الذبيحة في كل يوم، وأرغب في أن أقدم حياتي ذبيحة، كما قدّم حياته ذبيحة حبًا بي^٢.
أغناطيوس أسقف أنطاكية

٤. الله يتراءى لسليمان

في تلك الليلة تراءى الله لسليمان،

^١ Ephes. 5:2; Trall. 7:2; Philad. 4.

^٢ في حوار مع الإمبراطور تراجان.

وَقَالَ لَهُ: اسْأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ. [٧]

إذ اهتم سليمان أن يتحدث مع القادة بروح الحب، وانطلق معهم إلى خيمة الاجتماع، وأصعد ألف مُحَرِّقَة على المذبح، تراءى الرب له يسأله عن احتياجاته.

غالبًا ما كان النبيان ناثان وجاد مشيرين لداود النبي والملك، غير أنه يبدو لم يكن يوجد نبي في أيام سليمان، فترأى الرب نفسه له، وتحدث معه. هذا لا يعني أنه أفضل من أبيه الذي كان يتحدث الله معه خلال أنبيائه، فإن الله يعمل بوسيلة أو أخرى حسب مقتضيات الحاجة. فقد تحدث مباشرة مع بعض رجال الأمم مثل أبيمالك (تك ٢٠) وعبيد فرعون المصريين (تك ٤٠)، وفرعون نفسه (تك ٤١).

جاءت كلمة "يسأل" ومشتقاتها في حديث الله مع سليمان هنا ثمان مرات. فإن سؤال الإنسان خاصة من الله يكشف إلى حد كبير عما في قلبه. فلو كان سليمان مُحَارِبًا، لطلب النصر على الأعداء، إنما إذ رأى أنه قائد شاب يحتاج إلى الحكمة لتدبير الأمور الخاصة بشعب الله، وأنه خليفة الملك العظيم داود، لذلك طلب من الله الحكمة.

جاء في يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن سليمان إذ تراءى له الله، قفز من سريره^١.

لا يكف الرب عن أن يسألنا: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً" (يو ١٦: ٢٤).

❖ ما تسألونه يُحَسِّبُ كلا شيء بالنسبة لما أريد أن أعطيك. لأنه ماذا سألتم باسمي؟ أن تخضع الشياطين لكم. لا تفرحوا بهذا، فإن ما قد سألتموه هو لا شيء، فلو كان ذلك شيئاً لكان يسألهم أن يفرحوا...

"لكي يكون فرحكم كاملاً"، أي أسألوا ما يشبعكم.

عندما تسألون أمورًا زمنية لا تسألون شيئاً. "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً" (يو ٤: ١٣)...

أسألوا ما يشبعكم!

تحدثوا بلغة فيلبس: "يا رب أرنا الأب وكفانا" (يو ١٤: ٨). قال له الرب: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني؟ من رأني يا فيلبس، فقد رأى الأب أيضاً" (يو ١٤: ٩ Vulgate).

قدموا تشكرات للمسيح الذي صار ضعيفاً لأجلكم لأنكم ضعفاء، ولتكن رغباتكم معدة للاهوت

¹ Antiq. 8:21:1

المسيح لكي تشبعوا بها^١.

❖ يجب ألا يفهم قوله: "كل ما طلبتم" أنه أي طلب كان، بل أي شيء يكون بالحقيقة له علاقة بالحياة المَطْوِيَّة. وما جاء بعد ذلك: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي" [٢٤]، يفهم بطريقتين: إما أنكم لم تطلبوا باسمي، إذ لم تعرفوا اسمي بعد كما يجب، أو أنكم لم تطلبوا شيئاً، إن قورن بما يجب أن تطلبوه، فما تطلبونه يُحسب كلاً شيء^٢.

القديس أغسطينوس

فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلَّهِ: إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةً عَظِيمَةً، وَمَلَكَتَنِي مَكَانَهُ. [٨]

شعور بالجميل مع الشكر: "مَلَكَتَنِي مَكَانَهُ"؛ لقد جعلتني مكان أبي، الرجل النقي الصالح والعظيم، الذي أكمل رسالته بروح الإخلاص. وكأنه يقول مع إيشع لأبيه الروحي إيليا: "يعطيني نصيبين من روحك". ليتنا نحمل نفس الروح، فنشعر أن ما ناله آباؤنا من بركات إلهية هو رصيد لنا يليق بنا أن نتمتع به.

لقد نال داود أبوه رحمة من قبل الله، فإنه وإن أخطأ غير أنه بالتوبة تَمَتَّعَ بمراحم الله.

❖ "ليس أحد ظاهراً من دنسٍ، ولو كانت حياته يوماً واحداً"^٣. يثن داود قائلاً: "بالآثام حُبِلَ بي، وفي الخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥). أيضاً يعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا، وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح، الذي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ" (رو ٣: ٢٣-٢٥). لذلك يُمَنَحُ غفران الخطايا للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسْفَكُ من أجل كثيرين، لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨)^٤.

القديس باسيليوس الكبير

❖ بالرغم من أن خدام الله وأصدقاءه يتجنبون الخطايا التي للموت، ويمارسون أعمالاً صالحة كثيرة إلا أننا لا نعتقد أنهم بلا خطايا تافهة، فإن الله لا يكذب حيث يقول: "ليس طفل حياته يوم واحد على الأرض بلا خطية". أضف إلى هذا الطوباوي يوحنا الإنجيلي الذي بلا شك ليس بأقل من أيوب في استحقاقه، يعلن: "إن قلنا أننا بلا خطية، نضل أنفسنا والحق ليس فينا" (١ يو ١: ٨).

¹ Sermon on N.T. Lessons, 95:6.

² St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:2.

³ Cf. "For who shall be pure from uncleanness? not even one; if even his life should be but one day upon the earth." (Job 14:4-5 LXX)

⁴ Concerning Baptism, Book 1, chapter 2.

علاوة على هذا، نقرأ في موضع آخر: "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (أم ٢٤: ١٦).^١

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ لقد اقتبست العبارة التالية من سفر أيوب: "ليس أحد طاهرًا، ولو كان عمره على الأرض يومًا واحدًا" (LXX ٥-٤: ١٤). وأصفت: "فإننا مذنبون على شبه معصية آدم"^٢، وهو رأي يعلنه كتابك عن نبوة يونان بطريقة مشرفة وواضحة، حيث تؤكد أن أطفال نينوى الصغار بعدلٍ التزموا أن يصوموا مع الشعب لمجرد خطاياهم الجدية^٣، لذلك فإنه ليس من غير اللائق أن أوجه لك السؤال: أين مارست النفس الإثم الذي تلتزم به حتى في هذا العمر أن تخلص منه بسرّ النعمة المسيحية؟^٤

❖ ليس إنسان بلا خطية سواء كانت حياته يومًا واحدًا أو عاش سنوات طويلة. فإن كانت الكواكب نفسها ليست بطاهرة في عيني الله، كم بالأكثر الدودة والفساد هذا الذي صار عليه من خضوعوا لخطية عصيان آدم؟^٥

القدیس أغسطينوس

فَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ،

لِيُثَبِّتْ كَلَامَكَ مَعَ دَاوُدَ أَبِي،

لَأَنَّكَ قَدْ مَلَكْتَنِي عَلَى شَعْبٍ كَثِيرٍ كَثْرَابِ الْأَرْضِ. [٩]

"لثبت كلامك": أفضل ما نطلبه من الله هو أن يحقق فينا وعوده الإلهية لأبائنا ولنا، وكل البشرية. "اذكر لعبدك القول الذي جعلتني انتظره" (مز ١١٩: ٤٩).

٥. سليمان يطلب الحكمة والمعرفة

فَأَعْطِنِي الْآنَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً،

لَأُخْرِجَ أَمَامَ هَذَا الشَّعْبِ وَأَدْخُلَ،

لَأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ هَذَا الْعَظِيمِ [١٠]

لم يُدكر هنا عنه أنه فتى صغير لا يَعْلَمُ الخروج والدخول (١ مل ٣: ٥-١٥)، لأنه يرمز للسيد

¹ Sermons, 91:4.

² Jerome against Jovinian, Book 2.

³ Jerome on Jonah, ch. 3.

⁴ Letter 166 to Jerome (A Treatise on the Origin of Human Soul, ch 3:6.)

⁵ On Forgiveness of Sins and Baptism, ch. 12 (6).

المسيح حكمة الله. إنما قيل إنه محتاج إلى الحكمة ليخرج ويدخل أمام الشعب ويحكم عليهم. سليمان كابن أصيل لأبيه داود اختار البركات الروحية لا الزمنيات. لقد عرف سليمان أن هذه العطايا ترضي الله، وهو مانحها (أم ٢: ٦).

"لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم". شعور جميل بتقل المسؤولية وخطورتها، مع ثقة وبقين في إمكانيات الله وعطاياه لنا.

لم يطلب سليمان الحكمة لكي يفخر بها، وإنما لخدمة شعب سيده بروح التقوى، ويقضي بينهم بروح العدالة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إذ طلب سليمان ما يجب طلبه، انظر كيف نال بسرعة. أمران يجب أن يكونا في من يصلّي: أن يطلب بغيره، ويسأل ما يجب طلبه^١].

❖ رقد داود بموت هادي كما لو كان نائمًا، وجاء في مكانه الصبي سليمان ليملك. قال له (الرب): "احفظ وصاياي كما فعل أبوك، فم واحكم على مملكة داود أبيك. فأكون معك، وأعظم اسمك في العالم. إن كنت معي، تحفظ وصاياي، وتصنع إرادتي". رجع الصبي ليُصَلّي أمام الله، صلاة طاهرة مملوءة جمالاً لمن يتأمل فيها. وجّه الصبي البتول صلاة طاهرة للرب، بكلمات حب، وسمعها الرب في موضعه السامي. "يا إله أبي داود، اقبل صلاتي، ولا تتبعد عني، لأنك اخترتني لأصير ملكًا. أعطني قلبًا مملوءًا بأسرار الخفايا، لأحكم شعبك بأمانة وبر^٢ (١ مل ٣: ٨). أنا صبي، فكن لي رئيسًا مُعَلِّمًا أَحْكَم من أي كاتب، وأرشد ابن داود، ووجهه وعلمه، وأعطه حكمة.

لم أسألك وفرّة الغنى، وإنما أن أعرف كيف أدبر حسب إرادتك (١ مل ٣: ٩-١١).
لم ولن أطلب نفوس أعدائي، إنما أطلب فقط قلبًا مملوءًا بأسرار الإيمان (١ مل ٣: ١١)^٢.
القديس مار يعقوب السروجي

٦. الله يعطي أكثر مما نسأل
فَقَالَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ:

^١ St. John Chrysostom: Homilies on St. Mathew, Hom 23:5.

^٢ ميمر ١١ على الزانيتين (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بهنام).
Stephen A. Kaufman: Jacob of Sarug's Homily on the Judgment of Solomon, Gorgias, 2008.

مِنْ أَجْلِ أَنْ هَذَا كَانَ فِي قَلْبِكَ،
وَلَمْ تَسْأَلْ غِنَى وَلَا أَمْوَالًا وَلَا كِرَامَةً وَلَا أَنْفُسَ مُبْغِضِيكَ وَلَا سَأَلْتَ أَيَّامًا كَثِيرَةً،
بَلْ إِنَّمَا سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً تَحْكُمُ بِهِمَا عَلَى شَعْبِي،
الَّذِي مَلَكَتْكَ عَلَيْهِ [١١]

من أين أنته هذه الفكرة؟ إن رجعنا إلى ١ أي ٢٢: ١١-١٢ نسمع صوت داود النبي يقول لابنه: "الآن يا ابني ليكن الرب معك، فنقلع وتبني بيت الرب إلهك كما تكلم عنك. إنما يعطيك الرب فطنة وفهماً، ويوصيك بإسرائيل لحفظ شريعة الرب إلهك". لقد كان سليمان مُصغياً لصوت أبيه. لذلك لما سأله الرب: "اسأل ماذا أعطيك؟" للحال قال: "أود حكمة ومعرفة" [١١].

قَدْ أَعْطَيْتَكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً،
وَأَعْطَيْكَ غِنَى وَأَمْوَالًا وَكِرَامَةً،
لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ قَبْلَكَ،
وَلَا يَكُونُ مِثْلَهَا لِمَنْ بَعْدَكَ. [١٢]

أعطاه الله غنى وأموالاً وكرامة، مع أنه لم يطلب هذه الأمور. فالذين يزهدون أمور العالم، يُقدِّمها لهم الرب بفيض. يقول السيد المسيح: "اطلبوا ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تُزاد لكم" (مت ٦: ٣٣).
سأل لنفسه الحكمة أو التمييز، أي طلب الحكمة العملية التي خلالها يمارس الحياة اللائقة بالمؤمن. وهبه الله الحكمة العقلية والعملية، فلم يكن من هو مثل سليمان حتى يأتي السيد المسيح الذي هو أعظم منه (مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٣١). لقد وعدنا رب المجد يسوع أننا إن طلبنا ملكوت الله وبرّه، يهبنا الأمور الأخرى، لأنها لن نمتلكها ولا تشغلنا عن واهبها، ولا تُفسد قلوبنا (مت ٦: ٣٣).
يهبنا مع النعمة السماوية احتياجاتنا الزمنية، إذ تصير كل الخيرات الأرضية لخيرنا، أمّا بدون النعمة فإن هذه الخيرات تستعبد نفوسنا.

❖ حينئذٍ تكلم الرب معه، وقال له: أنا اخترتك، ولن أتخلى عن مساعدتك.

ولأن فمك طلب حكماً عادلاً (١ مل ٣: ١٣)، وأبغضت الغنى والمجد الفارغ،
أعطيك ثروة ومجدًا مع العظمة، وتنتشر شهرتك في كل مكان وفي البلدان (١ مل ٣: ٣).
ويأتون في رحلات، ويرون كيف أن حكمتك عظيمة، وينتشر خبرك لدى ملوك وجماعات
الأرض،

وكل الجهات تطيع مخافتك^١.

القديس مار يعقوب السروجي

٧. سليمان ومركباته وخيله

فَجَاءَ سُلَيْمَانُ مِنَ الْمُرْتَفَعَةِ الَّتِي فِي جِبْعُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ،

مِنْ أَمَامِ خَيْمَةِ الْإِجْتِمَاعِ وَمَلَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. [١٣]

وَجَمَعَ سُلَيْمَانُ مَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانًا،

فَكَانَ لَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وَأَتْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ،

فَجَعَلَهَا فِي مَدَنِ الْمَرْكَبَاتِ وَمَعَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ. [١٤]

كان ممنوعًا على الملك أن يكثر الخيل (تث ١٧ : ١٦)، فلا يَنْشَبَّهُ بالملوك الوثنيين الذين يظنون

أن عظمتهم ومجدهم في المظاهر الخارجية.

لقد أقحم سليمان نفسه في ساحة ممنوعة، فأبوه الصالح لم يركب مركبة، ولا اعتلى فرسًا، أقصى

ما اعتلاه بغل.

وَجَعَلَ الْمَلِكُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ فِي أُورُشَلِيمَ مِثْلَ الْحِجَارَةِ،

وَجَعَلَ الْأُرْزَ كَالْجَمِيمِ الَّذِي فِي السَّهْلِ فِي الْكَثْرَةِ. [١٥]

يؤكد السفر أن الله حَقَّقَ ما وعد به سليمان، إذ وهبه مع الحكمة العننى والمجد. لقد جعل سليمان

الذهب والفضة مثل الحجارة، وشجر الأرز مثل الجميز، فكثرة الذهب والفضة والأخشاب الثمينة

تجعلها بخسة، وتقلل من قيمتها، أما تفاضل النعمة فيزيد من قيمتها.

وَكَانَ مُخْرَجَ الْخَيْلِ الَّتِي لِسُلَيْمَانَ مِنْ مِصْرَ.

وَجَمَاعَةٌ تُجَارِ الْمَلِكِ أَخَذُوا جَلِيبَةً بِثَمَنِ [١٦]

راجع تفسير (١ مل ١٠ : ٢٨).

جليبة: يرى البعض أنها تعني غزل أو خيوط من الكتان، كانت تشتهر به مصر.

فَأَصْعَدُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ مِصْرَ الْمَرْكَبَةَ بِسِتِّ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الْفِضَّةِ،

وَالْفَرَسَ بِمِئَةِ وَخَمْسِينَ،

^١ ميمر ١١ على الزانيتين (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بهنام).

وَهَكَذَا لَجَمِيعِ مُلُوكِ الْحِثِّيِّينَ وَمُلُوكِ أَرَامَ، كَانُوا يُخْرِجُونَ عَنْ يَدِهِمْ. [١٧]

فتح سليمان العلاقات التجارية مع مصر، فاستورد الخيل والكتان الذي صنَّعه وصدَّره إلى سوريا بفائدةٍ عظيمةٍ (١ مل ١٠: ٢٨-٢٩). ولعله تَعَلَّمَ ذلك من أُمِّه التي كانت كإحدى النساء الفاضلات: "تصنع قمصانًا وتبيعهما، وتعرض مناطق على الكنعاني" (أم ٣١: ٢٤).
الآن استقر كل شيء، وصار الوضع مُعَدًّا للبدء في بناء الهيكل.

من وحي ٢ أي ١

في رفقتك أسلك الطريق الملوكي

❖ كُنْتُ مع سليمان، فسلك الطريق الملوكي.

تَشَدَّدَ وَتَعَلَّمَ جَدًّا، لِأَنَّهُ التَّصَقَّ بِكَ.

بحكمة إلهية لم يعمل بمفرده،

إنما التصق بكل القيادات،

لا ليستعرض قدراته ومعرفته وحكمته.

إنما لينطلق معهم إلى خيمة الاجتماع.

وتحت مظلتك تَمَتَّعَ بحضورك الإلهي.

❖ شَدَّدْنِي يَا إلهي، فأسلك الطريق الملوكي.

أعمل بك، وفي ظل نعمتك.

أعمل مع إخوتي، ولا أنفرد عنهم!

في وسط إخوتي ألتقي بك، يا محب البشر!

❖ لِيَتَكَّ تَتَجَلَّى أمامي كما تراءيت لسليمان.

ولأسمع صوتك الإلهي، فأقتنيك!

فيك وبك أتمتع بالحكمة الإلهية.

أنت سرُّ غناي وشبعي وفرحي.

أنت سرُّ نجاحي وسعادتي!

أتمسكُ بوعودك الإلهية، كما تمسكُ بها آبائي.

❖ أسلك في الطريق الملوكي،

فلا أنحرف عنه يمينًا ولا يسارًا.
لا أشعر بعوزٍ ولا احتياج.
فضة العالم وذهبه يصيران كالحجارة.
ومركبات العالم وكل مقتنياته كلا شيء.

❖ ترفع قلبي إلى سماواتك.
وتتطلق نفسي كما بمركبة سماوية.
أستريح فيك، وأستقر إلى الأبد.
تيارات العالم لا تُزعيني.
وتجارب الحياة لا تُحطمني.
أجتاز كل عمري رحلة متهلة برفقتك!
تطمئن نفسي، وتفتح أبواب قلبي وفكري وعواظي لك!
بصليبك فتحت لي أبواب الفردوس،
بنعمتك تفتح أبواب إنساني الداخلي!
لتدخل يا ملك الملوك في أعماقي،
ولتقم ملكوتك في داخلي!

الأصحاح الثاني

الإعداد لبناء بيت الرب

يكشف هذا الأصحاح عن غاية الحديث عن شخصية الملك سليمان، فقد تجاهل هذا السفر الجانب السياسي في حياة سليمان كما في حياة أبيه داود، وركّز على دورهما في الحياة التعبديّة، وعلاقة الشعب بالله.

اتّسم سليمان باتساع الفكر والقدرة على التدبير بحكمةٍ ونظامٍ، مع نعمة من قبل الله لتعمل معه القيادات وكل الشعب (١ : ٢). كما دخل في علاقات تجارية مع مصر والحثيّين والأراميين (١ : ١٦-١٧). الآن نراه يُصدِر أمره ببناء بيت الرب، ويقوم بالإعداد له في الداخل والخارج، بروح التواضع والشهادة الحيّة لله الذي لا تسعه سماء السموات [٦].

١. الإعداد الداخلي للبناء ٢-١.
٢. يطلب رجلاً ماهراً من ملك صور ٧-٣.
٣. طلب أفضل أنواع الخشب ٩-٨.
٤. التعهّد بإعالة العاملين ١٠.
٥. رسالة ملك صور إليه ١٦-١١.
٦. شركة الأجنيبين في العمل ١٨-١٧.

١. الإعداد الداخلي للبناء

يُقَدِّم لنا سليمان منهجاً للبناء، سواء الروحي أو الزمني، وهو أن يبدأ بالداخل قبل أن يسأل الإنسان عن احتياجاته من الخارج.

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ بَيْتٍ لِاسْمِ الرَّبِّ وَبَنَى لِمُلْكِهِ. [١]

أصدر سليمان أمره ببناء بيت لاسم الرب، وأيضاً لبناء القصر الملكي. ويُلاحظ في أمره هذا أنه يُعلِن عن أولوية بيت الرب، وفي نفس الوقت لا يتجاهل احتياجات الدولة، أي بناء قصر لإدارة شؤون الدولة. فالعمل الروحي لا يعني التراخي أو الإهمال أو تجاهل الالتزامات والمسئوليات الزمنية. هذا ولم يطلب بيتاً له لراحته الشخصية وإبراز عظمته، إنما طلب بيتاً لمُلكه، أي لخدمة الدولة، لاستقبال رعيته، كما يُمثّل شرفاً للدولة بين الدول الأخرى. وكان البيت الأول لمجد الله، والثاني للصالح العام.

فهو لا يطلب ما لنفسه، بل بالأكثر ما هو للرب ولإخوته.

جاء في النص العبري الأصلي: "وبيت ملكي له"، استُخدم لإدارة المملكة، وكقصر لسكانه. احتاج هذا القصر إلى تخطيط على مستوى عالٍ، استغرق التخطيط والبناء حوالي ثلاثة عشر عامًا (١ مل ٧: ١٢-١).

ورث سليمان عن أبيه اشتياقات قلبه، وحقَّق ما كان يحلم به داود، إذ كان يترنم قائلاً: "واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر جمال الرب، وأنقرس في هيكله" (مز ٢٧: ٤).

"لا أدخل خيمة بيتي، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي وسناً لعيني، ولا نوماً لأجفاني، حتى أجد مقاماً للرب، مسكناً لعزير يعقوب" (مز ١٣٢: ٣-٥).

في البرية كان الشعب يأتي بتقدمات وذبائح إلى الخيمة المتقلة، والآن إذ استقروا في أرض الموعد، وبذل داود النبي مجهودات ضخمة لتوسيع المملكة. حان الوقت أن يُبنى بيت الرب، خاصة وأن داود أعدَّ الكثير من المواد والتصميمات وتهيئة القادة والشعب للعمل.

وَأُحْصِيَ سُلَيْمَانُ سَبْعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ حَمَالٍ،

وَتِسْمَانِينَ أَلْفَ رَجُلٍ نَحَاتٍ فِي الْجَبَلِ،

وَوُكَلَاءَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَسِتِّ مِئَةٍ. [٢]

يرى البعض أن شخصية سليمان تختلف عن شخصية داود أبيه، فداود الراعي البسيط المُحب لشعب الله والخادم لهم بكل قلبه، بينما سليمان الشخص صاحب الشهرة بالحكمة التي وهبَتْ له من الله لإقامة منشآت لاسيما هيكل الله.

داود القائد العسكري، الذي انشغل بالمعارك منذ صباه لحساب شعب الله، مُكِّلاً على الله واهب النصر. أما سليمان فرجل السياسة، الذي حاول أن يكسب الأمم المحيطة به، تسنده في تحقيق مشروعاته.

كان داود القائد المثالي الصانع المستقيم في عيني الرب، حتى حُسِبَ المقياس الذي به يُقِيم كل ملك من ملوك يهوذا، أما سليمان فكان مثاليًا في حكمته، رصيده هو أنه بنى الهيكل (يو ١٠: ٢٣؛ أع ٣: ١١؛ ٥: ١٢) الذي يشتهي اليهود إلى يومنا هذا إعادة بنائه.

يرى البعض أن سليمان ظنَّ أنه قد سما بشعبه، إذ دخل به إلى أسرة الأمم، ودخل في معاهدات تجارية سببت ازدهارًا ومجدًا لشعبه في أيامه. لكن التكلفة كانت ثقيلة ومُرَّة بعد موته وإلى أجيال

طويلة، فقد تَسَبَّبت سياسته في انحطاط شعبه روحياً.

٢. يطلب رجلاً ماهراً من ملك صور

وَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ إِلَى حُورَامَ مَلِكِ صُورَ، قَائِلاً:

كَمَا فَعَلْتَ مَعَ دَاوُدَ أَبِي،

إِذْ أَرْسَلْتُ لَهُ أَرْزًا لِيَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ [٣]

بعد أن أحصى سليمان الرجال العاملين في دولته، لجأ إلى ملك صور بأسلوبٍ روحيٍّ وديعٍ وحكيمٍ.

أرسل سليمان إلى حورام ربما يشكره على تهنئته بتجليسه ملكاً، وفي نفس الوقت يطلب مساعدته في بناء هيكل للرب. وهنا نلاحظ الآتي:

أ. يبدأ رسالته بالكشف عن العلاقات الطيبة التي كانت بين حورام ملك صور وداود أبيه، وكأن علاقته ترجع إلى علاقة صداقة قديمة وأصيلة لا تشوبها شائبة [٣]. لقد تحدّث داود مع حيرام بخصوص بناء بيت الرب وعن العهد مع الله (٢ صم ٧). فطلب سليمان من ملك صور علامة على تنمية صداقة أصيلة تسودها المودة.

ب. إنه لا يُقيم نصباً تذكارياً لأبيه، إنما يُقيم هيكلًا لله الذي لا تسعه السماوات والأرض. ما كان يشغل سليمان ليس مجده الزمني ولا مجد أبيه، بل مجد الله الحيّ.

ج. في شيءٍ من الوضوح يكشف سليمان لحورام عن هدفه من بناء بيت الرب إليه ألا وهو لكي يمارس الشعب بكهنته الآتي:

- لكي يقدّس له [٤]، أي يشهد له بأنه قدوس، مُتَشَبِّهًا بالسيرايم إذ يقولون: "قدوس" ثلاث مرات (إش ٦: ٣)، مكررين ذلك بلا انقطاع.
- يوقد أمامه بخورًا عطرًا [٤]، مُتَشَبِّهًا بالمخلوقات الحية والقسوس السمايين الواقفين أمام الخروف ولهم كل واحدٍ قيثارات وجامات من ذهبٍ، مملوءة بخورًا هي صلوات القديسين (رؤ ٥: ٨)
- يُقَدِّمُ خبز الوجوه الدائم [٤].
- يُقَدِّمُ مُحْرَقَاتٍ صَبَاحِيَّةً وَمَسَائِيَّةً [٤].
- يمارس احتفالات أسبوعية (السبوت) وشهرية (الأهلة) وسنوية (مواسم الرب إلهنا)، بجانب اليوبيل الخ [٤].

في صداقته مع ملك صور لا يُدَاهِن، بل يشهد الله "لأن إلهنا أعظم من جميع الآلهة... سماء السماوات لا تسعه [٥-٦]. لقد خشى سليمان أن يظن حيرام أن الله إله إسرائيل مثل آلهته الوثنية التي يحصرونها في هياكلهم.

د. مع اعتزازه بالله في تواضع، يكتب بغير خجل: "من أنا حتى أبني له بيتاً للإيقاد أمامه؟! [٦]. فمع رغبته في بناء بيتٍ عظيم، ليس من وجه للمقارنة بين عظمة البيت وعظمة الرب نفسه. أراد أن يؤكد للملك أن الله ليس مثل آلهة الأمم، يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي (أع ١٧: ٢٤). إنما يبني البيت، لكي يجد الكهنة والعاقدون موضعاً يُعبِّرون فيه عن حُبهم لله، ورغبتهم في العبادة له.

هـ. ما يطلبه سليمان هو أن يمدّه حورام برجلٍ قانِدٍ حكيمٍ وذو خبرة. فسليمان لديه رجال مهرة في أورشليم وبهوذا، الذين سبق فعينهم أبوه داود (١ أي ٢٢: ١٥)، وهو محتاج إلى قانِدٍ يستطيع أن يقود هؤلاء المهرة.

كان ملك صور يُمَثِّلُ الأمم الذين لم ينجح الشعب في طردهم أو في استعبادهم، لكن يُمَثِّلُ القلة التي يمكنها قبول الإيمان بالإله، وكان هؤلاء مقبولين كشركاء في هذا العمل العظيم: تشييد بيت للرب.

يكشف خطاب سليمان لحورام ملك صور عن النظرة الكتابية للهيكل أو بيت الرب. أولاً: يكشف السفر خاصة هذه الرسالة أن عمل سليمان الملك الرئيسي هو بناء الهيكل وتنظيم العبادة فيه، وانشغال الأمة كلها باللقاء مع الله خلال العبادة. يبدو كأنه ليس لسليمان وحكمته وأنشطته شيء سوى هذا الهيكل.

ثانياً: تأكيد أن الله لا يُحَدِّدُ بمكانٍ ما، وأن الله يُعَلِّقُ عن حضوره من أجل شعبه، لينعم باللقاء معه، والتعبير عن الحب المتبادل بين الله والبشرية خاصة شعبه.

ثالثاً: اهتمام سليمان بمساهمة حورام ورجاله في بناء الهيكل، يُعَدُّ الطريق للكشف عن دعوة الأمم لإنجيل المسيح. الأمر الذي كان الله يُعِدُّ لليهود لقبوله عبر كل تاريخهم وخلال أنبيائهم.

فقد وُجِدَ أيوب وهو ليس من نسل إبراهيم، وسُجِّلَ باسمه سفر من أسفار الكتاب المقدس. كما قيل عنه: "كان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً يتقي الله، ويحيد عن الشر" (أي ١: ١).

وجاء الوعد الإلهي لإبراهيم نفسه: "أما أنا فهوذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهورٍ من الأمم" (تك ١٧: ٤).

يقول الرب: "أتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب" (إش ٥٦: ٧).

❖ "ليس نبي مقبولاً في وطنه" (لو ٤: ٢٤). إذ كانت عناثوث وطن إرميا (إر ١١: ٢١) لم تُحسِن استقباله. وأيضاً إشعياء وبقية الأنبياء، رفضهم أبناء وطنهم، أي أهل الختان... أما نحن الذين لا ننتسب للعهد بل كنّا غرباء عن الوعد، فقد استقبلنا موسى والأنبياء الذين يعلنون عن المسيح، استقبلناهم من كل قلوبنا أكثر من اليهود، الذين رفضوا المسيح، ولم يقبلوا الشهادة له^١.

العلامة أوريجينوس

فَهَانَذَا أَتْبِي بَيْنًا لِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي لِأَقْدَسَهُ لَهُ،

لَأَوْقِدَ أَمَامَهُ بَخُورًا عَطِراً،

وَلِخُبْزِ الْوُجُوهِ الدَّائِمِ،

وَلِلْمُحْرَقَاتِ صَبَاحًا وَمَسَاءً،

وَلِلْسُبُوتِ وَالْأَهْلَةِ وَمَوَاسِمِ الرَّبِّ إِلَهِنَا.

هَذَا عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الْآبِدِ. [٤]

قام الملك سليمان بشرح معنى تشييد الهيكل لحرورام بطريقة تختلف عما ورد في سفر الملوك، وقد أبرز سليمان مفهوم بيت الرب:

١. بيت الله يسكن فيه وسط شعبه [٣]، أي يُمَثَّلُ الحضرة الإلهية.

٢. بيت الله الشخصي مع كل مؤمن: "لاسم الرب إلهي" [٤].

٣. بيت القداسة تفوح فيه رائحة البخور العطر [٤]. إذ يقول: "لأَقْدَسَهُ لَهُ"، يدعوننا أن نتشبهه بالسيرافيم الذين رآهم إشعياء النبي، القائل: "رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذنيه تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة، بائنين يغطي وجهه، وبائنين يغطي رجليه، وبائنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس، رب الجنود، مجده ملء كل الأرض" (إش ٦: ١-٣). للقدّيس كيرلس الكبير تعليقات رائعة عن هذا النصّ تمس التزامنا بالحياة المقدسة والعبادة المقدسة التي تليق بتقدّمها لله القدوس.

❖ إنهم يطيرون، إذ ليس لديهم ما يثقلهم وينزل بهم. أذهانهم دائماً مرتفعة نحو الله؛ سلطانهم في

¹ In Luc. hom 33:3.

الأعالي، لا يتأملون في السفليات، كما نعمل نحن، بل يحفظون عقولهم في الأفكار العلوية غير المنطوق بها.

أفواههم تُقدّم تسبيحًا؛ يعترفون بالتبادل في نظامٍ دون مللٍ، كما أرى ذلك، إنما بطريقة تسمح للآخرين أن يُقدّموا كرامات مدائح بتسابيح الحمد، حيث أن كل شيءٍ في الأعالي يُمارَس بترتيبٍ دقيقٍ...

يقولون: "قدوس" ثلاث مرات، ويختمون لحن الحمد بربِّ الصباؤوت، فيشيرون إلى الثالث القدوس بطبيعة لاهوتية واحدة.

في اعترافنا نقول إن الأب موجود، وهكذا الابن والروح القدس. لا يوجد اختلاف في الطبيعة لثُمَّز بين هؤلاء، بل لاهوت واحد يُدرَك في ثلاثة أغانيم. هذا يؤكد لنا السيرافيم المقدسين أنفسهم، الذين يقولون إن الأرض كلها مملوءة من مجده، سبق فأخبروا مُقدّمًا عن المستقبل عن سرِّ التجسد للمسيح. قبل أن يصير الكلمة جسدًا، بالحقيقة كان الشيطان المنتقم، التتين، المرتد، يسيطر على الأرض التي تحت السماء، وكانت الخليقة تُعبد عوض الخالق صانعها. ولكن إذ صار الكلمة جسدًا، امتلأت كل الأرض بمجده، وكل ركبةٍ تحني له وكل قبيلةٍ ولسان يعترف ويخدمه، كقول الكتاب المقدس. قَدّم داود الطوباوي تلك الصرخة مقدمًا بالروح، قائلاً: "كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب" (مز 86: 9؛ في 2: 10-11).¹

القديس كيرلس الكبير

٤. بيت المائدة السماوية الدائمة "لخبز الوجوه الدائم".

٥. بيت الحب الكامل، يُقدّم المؤمن كل حياته مُحَرَّقة كاملة ليلًا ونهارًا. أشار سليمان إلى المُحَرَّقات ولم يُشر إلى ذبيحة الخطية أو ذبيحة الإثم، فإن السفر هنا لا يتحدث عن الخطايا وغفرانها، إنما ينقلنا كما إلى السماء عينها، حيث التسبيح الدائم ومُحَرَّقات الحُبِّ الكامل.

٦. بيت الفرح المستمر، للاحتفال بالسيوت والأهلة ومواسم الرب إلينا [٤]. يقصد بمواسم الرب الأعياد السنوية الكبرى، وهي الفصح وعيد الأسابيع (البنطقستي) وعيد المظال (لا 23: 4-44؛ تث 16: 1-17).

وَالْبَيْتُ الَّذِي أَنَا بَانِيهِ عَظِيمٌ،

¹ Commentary on Isaiah, chapter 6.

لَأَنَّ إِلَهَنَا أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْآلِهَةِ. [٥]

وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا؟

لَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ لَا تَسَعُهُ،

وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُبْنِيَ لَهُ بَيْتًا إِلَّا لِلإِيقَادِ أَمَامَهُ! [٦]

كثيرًا ما تحدّث العهد القديم عن سماء السماوات (تث ١٠: ١٤؛ ١ مل ٨: ٢٧؛ ٢ أي ٦: ١٨؛ نح ٩: ٦؛ مز ٦٨: ٣٣؛ مز ١٤٨: ٤).

يقول بولس الرسول عن نفسه إنه "اختطفَ هذا إلى السماء الثالثة" (٢ كو ١٢: ٢).

جاء في الترجوم *Targum*: [لأن السماوات السفلية والسماوات الوسطى والسماوات العليا لا تستطيع أن تحويه، بكونه هو الذي يعضد كل الأشياء بذراعه بسلطانه. السماء هي كرسي مجده، والأرض موضع قدميه، العمق وكل العالم مسنود بروح كلمته... فمن أنا لأبني له بيتًا؟] كان اليهود يعتقدون بوجود سبع سماوات، وجاء في العهد القديم "سماوات السماوات" التي غالبًا ما يُقصد بها السماء الثالثة، حيث العرش الإلهي ومسكن القديسين مع السمائيين في الحياة الأبدية. ويرى البعض مثل أمير وسياستر أن القديس بولس اختطفَ مرتين، مرّةً إلى السماء الثالثة، وأخرى إلى الفردوس الذي انطلق إليه اللص اليمين عندما صُلب السيد المسيح.

فَالآنَ أَرْسَلُ لِي رَجُلًا حَكِيمًا،

فِي صِنَاعَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ،

وَالْأَرْجُوانِ وَالْقَرْمِزِ وَالْأَسْمَانُجُونِي،

مَاهِرًا فِي النَّقْشِ مَعَ الْحُكَمَاءِ،

الَّذِينَ عِنْدِي فِي يَهُودَا وَفِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ أَعَدَّهُمْ دَاوُدُ أَبِي. [٧]

أثبتت الآثار والحفريات أن الإسرائيليين لم يكونوا خبراء في الفنون.

إن كان الله قد اختار بني إسرائيل قديمًا كشعب له، إنما لإعداد الطريق حتى يأتي مُخَلَّصُ الْعَالَمِ من سبط يهوذا، يفتح أبواب السماء لكل الأمم والشعوب. جاء في إشعياء: "وبنو الغريب بينون أسوارك، وملوكهم يخدمونك... وتفتح أبوابك دائمًا، نهازا وليلاً لا تغلق، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم" (إش ٦٠: ١٠-١١). وجاء في زكريا: "والبعيدون يأتون وبينون في هيكل الرب، فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم" (زك ٦: ١٥).

¹ Adam Clarke Commentary.

يفتح سليمان أبواب السماء للشعوب والأمم، فإن البيت الذي يُبْنَى لله الذي لا تسعه السماوات ولا سماء السماوات، فهل يقتصر على شعبٍ مُعَيَّن؟ إنه بيت الله خالق السماء والأرض، حيث يُسْرُ باجتماع كل الشعوب معه ومع خدامه الطغمت السماوية.

٣. طلب أفضل أنواع الخشب

وَأَرْسِلْ لِي خَشَبَ أَرْزٍ وَسَرْوٍ وَصَنْدَلٍ مِنْ لُبْنَانَ،
لَأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عِبِيدَكَ مَاهِرُونَ فِي قَطْعِ خَشَبِ لُبْنَانَ.

وَهُؤُودًا عِبِيدِي مَعَ عِبِيدِكَ. [٨]

وَلْيُعِدُّوا لِي خَشَبًا بكَثْرَةٍ،

لَأَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي أُنْبِيهِ عَظِيمٌ وَعَجِيبٌ. [٩]

كما طلب منه رجلاً يكون عظيمًا في مهارته وإدارته، هكذا طلب أيضًا أن تكون المواد المستخدمة لإقامة بيت الرب من أفضل الأصناف، "لأن البيت الذي أنبنيه عظيم وعجيب" [٩].

٤. التعهّد بإعالة العاملين

وَهَنَذَا أُعْطِيَ لِلْقَاطِعِينَ الْقَاطِعِينَ الْخَشَبِ،

عِشْرِينَ أَلْفَ كُرٍّ مِنَ الْحِنْطَةِ طَعَامًا لِعِبِيدِكَ،

وَعِشْرِينَ أَلْفَ كُرٍّ شَعِيرٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَثَّ خَمْرٍ،

وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَثَّ زَيْتٍ. [١٠]

يتعهّد الملك سليمان بأنه سيكون سخيًّا جدًّا في إعالة العاملين. أكّد سليمان لهورام أنه لا يُقدّم للعاملين "خبزًا وماءً" بل بما يكفي ويفيض من القمح والشعير والخمر والزيت. ما يشغله ليس فقط أن يُعطيهم أجرًا حسنًا، بل ويهتم بتغذيتهم وراحتهم، إذ يُقدّم لهم "خمرًا". كان الشعير والخمر والزيت العادي يُعطى كطعامٍ للعمال الغرياء^١.

٥. رسالة ملك صور إليه

فَأَجَابَ حُورَامُ مَلِكَ صُورَ بِرِسَالَةٍ إِلَى سُلَيْمَانَ:

لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحَبَّ شَعْبَهُ جَعَلَكَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا. [١١]

أسلوب سليمان المملوء حكمة ووقارًا وتكريماً لملك صور، كان له فاعليته على حورام، إذ كتب

¹ Barnes' Notes

إليه يُهْتَى شعب إسرائيل بملكه الحكيم: "لأن الرب أَحَبَّ شعبه جعلك عليهم ملكاً" [١١]. لم يقل لأن الرب يُحِبُّكَ جعلك ملكاً، بل "لأن الرب أَحَبَّ شعبه". فالقادة الصالحون عطية عظيمة يُقدِّمها الله للشعب المقدس والمحبيب لدى الله.

جاءت إجابة حورام على رسالة سليمان تكشف عن انتشار معرفة الرب بين الأمم، كما توحى بتفاعل الأمم مع إنجيل المسيح ومسرتهم به. يمكننا القول بأن حورام هنا أَعَدَّ الطريق رمزياً لكنيسة الأمم.

أولاً: قام حورام ملك صور بدور كرينيلوس القائد الأممي وأهل بيته والذين جمعهم في بيته للقاء مع سمعان بطرس، والاستماع إليه، والتمتع بالعماد.

ثانياً: يُعد هذا العمل الطريق لما فعله الرسول بولس في اهتمامه بخدمة أهل الغرلة أو الأمم، وتجاوبهم لكرازته. إجابة حورام تليق بالأمميين العطشى لمعرفة الحق الإنجيلي والإيمان به^١.

وَقَالَ حُورَامُ: مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي صَنَعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ،

الَّذِي أَعْطَى دَاوُدَ الْمَلِكَ ابْنًا حَكِيمًا صَاحِبَ مَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ،

الَّذِي بَنَى بَيْتًا لِلرَّبِّ وَبَيْتًا لِمُلْكِهِ. [١٢]

شهد حورام أن الرب قد أَحَبَّ شعبه، إذ جعل سليمان عليهم ملكاً، لأنه ابن داود الحكيم صاحب معرفة، يبني بيتاً للرب وبيتاً لمملكته. أليس في هذا نبوة عند شهادة الأمم لسليمان الحقيقي ربَّ المجد ابن داود الذي هو حكمة الله، بنى كنيسة العهد الجديد بيتاً أبدياً مركز ملكوته السماوي؟! يتطلع ملك صور إلى سليمان ليس فقط كعطية صالحة من الرب لشعبه، بل وعطية صالحة لأبيه داود: "الذي أعطى داود الملك ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم" [١٢]. الابن الحكيم والفهم عطية من الله لأسرته.

واضح من أسلوب الملك حورام أنه قد تعرَّف على الله الحيِّ خلال علاقته مع داود كما من رسالة ابنه سليمان، إذ كتب: "مبارك الرب إله إسرائيل الذي صنع السماء والأرض" [١٢].

كان شعب إسرائيل يسلك بروح التقوى والاستقامة، وذلك بفضل تقوى داود وسلوكه، له أثره على الشعوب المجاورة مثل صور. وعلى العكس حين كان الشعب يعبدون آلهة الأمم المجاورة، في نفس الوقت تنور هذه الأمم ضدهم، وتنتصر عليهم وتذلهم. حين يداهن الإنسان الشرِّ، فالشرُّ نفسه يهلكه

¹ Patrick Henry Reardon, 2 Chr. 2.

ويُفقد كرامته وإمكانياته.

وَالآن أَرْسَلْتُ رَجُلًا حَكِيمًا صَاحِبَ فَهْمٍ، اسْمُهُ حُورَامُ أَبِي [١٣]

حورام أبي: في الأصل *Huram Abi* كلمة "أبي" هنا لا تعني والد الملك، إنما هو لقب فيه تكريم لرئيس أو سيد العاملين الذي يحمل لهم نوعًا من الأبوة^١.

(ابنُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ دَانَ وَأَبُوهُ رَجُلٌ صُورِيٌّ)

مَاهِرٌ فِي صِنَاعَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ وَالْخَشْبِ
وَالْأَرْجُوانِ وَالْأَسْمَانُجُونِيِّ وَالْكَتَانِ وَالْقَرْمِزِ،
وَتَفْشٍ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّفْثِ، وَاخْتِرَاعٍ كُلِّ اخْتِرَاعٍ،
يُنْقَى عَلَيْهِ مَعَ حُكْمَانِكَ وَحُكَمَاءِ سَيِّدِي دَاوُدَ أَبِيكَ. [١٤]

أرسل إليه رجلاً حكيماً تجري في عروقه دماء إسرائيلية وأممية، فوالدته من بنات دان^٢، ووالده صوري. يشير هذا الرجل الحكيم إلى كنيسة العهد الجديد التي تضم أعضاء من أصل يهودي بجانب أعضاء من أصل أممي.

وَالآن الْحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ وَالزَّيْتُ وَالْخَمْرُ،

الَّتِي ذَكَرَهَا سَيِّدِي فَلْيُرْسِلْهَا لِعَبِيدِهِ. [١٥]

وَنَحْنُ نَقْطَعُ خَشَبًا مِنْ لُبْنَانَ حَسَبَ كُلِّ احتِياجِكَ،

وَنَأْتِي بِه إِلَيْكَ أَرْمَاتًا عَلَى الْبَحْرِ إِلَى يَافَا.

وَأَنْتِ تَصْعِدُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [١٦]

قدّم عقد معاهدة بين الملكين: ملك صور يُقدّم لسليمان كل احتياجاته، ويأتي بها إلى يافا، ويُقدّم سليمان كل احتياجات للعاملين [١٥-١٦]، ذُكرت هذه المعاهدة في ١ مل ٥: ٨-٩.

٦. شركة الأجنيبين في العمل

وَعَدَّ سُلَيْمَانُ جَمِيعَ الرِّجَالِ الْأَجْنَبِيِّينَ الَّذِينَ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ

بَعْدَ الْعَدِّ الَّذِي عَدَّهُمْ إِيَّاهُ دَاوُدُ أَبُوهُ،

فَوُجِدُوا مِئَةً وَثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَسِتِّ مِئَةٍ. [١٧]

^١ Cf. Barnes' Notes.

^٢ وضع سليمان حدود جديدة للأباط، اتحد فيها سبطا دان ونفتالي.

يقصد بالأجنبيين الكنعانيين الذين سكنوا الأرض قديمًا ولم يطردهم بنو إسرائيل.

فَجَعَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفَ حَمَالٍ،
وَأَثَمَانِينَ أَلْفَ قَطَاعٍ عَلَى الْجِبَلِ،
وَأَثَمَانَةَ أَلْفٍ وَسِتِّ مِئَةٍ وَكَلَاءَ لِتَشْغِيلِ الشَّعْبِ. [١٨]

استخدم سليمان الأجنبيين الذين لم يكن لهم حق الميراث في أرض الموعد، أن يكونوا حمالين وقاطعي حجارة، وكان عددهم كبيرًا في ذلك الوقت، بلغوا مئة وثلاثة وخمسين ألفًا وستمئة. لم يستخدمهم للسخرة، بل ليكسبوا معيشتهم بسخاء، إذ جاءت الوصية: "لا تظلم غريبًا". كان بجانب ما لکنعان من خيرات بسبب أرضها الخصبة، كان مشروع بناء الهيكل ضخماً ينتفع منه الكثيرون. هذا بجانب بناء قصر المملكة وغيره من المشروعات التي قام بها.

من وحي ٢ أي ٢

ماذا تريد يا رب أن أفعل؟

- ❖ اخترت داود الصبي أصغر إخوته.
استخفَّ به والده وإخوته،
أما أنت فلا تستخف بالصغار.
أخذت هذا الراعي الصغير،
وأجلسته على العرش يرعى شعبك.
عوض المزمار الذي يجمع الغنم حوله،
أقمته مُرْتَلِّ إسرائيل الحلو.
- ❖ اخترت ابنه سليمان ملكًا حكيماً في شبابه.
وهبته الحكمة من الأعلي.
ومع الحكمة وهبته الغنى والمجد والصيت الحسن.
وضع في قلبه أن يبني لك بيتاً،
يا من لا تسعك السماوات والأرض.
- ❖ وهبته حكمة ونعمة وتدبيراً حسناً.
أشرك ملك صور في بناء بيتك المقدس.

ودعا الأجنيبين للعمل لحسابك يا أيها القدوس.

وجد نعمة في أعين الجميع.

وبحكمته لم يستغل محبتهم،

بل قَدَّم لهم احتياجاتهم مُقابل عملهم.

❖ يا من اخترت داود وسليمان،

ووهبت لكل منهما العمل حسب مواهبه وإمكانياته.

تُرى ماذا تريد يا رب أن أفعل؟

اكشف عن عيني، لأدرك ما هي رسالتي.

أمسك بيدي وقُدني حتى تتشدد أعمالي.

فأعمل لا في رخاوةٍ وصغر نفسٍ.

إنما بك أستطيع كل شيءٍ.

هَبْ لي ألا أنحرف يميناً ولا يساراً.

إنما بروحك القدوس ألتزم بالطريق الملوكي!

كن قائدي ومُعيني وملجأِي،

فلا أتوقف قط عن العمل حسب إرادتك المقدسة.

الأصحاح الثالث

بناء بيت الرب

سرد سفر الملوك أحداث بناء بيت الرب بأكثر تفصيلٍ عمّا ورد هنا في أخبار الأيام.

١. مكان وزمان بناء الهيكل ١-٢.
٢. أبعاد الهيكل وزينته ٣-٩.
٣. الكاروبان في قدس الأقداس ١٠-١٣.
٤. حجاب الهيكل ١٤.
٥. العمودان ١٥-١٧.

١. مكان وزمان بناء الهيكل

في تفسيرنا لسفر الخروج الأصحاح ٢٥ رأينا أن الأب ميثوديوس يقول: [تتياً اليهود عن حالنا، أما نحن فننتبأ عن السماويات؛ حيث أن الخيمة (أو الهيكل) هي رمز للكنيسة، وأما الكنيسة فهي رمز السماويات^١].

وَشَرَعَ سَلِيمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ فِي جَبَلِ الْمَرْيَا،
حَيْثُ تَرَاعَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ،

حَيْثُ هَيَّا دَاوُدُ مَكَانًا فِي بَيْدْرِ أَرْزَانَ الْيُبُوسِيِّ. [١]

هذا الأصحاح هو الموضع الوحيد في الكتاب المقدس الذي أعلن أن موقع الهيكل هو جبل المريّا، الذي قَدَّم فيه إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة مُحَرَّقة (تك ٢٢: ٢).
أُفِيْمَ الهيكل في الموضع الذي فيه تَمَّ أول رمز أو إشارة عملية لذبيحة الابن الوحيد الجنس، يُقَدَّمها الأب لخلص البشرية. هذا هو أساس بيت الله وغايته؛ التمتع بذبيحة الفداء التي قدمها السيد المسيح.

❖ إبراهيم حسب إيمانه، التصق بوصية كلمة الله، وبفكرٍ مستعدٍ قَدَّم ذبيحة لله، ابنه الوحيد المحبوب. وذلك لأن ما يُسر الله أن يُقَدَّم لحساب كل نسله ابنه المحبوب الوحيد ذبيحة لفدائنا.

القديس إيريناؤس

¹ Methoudius: Banquet of the Ten Vergins. 5: 8.

اختيار هذا الموضع يكشف عن نظرة الله إلى بيته المُقدَّس في وسط شعبه، إنه بيت الذبيحة الفصحية التي تهب المؤمنين خلاصًا مُفرحًا.

لم يكن سليمان في حاجة إلى دراسة موقع الهيكل، فقد سبق فحدَّد له الموقع مُسبقًا (١ أي ٢١: ١٨؛ ٢٢: ١)، وذلك لإراحة باله، وحرصًا على الوقت وتجنبًا للمناقشات الطويلة بين القادة حول اختيار موقعٍ مناسبٍ لبنائه.

تمَّ الموقع بناءً على اختيار إلهي، أُسِّم بالآتي:

أ. كان في أورشليم، لأن هذه المدينة اختارها الرب، والمكان اختاره الرب ليكون اسمه فيه. هذا وقد دُعيت السماء "أورشليم العليا" (غل ٤: ٢٦).

ب. على جبل المريا، وهو الجبل الذي قدَّم عليه إبراهيم ابنه إسحق مُحَرَّقة (تك ٢٢: ٢). وقد أعطى الله لإبراهيم كيشًا يُقدِّمه عَوْضَ إسحق ابنه، وكان ذلك رمزًا لذبيحة السيد المسيح. كان لائقًا أن يُبنى البيت على ذبيحة المسيح الكفارية عن العالم كله.

ج. في هذا الموضع ظهر الرب لداود وأجابه بنارٍ (١ أي ٢١: ١٨، ٢٦)، وهناك قدَّم داود ذبيحة كفارة عن الخطأ الذي ارتكبه.

د. المكان اشتراه داود من ماله، ولم يقبل أن يُقدِّم الذبيحة على أرض موهوبة له، اشتراها خلال إرشاد إلهي.

هـ. أُقيم الهيكل في بيدر أرونا اليبوسي، حتى يُدرك الأمم أن الله هو إله البشرية كلها، وليس خاصًا باليهود دون بقية الأمم.

و. ورد في التقليد اليهودي قصة خاصة باختيار هذا الموقع. قيل إن أُخين كانا يعيشان في هذه المنطقة. أحدهما متزوج والآخر أعزب. كان الأخ المتزوج لأجل محبته لأخيه وشعوره بأن أخاه محتاج إلى مصاريف كثيرة للإعداد للزواج، كان في كل ليلةٍ يحمل غلات من مخازنه، ويذهب بها في الخفاء ليضعها في مخازن أخيه. أما الأخ الأعزب فكان يشعر بأن أخاه وهو متزوج ويعول أسرة يحتاج إلى مصاريف كثيرة، فيمارس نفس العمل كل ليلةٍ. في الصباح كان كل منهما يجد أن مخازنه لم تنقص، بل تزداد بسبب بركة الرب له. وفي إحدى الليالي التقى الاثنان وكل منهما يحمل من غلاته ليضعها في مخازن أخيه. سأل كل منهما الآخر عمَّا فعله. تعانق الاثنان، ومن فرحهما بحبهما لبعضهما البعض بكيا. في هذا الموقع حيث أعلن الحب الأخوي، اختار الله أن يُبنى بيته المُقدَّس، بيت الحب الإلهي والأخوي.

وَشَرَعَ فِي الْبِنَاءِ فِي ثَانِي الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِهِ. [٢]

أما عن زمان بدء العمل، فقيل إنه لم يبدأ العمل حتى العام الرابع من مُلكِ سليمان [٢]. لم تمضي الثلاث السنوات في مناقشات، فقد كان الموقع مُحدَّدًا، والرسم المعماري مُعدًّا. إنما كان هذا العمل الضخم يحتاج إلى إعدادات كثيرة. وكان عدد العمال ضخماً جداً، وربما احتاج البعض أن ينهي ما في يديه من أعمال لينقرِّع تماماً لهذا العمل.

٢. أبعاد الهيكل وزينته

وَهَذِهِ أَسَسَهَا سُلَيْمَانُ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ:

الطُّوْلُ (بِالدَّرَاعِ عَلَى الْقِيَاسِ الْأَوَّلِ) سِتُّونَ ذِرَاعًا،

وَالْعَرْضُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا. [٣]

وَالرُّوْقُ الَّذِي قُدَّامَ الطُّوْلِ حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

وَارْتِفَاعُهُ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ،

وَعِشَاهُ مِنْ دَاخِلٍ بِذَهَبٍ خَالِصٍ. [٤]

سُلِّمَتْ أبعاد الهيكل لسليمان من أبيه داود، فلم يوجد ما يدعو لتغيير الأبعاد.

يُلاحَظ في وصف الهيكل أنه يتَّسم بارتفاع عالٍ جداً بالنسبة لطوله وعرضه، فالطول كالعرض

عشرون ذراعاً، بينما ارتفاعه مائة وعشرون.

كان ارتفاع القدس ثلاثون ذراعاً، أما الرواق الذي كان أمام القدس ولم يُذكر في سفر الملوك فكان

مبنى مستقلاً مرتفعاً أمام القدس.

وَالْبَيْتُ الْعَظِيمُ عِشَاهُ بِخَشَبِ سَرْوٍ عِشَاهُ بِذَهَبٍ خَالِصٍ،

وَجَعَلَ عَلَيْهِ نُخَيْلاً وَسَلْسِلًا. [٥]

بالنسبة لزينة الهيكل، فقد كان عمل الأخشاب رائعاً للغاية، ومع هذا فكان مُعشَى بذهبٍ خالصٍ

[٥]. كان البيت العظيم مُعشَى بخشب السرو، الذي غشاه بذهبٍ خالصٍ، وجعل عليه نخيلاً

وسلاسل.

من جهة الخشب الذي يُستخدَم في بيت الرب فيرى العلامة أوريجينوس أنه خشب لا يسوس

يشير إلى العلم أو العفة التي لا تشيخ^١ ولا تفسد.

¹ Origin: In Exod, hom 9: 3.

أما عن الذهب، فكما سبق فكررنا في تفسيرنا للكتاب المقدس يشير إلى السماء، والنخيل يشير إلى النصر، والسلاسل تشير إلى الوحدة وارتباط الكل معاً كما بسلاسل ذهبية. هذا ما تتسم به كنيسة المسيح إذ تحمل الفكر السماوي، وتتمتع دوماً بحياة النصر في جهادها ضد إبليس والخطية، وأن يتحد كل أعضائها معاً كجسدٍ واحدٍ للرأس المسيح، وعروسه السماوية المقدسة. يرى العلامة أوريجينوس أن الذهب هو الإيمان الذي يجعل من القلب سماءً، لذا يُشير إلى السماويات، كما يُشير إلى القديسين بكونهم سماءً يسكن الله في قلوبهم.

يقول: [إن آمنت تُقدّم قلبك وعقلك ذهباً!... لأجل ذلك فإن موسى وهو يُمثّل الناموس الروحي يعلن "خذوا من عندكم" (خر ٣٥ : ٥). إن كنتم تستطيعون أن تأخذوا هذه الأشياء من عندكم، فهي إذن في داخلكم. تستطيع أن تُقدّم للرب شيئاً من مشاعرك، ومن كلماتك الخ^١].

ويرى الأب ميثوديوس أن الذهب يُشير إلى حياة البتولية، إذ يقول: لقد أمر بالذهب (أن تصنع منه أدوات داخل قدس الأقداس) لسببين: أولاً أنه لا يصدأ، وثانياً أن لونه إلى حدٍ ما يُقارب لون الشمس. بهذا فهو يناسب البتولية التي لا تحمل شيئاً دنساً أو غضناً، إنما تشع دائماً بنور الكلمة. خلالها نقف قريبين من الله، داخل قدس الأقداس وأمام الحجاب بأيدٍ غير دنسة كالبخور، نقدم الصلوات للرب رائحة ذكية مقبولة، في مجامر الأربعة وعشرين قسيساً (الذهبية) التي هي صلوات القديسين^٢].

وَرَصَّعَ النَّبِيْتُ بِحِجَاةٍ كَرِيمَةٍ لِلْجَمَالِ.

وَالذَّهَبُ ذَهَبٌ فَرَوَائِمٍ. [٦]

كان الذهب من ذهب فروايم، من أفضل أنواع الذهب.

وَعَشَى النَّبِيْتُ: أَخْشَابَهُ وَأَعْتَابَهُ وَحَيْطَانَهُ وَمَصَارِيْعَهُ بِذَهَبٍ،

وَنَقَشَ كَرُوبِيمٍ عَلَى الْحَيْطَانِ. [٧]

نقش كروبيم على الحيطان، فقدس الأقداس يُمثّل عرش الله السماوي بوجود تمثالي الكاروبيم، والحجاب مزين بالكاروبيم [١٤] الذين لن يسمحوا بالدخول إلى عرش الله لغير حاملي السمات السماوية، حتى الحيطان مزينة بالكاروبيم، لأن بيت الرب سماء ثانية!

¹ Origin: In Exod, hom 13: 2. ٢٥ راجع تفسير سفر الخروج الأصحاح

² Banquet of the Ten Virgins 5: 8. ٢٥ راجع تفسير سفر الخروج الأصحاح

وَعَمِلَ بَيْتٌ قُدْسٍ الْأَقْدَاسِ طُولُهُ حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا،
وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

وَعَشَاهُ بِذَهَبٍ جَيِّدٍ سِتِّ مِئَةٍ وَزُنَّةٍ. [٨]

وَكَانَ وَزْنُ الْمَسَامِيرِ خَمْسِينَ شَاقِلًا مِنْ ذَهَبٍ،

وَعَشَى الْعَلَالِيِّ بِذَهَبٍ. [٩]

كانت العوارض والأعتاب والجدران والمصاريع مغطاة بالذهب.

إن كان الهيكل يشير إلى قلب المؤمن كقول الرسول بولس: "أنتم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١ كو ٣: ١٦)، والذهب يشير إلى السمائيات، فإنه يليق بالمؤمن أن تكون كل حياته الداخلية وسلوكه تحمل سمة سماوية.

أيضًا قدس الأقداس الذي طوله كما عرضه عشرون ذراعًا، كله مغطى بالذهب. حتى المسامير كانت من الذهب، وأيضًا علاليه أو سقفه مغطى بالذهب.

تزيّن الهيكل بأحجار كريمة بكونه رمزًا للسماء، إذ كل جدرانها وأبوابها وأساساتها مزيّنة بحجارة كريمة ولؤلؤ (رو ٢١: ١٨-٢١).

٣. الكاروبان في قدس الأقداس

وَعَمِلَ فِي بَيْتِ قُدْسِ الْأَقْدَاسِ كَرْوَبَيْنِ صِنَاعَةَ الصِّيَاغَةِ،

وَعَشَاهُمَا بِذَهَبٍ. [١٠]

إذ كلمة "كروب" معناها "معرفة"، يرى العلامة أوريجينوس أن الكروبين يوصفان بأنيهما ذهبيان، لأنهما يشيران إلى فيض المعرفة (السماوية)^١.

وَأَجْنَحَةُ الْكَرْوَبَيْنِ طُولُهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

الْجَنَاحُ الْوَاحِدُ خَمْسُ أَذْرُعٍ يَمَسُّ حَائِطَ الْبَيْتِ،

وَالْجَنَاحُ الْآخَرُ خَمْسُ أَذْرُعٍ يَمَسُّ جَنَاحَ الْكَرْوَبِ الْآخَرِ. [١١]

وَجَنَاحُ الْكَرْوَبِ الْآخَرِ خَمْسُ أَذْرُعٍ يَمَسُّ حَائِطَ الْبَيْتِ،

وَالْجَنَاحُ الْآخَرُ خَمْسُ أَذْرُعٍ يَتَّصِلُ بِجَنَاحِ الْكَرْوَبِ الْآخَرِ. [١٢]

إن كان طول أجنحة الكاربين معًا عشرين ذراعًا، خمسة أذرع لكل جناح، فالجناحان مبسوطان

¹ Commentary on Song of Songs 2:8.

ليشغلا كل عرض قدس الأقداس، وكأن قدس الأقداس يُمَثَّل السماء ولا يوجد فيها إلا من يحمل سمة السماء. يليق بكل البشر، إذ يلتقون بالرب أن يتمتعوا بالسمات السماوية، ولا يكون للتراب موضع في قلوبهم.

وَأَجْنَحَهُ هَذَيْنِ الْكُرُوبَيْنِ مُنْبَسِطَةً عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

وَهُمَا وَاقْفَانِ عَلَى أَرْجُلَيْهِمَا وَوَجْهَهُمَا إِلَى دَاخِلِ. [١٣]

قبل بناء الهيكل كان الكاروبان على غطاء تابوت العهد، وكان حجمهما صغيرًا نسبيًا. أما بعد بناء الهيكل، فصار حجمهما كبيرًا. كان كل جناح يمتد خمسة أذرع.

كان الكاروبان واقفين، جناح كل منهما يلمس جناح الآخر، والثاني يتلامس مع الحائط. فامتداد الأربعة أجنحة المبسوطة تبلغ ٢٠ ذراعًا، أي بعرض قدس الأقداس [٨، ١٢-١٣]. كان وجهاهما متجهًا إلى الداخل نحو تابوت العهد. يظهران كخادمين لله غير المنظور، وكأنهما يدعون كل المؤمنين من كهنة ولاويين وشعب أن يشتركوا معهم في العبادة لله، لا أن يتعبدوا لهما.

٤. حجاب الهيكل

وَعَمَلَ الْحِجَابَ مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَأَرْجَوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَكَثَّانٍ،

وَجَعَلَ عَلَيْهِ كُرُوبِيمَ. [١٤]

يحجب حجاب الهيكل القدس عن قدس الأقداس. يكشف هذا الحجاب عن حاجة البشرية، حتى المُتَعَبِّدِينَ لله في المصالحة مع الله، حتى يمكنهم العبور إلى السماويات. هذا تحقُّق بصليب السيد المسيح، حيث انشق حجاب الهيكل، ليس بيدٍ بشرية، بل بعمل المُخَلَّص نفسه.

صُنِعَ الْحِجَابَ مِنْ مواد مختلفة وألوان متنوعة: أَسْمَانْجُونِيٍّ وَأَرْجَوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَكَثَّانٍ [١٤]. الأَسْمَانْجُونِيُّ الأزرق يُشِير إلى السماء؛ والأَرْجَوَانُ يرتديه الملوك، والقرمز لون الدم، والكثَّانُ الأبيض يشير إلى الطهارة والنقاوة. هكذا يليق بالمؤمن أن يحمل السمة السماوية، ويسلك كملكٍ صاحب سلطان لا يخشى قوات الظلمة، ويتمتع بدم السيد المسيح الغافر للخطايا، ويعيش في طهارةٍ وعفةٍ!

سبق لنا الحديث عن ما يرمز إليه كل من الأَسْمَانْجُونِيِّ والأَرْجَوَانِ والقِرْمِزِ والكَثَّانِ في تفسير الخروج أصحاح ٢٥:

يرى العلامة أوريجينوس أن الأَرْجَوَانِ يُشِير إلى ضياء المحبة^١، كما يُشِير أيضًا إلى النار^٢.

^١ Origin: In Exod, hom 9: 3.

^٢ Origin: In Exod, hom 13:4.

فالمسيحي الحقيقي يحمل في قلبه نازًا، هي نار الروح القدس الذي يُبِير الطريق، والذي يحرق الأثواك الخائقة للنفس.

يُشير القرمز إلى دم السيد المسيح المُخَلَّص، فإن القرمز الذي نُقِّدَمه هو شهادتنا له حتى الدم، إذ يقول الرسول: "من أجلك نُمَات كل النهار"؛ كان القرمز يُشير إلى الاستشهاد سواء بسفك دم المؤمنين في عصور الاستشهاد أو حياة الإماتة اليومية من أجل الرب.

البوص (الكثان) المبروم: إذ يُشير البوص إلى الجسد، فكونه مبرومًا أي تحت الضبط والقمع^١، كقول الرسول: "أقمع جسدي وأستعبده" (١ كو ٩: ٢٧). فكل جهاد لضبط الجسد والتحكُّم فيه في المسيح يسوع هو تقدمه لبيت الرب.

٥. العمودان

وَعَمِلَ أَمَامَ الْبَيْتِ عَمُودَيْنِ، طُولُهُمَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا،

وَالثَّانِجَانِ اللَّذَانِ عَلَى رَأْسَيْهِمَا خَمْسٌ أَذْرَعٌ. [١٥]

وَعَمِلَ سَلْسِلٌ كَمَا فِي الْمِحْرَابِ،

وَجَعَلَهَا عَلَى رَأْسِي الْعَمُودَيْنِ،

وَعَمِلَ مِئَةَ زَمَانَةٍ، وَجَعَلَهَا فِي السَّلْسِلِ. [١٦]

وَأَوْقَفَ الْعَمُودَيْنِ أَمَامَ الْهَيْكَلِ،

وَاحِدًا عَنِ الْيَمِينِ، وَوَاحِدًا عَنِ الْيَسَارِ،

وَدَعَا اسْمَ الْأَيْمَنِ يَاقِينَ، وَاسْمَ الْأَيْسَرَ بُوعَزَ. [١٧]

نُصِبَ عمودان أمام الهيكل، ارتفاع كل منهما حوالي ١٨ ذراعًا (١ مل ٧: ١٥)، وقد دُعيا ياكين وبوعز، ومعناهما "الأساس، والقوة".

يرى البعض أن هذين العمودين يشيران إلى بيت داود الذي أسسه الرب (٢ صم ٧)، ويستمر بقوة الرب.

توجد سلاسل على رأس العمودين تُشير إلى وحدة الأمة كلها، وإن كانت تضم الأسباط. إن كانت الوحدة في العهد القديم رُمزَ إليها بسلاسل تربط الأعمدة، فقد أعطانا الرب جسده، حتى يصير الكل أعضاء مختلفة في جسدٍ واحدٍ، لها رأس واحد، وهو ربنا يسوع المسيح.

¹ Origin: In Exod, hom 13:5.

تحذير

مع ما تَمَنَّعَ به سليمان من امتيازات كنوالة الحكمة وبناء بيت الرب وغيرهما، الأمور التي يبدو بها أنه فاق أبيه فيها، فإن هذه الامتيازات تُدِينُهُ بالأكثر ما لم يُحَسِّنْ استخدامها. يقول **القديس مار يعقوب السروجي** إنه حين كان سليمان الحكيم بهيئاً أنزل الله نازلاً على قربانه، علامة قبوله ورضاه عليه، وحين ذبح للشياطين طرحه من أمام وجهه. ففي إجابته على التساؤل: لماذا اختار الرب العارف بكل شيء يهوذا تلميذاً له؟ ولماذا خلق الشيطان الذي يقاوم الحق الإلهي؟ قال:

❖ **إن قلتَ لماذا اختاره عارف الكل، وهو يعرف بأنه غاش وغير صادق؟**

اختاره وهو جميل ونقي وظاهر، وليس فيه عيب ووديع ومستقيم ومملوء حباً لابن الله.

وبعد أن اختاره وكان لائقاً ومملوءاً جمالاً، تغيّر وفقد جماله وصار بغيضاً.

وإن قلت: إن كان يعرف بأنه سيتغير، فلماذا أعجبه جماله الوقتي غير الثابت؟

يمكن قول الكثير ضد هذه الأمور، لو وُجِدَتِ المحبة فلتسمعها بإفرازٍ.

لو تصرف فاحص الكل حسب معرفته، **لأبطل تدبير القدرة الخالقة.**

لما أدخل آدم الذي خلقه في الفردوس، ولما أمره بألا يأكل من الشجرة (تك ٢: ١٧).

ولما خلق الشيطان مع الملائكة، ولا صنع الحية الماكرة التي أضلّت (تك ٣: ١).

ولتعطلت مسيرة القدرة الخالقة المستقيمة، ولما جاء العالم إلى الوجود كما صار.

لو تصرف حسب معرفته، لما صَوَّرَ **المُجَدِّف** في بطن أمه.

ولما أعطى **للوثني** أن يبصر النور، ولا أتى نهائياً بالكافر إلى العالم.

أنزل عارف الكل ذاته كما إلى **اللامعرفة** من أجل مراحمه الكثيرة **لخليقته.**

جبل آدم، وكان يعرف بأنه لا يطيعه، وبالرغم من معرفته لم يرد أن يبطل (خلقته) بكونه العارف.

أدخله إلى الجنة، وهو عارف أنه لا يثبت فيها، وإرادته الصالحة أدخله حتى يمكث هناك.

أوصاه كثيراً بألا يأكل من الشجرة، ولو تصرّف حسب معرفته لما أمره.

هكذا أيضاً مع أنه عارف بأن الشيطان سيسقط، خلقه مع طغمة السمائيين.

صنع للكافر فما ولساناً، وهو يعرف أنه سيكفر به، ولم يجرمه منهما.

رب آدم أدخله إلى الجنة ليبقى في الجنة، أما خروجه منها بعد أن أذنب فيعود إليه.

أمره أن يحفظ نفسه من الشجرة، وإذ لم يحفظها كما أمر، فهذا يعود إلى إرادته.

خلق الشيطان مع طغمة آل ميخائيل لِيُسَبِّحَهُ، فحسد وسقط من حريرته.

حين اختار ربنا يهوذا وهو عارف أنه سيُسَلَّمه، شابه أيضاً أباه في أعماله.
إذ كان جميلاً دعاه للبشارة مع الجميلين، وبعد أن صار مردولاً خلطه مع الصالبيين.
أبوه أيضاً لا يرذل الناس ما داموا جميلين، لأنه انزل النار على قربان سليمان (٢ أي ٧: ١).
حين كان (سليمان) جميلاً استجاب له بالصلاة، ووهبه النار، وبعد أن صار خادماً الذبائح
الوثنية، طرحه من عنده (١ مل ١١).
وعد ابن الله أيضاً يهوذا كرسياً (مت ١٩: ٢٨)، ولأنه جده أنزله وأعطاه المشنقة أجراً له (مت
٢٧: ٥)¹.

القديس مار يعقوب السروجي

¹ الميمر ٥٣ الفصل ج: لليل الأربعاء (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني)، الميمر ٥٢، على آلام مخلصنا وصلبه ودفنه وقيامته، قبطي ص ٥٧١-٥٧٢؛ الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي في صلب ربنا يسوع المسيح، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٩، ص ٦١-٦٤.

من وحي ٢ أي ٣

لَتُقِيمَ هَيْكَلٌ قَدْسِكَ الْعَجِيبُ فِي دَاخِلِي!

❖ اسمح لي يا أيها السماوي أن أتساءل:
ماذا كانت مشاعر الطغمت السماوية،
وهي تراك تتجسّد في أحشاء البتول من أجلي؟
السماء ليست بظاهرة أمامك، يا أيها القدوس؟
السماء والأرض لا تسعانك، يا أيها الغير محدود!
السماويون يعجزون عن إدراك أسرارك الفاتحة!
كيف نزلت إلى أرضنا، يا من تهابك كل الطغمت السماوية؟

❖ نزلت إلينا لتُقيمَ من الترابيين شبه سماءيين!

تُقيمنا من المزيلة،

وبروحك القدوس تجعلنا هيكلًا لك!

❖ أقام سليمان لك هيكلًا في جبل المرّيّا،

حيث قدّم إبراهيم ابنه إسحق مُحَرِّقًا لك بالنّيّة والحُبّ.

وقدّم داود ذبيحة لتغفر له، وتنفذ شعبك من الوباء!

وها أنت رب سليمان ومخلصه، تُقيم هيكلك في داخلي.

بروحك القدوس تُحوّل أعماقي إلى جبل المرّيّا الجديد،

بل وتُقيم من قلبي جلجثة عجيبة.

تُعلنُ قوة صليبيك وبهجة قيامتك في داخلي!

❖ غَشَى سليمان بيتك بخشب سرو، بذهبٍ خالصٍ.

وها أنت تكسو قلبي بالبتولية التي لا تقصد،

وتُحوّل ترابي إلى طبيعة شبه سماوية.

❖ رصّع سليمان بيتك بالحجارة الكريمة للجمال.

وها أنت بروحك القدوس تُزَيِّن نفسي،

يهبني شركة الطبيعية العجيبة،

أصير بنعمتك أيقونة حياة لك .

ياخذ مما لك ويخبرني .

يمنحني الحب والفرح والسلام والعفة والصلاح!

يُشرق بالنور فيّ، فيبُدد ظلمتي!

❖ لم يكن مُمكنًا لإنسان أن يدخل قدس الأقداس،

سوى رئيس الكهنة مرّة واحدة في السنة .

هوذا أنت تسكن فيّ، مع أبيك السماوي والروح القدس .

يا لعظم حُبك للبشرية!

أقمتها من سقوطها، ورفعتها إلى أمجادٍ فائقةٍ .

هيئتها لتتمتع بالبنوة لك .

وها أنت تُعد لها ميراثًا لا يفنى!

هَبْ لقلوبنا وعقولنا وعواطفنا وأحاسيسنا،

أن تصير خورس يُسبِّح اسمك بلا انقطاع .

يشارك الطغمات السماوية حياتهم .

أي هيكل هذا الذي من صنُع يدك!؟

الأصحاح الرابع

الأثاث المعدني والأواني المقدسة

ورد أثاث الهيكل في ١ مل ٧: ١٣-٥١. كان لهذا الأثاث أهميته في هيكل الرب، وفي نفس الوقت يحمل رموزًا تَمَسُّ حياة المؤمن في العهد الجديد. بدون هذا الأثاث الذي عيَّنه الرب لم يكن ممكناً للكهنة أن يمارسوا خدمتهم التي تُسر الرب.

١. المذبح النحاسي
٢. البحر المسبوك
٣. المنائر الذهبية والموائد
٤. أبواب دار الكهنة
٥. أواني مقدسة وغيرها

ربما نتساءل: ماذا ننتفع من دراستنا للهيكل المقدس والأثاث المعدني والأواني المقدسة؟ يُقدِّم لنا العلامة أوريجينوس الإجابة على هذا السؤال في حديثه عن خيمة الاجتماع وأثاثاتها، وهو ينطبق أيضاً على الهيكل.

❖ يستطيع كل منا بناء خيمة اجتماع لله داخل نفسه. وكما ذكر الأولون أن خيمة الاجتماع تُمثِّل العالم كله، وكل فردٍ فيها يستطيع أن يحمل صورة العالم، فلماذا إذاً لا يُكَمِّل كل منا صورة خيمة الاجتماع في داخله؟!

لا بد من تأسيس أعمدة الفضيلة في داخله؛ تشير الأعمدة الفضيلة إلى طول الأناة والتعقل. فأحياناً يبدو الشخص صبوراً ولكن بدون تعقلٍ، مثل هذا الشخص عنده أعمدة، ولكن ليست فضيلة، الإنسان الذي يتألم بسبب كلمة الله، ويكرز بها بشجاعة، هو شخص يتحلَّى بالأعمدة الفضيلة ويحتمي فيها...

يمكن أيضاً أن توسَّع القصور داخلك عندما يتَّسع القلب حسب الكلمة التي أوصى بها الرسول أهل كورنثوس، قائلاً: "كونوا أنتم أيضاً مُتَّسعين" (٢ كو ٦: ١٣).

ويستطيع الإنسان أيضاً أن يُحصِّن نفسه بعوارض، حينما يرتبط بوحدة المحبة. ويمكنه أن يقف على الأسس الفضيلة عندما يتأسس في ثبات كلمة الله النبوية والرسولية.

يمكنه أن يُرَيَّن رؤوس الأعمدة بتيجان، إذا كان تيجانه هي الإيمان بالمسيح، لأن "رأس كل رجل هو المسيح" (١ كو ١١ : ٣).

ويمكن للإنسان أن يُقِيمَ في نفسه عشرة دياراتي، وذلك حينما يتعمَّق لا في كلمة أو اثنتين أو ثلاث كلمات من الشريعة، ولكن يتمتع باتساع المعنى الروحي للوصايا العشر للناموس وعندما يُثمر ثمر الروح: فرح، سلام، طول أناة، وداعة، لطف، تعفف، إيمان، صلاح، وبالأخص عندما تُضَاف المحبة فوق كل تلك الثمار. لتكن هذه النفس يقظة: "لا تعطى نعاساً لعينيهما، ولا نومًا لأجفانها، ولا راحة لصدغها، حتى تجد مسكنًا لإله يعقوب" (مز ١٣١ : ٤-٥).

أقول، ليرسخ في تلك النفس مذبح دائم ثابت، تُقدِّم عليه الصلوات للتمتع برحمة الله، يُقدِّم أيضًا عليه الكبرياء وضحايا كعجل مُسمَّن مذبح بسكين الاعتدال، فيُذبح بها الغضب ككبش، وتُقدِّم كل اللذات والشهوات كماعزٍ وجداءٍ.

ليعرف كيف يحفظ من الذبيحة للكهنة الذراع اليمنى والصدر والفك إشارة إلى الأعمال الصالحة، والأعمال اليمينية (أي لا يحتفظ بأي نوع من الشر)، والصدر الذي يرمز إلى القلب المستقيم والفكر المُكرَّس لله، أما الفك فيُمثِّل كلمة الله المنطوقة.

لُيدرك الإنسان وجوب وضع المنارة في مقدسه الداخلي، وينير سرجها دائمًا، ويمنطق نفسه، فيكون هو نفسه كالعبد الأمين الذي ينتظر رجوع سيده من العرس (لو ١٢ : ٣٥-٣٦). يقول الرب عن تلك السرج: "سراج الجسد هو العين" (مت ٦ : ٢٢).

ليضع المنارة ناحية الجنوب لكي تتطلَّع نحو الشمال، لأنه حينما تنير السرج، أي يلتهب القلب الداخلي يترقَّب ناظرًا جهة الشمال على الدوام، يترقَّب ذاك الذي "هو من الشمال" حيث شهد "قدرًا منفوخة ووجهها من جهة الشمال"، لأن الشر يلتهب من الشمال" (إر ١ : ١٣-١٤). فليكن الإنسان إذا يقظًا على الدوام مترقبًا خداع عدوه وعلى استعدادٍ دائمٍ لمواجهة حروبه حتى إذا ما بدأ هجومًا وزحف نحوه يصدّه. يقول بطرس الرسول أيضًا: "إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتصمًا من يبتلعه هو" (١ بط ٥ : ٨).

ليضع المائدة وعليها اثنتا عشرة خبزة جهة الشمال ومرتبة نحو الجنوب. يشير الخبز إلى الكلمة الرسولية في العدد والقوة. وباستمرارية استخدامها كما أمر الرب موسى أن يوضع الخبز دائمًا أمام الرب، ويتجه الإنسان نحو الجنوب مُترقبًا قدوم الرب، "لأن الرب سيأتي من تيمان"، كما هو مكتوب لأنها في الجنوب.

ليضع مذبح البخور في أعماق قلبه، ليقول مع الرسول: "نحن رائحة المسيح الذكية" (٢ كو ٢: ١٥).

ليكن لكل إنسانٍ تابوت عهد يحتفظ فيه بلوحي الشريعة حتى "يلهج في ناموس الله نهارًا وليلاً" (مز ١: ٢)، وليصبح فكره كتابوت العهد ومكتبة تضم كتب الله، لأن الأنبياء طَوَّبوا الذين يحفظون وصاياه" في ذاكرتهم (مز ١٠٥: ١٠٦): ٣).

ليحفظ الإنسان أيضًا في داخل قلبه قسط المن إشارة إلى جمال وعذوبة فهم كلمة الله، وليحفظ أيضًا عصا هرون إشارة إلى التعليم الكهنوتي وقد أزهرت بتأديب مستقيم (العصا للتأديب والتهديب). بالإضافة إلى كل تلك الأمور السماوية فليرتد ملابس رئيس الكهنة. هذا هو أثن عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، إذ يقوم بدور رئيس الكهنة. يرى البعض أن تلك المهمة هي مراقبة القلب، ويرى آخرون أنها الفهم العقلي أو المادة الفكرية. ولكن مهما أطلقوا عليها من أسماء، فهي تبقى تعني الجزء (من النفس) الذي له القدرة على الميل الأساسي نحو الله. فلنُزَيَّنْ إِدَاً هذا الجزء الذي فينا بالثياب والجواهر الثمينة وبجبة كهنوتية طويلة. هذه الجبة تكسو القدمين، وتُعْطِي الجسم كله، وهذا إشارة إلى أن يكتسي الإنسان كله بثوب العفة. ويرتدي أيضًا الرداء الخارجي المُزَيَّنْ بالجواهر إشارة إلى الأعمال الحسنة: "فيروا أعمالكم الحسنة، ويُمَجِّدُوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦)...

ليكن لرئيس الكهنة أغطية على أعضائه الداخلية، فتُعْطِي أجزاء جسمه الخاصة، فيكون "مقدسًا جسدًا وروحًا" (١ كو ٧: ٣٤)، طاهرًا في فكره وأعماله.

ليضع جلاجل (أجراسًا) على أذيان جبة الرداء، وكما يقول الكتاب إنه عندما يدخل المقدس يعطي صوتًا ولا يدخل في سكونٍ (خر ٢٨: ٣٥). هذه الأجراس التي تعطي صوتًا على الدوام تُوضَع في هدب الثوب. أظن أن الغرض من هذا في رأيي هو ألا تصمت عن ذكر الأيام الأخيرة ونهاية العالم، بل دائمًا تضرب الأجراس وتحاوِر وتحدِّث، متفكِّةً مع ذلك الذي قال: "انكِر أواخر أيامك فلا تخطئ" (سيراخ ٧: ٤٠)، بهذه الطريقة يَتَزَيَّنْ إنساننا الداخلي ليصير رئيس كهنة لله، مستحقًا لا للدخول إلى القدس فقط، بل أيضًا إلى قدس الأقداس، ويقترَب من عرش الرحمة حيث الشاروبيم، فيتراءى له الله. والقدس إشارة إلى الحياة المقدسة في العالم الحاضر، أما قدس الأقداس الذي يدخله (رئيس الكهنة) مرة واحدة في السنة رمزًا للعبور إلى السماويات حيث عرش الرحمة، ويُوَجِّد الجالس على الشاروبيم، حيث يُعَلِنُ الله ذاته في القلب النقي، إذ يقول الرب: "لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧:

العلامة أوريجينوس

١. المذبح النحاسي

وَعَمِلَ مَذْبَحٌ نُحَاسٍ طَوْلُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا،

وَارْتِفَاعُهُ عَشْرٌ أذْرُع. [١]

من يقترب من الهيكل من جهة الشرق يجد مدخل ساحة دار الكهنة. في هذا المدخل يأتي الشعب بذبائحهم وتقدماتهم التي يحضرونها للرب. على اليمين من جهة الجنوب يوجد المذبح النحاسي، حيث توجد النار مشتعلة على الدوام، والكهنة يُقدِّمون الذبائح (خر ٢٧: ١-٨؛ ٣٨: ١-٧). المذبح النحاسي هنا هو نظير المذبح الموسوي في جبعون (١: ٦؛ خر ٣٨: ٣٠)، ولكنه أكبر منه.

الأشياء المصنوعة من النحاس هي مذبح المُحْرَقَات [١]، والبحر المسبوك والمراحض لحمل الماء [٢-٦]، وغشاء لمصاريح أبواب دار الكهنة [١٩]، وبعض أواني المذبح وغيرها [١٠-١٨]. لم يُذكر المذبح النحاسي في سفر الملوك. كان يُقدَّم عليه المُحْرَقَات، وكان أكبر بكثير من المذبح الذي عمله موسى في خيمة الشهادة الذي كانت أبعاده خمسة أذرع مربعة، أما المذبح في هيكل سليمان فكانت أبعاده عشرين ذراعًا مربعة، فقد تزايد شعب إسرائيل، وأصبح كثير العدد وغنيًا، وكان الأمل أن يكون أكثر تقوى خلال خبرة الشركة مع الله عبر هذه الأجيال. كان من المتوقع أن تكون التقدّمات لمذبح الله بوفرة كثيرة عما كان سابقًا، لذلك صُنِعَ على سعة كبيرة ليوضع عليه كل التقدّمات. فالله قد وسع حدودهم، وكان من المناسب أن يوسعوا مذابحه. فما نُقدِّمه يجب أن يكون على قدر ما يُعطى لنا.

كان ارتفاع المذبح عشرة أذرع لكي ما يتمكّن الشعب الذي يعبد في الدار الخارجية من رؤية ذبائح المُحْرَقَة، فيتأثر قلبه بذلك، فيُقدِّم توبة عن خطاياها، قائلاً: إنه من رحمة الله أنني لم أهلك، وأن هذه الذبيحة قد قُبِلت كفاة عن ذنبي. ولعلهم بهذا ينفقون إلى معرفة الذبيحة العظيمة التي ستُقدِّم في ملء الزمان، ذبيحة المسيح! ولعل قلوبهم تُحلّق في السماويات، عندما يرون صعود دُخَانِ الذبائح. لم يذكر الكتاب المقدس كيف كان يصعدون ويحملون الذبائح إلى المذبح، فالبعض يعتقد أنهم

¹ Origen: In Exod. hom.9:4 (Ronald E. Heine).

كانوا يصعدون كما على تلٍ، دون أن يستخدموا درجات (سلام)، لأن هذا تمنعه الشريعة (خر ٢٠: ٢٦). يرى البعض أنه كان بلا شكٍ يوجد درج مائل للصعود إلى المذبح.

في عظات العلامة أوريجينوس على سفر يشوع يُقدّم لنا صورة حية عن خدمة المذبح والذبائح في العهد القديم كرمزٍ لما تَحَقَّقَ بذبيحة السيد المسيح على الصليب.

❖ يجب علينا شرح موت موسى، لأنه إن فهمنا كيف مات موسى، ندرك كيف يملك المسيح. فحينما ترى خراب أورشليم والمذبح بلا ذبيحة ولا تقدمة ولا كهنة أو لاويين، حينما ترى كل ذلك قل إن موسى خادم الرب قد مات.

وحينما ترى أنه لا يوجد أحد يأتي ثلاث مرات (في السنة) ليقف أمام وجه الرب، أو يُقدّم تقدمات في الهيكل، أو يذبح حمل الفصح، ويأكل خبزاً بدون خميرة، أو يُقدّم البكور أو يكرس الطفل البكر، حينئذٍ تدرك موت موسى خادم الرب.

ولكن حينما ترى دخول الأمم الإيمان وبناء الكنائس وتقديس المذبح بدم يسوع المسيح الثمين بدلاً من دم الذبائح، وتدرك عدم انشغال الكهنة واللاويين بدماء التيوس والعجول، بل بكلمة الله بواسطة نعمة الروح القدس، حينئذٍ يمكن القول إن السيد المسيح أخذ الرئاسة خلفاً لموسى...

حينما ترى المسيح فصحنا قد دُبِحَ، وتأكل خبز الإخلاص الذي بلا خميرة، وتثمر الأرض الجيدة للكنيسة تثمر ثلاثين وستين ومائة، أقصد الأرامل والعداري والشهداء. وحينما ترى شعب بني إسرائيل يزدادون، أي الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة رجل ولا من مشيئة جسد، ولكن من الله قد وُلِدوا فصاروا أبناء الله، هؤلاء الذين كانوا قد تشبَّهوا وقد جمعهم إلي واحدٍ في شخصه.

حين ترى أيضاً حفظ الناس ليوم السبت، لا بترك العمل، ولكن بنزع الخطية، حينما تتم كل تلك الأمور، حينئذٍ تدرك أن موسى عبد الرب قد مات، وأن المسيح ابن الله له كل الرئاسة^١.

العلامة أوريجينوس

٢. البحر المسبوك (الحوض أو الجرن)

وَعَمِلَ الْبَحْرَ مَسْبُوكًا عَشْرَ أَذْرُعٍ مِنْ شَفْتِهِ إِلَى شَفْتِهِ،
وَكَانَ مُدَوَّرًا مُسْتَدِيرًا، وَارْتِفَاعُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ،
وَخَيْطٌ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا يُحِيطُ بِدَائِرِهِ. [٢]

¹ In Jos. hom 2:1.

على شمال المدخل نحو الجانب الجنوبي من ساحة دار الكهنة، يوجد البحر المسبوك عوض الحوض الصغير الذي كان قائماً في ساحة خيمة الاجتماع (خر ٣٠: ١٧-٢١؛ ٣٨: ٨). يقف هذا الحوض على ظهر ١٢ تمثالاً لثيران، ربما تشير هذه الثيران إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر (٢ مل ١٦: ١٧)، وهي في مجموعات، تتكوّن كل منها من ثلاثة تماثيل للثيران كل منها في اتجاهٍ مختلفٍ.

كان الكهنة يلتزمون أن تكون أيديهم وأرجلهم نظيفة، وإلا تعرّضوا للموت (خر ٣٠: ٢٠). تشير المياه التي للشرب في الكتاب المقدس إلى الروح القدس (يو ٧: ٣٧-٣٩). بينما مياه الاغتسال تشير إلى كلمة الله (مز ١١٩: ٩؛ يو ١٥: ٣؛ أف ٥: ٢٥-٢٧). إذ يعمل الكهنة في الهيكل يحتاجون إلى المياه للاغتسال وإلى كلمة الله لغسل قلوبهم بالروح القدس واهب النقاوة والقداسة والتجديد المستمر. هذا ما أعلنه السيد بغسله أقدام التلاميذ قبل تناولهم من جسده المقدس ودمه الكريم في خميس العهد.

كان هذا البحر مثل اللقّان في كنيسة العهد الجديد، أو مثل المغطس في الكنائس القديمة. يليق بنا أن نغتسل ضمائرنا بالتوبة الحقيقية، لكي نخدم الله الحيّ (عب ٩: ١٤)، كما يليق بنا أن نُظهِر أيادينا وقلوبنا (يع ٤: ٨)، حتى نسمع كلمات السيد المسيح: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل قدميه"، ويتجدد بتوبته كلما دخل ليعلم (يو ١٣: ١٠).

يرى يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنه دُعي بالبحر من أجل ضخامة حجمه. ويرى البعض أنه حمل هذا الاسم من أجل عمله الرمزي، فبحر سليمان يرمز للمياه الأولى في الخليقة حيث كان روح الله يرف عليها.

المذبح والبحر هما رمزان لمثيلهما في الهيكل السماوي المصنوع ليس بأيادٍ بشرية.

وَشِبُهُ فُتَاءٌ تَحْتَهُ مُسْتَدِيرًا يُحِيطُ بِهِ عَلَى اسْتِدَارَتِهِ،

لِلذَّرَاعِ عَشْرٌ تُحِيطُ بِالْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةً،

وَالْفُتَاءُ صَفَانٌ قَدْ سُبِكَتْ بِسَبِكِهِ [٣]

كَانَ قَائِمًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ تَوْرًا،

ثَلَاثَةٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الشَّمَالِ،

وَتَلَاثَةٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الْغَرْبِ،

وَتَلَاثَةٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ،

وَتَلَاثَةٌ مُتَّجِهَةٌ إِلَى الشَّرْقِ،

وَالْبَحْرُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَجَمِيعُ مُؤَخَّرَاتِهَا إِلَى دَاخِلِ. [٤]

وَسُمُّكَهُ شِبْرٌ، وَشَفْتُهُ كَعَمَلِ شَفَةِ كَأْسٍ بَزْهَرٍ سَوْسَنٌ.

يَأْخُذُ وَيَسَعُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَتًّا. [٥]

كان البحر أو الحوض متسعاً. يعتقد المفسرون الربيون أن الكهنة اعتادوا أن يستحموا فيه، يغطسون فيه [٦].

وَعَمِلَ عَشْرَ مَرَاحِضَ،

وَجَعَلَ خَمْسًا عَنِ الْيَمِينِ وَخَمْسًا عَنِ الْيَسَارِ لِلِاغْتِسَالِ فِيهَا.

كَانُوا يَغْسِلُونَ فِيهَا مَا يُقَرَّبُونَهُ مُحَرَّقَةً،

وَالْبَحْرُ لِيَغْتَسَلَ فِيهِ الْكَهَنَةُ. [٦]

يوجد عشر قواعد من نحاس مُزَيَّنة بأسود وثيران وكروبيم وعلى كل قاعدة حوض يسع ٢٣٠ جالوناً من الماء. هذه القواعد بأحواضها موجودة في ساحة الكهنة على اليمين، وهي قائمة على عجلات يُمكن بسهولة تحريكها، تُستخدَم في غسل الذبائح، وربما في تنظيف الهيكل بوجه عام. عندما تنتسخ المياه، تُفَرَّغ في مكان مناسب، وتُملأ الأحواض بمياه نظيفة من البحر المسبوك. هذه القواعد الحاملة للأحواض في غاية الجمال بزخارفها الكثيرة، لكي يدرك الكهنة واللاويون والشعب أن الله يرى في القداسة والنقاوة جمالاً خاصاً، وليس من عزلٍ بين القداسة والجمال (خر ٢٨: ٤؛ مز ٢٩: ٢؛ ٦٩: ٦، ٩؛ ١١٠: ٣).

بالنسبة للمرحضة، في خيمة الاجتماع وجدت مرحضة واحدة، لأن جميع الكهنة كانوا من سبط لاوي، ولا يجوز حتى للملوك أن يمارسوا العمل الكهنوتي. أما في الهيكل حيث يشير إلى كنيسة العهد الجديد، فوجدت عشر مراحيض، خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار، لأن كهنة العهد الجديد لا يرتبطون بسبط مُعَيَّن ولا أُمَّة مُعَيَّنة، إذ في المسيح ليس يهودي ولا يوناني، إنما جميع الكهنة مستترون في رئيس الكهنة الأعظم السماوي، ربنا يسوع المسيح. كانوا يغسلون فيها ما يُقَرَّبونه مُحَرَّقَةً [٦]، فكما وجب أن يغتسل الكهنة، كذلك تُغسَل الذبائح. ونحن يلزمنا أن نطرح بكل حرص كل الأفكار الشريرة.

٣. المنائر الذهبية والموائد

وَعَمِلَ مَنَائِرَ ذَهَبٍ عَشْرًا كَرَسْمِهَا،

وَجَعَلَهَا فِي الْهَيْكَلِ خَمْسًا عَنِ الْيَمِينِ، وَخَمْسًا عَنِ الْيَسَارِ. [٧]

المكان المُتَّسِعُ والذي لا يصل إليه نور النهار يحتاج إلى هذه المنائر.

بالغ يوسيفوس في قوله بأنه في الهيكل وُجِدَ عشرة آلاف شمعدان.

تشبه المنارة التي كانت في خيمة الاجتماع.

كلمة الله هي سراج مُنِيرٌ يضيء في عالمٍ مظلمٍ.

في أيام موسى كانت منارة واحدة، وهي أسفار موسى الخمسة (التوراة). إضافة منارات أخرى هنا

تشير إلى إضافة أسفار أخرى مقدسة. فالنور يتوهج أكثر، والمنائر أي الكنائس تتزايد (رؤ ١ : ٢٠).

أسس موسى منارة واحدة هي الكنيسة اليهودية، لكن هيكل الإنجيل تضاعف فيه، ليس بسبب كثرة

المؤمنين من اليهود، بل تضاعفت أيضًا الكنائس من كل الأمم والشعوب.

وَعَمِلَ عَشْرَ مَوَائِدَ، وَوَضَعَهَا فِي الْهَيْكَلِ،

خَمْسًا عَنِ الْيَمِينِ، وَخَمْسًا عَنِ الْيَسَارِ.

وَعَمِلَ مِئَةَ مِنْضَحَةٍ مِنْ ذَهَبٍ. [٨]

في ١ مل ٧ : ٤٨ يذكر مائدة وجوه واحدة، لأن غاية السفر تأكيد قيام مملكة إسرائيل التي تُعد

الطريق لمجيء المسيا المُخَلَّصِ، أما ٢ أي ٤ : ٨، فَيُشِيرُ إلى عشر موائد في الهيكل، خمسًا على

اليمين، وخمسًا على اليسار، وكأن كنيسة العهد الجديد كرمزٍ للسماء تفتح أبوابها لإسرائيل الجديد

الذي يذوب فيه اليهود وسط الأمم، فَيُقَدِّمُ المسيح نفسه خبزًا سماويًا للشعوب القادمة من المشارق

والقادمة من المغرب، أي من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها دون محاباة لأمةٍ معينة.

ربما كان يوضع اثنتا عشرة خبزة على كل مائدة، فكلما كبر بيت الرب كبرت أيضًا الخدمة. ففي

بيت أبي هناك خبز يكفي جميع الأسرة.

كان لهذه الموائد مائة منضحة أو طبق من ذهب، فإن مائدة الرب مُعدَّة حسنًا.

٤ . أبواب دار الكهنة

وَعَمِلَ دَارَ الْكَهَنَةِ وَالذَّارَ الْعَظِيمَةَ وَمَصَارِيحَ الدَّارِ،

وَعَشَى مَصَارِيعَهَا بِنُحَاسٍ. [٩]

كانت أبواب دار الكهنة مُغطَّاةً بالنحاس [٩]، حتى لا تتأثر بعوامل الجو التي تتعرَّض لها؛ وقد

ذُكرت أبواب النحاس في مز ١٠٧ : ١٦.

وَجَعَلَ الْبَحْرَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ إِلَى الشَّرْقِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ. [١٠]

٥. أواني مقدسة وغيرها

وَعَمِلَ حُورَامُ الْقُدُورَ وَالرُّفُوشَ وَالْمَنَاضِحَ،

وَأَنْتَهَى حُورَامُ مِنْ عَمَلِ الْعَمَلِ الَّذِي صَنَعَهُ لِلْمَلِكِ سَلِيمَانَ فِي بَيْتِ اللَّهِ: [١١]

الْعُمُودَيْنِ وَكُرْتِي التَّاجِينَ عَلَى رَأْسِي الْعُمُودَيْنِ وَالشَّبَكَتَيْنِ،

لِتَعْطِيَةَ كُرْتِي التَّاجِينَ اللَّذَيْنِ عَلَى رَأْسِي الْعُمُودَيْنِ [١٢]

هنا نرى نبذة مختصرة للأشياء المصنوعة من النحاس.

يلاحظ هنا الآتي:

١. كان حورام صانعًا ماهرًا ومدققًا وملتزمًا، فقد أنجز كل ما طُلبَ منه [١١]. دعاه ملك صور

"حورام أبي"، ودعاه سليمان أيضًا هكذا، لأنه قد أبدع في عمله، وحُسِبَ أبا لكل الصناعات المهرة.

٢. كان سليمان كريمًا جدًا، فقد عمل أنية كثيرة جدًا [١٨] من كل نوع، حتى يتم العمل في

الهيكل بسرعة، ولكي توجد أواني تُستخدم متى تلفت أنية.

جاءت التبرعات بسخاء، وأعطى هو أيضًا بسخاء. وعندما عمل ما يكفي من الأواني لذلك الحين

لم يستطع أن يستخدم ما تبقى من النحاس لأغراضه الخاصة، لأنه كان مُخصَّصًا لله، ويجب أن

يُستخدم لخدمته فقط.

وَالرُّمَانَاتِ الْأَرْبَعِ مِئَةَ لِلسَّبَكَتَيْنِ،

(صَفِي رَمَانٍ لِلسَّبَكَةِ الْوَاحِدَةِ لِتَعْطِيَةَ كُرْتِي التَّاجِينَ اللَّذَيْنِ عَلَى الْعُمُودَيْنِ). [١٣]

وَعَمِلَ الْقَوَاعِدَ، وَعَمِلَ الْمَرَاحِضَ عَلَى الْقَوَاعِدِ [١٤]

وَالْبَحْرَ الْوَاحِدَ وَالْإِثْنَيْ عَشَرَ ثُورًا تَحْتَهُ [١٥]

وَالْقُدُورَ وَالرُّفُوشَ وَالْمَنَاشِلَ وَكُلَّ آنِيَّتِهَا،

عَمَلَهَا لِلْمَلِكِ سَلِيمَانَ حُورَامُ أَبِي لِبَيْتِ الرَّبِّ مِنْ نَحَاسٍ مَجْلِيٍّ. [١٦]

فِي غُورِ الْأُرْدُنِّ سَبَكَهَا الْمَلِكُ فِي أَرْضِ الْخَرْفِ بَيْنَ سَكُوتَ وَصَرَدَةَ. [١٧]

وَعَمِلَ سَلِيمَانُ كُلَّ هَذِهِ الْآنِيَةِ كَثِيرَةً جَدًّا،

لَأَنَّهُ لَمْ يَتَحَقَّقْ وَزْنُ النُّحَاسِ. [١٨]

وَعَمِلَ سَلِيمَانُ كُلَّ الْآنِيَةِ الَّتِي لِبَيْتِ اللَّهِ وَمَذْبَحِ الذَّهَبِ،

وَالْمَوَائِدِ وَعَلَيْهَا خُبْزُ الْوُجُوهِ [١٩]

مذبح الذهب: يوجد أمام الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس. عليه يُقدّم الكهنة بخوراً في الصباح والمساء، وهم يهتمون بالمنارة الذهبية (خر ٣٠: ١-١٠؛ ٣٧: ٢٥-٢٩).

يشير رفع البخور إلى رفع الصلوات لله (مز ١٤١: ١-٢؛ رؤ ٥: ٨؛ لو ١: ٨-١٠).

أعطى الله لموسى الخلطة الخاصة بالبخور الذي يُقدّم في خيمة الاجتماع والهيكل (خر ٣٠: ٣٤-٣٨)، هذه الخلطة لا يجوز لأحد أن يستخدمها لغرض آخر.

في يوم الكفارة يستخدم رئيس الكهنة الدم لغسل المذبح الذهبي وتطهيره (خر ٣٠: ١٠). لا نستطيع أن نفترق إلى الله بدون دم السيد المسيح الكفاري؛ إذ لا يجوز لنا الاقتراب إلا بأيادٍ طاهرة وقلبٍ نقي (مز ٢٤: ٣-٥).

كان يُحرق عليه البخور، ربما صُنِعَ بحجمٍ كبيرٍ كما حدث بالنسبة للمذبح النحاسي. هنا فقط يشير الكتاب المقدس إلى كثرة من موائد خبز الوجوه.

وَالْمَنَائِرِ وَسُرَجِهَا لِتَتَّقَدَ حَسَبَ الْمُرْسُومِ أَمَامَ الْمِحْرَابِ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ [٢٠]
وَالْأَزْهَارِ وَالسُّرُجِ وَالْمَلَأِقِطَ مِنْ ذَهَبٍ.

وَهُوَ ذَهَبٌ كَامِلٌ. [٢١]

وَالْمَقَاصِ وَالْمَنَاضِحِ وَالصُّحُونِ وَالْمَجَامِرَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ.

وَبَابِ الْبَيْتِ وَمَصَارِيْعَهُ الدَّاخِلِيَّةَ لِقُدْسِ الْأَقْدَاسِ،

وَمَصَارِيْعَ بَيْتِ الْهَيْكَلِ مِنْ ذَهَبٍ. [٢٢]

من وحي ٢ أي ٤

ما أعظم عمل يديك في داخلي!؟

❖ من يستطيع أن يبني هيكلك سواك!؟

من يقوم بتأسيسه غير نعمتك!؟

لتؤسس في داخلي أعمدة الفضيلة الفضية.

كلمتك هي الأعمدة التي يقوم عليها بناء نفسي.

ليبتني أتحلّى بك، يا كلمة الله الكليّ الجمال!

❖ لتوسّع تخوم هيكلك فيّ،

فيكون موضع سرورك ورضاك.
يَبْسَعُ بِالْحُبِّ لَكَ وَلِكُلِّ إِخْوَتِي.
فلا يكون للكراهية أو الحسد أو الكبرياء موضع في أفكاري.
ولا تخرج كلمة جارحة من فمي.

❖ لَتُقَمَّ مَنَارَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فِي دَاخِلِي.
تشرق بنور برك، فتنبدد كل ظلمة فيّ.
بنورك لا يقدر رئيس مملكة الظلمة أن يتسلل داخلي.

❖ لَتُقَمَّ مَائِدَةٌ خَبِزِ الْوُجُوهِ الْمُشْبِعَةِ.
فلا أقتات بمحبة العالم وملذاته.
إنما أتمتع بخبز الملائكة، فتشبع نفسي.
أقتات بجسدك المحيي ودمك الكريم.
فأتمتع بالحياة الأبدية.

❖ لِيَصْعَدَ بَخُورُ عَطْرِ كَمَا إِلَى السَّمَاءِ.
لتكون صلواتي مقبولة لديك.
تحمل رائحتك الذكية، فتدخل إلى عرشك الإلهي.

❖ اقْبَلْ حَيَاتِي ذَبِيحَةَ حُبِّ، مُحَرَّقَةً كَامِلَةً أَمَامَكَ.
ليس لي ما أقدمه لك من عندي.
هَبْ لِي أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ مِمَّا تَهْنِي.
قَدِّسْ عَوَاطِفِي وَأَحَاسِيْسِي وَكَلِمَاتِي،
لأُقَدِّمَ الْحُبَّ، ذَبِيحَةَ مَرْضِيَّةٍ أَمَامَكَ.

❖ لَتَكُنْ كُلُّ طَاقَاتِي وَمَوَاهِبِي وَوِزْنَاتِي أَوَانِي مَقْدَسَةً لَكَ،
لا تتوقَّف عن الخدمة والعبادة والتسبيح لك.

الأصحاح الخامس

تسليم الهيكل للرب

جاء يوم الاحتفال ببناء الهيكل أشبه بتسليم الرب بيته، ليقبله مقدمة من كل الجماعة: من الملك والقادة والكهنة والخدام والشعب. استلمه الرب في سحابة [١٣-١٤]. وكان الجماعة قد فتحت قلوبها للرب، فجاء إليها كما على سحابة، يُعلن حضوره في بيته كما في وسط شعبه. لقد تمَّ بناء الهيكل، ووُضِعَت فيه الأثاثات لخدمة الرب، ونرى هنا الآتي:

١. إدخال الأقداس إلى البيت . ١
٢. إصعاد تابوت العهد إلى البيت ١٠-٢.
٣. تقديم نشيد الحمد لله ١٢-١١.
٤. السحابة ومجد الرب يملأ البيت ١٤-١٣.

١. إدخال الأقداس إلى البيت

اهتم سليمان بنقل تابوت العهد من مدينة داود إلى بيت الرب العظيم الذي أعده، ولم يُشير إلى المذبح النحاسي الذي أقامه موسى النبي في البرية، إنما أقيم مذبح نحاسي خاص بالهيكل. لقد وجد التابوت راحته في بيت الرب. لقد سحب الكهنة العصي من التابوت، فتراعت رؤوس العصي من التابوت، إشارة إلى أن رحلة البرية قد انتهت. يشير تابوت العهد إلى السيد المسيح الذي حلَّ بيننا بتجسده، لكي يَعْبُر بنا كما إلى السماء، حيث تستقر نفوسنا وتستريح فيه، وهو فينا كهيكلٍ مقدسٍ له. بعمل المسيح الخلاصي، أقام منا أرضاً جديدةً وسماءً جديدةً يسكن برُّه فيها.

وَكَمِلَ جَمِيعُ الْعَمَلِ الَّذِي عَمَلَهُ سُلَيْمَانُ لِبَيْتِ الرَّبِّ.

وَأَدْخَلَ سُلَيْمَانُ أَقْدَاسَ دَاوُدَ أَبِيهِ.

وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَجَمِيعُ الْآيَةِ جَعَلَهَا فِي خَزَائِنِ بَيْتِ اللَّهِ. [١]

استغل السفرُ كل فرصة للإشارة إلى داود بكونه أُعِدَّ كل ما أمكن لببيت الرب [١]. وُضِعَت كل الأواني المقدسة وأيضاً الفضة والذهب المُخَصَّصة للبيت في خزائن الهيكل، ولم تكن هناك حاجة للاحتفال بإدخالها إلى الخزائن، فإن الهيكل هو الذي يقُدس الذهب، لا الذهب يقُدس

الهيكل (مت ٢٣: ١٧).

لم يأخذ سليمان شيئاً مما قدّسه أبوه للهيكل أو ما تبرع به القادة أو الشعب أو وضعه في خزائن القصر، لاستخدامه في وقت الحاجة.

٢. إصعاد تابوت العهد إلى البيت

حِينَئِذٍ جَمَعَ سُلَيْمَانُ شُبُوحَ إِسْرَائِيلَ

وَكُلَّ رُؤُوسِ الْأَسْبَاطِ رُؤَسَاءَ الْأَبَاءِ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ

إِلَى أُورُشَلِيمَ

لِإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ (هِيَ صِهْيُونُ). [٢]

كان من اللائق أن يُدخَلَ تابوت العهد بوقارٍ زائد. حقاً لقد صُنِعَتِ الأواني الجديدة للهيكل وبأحجام كبيرة تليق بحجم الهيكل وحجم الخدمة التي تزايدت جداً عما كانت عليها في خيمة الاجتماع. أما تابوت العهد والغطاء والكاروبان اللذان على الغطاء، فبقيت هذه كلها كما هي، لأن حضور الله ونعمته لا يتغيّران مهما تغيّر حجم بناء الهيكل (أو الكنيسة)، ومهما تزايد عدد المجتمعين للعبادة، ومهما كان حال الكنيسة من جهة إمكانياتها المادية، لقد أكّد السيد المسيح أنه إن اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه يكون في وسطهم، كما لو كانوا ألفين أو ثلاثة آلاف.

أُدخِلَ تابوت العهد في حضور جمع غفير من شيوخ إسرائيل، الذين حضروا بدون شك في وقارٍ وبمظهرٍ فخم [٢-٤].

فَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ جَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ،

فِي الْعِيدِ الَّذِي فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ. [٣]

تَمَّ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْعِيدِ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَغَالِبًا مَا حَسَبُوا هَذِهِ الْمُنَاسِبَةَ عِيدًا.

وَجَاءَ جَمِيعُ شُبُوحِ إِسْرَائِيلَ.

وَحَمَلَ اللَّوِيُّونَ التَّابُوتَ [٤]

وَأَصْعَدُوا التَّابُوتَ وَخَيْمَةَ الْجَمْعِ مَعَ جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ الْقُدْسِ الَّتِي فِي الْخَيْمَةِ،

أَصْعَدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللَّوِيُّونَ. [٥]

أصعدوا مع التابوت أيضاً خيمة الاجتماع مع جميع أنبياء القدس التي في الخيمة. لم تُستبعد هذه الأشياء، لأنها تقدّست لله، لذلك لم تُغيّر ولا طُرقت لاستخدامها في عمل أوانٍ جديدة، وغالباً ما كان

بعضها لا يصلح استخدامها لصغرهما، فحُفِظَت للذكرى.

أُصعد سليمان الأواني المقدسة التي أَعَدَّها داود مع تابوت العهد وخيمة الاجتماع في موكبٍ ضخمٍ إلى الهيكل.

لإعداد هذا الموكب العظيم اجتمع سليمان مع رؤوس الأسباط ورؤوس الآباء في الخيمة التي أَعَدَّها داود.

وَالْمَلِكُ سَلِيمَانُ وَكُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ الْمُجْتَمِعِينَ إِلَيْهِ أَمَامَ التَّابُوتِ،

كَانُوا يَذْبَحُونَ غَنَمًا وَيَقْرَأُ مَا لَا يُحْصَى وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. [٦]

وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ،

فِي مِحْرَابِ النَّبِيِّ، فِي قُدْسِ الْأَقْدَاسِ، إِلَى تَحْتِ جَنَاحِي الْكُرُوبِيِّينَ. [٧]

حمل اللاويون تابوت العهد في الهيكل، أما إدخاله إلى قدس الأقداس، فكان من عمل الكهنة وخدمهم، إذ لم يكن يُسَمَحُ لللاويين الدخول فيه.

وَكَانَ الْكُرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا عَلَى مَوْضِعِ التَّابُوتِ.

وَوَضَعُوا الْكُرُوبَانِ التَّابُوتَ وَعَصِيَّهُ مِنْ فَوْقُ. [٨]

وَجَذَبُوا الْعَصِيَّ فَتَرَاعَتْ رُؤُوسُ الْعَصِيِّ مِنَ التَّابُوتِ أَمَامَ الْمِحْرَابِ،

وَلَمْ تَرُ خَارِجًا وَهِيَ هُنَاكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [٩]

جُذِبَتِ الْعَصِي، لأن التابوت سوف لا يُنْقَلُ فيما بعد. أيضًا يشير جذب العصي إلى الراحة، فرينا يسوع يستريح في القلوب المفتوحة له كما في هيكله.

إذ نُعِدُّ له مكانًا في قلوبنا بكونها ملكوته يستقر فيها، ويهبنا نحن أيضًا أن نستقر في ملكوته السماوي الذي يُعِدُّه لنا لنستقر فيه.

اشتاقت الرب أن يستقر تابوت العهد في هيكله المقدس، ويقول الرسول بولس: "لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء، أي ليُحْدِرَ المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية، أي ليُصْعِدَ المسيح من الأموات" (رو ١٠: ٦-٧).

"وهي هناك إلى هذا اليوم"، ليس اليوم الذي كُتِبَ فيه السفر، وإنما إلى اليوم الذي كُتِبَت فيه النسخة التي هي المصدر الذي نقل عنه الكاتب، وقد بقيت إلى يوم دمار أورشليم (مز ١٣٧: ٧).

لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلَّا اللَّوْحَانِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى فِي حُورَيْبِ،

حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. [١٠]

"لم يكن في التابوت إلا اللوحان اللذان وضعهما موسى في حوريب" [١٠]. لم يعد موجود فيه عصا هارون ولا قسط المن.

٣. تقديم نشيد الحمد لله

وَكَانَ لَمَّا خَرَجَ الْكَهَنَةُ مِنَ الْقُدْسِ.

(لأن جميع الكهنة الموجودين تقدسوا لم تلاحظ الفرق). [١١]

تقدّس الكهنة حين خرجوا من القدس، إذ كان يلزمهم أن يخرجوا لكي ما يدخل الملك الحقيقي نفسه، ويُعلن مجده.

في ذلك اليوم لم تحضر فرقة واحدة من الكهنة، بل جميع الكهنة، فهي مناسبة عامة قد لا تتكرر في حياة الجيل الحاضر من الكهنة.

لقد قُدِّمَتْ ذبائح، وكان يليق بكل الكهنة أن يشتركوا في الاحتفال، ويُعابِنوا مجد الرب.

وَاللَّادِيُونَ الْمُغَنُّونَ أَجْمَعُونَ:

آسَافُ وَهَيْمَانُ وَيَدُوثُونُ وَيَبُوهْمُ وَإِخْوَتُهُمْ لِابْسِينَ كَتَاتًا،

بِالصُّنُوجِ وَالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ وَاقْفِينِ شَرْقِيِّ الْمَذْبَحِ،

وَمَعَهُمْ مِنَ الْكُهَنَةِ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ يَنْفُخُونَ فِي الْأَبْوَاقِ. [١٢]

ورثت كنيسة العهد الجديد عن الهيكل عبادة التسبيح حيث وُجِدَتْ فِرَقُ التسبيح. قيل إن عدد القيثارات بلغ أكثر من ٤٠٠٠ قيثارة.

تنسبُ الكنيسة ابنة صهيون داود الملك والنبى، "مُرَّمَّ إِسْرَائِيلَ الحلو" (٢ صم ٢٣: ١)، فقد وجدت في المزامير أعماقًا مُبهجة جديدة على ضوء عمل ابن داود على الصليب وقيامته وصعوده إلى السماء، عرّف الرسول بولس ملكوت الله أنّه فرح في الرب (رو ١٤: ١٧).

❖ كل ما تفعله، افعله حسنًا، بهذا تُسبِّح الله^١.

❖ إن كان حتى الملائكة الذين طبيعتهم بسيطة وروحية يُقال إن لهم السنة بها يُرَّمون التسابيح لإلههم وخالقهم، ويُقدِّمون له تشكراتٍ بغير انقطاع، كم بالأكثر يليق بالأجساد الروحية التي للبشر أن تفعل هذا بعد القيامة، فإن كل أعضاء الجسد المُمجَّد يكون لهم السنة في أفواههم، تُعطي

¹ Letter 130:19.

صوتًا لألسنتهم المتحدثة، وهكذا ينطقون بتساويح إلهية تفيض بكلمات حُبهم وأفراحهم التي تملأ أحاسيسهم^١.

القديس أغسطينوس

❖ إن التسبيح لله هو عمل خاص بالملائكة.

❖ تهب المزامير النفس الطمأنينة، وتُعطيها السلام، وتُهَدِّئُ فيها بلبله الأفكار وتراكم الشهوات... هذا الكتاب هو كتاب المحبة... هو سلاح ضدّ الشيطان... هو سبب راحة بعد تعب النهار... هو تعزية الشيوخ... هو باعث أفراحنا وأحزاننا المقدسة... هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور ذكي الرائحة^٢.

❖ تدخل التسابيح الهادئة بالفكر إلى حالة من الفرح والهدوء.

القديس باسيليوس الكبير

❖ من له القدرة - مهما بلغت خبرته - أن يُعَدِّدَ الأسباب التي تثير القلب فيلتهب مُشتعلًا بالنار، وتحته للصلوات الورعة العظيمة الغيرة؟ لكننا نذكر أمثلة قليلة منها... أحيانًا التغمّي بمقطع من المزامير، يبعث فينا صلاة حارة. وأحيانًا انسجام التلحين لصوت أحد الإخوة، يثير الأذهان الخاملة إلى ابتهالات كثيرة. كذلك طريقة النطق مع الوقار الذي للمرنم (بالتسبيح)، يلهبان غيرة من معه^٣.

الأب إسحق

٤. السحابة ومجد الرب يملأ البيت

وَكَانَ لَمَّا صَوَّتَ الْمُبَوِّفُونَ وَالْمُعَنُّونَ كَوَاحِدٍ صَوْتًا وَاحِدًا لِتَسْبِيحِ الرَّبِّ وَحَمْدِهِ،
وَرَفَعُوا صَوْتًا بِالْأَبْوَاقِ وَالصُّنُوجِ وَالْغِنَاءِ وَالسَّسْبِيحِ لِلرَّبِّ،
لَأَنَّهُ صَالِحٌ، لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ، أَنَّ بَيْتَ الرَّبِّ امْتَلَأَ سَحَابًا. [١٣]

لم يُذكر هذا الحدث في سفر الملوك.

لقد تقدّس الكهنة، فخرجوا من قدس الأقداس، عندئذٍ ضرب مئة وعشرون كاهنًا بالأبواق وسط

^١ Letter, 94.

^٢ عظة على المزامير: الفصل الأول، الأب الياس كوينتر المخلصي ص ٦٣.

^٣ للمؤلف: مناظرات كاسيان ص ٢٣٣.

تسبيح فريق التسبيح، فحلَّ مجد الرب مثل سحابٍ.
وقف الكهنة في دهشة وقد سادهم السحاب، فصاروا كمن في السماء، وامتألوا بمخافة الرب مع
الحب الفائق لله.

أعلن الرب مجده في الهيكل:

١. ليس عندما قُدِّمَت الذبائح الحيوانية، بل حينما قُدِّمَت ذبيحة التسبيح والحمد لله التي يُسرُّ الله
بها (مز ٦٩: ٣١).

٢. عندما اشترك ١٢٠ كاهنًا في التسبيح مع فِرَقِ الْمُعَنِّين من اللاويين الثلاثة. وكان الكهنة
بأبواقهم جميعًا واقفين شرقي المذبح [١٢]، وهو أقرب موضع للشعب.

٣. أعلن مجده عندما احتفلوا بمراحم الله الأبدية وصلاحه، فقد تكررت عبارة "لأن إلى الأبد
رحمته" ٢٦ مرة في المزمور ١٣٦. فمجد الله يُعلن برحمته وصلاحه.

ملأت سحابة المجد الهيكل، فأضفت جمالاً إلهياً، أكثر جمالاً من الذهب الذي غطَّاه، أو الحجارة
الكريمة التي زينته، ومع هذا فإن هذا المجد لا يُقَاس بالمجد العتيق أن يُستعلن ببشارة الإنجيل (٢ كو
٣: ٨-١٠).

السحابة التي حَلَّتْ وملأت بيت الرب أعلن بها الرب قبوله لهذا الهيكل، وأنه مثل خيمة الاجتماع
التي عملها موسى، لأنه بسحابة كان يعلن عن حضوره الإلهي عند دخول موسى إلى الخيمة (خر
٤٠: ٣٤).

❖ ليت ذلك الذي مات مع المسيح وقام معه يُسَبِّح. لبيته يُصَلِّي نحو الشرق. لأن هذا أيضاً كُتِبَ في
الكتاب الثاني لأخبار الأيام إنه بعد الانتهاء من هيكل الرب بواسطة الملك سليمان، في نفس عيد
التدشين وقف الكهنة واللاويون والمُعَنُّون نحو الشرق، يشكرون الله، ويُسَبِّحونه بالصنوج
والقيثارات^١.

الدسقولية

وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكُهَنَةُ أَنْ يَقِفُوا لِلْخِدْمَةِ بِسَبَبِ السَّحَابِ،

لَأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلَأَ بَيْتَ اللَّهِ. [١٤]

لم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب [١٤]، وهذا دليل

¹ Constitutions of the Holy Apostles, Book 7: 4: 44.

على أن الكهنوت اللاوي سيتوقف عن الخدمة عندما يأتي المسيء الذي سيحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، وحينما يأتي إلى هيكله، لأنه مثل نار المحمص، ومن يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره (مل ٣: ١-٢).

أعلن الله عن تقديره لضعف الكهنة الذين وقفوا لخدمته وعجزهم، إذ لم يحتملوا بهاء مجده. ما حدث للكهنة هنا حدث مع التلاميذ على جبل طابور حين دخلوا في السحابة (لو ٩: ٣٤).
يصف يوسيفوس ما حدث، قائلاً: [الآن ما أن وضع الكهنة كل شيء في موضعه بالنسبة للتابوت وخرجوا، حتى نزلت سحابة كثيفة، ووقفت هناك، وانتشرت بطريقة رقيقة داخل الهيكل. كانت سحابة منتشرة معتدلة، وليست سحابة بعاصفة كما نرى عند نزول المطر في فصل الشتاء. لقد أظلمت السحابة الموضع، حتى لا يستطيع كاهن أن يميز آخر. لكنها وهبت أفكار الجميع صورة منظورة ومجيدة لنزول الله في هذا الهيكل، وحلوله البهيج في داخل خيمته.]

من وحي ٢ أي ٥

لتستريح يا رب في قلبي!

❖ في تواضعك، وهبتَ شعبك تابوت عهدك،

علامة حضورك في وسطهم!

في البرية إذا ما تحركَ التابوت تحركوا،

وحيثما يتوقف توقفوا.

وإذ بنى سليمان هيكلك المقدس،

ووضعَ التابوت في قدس الأقداس.

هناك سُحِبَت العصي من التابوت،

فقد استقر أخيرًا في قدس الأقداس.

استقر حيث استقر شعبك في أرض الموعد!

❖ ليُعلن حضورك في داخلي.

كما استقر التابوت في قدس الأقداس،

وكما كنت تستريح في بيت مريم ومرثا ولعازر،

فلتستريح في قلبي، وأستريح أنا فيك.

❖ أعلنتَ قبولك للبيت الذي بناه سليمان،

واشترك في بنائه القادة والشعب وحتى بعض الغريباء،

بحلول سحابة مجدك فيه.

لم يستطع أي كاهن أن يرى أخاه الكاهن،

فإن أسراركَ الفاتحة سحبت كل قلوبهم وأنظارهم.

❖ ليُسبِّحك لساني مع قلبي.

ولتتهلل أعماقي بك،

وتُقدِّم لك تسبحة جديدة!

الأصحاح السادس

بيت الرب ومباركة الجمهور

هذا الأصحاح يُقابل ١ ملوك ٨، لكن كل من الأصحاحين يهدف إلى غاية مُعيَّنة. في ١ مل ٨، قيل إن العيد قد امتدَّ أربعة عشر يومًا، لأنه ارتبط بعيد المظال، ودُعي "تدشين البيت" (١ مل ٨: ٦٣). في اليوم الثامن، اليوم العظيم من العيد، صرف الملك الشعب (١ مل ٨: ٦٥-٦٦). أما في أخبار الأيام، فقليل إنهم عملوا في اليوم الثامن اعتكافًا (٢ أي ٧: ٩). يُشير اليوم الثامن إلى الحياة الأبدية، حيث هو اليوم الأول من الأسبوع الجديد، وكأن هذا العيد يرتبط بكل من لهم نصيب في بهجة القيامة. إذ حلَّ مجد الرب في بيته المقدس، وأعلن عن حضوره الإلهي وسط شعبه، استغلَّ سليمان الحكيم الفرصة ليطلب لشعبه بركة الرب، كما قدَّم صلاة إلى الرب ليتمجَّد في شعبه خلال هيكله المقدس (راجع ١ مل ٨).

يمكن الرجوع إلى تفسيرنا لملوك الأول الأصحاح ٨ بخصوص أقوال الآباء عن "تدشين الهيكل".

١. لقاء مع الساكن في الضباب . ٢-١
٢. الملك يبارك كل الجمهور . ١١-٣
٣. صلاة أمام مذبح الرب . ٤٢-١٢
- أ. مطالبة الرب بوعوده . ٢٠-١٢
- ب. الله قاضي الشعب الرحوم . ٢٣-٢١
- ج. الله قائد الجيش ومُحرِّر الشعب . ٢٥-٢٤
- د. الله قابل التوبة . ٣١-٢٦
- هـ. الله المُترَفِّق بكل الشعوب . ٣٣-٣٢
- و. الله المُدافع عن مؤمنيه . ٣٩-٣٤
- ز. قوة الصلاة في بيته . ٤١-٤٠
- ح. اذكر مراحم داود عبدك . ٤٢

١. لقاء مع الساكن في الضباب

حِينَئِذٍ قَالَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. [١]

تمَّ بناء الهيكل، ووُضِعَ كل أثنائه المقدس، عندئذٍ تهيأ الكل بكل قلوبهم للقاء مع الله. ركع الملك على المنبر، ووقف الكهنة عند المذبح، وتهيأ اللاويون للعمل، واجتمع الشعب بروحٍ واحد، وإذا بالجميع يتمتعون بلحظات رهيبية مُفرحة. فقد أعلن الله على حضوره الإلهي ومجده، إذ امتلأ البيت بالسحاب (٥: ١٣)، وشعر سليمان بالتصاقه بالرب. ما شغله هو أن يبارك الرب كل جمهور إسرائيل.

كان سليمان مُحبًا لشعبه، كلما التصق بالرب، ازداد حُبُه لشعبه، واشتهى لهم فيضًا من البركات الإلهية.

حقًا كان سليمان مُتهللاً ومعزًا بأنه بنى للرب بيتًا، يسكن فيه إلى الأبد. بناه، لا بروح التشامخ والكبرياء، ولا لأجل مجده الذاتي مثل أحشوريش الذي أقام وليمة ليُعلن عن غناه ومجده وعظمة مملكته (أس ١: ٤)، فتصرّف بغير لياقة. أما سليمان فقام بهذا العمل العظيم لغايةٍ رائعة، أن يُعلن الله سكناه الدائم في وسط شعبه.

الله نور، فلماذا يسكن في الضباب؟ يسكن الله في سماء السماوات في النور الإلهي، حيث لا تُقدّر عين بشرية أن تطلّع إليه. أما هنا فيسكن في الضباب أو السحاب الكثيف حتى يمكننا أن نلتقي به، عندما يعلن ذاته في أعماق نفوسنا.

يُشير سليمان إلى كلمات الرب لموسى النبي على جبل سيناء: "ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب، لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك، فيؤمنوا بك إلى الأبد" (خر ١٩: ٩؛ راجع خر ١٩: ١٦؛ تث ٤: ١١؛ ٥: ٢٢). لم يكن ممكنًا للشعب أن يتمتع بالنور الإلهي، إذ قال الرب: "لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠).

❖ الرب في الضباب، هو في النور وفي الضباب أيضًا. هو في النور بالنسبة للمبتدئين الذين يتحدّث معهم بوضوح، لكنه بالنسبة للمتقدمين يُحدّثهم بطريقة سرائرية *Mystically*، فهو لا يتحدّث مع الرسل كما مع الجماهير، إذ يتحدّث مع الرسل بطريقة سرائرية. ماذا يقول؟ "من له أذنان للسمع فليسمع" (لو ٨: ٨). هذا هو معنى "وضباب حوله"، أي حوله أسرار. لهذا يقول في سفر الخروج إن كل الشعب كانوا واقفين أسفل، وأما موسى وحده فصعد على جبل سيناء في ضباب سحابة ثقيل، لأن كل شعب الله غير قادر على التعرّف على الأسرار، أما موسى فكان

وحده يقدر أن يفهم. لهذا يقول الكتاب: "جعل الظلمة سِتْرَهُ حوله" (مز ١٨ : ١١).^١

القديس جيروم

❖ "جعل الرب الظلمة سِتْرَهُ حوله" (مز ١٨ : ١١). من هذا يتضح أن الأفكار عن الله المتاحة أمام الفهم البشري وبالاستحقاق الشخصي، لا تتسم بالوضوح أو التأكيد. إذ يخفي الله ذاته كما في ظلمة، عن أولئك الذين هم غير قادرين على معاينته - جزئياً - بسبب عدم نقاء عقولهم المرتبطة "بأجساد تواضعهم" (في ٣ : ٢١) الإنسانية، وجزئياً لقدرتهم المحدودة على إدراك الله. مما جعل النبي يشير إلى عمق العقيدة عن الله، التي هي فوق متناول نفس الروح وقد "أُغْلِقَتْ" (إش ٢٢ : ٢٢) و"خُتِمَتْ" (إش ٢٩ : ١١) على كتابات إشعياء. فإذا كان الروح لم "يُفْضَ" كلام الأنبياء، فالحقائق الحبيسة لا يمكن أن تُفْضَ.^٢

العلامة أوريجينوس

وَأَنَا بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سَكْنَى مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الْأَبَدِ. [٢]

تكشف هذه الأصحاحات الستة الخاصة ببناء هيكل الرب عن مفهوم الهيكل في قلب سليمان:

١. بيت الرب (٦ : ١٠)، ومسكن له (٦ : ٢). ذُكِرَتْ كلمة "بيت" في الأصحاحات الثلاثة (ص

٧-٥) ٣٧ مرة.

٢. بيت البركة: يبدأ سليمان حديثه بقوله: "مبارك الرب" (٦ : ٤)، وفي نفس الوقت يُحَوِّل سليمان

وجهه ويبارك كل الجمهور (٦ : ٣). ففي بيته يلذ له أن يسكب بركاته علينا بفيضٍ.

❖ آه أيها الرب يسوع، ليتك ترفع عنا الخرنوب، وتهبنا البركات، لأنك أنت المسئول في بيت أبيك!

ليتك تَقْبَلْنَا عبيدًا، وإن كنا قد جئنا متأخرين؛ لأنك تَقْبَلُ الذين يأتون في الساعة الحادية عشرة،

وتدفع لهم ذات الأجرة (مت ٢٠ : ٩)؛ تهبهم ذات الحياة، لكن ليس نفس المجد، فإكليل البر لا يُحْفَظ

للجميع، بل للذي يستطيع أن يقول "جاهدتُ الجهاد الحسن" (٢ تي ٤ : ٧)!^٣

القديس أمبروسيوس

٣. بيت الشهادة، هذا الذي يضم تابوت الشهادة أو العهد المقام بين الله وشعبه (٦ : ١٩).

^١ St. Jerome: On Psalms, hom 24.

^٢ Contra Celsus 6:17.

^٣ In Luc 15: 11- 32.

٤. **بيت الصلاة (٦: ١٢-٤٢):** أعلن الرب نفسه على لسان إشعياء النبي أنه يفتح بيته لكل الشعوب للصلاة. "أتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون مُحْرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب" (إش ٥٦: ٧).
وحيثما أساء اليهود استخدامه، قال الرب: "مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٣؛ لو ١٩: ٤٦).

٥. **بيت التسبيح (٧: ١-٣).**

٢. الملك يبارك كل الجمهور

كان معطيًا وجهه غالبًا نحو قدس الأقداس، الآن وقد ملأ السحاب بيت الرب حوّل وجهه نحو الشعب. أعطاهم وجهه، وفي نفس الوقت تحدّث مع الله، لكي يتمجّد الله بمباركته لشعبه.

وَحَوَّلَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ،

وَبَارَكَ كُلَّ جُمُوهٍ إِسْرَائِيلَ،

وَكُلَّ جُمُوهٍ إِسْرَائِيلَ وَأَقِفْ. [٣]

عادة يبارك الكاهن الشعب (عد ٦: ٢٢-٢٧)، ولكن في ظروف خاصة مثل هذه الظروف يستطيع الملك أن يبارك كما فعل داود (٢ صم ٦: ١٨، ٢٠). بارك سليمان الاجتماع كله، ومن خلالهم بارك كل الأمة.

نرى سليمان على منبره، الذي قام على صورة المذبح في البرية، يُصَلِّي عن الشعب، ويُسَبِّح الله كنائب عنهم، شفيعًا ومحاميًا عن شعبه أكثر من كونه ملكًا يصدر أوامر يطيعها الشعب.

لقد جثا على ركبتيه على المنبر ووسط يديه نحو السماء، وصَلَّى من أجل شعبه. إنه رمز للشفيع الإلهي الذي قيل عنه: "إن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا" (١ يو ٢: ١-٢).

يليق بكل مؤمنٍ حقيقيٍّ، حتى إن كان طفلًا صغيرًا، أن يُصَلِّي من أجل كل البشرية، لأنها محبوبة لديه جدًّا، ويطلب لهم البركات السماوية. إنه يحمل روح إلهه "الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٤).

وَقَالَ: مُبَارَكَ الرَّبِّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي كَلَّمَ بِفَمِهِ دَاوُدَ أَبِي،

وَأَكْمَلَ بِيَدَيْهِ قَائِلًا: [٤]

يرى البعض أن أفضل ترجمة لتعبير "مبارك الرب" هنا هو "الشكر للرب". قدّم الشكر لله على

اختياره أورشليم مدينة الله، واختياره داود، واختياره له (سليمان) أن يبني بيت الرب^١. يعترف سليمان في صلته لمباركة شعبه، أن هذا العمل العظيم هو عطية إلهية، لا فضل له فيها، إذ يقول: "مبارك الرب إله إسرائيل الذي كلم بقمه داود أبي" [٤]. هو عطية إله إسرائيل لأبيه. في تواضع يؤكد أن الفضل الأول هو لله واهب هذه العطية لا أبيه. وأن أباه أعدَّ العمل ودير الكثير، وكأنه الغارس، وسليمان سقى ما غرسه أبوه.

يتمسك المؤمن بوعود الله التي لن تخيب مُطلقًا، إذ هو أمين (١ يو ١: ٩). لقد كان مع إبراهيم خلال حياته، ووعده أن يكون مع إسحق (تك ٢٦: ٣؛ ٢٤)، ومع يعقوب (تك ٢٨: ١٥؛ ٣١: ٣؛ ٤٦: ١-٤).

جدد الوعد مع موسى (خر ٣: ١٢؛ ٣٣: ١٤). وكّرر ذلك مع يشوع (يش ١: ٥-٩؛ ٣: ٧؛ ٦: ٢٧).

ووعده أيضًا جدعون (قض ٦: ١٥-١٦)، وكّرر صموئيل الوعد للأمة (١ صم ١٢: ٢٢). شجع داود ابنه سليمان بهذا الوعد عندما سلّمه مسئولية بناء الهيكل (١ أي ٢٨: ٢٠)^٢. حسن بالمؤمن ألا يتجاهل فضل السابقين واللاحقين له، فيقول مع الرسول بولس: "أنا غرست وأبولس سقى، والله هو الذي ينمي" (١ كو ٣: ٧).

"الذي كلم بقمه داود أبي": يرجع سليمان إلى التاريخ في حديثه مع شعبه كما في صلته لله، فالماضي بالنسبة له أساس حي يبني عليه إيمانه بالله وعلاقته به.

هكذا يليق بنا نحن كمؤمنين أن نحسب اختيار الله لإبراهيم أبًا للأمم كثيرة وموسى كمستلم للشرعية وداود كملك لشعبه وسليمان كبان لبيت الله، إنما من أجلنا ولحسابنا. اختارنا نحن أيضًا أبناء له، يُسر بدخولنا في عهدٍ معه أو تجديد العهد معه، والتعرّف على الرسالة التي أعدّها لكل شخصٍ منّا.

مُنذُ يَوْمٍ أَخْرَجْتُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،

لَمْ أَخْتَرْ مَدِينَةً مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ لِبِنَاءِ بَيْتٍ لِيَكُونَ اسْمِي هُنَاكَ،

وَلَا اخْتَرْتُ رَجُلًا يَكُونُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ. [٥]

بَلِ اخْتَرْتُ أُورُشَلِيمَ لِيَكُونَ اسْمِي فِيهَا،

وَاخْتَرْتُ دَاوُدَ لِيَكُونَ عَلَيَّ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. [٦]

ما عمله سليمان لا فضل له فيه، فقد سار العمل حسب اختيار الله وخطته الإلهية ومعونته لأبيه

¹ Celline Mangán: 1-2 Chronicles, Ezra, Nehemiah, Ezra, p. 85-86.

² The Wiersbe Bible Commentary: Old Testament, Colorado, 2007, p. 630.

وله. لقد سرَّ الله أن تكون أورشليم مدينته، وداود ملكًا على شعبه.

وَكَانَ فِي قَلْبِ دَاوُدَ أَبِي أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ [٧]

فَقَالَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ أَبِي:

مَنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ فِي قَلْبِكَ أَنْ تَبْنِيَ بَيْتًا لِاسْمِي،

قَدْ أَحْسَنْتَ بِكَوْنِ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ. [٨]

جاءت شهوة قلب داود أن يبني بيتًا للرب تتناغم مع إرادة الله، لكن الذي يتم هذه الشهوة هو

سليمان بن داود.

إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ لَا تَبْنِي الْبَيْتَ، بَلِ ابْنُكَ الْخَارِجُ مِنْ صُلْبِكَ،

هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لِاسْمِي. [٩]

وَأَقَامَ الرَّبُّ كَلَامَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ،

وَقَدْ قُضِيَ أَنَا مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي،

وَجَلَسْتُ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ،

وَبَنَيْتُ الْبَيْتَ لِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. [١٠]

وَوَضَعْتُ هُنَاكَ التَّابُوتَ الَّذِي فِيهِ عَهْدُ الرَّبِّ،

الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [١١]

٣. صلاة أمام مذبح الرب

رَكَزَتْ هذه البركة على وعد الله لداود بخصوص هيكله [٧، ٩، ١٠].

يرتبط هذا الهيكل أو بيت الرب بثلاثة عهود:

العهد الأول مع إبراهيم، أُشِيرَ إليه باختيار جبل المريا، حيث قَدَّمَ إبراهيم ابنه مُحَرَّقَةً ليكون موقع

الهيكل (تك ١٧: ١).

العهد الثاني مع موسى على جبل سيناء في فترة الخروج، يشهد له تابوت العهد [١١].

العهد الثالث مع داود النبي [١٠]، يشهد له قيام سليمان بن داود ببناء الهيكل. كثيرًا ما ربط

السفر بين تابوت العهد وعرش داود. حتى في السبي البابلي حينما دُمِّرَ الهيكل وعانى تابوت العهد،

دُمِّرَ عرش داود وعانى بيت داود الكثير.

أ. مطالبة الرب بوعوده

صنع سليمان منبرًا من النحاس، وجعله في وسط الدار، له ذات أبعاد المذبح النحاسي في خروج

٢٧: ١. وقف سليمان على المنبر، ثم جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة إسرائيل، بسط يديه نحو السماء وصلى (٢ أي ٦: ١٣ الخ).

كأن هذا المنبر قد ارتبط بمذبح البرية أو مذبح الخيمة، حيث يتمجد سليمان كرمزٍ للسيد المسيح. مذبح الكفارة يشير إلى الصليب، حيث يحمل المسيح خطايا العالم ويكفر عنها، والمنبر هنا يشير إلى الجانب الآخر من الصليب، حيث يملك المصلوب في القلب، ويُعلنُ مجد ملكوته فيه. يمكن أيضاً القول بأن مذبح البرية يشير إلى الصليب العامل في البشرية، حامل آثامهم، لكي يرفعهم إلى الأمجاد الأبدية، أما المنبر فيشير إلى عمل المصلوب القائم من الأموات، حيث لا حاجة هناك إلى مغفرة، إذ لا يرتكب أحد في السماء خطية أو إثماً أو معصية ضد الله. بهذا فإن المذبح الذي خلاله ننال المغفرة من الله يصير عرشاً لله يملك بالبرِّ على قلوبنا.

وَوَقَّفَ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ تَجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ،

وَبَسَطَ يَدَيْهِ. [١٢]

سجد أمام المذبح وبسط يديه [١٢-٢١] يطالب بحفظ الله وعده لداود. وأن يفتح الرب عينيه على هذا البيت نهاراً وليلاً.

"بسط يديه": كثيراً ما تحدث الكتاب المقدس عن بسط اليدين، لكننا لا نجد صلاة واحدة في الكتاب المقدس بضمّ اليدين.

بسط اليدين يحمل معانٍ كثيرة منها:

١. دعوة للالتقاء مع الغير. ففي عتاب الله لشعبه الذي أعطاه القفا لا الوجه (إر ٣٢: ٣٣)، يقول: "بسطت يديّ طول النهار إلى شعب مُتمردٍ" (إش ٦٥: ٢؛ رو ١٠: ٢١).

٢. الشعور بأن الإنسان فارغ اليدين يترقّب عطايا الله وبركاته. هذه مشاعر عزرا الكاهن، القائل: "وعند تقدمة المساء، قمتُ من تذليّ وفي ثيابي وردائي الممزقة جثوت على ركبتيّ، وبسّطت يديّ إلى الرب إلهي" (عز ٩: ٥). كما قيل:

"إن أعددت قلبك، وبسّطت إليه يديك" (أي ١١: ١٣).

"بسّطت إليك يدي، نفسي نحوك كأرضٍ يابسة" (مز ١٤٣: ٦).

"عينيّ ذابت من الذل، دعوتك يا رب كل يوم، بسّطت إليك يدي" (مز ٨٨: ٩).

٣. يبسط الرب يديه ليعلن عن حنوّه ورحمته: "كما يُحرّك النسر عشّه، وعلى فراخه يرف ويبيسط جناحيه، ويأخذها ويحملها على منكبّيه" (تث ٣٢: ١١).

٤. **التشبه بالسمايين** خاصة الكاروبين الذين يبسطون أجنحتهم (١ مل ٦ : ٢٧؛ ٨ : ٧).

٥. يُستخدَم تعبير بسط اليدين أيضًا حينما يمدُّ كائن ما يده ليؤدب أو يؤذي آخر (مر ١ : ١٠).

٦. بسط اليدين يحمل أيضًا رمزًا للمصلوب **باسط يديه ليهب البشرية قوة الخلاص**، حيث يضمُّ المؤمنين من كل الأمم، ويحملهم إلى حضن الأب. يهب النصره على إبليس وكل قواته، كما بسط موسى يديه، وهب إسرائيل النصره على عماليق. قيل: "وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب" (خر ١٧ : ١١). وقف إسرائيل وعماليق في دهشة حين صعد موسى على الجبل وبسط يديه، إذ نظرا معركة غريبة وفريدة. تطلعا إلى موسى رمز المصلوب، فاشتتمَّ المؤمنون فيه رائحة الحياة، واشتمَّ العمالقة فيه رائحة الموت. وكما يقول الرسول بولس: "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المُخْلِصين فهي قوة الله" (راجع ١ كو ١ : ١٨). لقد ترك موسى الفريقين، لا ليصدر أمرًا لشعبه بالهجوم، بل يبسط يديه في صمتٍ.

يصوِّر لنا القديس مار يعقوب السروجي فاعلية بسط موسى يديه في المعركة، قائلاً:

❖ أيها الجسور انتظر النهاية! لماذا تلوم؟ انتظر كمال الأمر وبعندنذ عاتب (موسى).

لا تنظر فقط إلى تركه الحرب وصعوده، بل إلى بسطه يديه، وإعطائه النصره.

دعا تلميذه، وأمره أن يصطفَّ مُقابل الشعب، وصعد إلى جبلٍ عالٍ ليرسم سرًّا.

أخذ المتواضع هرون وحرورًا وصعدا معه (عد ١٢ : ٣)، لكي يُمثِّل الصلبان الثلاثة على الجلجثة

(مر ١٥ : ٢٧).

وضع صليبَ البأس على صدره، وبسط يديه، ليصوِّر الابنَ في فعله بأشكالٍ جليَّة.

وضع راية الصليب على الأكمة، فسقطت الشعوب، وأمال ظل (الصليب) بين الصفوف فأزكها.

كبَّت الخيول السريعة، وانهزم الرماة، وسقط الجبابرة، واندحر الفرسان، وتعثَّل المشاة، وفُهِرَ

السلاح.

ديست السهام، وأحقَّرت السيوف، وكُسرت الرماح، وألقيت الدروع والمجان والتروس مع الأقواس.

لم يُصَوِّب الرماة السهام من أوتارهم، ولم يقدر الفرسان أن يهربوا على خيولهم السريعة.

لم تستر الدروع الأجسام من الضربات، ولم تنتفع الأجساد اللابسة دروع مصاغة.

أسرَّت العجلات بقوَّادها بعجبٍ عظيمٍ، وأصيبَت بالشلل مسيرة الخيول القوية بفرسانها.

شَلَّت أيادي المحاربين عن المعركة، وحلَّ السكوت مع الحيرة بين الصفوف.

رماتهم اضطربوا، وألقوا (السهام) بدون تصويب هدف، وخيولهم مطاردة وهاربة بلا نجاة.

لم تحمهم تروسهم من السهام، ولا ردت مجانهم عنهم رماح محاربيهم.
لم يستفيدوا من الخوذة التي على رؤوسهم، ومن ورائهم لم يستتروا بدروعهم المصنّعة.
ولم يتشجّعوا بأفواج حاملي القلاع، ولم يتشدّدوا ببواسل جيوشهم.
لم يعرف عماليق الشقي أين يحارب، فقد كان الصليب ضده، وهو في جنون كي ينتصر!^١

القديس مار يعقوب السروجي

في الحديث عن ملامح الأيقونات القبطية تحت عنوان "أيقونات تمثّل رجال الصلاة"، أشرتُ إلى اهتمام الفنان القبطي بتصوير بعض القديسين باسطين أيديهم للصلاة، وقدّمت خمسة أمثلة لذلك، كما ذكرت:

[يقول واسل إن الفنان القبطي إذ يصور قديسين، يستخدم هذه الاتجاه، أي الصلاة، فيظهرون رافعين أيديهم للصلاة لله "Orant"، كأنهم يُعلنون أن الصلاة هي سرّ قداستهم.
نُقل هذا الاتجاه عن وضع السيد المسيح على الصليب، ويُعتبر من أهم الحركات الطقسية للكاهن أثناء خدمة الليتورجيا. وهو الوضع الذي يفضله الشهداء والقديسون في لحظات انتقالهم إلى الفردوس، كما استخدمته الكنيسة الأولى في الصلاة، إذ يقول العلامة تريليان: [ينظرون إلى فوق، بأيّد منبسطة مفتوحة، ورأس مكشوف].]

(لأنّ سُلَيْمَانَ صَنَعَ مَبْرَأً مِنْ نُحَاسٍ،
وَجَعَلَهُ فِي وَسْطِ الدَّارِ طَوْلُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ،
وَعَرْضُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَارْتِفَاعُهُ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ،
وَوَقَّفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَنَأَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ تُجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ،
وَبَسَطَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ) [١٣]

إذ تمّ بناء بيت الرب، لم يدعُ سليمان الملوك وقواد الجيوش والعظماء في الدولة الصديقة له ليتحدّث عن عظمة المباني وتكلفتها، والمجهودات الضخمة التي بذلها، إنما دعا جمهور الشعب مع الكهنة والقادة لينحني ويركع ويبسط يديه، ويكشف عما في قلبه أن كل ما صنّع لا يليق بعظمة الله القدير الذي لا تسعه السماوات والأرض.

لم يكن احتفاله استعراضاً لما حقّقه من مشروعات، وما يُحقّقه في السنوات القادمة، إنما التقاء مع

^١ راجع الميمر ١٥٨ الدكتور بهنام سوني؛ الخوري بولس الفغالي، ص ١٦٣-١٦٥.

^٢ راجع كتاب "الكنيسة بيت الله"، فصل: "الأيقونات القبطية".

الجمهور بروح التواضع للتمتع بالحضرة الإلهية، وتجديد العهد مع الله الذي في تواضعه أقام عهداً مع أبينا إبراهيم ونبية موسى ومرتل إسرائيل الحلو داود!

وقف على المنبر وركع وبسط يديه ليحمل رمز السيد المسيح المصلوب باسط يديه بالحب ليُحَقِّق المصالحة بين الأب والبشرية، ويحمل المؤمنين من كل الشعوب إلى الحياة السماوية.

وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ لَا إِلَهَ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

حَافِظَ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةَ لِعِبِيدِكَ السَّائِرِينَ أَمَامَكَ بِكُلِّ قُلُوبِهِمْ. [١٤]

لا يُضاهي الله في الكمال. كل الخلائق لها نظيرها وإخوتها من المخلوقات، أما الخالق فليس له نظير. هو فوق الجميع على الإطلاق، وعموماً "الله مبارك إلى الأبد".

إنه أمين في وعده ومخلص، جميع الذين يسبغون أمامه بكل قلوبهم يجدونه حافظاً للعهد معهم، ويربهم رحمة.

الَّذِي قَدْ حَفِظْتَ لِعِبِيدِكَ دَاوُدَ أَبِي مَا كَلَّمْتَهُ بِهِ، فَتَكَلَّمْتَ بِفَمِكَ،

وَأَكْمَلْتَ بِيَدِكَ كَهَذَا الْيَوْمَ. [١٥]

وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ احْفَظْ لِعِبِيدِكَ دَاوُدَ أَبِي مَا كَلَّمْتَهُ بِهِ قَائِلاً:

لَا يُعْذَمُ لَكَ أَمَامِي رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ،

إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ طُرُقَهُمْ حَتَّى يَسِيرُوا فِي شَرِيعَتِي،

كَمَا سَبَرْتَ أَنْتَ أَمَامِي. [١٦]

وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ،

فَلْيَتَحَقَّقْ كَلَامَكَ الَّذِي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ دَاوُدَ. [١٧]

لَأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللَّهُ حَقًّا مَعَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ؟

هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسَعُكَ،

فَكَمْ بِالْأَقْلِ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ! [١٨]

كان سليمان مغموراً بالمشاعر، إذ يرى أن كل ما فعله يُحسب كلا شيء وتافه! لا يليق بعظمة الله. كيف يُمكن للتقدير أن يسكن في بيت تبنيه الأيدي البشرية؟! هذه الحقيقة أشار إليها حين كتب لحيرام (٢ : ٦)، وها هو يُعلنها حتى في صلاته لله.

يقول الرب: "السماوات كرسي، والأرض موطن قدمي. أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟" (إش ٦٦ : ١). وقد أشار إستفانوس في خطابه لليهود عن ما ورد هنا على لسان سليمان وعلى لسان إشعياء النبي (أع ٧ : ٤٧-٥٠). وأكد بولس الرسول هذه الحقيقة في كرازته للأمم (أع

(١٧ : ٢٤).

لقد تحقق كل من سليمان وإشعيا وإستفانوس وبولس أن رغبة الرب في السكنى وسط شعبه، إنما من قبيل حُبِّه ونعمته وتواضعه.

فَالْتَفَتْنَا إِلَى صَلَاةِ عَبْدِكَ وَإِلَى تَضَرُّعِهِ، أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي،

وَأَسْمَعِ الصَّرَاخَ وَالصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ أَمَامَكَ. [١٩]

لِتَكُونَ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ نَهَارًا وَلَيْلًا،

عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قُلْتَ إِنَّكَ تَضَعُ اسْمَكَ فِيهِ،

لِتَسْمَعَ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ [٢٠]

تَطَّلَعَ يونان نحو الهيكل وصلَّى، والرب غفر له (يون ٢ : ٤)، ودانيال في أرض السبي تَطَّلَعَ إِلَى

أورشليم نحو الهيكل وصلَّى من أجل الشعب (دا ٦ : ١٠).

ب. الله قاضي الشعب الرحوم

وَأَسْمَعِ تَضَرُّعَاتِ عَبْدِكَ وَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

وَأَسْمَعِ أَنْتَ مِنْ مَوْضِعِ سَكْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ،

وَإِذَا سَمِعْتَ فَأَغْفِرْ. [٢١]

❖ الله موجود في كل مكان، لكنه يحب الذين يسعون إليه، ويأتون لبيته، وبالأخص الذين يتحملون أتعابًا كثيرة في سبيل ذلك.

وهو في بيته مستعد لكي يسمع صلوات المحتاجين.

حنة أخذت الوعد بميلاد صموئيل النبي وهي قائمة تُصَلِّي في الهيكل.

وحنة النبية بنت فنوئيل التي مكثت نحو ٨٤ سنة لا تُفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً

ونهارًا، هذه وقفت في الهيكل تُسَبِّحُ الرب، وتتبات عن ميلاد المسيح (لو ٢ : ٣٦-٣٨).

كذلك سمعان الشيخ أتى بالروح إلى الهيكل، وهناك رأى يسوع مع أمه، فأخذه على ذراعيه وتبارك

منه قبل أن يموت (لو ٢ : ٢٥-٣٢).

في الكنيسة تُقدِّمُ ذبيحة المصالحة، حيث يجتمع الشعب، وحيث يأتي الرب حسب وعده، ليحلَّ في

وسطهم.

فإذا كنت قد أغضبت الله في شيء، ففي الكنيسة تتصالح معه، لأن هناك تشفع فيك أرواح

القديسين، وربما أحد المؤمنين الأحياء أيضًا.

لذلك حينما تقف في الكنيسة لا تنسَ قط أنه يوجد معك من يُصَلِّي من أجلك دون أن تدري، وإذا كنت تشعر بضعف صلواتك، فتشجّع وخذُ لك أحد القديسين ليشفع فيك. كثيراً ما ندخل الكنيسة وقلوبنا باردة من جهة الصلاة، وهناك فجأة نشعر بحرارة العبادة وقوة الصلاة وما ذلك إلا معونة من القديسين ومن صلوات الكاهن أو من أحد المؤمنين المتواضعين. وكثيراً ما وقفنا جامدين غير مكترئين، وفجأة تلمح عيوننا أحد المُصَلِّين وقد انسكب سكيناً في الصلاة أمام الله، فتلتهب قلوبنا بغيره مقدسةً، وتسري فينا حرارة الصلاة.

القديس الأسقف بوتيّن

إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ إِلَى صَاحِبِهِ،

وَوُضِعَ عَلَيْهِ حَلْفٌ لِيُحَلِّقَهُ،

وَجَاءَ الْحَلْفُ أَمَامَ مَذْبَحِكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ [٢٢]

يتطلع الحكيم إلى بيت الله كمحكمة مهوية، فتعرض القضايا بين الأشخاص فيه، فإن وقع إنسان حلفاً أمام المذبح، يلتزم بأن يكون صادقاً. بدأ سليمان حكمه بأن قضى بالعدل بين الزانيتين (١ مل ٣: ١٦-٢٨)، لكنه يستحيل أن يستلم كل القضايا التي لشعبه.

يصعب على القضاء بكل أجهزته التدخل في كل كبيرة وصغيرة في المشاكل القائمة في الدولة، ويصعب على الإنسان أن يتعرف على الحقيقة، لذا يطلب سليمان من الله الفاحص للقلوب والعارف الأمور الخفية أن يتدخل من أجل تحقيق العدالة ورفع الظلم عن بلده وأرضه.

فَاسْمَعِ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ،

وَأَعْمَلْ وَأَفْضِ بَيْنَ عِبِيدِكَ،

إِذْ تُعَاقِبُ الْمُذْنِبَ، فَتَجْعَلْ طَرِيقَهُ عَلَى رَأْسِهِ،

وَتُبَرِّرُ الْبَارَّ، إِذْ تُعْطِيهِ حَسَبَ بِرِّهِ. [٢٣]

يطلب سليمان من الرب القدوس البار أن يتطلع إلى ما يحلُّ على الصديقين من ظلم وجور، ويقضي لهم بالحق.

ج. الله قائد الجيش ومحرر الشعب

يتطلع سليمان إلى تاريخ شعبه منذ خروجهم من مصر إلى آخر أيام أبيه داود، فيرى وراء كل نصره يد الله القديرة، ووراء كل هزيمة سقوط في الخطية وانحراف عن الحق الإلهي. غاية الهزيمة هي

رجوع شعبه إلى الحق وبنیان حياتهم.

هذا العمل الإلهي لا يلغي دور الرئيس أو الملك في الاهتمام بالأمر العسكري، وإقامة قادة حكماء وأصحاب خبرة، فإن الله لا يعمل مع المترخين والكسالى. من جانب آخر، فإن الله يهب النصر، ويسمح أحياناً بالهزيمة، ليحثنا على إدراك المعركة الخفية بين الإنسان وإبليس.

وَأَنْكَسَرَ شَعْبُكَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْعَدُوِّ،

لَأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ ثُمَّ رَجَعُوا،

وَأَعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ وَصَلُّوا وَتَضَرَّعُوا أَمَامَكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ [٢٤]

تَوَقَّعَ سُلَيْمَانُ الْحَكِيمُ أَنَّهُ سَتَمُرُ أَيَّامٌ صَعْبَةٌ عَلَى الشَّعْبِ، لِأَنَّهُمْ يَسْقُطُونَ فِي خَطَايَا، وَيَحْتَاجُونَ إِلَى تَأْدِيبٍ إلهيٍّ، حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ. يَطْلُبُونَ اللَّهَ فِي وَقْتِ الشَّدَةِ بجديةٍ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ [٢٤، ٢٦، ٢٨].

فَأَسْمَعِ أَنْتِ مِنَ السَّمَاءِ،

وَأَغْفِرِ خَطِيئَةَ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ،

وَأَرْجِعْهُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطِيْتَهَا لَهُمْ وَلِآبَائِهِمْ. [٢٥]

يُكْرِّرُ الْحَكِيمُ طَلْبَتَهُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرْحَمَ شَعْبَهُ مَتَى رَجَعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ.

❖ لنتوسل إلى مُخْلِصِ نفوسنا لكي ما يُحَطِّمَ رباطاتنا، وينزع عنا سجننا القاسي هذا، ويهبنا التحرُّر من ثقل تلك القيود الحديدية، ويجعل أرواحنا خفيفة أكثر من أي جناح. إذ نتوسل إليه علينا أن نساهم من جانبنا بغير متقدِّة سامية لها اعتبارها، فإننا بهذا يمكننا في وقتٍ قصيرٍ أن نتحرر من الشرور التي تضغط علينا، وندرك حالنا الذي كنا عليه سابقاً، ونتمسك بالحرية التي صارت لنا، والتي ننالها كهبةٍ من الله، بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبتة للبشر، الذي له المجد والسلطان إلى الأبد. آمين^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. الله قابل التوبة

بفكر إنجيلي عملي، يود القديس يوحنا الذهبي الفم ألا يُرَكِّز الإنسان على خطاياها، بل بالأكثر على واهب الملكوت، واهب الغفران. انشغال المؤمن بالسماء يرفع كل كيانه الداخلي كما بجناحي

¹ Homilies on Matthew, homily 14: 6.

الروح القدس، فيتعرّف على المجد المُعد له، كما يدرك حقيقة نفسه وضعفاته. يتعرّف على نعمة الله القادرة أن تُحوّل القلب من الفساد إلى عدم الفساد. بل وتُقيّم من القلب الترابي سماءً جديدة، ومن البشر شيبه ملائكة.

إِذَا أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ وَلَمْ يَكُنْ مَطَرٌ، لِأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ،

ثُمَّ صَلُّوا فِي هَذَا الْمَكَانِ،

وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ، وَرَجَعُوا عَنْ خَطِيئَتِهِمْ،

لَأَنَّكَ ضَايَقْتَهُمْ [٢٦]

فَاسْمَعِ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ،

وَاعْفِرْ خَطِيئَةَ عِبِيدِكَ وَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ،

فَتُعَلِّمَهُمُ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ الَّذِي يَسْلُكُونَ فِيهِ،

وَأَعْطِ مَطَرًا عَلَى أَرْضِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَهَا لِشَعْبِكَ مِيرَاثًا. [٢٧]

"ويا بني صهيون، ابتهجوا وافرحوا بالرب الهكم، لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقه، وينزل عليكم مطرًا مبكرًا ومتأخرًا في أول الوقت" (يو ٢: ٢٣).

"فتأنوا أيها الإخوة إلى مجيء الرب، هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين، متأنياً عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر" (بع ٥: ٧).

هذا هو المطر الذي وعد السيد المسيح تلاميذه أن يرسله إليهم من عند الآب علامة حبه لهم واهتمامه بهم، وكما جاء في الأمثال: "في نور وجه الملك حياة، ورضاه كسحاب المطر المتأخر" (أم ١٦: ١٥). ويقول هوشع النبي: "خروجه يقين الفجر، يأتي علينا كالمطر، كمطرٍ متأخر يسقي الأرض" (هو ٦: ٣). ويسألنا زكريا النبي أن نطلب هذا المطر المتأخر ليعمل في حياتنا: "اطلبوا من الرب المطر في أوان المطر المتأخر، فيصنع الرب بروقًا، ويعطيهم مطر الوابل، لكل إنسانٍ عشبًا في الحقل" (زك ١٠: ١). هذه هي عطية الله العظمى: "لنخف الرب إلهنا، الذي يعطي المطر المبكر والمتأخر في وقته، يحفظ لنا أسابيع الحصاد المفروضة" (إر ٥: ٢٤).

❖ يُعطي القدير مطرًا على الأرض، عندما يروي قلوب الأمم الجافة بنعمة الكرازة السماوية، ويرسل المياه على كل الأشياء، إذ بملء الروح يُحوّل عقم الإنسان المفقود إلى الإثمار، كما يقول الحق نفسه بشفتيه: "من يشرب من الماء الذي أنا أعطيه لن يعطش" (يو ٤: ١٤).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ المطر واحد بعينه ينزل على كل العالم، لكنه يصير أبيض في السوسنة، وأحمر في الوردية، وأرجواني في البنفسج والزنابق الأرجوانية اللون، يصير ألوانًا كثيرة متباينة في أطياب متنوعة. هو في النخلة شيء، وفي الكرمة شيء آخر، وهو الكل في كل الأشياء... يشكل نفسه حسب ما يستقبله، ويصير مناسبًا لكل زرع. هكذا الروح القدس، مع أنه واحد له طبيعة واحدة غير منقسم، يهب كل واحدٍ نعمته حسب مشيئته. عندما تُروى الشجرة الجافة تُصدر براعم. هكذا أيضًا النفس وهي في الخطية، إذ تتأهل بالتوبة لنعمة الروح القدس تزهو في بر.

خلال الروح الواحد في طبيعته، لكن بمشيئة الله وباسم الابن يقدم ثمارًا فاضلة متنوعة. فيستخدم لسان شخص للحكمة، وينير نفس شخص بالنبوة، ويهب آخر قوة إخراج الشياطين، وآخر عطية التفسير للأسفار المقدسة. إنه يسند ضبط النفس لشخص، بينما يعلم آخر العطاء، وآخر الصوم والتواضع، وآخر الاستخفاف بأمور الجسد، يهيب آخر للاستشهاد. إنه يعمل بطرقٍ مختلفةٍ في أشخاص مختلفين، مع أنه هو نفسه ليس فيه اختلاف¹.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ ليت نفوسنا تبارك الرب، وليباركنا الرب.

فعندما يباركنا الرب ننمو نحن، وعندما نبارك الرب ننمو نحن أيضًا، وفي كليهما نستفيد نحن (لا الله).

أولاً لتكن فينا بركة الرب، وعندئذٍ نباركه نحن، فهذا هو المطر (أي بركته لنا) وهي ذاتها الثمرة (أي نباركه بالبركة التي باركنا بها). إن المطر يريد كثر من الله صاحب الأرض الذي أمطر علينا وأفلحنا.

لنتعنى بهذه الكلمات، بعبادة مُثمرة، وكلمات غير جوفاء، ويقلب حقيقي. فإنه من الواضح أن الله الأب قد دُعي كرامًا (يو ١٥ : ١)، والرسول يقول: "أنتم فلاحه الله، بناء الله" (١ كو ٣ : ٩). كأنه يقوم بفلاحه حقله. فالله الأب كرام له حقل، يقوم بفلاحته وينتظر منه ثمرًا.

ويقول الرب يسوع نفسه أنه "عرس كرامًا... وسلّمه إلى كرامين"، هؤلاء مُلزمون بتقديم الثمار في أوانها.

¹ Catechesis 14:12.

❖ الأراضي المنخفضة تمتلئ، والأراضي المرتفعة تجف.

النعمة هي مطر، فلماذا تتعجبون إذن إن كان الله يقاوم المُتكبرين، ويعطي نعمة للمتواضعين (يع ٤ : ٦)؟ لذلك القول: "بخوفٍ وورعة" يعني بتواضع.

"لا تستكبر بل خف" (رو ١١ : ٢٠). خف حتى تمتلئ. لا تستكبر لئلا تجف!¹

القديس أغسطينوس

❖ كما أن الأرض الفقير لا تقدر أن تأتي بثمرٍ ما لم تستقبل ماءً، هكذا نحن الذين كنا قبلاً خشباً جافاً، ما كان يمكننا أن نحمل ثمر للحياة بدون المطر الفيض الذي من العلاء. لأن أجسادنا تتقبل الاتحاد مع عدم الفساد خلال غسل المعمودية، وأما نفوسنا فخلال الروح. هذا وذاك ضروريان لأجل هذا السبب، لأنهما يساهمان في الحياة الإلهية².

القديس إيريناؤس

إِذَا صَارَ فِي الْأَرْضِ جُوعٌ،

إِذَا صَارَ وِيَاءً أَوْ لَفْحًا أَوْ يِرْقَانًا أَوْ جَرَادًا أَوْ جَرَدَمًا،

أَوْ إِذَا حَاصَرَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ فِي أَرْضٍ مُدْنِهِمْ.

فِي كُلِّ ضَرْبَةٍ وَكُلِّ مَرَضٍ [٢٨]

كثيراً ما نُعاني من الضيقات، حتى نحسب أننا فقدنا كل شيء. بالتوبة نرجع إلى الرب، فنرتفع كما إلى السماء عينها.

❖ هنا عمل الطبيب، إنه ليس في محكمة، ولا في موضعٍ من يعاقب على خطية، إنما يهب غفران الخطية³.

❖ بعد أن عانى (الابن الضال) في كورة غريبة مما يستحقه الأشرار، فسقط تحت المصائب التي حلت به، أي الجوع والعوز، أحسّ بهلاكه، مُدركاً أنه بإرادته ألقى بنفسه في أيدي الغرباء بعيداً عن أبيه، فصار في منفى عوض بيته، وفي عوزٍ عوض الغنى، وفي مجاعة عوض الخيرات والترف؛ هذا هو ما عناه بقوله: "وأنا أهلك جوعاً" (لو ١٥ : ١٧).

كأنه يقول: إني لستُ غريباً، بل ابن لأبٍ صالح، وأخ لأخٍ مُطيع. أنا هو الحُر النبيل، قد صرت

¹ Sermons on N.T. Lessons, 81 :3.

² Adv. Haer. 3:17:2 PG 7:903 A.

³ Homilies on Penance 3: 4.

أقوى من العبيد الأجراء، سقطت من الرتبة العالية السامية إلى أحط درجة!¹

❖ لقد فقدتم الفردوس، لكن الله وهبكم السماء، حتى يؤكد حنوه، وأنه يهزم إبليس، مُظهرًا أنه حتى إن دبر عشرات الألوف من الخطط ضد الجنس البشري، فإنها لن تفيده، حيث يقودنا الله دائمًا إلى كرامة أعظم.

أنتم فقدتم الفردوس (جنة عدن)، والله فتح السماء لكم.

لقد سقطتم تحت الدينونة بالتعب إلى حين، وقد كُرمتم بالحياة أبدياً.

يأمر الله الأرض أن تتبث شوكة وحسكًا، أما تربة الروح، فتتبت لكم ثمرًا. ألا ترون أن الريح أعظم من الخسارة؟²

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَكُلُّ صَلَاةٍ وَكُلُّ تَضَرُّعٍ تَكُونُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ كَانَ،

أَوْ مِنْ كُلِّ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُلَّ وَاحِدٍ ضَرْبَتَهُ وَوَجَعَهُ،

فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ [٢٩]

فَاسْمَعِ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ، مَكَانَ سُكْنَاكَ، وَاعْفِرْ،

وَأَعْطِ كُلَّ إِنْسَانٍ حَسَبَ كُلِّ طَرَفِهِ كَمَا تَعْرِفُ قَلْبَهُ.

لَأَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ تَعْرِفُ قُلُوبَ بَنِي الْبَشَرِ. [٣٠]

الله وحده العارف لقلوب بني البشر، فكل أفكار الإنسان وأغراضه وميوله مكشوفة أمامه. مهما كانت تخيلات قلوبنا ونياتها مخفية عن البشر والملائكة والشياطين، لا يمكن أن تخفى عن الله الذي يعرف ليس فقط ما في القلب، بل يعرف القلب ذاته ونبضاته.

❖ قيل: "وإذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم هذا يُجَدِّف. فعلم يسوع أفكارهم، فقال: لماذا تُفكِّرون بالشرِّ في قلوبكم؟" (مت ٤: ٣-٤). ولكن هذا يخص الله وحده، أي معرفة سرائر الناس. اسمع ماذا يقول النبي: "أنت وحدك تعرف القلوب" [٣٠]. "فإن فاحص القلوب والكلى الله" (مز ٧: ٩). ويقول أيضًا إرميا: "القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس، من يعرفه؟" (إر ١٧: ٩). وهكذا بنصوص كثيرة نرى أن معرفة ما في الذهن تخصص الله وحده.³

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ De Patre et duobus filiis.

² Sermon in Gen. 7, PG 5: 614 C -D.

³ St. John Chrysostom: Homilies on St. Matthew, Hom. 29:2.

لِيَخَافُوكَ وَيَسِيرُوا فِي طُرُقِكَ كُلَّ الْأَيَّامِ،
الَّتِي يَحْيُونَ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطِيتَ لآبَائِنَا. [٣١]

هـ. الله المُتَرَفِّقُ بكل الشعوب

وَكَذَلِكَ الْأَجْنَبِيُّ الَّذِي لَيْسَ هُوَ مِنْ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ،
وَقَدْ جَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ الْعَظِيمِ،
وَيَدُوكَ الْقَوِيَّةِ وَدِرَاعَكَ الْمَمْدُودَةَ،
فَمَتَى جَاءُوا وَصَلُّوا فِي هَذَا الْبَيْتِ [٣٢]
فَأَسْمِعِ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُرْعَتِكَ،
وَأَفْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُوكَ بِهِ الْأَجْنَبِيُّ،
لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الْأَرْضِ اسْمَكَ،
فِيَخَافُوكَ كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ،

وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ اسْمَكَ قَدْ دُعِيَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بَنَيْتَ. [٣٣]

توقَّع سليمان أن بعضًا من الأمم الغريبة سيأتون إلى هيكل الرب من أرض بعيدة، ويخضعون
للإله الحي، عندما يكتشفون بطلان الأصنام والأوثان، ويُدركون أن الله هو سيد أرض كلها.

❖ هنا حنو الله، إنه لن يدير وجهه عن توبة صادقة، حتى إذا كان الإنسان قد اندفع إلى أقصى
حدود الشر، فعندما يعود إلى طريق الفضيلة سيقبله الله ويُرْحَبُ به، ويصنع معه كل شيء إلى أن
يُعيدَه إلى حالته الأولى.

الله يعمل إلى أقصى حدود الرحمة، حتى ولو لم يُظهر الإنسان توبته كاملة، فهو لا يتجاهل أمرًا
صغيرًا، أو زهيدًا، بل يعطي عن هذا جزءًا عظيمًا، ويظهر ذلك من قول النبي إشعياء: "من أجل إنَّ
مكسبه، غضبت وضربت، استترت وغضبت، فذهب عاصيًا في طريق قلبه، رأيت طريقه وسأشفيه
وأقوده، وأرد تعزيات له ولنأخيه" (إش ٥٧: ١٧-١٨).^١

القديس يوحنا الذهبي الفم

و. الله المدافع عن مؤمنيه

إِذَا خَرَجَ شَعْبُكَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِهِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي تُرْسِلُهُمْ فِيهِ،

^١ للمؤلف: سنعود بقوة أعظم للقديس يوحنا الذهبي الفم، ٢٠٠٠م، ص ١٦.

وَصَلُّوا إِلَيْكَ نَحْوَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا،

وَالْبَيْتِ الَّذِي بَنَيْتُ لِسْمِكَ [٣٤]

فَاسْمَعْ مِنَ السَّمَاءِ صَلَاتَهُمْ وَتَضَرُّعَهُمْ، وَاقْضِ قَضَاءَهُمْ. [٣٥]

إِذَا أَخْطَأُوا إِلَيْكَ (لَأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لَا يُخْطِئُ) وَغَضِبْتَ عَلَيْهِمْ،

وَدَفَعْتَهُمْ أَمَامَ الْعَدُوِّ،

وَسَبَّاهُمْ سَابُوهُمْ إِلَى أَرْضٍ بَعِيدَةٍ أَوْ قَرِيبَةٍ. [٣٦]

ليس على الأرض إنسان كامل بلا خطية، هذا أعلنه الحكيم أيضًا في سفر الجامعة (٧: ٢٠).

فَإِذَا رَدُّوا إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُسْبُونَ إِلَيْهَا،

وَرَجَعُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْكَ فِي أَرْضِ سَبْيِهِمْ قَائِلِينَ:

قَدْ أَخْطَأْنَا وَعَوَّجْنَا وَأَذْنَبْنَا. [٣٧]

وَرَجَعُوا إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ،

وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي أَرْضِ سَبْيِهِمْ الَّتِي سَبَّوهُمْ إِلَيْهَا،

وَصَلُّوا نَحْوَ أَرْضِهِمِ الَّتِي أَعْطَيْتَهَا لِآبَائِهِمْ،

وَالْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَ،

وَالْبَيْتِ الَّذِي بَنَيْتُ لِسْمِكَ [٣٨]

فَاسْمَعْ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَكَانِ سُنُوكَ صَلَاتَهُمْ وَتَضَرُّعَاتِهِمْ،

وَاقْضِ قَضَاءَهُمْ، وَاعْفِرْ لِشَعْبِكَ مَا أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيْكَ. [٣٩]

ز. قوة الصلاة في بيته

الآن يَا إِلَهِي، لِنَتَكُنْ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ وَأُذُنَاكَ مُصْنَعَتَيْنِ،

لِصَلَاةِ هَذَا الْمَكَانِ. [٤٠]

اشتهدى سليمان أن تكون عينا الرب مفتوحتين، وأذناه مصغيتين للصلاة التي تقام في هذا الهيكل.

أما الآن فقد حلَّ الرب بيننا، وصار كواحدٍ مئًا، قريبًا إلينا جدًّا. صار لنا حق الدخول إلى أحضان

الآب، وكل ما نطلبه باسم المسيح يُستجاب لنا.

جاء في كتاب حياة الصلاة: "كان أحد الرهبان يُهملُ حضور الصلوات بالرغم من وجوده في

المجمع، وفي ذات ليلة بينما هو واقف يُصَلِّي رأى عمود نورٍ مرتفعًا نحو السماء في المكان الذي

يجتمع فيه الإخوة، وجوار العمود النوراني، رأى نقطة من نور صغيرة تلمع بضياءٍ، ومرةً يخبو نورها

فلا تُرى. وبينما هو يتأمل في المنظر متعجباً، إذا بصوت الرب، قائلاً: "لماذا تتعجب؟ هوذا عمود نور صلاة الإخوة الذين يجتمعون معاً بصلاة نقية، أما هذه النقطة الصغيرة فهي صلاة الذين يعيشون في المجمع ويتخلفون عن صلواته. والآن إذا كنت تريد أن تعيش في وسط المجمع، فتمم كل قوانينه واجتماعاته المفروضة، وعندما تتقوى وتستطيع أن تحيا بمفردك بعيداً عن المجمع وتتقطع لصلاة فافعل ذلك."

وَالآنَ قُمْ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ إِلَى رَاحَتِكَ أَنْتَ وَتَابُوتُ عَزِّكَ.

كَهَنَتِكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ يَلْبَسُونَ الْخَلَاصَ،

وَأَتَقْيَاوُكَ يَبْتَهَجُونَ بِالْخَيْرِ. [٤١]

يختم سليمان صلواته هذه بعبارات استعارهما من أبيه الصالح داود عن سفر المزمور (١٣٢: ٨-١٠). لم يذكر سفر الملوك ما ورد هنا في نهاية صلاة سليمان.

"يلبسون الخلاص" أي ليس فقط يتمتعون بالخلاص، إنما يصيرون أداة لخلاص الآخرين بتقديم ذبائح البرّ.

"وأتقياؤك يبتهجون الخير"، فتصير خدمة الهيكل مصدر فرح وبهجة لكل الشعب، ويتمتعون بخيرات بيتك (مز ٦٥: ٤).

ح. اذكر مراحم داود عبدك

أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ لَا تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ.

أَذْكُرْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ عَبْدِكَ. [٤٢]

جاءت خاتمة الصلاة في الملوك تشير إلى موسى والخروج من عبودية فرعون، أما هنا فتشير إلى مراحم الله لداود عبده، ما يشغل سفر الملوك التحرر من عبودية فرعون وجنوده (إبليس وقوات الظلمة)، أما هنا فما يشغله هو قيام مملكة ابن داود، رب الأرباب وملك الملوك في كنيسة العهد الجديد.

يختم صلواته بطلبين:

١. إن كان الله قد مسحه ملكاً على شعبه، فإنه لن يستطيع أن يمارس هذه الرعاية إن صرف الله وجهه عنه. فممارسته للرعاية الملوكية، مصدرها ملك الملوك، الراعي الأعظم، بدونه يفشل في رسالته.

٢. إذ يذكر الله مراحم داود عبده. يشعر سليمان أنه يعتمد على وعود الله لأبيه داود، التي تحمل

رحمة ووعوًا وتعزية، هذه التي يشتهي الله أن يهبها لكل بشرٍ.

❖ علينا دائمًا أن نكرز عن رحمة الله! علينا أن نخبركم عن بحر محبته الفائقة الذي لا يُحد، لأننا نعيش ونحيا ونوجد برحمته^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي ٢ أي ٦

أجثو وأبسط يديَّ نحوك!

❖ وضع سليمان في قلبه أن يبني لك بيتًا.

كّرّس كل طاقاته، بل وكل طاقات الدولة لهذا العمل المجيد.

وعندما تمّ بناء الهيكل، انسحقت نفسه في داخله، مُفكّرًا:

أيّ مبنى يليق بمن لا تسعه الأرض والسموات؟!!

❖ لم يستعرض ما حققه أمام الملوك والعظماء.

إنما انطلق مع جمهور الشعب إلى بيتك.

انحنى وبسط يديه نحوك،

يوّد أن تعلن حلوك في وسط شعبك.

امتألاً البيت من السحاب والضباب،

وحلّت مخافتك على الجميع، مع فرحٍ مجيدٍ لا يُنطق به.

❖ فتح فمه ليباركك من أجل حبك وتنازلك.

ترى هل أدرك أن ببسط يديه صار رمزًا لك،

يا من صعدت إلى جبل الجلجثة،

وبسطت يديك الطاهرتين،

فسحقت التّنين تحت أقدام أولادك،

وفتحت أبواب السماء،

ليتهلل السمائيون بخلص البشرية.

^١ عن الابن الضال: ترجمة مار ملاطيوس برنابا.

❖ شارك سليمان موسى العظيم في الأنبياء مُستلمِ الشريعة.

الذي صعد على التل، وبسط يديه، لتقود المعركة بنفسك.
كلما بسط يديه تَمَّتَّ شعب الله بالنصرة،
وانسحق عماليق وتَحَطَّم.

هَبْ لي أن أجنو وأبسط يديّ نحوك، فأصرخ قائلاً:

مع المسيح صُلِّبْتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ!
أختفي فيك أيها المصلوب مُخَلَّص العالم.

فيلتهب قلبي بالإيمان والرجاء والمحبة.

أرى السماوات مفتوحة، تستمع إلى أُنَات قلبي.

أطلب من أجل كل تائه عن الطريق الحق.

وأسألك يا أيها الطبيب السماوي أن تشفي كل مريضٍ.

ويئن قلبي مع كل عريانٍ وجائعٍ ومحتاجٍ.

❖ بصليتك تفتح أبواب مراحمك، وتسكب علينا بركاتك!

بصليتك تسترنا من عار الخطية، وتُبَدِّد كل ظلمة فينا!

بصليتك نتحدّى إبليس والخطية وشهوات العالم وإغراءاته!

بصليتك تسحق رؤوس إبليس تحت أقدامنا!

بصليتك نمارس بنوَّتنا لأبيك ونصير سُفراء لك.

بصليتك نَتَشَكَّل فينا، ونصير أيقونة حيَّة لك!

بصليتك تجمعنا معاً، فنكون العروس الواحدة المقدسة!

بصليتك تتحوَّل وصاياك إلى حُلِي يُزِين قلوبنا!

بصليتك تُحوِّل قلوبنا الترابية إلى سماءٍ جديدة!

بصليتك ترفع قلوبنا إلى السماء، فلا نتلوَّث بأدناس العالم!

بصليتك لن تتسلل كراهية إلى قلوبنا حتى نحو أعدائنا.

نشتهي أن يُعلِنَ خلاصك حتى لمُقاومي الحق!

بصليتك يُجَدِّدُ روحك القدوس أعماقنا بلا انقطاع!

بصليتك تهبنا نعمةً فوق نعمةٍ، ومجدًا فوق مجدٍ!

بصليبك تكشف لنا أسرارك الإلهية المحيية!

بصليبك تتطلق بنا في رحلة مُمتعة إلى سماواتك!

بصليبك ننعم بالفرح السماوي والسلام الداخلي!

بصليبك ننتظر مجيئك على السحاب، لننتلق إليك!

بصليبك ننضم إلى خورس الطغمت السماوية!

بصليبك نصير كالشاروبيم، نظير نحو السماء، ونستقر في أحضانك!

لك المجد يا أيها المصلوب واهب القيامة والمجد!

الأصحاح السابع

استجابة الله لصلاة سليمان

قدم سليمان صلاة بروح التواضع مع الشكر والحمد لله الذي وهبه هذا العمل كعطية إلهية. في نفس الوقت لم يطلب شيئاً لنفسه، بل طلب الرحمة للشعب. ولم ينسَ ولا تجاهل دور أبيه في العمل. لهذا استجاب الله لصلاته، لأنها تتناغم مع إرادة الله المقدسة.

١. استجابة الصلاة علانية
٢. عجز الكهنة عن دخول بيت الرب
٣. ذبائح حيوانية مع ذبائح تسبيح
٤. احتفالات مبهجة
٥. الرب يتراءى لسليمان
٦. تحذير من الانحراف عن الوصية

١. استجابة الصلاة علانية

وَلَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ مِنَ الصَّلَاةِ،
نَزَلَتْ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ،
وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالذَّبَائِحَ،
وَمَلَأَ مَجْدُ الرَّبِّ الْبَيْتَ. [١]

لم ترد في سفر الملوك استجابة الصلاة علانية ومصادقة الله على تدشين الهيكل [١-٦]. إنها صورة رائعة لخبرة المؤمنين لعربون السماء وهم بعد في هذا العالم، في هذا الجسد. قبل أن يتحرك سليمان بعد صلاته، أعلن الله بسرعة فائقة استجابته للصلاة بنازٍ نزلت من السماء.

تكرر ذلك عندما قدم إيليا ذبيحة لله مقابل كهنة البعل الأربعمائة وخمسين وهم يصرخون ويجرحون أنفسهم من الصباح حتى الظهر (١ مل ١٨ : ٣٦-٣٩). أيضاً نزلت نار من عند الرب، وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم عند تكريس هارون رئيس الكهنة (لا ٩ : ٢٤).

ماذا يعني نزول النار؟ وما فاعليتها في حياة الحاضرين؟

١. أعلن الله لسليمان كما لكل الحاضرين من القادة والشعب بطريقة علنية أنه استجاب لصلاة سليمان، مع قبوله للملك وللبيت الذي بناه والعبادة التي قُدمت وللشعب الحاضر الاحتفال. بنزول النار أظهر الله رضاه على موسى (لا ٩ : ٢٤)، وجدعون (قض ٦ : ٢١)، وداود (١ أي ٢١ : ٢٦)، وإيليا (١ مل ١٨ : ٣٨). قيل بإشعياء النبي: "أخذت الرعدة المنافقين. من منّا يسكن في نارٍ آكلة؟!" (إش ٣٣ : ١٤)

٢. يرى البعض أن النار هنا تشير إلى حلول الله نفسه أو نزول مجده. فقد قيل: "الرب إلهك هو نار آكلة، إله غيور" (تث ٤ : ٢٤). وعندما تحدّث الله مع موسى على جبل سيناء نزلت نار (خر ٢٤ : ١٦-١٧). هكذا حلّ الروح القدس على هيئة ألسنة نارية بعد أن تقدست الكنيسة بذبيحة المسيح المصلوب (أع ٢ : ٣).

٣. شجع هذا الإعلان الكهنة والشعب أن يستمروا في الاحتفالات المبهجة لمدة أربعة عشر يومًا، وتشجّع سليمان أن يمجّد الله علانية.

٤. نزول النار أيضًا على الذبيحة، يشير أن الله لم يرسل نارًا تأكلهم بسبب خطاياهم، إنما يرسلها على الذبائح فتلتهمها، إشارة إلى قبول الذبائح كقارة عنهم، فيرتد غضبه عنهم. يلاحظ هنا أن النار لم تنزل عند نحر الذبائح، وإنما بعد إتمام الصلاة. فمع تقديم الذبيحة، يلزمنا أن ندخل في حوارٍ مع الله بكامل إرادتنا. فهو لا يدخل سفينة حياتنا بدون رضانا، فقد قيل: "فرضوا أن يقبلوه في السفينة" (يو ٦ : ٢١).

٥. نزول النار أيضًا يشير إلى نزول روح الله الناري ليلهب قلوبنا بنار حبه، ويحرق أشواك الخطية والشهوات المفسدة. حين كان السيد المسيح القائم من الأموات يتحدث مع تلميذي عمواس، قال كل منهما للآخر: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا حين كان يكلمنا؟!" (لو ٢٤ : ٣٢).

٦. يرى بعض الآباء أن نزول النار يشير إلى نزول أحد السمائيين، إذ قيل إن خدامه نار ملتهبة (مز ١٠٤ : ٤). يرى القديس مار يعقوب السروجي أن ما حدث مع إيليا حيث أبصر تلميذه أليشع مركبات نارية وخيول نارية حول الجبل، وأيضًا نزول نارٍ عندما قدم إيليا ذبيحة أنها فرق سماوية أو ملائكة.

❖ عندما رغب بولس الطوباوي ألا تبرد نعمة الروح المعطاة لنا، حذرنا قائلاً: "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥: ١٩)، حتى نبقي شركاء مع المسيح. ذلك إن تمسكنا حتى النهاية بالروح الذي أخذناه، إذ قال: "لا تطفئوا...". ليس من أجل أن الروح موضوع تحت سلطان الإنسان، أو أنه يحتمل آلاماً منه، بل لأن الإنسان غير الشاكر يرغب في إطفاء الروح علانية، ويصير كالأشرار الذين يضايقون الروح بأعمال غير مقدسة.

فإذ هم بلا فهم، مخادعون، ومحبون للخطية، وما زالوا سائرين في الظلام، فإنه ليس لهم ذلك النور الذي يضيء لكل إنسان آت إلى العالم (يو ١: ٩).

لقد أمسكت نار كهذه بإرميا النبي عندما كانت الكلمة فيه كناراً، قائلاً إنه لا يمكن أن يحتمل هذه النار (إر ٢٠: ٩)...

وجاء سيّدنا يسوع المسيح المحب للإنسان لكي يلقي بهذه النار على الأرض، قائلاً: "ماذا أريد لو اضطرمت؟" (لو ١٢: ٤٩).

لقد رغب الرب - كما شهد حزقيال (حز ١٨: ٢٣، ٣٢) - توبة الإنسان أكثر من موته، حتى ينتزع الشر عن الإنسان تماماً، عندئذ يمكن للنفوس التي تنقّت أن تأتي بثمر. فنثمر البذور التي بذرها (الرب)، البعض بثلاثين والبعض بستين والآخر بمائة.

وكمثال، كليوباس وذلك الذي معه (لو ٢٤: ٣٢) مع أنهما كانا ضعفين في بداية الأمر بسبب نقص معلوماتهما، لكنهما أصبحا بعد ذلك ملتهبين بكلمات المخلص، واطهرا ثمار معرفتهما. وبولس الطوباوي أيضاً عندما أمسك بهذه النار (رو ١٢: ١١) لم ينسبها إلى دمٍ ولحمٍ، ولكن كمختبر للنعمة أصبح كارراً بالكلمة (المسيح)^١.

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ إننا نؤكد أن هذه النار التي أرسلها المسيح هي لخالص البشر ونفعهم، الله يهب كل قلوبنا أن تمتلئ بها. فإن النار هنا - كما أقول - هي رسالة الإنجيل الخلاصية وقوة وصاياه، فإننا جميعاً نحن الذين علي الأرض باردون وأموات بسبب الخطية وفي جهالة... نلتهب بالحياة التقوية ونصير "حارين في الروح" (رو ١٢: ١١) كتعبير الطوباوي بولس. بجانب هذا نصير شركاء في الروح القدس الذي هو مثل نارٍ في داخلنا...

هذه هي عادة الكتاب المقدس الإلهي الموحى به أنه يلقب الكلمات الإلهية المقدسة أحياناً باسم

¹ Paschal Letters, 3:4.

"تار"، ليظهر فاعلية الروح القدس وقوّته، الذي به نصير نحن حارين في الروح. تحدّث أحد الأنبياء القديسين في شخص الله عن المسيح مخلص الجميع: "يأتي بغتة إلي هيكله السيّد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به، هوذا يأتي قال رب الجنود؛ ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المحمص ومثل أشنان القصّار، فيجلس محمصاً ومنقياً للفضة" (ملا ٣: ١-٣). يقصد بالهيكل الجسد الذي هو مقدّس بالحق ليس فيه دنس، وُلد من العذراء القديسة بالروح القدس بقوّة الآب. فقد قيل للعذراء الطوباوية: "الروح القدس يحل عليك وقوّة العلي تظلك" (لو ١: ٣٥). وقد حسبه "ملاك (رسول) العهد، إذ جاء يكشف لنا عن إرادة الآب الصالحة ويخدمنا. كما يقول بنفسه: "لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥)... وكما أن الذين يعرفون كيف ينقون الذهب والفضة يستخدمون النار... هكذا يطهر مخلص الكل فكر كل الذين يؤمنون به بتعاليم بقوّة الروح...

بماذا نفسر الجمرّة التي لمست شفني النبي (إش ٦: ٦-٧) وطهرته من كل خطيئة؟ إنها رسالة الخلاص، والاعتراف بالإيمان بالمسيح، من يتقبل هذا في فمه يطهر. هذا ما يؤكده لنا بولس: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو ١٠: ٩). إذًا، نقول إن قوّة الرسالة الإلهية تشبه جمرّة حيّة ونازًا. يقول إله الكل للنبي إرميا: "هأنذا جاعل كلامي في فمك نازًا، وهذا الشعب حطبًا فتأكلهم" (إر ٥: ١٤)، "أليست هكذا كلمتي كنارٍ يقول الرب؟" (إر ٢٣: ٢٩)¹.

القديس كيرلس الكبير

٢. عجز الكهنة عن دخول بيت الرب

وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَدْخُلُوا بَيْتَ الرَّبِّ،

لَأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلَأَ بَيْتَ الرَّبِّ. [٢]

قال الرب لموسى: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠).

❖ يستحيل علينا أن نتطلع إلى الله بأعينٍ بشرية، لأن غير الجسدي لا يقع تحت الأعين الجسدية. وقد شهد الابن الوحيد، ابن الله نفسه، قائلاً: "الله لم يره أحد في أي زمان". فإن فهم أحد مما ورد في حزقيال أنه رأى الله (حز ٢٨: ١)، فإنه ماذا يقول الكتاب المقدس؟ إنه رأى "شبه مجد الله"،

¹ In Luc Ser 94.

وليس الرب ذاته كما هو في حقيقته، بل شبه مجده. فإن كانت رؤية شبه المجد تملأ الأنبياء رعدة، فبالأكيد إن حاول أحد رؤية الله ذاته يموت، وذلك كالقول: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠) "لا يراني ويعيش". من أجل هذا فإن الله بحنو رحمته بسط السماوات أمام لاهوته لكي لا نهلك. لست أقول هذا من عندي، بل هو قول النبي: "لبيك تشق السماوات وتنزل، من حضرتك تتزلزل الجبال" وتذوب (إش ٦٤: ١).

لماذا تتعجب من سقوط دانيال عند رؤيته شبه المجد، إن كان دانيال عند رؤيته جبرائيل، الذي هو ليس إلا مجرد خادم الله، ارتعب للحال وسقط على وجهه، ولم يجسر النبي أن يجيبه بالرغم من أن الملاك نفسه جاء على شبه ابن بشر؟ (راجع دا ١٠: ٩، ١٦، ١٨). إن كان ظهور جبرائيل أربع الأنبياء، فهل يرى الإنسان الله كما هو ولا يموت؟!^١

القديس كيرلس الأورشليمي

وَكَانَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عِنْدَ نَزُولِ النَّارِ،
وَمَجْدِ الرَّبِّ عَلَى الْبَيْتِ،
وَحَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى الْبَلَاطِ الْمَجْرَعِ،
وَسَجَدُوا وَحَمَدُوا الرَّبَّ،
لَأَنَّهُ صَالِحٌ وَإِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ. [٣]

كان رد الفعل لهذه النار المقدسة أن امتلأت قلوب الكهنة بمخافة الرب، ولم يستطيعوا أن يدخلوا بيت الرب، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب. أما الشعب فخرّوا وسجدوا وحمدوا الرب [٣]. حين نزلت النار السماوية لم يهرب الكهنة ولا الشعب خائفين، بل مع الشعور بخوف الرب المقدس امتلأت قلوبهم بالسلام، وثبتوا أقدامهم أمام الرب. لقد كرموا المجد الإلهي في خضوع تصحبه المخافة مع المسرة. امتزجت مشاعرهم بعدم الاستحقاق للحضرة الإلهية مع شوق حقيقي للعبادة له بكل خشوع كما مع القوات السماوية.

بنزول النار الإلهية انطلقت ألسنتهم بالتسبيح، قائلين: "إنه صالح وإلى الأبد رحمته". إنها تسبحة تُقدم لله على الدوام من السمايين، كما من البشر الأتقياء. كأن الكهنة مع الشعب صرخوا قائلين: "إنه من مراحم الرب أنه لم يرسل نارًا تلتهمنا، إنما تلتهم الذبيحة عوضًا عنا؛ تحرق أشواك خطايانا، وتلهب مشاعرنا بنار الحب الإلهي.

^١ مقال ٩: ١.

موضوع التسبيح والشكر هو الله نفسه، بكونه الصالح. وصلاحه فريد ومطلق. إنه حاضر في وسط شعبه، حافظ العهد، القائد الحقيقي، أعظم وأقدر من كل القادة البشريين، وكل الطغمت السماوية .

صالح كخالقٍ أوجدنا من العدم، وخلق كل ما نحتاج إليه.
صالح كمخلصٍ، فإن أصابنا ضرر أو فساد بسبب خطايانا يبقى الصالح الذي يُصلح ما أفسدناه.
صالح كقائدٍ، يبعث قادة، بل ويود أن يقيم من كل إنسانٍ قائداً، ويبقى هو القائد الخفي القادر أن يدخل بنا إلى أحضانه.

صالح كمحاربٍ، فهو نصير الضعفاء والمظلومين والذين ليس لهم من يسندهم.
صالح كمعينٍ، يرفع خليفته، ويهتم بكل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياتنا، حتى بكسرة الخبز التي نحتاج إليها.

صالح كسماويٍ، يسكن في السماء لا ليعتزل الأرضيين، إنما يود أن يجعل منهم أشبه بطغمة شبه سماوية، ويُعد لهم أماكن في السماء، لكي يأتي ويأخذهم، ويهبهم شركة أمجاد سماوية.

❖ "لأن إلى الأبد رحمته". يقول المرثل: "في الهاوية من يحمذك؟" (مز 6: 5) فإنه يستحيل بالنسبة لأي أحدٍ في الهاوية أن يندم على خطاياها.
مادمت في هذا عالم؛ أتوسل إليك أن تتوب.
اعترف، واحمد الرب، فإن فقط في هذا العالم الرب رحوم. هنا يقدر أن يتعطف على التائب، أما هناك فهو ديان وليس رحوماً.

هنا هو رؤوف ولطيف، هناك هو ديان.
هنا يبسط يديه للساقطين، هناك يرأس كقاضٍ.
أقول الآن هذا كله لنفع أولئك الذين يظنون أنه توجد ندامة على الخطية في الجحيم¹.

القديس جيروم

❖ فليقل بيت إسرائيل إنه صالح. إن إلى الأبد رحمته". لماذا يشير إلى بيت إسرائيل الذي عانى من السبي بلا حدود.

فقد استُعبد في مصر، وأُقتيد إلى أقاصي الأرض، وعانى متاعب لا حصر لها في فلسطين.

¹ Homily 32 on Ps 105 (106).

يقول: حقًا إنهم على وجه الخصوص شهدوا لخيراته الكثيرة، وتمتعوا أكثر من غيرهم. أتعبهم ذاتها علامة على رعايته العظيمة.

وإن فحصت الأمر بدقة، فإنهم يلتزمون بتقديم الت شكرات على مجيء المسيح منهم فوق كل شيء. أقصد إن كانوا قد عانوا من محن، فبسبب جحودهم، لا بسبب من جاء (يسوع المسيح). فقد جاء إليهم وكما ترون، وأخبرهم دومًا: "لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة" (مت ١٥: ٢٤). كما قال للتلاميذ: "إلى طريق أمم لا تمضوا... بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت ١٠: ٦-٥). وقال للمرأة الكنعانية: "ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب" (مت ١٥: ٢٦).

صنع كل شيء في الواقع، وشغل نفسه بخلاص هذا الشعب. الآن إن أظهروا أنهم ليسوا أهلاً لهذا الإحسان، فليفكروا في انحطاطهم وجحودهم الزائد^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه صالح، لا يهبنا صلاحًا مؤقتًا، بل رحمته دائمة إلى الأبد. بمعنى أن النفع الذي يقدمه لكم، إنما يمنحه برحمته أبدياً^٢.

القديس أغسطينوس

٣. ذبائح حيوانية مع ذبائح تسبيح

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ وَكُلَّ الشَّعْبِ ذَبَحُوا ذَبَائِحَ أَمَامَ الرَّبِّ. [٤]

أشعلت هذه النار قلب الملك مع قلوب الشعب بالحب، فإن كانوا قد سبق فقدّموا ذبائح، الآن قدّموا ذبائح أكثر. كلما أعلن الله رضاه ومسرته بنا يزداد بالأكثر شوقنا للعبادة والخدمة بلا فتور.

❖ أنصت إلى صوت النبي: "أذبح لك طوعًا يا رب". تعلم كيف تقدم احتمالاً للمشقة بإرادتك الحرة. الإنسان الذي يكتشف إهماله، متهمًا نفسه، ومحملاً طوعًا المشقة، لن يعبر به يوم دون أن يتأسف...

ليتأمل كل واحدٍ منكم في عطية الحرية العجيبة التي يهبها المسيح لشعبه المخلص خلال الميلاد الجديد واهب الحياة...، وخلال سكب الروح القدس. إنه يدرك أن الله لن يُخدم بفتور. فإننا وإن قدّمنا

¹ On Ps. 118.

² On Ps. 136 (135).

الله كل يوم أية كرامةٍ أو عطيةٍ في مقدورنا، لن نفيه حقه...
إذن، ليتنا فوق كل شيءٍ نحرر قلوبنا من الالتصاق بالشر، حتى يمكننا بطريقة أفضل أن نقتات
بثمار العدل...

"أذبح لك طوعاً". لم يستخدم النبي هذه العبارة بلا سبب حين يودع نفسه لدى الله. كان يدرك أن
كثيرين قدموا خدمتهم عن إلزام، فكانت قلوبهم معارضة للخدمة. كانوا يعدون بشيءٍ بأفواههم،
ويدبرون في قلوبهم شيئاً آخر.

"أذبح لك طوعاً"، فإنه وإن كانت العطايا قليلة في ذاتها، فإنها تصير عظمة بسبب الرغبة في
تقديمها بمسرة. أما تلك التي عن إلزام، فغالبًا ما تُفسد مقدم العطية. هكذا من يُعد مائدة عن غضبٍ،
يشتكي دومًا من تكلفتها.

"أذبح لك طوعاً"، بمعنى أقدم العطية طوعاً.

لنقدم تقدمة لخالقك كل يوم بفرح، تقدم القليل بلسانك، وتُعد عطية التسبيح بكلمات تنطق بالعدوية.
أسرع أيضًا بروح التقوى لتنتم الخدمة المعهود بها إليك. لتتهنم بكلمات النبي "تقدمت فمي طوعاً
مقبولة يا رب"¹.

الأب فاليريان

وَدَبِحَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ ذَبَائِحَ مِنَ الْبَقَرِ:
اثْنَيْ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَمِنَ الْعِزْمِ مِئَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا،
وَدَشَنَ الْمَلِكُ وَكُلُّ الشَّعْبِ بَيْتَ اللَّهِ. [٥]
وَكَانَ الْكَهَنَةُ وَاقِفِينَ عَلَى مَحَارِسِهِمْ،
وَاللَّاوِيُّونَ بِأَلَاتٍ غِنَاءِ الرَّبِّ الَّتِي عَمِلَهَا دَاوُدُ الْمَلِكُ،
لَأَجْلِ حَمْدِ الرَّبِّ، لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ،
حِينَ سَبَّحَ دَاوُدُ بِهَا وَالْكَهَنَةُ يَنْفُخُونَ فِي الْأَبْوَاقِ مُقَابِلَهُمْ،
وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ وَاقِفٌ. [٦]

امتزجت هذه الذبائح الدموية بذبائح التسبيح بفرح.

لما كان سفر الأخبار هما سفر العبادة لله، فقد اهتمّا بدور التسبيح في العبادة، في كل مناسبة
يتمجد فيها الله. كان اللاويون يسبحون، والكهنة يضربون بالأبواق، وكل إسرائيل واقف. هذا وقد

¹ Fr. Valerian: Homilies 3.

صحب التسبيح تقديم الذبائح في الهيكل.

٤ . احتفالات مبهجة

وَقَدَّسَ سُلَيْمَانُ وَسَطَ الدَّارِ الَّتِي أَمَامَ بَيْتِ الرَّبِّ،
لَأَنَّهُ قَرَّبَ هُنَاكَ الْمُحْرَقَاتِ وَشَحَّمَ ذَبَائِحِ السَّلَامَةِ،
لَأَنَّ مَذْبِحَ النُّحَاسِ الَّذِي عَمِلَهُ سُلَيْمَانُ لَمْ يَكْفِ،
لَأَنَّ يَسَعَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَالشَّحْمِ. [٧]
وَعِيدَ سُلَيْمَانُ الْعِيدِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ،
وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ،

وَجُمُهُورٌ عَظِيمٌ جَدًّا مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى وَادِي مِصْرَ. [٨]
وَعَمِلُوا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ اعْتِكَافًا،
لَأَنَّهُمْ عَمِلُوا تَدْشِينَ الْمَذْبِحِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ،
وَالْعِيدِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. [٩]

وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ،
صَرَفَ الشَّعْبَ إِلَى خِيَامِهِمْ فَرِحِينَ وَطَيِّبِي الْقُلُوبِ،
لَأَجْلِ الْخَيْرِ الَّذِي عَمِلَهُ الرَّبُّ لِدَاوُدَ وَلِسُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ. [١٠]

بكل مسرة وغيره امتدت فترة الاحتفالات:

أ. عيد سليمان العيد سبعة أيام ومعه كل إسرائيل وجمهور عظيم جدًا [٨]، من اليوم الثاني إلى التاسع.

ب. في اليوم العاشر كان يوم الكفارة [٩].

ج. من اليوم الخامس عشر ابتداء عيد المظال حتى الثاني والعشرين [٩].

د. في اليوم الثالث والعشرين من الشهر صرف الشعب إلى خيامهم فرحين وطيبين والقلوب [١٠].

وَأَكْمَلَ سُلَيْمَانُ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ.

وَكُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِ سُلَيْمَانَ أَنْ يَعْمَلَهُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي بَيْتِهِ نَجَحَ فِيهِ. [١١]

هذه العبادة المملوءة فرحًا وبهجة سئدت سليمان، فأكمل رسالته الخاصة ببناء بيت الرب والقصر

الملكي وكل ما كان في فكره أن يعمل. واتسمت حياته بالنجاح!

العبادة الحيّة الصادقة تتمشى مع روح النجاح في كل جوانب الحياة، من أجل التمتع بالحضرة الإلهية.

٥. الرب يتراءى لسليمان

وَتَرَأَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ لَيْلًا، وَقَالَ لَهُ:
قَدْ سَمِعْتُ صَلَاتَكَ،

وَأَخْتَرْتُ هَذَا الْمَكَانَ لِي بَيْتَ ذَبِيحَةٍ. [١٢]

الله هو العامل والمدبر، فقد اختار بيته الذي دعاه "بيت الذبيحة"، وهو الذي اختار أورشليم كمدينة الله يُقام فيها بيته، واختار داود ملكًا على شعبه.

ترأى الله لسليمان ليلاً، لتأكيد قبول الله عمله ورضاه، بل ومسرته لأجل أمانة سليمان وإخلاصه وغيرته وأسلوبه الروحي في بناء بيت الرب. وليعلن له مباشرة عن قبول صلاته التي سبق أن سجلها الأصحاح السادس [١٢].

بيت الذبيحة: دعا الهيكل أو بيت الرب "بيت الذبيحة". يدعو القديس أغناطيوس النثيوفورس الكنيسة: "موضع الذبيحة"، فهي الجلجثة التي رُفِعَ عليها السيد المسيح المصلوب ذبيحة خطية عن العالم كله.

يدعو الرب نفسه الهيكل "بيت ذبيحة"، وهذا يحمل معنيين:

١. يلزم أن ترتبط العبادة بالذبيحة، فلن نستطيع الاقتراب من الله بدون سفك دم، حيث تتحقق المغفرة بدم رب المجد يسوع.

٢. أورشليم هي الموقع المناسب لتقديم الذبيحة. لقد بذل كل من حزقيا ويوشيا كل الجهد لإغلاق كل مكان آخر لتقديم ذبيحة للرب.

إِنْ أَغْلَقْتُ السَّمَاءَ وَلَمْ يَكُنْ مَطَرٌ،

وَإِنْ أَمَرْتُ الْجَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ الْأَرْضَ،

وَإِنْ أَرْسَلْتُ وِيَاءَ عَلَى شَعْبِي [١٣]

فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ،

وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمُ الرَّدِيئَةِ،

فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ، وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ. [١٤]

يعلن الله استجابته الكاملة للصلاة، الأمر الذي لم يذكر في سفر الملوك.

وعد الله بقبول توبة شعبه ورجوعه إليهم "أسمع من السماء، وأغفر خطيتهم، وأبرئ أرضهم".

❖ عندما يجتمع الشعب العادي ويتفقون معاً، يصير الأمر عظيماً ولا يمكن تجاهل صلوات الكثيرين
(٢ أي ٧: ١٤؛ مت ١٨: ١٩)^١.

الأب أمبروسياستر

الآن عَيْنَايَ تَكُونَانِ مَفْتُوحَتَيْنِ،

وَأُذُنَايَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَلَاةِ هَذَا الْمَكَانِ. [١٥]

وَالآنَ قَدْ اخْتَرْتُ وَقَدَسْتُ هَذَا الْبَيْتَ، لِيَكُونَ اسْمِي فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ،

وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الْأَيَّامِ. [١٦]

وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ،

وَعَمِلْتَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ،

وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي [١٧]

وعد الله بحفظ عهده مع داود إن حفظ نسله الوصية الإلهية.

إذ يدرك سليمان عجزه وعجز كل بشرٍ عن تنفيذ الوصية، جاء في صلاته: "ليكن الرب إلهنا معنا، كما كان مع آبائنا، فلا يتركنا ولا يرفضنا، ليميل بقلوبنا إليه، لكي نسير في جميع طرقه ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أوصى بها آبائنا" (١ مل ٨: ٥٧-٥٨). أما من جانب الإنسان فيقول: "فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب إلهنا، إذ تسيرون في فرائضه، وتحفظون وصاياه كهذا اليوم" (١ مل ٨: ٦١).

الله من جانبه تراءى لسليمان، وملاً بيته بالمجد، وسكب فرحاً وتهليلاً في قلوب الحاضرين. غير أنه من جانب سليمان والقادة والشعب يلتزمون بالطاعة للوصية والشعور بالمسئولية، فيتجاوبون مع مراحم الله ونعمته. هكذا يقدم لنا الرب نعمته لتهينا عذوبة الوصية، وإمكانية الشركة مع الله، ومن جانبنا يلزمنا الجهاد بالرب، بغير إهمالٍ أو تراخٍ.

❖ إنني أرى أن نعمة الروح القدس على أتم استعداد لكي تملأ أولئك الذين يعزمون منذ البداية أن يكونوا ثابتين في محاربتهم ضد العدو (الشيطان)، غير مستسلمين في أي أمر من الأمور، حتى

¹ Commentary on Paul's Epistles (Rom 15:30).

يغلبوه.

على أي الأحوال، يقوم الروح القدس الذي دعاهم، بتسهيل كل الأمور لهم حتى يجعل لهم بداية طريق التوبة عدبًا (ممهّدًا)، لكنه يعود فيكشف لهم بعد ذلك حقيقة الطريق (شدة مصاعبه وأتاعبه). وإذ يعينهم الروح القدس في كل شيء، يضع على عاتقهم أن يقدموا أعمال التوبة اللازمة، كما يكشف لهم ما هي أعمال الجسد والنفس... إلى أن يرجعهم إلى الله خالقهم في توبة صادقة. بهذا الهدف يقوّمهم الروح القدس للجهد جسديًا ونفسيًا، حتى يصير كلاهما (الجسد والنفس) متشابهين في الطهارة كما في ميراث الحياة الأبديّة.

فمن جهة الجسد، فإنه يكافح في أصوامٍ مستمرةٍ وجهادٍ وأسهارٍ دائمةٍ، وأما النفس فتجاهد في تدرييب روحية مع مثابرة في كل أنواع الخدم (الطاعة)، منفذة ذلك خلال الجسد. لذلك يجب علينا أن نراعي (ألاً نصنع شيئًا بإهمالٍ، بل يكون كل شيء بحرصٍ دائمٍ وفي خوف الله)، وذلك في كل عملٍ نقوم به بالجسد، حتى يأتي بالثمر¹.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ يخبر بولس سامعيه ألا يتزاحوا لمجرد أن الله يبحث عنهم ويرسلهم كسفراء. على العكس لذات السبب يلزمنا أن نسرّه، وأن نحصد بركاتنا الروحية².

❖ ما يقوله هو هذا: إن خلاصكم ليس من عملنا نحن وحدنا، وإنما هو عملكم أنتم أيضًا. فإذ نركز لكم بالكلمة، نحتمل أحزانًا، وأنتم إذ تقبلونها تحتملون ذات الأمور. نحن نحتمل لكي نهبكم ما تتسلمونه، وأنتم تحتملون لكي تقبلوا ما يوهب لكم ولا يضيع منكم... فإن خلاصكم يتحقق لا بالإيمان المجرد، وإنما بالألام واحتمالكم معنا ذات الشيء... خلاصكم يشبه ملاكمًا في الحلبة مملوء طاقة "العامل في ذاته" أعظم، هذه الطاقة تُعلن وتزداد وتعلو عندما تشعرون بالحاجة إلى التألم واحتمال كل شيءٍ بنبلٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لتركض في هذا العالم، فتتال (المكافأة) في العالم العتيدي³.

القديس جيروم

¹ Letter, 1.

² In 2 Cor. Hom .121..

³ Against the Palagians 1.

فَإِنِّي أَتَيْتُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ كَمَا عَاهَدْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلًا:

لَا يُعْذَمُ لَكَ رَجُلٌ يَسْتَلِطُّ عَلَيَّ إِسْرَائِيلَ. [١٨]

٦. تحذير من الانحراف عن الوصية

وَلَكِنْ إِنْ انْقَلَبْتُمْ، وَتَرَكْتُمْ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ،

وَذَهَبْتُمْ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى وَسَجَدْتُمْ لَهَا [١٩]

❖ يليق بنا أن نؤمن أن فترة التأخير في تنفيذ الوصية هي وقت للعصيان بالنسبة لمن ينفذ الوصية بعد ذلك... لذلك وجب علينا أن نتذكر القول: "لا تتأخر في الرجوع إلى الرب، ولا تؤجله من يوم إلى يوم" (سيراخ ٥: ٧)، والقول: "لا تقل لصاحبك اذهب وعد، فأعطيك غداً، وموجود عندك" (أم ٣: ٢٨).^١

العلامة أوريجينوس

فَإِنِّي أَلْقَيْتُهُمْ مِنْ أَرْضِي الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا،

وَهَذَا الْبَيْتَ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لِاسْمِي أَطْرَحُهُ مِنْ أَمَامِي،

وَأَجْعَلُهُ مِثْلًا وَهَزَاءً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ. [٢٠]

وَهَذَا الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ مُرْتَفِعًا كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِهِ يَتَعَجَّبُ، وَيَقُولُ:

لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هَكَذَا لِهَذِهِ الْأَرْضِ، وَلِهَذَا الْبَيْتِ؟ [٢١]

فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمُ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،

وَتَمَسَّكُوا بِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا،

لِذَلِكَ جَلَبَ عَلَيْهِمْ كُلُّ هَذَا الشَّرِّ. [٢٢]

إن كان الله قد سُرَّ ببناء بيت له، ليسكن فيه إلى الأبد في وسط شعبه، فإن ما يشغل قلب الله قداسة شعبه. فالهيكل لا يحميهم من الدمار الذي يحل عليهم إن عصوا الوصية الإلهية. وكما يقول إرميا النبي: "لا تتكلموا على كلام الكذب، قائلين: هيكल الرب، هيكل الرب، هيكل الرب هو" (إر ٧: ٤).

❖ "ويكون حين تقولون لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه. تقول لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم" (إر ٥: ١٩).

¹ Commentary on John, Book 28:19 – 22.

يجب علينا أن نفهم المعنى الحرفي، وبكفي الآن، كما تقول الآيات، تنشيط ذاكرة الذين يريدون أن يفهموا.

كان بنو إسرائيل يمتلكون الأرض المقدسة، والهيكل، وبيت الصلاة. وكان يجب عليهم أن يقدموا عبادتهم لله، لكنهم خالفوا الشريعة والوصية الإلهية، وعبدوا الأوثان، وكانوا يستقبلون عندهم الأوثان من دمشق كما هو مكتوب في سفر الملوك، وقبلوا أوثانًا أخرى في الأرض المقدسة. وبما أنهم كانوا يستقبلون الأوثان الأمامية في أرضهم، استحقوا أن يُطرحوا في بلاد الأوثان، وأن يهبطوا إلى حيث تُعبَد الأصنام.

لذلك قال الرب لهم: "كما أنكم تركتموني، وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، هكذا تعبدون الغبراء في أرض ليست لكم". أي أن كل إنسان يتخذ له إلهًا من أي شيء كان، فهو بذلك يعبد آلهة غريبة^١.

هل تُؤَلِّهِ المأكولات والمشروبات؟ فإن إلهك يكون بطنك (في ٣: ١٩).

هل تحسب فضة هذا العالم وغناه خيرًا عظيمًا؟ إذاً المال هو إلهك، حيث قال عنه السيد المسيح إنه سيد الذين يحبون الفضة، حينما قال: "لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال، لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (لو ١٦: ١٢)^٢.

❖ الله في تهديده، يهدد بحيث إذا رجعت الأمة وتابت لا ينفذ فيها تهديده، كما أنه في وعده، يعد بحيث إذا فسدت الأمة وصارت غير مستحقة، تحرم من تلك الوعود. إن التدبير الإلهي الذي يختص بالبشر في هذا العالم، يدور أساسًا حول أمتين رئيسيتين. تأتي الأمة اليهودية أو الشعب الإسرائيلي في المقام الأول، ثم من بعد مجيء السيد المسيح تأتي أمتنا نحن في المقام الثاني. قام الرب بتهديد الأمة الأولى، وظهر آثار هذا التهديد: فقد تم سببها، وحُزيت مدينتهم، وهُدم الهيكل، ودُيس المذبح، ولم يبقَ عندهم شيئًا من المقدسات التي كانوا يملكونها، لأن الرب قال لهذه الأمة: ارجعي إليّ، فلم ترجع. ثم يتحدث الرب إلى الأمة الثانية عن بنائها وغرسها، لكنه يرى أن تلك الأمة مكونة من أناس قابلين أيضًا للسقوط والفساد؛ لذلك يهددها ويقول لها: بالرغم من أنني تكلمت عليك في البداية بالبناء والغرس، إلا أنك إن أخطأت فسوف يحدث لك ما حدث مع غيرك

^١ يعد المعنى الحرفي للآية، انتقل إلى المعنى الروحي.

^٢ On Jeremiah, Homily 7:3.

حينما أخطأوا^١.

العلامة أوريجينوس

من وحي ٢ أي ٧

لتعلن سكناك في أعماقي

❖ إذ لم يستعرض سليمان أعماله أمام الغرياء،

بل اجتمع بشعبه في هيكلك،

بروح الحب والتواضع جثا وبسط يديه إليك،

استجبت لصلاته بنارك العجيبة.

لم تحرق النار أحدًا،

بل التهمت الذبائح لتعلن قبولك ورضاك.

لتؤكد لهم أنك غافر الخطايا وقابل التقدّمات.

❖ ملأ مجدك البيت، فارتعب الكهنة أمامك.

وسجد الشعب في مخافة.

وانطلقت قلوبهم قبل ألسنتهم بروح الحمد والتهليل.

❖ ليُعلن روحك القدس حضوره في أعماقي.

وتُسَمِّرُ خوفك فيّ.

في مهابةٍ التقى بك يا غافر الخطايا.

وبيقينٍ أتق أنك تتقدّ نفسي من الفساد.

تملاً أعماقي بانعكاس بهائك في داخلي.

أعتر بحضورك، وتتحني أعماقي أمامك.

لا أعود أذكر خطاياي في يأسٍ.

ولا تضطرب نفسي بسبب ضعفي.

أتق أنك ترافقني في رحلة حياتي.

وأصعد كما بسلم الصليب إلى فردوسك.

¹ On Jeremiah, Homily 18:5.

تسبحك نفسي، ولا تتسى مراحمك إلى الأبد.

❖ أية ذبيحة أقدمها لك؟

سوى التصاقي بصليبك،

وتمسكي بدمك الثمين!

❖ بالحق صالح أنت، وكليّ الصلاح.

عوض فسادٍ تهبني طبيعة صالحة.

تحول كل أموري لبنيان نفسي.

تمسكني بيمينك، وتطلق بي من مجدٍ إلى مجدٍ.

ترفعني فلا أخشى أحداث الزمن.

تحتضني، فلا يتسلل عدو الخير إليّ!

يا لحبك ورحمتك، يا أيها الفادي العجيب!

❖ عوض تنهداتي الخفية ومرارة نفسي،

تضمّني كما إلى الخورس السماوي.

تحول جسدي وعوافي وأحاسيسي وكل طاقاتي،

إلى قيثاره يعزف عليها روحك القدوس!

❖ تتحول أيام غربتي إلى احتفالاتٍ دائمة.

وأصير كمن في السماء.

لا يستطيع الضيق أن يحطم نفسي،

ولا يكون للشهوات سلطان عليّ.

بك تتحول الأرض كما إلى السماء!

نعمتك تدخل بي كما إلى المقادس السماوية.

❖ عوض الجفاف، يطر عليّ روحك القدوس بالنعمة الإلهية.

وعوض الجوع، تشبع نفسي بك يا خبز الحياة.

تتجلّى وعودك الإلهية أمامي.

تصير وصاياك كالحليّ تُزيّن نفسي.

فرائضك تقطر عسلاً وشهداً.

لن يحتل قلبي شيء ما،

بل تجلس أنت فيه كعرش لك!

❖ لن يسبيني عدو إلى أرضه،

مادمت تعلن مجدك في قلبي.

ولن يأسرنني أحد، فأنت محرر نفسي!

الأصحاح الثامن

إنشاءات سليمان واهتماماته

يبرز سفر أخبار الأيام الثاني عمل سليمان الأول وهو بناء بيت الرب وتنظيم العبادة والخدمة فيه، غير أنه لم يتجاهل التزاماته الأخرى، سواء من جهة بناء قصر المملكة، وبناء المدن وتحسينها بجانب تقديم الذبائح والتقدمات، وأيضًا الدخول في علاقات تجارية مع دول أخرى.

علاقة سليمان بالأمم

في الأصحاح الثاني يشير السفر إلى دعوة سليمان للأمم إلى الاشتراك في بناء الهيكل، خاصة حورام ملك صور والغرباء الذين كانوا في المملكة.

إن كان لسبب سياسي أو آخر تزوج سليمان نساء وثنيات، فإنه لم يُقْبَلُ أن تسكن ابنة فرعون وحاشيتها في بيت داود الذي دخل فيه تابوت العهد، فتقدس المكان.

هذا وقد كان له فكر متفتح في علاقته بالأمم، فدخل معهم في علاقات تجارية، كان لها تأثيرها على الممالك الوثنية حيث اختبروا حكمته. ويظهر ذلك من ذكر زيارة ملكة سبأ له بعد ورود اهتمامه بالعلاقات التجارية الخارجية.

عندما تراءى الرب لسليمان في جبعون، وعده أن يهبه غنى وكرامة فلا يكون مَلِك في أيامه مثله كل أيام حياته (٣: ١٣). حفظ هذا الوعد، وأعطاه شهرة فائقة وأُعجِبَتْ به كل شعوب الأمم الأخرى. غلب داود أبوه أعداء كثيرين، وامتدت مملكته جدًّا، ومع هذا لم يحاول أن يُقِيمَ منشآت كثيرة بجانب قصره. أما سليمان فاستلم مملكة متسعة يسودها السلام، فاستخدم كل فرصة ليزيد من ثروته وسلطانه بطريقة دبلوماسية. واهتم بإقامة منشآت كثيرة في شيءٍ من الترف الزائد والرفاهية المُبالغ بها^١.

١. المدن التي بناها سليمان ٦-١

٢. العُمَّال الذين استخدمهم سليمان ١٠-٧

٣. اهتمامه بزوجته خارج مدينة داود ١١

٤. ترتيب خدمة الهيكل ١٦-١٢

¹ The Wiersbe Bible Commentary: Old Testament, Colorado, 2007.

١ . المدن التي بناها سليمان

يرى البعض أن سليمان انشغل بالإنشاءات العملية، وبالرغم من كونه رجل علم وفهم ومعرفة وحكمة، لم يُدكَرْ عنه أنه كان متفرغاً للدراسة والتأمل. غير أن قيامه بأعمال كثيرة تُظهر حياته الخاصة باهتمامه بكلمة الله والتأمل فيها. ظهر ذلك خلال عمل روح الله القدوس الذي أوحى إليه بالأسفار المقدسة وهي الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد والحكمة. وأيضاً تكشف صلته في الهيكل عن دراسته للشريعة، خاصة سفر التثنية. هذا كله يوحي لنا أنه لم يتجاهل دراساته وقراءاته وتأملاته.

وَبَعْدَ نِهَآيَةِ عَشْرِينَ سَنَةً بَعْدَ أَنْ بَنَى سُلَيْمَانُ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَهُ [١]
بَنَى سُلَيْمَانُ الْمُدْنَ الَّتِي أَعْطَاهَا حُورَامُ لِسُلَيْمَانَ.

اهتم بالمبنى الكنسي، أي هيكل الرب وملحقاته، كما اهتم بقصره وبناء أو تجديد بعض المدن، والعمل على راحة زوجته ابنة فرعون خارج بيت داود، والاهتمام بالعاملين من الأمم ورجال الرب من بني شعبه وتنظيم العبادة والخدمة.

نرى هنا حورام ملك صور يعطي مدناً لسليمان، إشارة إلى عمل الله مع كنيسة العهد الجديد حيث يسلم العالم مدناً فاخرة لكنيسة المسيح، تُقْبَلُ الإيمان، وتمتلئ بالسلام.

سبق أن أشار إلى هذه المدن التي أعطاها ملك صور لسليمان (١ مل ٩ : ١١-١٣).

لم يُسْمَرْ هنا إلى الخطأ الذي ارتكبه سليمان بتسليمه عشرين مدينة من أرض الجليل لحيرام، وقد احتقرها حيرام، ودعاها "أرض كابول" أي تافهة وبلا قيمة (١ مل ٩ : ١١-١٤). فمن جهة احتقر ملك صور هذه المدن التي كانت في منطقة أرض الموعد، ومن جهة أخرى ففي هذا التصرف عدم أمانة، إذ تصرف سليمان في ملكية أرض الرب وسلّمها للأمم.

وَأَسْكَنَ فِيهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٢]

وَدَهَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى حَمَاةٍ صُوبِيَّةٍ وَقَوِيَ عَلَيْهَا. [٣]

حماة صوبية: إما حماة المعروفة الآن، أو حماة أخرى في مملكة صوبية.

وَبَنَى تَدْمَرَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَمِيعَ مُدُنِ الْمَخَازِنِ الَّتِي بَنَاهَا فِي حَمَاةٍ. [٤]

وَبَنَى بَيْتَ حُورُونَ الْعُلْيَا وَبَيْتَ حُورُونَ السُّفْلَى،

مُدُنًا حَصِينَةً بِأَسْوَارٍ وَأَبْوَابٍ وَعَوَارِضَ. [٥]

وَبَعْلَةٌ وَكُلُّ مُدُنِ الْمَخَازِنِ الَّتِي كَانَتْ لِسُلَيْمَانَ،
وَجَمِيعِ مُدُنِ الْمَرْكَبَاتِ وَمُدُنِ الْفُرْسَانِ،
وَكُلِّ مَرْغُوبِ سُلَيْمَانَ الَّذِي رَغِبَ أَنْ يَبْنِيَهُ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي لُبْنَانَ،
وَفِي كُلِّ أَرْضِ سُلْطَانِهِ. [٦]

سمح له الرب لا أن يبني ما تحتاج إليه الدولة فحسب، بل وكل ما اشتهاه سليمان، فبالغ في النفقات والمنشآت. وهذا دفعه فيما بعد إلى الترف الذي أفسد حياته، خاصة وأنه تزوج كثيرات، لسبب أو آخر، كما أثقلَ على الشعب بدفع ضرائب سببت انقسام المملكة بعد موته مباشرة، واستلام ابنه رجبام العرش. إذ انضم عشرة أسباط إلى يربعام الذي انشق وكوّن مملكة الشمال. هذا ورد في سفر الملوك، غير أن أخبار الأيام ركّز على الجانب المُشرق الخاص بالعبادة، وترك الضعفات والسقطات يُسجّلها سفر الملوك.

٢. الْعَمَالُ الَّذِينَ اسْتخدمهم سليمان

كمالكٍ وقائدٍ ورجل أعمال لم يكن يسعى إلى راحته الشخصية، بل استخدم أيادي كثيرة. أدرك أنه من مصلحة الشعب تشجيع العمالة بكل وسيلة، حتى لا تُصاب الدولة بالبطالة.

أَمَّا جَمِيعُ الشَّعْبِ البَاقِي مِنَ الْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ
وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ لَبَسُوا مِنْ إِسْرَائِيلَ [٧]
مَنْ بَيْنَهُمُ الَّذِينَ بَقُوا بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ لَمْ يُفْنَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ،
فَجَعَلَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِمْ سُخْرَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [٨]

كان في إسرائيل غريباء كثيرون تَبَقُوا من الكنعانيين، وقد سمح لهم بالمعيشة في وسطهم، لكن ليس بدون عملٍ.

وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَجْعَلْ سُلَيْمَانُ مِنْهُمْ عِبِيدًا لِشُغْلِهِ،
لَأَنَّهُمْ رِجَالُ الْقِتَالِ وَرُؤَسَاءُ قَوَادِهِ وَرُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. [٩]
وَهُؤُلَاءِ رُؤَسَاءُ الْمُؤَكَّلِينَ الَّذِينَ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ مِئَتَانِ وَخَمْسُونَ،
الْمُسْتَطَوْنَ عَلَى الشَّعْبِ. [١٠]

٣. اهتمامه بزوجه خارج مدينة داود

وَأَمَّا بِنْتُ فِرْعَوْنَ، فَأَصْعَدَهَا سُلَيْمَانُ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ لَهَا،

لَأَنَّهَا قَالَتْ: لَا تَسْكُنْ امْرَأَةً لِي فِي بَيْتِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،

لَأَنَّ الْأَمَاكِنَ الَّتِي دَخَلَ إِلَيْهَا تَابَوْتُ الرَّبَّ، إِنَّمَا هِيَ مُقَدَّسَةٌ. [١١]

إصعاد ابنة فرعون من مدينة داود إلى البيت الذي بناه لها سليمان في نظر سفر الملوك (١ مل ٩: ٢٤) نوع من تمييزه لها، أما في نظر أخبار الأيام الذي يهتم بالعبادة والقداسة، فإنه لم يكن لائقاً أن تبقى في مدينة داود، حتى وإن قبلت الإيمان، وذلك لوجود وصفات لها من مصر قد يكن وثنيات.

يُحَدِّثُنَا عن علاقة سليمان بابنة فرعون. وقد حمل ذلك معنى رمزياً. اعتاد ملوك الفراعنة أن يُعطوا بنات جواربهم اللواتي ليس لهن حق العرش لملوك الأمم، أما سليمان فقد أعطاه فرعون ابنته كزوجة شرعية. وكان لها حق الجلوس على عرش مصر، إن لم يكن لها ابن وريث للعرش. فالزواج هنا علامة تأكيد أن لسليمان حق شرعي في أرض مصر. هذا التصرف يُشير إلى خضوع كثير من الملوك والعظماء للسيد المسيح، بقبولهم الإيمان به.

بنى سليمان قصرًا للملكة ابنة فرعون، وأصعدها مع حاشيتها خارج مدينة داود. لقد أراد أن تبقى مدينة داود مقدسة، وخشي أن ابنة فرعون وحاشيتها يقمن بأعمال لا تليق بقدسية المدينة. من المحتمل أن الملكة كانت دخيلة، وربما وُجدَ معها أو مع حاشيتها بعض أوثان من مصر. وإن كان للأسف لسليمان نفسه فيما بعد أغرته زوجاته الوثنيات على بناء مذابح وثنية. مع العلاقات الطيبة مع الأمم يرفض سليمان أن تسكن ابنة فرعون حيث يوجد تابوت العهد، حتى وإن قبلت الإيمان بالله، خشية أن يوجد في القصر جاريات لها من مصر غير مؤمنات.

٤. ترتيب خدمة الهيكل

وردت الخدمات الدينية والكهنوتية في ع ١٢-١٦، خاصة ذبائح المُحْرِقَةِ، الأمر الذي لم يُشير إليه في سفر الملوك.

لم يُشير السفر إلى تفاصيل الأعمال التي قام بها سليمان، إنما اهتم بتأكيد قيامه بتدبير خدمة الهيكل اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، خاصة المُحْرِقَاتِ والتسبيح.

حِينَئِذٍ أَصْعَدَ سُلَيْمَانُ مُحْرِقَاتٍ لِلرَّبِّ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ،

الَّذِي بَنَاهُ قُدَّامَ الرِّوَاقِ. [١٢]

أَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ مِنَ الْمُحْرِقَاتِ حَسَبَ وَصِيَّةِ مُوسَى،

فِي السَّبُوتِ وَالْأَهْلِةِ وَالْمَوَاسِمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ،

فِي عِيدِ الْفَطِيرِ وَعِيدِ الْأَسَابِيعِ وَعِيدِ الْمَطَايِلِ. [١٣]

لم يقف دور سليمان عند بناء الهيكل والاحتفال بتدشينه، إنما استمر في تقديم الذبائح المقدسة حسب شريعة موسى [١٢-١٣].

كانت تُقدَّم ذبائح يومية بلا توقُّف، وذبائح أسبوعية في كل سبت، وهي ضِعْفُ ما يُقدَّم يوميًا، وأيضًا ذبائح إضافية شهرية في الأهلَّة، وذبائح سنوية في الأعياد الثلاثة الكبرى.

كان قلب سليمان المُلتَهَب بالاشتياق للعبادة اليومية وتقديم المُحْرَقَاتِ والبخور والتسابيح ينمُّ حسب الشريعة خلال الكهنة واللاويين. في هذه الفترة قبل انحرافه وراء النساء الوثنيات لم يكن يمارس العبادة في عملٍ روتينيٍّ حرفيٍّ، إنما مع التزامه بالتدبير الحسن حسب الناموس والنظام كان يشترك بكل كيانه الداخلي مُتَمَتِّعًا بالشركة مع الله وتقديم الصلوات والتمتُّع بالفكر السماوي خلال ظلال العهد القديم.

كان مُلتَصِّفًا بالله ومحبًّا له، يشعر مع إرميا النبي بأن مراحم الرب جديدة كل صباح (مر ٣: ٢٣). وكأنه يُردِّد معه قوله: "تصيبي هو الرب، قالت نفسي، من أجل هذا أرجوه" (مر ٣: ٢٤).

❖ ما هي المُحْرَقَات؟ احتراق الذبيحة بالنار بكاملها؛ عندما يُوضَع الحيوان على المذبح ويحترق بالنار، فيُدعى مُحْرَقَةً.

ليت النيران الإلهية ترفعا بكليتنا إلى فوق، ونلتهب بالكامل...

ليس فقط نفوسنا ترتفع بنار الحكمة هذه، بل وجسدنا أيضًا، إذ ينال الخلود. ليُقدَّم إذا كُمُحْرَقَةً فيُبتلع الموت!

القديس أغسطينوس

❖ يريد كلُّ من الجسد والنفس، أي الإنسان بكليته، أن يصير ذبيحة مقدسة لله. يُعلِنُ المرثل أن النفس هي ذبيحة مُقدَّمة لله بقوله: "الروح المنسحق ذبيحة لله"^١.

❖ لُتُقدَّم نفوسنا ذبيحة بالصوم. فإننا لا نستطيع أن نُقدِّمَ ما هو أفضل من هذا. يؤكد النبي ذلك بقوله: "الروح المنسحق ذبيحة لله، والقلب المتواضع لا يرذله الله". قَدِّمَ يا إنسان نفسك لله. قَدِّمَ تَقْدِمة الصوم. افعلْ هذا لتجعل نفسك ذبيحة طاهرة، ذبيحة مقدسة، ذبيحة حية تبقى لك وأنت تُقدِّمها لله^٢.

^١ Fr. Peter Chrystologus, Selected Sermons, 1093

^٢ Selected Sermon.

الآب بطرس خريستولوجوس

❖ قال لهم: لأنني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة مُحْرَقَة وذبِيحة، بل أوصيتهم بهذا الأمر، قائلاً: "لا يفكرن أحد في السوء على قريبه في قلوبكم، ولا تحبوا يمين الزور" (إر ٧: ٢٢-٢٣؛ زك ٨: ١٧)... إنه يقول: "الذبِيحة لله روح منسحق" (مز ٥١: ١٧)؛ القلب المنسحق عطر للرب الذي جبله^١.

رسالة برناباس

❖ هذا هو السبب الذي لأجله يُقدّم أيوب مُحْرَقَات عن أبنائه لئلا يكونوا قد أخطأوا سهواً في الفكر^٢.
القدّيس جيروم

❖ "كنت أخاف من كل أعمالي، عالماً أنك لا تبرئني، عندما أكون مذنباً".

ما هي الأعمال التي مارسها الطوباوي أيوب، هذه قد أوضحها هذا التاريخ المقدس. فقد تَعَلَّم أن يسترضي خالقه بتقديم مُحْرَقَات كثيرة. بحسب عدد أبنائه - كما هو مكتوب - كان يُبْكَر في الصباح، ويُقدِّم مُحْرَقَات عن كل واحدٍ منهم، مُطَهِّراً إياهم ليس فقط من الأعمال الدنسة، بل ومن الأفكار الشريرة.

سَجَّل لنا ذلك بشهادة الكتاب المقدس: "لأن أيوب قال ربما أخطأ بنِيّ، وجَدَّفوا على الله في قلوبهم" (أي ١: ٥).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ توجد ضرورة لهذه الحقيقة أن يحمل المسيح مُخْلِصَ الجميع الصليب، إذ قيل عنه على لسان إشعياء: "يولد لنا ولد، وتُعطَى ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه" (إش ٩: ٦). فالصليب هو رئاسته، به صار ملكاً على العالم. وإذ كان هذا حق "أطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تحبوا باسم يسوع كل رُكْبَة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢: ٨-١١).

وأيضاً أظن أنه يلزم مراعاة هذا هنا (أن يحمل الصليب)، لأنه عندما صعد الطوباوي إبراهيم على

¹ The Epistle of Bernabas, 12.

² Against the Pelagians 1: 33.

الجبل الذي رآه ليقدم إسحق مُحَرَّقة كأمر الله وضع الحطب على الابن، وكان ذلك رمزاً للمسيح الحامل صليبه على كتفيه مرتفعاً إلى مجد صليبه. فقد كانت آلام المسيح هي أمجاده كما علمنا بنفسه: "الآن تَمَجَّد ابن الإنسان، وَتَمَجَّد الله فيه" (يو ١٣ : ٣١)¹.

القديس كيرلس الكبير

وَأَوْقَفَ حَسَبَ قَضَاءِ دَاوُدَ أَبِيهِ فِرْقَ الْكَهَنَةِ عَلَى خِدْمَتِهِمْ،
وَاللَّاوِيِّينَ عَلَى حِرَاسَاتِهِمْ (لِلتَّسْبِيحِ وَالْخِدْمَةِ أَمَامَ الْكَهَنَةِ)،
عَمَلٍ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ، وَالْبَوَابِينَ حَسَبَ فِرْقِهِمْ عَلَى كُلِّ بَابٍ.
لَأَنَّهُ هَكَذَا هِيَ وَصِيَّةُ دَاوُدَ رَجُلِ اللَّهِ. [١٤]

استمر سليمان في تقديم ذبائح التسبيح والحمد والشكر حسب وصية أبيه داود. لم يُغَيَّرَ شيئاً من التدبير الذي وضعه أبوه داود. ولم يتوقَّف، بل كان "يعمل كل يوم بيومه".

رجل الله: أو إنسان الله، وهو تعبير عام في سفرَي الملوك، لكن نادراً ما يرد في أخبار الأيام؛ لم يذكر إلا عن موسى (١ أي ٢٣ : ١٤)، وداود، ونبى آخر (٢ أي ٢٥ : ٧، ٩).

❖ يليق بقلب المسيحي وفمه ألا يكفا عن التسبيح لله، فلا يُمَجِّدُه في الفرح، ويتذمَّرُ عليه في الشدة.
❖ من يصلي برغبة يُسَبِّحُ في قلبه حتى إن كان لسانه صامتاً. أما إذا صَلَّى (الإنسان) بغير شوق، فهو أبكم أمام الله حتى إن بلغ صوته آذان البشر².

❖ الآن إذ نجتمع مع بعضنا البعض في الكنيسة نُسَبِّحُ الله، ولكن عندما يذهب كل واحد إلى عمله يبدو كمن توقَّف عن تسبيح الله. لكن لبيته لا يتوقَّف أحد عن الحياة المستقيمة، فيكون مُسَبِّحاً لله على الدوام. إنك تتوقَّف عن التسبيح لله عندما تتحرف عن العدل وعن كل ما يسر الله. ولكن إن كنت لا تتوقف عن الحياة المستقيمة فإن حياتك بليغة، وتفتح أذن الله لقلبك³.

❖ كل ما تفعله، افعله حسناً، بهذا تُسَبِّحُ الله⁴.

❖ هناك نستريح، وهناك نرى. سنرى ونحب، سنحب ونُسَبِّحُ!⁵

¹ In Luc. Ser. 152.

² On Ps. 102:8.

³ On Ps 148:2.

⁴ Letter 130:19.

⁵ City of God 22:30.

القديس أغسطينوس

❖ يا لجمال أولئك الذين يترنمون بأسرار الله. ليتني أنا أيضًا أرتبط بهذه الأغاني في صلاتي... لا تمنع تسبحة روحية ولا تستهن بالإصغاء إليها.

القديس ميثوديوس أسقف أولمبيوس

❖ كن كالجندي واجعل الليلة موسيقية... تَرَنَّمْ بالروح وتَرَنَّمْ بالفهم أيضًا. اجعل ترنيمتك من وضع المرثل.

القديس جيروم

❖ ملكوت الله داخلكم، يعنى الفرح الذي يخرسه الروح القدس في قلوبكم، بكونه أيقونة وعربون للفرح الأبدي الذي تتمتع به نفوس القديسين¹.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

وَلَمْ يَحِيدُوا عَنْ وَصِيَّةِ الْمَلِكِ عَلَى الْكَهَنَةِ،
وَاللَّاوِيِّينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَفِي الْخَزَائِنِ. [١٥]
فَتَهَيَّأَ كُلُّ عَمَلِ سُلَيْمَانَ إِلَى يَوْمِ تَأْسِيسِ بَيْتِ الرَّبِّ وَإِلَى نِهَائِهِ.
فَكَمَّلَ بَيْتَ الرَّبِّ. [١٦]

٥. علاقاته التجارية مع دول أجنبية

ساهم حورام ملك صور ليس فقط في بناء الهيكل، وإنما في ازدهار مملكة سليمان المجيدة.

حِينَئِذٍ ذَهَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى عِصْيُونَ جَابِرٍ،
وَإِلَى أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي أَرْضِ أَدُومَ. [١٧]
عِصْيُونَ جَابِرٍ: على خليج العقبة بجانب إيالة.

وَأَرْسَلَ لَهُ حُورَامُ بِيَدِ عِبِيدِهِ سَفْنًا وَعَبِيدًا يَعْرِفُونَ الْبَحْرَ،
فَأَتَوْا مَعَ عِبِيدِ سُلَيْمَانَ إِلَى أُوْفِيرَ،
وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ أَرْبَعَ مِئَةِ وَخَمْسِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ،
وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. [١٨]

¹ De Prop. Sec. Deum.

أوفير: في اليمن.

إذ اهتم سليمان بالتجارة الدولية، بنى أسطولاً بحرياً، ولجأ إلى حورام ملك صور ليمده بخبراء في شؤون البحر لإدارة الأسطول وتشغيله.

قام بنفسه بزيارة مواني مدينتيّ إيّلة وعصيون جابر لفحص الأمر والدخول في علاقات تجارية دولية.

انتفع سليمان بخبرة حورام ملك صور البحرية، فقد كان عبيده "يعرفون البحر".
لم يكن لدى اليهود أناس أصحاب خبرة في العمل البحري، إذ كانت خبرتهم محدودة بالبحيرات التي في داخل أراضيهم. أما صور القائمة على البحر، فكان بها خبراء في العمل البحري.

من وحي ٢ أي ٨

لأُقَدِّمَ لك ذبيحة يومية وتسيبًا لا ينقطع!

❖ بنى سليمان هيكلًا فخمًا، شدَّ أنظار الكثيرين.

ظن الكثيرون أنه يبقى إلى نهاية الدهور.

وأقام منشآت عظيمة هذا مقدارها.

وبنى مدنًا وحصونًا!

ماذا تبقى من كل هذه المنشآت؟!

حتى الهيكل الذي كان يُمثِّل حضورك الإلهي وسط شعبك،

احترق وتهدَّم وزالت حتى أساساته.

❖ لم تبقَ سوى القلوب النقية التي اقتدت بقلب داود أبيه.

بقت ذبائح الحب ومُحرَّقات التسيب ويخور الصلوات النقية!

هَبْ لي أن تتحوَّل حياتي إلى ذبيحة حُبِّ.

هَبْ لي أن يصير كل كياني قيِّارة روحية،

تبعث سيمفونية فريدة،

تتناغم مع تسابيح السمائيين!

❖ متى أُنقِي بك على السحاب؟!

وأنعم بالانضمام إلى خورس السمائيين؟!

متى أنشد التسبحة الجديدة، وأُنغنى بحُبِّك؟!

ترى بأية لغة أنشد في السماء، وأناجيك أيها الحبيب؟!

وأية ذبيحة أقدمها أمام عرشك المقدس؟!

الأصحاح التاسع

ملكة سبأ وشهرة سليمان العالمية

يستعرض هذا الأصحاح الختامي لسيرة سليمان في هذا السفر شهرة سليمان العالمية، خاصة زيارة ملكة سبأ له، وحديثها معه.

جاء هذا الأصحاح مطابقاً تماماً لما ورد في ١ مل ١٠ آية بآية، باستثناء الآيتين ١-٢. وجاءت الآيات الثلاث الأخيرة مُقتبسة من ١ مل ١١: ٤١-٤٣.

كانت سبأ دولة مُتَحَضِّرة وغبية في شمال غرب العربية. وقد أحضرت الملكة هدايا ثمينة كعِينات لما يُمكن لدولتها أن تُقدِّمه (إش ٦٠: ٦؛ إر ٦: ٢٠؛ حز ٣٨: ١٣).
كان لسبأ أهمية كبرى في ذلك الحين، حيث كانت كل السفن القادمة العابرة إلى الجنوب أو إلى المحيط الهندي تمر بسبأ.

١. زيارة ملكة سبأ لسليمان وتكريمها له ١٢-١.

٢. عظمة بلاط سليمان وثروته ٢٨-١٣.

٣. ختام حكمه ٣١-٢٩.

١. زيارة ملكة سبأ لسليمان وتكريمها له

ذُكِرَت هذه القصة بالتفصيل في سفر ملوك الأول، هذا وقد أشار السيد المسيح نفسه إليها (مت ١٢: ٤٢). ويُلاحظ في هذه القصة الآتي:

١. يُعْتَبَر لقاء ملكة سبأ بسليمان دعوة مُوجَّهة لكل إنسانٍ ليلتقي مع من هو أعظم من سليمان، ألا وهو حكمة الله نفسه، خالق سليمان وواهبه الحكمة. لقد عاتب السيد المسيح اليهود الذين لم يَقْبَلُوهُ، بينما جاءت ملكة سبأ التي من الأمم إلى سليمان تسمع له.

ما تمَّتعت به ملكة سبأ بلقائها مع سليمان لا يُقَارَن بما نتمتَّع به بلقائنا وشركتنا مع رب سليمان ومخلصه.

٢. لم يدعُ سليمان ملكة سبأ لزيارته، ولم تكن هي في حاجة إلى تَقْصِي الحقائق عن سليمان، بل أسرع لتبصر بعينها [٦]. لقد جذبها مجده.

اجتذبت شخصية سليمان الكثيرين حتى الملوك، وهو في هذا يختلف عن كثير من الملوك الذين

نالوا شهرة عالمية: فمن جانب لم يكتسب شهرته بالحروب والعنف، بل بروح الحكمة مع السلام. ففي أيامه كملكٍ امتدت مملكته أربعين عامًا لم نسمع عن قيامه بمعركةٍ ما مع أحد الأمم أو الشعوب. ومن جانبٍ آخر علاقته مع الملوك والشعوب حملت احترامًا متبادلًا، فقد تبادل مع ملكة سبأ هدايا ثمينة وبسخاءٍ.

إذ التقت به أدركت أن ما لمستته أكثر بكثير مما سمعته عنه. هكذا حين يُعلن مسيحنًا مجده فينا، فإن رائحته الذكية فينا تشهد لنا، فنكون مُستعدّين لمجاوبة من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا (١ بط ٣: ١٥).

٣. قدّم حورام ملك صور لسليمان الكثير من الذهب والأخشاب وغيرها من مواد البناء وأيضًا أصحاب الخبرة في البناء والعمال، لكن لم يذهب إلى سليمان ليتلمذ على حكمته. أما ملكة سبأ فجاءت إليه واستمعت إلى حكمته.

٤. التقت ملكة سبأ بسليمان، فتهللت نفسها، إشارة إلى السيد المسيح ينبوع الفرح لكل من يلتقي به.

٥. طوّبت الواقفين أمامه على الدوام، لأنهم يرون وجهه ويسمعون حكمته.

٦. أبرزت سلطانه على جميع الملوك من النهر إلى أرض الفلسطينيين [٢٦]. حقًا إن الذين يكرمون الله، يكرمهم (١ صم ٢: ٣٠) لقد أكرم سليمان الله كثيرًا سواء ببناء الهيكل وتزيينه وتدشينه، أو تسبيحه وشكره له، أو تكريس ما وهبه الله من حكمة وغبى لحساب ملكوت الله، وخدمة شعبه.

٧. احتملت ملكة سبأ متاعب كثيرة وتكلفة كثيرة لتسمع حكمة سليمان، ومع هذا حسبت أنها إذ سمعت حكمته كوفئت بالكثير. لقد حملت حكمة سليمان رمزًا لأقنوم الحكمة ربنا يسوع الذي يجتذب النفوس، ويدخل بها إلى حضن الأب.

٨. عرف سليمان كيف يضرم الموهبة التي أُعطيت له مجانًا، فقدّمها مجانًا للآخرين. إن قُدّمت له أية هدايا لا تشغله، إنما ما يشغله هو أن يتمتع الكل بحكمة الله.

٩. ما شدّ انتباه ملكة سبأ، التدبير الحسن لأسرة سليمان والعاملين معه وخدمه. يرى البعض أن سليمان في حديثه عن الحكمة أو تدبير أمور العبادة وغيره سحب قلب ملكة سبأ إلى السيد المسيح الذبيحة الكفارية الوحيدة، والقادرة أن تُنمّم الخلاص لكل القادمين من بين البشر.

١٠. كان تأثير سليمان بحكمته في الرب، ليس فقط على عبيده الذين يخدمونه، بل وعلى بنينهم، فكانوا يعترفون بأن يُدعوا "بنو عبيد سليمان" (عز ٢: ٥٥؛ نح ٧: ٥٧).

١١. قَدِّمَتْ ملكة سبأ مثلاً حياً للمحبة الصادقة، فسَبَّحَتْ الله من أجل عمله مع شعب إسرائيل خلال سليمان الملك [٨].

وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَأَ بِخَبْرِ سُلَيْمَانَ،
فَأَتَتْ لِنَمْتَحِنَ سُلَيْمَانَ بِمَسَائِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمُوكِبٍ عَظِيمٍ جِدًّا،
وَجِمَالٍ حَامِلَةٍ أَطْيَابًا وَذَهَبًا بكَثْرَةٍ وَحِجَارَةً كَرِيمَةً،
فَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ عَنْ كُلِّ مَا فِي قَلْبِهَا. [١]

لقد سمعت ملكة سبأ عن سليمان خلال التُّجَّار الذين يَعْبُرُونَ بسفنهم على سبأ. هنا تُقَدِّمُ ملكة سبأ صورة حيةً للمؤمن الحقيقي من جوانب كثيرة:

١. لم تقف الملكة عند سماعها عن سليمان، بل تحركت لتلتقي به وتمتحنه، ليس في شكٍ مما سمعته، وإلا ما كانت جاءت تحمل هذه الهدايا الثمينة، وإنما جاءت لتتمتع باللقاء معه. وهي في هذا ترمز للمجوس الذين لما رأوا النجم تحركوا بهداياهم نحو أورشليم ليلتقوا بالمولود ملك اليهود ويسجدوا له.

على عكس هذا عندما جمع هيرودس الملك رؤساء الكهنة وكتبة الشعب (مت ٢: ٤) يسألهم: أين يولد المسيح، قَدِّمُوا له النبوة، ولم يتحركوا للقاء مع المسيح المولود.

❖ أَعْدُوا الهدايا للملك ليُكْرَمَ بها، حتى يدخلوا عنده بالقرابين عندما ينظرونه.

عندما اهتموا بتهيئة القرابين، قام الحق ليُعَلِّمهم ماذا يجب عليهم.

فتحوا كنوزهم، و جلبوا الذهب، لأنه الملك العظيم، وأخذوا المر، لأنه يصير قتيلاً.

اللبان يفيد لإكرامه، لأنه إله أيضاً: جلبوا عطوراً ومرّاً وذهباً لتُقَرَّبَ له.

حملوا خزائن آباءهم فرحين، ليُقَدِّمُوا قرابينهم للملك العظيم...

صاروا كارزين وهم سائرون في الطريق يُبَشِّرُونَ أنه أشرق الملك على العالم كله...

أينما كانوا يرحلون ويحلون، قَصُّوا خبره (قائلين): طريقنا مُنْتَجِهٌ نحو جبارٍ مولود في اليهودية.

في طريقهم أشرق تعليمه، وفي مواعيدهم كانت تُسَمَعُ عباراتهم.

في كل موضع كانوا يَحِلُّون فيه زرعوا البشارة، وحين كانوا يرحلون سردوا خبر ميلاده.

انتشرت كرازتهم على أميال الطريق، وفي مراحلها كانت تُرْتَل تلك الأخبار^١.

القديس مار يعقوب السروجي

أخبرت الملكة بكل ما في قلبها، وهو أخبرها بكل ما أرادت أن تعرفه [٢]. هذه العلاقة تُمَثِّل علاقة النفس بمسيحها. فمن جانبها تكشف ما في أعماقها، ومسيحها من جانبه يُخبرها بأسراره الإلهية التي تشتهي أن تعرفها.

يليق بالمؤمن أن يفتح قلبه أمام مُخَلَّصه، ويدخل معه في حوارٍ مفتوحٍ.

فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلَامِهَا.

وَلَمْ يُخَفَ عَن سُلَيْمَانَ أَمْرٌ إِلَّا وَأَخْبَرَهَا بِهِ. [٢]

إذ يفتح المؤمن قلبه للحديث الصريح مع مُخَلَّصه كما فعلت ملكة سبأ مع سليمان، يفتح رب المجد كنوز أسراره، ولا يخفي عنه شيئاً.

❖ دُعِيَ ابن الله هكذا (رسول المشورة العظيمة) من أجل الأمور التي علَّمها، خاصة وأنه أعلن للبشر عن الآب، إذ يقول: "أظهرت اسمك للناس" (يو ١٧: ٦)... أعلن اسمه بالكلمات والأعمال^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليست معرفة بدون إيمان، ولا إيمان بدون معرفة... الابن هو المُعَلِّم الحقيقي عن الآب؛ إننا نؤمن بالابن لكي نعرف الآب، الذي معه أيضاً الابن. مرة أخرى، لكي نعرف الآب يلزمنا أن نؤمن بالابن، إنه ابن الآب. معرفة الآب والابن، بطريقة الغنوسي الحقيقي، إنما هي بلوغ للحق بواسطة الحق... حقاً، قليلون هم الذين يؤمنون ويعرفون^٣.

القديس إكليمنضس السكندري

❖ أُرْسِلَ الكلمة الإلهي كطبيب للخطاة، وكُمُعَلِّم للأسرار الإلهية الذين هم أنقياء بلا خطية^٤.

العلامة أوريجينوس

^١ ميامر أي مواظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٣، ص ٢٨٥ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميامر: "على ميلاد ربنا بالجسد، وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" (قام بنسخها القمص بطرس السرياني واهتم بها الأب مينا المقاري)؛ الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص يول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

^٢ In John hom, 81:1.

^٣ Stromata 5:1.

^٤ Contra Celsus 6:67.

❖ نزل فقيه عظيم من السماء، وصار مُعلِّماً للعالم. استنارت المسكونة بتعليمه، لئلا يشتهي أحد بعد المقتنيات الزائلة^١.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ هيا أيها الأحباء التفتوا إلى ما يُقدِّمه لكم الرسول من نصحٍ غالٍ، فهو يقول: "كما قبلتم المسيح يسوع ربنا، هكذا اسلكوا فيه، متأصلين ومبنيين فيه، وراسخين في الإيمان". ففي هذا الإيمان البسيط والمؤكد يجدر بنا أن نمكث راسخين فيه، حتى يفتح هو ذاته للمؤمنين المخبأين فيه، إذ يقول نفس الرسول: "المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة"، وهو لم يُخفها عن أحد لكي يرفضوها، بل ليثير فيهم الاشتياق للأمر المذخرة^٢.

القديس أغسطينوس

فَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةٌ سَبَأَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ وَالْبَيْتَ الَّذِي بَنَاهُ [٣]
وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ وَمَجْلِسَ عِبِيدِهِ وَمَوْقِفَ خُدَامِهِ وَمَلَابِسَهُمْ وَسُقَاتَهُ وَمَلَابِسَهُمْ،
وَمُحْرِقَاتِهِ الَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
لَمْ تَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ. [٤]

جاء التقرير الخاص بزيارتها له يكشف لنا ليس عن عظمة قصر سليمان فقط، وإنما عن الحياة التي تدور في القصر من طعام مائدته ومجلس عبيده وسلوك خدامه حتى ملابسهم. غالباً كأಮ್ಮية لم يأخذها إلى هيكل الرب، لكنها عرفت أيضاً ما كان يُقدِّمه من مُحْرِقَاتٍ بواسطة الكهنة.

لم تستطع الملكة أن تُسجِّل مشاعرها من جهة حياته في قصره وحبِّه وعطائه لببيت الرب، إنما قيل: "لم تبقَ فيها روح بعد".

ما شاهدته وسمعتته وتلامست معه، إنما هو ظل كما حدث مع بولس الرسول الذي سمع كلمات لا يُنطق بها (٢ كو ١٢: ٤).

لقد أدركت الملكة أن سليمان وأهل بيته والعاملين معه أسعد من رأتهم على وجه الأرض! هنا نذكر ما كتبه القديس يوحنا الذهبي الفم أن الإنسان المسيحي أسعد إنسان على الأرض.

لم يُشير الكتاب المقدس إن كانت ملكة سبأ قد زارت الهيكل بكونه أعظم ما أقامه سليمان في

^١ الرسالة الأولى.

^٢ Sermons on N.T. Lessons, 1:5.

العاصمة، غير أن اهتمامه بعدم سُكْنَى زوجته ابنة فرعون في بيت داود يوحي بأنه لم يُعْطِ لملكة سبأ فرصة لزيارة هيكل الرب المقدس.

فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: صَحِيحُ الْخَبْرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ! [٥]
وَلَمْ أُصَدِّقْ كَلَامَهُمْ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ،
فَهُوَذَا لَمْ أُخْبَرْ بِنِصْفِ كَثْرَةِ حِكْمَتِكَ.
زِدْتِ عَلَيَّ الْخَبَرَ الَّذِي سَمِعْتُهُ. [٦]

شئان ما بين ما سمعته الملكة عن حكمة سليمان، وبين ما لمستته بنفسها عندما التقت معه.
حقًا عندما تلامس الشعب مع حكمة سليمان، مَجَّدُوا الرب واهب الحكمة.

❖ حينئذٍ هتف كل شعب بيت إسرائيل لِيُمَجِّدَ الرب الذي أعطى له الحكمة.

"مبارك هو الرب الحافظ محبته لعبده داود، وأقام بعده ابنه وملاه حكمة..."

ليعظم كرسي الملك سليمان على إسرائيل، وينتشر خبره بين الأمراء وشعوب الأرض.

لتذهب ملكة سبأ، وتستفسر عن حكمته (١ مل ١٠)، وتقابله بعطور كل الروائح^١.

القديس مار يعقوب السروجي

فَطُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ،

هُوَلَاءِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِمًا،

وَالسَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ. [٧]

شَعَرْتُ لِمَلِكَةِ سبَأَ أَنَّ لِسَانَهَا يَعْجُزُ عَنِ التَّعْبِيرِ فِيمَا يَخْصُ سُلَيْمَانَ نَفْسَهُ، فَصَارَتْ لَا تُطَوِّبُهُ هُوَ،

بَلْ تُطَوِّبُ رِجَالَهُ الْعَامِلِينَ مَعَهُ وَالسَّامِعِينَ لَهُ. وَلَعَلَّهَا شَعَرَتْ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُطَوِّبَهُ، فَطَوَّيْتُ مِنْ

يَلْتَقِي مَعَهُ، وَيَتَمَنَّعُ بِهِ.

هذا ما أعلنه السيد المسيح للذين التصقوا به ونظروه وتلامسوا معه، قائلاً لهم: "طوبى للعيون

التي تنظر ما تنظرونه" (لو ١٠: ٢٣).

لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ،

وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّهِ مَلِكًا لِلرَّبِّ إِلَهُكَ.

^١ ميمر ١١ على الزانيتين (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بهنام).

لَأَنَّ إِلَهَكَ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ لِيُثَبِّتَهُ إِلَى الْأَبَدِ.

فَدَجَّلَكَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا لِتَجْرِي حُكْمًا وَعَدْلًا. [٨]

أدركت ملكة سبأ محبة الله لشعبه، إذ جعل سليمان ملكاً عليهم يجري حكماً وعدلاً (أو برّاً)، غير أن سليمان فيما بعد أنقل عليهم بطلباته لكي ينفق على مشروعاته وإنشاءاته. أما وقد ملك السيد المسيح على البشرية، فبذل ذاته لأجل خلاص العالم، ووهبهم برّه برّاً لهم.

❖ المسيح هو الصلاح الذي كان ينتظره الشعب^١.

العلامة أوريجينوس

❖ نحن الذين لنا المسيح - مصدر كل الضروريات - ساكنًا في القلب، قد اغتينا مرة واحدة في كل نوع من الفضيلة، وصار لنا فيض من المواهب الروحية الثابتة.

القديس كيرلس الكبير

❖ ماذا يعني: "ومن ملئه نحن أخذنا" (يو ١ : ١٦)؟...

يقول إنه لا يملك العطية بالمشاركة، بل هو نفسه ينبوع ذاته وأصل كل صلاح، الحياة ذاتها، النور ذاته، الحق ذاته، يحتجز في داخله غنى صلاحه، بل يفيض به على الآخرين، ويبقى بعد هذا الفيض في ملئه، لا ينقص وهو يمدُّ الآخرين، بل على الدوام يفيض، ويهب الغير ليشاركوه بركاته، ويبقى في كماله كما هو.

ما أفتنيه أنا هو بالمشاركة (أي أقبله من الغير)، لدي نصيب قليل من الكل، كنقطة ماء فقيرة إن قورنت بلجة لا تُحد أو بحر بلا حدود. وحتى هذا المثل لا يقدر أن يُعبّر بالكامل عما نحاول أن نقوله...

لنفترض وجود مصدر نار، ومن هذا المصدر أشعلت ربوات المصابيح... ألا تبقى النار كما هي في ملئها حتى بعد أن قدّمت ما لها لكل مثل هذا العدد؟ واضح لكل إنسان إن الأمر هكذا^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأَهْدَتْ لِلْمَلِكِ مِئَةَ وَعِشْرِينَ وَزَنَةَ ذَهَبٍ وَأَطْيَابًا كَثِيرَةً جَدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً،

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي أَهْدَتْهُ مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. [٩]

¹ Commentary on John, Book 1:29.

² Homilies on St. John, Hom. 14:1.

تقديم ملكة سبأ الأمامية هدايا لسليمان كان رمزاً لما سيفعله المجوس الغرباء عند ميلاد السيد المسيح الملك العجيب حيث قَدَّموا له هدايا.

وَكذَا عبيدُ حورامَ وَعبيدُ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ جَلَبُوا ذَهَبًا مِنْ أوفِيرٍ،
 أَتَوْا بِخَشَبِ الصَّنَدَلِ وَحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ. [١٠]
 وَعَمِلَ الْمَلِكُ خَشَبَ الصَّنَدَلِ دَرَجًا لِيَبْتَئِ الرَّبَّ وَيَبْتَئِ الْمَلِكِ
 وَأَعْوَادًا وَرِيَابًا وَلَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَبْلُ فِي أَرْضِ يَهُودَا. [١١]
 وَأَعْطَى الْمَلِكُ سُلَيْمَانَ مَلِكَةَ سَبَا كُلَّ مُشْتَهَاها الَّذِي طَلَبَتْ،
 فَضلاً عَمَّا أَتَتْ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ.
 فَأَنْصَرَفَتْ، وَذَهَبَتْ إِلَى أَرْضِهَا هِيَ وَعبيدُهَا. [١٢]

٢. عظمة بلاط سليمان وثروته

إذ كان الله كلي الغنى والمجد والقوة والحكمة مع سليمان، سكب مما له على محبوبه. لم يذكر التاريخ ملكاً في غنى سليمان ومجده مع حكمته وقدرته على خلق جوٍ من السلام مع الأمم والشعوب في عصره. مع ذلك يقول السيد المسيح إن زنايق الحقل التي تظهر لمدة يوم وتجف أبرد جمالاً مما يرتديه سليمان (مت ٦: ٢٩).

هذا ولم يُسجَل هذا السفر انحرافات سليمان وسقوطه، التي وردت في ملوك الأول. ولعل الكتاب يُقدِّم لنا درساً هاماً وهو وإن كان حتى العظماء والحكام قد يسقطون، وسقوطهم يكون خطيراً، غير أنه ليس لنا أن نشهر بهم في كل وقت. هذا ومن جانب آخر، ربما قدَّم سليمان توبة عنها، لذلك صمت السفر عنها، لأنها عُفِرَتْ له (حز ٣٣: ١٦). الله في محبته للإنسان، لا يعود يذكر خطايانا مادامنا رجعنا إليه وتركنا طريق الشر.

وَكَانَ وَزْنُ الذَّهَبِ الَّذِي جَاءَ سُلَيْمَانَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ،
 سِتِّ مِئَةٍ وَسِتِّئَا وَسِتِّئِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ [١٣]

هذا الوزن من الذهب يعادل حوالي ٢٥ طناً من الذهب. ومع هذا يُسجَل لنا الحكيم فيما بعد عن خبرته هذه في سفر الجامعة: "باطل الأباطيل، الكل باطل". وجاء في سفر الأمثال: "القليل مع مخافة الرب، خير من كنزٍ عظيمٍ مع همٍّ. أكلة من البقول حيث تكون المحبة، خير من ثورٍ معلوفٍ ومعه بغضة" (أم ١٥: ١٦-١٧).

غالبًا ما سمعت منه أمثال هذه الحكمة، وهي تشاهد ما في قصره من غنى ومخازنه من كنوز،

فَقِيلَ عَنْهَا: "لَمْ تَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدَ" [٤].

فَضْلًا عَنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ التُّجَّارُ وَالْمُسْتَبْضِعُونَ.

وَكُلُّ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَوَلَاةِ الْأَرْضِ،

كَانُوا يَأْتُونَ بِذَهَبٍ وَفِضَّةٍ إِلَى سُلَيْمَانَ. [١٤]

وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِئَتِي تَرْسٍ مِنْ ذَهَبٍ مُطَّرَقٍ،

خَصَّ التَّرْسَ الْوَاحِدَ سِتِّ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ الْمُطَّرَقِ [١٥]

لقد وعد الله سليمان أن يهبه مع الحكمة الغنى والمجد (٣: ١٣). الغنى في ذاته ليس خطية، فقد كان إبراهيم غنياً جداً، وأعطى كل ثروته لابنه إسحق (تك ٢٤: ٣٤-٣٦). تدبير الثروة ليس خطية، إنما محبة المال هي خطية (١ تي ٦: ٧-١٠). لقد كتب سليمان نفسه: "من يحب الفضة لا يشبع من الفضة، ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل. هذا أيضاً باطل" (جا ٥: ١٠).

وَتَلَاثَ مِئَةِ مِجَنٍّ مِنْ ذَهَبٍ مُطَّرَقٍ،

خَصَّ الْمِجَنَّ الْوَاحِدَ ثَلَاثَ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ.

وَجَعَلَهَا الْمَلِكُ فِي بَيْتٍ وَعَرِ لُبْنَانَ. [١٦]

وَعَمِلَ الْمَلِكُ كُرْسِيًّا عَظِيمًا مِنْ عَاجٍ وَعَشَاهُ بِذَهَبٍ خَالِصٍ. [١٧]

وَاللُّكْرُسِيُّ سِتُّ دَرَجَاتٍ.

وَاللُّكْرُسِيُّ مَوْطِيُّ مِنْ ذَهَبٍ كُلُّهَا مُتَّصِلَةٌ،

وَيَدَانِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ عَلَى مَكَانِ الْجُلُوسِ،

وَأَسْدَانٍ وَأَقْفَانٍ بِجَانِبِ الْيَدَيْنِ. [١٨]

كانت قدما سليمان تُوضعان على ذهب خالص. وقد قيل عن السيد المسيح: "الحق والعدل قاعدة كرسيك" (مز ٨٩: ١٤؛ راجع مز ٩٧: ٢).

وَأَثْنَا عَشَرَ أَسْدًا وَأَقْفَةً هُنَاكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ السَّتِّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ.

لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ الْمَمَالِكِ. [١٩]

كان سليمان يود تأكيد غناه وقوته، فزَيَّنَ عرشه وبيته بتمائيل أسود، أما السيد المسيح فأعلن عن إمكانياته بأن وهب تلاميذه ومؤمنيه سلطاناً أن يطأوا إبليس وقوات الظلمة، فلا يخشون الأسد الذي يجول ملتصماً من بينتلعه (١ بط ٥: ٨).

❖ أتريد أن تكون بتولاً؟... إن كنت تتوق إلى هذا كلّه إغلب الجسد، اهزم شهوات الجسد، اغلب العالم في روح الله، انتصر على الزمنيات الباطلة التي تعبر وتشيخ وتفسد وتنتهي، اغلب التّنين (رؤ ١٢: ٧)، اغلب الأسد (١ بط ٥: ٨)، اغلب الحيّة (٢ كو ١١: ٣)، اغلب الشيطان، يسوع الذي يُقوّيك، بسماعك كلماته وتمتّعك بالإفخارستيا في الله. احمل صليبه واتبعه (مت ٢٦: ٢٤)، ذاك الذي يُطهّرك، يسوع المسيح ربك^١.

القديس إكليمنضس الروماني

❖ بعد انتصاراتك النابغة من انتصاراته، تستقبلك الملائكة أيضاً وتُمدّدك وتخدمك كحراس لك في كل شيء^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَجَمِيعُ آيَةٍ شُرِبِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ مِنْ ذَهَبٍ،
وَجَمِيعُ آيَةٍ بِيَّتٍ وَعَرِ لُبْنَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ.
لَمْ تُحْسَبِ الْفِضَّةُ شَيْئًا فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ [٢٠]

أبرز سليمان عظّمته باستخدامه أوّانٍ جميعها من الذهب، أما مسيحنّا ففتبرز عظّمته بأن يُقيّمنا نحن الترابيين سمائيين، إذ يُشير الذهب إلى السماء.

❖ وُلِدَ في مذود، ليرفعكم إلى المذبح،

جاء إلى الأرض، ليرفعكم إلى السماء،

لم يجد له موضعاً إلا في مذود البقر، لكي يقدم لكم منازل في السماء (يو ١٤: ٢)، وكما يقول الرسول: "إنه من أجلكم افتقر وهو غنيّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢ كو ٨: ٩). فميراثي هو فقر المسيح، وقوتي هي ضعف المسيح.

القديس أميروسسيوس

❖ يُطعم أولئك الذين يحسبون بين البشر سمائيين حتى يصلوا إلى الأبدية، تاركاً جانباً شهوات الجسد لكي تسقط محطمة^٣.

القديس إكليمنضس الإسكندري

¹ Ep. 1:5

² In Matt. hom 13:5.

³ Paedagogus 1:6.

لَأَنَّ سَفْنَ الْمَلِكِ كَانَتْ تَسِيرُ إِلَى تَرْشِيشَ مَعَ عَبِيدِ حُورَامَ،

وَكَانَتْ سَفْنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلَاثِ سِنِينَ،

حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوَيْسَ. [٢١]

فَتَعْظَمُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانَ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ. [٢٢]

تعظم سليمان بالغنَى والمجد والحكمة الأمور التي وهبها الله له. أما نحن فقد صار لنا مسيحنَا غنى وشعبًا وحكمة!

❖ من يساندنا؟ يسوع المسيح، كلمة الله وحكمة الله. علاوة على هذا يوازننا، ليس ليومٍ أو يومين، وإنما أبدياً^١.

العلامة أوريجينوس

❖ من يؤمن حقًا يتجدد تمامًا بذاك الذي فيه الحق واللاهوت والجوهر والحياة والحكمة، ويرى فيه كل هذه والتي ليست فيمن لا يؤمن. فإنه بدون ابن الله لا يكون لك وجود ولا اسم، وبصير القوي بلا قوة، والحكيم بلا حكمة. لأن المسيح هو "قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١: ٢٤)، فإن من يظن أنه يرى الله الواحد بلا قوة ولا حق ولا حكمة ولا حياة ولا نور حقيقي، إما أنه لا يرى شيئًا بالمرة، أو بالتأكيد يرى ما هو شر^٢.

القديس غريغوريوس النيسي

وَكَانَ جَمِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ وَجْهَ سُلَيْمَانَ،

لِيَسْمَعُوا حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِهِ. [٢٣]

كان ملوك الأرض يشتهون الاستماع لسليمان بسبب الحكمة التي وهبها الله إياها، فإن المؤمنين إذ يُقيّمهم الرب ملك الملوك ملوكًا، يلتمسون وجهه ليقتنوه بكونه حكمة الله.

وَكَانُوا يَأْتُونَ كُلَّ وَاحِدٍ بِهَدِيَّتِهِ،

بِأَنْيَةٍ فَضَّةً وَأَنْيَةَ ذَهَبٍ،

وَخَلْلٍ وَسِلَاحٍ وَأَطْيَابٍ وَخَيْلٍ وَبِعَالٍ سِنَّةً فَسِنَّةً. [٢٤]

وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مَدُودِ خَيْلٍ وَمَرْكَبَاتٍ وَأَثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ،

فَجَعَلَهَا فِي مَدُنِ الْمَرْكَبَاتِ وَمَعَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ. [٢٥]

¹ Commentary on 1 Cor. 1:2:52-54.

² Against Eunomius 2:7.

لم ينصت سليمان إلى تحذير الشريعة للملوك: "ولكن لا يكثر له الخيل، ولا يرد الشعب إلى مصر لكي يكثر الخيل" (تث ١٧ : ١٦).

وَكَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمُلُوكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ،
وَأَلَى تَخُومِ مِصْرَ. [٢٦]
وَجَعَلَ الْمَلِكُ الْفِصَّةَ فِي أُورُشَلِيمَ مِثْلَ الْحِجَارَةِ،
وَجَعَلَ الْأَرْزَ مِثْلَ الْجَمِّيزِ الَّذِي فِي السَّهْلِ فِي الْكَثْرَةِ. [٢٧]
وَكَانَ مُخْرَجُ خَيْلِ سُلَيْمَانَ مِنْ مِصْرَ وَمِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِي. [٢٨]

٣. ختام حكمه

وَبَقِيَتْ أُمُورُ سُلَيْمَانَ الْأُولَى وَالْأَخِيرَةَ،
مَكْتُوبَةٌ فِي أَخْبَارِ نَاتَانَ النَّبِيِّ وَفِي نُبُوءَةِ أَخِيَا الشَّيْلُونِيِّ،
وَفِي رُؤْيَى يَغْدُو الرَّاغِي عَلَى يَرْبَعَامَ بْنِ نَبَاطَ. [٢٩]
وَمَلَكَ سُلَيْمَانُ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. [٣٠]
ثُمَّ اضْطَجَعَ سُلَيْمَانُ مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ.
وَمَلَكَ رَحْبَعَامُ ابْنُهُ عَوَضًا عَنْهُ. [٣١]

ختم السفر الحديث عن سليمان دون أن يذكر سقطاته في محبته للنساء الغريبات وانحرافه لعبادة الأوثان عن طريقهن. وذلك بكون مملكته ترمز لمملكة المسيح التي يلزم أن تكون مُقَدَّسَةً وبلا خطية، مُشْرِقَةً ببهاء شمس البرّ.

من وحي ٢ أي ٩

لألتقي بك وأقتنيك يا حكمة الله!

- ❖ انطلقت ملكة سبأ إلى سليمان، إذ سمعت عنه.
وها أنت رب سليمان قد نزلت إليّ.
سمعت ملكة سبأ عن حكمة سليمان، فحملت إليه هدايا!
أما أنت فتدعوني لأتحد بك، وأتمتع بشركة مجدك.
- ❖ اسمح لي أن أكشف لك كل ما في قلبي.
بروحك القدوس أجلس عند قدميك.
هناك أناجيك يا عريس نفسي.
أسمع صوتك، وأتمتع ببهائك.
يذوب قلبي حباً فيك.
وأشتهي أن تتجذب كل البشرية إليك.
- ❖ التقت ملكة سبأ بالعاملين في قصر سليمان.
بُهِّرت بتدبير قصره،
وطوّبت العاملين معه والسامعين له.
أما أنت فتفتح لي أبواب سماواتك.
أطوّب الأنبياء والرسل والتلاميذ وكل المؤمنين.
وأشتهي أن أسبّحك معهم كما مع كل الطغمة السماوية.
أرى في الفردوس لصوصاً صاروا قديسين.
وأتمسّ نعمتك التي أقامت من الترابيين شبه سماويين.
أقف في دهشة أمام غنى نعمتك الفائقة!
- ❖ حسبت ملكة سبأ كل الذين حولك أسعد من هم على الأرض.
وها أنا أرى كنيسةك العروس الفريدة.
تحمل انعكاس بهائك يا من أنت أبرع جمالاً من بني البشر!
بنورك أزلت عنها كل ظلمة.

وبنعمتك صارت تحمل برك.

بصليتك صارت الملكة الجالسة عن يمينك!

❖ صار مسكنها معك في السماء.

حيث لا يقدر الأسد الذي يشتهي أن يفترسها أن يتسلل إليها!

لن يجد العدو فيها شيئاً له!

أنت نورها ومجدها وغناها وسعادتها.

أنت كل شيء، فلا تعوزها شيء.

❖ هب لي أن ألتصق بك وأقتنيك.

لن أتركك، بل تسكن فيّ وأنا فيك.

لك المجد يا قوة الله وحكمة الله.

بك أختبر عربون سماواتك.

بك يرتفع قلبي وفكري كما إلى السماء.

بك أحيا سعيداً مهما حلت متاعب العالم!

ترفعي من مجدٍ إلى مجدٍ!

الباب الثاني

الملوك بعد سليمان

أخبار الأيام الثاني ١٠-٣٦

من رجوع إلى السبي

خلفاء سليمان

كانت شخصية داود الملك التقى والمتألم هي مركز سفر أخبار الأيام الأول. كانت شهوة قلبه أن يبني بيتاً للرب، لكن هذا الطلب رُفِضَ، لأنه كان رجل حروب، حتى وإن كانت لحساب مجد الله. نال داود وعداً أن يُحَقِّقَ ابنه سليمان شهوة قلبه، وجاءت الأصحاحات التسعة الأولى من هذا السفر تبرز اهتمامه ببناء الهيكل، وكأن رسالته الوحيدة هي تحقيق هذا العمل، خاصة وأنه ظهر كملك السلام. الآن، جاءت تكملة السفر عن خلفاء سليمان كملوكٍ ليهودا حتى سقطت المملكة تحت السبي البابلي، وتَحَقَّقَ الوعد الإلهي بالرجوع في السنة السبعين من السبي. يكاد يتخصص السفر في مملكة يهوذا متجاهلاً إلى حدٍ كبيرٍ مملكة إسرائيل المنشقة والمقاومة لبيت داود.

يلاحظ في تاريخ هذه الحقبة الآتي:

١. مع اتمام السفر بحذف أخطاء سليمان تماماً، ليرى أن ملك السلام الحقيقي الذي يبني بيت الله هو ابن داود ملك السلام الذي بلا خطية، والذي قيل عنه: "أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً (٢ صم ٧: ١٤)"، "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧). هذه الأقوال لا يمكن أن تنطبق على داود أو سليمان، إنما على حكمة الله المتجسد، ابن الله الوحيد، مُخَلَّصَ العالم، الذي هو من ذرية داود حسب الجسد. لهذا جاء الوعد الإلهي أن يعطيه وبنيه سراجاً كل الأيام (٢ أي ٢١: ٧). لقد بقي هذا السراج في البيت الملكي، أحياناً خافتاً جداً حتى ظهور الابن الموعود به في وسط الظلمة الحالية، لكي يُشْرِقَ بنوره على الجالسين في الظلمة.

لقد بذل عدو الخير كل الجهد لكي يطفئ هذا السراج قبل مجيء ابن داود، لكن نعمة الله كانت تعمل عبر الأجيال، حتى يأتي ذاك الذي يُحَطِّمُ مملكة إبليس، ويُحَرِّرُ البشرية من أسره خلال الصليب.

٢. خلال هذه الفترة، ظنَّ عدو الخير أنه قادر أن يطفئ السراج تماماً خلال الملوك الأشرار مثل يورام وأخزيا وآحاز وغيرهم. لقد جاء وقت كما في أيام أخزيا لم يبقَ من نسل داود سوى طفل صغير نجا من مذبحه الجنس الملكي.

لم يكن ممكناً للشيطان بكل عنفه وقسوته وخداعه أن يقف ضد نعمة الله العاملة لحساب خلاص

البشرية. وكما يقول النبي: "من هو إله مثلك، غافر الإثم، وصافح عن الذنب لبقية ميراثه؟ لا يحفظ إلى الأبد غضبه. فإنه يسر بالرأفة. يعود ويرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم" (مي ٧: ١٨-١٩).

٣. بعد الرجوع من السبي، صار الخط الخاص ببيت داود مستمرًا، لكن لم يعد بينهم ملوك، وتدرجيًا فقد امتيازاته الزمنية وإمكانياته المادية، حتى جاءت الصبية النقية والمخطوبة لنجارٍ فقيرٍ يولد منها ملك الملوك، المسيا مُخَلَّص العالم، ملك البرّ. بصليب ابن داود وقيامته وصعوده إلى السماء، ملك على قلوب المؤمنين من اليهود والأمم دون محاباة، وها هو يُعَدُّ المكان للعروس الملكة التي تجلس عن يمينه إلى الأبد.

انقسام المملكة

يُعتَبَرُ الأصحاح العاشر الخط الفاصل بين حكم داود وسليمان من جانب، حيث كانت الأسباط في وحدة باسم بني إسرائيل وبين انقسام المملكة إلى مملكتين، مملكة يهوذا تضم سبطي يهوذا وبنيامين، بينما مملكة إسرائيل المنشققة تضم العشرة أسباط الأخرى. وهنا نلاحظ الآتي:

١. أن سبط بنيامين الذي ينتسب إليه شاول الملك المرفوض والمقاوم لداود صار السبط الوحيد المُتَّحد مع يهوذا. هذا من فضل نعمة الله الذي حَوَّلَ العداوة التي أثارها شاول ضد داود إلى صداقة بين السبطين أو هو مكافأة لداود بعد نياحته، فقد رَدَّ له محبته العجيبة لشاول المملوء كراهية له وذلك في أحفاد أحفاده.

٢. ما يشغل هذا السفر هو سبط يهوذا بكونه السبط المُمَثِّل لشعب الله، والذي منه يأتي ملك السلام والبرّ متجسدًا. أما الحديث عن مملكة إسرائيل، فلا تُذَكَّرُ إلا فيما يخص علاقتها بيهوذا.

٣. شملت مملكة الشمال تسع أسر حاكمة، وقد انتشر الاغتيال بينها بهدف اغتصاب الحكم، وقد دامت لمدة ٢٥٠ عامًا. أما مملكة الجنوب فدامت لمدة ٣٥٠ عامًا، وتمسكت بالأسرة المالكة التي هي بيت داود حيث وعد الله داود أن تثبت المملكة التي يحكمها نسله إلى الأبد، إن حفظوا وصاياه. وقد جاء السيد المسيح مولودًا من نسل داود حسب الجسد، وهو ملك الملوك الذي يملك إلى الأبد. مع كل الأخطاء التي ارتكبتها بعض الملوك الذين جاؤوا من بيت داود، إلا أنه وُجِدَ بينهم ملوك اهتموا بالعبادة لله الحيّ.

٤. سجّلت لنا الأصحاحات ١٠-٣٦ ملوك يهوذا. تسعة ملوك منهم كانوا صالحين، وعشرة ملوك كانوا أشرارًا.

منسّى الذي ملك ٥٥ سنة، بدأ كأشر ملك في تاريخ يهوذا، وختم حياته كأحد الملوك الصالحين، برجوعه إلى الله.

رحبعام رفض مشورة الشيوخ الصالحين، وقبِلَ مشورة أصدقائه الأشرار، فانقسمت في أيامه المملكة، وفقد عشرة أسباط. لقد بذل كل جهده لتقوية مملكته، وصارت قوية، لكنه عاد فعصى وصايا الله وناموسه (أصحاح ١٢). سدّ أذنيه عن مشورة الصالحين، والآن سدّ أذنيه عن الاستماع لله نفسه. **الملك الشرير الثاني يهورام**، تسلل الحسد إلى قلبه، فقتل إخوته بالسيف مع بعض رؤساء إسرائيل.

تمنّى بالأمم، فعبد في المرتفعات، بدأ بعبادة الرب، لكن سرعان ما تسلّلت عبادة الأوثان في يهوذا. ثمرة هذا الانحراف غزو الفلسطينيين لهم.

الملك الشرير الثالث آحاز (٢ أي ٢٨)، تزايد في الشر، فقدم الملك أبناءه مُحزقات في وادي بن هنّوم مثل الأمم. لذلك سمح الله للأراميين أن ينتصروا عليه، ويسبوا الكثيرين من شعبه. أرسل الله ملوكًا صالحين لتصحيح ما أفسده الأشرار.

أساسات الإصلاح

١. الرجوع إلى الله وتجديد العهد معه، على مستوى الملك والقادة والشعب.
٢. الإصرار على إطاعة الوصية (١٥: ١٢-١٥).
٣. الاهتمام بخدمة التعليم (يهوشافاط ١٧: ٧-٩).
٤. ردّ حقوق الله (يوآش ٢٤: ٤-٥).
٥. تطهير الهيكل (يوشيا ٣٤: ١٤).
٦. العودة إلى الاستماع لكلمة الله (٣٤: ٢٩-٣١).

أنبياء هذا العصر

نظرًا لمقاومة عدو الخير بيت داود بعنفٍ، حتى لا يخرج منه من يملك إلى الأبد، وبسبب عدم أمانة الكثير من الملوك أنفسهم الذين من بيت داود، فقد اتّسم ذلك منذ انقسام المملكة حتى السبي البابلي والعودة منه بظهور الكثير من الأنبياء. هؤلاء يؤكّدون خطة الله للخلاص ومجيء ملك البرّ

ابن داود، ويفتحون أبواب الرجاء. وفي نفس الوقت يحذرون الملوك والكهنة والشعب من التماذي في العصيان والاستهتار بالوصية الإلهية. كما أعلنوا عن تأديبات الله التي ستحل بهم، من بين هؤلاء الأنبياء، ورد الآتي:

١. ناثان النبي (٩: ٢٩).
 ٢. أخيا الشيلوني (٩: ٢٩؛ ١٠: ١٥).
 ٣. عدو الرائي (٩: ٢٩؛ ١٢: ١٥؛ ١٣: ٢٢).
 ٤. شمعيًا رجل الله (١١: ٢؛ ١٢: ٥، ١٥).
 ٥. عزريا بن عوديد (١٥: ١).
 ٦. عوديد (١٥: ٨).
 ٧. حناني الرائي (١٦: ٧).
 ٨. ميخا (ميخايا) بن يملة (١٨: ٧).
 ٩. ياهو بن حناني الرائي (١٩: ٢؛ ٢٠: ٣٤).
 ١٠. يحزقييل بن زكريا (٢٠: ١٤).
 ١١. أليعازر بن دوداهو (٢٠: ٣٧).
 ١٢. إيليا النبي (٢١: ١٢).
 ١٣. بعض أنبياء وزكريا بن يهوئاداع (٢٤: ١٩-٢٠).
 ١٤. رجل الله (٢٥: ٧).
 ١٥. نبي (٢٥: ١٥).
 ١٦. زكريا الرائي (٢٦: ٥٦).
 ١٧. إشعيا بن أموص (٢٦: ٢٢؛ ٣٢: ٣٢).
 ١٨. ميخا المورشتي (إر ٢٦: ١٨).
 ١٩. بعض الرائيين (الأنبياء) (٣٣: ١٨-١٩؛ ٢ مل ٢١: ١٠).
 ٢٠. خلدة النبوية (٣٤: ٢٢).
 ٢١. إرميا (٣٥: ٢٥؛ ٣٦: ١٢، ٢١).
 ٢٢. رسل وأنبياء (٣٦: ١٥-١٦)؛ أوريا بن شمعي (إر ٢٦: ٢٠).
- لقد عبّر السيد المسيح عن مدى مقاومة القيادات والشعب للأنبياء، بقوله: "ولما قرب وقت الأثمار

أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضًا، وقتلوا بعضًا، ورجموا بعضًا. ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثر من الأول، ففعلوا بهم كذلك" (مت ٢١: ٣٤-٣٦).

الأصحاح العاشر

انشقاق في عصر رحبعام

تجاهل أخبار الأيام أخطاء داود وسليمان، ليس للتغطية عليهما، إنما ليُقَدِّم الملكين بكونهما رمزين للمسيّا الملك الذي بلا خطية وحده. الآن يتحدث عما حدث من انقسام في أيام رحبعام للشعب (٢ أي ١٥: ١٠).

سُجِّلت الظروف التي دفعت إلى انقسام المملكة في ١ مل ٢: ١-٢٤، بنفس الطريقة التي وردت هنا، غير أن سفر الملوك اهتم بتسجيل أصول مملكة إسرائيل، أما سفر الأخبار فاهتم بأصول مملكة يهوذا.

يروى الكتاب المقدس عن سليمان أنه أكثر ملوك إسرائيل حكمةً، لكن للأسف كان ابنه رحبعام غير حكيم، يسلك حسب مشورة الأشرار بروح العنف والقسوة، ولم يقبل مشورة الشيوخ أصحاب الخبرة. أحد المبادئ الرئيسية التي ركّز عليها سفر الأمثال لسليمان الحكيم هو عدم تجاهل مشورة أصحاب الخبرة والجري وراء اندفاعات الشبان الذين بلا خبرة.

١. جهالة رحبعام ١.
٢. تطرّف المنقسمين ٢-١٥.
٣. نبذهم رحبعام ١٦-١٩.

١. جهالة رحبعام

وَدَهَبَ رَحْبُعَامُ إِلَى شَكِيمَ،

لَأَنَّهُ جَاءَ إِلَى شَكِيمَ كُلِّ إِسْرَائِيلَ لِيُمَلِّكُوهُ. [١]

رحبعام هو الابن الوحيد لسليمان الذي سجّل عنه التاريخ، وقد وُلِدَ لسليمان من نعمة العمونية (١ مل ١٤: ٣١)، يُحتمل أن تكون ابنة حانون ملك عمون.

"رحبعام" معناها "سعة الشعب"، دُعِيَ هكذا تذكّارًا لاستكمال اكتساب أرض الموعد التي لم يتم امتلاكها إلا في أواخر أيام داود (خر ٣٤: ٢٤). دُكِرَ عنه أنه بسبب عدم حكمته انقسمت المملكة.

يرى البعض أن سليمان تكلم عن نفسه، حين قال: "من ولد جاهلاً فلحزنه، ولا يفرح أبو الأحمق" (أم ١٧: ٢١). فقد تمرّرت نفسه في أواخر أيامه حين أدرك أنه سيتترك مملكته لابنه العديم الفهم.

عَبَّرَ عن ذلك بقوله: "فكرهتُ كلَّ تعبِي الذي تعبْت فيه تحت الشمس، حيث أتركه للإنسان الذي بعدي. ومن يعلم، هل يكون حكيماً أو جاهلاً، ويستولي على تعبِي الذي تعبْت فيه، وأظهرت فيه حكمتي تحت الشمس؟ هذا أيضاً باطل... لأنه قد يكون إنسان تعبهُ بالحكمة والمعرفة وبالفلاح، فتركه نصيباً للإنسان لم يتعب فيه. هذا أيضاً باطل وشر عظيم" (جا ٢: ١٨-١٩، ٢١).

لا يعلم الحكيم ماذا يفعل ورتته بما تعب فيه واقتناه، أما من يرتبط بالحكمة السماوية في حياته وسلوكه، فيورثهم البركة التي لا تضيع. ماذا ورث زكريا الكاهن وأليصابات القديس يوحنا المعمدان؟ صلواتهما الدائمة المقدسة وبرهما في الرب. فكانت حياتهما سنداً له في البرية وهو محروم من رعايتهما المنظورة!

١. مع حكمة سليمان وإمكانياته ونيته الصادقة، انحرف بزواجه بالوثنيات، وكان من ثمرة هذا أيضاً أن ابنه لم يسلك بفكر أبيه.

٢. أخطأ سليمان في مبالغته في الإنشاءات، وفي الإنفاق على نسائه، فأنقل على شعبه من جهة الضرائب، وكان هذا عاملاً أساسياً في انقسام المملكة.

٣. يرى البعض في هؤلاء المتذمّرين أنهم نسوا ما فعله سليمان، حيث عاشت المملكة أربعين عاماً في سلام ورخاء بلا حروب، وقد اتسم عصره بالرخاء للجميع.

٤. هنا الخطأ مُشترك، فالشعب تذرّ ونسي بركات عصر سليمان، ومن جانب آخر رحبعام لبس تاج أبيه ولم يتمتع بعقله وحكمته. ولا تمتع بروح الرعاية الصادقة التي لجده داود. لم ينصت رحبعام لحكمة أيوب وتواضعه، إذ قال إنه لم يكن يرفض حق عبده وأمته في دعواهما لديه (أي ٣١: ١٣). كان الشعب في حاجة إلى كلمات لطيفة من رحبعام، فيكونون له عبيداً كل الأيام بكل سرور [٧]. فالكلمات الطيبة لا تكلفنا إلا القليل من إنكار الذات، بها نقتني بركات لا حصر لها.

شكيم

اجتمع كل إسرائيل في شكيم ليُملَكوا رحبعام بن سليمان عليهم.

تقع شكيم على بُعد حوالي ٤٠ ميلاً شمالاً أورشليم، وهي مركز لائق لاجتماع هام كهذا، فهي تقع في منطقة منسى، وهذا أمر يبهج الشعب القاطن في الشمال. في شكيم توجد مقبرة يوسف (يش ٢٤: ٣٤). كان إبراهيم أب كل اليهود في شكيم (تك ١٢: ٦)، وأيضاً يعقوب (تك ٣٣: ١٨). وقام يشوع مع جميع أسباط إسرائيل بتجديد العهد مع الله في شكيم (يش ٢٤).

فاختيار شكيم كان يحمل إمكانية غرس روح الوحدة بين الشمال والجنوب، لكن للأسف تصرّف رجبعم سبب انشقاقاً خطيراً وتقسيم المملكة.
حسن أن تم الاجتماع في شكيم، لكن للأسف لم نسمع عن تجديد العهد مع الله كما حدث عندما صار شاول ملكاً وأيضاً داود (٢ صم ٢: ٤) وسليمان (١ مل ١: ٢٨ الخ).
إن صحّ لنا القول إن رجبعم عندما تسلّم المملكة لم يكن الله أولاً في قلبه، ولم يشعر أنه تسلّم هذا العمل من يديه.

٢. تطرّف المنقسمين

وَلَمَّا سَمِعَ يَرْبِعَامُ بَنُ نَبَاطَ،
(وَهُوَ فِي مِصْرَ حَيْثُ هَرَبَ مِنْ وَجْهِ سُلَيْمَانَ الْمَلِكِ)

رَجَعَ يَرْبِعَامُ مِنْ مِصْرَ. [٢]
فَأَرْسَلُوا وَدَعَوْهُ،

فَأَتَى يَرْبِعَامُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ وَكَلِمُوا رَجُبِعَامَ، قَائِلِينَ: [٣]
إِنَّ أَبَاكَ قَسَى نَبْرَتَنَا، فَالآنَ خَفَّفْ مِنْ عُبُودِيَةِ أَبِيكَ الْقَاسِيَةِ،
وَمِنْ نِيرِ الثَّقِيلِ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَيْنَا فَخَدِمْنَا. [٤]

كان الشعب يئن من نير سليمان الثقيل، إذ لم يحمل روح أبيه داود الذي كان بالحق يحب شعبه، وبيذل نفسه من أجل خدمتهم.

أما سليمان فلم يخدم شعبه، إنما ما كان يشغله تحقيق مشروعاته واشتياقاته التي بالغ فيها. أما رجبعم فلم يكن يشغله الإنصات إلى أنين الشعب. كان رجبعم لا يدرك مفهوم القيادة، إذ لم يكن راعياً صالحاً كجده داود.

قسّم سليمان الدولة من جهة مسؤوليات العمل إلى اثنتي عشرة منطقة (١ مل ٤: ٧-١٩)، وبيدو أنه استثنى سبط يهوذا، تبع هذا أنه حين جند مسؤولين للعمل أعفى يهوذا من العمل (١ مل ٥: ١٨-١٣). هذا ما سبق أن أشار إليه صموئيل النبي مُقدِّماً حين طلب الشعب إقامة ملكٍ عليهم كسائر الأمم. لقد حدّثهم، قائلاً: "هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم: يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه... ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين، فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده... وأنتم تكونون له عبيداً" (١ صم ٨: ١١-١٨).

❖ توجد بالحقيقة أمور أخرى كثيرة قادرة أن تهينا دالة لدى الله، وتظهرنا بهيين ومُزكّين، وأما أكثر

الكل مما يجلب إرادة صالحة من الأعالي، فهو الاهتمام بقريننا في حنو، الأمر الذي طلبه المسيح من بطرس¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إننا نقرأ عن حالات غير فريدة، بل حتى بالنسبة للملوك، عن مدى فاعليّة اللطف "المحبّة"، وبمقدار ضرر الكبرياء، والكلمات الثائرة، إذ أدت إلى زعزعة ممالك وإبادتها.

❖ كم من تدمّرات وجّهها الشعب ضد موسى، ومع ذلك احتملها! وعندما أراد الرب أن ينتقم له منهم، فضّل أن يُقدّم نفسه للموت لكي ينقّذهم من الغضب الإلهي (خر ٣٢: ٣٢).
بأي حنو كان يتكلّم موسى مع الشعب، حتى بعدما أخطأوا في حقّه! لقد أراحهم بأعماله، وعزّاهم بنبوّته عن المستقبل وشجّعهم.

مع أنه كان يتحدّث مع الله كثيرًا، لكنّه متى تحدّث مع الشعب، كان يتكلّم برقة وسرور.

❖ لقد تأهّل موسى أن يصير فوق كل الناس، حتى لم يقدرُوا أن ينظروا وجهه (خر ٣٤: ٣٠). وقد أسرهم، حتى أحبّوه بسبب حنوّه أكثر من إعجابهم بالمعجزات التي تمّت على يديه.

❖ داود أيضًا اقتفى آثار موسى، فإذ اختير ليحكم الشعب، كان رقيقًا وعطوفًا، منسحق الروح، مثابّرًا، مستعدًا لإظهار المودّة.

فقبل أن يجلس على العرش، قدّم نفسه للهلاك من أجل الكل (١ صم ١٧: ٢٢)، وإذ صار ملكًا ساوى نفسه بالكل في الحرب، مساهمًا معهم في العمل.

كان مشجّعًا في المعارك، لطيفًا في الحكم (بين الشعب)، صبورًا على احتمال الشتائم، مستعدًا أن يحتمل الآخرين عن أن يرد الخطأ بخطأ. لهذا كان عزيزًا لدى الجميع...

أحب الشجعان حتى الذين هم أعداؤه، مُفكّرًا بأن العدالة تقتضي تكريم من احتملوا الكثير في الحرب، كما لو كانوا رجال جيشه.

أعجبَ بأبنير، القائد الشجاع مع أنه كان أحد خصومه، لذلك لم يحتقره عندما سأله السلام بل كرّمه، صانعًا له وليمة خاصة (١ مل ٢: ٥). وعندما قُتِلَ في خيانة حزن داود عليه ورتاه...

إنه ليس بالأمر الهين أن يُظهر ملك تواضعًا في أعماله، حاسبًا نفسه كأقل أفراد شعبه، رافضًا أن يأكل أو يشرب ماءً خاطرًا آخرون بحياتهم وأحضره.

¹ Homilies on St. John, 88:1.

داود هذا، طلب أن يصب الله غضبه عليه بدلاً من أن يُصبَّ على الشعب، مقدِّمًا ذاته للملاك المهلك، قائلاً: "ها أنا أخطأت وأنا أذنبت، وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا. فلتكن يدك عليّ وعلى بيت أبي" (٢ صم ٢٤: ١٧).

القديس أمبروسيوس

❖ يتشبه الراعي الصالح براعي الرعاة الأعظم القائل: ما من حُب أعظم من هذا، أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه، فيحب قريبه أكثر من نفسه.

الراعي بالاسم لا يجب قريبه بنفسه، فيتهاون به حتى يأخذه اللص أو يخطفه الذئب.

القديس يوحنا الدرجي

فَقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَيَّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ،

فَذَهَبَ الشَّعْبُ. [٥]

حسن أن يعطي رجعاً لنفسه مهلة للإجابة دون تسرع، وحسن أنه استشار الشيوخ الحكماء، لكنه أخطأ لأنه لم يطلب مشورة الرب، ولم يرفع قلبه إليه بالصلاة وتقديم ذبائح.

فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ رَجُلَيْمَ الشُّبُوعِ الَّذِينَ كَانُوا يَقِفُونَ أَمَامَ سُلَيْمَانَ أَبِيهِ،

وَهُوَ حَيٌّ، قَائِلًا: كَيْفَ تُشِيرُونَ أَنْ أُرَدَّ جَوَابًا عَلَى هَذَا الشَّعْبِ؟ [٦]

فَكَلِمَهُ قَاتِلِينَ: إِنْ كُنْتَ صَالِحًا نَحْوِ هَذَا الشَّعْبِ وَأَرْضِيَّتَهُمْ،

وَكَلَمْتَهُمْ كَلَامًا حَسَنًا يَكُونُونَ لَكَ عبيدًا كُلَّ الأَيَّامِ. [٧]

كان الشيوخ يعلمون تمامًا أن الشعب لم يكن مُتمردًا على الملك، إنهم مستعدون أن يخدموه بطيب

قلب، إن كان صالحًا يحمل في قلبه روح الرعاية الصادقة.

ما كان يشغل قلب القادة الصالحين هو أنهم يخدمون الله نفسه بخدمتهم وبذلهم من أجل شعبهم.

كانوا يحسبون أنفسهم خُدماً لا أصحاب سلطان.

لقد جاء كلمة الله نفسه متجسداً، لا ليُخدم بل ليُخدمَ ويبذل نفسه لأجل الكثيرين (لو ٢٢: ٢٤ -

٢٧؛ في ٢: ١-١٣). دَرَّبَ تلاميذه على العمل القيادي خلال الخدمة وغسل أرجل المخدمين (يو

١٣: ١-١٧)، وقد طلب منّا: "من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم خادمًا، ومن أراد أن يكون

فيكم أولاً، فليكن لكم عبدًا" (مت ٢٠: ٢٦-٢٧).

❖ ليت ذلك الذي هو رئيس لا ينتفخ بسبب عمله، لئلا يهوي من طوباوية التواضع، وإنما يليق به أن

يعرف التواضع الحقيقي كخدمة للكثيرين... ليت الأعظم يكون كالأصغر.

❖ يليق بالذين يحتلون المراكز الرئيسية أن يكونوا مستعدين أن يُقدّموا حتى الخدمة الجسدية على مثال الرب الذي غسل أقدام تلاميذه. لذا قيل " (ليكن) المُتقدّم كالخادم"^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ احفظ الإيمان والتواضع داخل نفسك، لأنك بهما تجد الرحمة والمعونة، وتسمع أقوالاً إلهية في قلبك، ويرافقك ملاكك الحارس في الظاهر وفي الخفاء.

❖ التواضع وشّاح الإلوهة، لأن الكلمة المتجسد تسربله، وكلمنا عنه من خلال أجسادنا، فكل من يلبسه يتشبه حقاً بذاك الذي انحدر من علوه، وعطى فضيلة عظمته بالتواضع، وستر مجده به كي لا تلتهب الخليفة بمنظره.

❖ لا يبغض أحد المتواضع، ولا يوبخه ولا يحتقره، لأن سيده يُحبه. يحب الجميع، والجميع يحبونه ويشتهونه في كل مكان، وحيثما وُجدَ ينظرون إليه كملاك نوراني، ويُقدّمون له الإكرام.

❖ التواضع قوة خفية يحصل عليها القديسون الكاملون بعد تمام سيرتهم، ولا تعطي النعمة هذه القوة إلا للكاملين في الفضيلة^٢.

مار إسحق السرياني

فَتَرَكَ مَشُورَةَ الشُّيُوخِ الَّتِي أَشَارُوا بِهَا عَلَيْهِ،
وَاسْتَشَارَ الْأَحْدَاثَ الَّذِينَ نَشَأُوا مَعَهُ،
وَوَقَفُوا أَمَامَهُ [٨]

تَرَكَ مشورة الشيوخ واستشارته للأحداث لم يكن للتعرف على مشورة أخرى، فيقارن بين المشورتين، إنما رفض مشورة الشيوخ لأنها ليست حسب هواه. فإنه لا يريد أن يخدم، بل أن يتسلط. يليق بالخادم أن يسمع للشيوخ كما للشباب، إذ يتطلع إلى المجتمع كله بشيوخه وأطفاله وشبابه ونسائه كأسرة واحدة تتفاعل معاً بروح الحبّ والوحدة في تواضع أمام الرب.

يُحدّثنا آباء الكنيسة عن حاجة الشباب إلى الشيوخ، كما الشيوخ إلى الشباب. يقول الرسول: "كونوا جميعاً خاضعين لبعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون

^١ In Reg. Fus. Dis. Int 30، 31.

^٢ إسحق السرياني: نسكيات، منشورات النور ١٩٨٣، ص ٧٠، ٧٧-٧٩.

فيعطيهم نعمة" (١ بط ٥: ٥).

بدأ أليشع الشاب يعمل مع إيليا الشيخ. يُعجَب القديس أمبروسيوس بالعمل المُشترك بين الخدام
الشيخ والشبان، فلكل منهم دوره المكمل للآخر .

❖ ما أجمل الوحدة بين الشيخ والشاب.

واحد يشهد، والآخر يعطي راحة.

واحد يقود، والآخر يعطي سرورًا...

ماذا عن إيليا وأليشع؟ مع أن الكتاب المقدس لم يتكلم كثيرًا عن أليشع أنه كان شابًا، إلا أنه
يمكن أن نفهم أنه كان الأصغر .

في أعمال الرسل أخذ برنابا مرقس معه، ويولس سيلا (أع ١٥: ٣٩-٤٠) وتيموثاوس (أع ١٦:
٣) وتيطس (تي ١: ٥).

نرى أيضًا تقسيم الواجبات بينهم. فالشيخ يقودون، مُقدمين المشورة، والشبان يظهرون حيوية
عمل. غالبًا كلهم متشابهون في الفضيلة، ولكنهم ليسوا في السنوات. يبتهجون في وحدتهم، كما كان
بطرس ويوحنا.

نقرأ في الإنجيل أن يوحنا كان شابًا، بشهادة كلماته نفسها، ومع هذا لم ينقص عن الشيخ في
الاستحقاقات والحكمة. يحمل سمات ناضجة وقورة وتعقلًا في ذهنه^١.

القديس أمبروسيوس

وَسَأَلَهُمْ: بِمَاذَا تُشِيرُونَ أَنْتُمْ،

فَنَرَدُّ جَوَابًا عَلَى هَذَا الشَّعْبِ،

الَّذِينَ كَلَّمُونِي، قَائِلِينَ:

خَفَّفَ مِنَ النَّيْرِ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَيْنَا أَبُوكَ؟ [٩]

فَكَلِمَةُ الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ نَشَأُوا مَعَهُ، قَائِلِينَ:

هَكَذَا تَقُولُ لِلشَّعْبِ الَّذِينَ كَلَموكَ قَائِلِينَ إِنَّ أَبَاكَ ثَقُلَ نِيرَنَا،

وَأَمَّا أَنْتَ فَخَفَّفَ عَنَّا، هَكَذَا تَقُولُ لَهُمْ:

إِنَّ خِنْصَرِي أَعْظَمُ مِنْ مَنِّي أَبِي. [١٠]

لم يُنصِتْ رجبام إلى كلمات أبيه الحكيم في الرب: "الجواب اللين يصرف الغضب، والكلام

¹ St. Ambrose: Duties of the clergy, book 2:20:100, 101.

الموجع يُهَيِّجُ السخَطَ. لسان الحكماء يُحَسِّنُ المَعْرِفَةَ، وَفم الجُهَّالِ يَنْبَعُ حِمَاقَةٌ" (جا ١٥ : ١-٢). لم يُدْرِكْ رَجَبَامُ خَطَرَةَ اللِّسَانِ، إِذْ قِيلَ: "يُوجَدُ مِنْ يَهْذَرٍ مِثْلٍ طَعْنِ السِّيفِ، أَمَّا لِسَانُ الحُكَمَاءِ فَشِفَاءٌ" (جا ١٢ : ١٨).

وَالآنَ أَبِي حَمَلَكُمُ نِيرًا ثَقِيلًا، وَأَنَا أَزِيدُ عَلَى نِيرِكُمْ.

أَبِي أَدَبَكُمُ بِالسَّيَاطِ، وَأَمَّا أَنَا فَبِالعُقَارِبِ. [١١]

جاءت كلماته عنيفة ولهجته قاسية، فعوض أن يُخَفِّفَ النير الذي وضعه أبوه على الشعب، ولو بكلمة رقيقة، أكَّد لهم أنه سيزيده ثِقَلًا، حتى يجعله لا يُحْتَمَلُ. ظن أنه بهذا يمارس حقه كملكٍ صاحب سلطان، غير مُبالٍ بمصلحة الشعب ومشاعرهم. لقد أخذ قرارًا خطيرًا يُحَطِّمُ وحدة المملكة، ويُحَطِّمُ شخصية رَجَبَامُ نفسه!

ما قد بناه داود الملك البار، يُحَطِّمُهُ حفيده رَجَبَامُ في الجيل الثالث لداود.

أخطأ رَجَبَامُ أنه لم يستشير الله، إذ لم تكن له علاقة شخصية معه.

العقارب: هي سياط تنتهي أطرافها بمادة حديدية مُدَبَّبة، وضربتها تُشْبِهُ لدغة العقارب.

فَجَاءَ يَرْبَعَامُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى رَجَبَعَامَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ كَمَا تَكَلَّمَ المَلِكُ، قَائِلًا:

ارْجِعُوا إِلَيَّ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ. [١٢]

فَأَجَابَهُمُ المَلِكُ بِقَسَاوَةٍ،

وَتَرَكَ المَلِكُ رَجَبَعَامَ مَشُورَةَ الشُّيُوخِ [١٣]

يليق بالقائد ألا يُواجه هياج المرؤوسين بالعنف، لئلا يضيف إلى النار زيتًا، بل يمسك بعجلة

القيادة بهدوء وثباتٍ خلال العاصفة حتى تعبر بسلام.

وَكَلَّمَهُمْ حَسَبَ مَشُورَةِ الأَحْدَاثِ، قَائِلًا:

أَبِي ثَقَّلَ نِيرِكُمْ، وَأَنَا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

أَبِي أَدَبَكُمُ بِالسَّيَاطِ، وَأَمَّا أَنَا فَبِالعُقَارِبِ. [١٤]

وَلَمْ يَسْمَعْ المَلِكُ لِلشَّعْبِ، لِأَنَّ السَّبَبَ كَانَ مِنْ قِبَلِ الله،

لِيُقِيمَ الرَّبُّ كَلَامَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ أَخِيَا الشُّيْلُونِيِّ إِلَى يَرْبَعَامَ بْنِ نَبَاطٍ. [١٥]

إن كان الله ضابط الكل سبق فأعلن عمَّا سيحدث خلال أخيا الشيلوني [١٥]، هذا لا يُبَرِّرُ حماقة

رَجَبَامُ، وَلَا يُفَلِّلُ مِنْ مَسئولِيته عن تصرفه بعجرفة وتسامخ، الأمر الذي استخدمه الرب لتنفيذ

كثيرًا ما يسمح الله أن يفتقد شر الآباء في الأبناء، إن سلكوا في نفس طريق آبائهم. لقد ترك سليمان الرب، فسمح الله لمعظم الشعب أن يتركوا رحبعام بن سليمان. يسمح الله بذلك ليحث الآباء الذين لا يبالون بما يحلُّ عليهم من متاعب أن يدركوا أن ما يفعلونه سيرتد على أبنائهم أكثر مما يتصوِّرون، فكثيرون يهتمون ألا يصيب أبنائهم ضرر.

إن كان الله سمح بتنفيذ توعداته، بأن افتقدت خطية سليمان ابنه رحبعام، في نفس الوقت لم ينسَ وعده لداود، لذلك احتفظ لحفيده رحبعام بسيطين.

يقول المُرْتَلُّ على لسان الرب: "إن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياي، أفتقد بعضا معصيتهم، وبضربات إثمهم، أما رحمتي فلا أنزعها عنه، ولا أكذب من جهة أمانتي. لا أنقض عهدي، ولا أغيِّر ما خرج من شفتي" (مز ٨٩: ٣١-٣٤).

٣. نبذهم رحبعام

فَلَمَّا رَأَى كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ،

جَاوَبَ الشَّعْبُ لِلْمَلِكِ، قَاتِلِينَ:

أَيُّ قِسْمٍ لَنَا فِي دَاوُدَ!

وَلَا نَصِيبَ لَنَا فِي ابْنِ يَسَى!

كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ يَا إِسْرَائِيلُ.

الآنَ انظُرْ إِلَى بَيْتِكَ يَا دَاوُدَ!

وَدَهَبَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ إِلَى خِيَامِهِمْ. [١٦]

مع أن رحبعام هو الذي قسَى قلبه، وتصرّف بغير حكمة، غير أن الأسباط العشرة حسبوا تمردهم لا على رحبعام بل على داود: "أي قسم لنا في داود؟ ولا نصيب لنا في ابن يسى!" [١٦] وحسب الله هذا الرفض هو رفض لنعمته ووعوده. فصار يهوذا في عيني الله يُمثّل شعبه، وإسرائيل منشقًا عنه.

يظهر شرهم من الآتي:

١. قبول الغالبية العظمى من العشرة أسباط عبادة العجول.

٢. طردهم للكهنة واللاويين، وإقامة كهنة للأصنام.

٣. المُخْلِصُونَ للإيمان انطلقوا إلى أورشليم ومدن يهوذا.

وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّاكِنُونَ فِي مَدُنِ يَهُوذَا، فَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَحْبَعَامُ. [١٧]
ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَلِكُ رَحْبَعَامُ هَدُورَامَ الَّذِي عَلَى التَّسْخِيرِ،
فَرَجَمَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ فَمَاتَ.
فَبَادَرَ الْمَلِكُ رَحْبَعَامُ وَصَعِدَ إِلَى الْمَرْكَبَةِ،
لِيَهْرُبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ [١٨]

كما أخذ رحبعام بالمشورة الخاطئة، فإنه حين أراد معالجة خطئه اختار الوسيط الخطأ، اختار هدورام الذي على التسخير، الذي يرون فيه أنه يُمثّل النير الثقيل الذي وضعه سليمان عليهم. لم يُرسل إنساناً معروفاً بالحكمة واللطف يمكن أن يستمعوا إليه، بل أرسل من كانوا لا يطيقون رؤيته بسبب مركزه كمسئول عام على عملية التسخير.

فَعَصَى إِسْرَائِيلُ بَيْتَ دَاوُدَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [١٩]

من وحي ٢ أي ١٠

تَسَلَّمْ يَا رَب عَجَلَةَ الْقِيَادَةِ!

❖ في شكيم العظيمة التقى رحبعام بكل إسرائيل.

تَسَلَّمْ عرش أبيه المُنْتَسَم بالمجد والغنى.

ظَنَّ في نفسه أنه كملكٍ يأمر فيطَّاع.

لم يُسَلِّمْكَ عَجَلَةَ الْقِيَادَةِ،

ولا جَدَّدَ العهد معك ومع شعبك!

❖ ظَنَّ أن كل الشعب عبيد له.

لم يقدِّم بك يا ملك الملوك، الراعي الصالح!

لم يقدِّم بجده داود في نقاوة قلبه.

ولا اختفى فيك، لتعمل أنت فيه وبه!

❖ اشتاق الشعب أن يراه بالحق حفيدًا لداود.

طلب منه أن يرفع عنه ثقل النير الذي وضعه أبوه سليمان.

لم يرفضوا الخدمة له،

إنما طلبوا منه الترفق بهم، فيخدمونه بأمانة.

❖ لم يعرف رحبعام أن يسأل الرب المشورة.

لم يكن الله قائدًا لفكره وحياته.

استشار الشيوخ كما الشباب.

قبل المشورة التي تتفق مع هواه.

في كبرياء مع جهالة،

وجد العنف له مكانًا في قلبه كما في فكره.

❖ هَبْ لي يا رب أن تتسلم عجلة القيادة.

فأسلك بروحك يا كُلي الحب والحنو.

أشتاق أن أبذل من أجل شعبك.

وأجد لذة في خدمة الجميع.

❖ انزع من قلبي كل قسوة،

ومن فمي كل كلمة جارحة،

فأكون بالحق سفيرًا لك!

❖ بالعنف فقد الشعب وحدته.

ودخل الانشقاق والخلاف بينهم.

هَبْ لي الحب والحنو،

فيجتمع الكل معًا لك.

لنكن أنت قائد شعبك،

بروح الوحدة ينطلق الكل من قوة إلى قوة.

ويختبر الجميع المجد الحقيقي.

ويسير الكل في رحلة ممتعة في رفقتك.

وينطلق الكل كما إلى سماواتك!

لك المجد يا أيها القائد الراعي الصالح!

الأصحاح الحادي عشر

محاولات رحبعام الفاشلة

القصص الخاصة بأنبياء الشمال نابضة بالحياة وبارزة، مثل ميخا وإيليا وأليشع، لذلك يرى البعض أن خدمة الأنبياء كانت مُركزة في الشمال على الأقل إلى القرن الثامن ق.م. غير أننا هنا نسمع عن شمعياء رجل الله الذي قَدَّمَ رسالة لرحبعام ألا يحارب إخوته (مملكة الشمال المُنشقة). هذا أول دليل على وجود خدمة نبويّة في ذلك الحين في منطقة الجنوب. وقد جاء أخبار الأيام الثاني يروي لنا الكثير عن أنبياء مملكة الجنوب. تضم هذه القائمة عزريا بن عوديد (١٥: ١-٧)، وحناني الرائي (١٦: ٧-٩)، وياهو بن حناني (١٩: ٢-٣)، وزكريا بن يهوئاداع (٢٤: ٢٠-٢٢)، ونبي غير معروف اسمه أرسله الله إلى الملك أمصيا (٢٥: ٧-٩)، وبحسب أخبار الأيام أرسل إيليا التشبي إلى مملكة الجنوب رسالة إلى يهورام ملك يهوذا (٢١: ١٢-١٥).^١

١. محاولة استعادة العشرة أسباط ٤-١.

٢. مساعي رحبعام لحفظ السبطين ١٢-٥.

٣. عودة الكهنة واللاويين ١٧-١٣.

٤. زوجات رحبعام وأولاده ٢٣-١٨.

١. محاولة استعادة العشرة أسباط

وَلَمَّا جَاءَ رَحْبَعَامُ إِلَى أُورُشَلِيمَ جَمَعَ مِنْ بَيْتِ يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ،

مِئَةً وَثَمَانِينَ أَلْفَ مُخْتَارٍ لِيُحَارِبَ إِسْرَائِيلَ،

لِيُرِدَّ الْمُلْكَ إِلَى رَحْبَعَامَ. [١]

غالبًا ما قام رحبعام بجمع المحاربين بناء على مشورة الشبّان الذين دفعوه للإجابة بعنفٍ مع الشعب، ففقد العشرة أسباط بكلماته العنيفة.

وجد رحبعام مُبرّرات دفعته للرغبة في محاربة يريعام والأسباط العشرة، وهي:

١. تطلعه إلى هذه الأسباط أنها مُنشقة ومُتمردة يلزم تأديبها.

¹ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship. Orthodox Reflections on Chronicles, 2 Chapter 11.*

٢. يلزمه كملكٍ شرعيٍّ من بيت داود أن يؤكد سلطانه وقدرته العسكرية لجمع شمل الأسباط الاثني عشر معاً.

٣. إنه يُحَقِّقُ رغبة سليمان أبيه الحكيم، الذي طلب قتل يريعام، لأنه رفع يده عليه (١ مل ١١: ٢٦، ٤٠). هرب يريعام إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة سليمان. أليس سليمان أحكم إنسان على الأرض في ذلك الوقت؟

٤. قام العشرة أسباط بقتل هدورام الذي أرسله إليهم للمصالحة، وفي نظره أنهم قتلوا رجل سلام بريء لا ذنب له (٢ أي ١٠: ١٨). إن كان داود قد أعلن الحرب على العمونيين لأنهم أهانوا رسله (٢ صم ١٠: ٧)، فإن يريعام قتل رسول رحبعام بلا ذنبٍ. ففي نظره يلزم تأديب يريعام والأسباط العشرة.

وَكَانَ كَلَامَ الرَّبِّ إِلَى شَمْعِيَا رَجُلِ اللَّهِ. [٢]

كان خطأ رحبعام المتكرر هو عدم الرجوع إلى الرب واستشارته قبل التصرف. لذلك تركه الرب يُتَمِّم ما في فكره، فجمع مائة وثمانين ألف مختار ليُحَارِبِ الأسباط العشرة، بعد ذلك أرسل إليه شمعيًا رجل الله ليكشف له أنه قد أضاع وقته وجهده في جمع هذا الجيش، وعليه أن يطلقهم ليرجعوا إلى بيوتهم.

كان يليق برحبعام أن يستشير الرب في كل شيءٍ مثل جده داود، الذي جاءت أغلب مزاميره تؤكد ثقته في مشورة الرب وقدرته ورعايته له (٢ صم ٢: ١). كان يسأل الرب في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، واثقاً أنه يقوده نحو النصر، ويهبه النجاح في كل شيءٍ.

❖ "أنقذني من أعدائي يا رب إليك التجأت".

أنا الذي هربت مرّة منك، الآن أهربُ إليك.

فإن آدم هرب من وجه الله، واختفى بين أشجار الفردوس، فقبل عنه في سفر أيوب: "مثل عبدٍ هاربٍ من وجه سيده، ووجد ظلًّا" (أي ٧: ٢ LXX).

ويل لي، إن بقيت تحت الظل، لنلا يُقال فيما بعد: "كل الأشياء تعبر مثل ظلٍ" (حك ٥: ٩).

لتحاربوا رؤساء هذا العالم، هذه الظلمة، رؤساء الأشرار (إبليس وجنوده).

عظيم هو جهادكم، فإنكم لا ترون أعداءكم ومع ذلك تغلبوهم!^١

^١ On Psalm 143 (142).

القديس أغسطينوس

❖ "وبرحمتك تستأصل أعدائي"، ليس لأنني مستحق ذلك، وإنما من أجل رحمتك تُحرّرنِي من الذين يحاربونني.

أنقذني من الذين يُدبِّرون المكائد، هَبْ لي أن تحررني من الضيق.

"وتبيد كل مضايقي نفسي، لأنني أنا عبدك". لاحظوا مرة أخرى كيف تتحقق الطلبة. إنه ليس بسهولة ننال طلبتنا، إنما يلزمنا أن نجعل أنفسنا أهلاً لذلك، وأن نساهم من جانبنا ما يلزم أن نساهم به، وبهذا نُقدِّم طلبتنا.

الصلاة (المجردة) غير كافية في ذاتها طبيعياً. فاليهود صلّوا، وكانت الإجابة: "وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع" (إش ١: ١٥). لماذا تندهشون لهذا إن كان (حزقيال) نفسه لم يُسمع له. فقد قيل: "إن جاء نوح وأيوب ودانيال لا يخلصون أبناءهم وبناتهم" (راجع حز ١٤: ١٤). لتدركوا هذا، فلا نصلي فقط، وإنما مع الصلاة نجعل أنفسنا أهلاً لنوال البركات الحاضرة والمستقبلة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من لا يلتجئ إلى بني البشر، يلتجئ إلى الله، وكل من يلتجئ إلى الله، ينفذه من أعدائه المنظورين وغير المنظورين.

الأب أنسيمس الأورشليمي

قُلْ لِرَجُبَعَامَ بْنِ سُلَيْمَانَ مَلِكِ يَهُودَا وَكُلِّ إِسْرَائِيلَ فِي يَهُودَا وَبِنِيَامِينَ: [٣]

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لَا تَصْعَدُوا وَلَا تَحَارِبُوا إِخْوَتَكُمْ.

ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ،

لَأَنَّهُ مِنْ قِبَلِي صَارَ هَذَا الْأَمْرُ.

فَسَمِعُوا لِكَلَامِ الرَّبِّ،

وَرَجَعُوا عَنِ الدَّهَابِ ضِدَّ يَرْبِعَامَ. [٤]

إذ حاول رجبعام أن يُعيد العشرة الأسباط لطاعته، جاءت كلمة الرب له خلال شمعي رجل الله: "لا تصعدوا، ولا تحاربوا إخوانكم. ارجعوا كل واحد إلى بيته، لأنه من قبلي صار هذا الأمر (١١: ٤).

¹ On Psalms 143.

لقد رفضوا داود، فحسبهم الرب رافضين له شخصياً!
لقد حرموا أنفسهم من اعتبارهم شعب الله، ولم يُقَمَّ منهم ملك واحد صالح.
وضع رحبعام في قلبه أن يستعيد وحدة الشعب بالقوة. لكن الرب منعه من الدخول في معركة في بقية الأسباط، وبالفعل توقَّف عن ذلك.

لماذا لم يسمح الله لرحبعام بالحرب ضد يريعام؟

١. لمعاقبة سليمان على عبادة الأوثان.
٢. سمح الله بما حدث لتأديب رحبعام الذي لم يستشِر الرب قبل إجابته على يريعام ومن معه.
٣. لأن الله فصل بين الخراف والجداء حتى لا يُضَلَّل إسرائيل يهوذا. إن كان الشعب قد انقسم إلى مملكتين: عشرة أسباط تحت اسم "مملكة إسرائيل"، وسبطان تحت اسم "مملكة يهوذا"، فإن أخبار الأيام الذي يهتم بالهيكل والعبادة يكاد يحسب أن مملكة إسرائيل أو المملكة الشمالية المنشقة عن بيت داود لا وجود لها. ويعتبر ملك يهوذا هو المُعترف به بكونه ملك يهوذا وبنيامين وكل إسرائيل الراجعين إلى يهوذا وبنيامين. في نفس الوقت يحسب شعب المملكة المنشقة هم إخوة شعب يهوذا وبنيامين، لا يجوز لهم أن يحاربوهم، فإنهم لا يزالون أبناء الله، يطلب خلاصهم لا هلاكهم^١.
٤. ليؤكد لهم الله أن القوة ليست في اتحاد يهوذا مع إسرائيل، إنما في الالتجاء إلى الرب.
٥. يقول الرب "لا تحاربوا إخوتكم"، إذ لا يليق بالإخوة تحت أية ظروف أن يدخلوا معاً في معارك. فعندما اختلف إبراهيم ولوط (تك ١٢)، نكَّر إبراهيم ابن أخيه أنه لا يجوز لهما أن يدخلوا في معركة لأنهما أخوان (تك ١٣: ٨).

وعندما اختلف يعقوب ويعيسو معاً ودخلا في شِبهِ معركة دامت كل حياتهما، استمر نسلهما في عداوة شديدة لقرون عديدة (تك ٢٧: ٤١-٤٦؛ مز ١٣٧: ٧؛ عو ١٠: ١٣). وإذ رفض داود أن يقتل شاول الذي كان يبذل كل جهده لقتل داود، كافأه الرب بأن سلَّمه العرش وثبَّت كرسيه ومن نسله جاء المسيا مُخْلِص العالم، وتكوَّنت صداقة حميمة بين سبطي يهوذا وبنيامين بعد موت داود وشاول، وصار الاثنان مملكة واحدة مُقابل العشرة أسباط الأخرى.

يليق بالمؤمن في شوقه إلى خلاص الكل ألا يقوم بهذا بدافع تعصبي أعمى، بل في حب، خلال الإحساس بالإخوة وإدراكه لِحُبِّ الله القدوس الذي بذل ابنه الوحيد من أجل كل إنسان، وحبُّه أيضاً

¹ Celine Mangan, P.94.

لزميله في البشرية. فالمؤمن يتوق أن يرتبط بكل بني البشر الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم، يرتبط بالمعاصرين له والراجلين والآتين من بعده. يرتبط بهم في وحدانية الحب الحقيقي، في قرابة روحية تسمو فوق كل رابطة جسدانية أو دموية. يرتبط معهم في الرأس "يسوع المسيح"، ويكون الكل شركاء معاً في كل شيء إلى الأبد، خاصة في القداسة بالله القدوس.

❖ ليتنا نحن الذين تأهلنا لمثل هذه الأسرار نظهر حياة تليق بالعطية، أي نظهر سلوكاً غاية في الامتياز!...

فإن كان الإنسان أباً أو ابناً أو أخاً أو في أية قرابة أخرى، فإنه لا يُحسب قريباً حقيقياً مثلما تكون القرابة نابعة عن علاقات علوية. أي نفع للارتباط بعلاقات عائلية أرضية دون الارتباط بعلاقات روحية؟! أي فائدة إن كنا أقرباء على الأرض وغرباء في السماء؟! لأن الموعوظ غريب عن المؤمن، إذ ليس له ذات الرأس روحياً، ولا نفس الأب، ولا عين المدينة، ولا ذات الطعام أو الثوب أو المائدة أو المنزل، إنما يكون مغايراً له.

هذه الأمور تكون للموعوظ على الأرض (أي ينشغل بأمور عادية أرضية)، أما الآخر فيطلبها (كأمور سماوية) في السماء.

واحد له المسيح ملكاً، الآخر طعامه اللحوم التي تفسد وتنتهي!

واحد له ثياب يفسدها العث، الآخر له رب الملائكة!

واحد مدينته السماء، الآخر الأرض!

فإذا ليس لنا شيء مُشترَك، ففي ماذا تكون لنا الشركة؟!!

هل نحن توائم، ولدنا من رحم واحد؟! فإن هذا يعجز عن إقامة قرابة غاية في الكمال.

إذن لنجاهد أن نكون مواطنين للمدينة العلوية!¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ورجعوا عن الذهب ضد يريعام": استجاب ربيعام لكلمات الرب على لسان شمعيان رجل الله، ربما لأنه كان يخشى الفشل، إذ لم يكن قائداً حربياً مُتمرباً مثل داود جده، إنما كان مثل أبيه سليمان الذي لا يحمل خبرة عسكرية قوية. ولعله بعد أن بنى الحصون وتأكد من قدرته العسكرية دخل في عدة معارك بعد ذلك ضد يريعام.

هذا ومن جانب آخر فقد بقي أميناً في عبادته للرب لمدة ثلاث سنوات، انحرف بعدها إلى العبادة

¹ In loan. hom 25.

٢. مساعي رحبعام لحفظ السبطين

وَأَقَامَ رَحْبَعَامُ فِي أُورُشَلِيمَ،

وَبَنَى مُدْنًا لِلْحِصَانِ فِي يَهُوذَا. [٥]

بلا شك أن انقسام المملكة هزَّ صورة إسرائيل أمام الأمم والشعوب، غير أن رحبعام لم يبالِ بسخرية الأمم بهم، إنما اهتم بتحسين حدود دولته والكثير من المدن الرئيسية في مملكته. ففي عصر أبيه سليمان في أيام السلام، لم تكن هناك حاجة لتحسينها. كان أغلب عمل سليمان هو البناء والتعمير والإنتاج مع التجارة.

فَبَنَى بَيْتَ لَحْمٍ وَعِيطَامَ وَتَفُوعَ. [٦]

قام بتحسين بيت لحم وهي تبعد حوالي عشر كيلومترات من أورشليم، اشتهرت بكونها مسقط رأس داود وابن داود يسوع المسيح.

تؤكد الحفريات الحديثة وجود حصون للمدن المذكورة هنا في ذلك الوقت^١.

اهتم رحبعام أن يبني حصوناً في الشرق والغرب، وأيضاً نحو الجنوب، تاركاً منطقة الشمال أشبه ببابٍ مفتوح، وذلك لسببين رئيسيين:

١. كان رحبعام يَعْلَمُ أن يربعام على علاقة طيبة مع مصر، فخشي أن تهاجمه مصر من الجنوب كنوعٍ من التحالف مع يربعام الذي سبق أن التجأ إليها حين كان سليمان يطلب قتله.

٢. ترك الشمال أشبه ببابٍ مفتوح، فمن جانب رجع إليه الكهنة واللاويون الذين كانوا في مملكة الشمال، حيث وجدوا مقاومة وإحلال كهنة الأوثان والمرتفعات مكانهم. هذا وقد رجع بعض الأتقياء من الشعب الذين رفضوا عبادة الأوثان وأرادوا العبادة لله الحيّ. كان رحبعام يأمل أن يحن الشعب إلى التمتع بالعبادة في أورشليم خاصة في الاحتفالات والمواسم.

وَبِيَّتَ صُورَ وَسُوكُو وَعَدْلَامَ. [٧]

وَجَتَّ وَمَرِيشَةَ وَزَيْفَ. [٨]

جت: مدينة أخذها اليهود من الفلسطينيين أيام صموئيل وداود الملك (١ صم ٧: ١٤؛ ١ أي

١: ١٨).

^١ Celine Mangan, P.96.

وَأُدُورَايِمَ وَلَخَيْشَ وَعَزِيقَةَ. [٩]

وَصَرْعَةَ وَأَيُّلُونَ وَحَبْرُونَ الَّتِي فِي يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ مُدْنَا حَصِينَةً. [١٠]

حبرون: هي الخليل اليوم ومذكورة كثيرًا، ففيها سكن إبراهيم وإسحق ويعقوب، ودُفِنَ فيها سارة وإبراهيم وإسحق ورقفة وليئة ويعقوب. وكانت من مدن الكهنة ومدن الملجأ وملك داود فيها سبع سنوات.

وَشَدَّدَ الْحُصُونَ، وَجَعَلَ فِيهَا قُوَادًا وَخَزَائِنَ مَأْكَلٍ وَزَيْتٍ وَخَمْرٍ. [١١]

وَأْتْرَاسًا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَرِمَاحًا، وَشَدَّدَهَا كَثِيرًا جِدًّا،

وَكَانَ لَهُ يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ. [١٢]

أقام رحبعام مدناً للحصار في الجنوب لمواجهة أي هجوم من مصر [٥-١٢]. المدن الحصينة المذكورة هي إلى جهة الجنوب والغرب، لأنه خاف من مصر، لكننا رأينا الغازي آتياً من مصر، ولم تمنعه المدن الحصينة، فإنه إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس.

٣. عودة الكهنة واللاويين

واضح أن هذه الأسباط العشرة قاوموا الله بإقامتهم كهنة للمرتفعات وللتبوس والعجول (١١ : ١٥)، واضطر كهنة الله واللاويون أن يتركوا الأسباط وينطلقوا إلى يهوذا وأورشليم (١١ : ١٤).

وَالْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُّونَ الَّذِينَ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ،

مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ جَمِيعِ تَحُومِهِمْ [١٣]

لَأَنَّ اللَّاوِيِّينَ تَرَكُوا مَرَاعِيَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ، وَأَنْطَلَقُوا إِلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ،

لَأَنَّ بَرِيْعَامَ وَبَنِيَهُ رَفَضُوهُمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا لِلرَّبِّ [١٤]

وَأَقَامَ لِنَفْسِهِ كَهَنَةً لِلْمُرْتَفَعَاتِ وَلِلتَّبُوسِ وَلِلْعُجُولِ الَّتِي عَمِلَ. [١٥]

ذكر سفر الملوك عبادة العجول، وهنا إشارة إلى نوع آخر من العبادة الوثنية، وكان أصحاب هذه العبادة يؤمنون أن الشياطين أو الجن يأخذ شكل تبوس ويعيش في الأماكن الخربة. وأصل الكلمة العبري للتبوس هو الجن. وكانت الشعوب البدائية تعبد ما تخافه. وللأسف نرى هنا شعب الله يقلد هذه الشعوب ويعبد ما يخاف منه.

إذ نبذ يربعام عبادة الله الحيّ، وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات والتبوس والعجول التي عملها، خشى أن يشناق الشعب إلى الرجوع إلى أورشليم ليعبدوا في الهيكل، لذلك سمح للكهنة واللاويين أن يذهبوا إلى أورشليم. لقد تركوا مسارحهم وأملاكهم، فتشدّد رحبعام بمثلهم مع أتقياء إسرائيل المُخْلِصِينَ للعبادة

[١٧].

لا عجب أن الذي رفض الله، يرفض أيضاً خدامه، ويشتاق أن يتخلص منهم. في نفس الوقت كان لصالح هؤلاء الكهنة واللاويين أن يتركوا إسرائيل، وينطلقوا إلى مملكة يهوذا، حيث يوجد هيكل الرب ومذبحه، ويتخلصوا من المشاحنات والمضايقات التي قد يثيرها كهنة المرتفعات ضدهم.

ومما يلزمنا ألا ننكره أن رحبعام وشعبه رَحَبُوا بهم، ولم يشعروا أنهم يُمْتَلُونَ ثقلاً على مملكتهم بعد أن فقدوا مسارحهم وممتلكاتهم والحقول.

لقد حققوا ما قاله فيما بعد إشعياء النبي: "افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة" (إش ٢٦: ٢).

وَبَعْدَهُمْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ،
الَّذِينَ وَجَّهُوا قُلُوبَهُمْ إِلَى طَلَبِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ،
لِيَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمْ. [١٦]

وُجِدَ أَناسٌ في هذه الأسباط أمناء للرب. عندما انطلق الكهنة واللاويون إلى أورشليم، تبعهم كل الإسرائيليين الأبرار الأتقياء، الذين وَجَّهُوا قلوبهم إلى طلب الرب إله إسرائيل. تركوا ميراث آبائهم، وذهبوا ليسكنوا في يهوذا، لتكون لهم الحرية الكاملة للذهاب إلى مذبح الرب، وبيتعدوا هم وأبناؤهم من أية غواية لعبادة التيوس.

يُقَدِّمُ هؤلاء الأتقياء مثلاً جميلاً لنا:

١. أعطوا الأولوية لعبادة الله والاهتمام بخلاص نفوسهم ونفوس أبنائهم قبل أية منفعة مادية أو راحة وسعادة زمنية.

٢. التصقوا بكهنة الرب الأمناء. جاء في يشوع: "عندما ترون تابوت العهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إِيَّاهُ، فارتحلوا من أماكنكم، وسيروا وراءه" (يش ٣: ٣).

وَشَدَّدُوا مَمْلَكَةَ يَهُودَا،

وَقَوَّوْا رَحْبَعَامَ بَنَ سُلَيْمَانَ ثَلَاثَ سِنِينَ،

لَأَنَّهُمْ سَارُوا فِي طَرِيقِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ثَلَاثَ سِنِينَ. [١٧]

تشدَّدت مملكة يهوذا، ليس فقط بزيادة التعداد، ولا بما أحضروه معهم من ممتلكاتهم الشخصية،

وإنما حَلَّتْ بركة الرب على المملكة بتقواهم وصلواتهم والتصاقهم بالرب.

٤ . زوجات رحبعام وأولاده

وَاتَّخَذَ رَحْبَعَامُ لِنَفْسِهِ امْرَأَةً:

مَحَلَّةَ بِنْتِ يَرِيمُوثَ بْنِ دَاوُدَ،

وَأَبِيجَايِلَ بِنْتِ أَلْيَابِ بْنِ يَسَّى. [١٨]

ضعف رحبعام بانغماسه في ملذّاته، فطلب نساء كثيرات كما فعل أبوه. مع هذا كان أحكم من أبيه، إذ يبدو أنه لم يتخذ نساء من الوثنيات. إحداهن كانت من نسل اليباب أخي داود [١٨]، وأخرى من نسل أبشالوم بن داود [٢٠]، وثالثة من يريموث بن داود [١٨].
لم يُذكر من قبل اسم يريموث بن داود، وربما كان ابن إحدى سراري داود.

فَوَلَدَتْ لَهُ بَنَيْنِ: يِعُوشَ وَشَمْرِيَا وَزَاهَمَ [١٩]

ثُمَّ بَعْدَهَا أَخَذَ مَعَكَةَ بِنْتِ أَبْشَالُومَ

فَوَلَدَتْ لَهُ أَبِيًّا وَعَتَائِي وَزَبْرِيَّا وَشَلُومِيثَ. [٢٠]

وَأَحَبَّ رَحْبَعَامُ مَعَكَةَ بِنْتِ أَبْشَالُومَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ،

لَأَنَّهُ اتَّخَذَ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سُرِّيَّةً،

وَوَلَدَ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَةً. [٢١]

تشبّه رحبعام بأبيه حيث كان له زوجات وسراري كثيرات. ومع هذا لم يُسّر السفر إلى أنه تشبّه بأبيه.

لم يذكر عن أبناء سليمان سوى شخص واحد وهو رحبعام، والبقية لم يستحقوا حتى يُذكر عددهم. أما أبناء رحبعام، فذكر عددهم ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة.

وَأَقَامَ رَحْبَعَامُ أَبِيًّا ابْنَ مَعَكَةَ رَأْسًا وَقَائِدًا بَيْنَ إِخْوَتِهِ لِيَمْلِكَهُ. [٢٢]

وَكَانَ فَهِيمًا، وَفَرَّقَ مِنْ كُلِّ بَنِيهِ فِي جَمِيعِ أَرْضِي يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ،

فِي كُلِّ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ،

وَأَعْطَاهُمْ زَادًا بكَثْرَةٍ.

وَطَلَّبَ نِسَاءً كَثِيرَةً. [٢٣]

يرى البعض أن رحبعام تصرف بحكمة عندما قام بتوزيع أراضي يهوذا وبنيامين على كل بنيّه،

لكي يتجنَّب التآمر ضده كما فعل أدونيا وأبشالوم، فيحدث شقاق في المملكة، لكي يكونوا غرماً لأخيهام أبيَّا الذي أقامه رأساً وقائداً بينهم. ومن جانب آخر، إذ ينتشر أبناؤه في كل المدن، يحفظون سلامة الشعب ويهتمون بالمدن التي حَصَّنْها بأسوارٍ ومخازنها، فيسندون أخاهم إن حدث غزو أجنبي، كما يتفادى قيام أية ثورة في البلاد ضد أبيَّا.

من وحي ٢ أي ١١

عجيبة هي محبتك يا أيها القدوس!

❖ عجب هو حبك، وعجيبة هي تدابيرك يا مخلصي!

من أجل خلاص العالم كله اخترت إبراهيم البار!

وَعَدْتَهُ أن يكون أباً لأُمَمٍ كثيرةٍ!

واخترت إسحق ابنه ويعقوب حفيده.

من نسله أقمْت لك شعباً لا عن محاباة،

إنما لتأتي متجسداً من نسله،

وتبدل ذاتك فداءً عن كل البشرية.

❖ في عصيانه انحرف إسرائيل، وتَمَرَّد عليك يا أيها القدوس.

من بين الاثني عشر، عزلت سبطين هما يهوذا وبنيامين،

أَقَمْت منهما مملكة يهوذا، لعلهما يسلكان بالحبِّ والقداسة.

لم تسمح لهما بمقاومة الأسباط العشرة المتمردة.

لأنك تطلب الحب الأخوي مع القداسة!

❖ انحرف كثيرون حتى من السبطين،

لكنك كنت تحتفظ ببقية باقية مقدسة.

بتدبيرك العجيب أوجدت في كل جيلٍ بقية مقدسة لك!

من هذه البقية، تجسدت من القديسة مريم لأجل فدائنا.

تطلب أن تتقدَّس البشرية كلها ويسودها الحب.

عجيبة هي محبتك، يا أيها القدوس العجيب!

❖ هَبْ لكنيستك أن تتحد بك على الدوام.

تسلك فيك، فتمتلئ حباً و قداسة.
تصير أيقونة لك، وتتأهل للعُرسِ السماوي.
يفرح بها الأب القدوس،
وتتعجب منها الطغمة السماوية!
أعطني قلباً نقياً مملوء حباً و قداسة!

الأصحاح الثاني عشر

انحدار رحبعام المُحزِن

بعد أن تَنبَّأت مملكة رحبعام، ترك هو وشعبه شريعة الرب. بلا شك صَدِمَ الكهنة واللاويون وأيضاً الأتقياء الذين جاءوا من مملكة الشمال لتركها عبادة الله، عندما وجدوا رحبعام بعد ثلاث سنوات انحرف عن شريعة الرب.

بعد خمس سنوات من تبوء رحبعام العرش غزا شيشق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين لملوك مصر أورشليم، ونهب من الأرض المقدسة كل ما جذب عينيه، سواء في الهيكل أو القصر الملكي. يُقَدِّم لنا هذا الأصحاح تفاصيل عن حياة رحبعام أكثر مما ورد في الملوك، وللأسف يُقَدِّم تاريخاً مُحزِناً. يبدو كأننا عُدنا إلى فترة القضاة.

١. رحبعام وشعبه يفعلون الشر ١.
٢. تسليمهم لشيشق ملك مصر ٢-٤.
٣. شمعي يدعوهم للتوبة ٥.
٤. توبة الرؤساء والملك ٦.
٥. الرب يرجع عن غضبه ٧-١٢.
٦. شخصية رحبعام ١٣-١٦.

١. رحبعام وشعبه يفعلون الشر

وَلَمَّا تَنبَّأَتْ مَمْلَكَةُ رَحْبِعَامَ وَتَشَدَّدَتْ،

تَرَكَ شَرِيعَةَ الرَّبِّ هُوَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ. [١]

كثيراً ما يتجاهل الإنسان الاتكال على الله متى شبع وتقوى، وعضو تسبيح الله على عطايه ينشغل بالعطية عن العاطي نفسه.

عاش رحبعام وشعبه ثلاث سنوات سالكاً في طريق الرب، وكانت المملكة قوية بالرغم من انفصال عشرة أسباط عنهم. للأسف كل ما كان يشغل رحبعام تثبيت المملكة، وليس العِشْرَةَ مع الله. لم يعد يخاف من مصر، إذ اتكل على مدنه الحصينة، وترك الرب.

"وكل إسرائيل": يقصد هنا مملكة يهوذا التي تضم سبطين فقط مع جميع الكهنة اللاويين والأتقياء

الذين جاءوا من مملكة إسرائيل. لم يقل مملكة يهوذا، بل "إسرائيل"، لأنه لا ينظر إلى المملكة الشمالية على أنها إسرائيل حتى وإن دعت نفسها هكذا، ودعتها الأمم المجاورة هكذا، لأنها سارت في طريق الشر حيث سحب يربعام الشعب إليه. ولعله يدعو مملكة يهوذا هنا إسرائيل، وإن كانت هي بدورها تركت الرب مثل مملكة الشمال.

تبرز خطورة القائد، فإذ انحرف رجبعام تبعه انحرف الشعب كله وراءه. عندما اهتز رجبعام بسبب الانشقاق، لجأ إلى الله، وإذ تشدّدت مملكته اتكّل على قوته وإمكانياته وترك طريق الرب. هذا ما يحذرنا منه الرب، فحين يشبع الإنسان ويطمئن ويتمتع بكثير من البركات، ينسى خالقه ويجحد راعيه، عوض تقديم الشكر له. يقول الرب: "لأني أدخلهم الأرض التي أقسمت لأبائهم الفائضة لبنًا وعسلًا، فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها، ويزدرون بي وينكثون عهدي" (تث ٣١: ٢٠).

"فسمن يشورون (أي المحبوب) ورفس. سمنت وغلظت واكتسيت شحمًا! فرفض الإله الذي عمله، وغبّي عن صخرة خلاصه" (تث ٣٢: ١٥). هكذا يُشبّه إسرائيل المحبوب بفرسٍ أكل وشبع وسمن وغلظ وامتلأ شحمًا، فبدأ يرفض صاحبه الذي أوجده، وفي غباوة استهان بالله صخرة خلاصه. قدّم الله لهم من خيراتهم فعوض تقديم ذبيحة شكر له، يرفعون أقدامهم ليرفسوا الله نفسه. عندما يُوبّخهم الله خلال أنبيائه يثورون بكبرة جامحة وثورٍ غير معتاد أن يحمل النير. بكبريائهم لا يحتملون كلمة توبيخ حتى إن صدرت من الله خالقهم.

قيل: "سمنوا لمعوا. أيضًا تجاوزوا في أمور الشر، لم يقضوا في الدعوى، دعوى اليتيم. وقد نجحوا، وبحق المساكين لم يقضوا" (إر ٥: ٢٨). بمعنى ظنوا أنهم صاروا عظماء أصحاب سلطان، أغنياء لا يعوزهم شيء، سمناء مملئون صحة، لامعين أو ملسو الشعر أي مملئون جمالاً، ولم يدركوا أنهم في واقع الأمر جمعوا لأنفسهم شرًا عظيمًا. هذا هو ما اقتنوه، لأن الأمور السابقة تتغيّر وتنتهي ويبقى القلب فاسدًا بالشر.

❖ هذه (الأحزان) تسحب الرحمة، وتقدّم لنا الحنو، ومن الجانب الآخر فإن ذاك (الغنى) يرفعنا إلى كبرياء غبي، ويقودنا إلى الكسل، ويدفع الإنسان إلى مظاهر كثيرة تجعله متشامخًا. لهذا يقول المرثل: "خير لي يا رب أنك أدللتني، فأتعلّم أحكامك" (مز ١١٩: ٧١)... كما "الرب يعرف عندما يقضي أحكامًا" (مز ٩: ١٦).^١

^١ In Hebr. hom. 33:8

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. تسليمهم لـ شيشق ملك مصر

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحْبَعَامَ صَعِدَ شَيْشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ،
لَأَنَّهُمْ خَانُوا الرَّبَّ. [٢]

في السنة الرابعة تركوا الرب، وفي السنة الخامسة سمح الله لشيشق ملك مصر أن يصعد إلى مملكة يهوذا، ويأخذ المدن الحصينة التي ليهودا، وأتى إلى أورشليم. لقد أراد الله أن يوقظهم ويردّهم للتوبة قبل أن تتحجّر قلوبهم.

حَلَّتِ الضيقة من دولة لا يتوقعون أنها تهاجمهم. فقد كانت العلاقة طيبة مع مصر في العهد السابق. جاء ملك مصر بقوة عظيمة حتى استولى على المدن المُحصّنة بالأسوار، والتي اعتمد عليها رحبعام لسلامة مملكته.

يرى الربيون، خاصة الحاخام *Sol. Jarchi* أن شيشق المذكور هنا هو فرعون نحو *Necho* الذي غزا إسرائيل للاستيلاء على العرش العاجي الذي لزوج ابنته سليمان، والذي طالما اشتهاه، وقد أخذه فعلاً. يبدو أنه قام بسلب الهيكل والقصر الملكي الخ، وباختصار أخذ كل ما سقط بين يديه دون مقاومة، خاصة وأن رحبعام لم يكن يُبالي بالهيكل¹.

حسب الفكر البشري الظاهر أن شيشق هاجم مملكة يهوذا كنوعٍ من مساندة يربعام الذي التجأ إلى مصر، ولإبراز قوة مصر، لكن حسب خطة الله كان لتأديب رحبعام وشعبه.

بِأَلْفٍ وَمِئَتَيْ مَرْكَبَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ فَارِسٍ،
وَلَمْ يَكُنْ عَدَدٌ لِلشَّعْبِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مِصْرَ:
لُوبِيِّينَ وَسُكِّيَّينَ وَكُوشِيِّينَ. [٣]

لوبييون، أي شعب ليبيا، الذين كانوا محاذين لمصر.

سُكِّيون أو سكيوم *Sukkiims*: كانوا غالباً من المصريين الساكنين غرب البحر الأحمر. جاء اسمهم في الترجمة السبعينية "ساكنو المغارات *Troglodytes*"، فغالباً ما كانوا من سكان الجبال. يرى البعض أن اسمهم جاء مشتقاً من الكلمة *Cykiyiym* أو *Caakak*، ويعني مُغطي أو مغمور، إذ كانوا كمن هم مغمورون تحت الأرض.

¹ Cf. Adam Clarke: Commentary on 1 Kings 14:31.

وَأَخَذَ الْمَدَنَ الْحَصِينَةَ الَّتِي لِيَهُودَا،

وَأَتَى إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٤]

يسمح الله للقائد كما للشعب بالتأديب (١٢: ٢-٤). لا نعجب إن رأينا الله الذي سبق فأنقذهم من عبودية مصر على يدي موسى النبي، الآن إذ انحرف شعبه يهوذا لم يُسَلِّمهم للتأديب على يدي إخوتهم إسرائيل، بل سَلِّمهم كما للعالم الشرير ليؤدبهم. ما يشغل قلب الله هو خلاص المؤمنين به، لا مُتعتهم الزمنية أو كرامتهم الوقتية في العالم.

٣. شمعيًا يدعوهم للتوبة

فَجَاءَ شَمَعِيَا النَّبِيُّ إِلَى رَحُبَعَامَ وَرُؤَسَاءِ يَهُودَا،

الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي أُورُشَلِيمَ مِنْ وَجْهِ شَيْشَقَ،

وَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَنْتُمْ تَرَكْتُمُونِي،

وَأَنَا أَيْضًا تَرَكْتُكُمْ لِيَدِ شَيْشَقَ. [٥]

جاء التأديب: "أنتم تركتموني، وأنا أيضًا تركتكم ليد شيشق".

اجتمع رؤساء يهوذا في أورشليم مع الملك بكونهم مجلس شورى حربي، لبحث الموقف في تلك الفترة الحرجة.

أرسل الله إليهم نبيًا، يوضح لهم سرَّ سقوطهم. وهو نفس النبي الذي سبق فأرسله إليهم ليمنعهم من القيام بحربٍ مع الأسباط العشرة (١١: ٢).

جاء النبي ليؤكد لهم أن ما حلَّ بهم هو بسماعٍ من الله لتأديبهم، وليس لإهمال في تدبير أمورهم العسكرية. ربما انشغل المجلس بدراسة سرِّ هزيمتهم بالرغم من المجهودات التي بُذِلت من أجل سلامة البلاد من الأعداء. أكَّد لهم النبي أن سرَّ فشلهم هو تركهم للرب.

٤. توبة الرؤساء والملك

فَتَدَلَّلَ رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ وَالْمَلِكُ وَقَالُوا:

بَارٌّ هُوَ الرَّبُّ. [٦]

أثمرت رسالة شمعيًا بتوبة رؤساء إسرائيل والملك. لقد قدَّموا توبة، وتدلَّلوا أمام الرب، واعترفوا أن انحرافهم هو السبب في هزيمتهم. قالوا: بار هو الرب"، أي ليس لنا أن نلوم الله، بل نلوم أنفسنا. فصَدَّ الرب شيشق، فلا تزداد ضغوطه على أورشليم، إنما سمح لشعبه أن يصيروا عبيدًا لملك مصر.

أراد لهم أن يختبروا الفارق بين التبعُّد لله واهب الحرية والسعادة، والعبودية للملك الوثني التي تُحَطَّم النفس، وتُفقد كل ثمين بين أيديهم.

٥. الرب يرجع عن غضبه

فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُمْ تَدَلَّلُوا،

كَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى شَمْعِيَا:

قَدْ تَدَلَّلُوا، فَلَا أَهْلِكُهُمْ، بَلْ أُعْطِيهِمْ قَلِيلًا مِنَ النَّجَاةِ،

وَلَا يَنْصَبُ غَضَبِي عَلَى أُورُشَلِيمَ بِيَدِ شَيْشَقَ [٧]

إذ تذلل الملك والشعب، لم يسمح الله بإبادتهم إنما بتأديبهم، فكل ما صنعه أبوه في إقامة هيكل جميل للرب أفسده رجبعام، حيث سلب شيشق ملك مصر زخارفه وكل خزائنه، وأفسد مجد العبادة الماضية.

لم يسمح الله بدمار أورشليم وإفنائها تمامًا [٧، ١٢]. لكن تركهم تحت ضيقٍ مؤقت، لأن توبتهم لم تكن كاملة تمامًا، إنما قيل: "وكذلك كان في يهوذا أمور حسنة" [١٢]. بمعنى أنه وُجِدَ في يهوذا خدام صالحون وشعب صالح وعائلات سالحة، الذين استجابوا لنداء النبي، وأدركوا ما وراء المصائب التي حَلَّتْ بالبلاد. يقول المرثل: "تأديبًا أدبني الرب، وإلى الموت لم يُسَلِّمني" (مز ١١٨: ١٨)¹.

❖ "تأديبًا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني" ... لا يشكر المرثل لأنه يتحرر (من الضيق)، وإنما يدرك أيضًا النعمة العظيمة التي حَلَّتْ عليه، فأشار إلى فائدة التجربة. ما هي؟ يقول: "تأديبًا أدبني الرب". هذه هي قيمة المخاطر، فإنها تجعل الإنسان في حالة أفضل².

❖ هكذا يعمل الله، بكونه الآب المُعْتَنِي بنا وليس المُنْتَقِم، إنما يُسَلِّمنا للتجارب كما لو كانت نظار مدارس ومدرسين، لتأديبنا وتمتعنا بالتعقل، فنُظْهِر الصبر، ونتعلم كل تدبيرٍ صالح، ونرث ملكوت السماوات³.

❖ الأمراض والمصائب تُعَلِّمنا.

ألم يُعَلِّمك أب أو مُعَلِّم أو أمير أو مُسَرِّع أو قاضٍ أن تخاف؟... فإنه حين يحلُّ المرض الجسدي

¹ راجع تفسير مز ١١٨.

² On Ps. 118.

³ On Statues, homily 18.

غالبًا ما يرد لك صوابك...

علاوة على هذا، فإن المصاعب المُرّة التي تحل ليس فقط علينا، بل وحتى على الآخرين أيضًا لها منافع كبرى بالنسبة لنا. فقد لا نعاني نحن من ألم، لكننا إذ ننظر الغير يُؤدّبون نتعقّل نحن أكثر منهم^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ التّأديب (أو التوبيخ) هو دليل الرعاية المُحِبّة، وهو يقود إلى الفهم.

يظهر المعلّم هذا التوبيخ حين يقول في الكتاب: "كم مرّة أردتُ أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣ : ٣٧). ويقول الكتاب أيضًا: "زَنُوا وراء الأصنام والحجر، وقربُوا مُحَرِّقَاتِهِمْ للبعل". إنه لدليل عظيم على حُبّه، فمع أنه يعرف خزي الذين رفضوه، وأنهم جروا بعيدًا عنه، مع ذلك يحنّهم على التوبة. ويقول لحزقيال: "أما أنت يا ابن آدم، لا تخف أن تكلمهم، فربّما يسمعون" (راجع حز ٢ : ٦). ويقول لموسى: "اذهب وقُلْ لفرعون أن يُطلق شعبي. ولكن أنا أعلم أنه لن يُطلقهم". هنا يظهر كلا الأمرين: **أُلوهيَّته**، التي تظهر من سابق علمه بالذي سوف يحدث، و**حُبّه**، بإتاحته الفرصة لهم أن يختاروا التوبة لأنفسهم.

باهتمامه بالشعب وبخهم في إشعياء، قائلاً: "هذا الشعب أكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمُتبعد عني" (إش ٢٩ : ١٣). ويقول أيضًا: "باطلاً يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (مت ١٥ : ٩). هنا رعايته المُحِبّة تظهر خطاياهم والخلص جنبًا إلى جنب^٢.

القديس إكليمنضس السكندري

❖ كل من يؤمن يقبله الرب، لكنه يؤدّب كل ابن يقبله (عب ١٢ : ٦). وفي تأديبه له لا يُسلّمه للموت. لأنه مكتوب: "أدبًا أدبني الرب، وإلى الموت لم يُسلّمني" (مز ١١٨ : ١٨)^٣.

القديس أمبروسيوس

❖ من يقبلُ تأديب الرب بنشاطٍ ينتفع منه، ويصلح رأيه وأعماله، ولا يُسلّم للموت الذي يلحق ملازمي القبائح. لهذا يسمح الرب بسقوط أخصائه في شوائب، ليكسبوا من المحن والتجارب البرّ من موت الخطية. يقول الرسول: "الذي يحبه الرب يؤدّبه، ويجلد كل ابن يقبله" (عب ١٢ : ٦). إن صبرتم

¹ On Statues, hom. 13.

² Paedagogus, 1:9. ترجمة دكتورة إيفا إدوارد بدمياط

³ On Repentance, 1.

على التأديب بأن الله يعاملكم كبنين، لأن من هو الابن الذي لا يؤدبه أبوه. وإن كنتم خالين من التأديب... فأنتم إذن نغول لا بنين.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ انظروا كيف يختم (أيوب) كل ما شعر به بحق بمباركته الرب. بهذه الطريقة فإن العدو يدركه الخزي، ويحسب ذلك كعقوبة له وهزيمة. فإنه هو نفسه، وإن كان قد خُلق في بركة إلا إنه تمرد على الرب، بينما ذلك الذي هو مائت ينطق بتسبحة المجد حتى وهو تحت تأديباته... بكلمات الصبر سبَّح الله عندما ضُرب. لقد صوّب سهامًا كثيرة في صدر خصمه، وأصابه بجراحات أكثر مرارة من التي سقط هو تحتها. فإنه بمحنته فقد الأرضيات، وباحتماله لها بتواضع ضاعف بركاته السماوية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَكِنَّهُمْ يَكُونُونَ لَهُ عِبِيدًا،

وَيَعْلَمُونَ خِدْمَتِي، وَخِدْمَةَ مَمَالِكِ الْأَرْضِي. [٨]

إن كان الله من أجل تَدَلُّهم لم يسمح بتدمير أورشليم وقطع بيت داود، إلا أنه سمح لهم بالسقوط في العبودية لخدمة ملك مصر، ليدركوا مرارة ثمر الخطية. إذ تركوا الرب مُحَرَّرَ النفوس من عبودية إبليس، سمح لهم أن يكونوا عبيدًا تحت رحمة ملك مصر، يلتزمون بدفع جزية ثقيلة، حتى يدركوا أن وصية الرب ليس ثقيلة، إنما تركهم للرب ثقيل للغاية.

إذ رفضوا الخضوع للرب وخدمته، صاروا يخدمون أعداءهم في جوعٍ وعطشٍ وعارٍ وخزي. بهذا ترجع كل نفسٍ إلى الله بكونه رجلها الأول الذي هجرته لتسلك في الفساد. جاء في هوشع: "تقول: أذهب وأرجع إلى رجلي الأول، لأنه حينئذٍ كان خير لي من الآن" (هو ٢: ٧).

لقد رفضوا فرائض الرب واهبة الفرح، فسقطوا تحت فرائض شيشق ملك مصر غير الصالحة. تبدو وصية الرب فيها حرمان من اللذات، وفقدان لبهجة الحياة الزمنية، لكن الهروب من الوصية الإلهية هو عبودية لإبليس ومحبة العالم وملذات الجسد.

فَصَعِدَ شَيْشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ،

وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، أَخَذَ الْجَمِيعَ،

وَأَخَذَ أُنْزَاسَ الذَّهَبِ الَّتِي عَمَلَهَا سُلَيْمَانُ. [٩]

تركهم الله يخدمون ملك مصر، لكي يختبروا عملياً الفرق بين خدمة الله التي رفضوها وخدمة ملك مصر الذي يستعبدهم، بكونه رمزاً لإبليس.

نهب ملك مصر خزائن الهيكل والقصر الملكي التي تركها سليمان مملوءة. ما جمعه داود وابنه سليمان خلال التصاقهما بالرب، أضعاه ربيعام بتركه للرب.

فَعَمِلَ الْمَلِكُ رَجُبَعَامُ عِوَضًا عَنْهَا أُتْرَاسَ نُحَاسٍ،

وَسَلَّمَهَا إِلَى أَيْدِي رُؤَسَاءِ السُّعَاةِ الْحَافِظِينَ بَابَ بَيْتِ الْمَلِكِ. [١٠]

جاء الانحدار من سليمان إلى ابنه ربيعام، من عصر ذهبي مجيد إلى عصر مذلّة؛ إذ أخذ ملك مصر أتراس الذهب، وعمل الملك ربيعام أتراس نحاس [٩]. تم الانحدار في جيلٍ واحدٍ وبصورة مُرّة، لم يحدث مثلها من قبل في إسرائيل.

تكرر كثيراً الانحدار المفاجئ في عصور كثيرة وأخيراً سقطت أورشليم في السبي البابلي.

يقول يوسيفوس المؤرخ عن ربيعام: "إنسان متكبرٌ وأحمق".^١

فقدان الأتراس الذهبية واستخدام أتراس نحاسية، يشير إلى عمل الخطية في حياتنا حيث نُحوّل ما هو سماوي بين أيدينا إلى ما هو أرضي.

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَلِكُ بَيْتَ الرَّبِّ يَأْتِي السُّعَاةُ وَيَحْمِلُونَهَا،

ثُمَّ يَرْجِعُونَهَا إِلَى غُرْفَةِ السُّعَاةِ. [١١]

وَلَمَّا تَدَلَّلَ ارْتَدَّ عَنْهُ غَضَبُ الرَّبِّ فَلَمْ يَهْلِكْهُ تَمَامًا.

وَكَذَلِكَ كَانَ فِي يَهُودَا أُمُورٌ حَسَنَةٌ. [١٢]

مع أخطاء ربيعام الخطيرة، قيل: "كان في يهوذا أمور حسنة" (١٢: ١٢).

٦. شخصية ربيعام

فَتَشَدَّدَ الْمَلِكُ رَجُبَعَامُ فِي أُورُشَلِيمَ وَمَلِكٌ،

لَأَنَّ رَجُبَعَامَ كَانَ ابْنُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا الرَّبُّ لِيَضَعَ اسْمَهُ فِيهَا،

دُونَ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ.

وَاسْمُ أُمِّهِ نَعْمَةُ الْعَمُونِيَّةُ. [١٣]

¹ Antiq. 8:10:4.

تَنبَّتْ مَمْلَكَتَهُ إِلَى حَدِّ مَا، وَاهْتَمَّ بِتَحْصِينِ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ.

وَعَمِلَ الشَّرَّ، لِأَنَّهُ لَمْ يُهَيِّئْ قَلْبَهُ لِطَلْبِ الرَّبِّ. [١٤]

وَأُمُورَ رَحُبَعَامَ الْأُولَى وَالْآخِيرَةَ،

مَكْتُوبَةً فِي أَخْبَارِ شَمْعِيَا النَّبِيِّ وَعَدُوِّ الرَّائِي عَنِ الْإِنْتِسَابِ.

وَكَانَتْ حُرُوبٌ بَيْنَ رَحُبَعَامَ وَيَرُبُعَامَ كُلِّ الْأَيَّامِ. [١٥]

لم يثبت في علاقته بالرب؛ غالبًا لم يصل إلى حد نبذ عبادة الرب تمامًا، غير أنه عمل الشرَّ،

ولم يهيئ قلبه لطلب الرب.

غالبًا ما كان يُعَرِّج بين الرغبة في عبادة الرب والتمتع باللذات الزمنية. لم يُسلِّم قلبه وفكره وحياته

للرب بالتمام.

تكرر التحرش بين الشعبين: يهوذا وإسرائيل مما أدى إلى قيام حروب مستمرة.

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَحُبَعَامُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،

وَمَلِكًا أَبِيًّا ابْنُهُ عَوْضًا عَنْهُ. [١٦]

من وحي ٢ أي ١٢

بِحُبِّكَ تُوَدِّبُ لِي تَخْلُصُ!

- ❖ حَصَّنَ رَجَبَامَ مَدْنَهُ، وَتَثَبَّتْ مَمْلَكَتُهُ.
اطمأنتت نفسه، واعتزَّ بقدراته وإمكانياته.
حسب في وصاياك حرمانًا فتركها.
دفع شعبه للعصيان والبُعد عنك.
- ❖ ظنَّ شَيْشِقُ مَلِكِ مِصْرَ أَنَّهُ بِحِكْمَةٍ يَتَحَرَّكُ.
غزا مملكة يهوذا ليرضي ريعام صديقه،
ويعلن قوته وعظمته أمام الدول المحيطة.
لم يدرك أن الله يسمح له بذلك لتأديب رجعام.
- ❖ سمح له الرب بالنصرة لكن في حدود.
فإنه يؤدب رجعام وشعبه،
ولكن ليس لهلاكهم بل لرجوعهم إليه.
إنه يسمح بتأديبنا حتى بأيدي الأشرار.
لكن إلى الموت لا يُسَلِّمُنَا.
إنه أب يود رجوع أولاده إليه.
إنه طبيب، يمسك بالمشرب ليشفي لا ليقتل.
تأديباته تشع حبًا ورعاية خفية.
خير لي أنك أذلللتني.
ففي وسط مرارتي، تعزياتك تُدَدِّدُ نَفْسِي!

الأصحاح الثالث عشر

الملك أبيًا بن ربعام

يستعرض هذا الأصحاح حياة الملك أبيًا بن ربعام بتفصيلٍ أكثر مما ورد في سفر الملوك، حيث ذكر أن شخصيته لم تكن أفضل من أبيه (١ مل ٥ : ٢-٣). غير أننا نجد هنا أكثر شجاعة، ونجاحًا في الحرب من أبيه.

جلس أبيًا على العرش لمدة قصيرة، ثلاث سنوات، ومع ذلك وردت سيرته هنا في أصحاح كامل، وإن كان ليس ما يُقابلها في ملوك الأول. فقد دخل في معركة مع يربعام، انتهت بقتل حوالي نصف مليون مقاتل في جيش مملكة الشمال.

١. أبيًا ملك على يهوذا . ١
٢. احتشاد جيشه ضد يربعام . ٣-٢
٣. خطاب أبيًا ليربعام وشعبه . ١٢-٤
٤. هزيمة إسرائيل أمام يهوذا . ٢٠-١٣
٥. ختام حياته . ٢٢-٢١

١. أبيًا ملك على يهوذا

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ يَرْبَعَامَ مَلِكِ أَبِيًا عَلَى يَهُودَا. [١]

٢. احتشاد جيشه ضد يربعام

مَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ.

وَأَسْمَ أُمِّهِ مِيخَايَا بِنْتُ أُورِيئِيلَ مِنْ جَبْعَةَ.

وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَبِيًا وَيَرْبَعَامَ. [٢]

في ٢ أي ١١ : ٢٠ قيل إن أمه تدعى معكة ابنة أبسالوم، وهنا دُعيت ميخايا بنت أورئيل. أغلب الظن أنها كانت حفيدة أبسالوم من ابنته ثامار (٢ صم ١٤ : ٢٧). في سفر الملوك يذكر الله اسم الأم، لأنها تتحمّل جزءًا من المسؤولية عن ابنها، فإذا أصبح ذا سيرة سالحة تشترك في الفضل في ذلك، وإذ سلك في الشر تتحمّل اللوم معه.

وَابْتَدَأَ أَبِيَّا فِي الْحَرْبِ بِجَيْشٍ مِنْ جَبَابِرَةِ الْقِتَالِ أَرْبَعِ مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ،
وَيَرْبُعَامُ اصْطَفَى لِمَحَارِبَتِهِ بِنِّمَانٍ مِئَةَ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ جَبَابِرَةَ بَأْسٍ. [٣]

واجه أبيّا بجيشه الذي يضم ٤٠٠ ألفًا مختارًا جيش يربعام الذي يبلغ الضعف ٨٠٠,٠٠٠ رجل مختار. ربما لأن الله أعان يهوذا، وخصوصًا جاءت هذه المعونة بسبب شهادة أبيّا لله. جلس أبيّا مع نفسه وحسب النفقة، إذ أضاف إلى جيشه اتكاله على الله وإيمانه به، فغلب جيش يربعام.

في إنجيل لوقا (لو ١٤ : ٢١)، يقول السيد المسيح: "وأي ملك إن ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب لا يجلس أولاً، ويتشاور: هل يستطيع أن يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي إليه بعشرين ألفاً؟!"
قَدَّمَ أَبِيَّا كَشْفًا بِالْنَّفَقَةِ:

١. عهد الرب مع يهوذا بواسطة داود هو عهد أبدي لا يُنْقَضُ.
 ٢. تمرد العشرة أسباط خلال ملكهم يربعام علناً ضد نسل داود مسيح الرب [٦-٧].
 ٣. انحراف الأسباط العشرة إلى العبادة الوثنية، واتكالمهم على آلهة كاذبة [٨].
 ٤. طردهم كهنة الرب، وإقامة كهنة حسب هواهم.
 ٥. يتكل يهوذا على الله بكونه رأسهم، ويعتمدون على كلمة الله (أبواق الكهنة).
- خلاصة هذه النفقة أن أبيّا اختفى في الله، وحسب المعركة ضد الله شخصياً، بينما اعتمد يربعام على كثرة عدد الجنود، فنال أبيّا النصر واسترد بيت إيل ويشانه وعفرون.

٣. خطاب أبيّا ليربعام وشعبه

وَقَامَ أَبِيَّا عَلَى جَبَلِ صَمَارَايِمَ الَّذِي فِي جَبَلِ أُفْرَايِمَ، وَقَالَ:

اسْمَعُونِي يَا يَرْبُعَامُ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ. [٤]

يدعو البعض خطاب أبيّا على جبل صمارايم "موعظة أبيّا على الجبل"، كشف فيها الملك عن أخذ القرار السليم بالنسبة للإنسان كفردي أو الأمة كجماعة. إما أن يقبل الإنسان كما الجماعة الرب رئيساً وقائداً [١٢] أو عدواً، فيقومون بمحاربتة [١٢].
جاءت معركة أبيّا توضيحاً عملياً للالتصاق بالرب واهب النصر، أو مقاومته فلا يفلح الإنسان أو الجماعة.

كان لدى أبيّا الشجاعة أن يركز أمام الملك يربعام و ٨٠٠ ألف جندي، مستخدماً جبل صمارايم منبراً يعظ عليه.

جبل صماريم: كانت صماريم إحدى مدن يهوذا (يش ١٨: ٢٢). إذًا ميدان المعركة كان على حدود يهوذا وإسرائيل.

**أَمَا لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ أَعْطَى الْمُلْكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ،
لِدَاوُدَ إِلَى الْأَبَدِ وَلِبَيْتِهِ بَعْدَ مَلِحٍ؟ [٥]**

يرى القديس أغسطينوس أن الانقسام قام على أساس سياسي لا ديني^١، غير أن خطاب أيبا يكشف عن أن الانقسام يقوم على أساس ديني^٢.

إذ وقف أيبا يخاطب الأسباط العشرة أكد لهم أن المعركة ليست صراعًا بين مملكتين من يستلم الحكم، فقد حسم الرب نفسه الأمر، وأعطى وعدًا إلهيًا أن يُعطي الحكم لبית داود. وإن ما فعله يربعام، هو عصيان لأمرٍ إلهي.

أراد أيبا أن يقنع بني إسرائيل بالجدال لا بالسيف. ذهب أيبا بجيشه في قلب بلادهم، وألقى خطابه من على جبل أفرام حتى يمكن ليربعام ورجاله أن يسمعه. ربما بهذا عرض الدخول في معاهدة صلح رهن موافقتهم.

اعتاد قادة الجيش أو الملوك أن يلقوا خطابهم قبل الحرب إلى جنودهم لبث روح الغيرة والشجاعة، أما أيبا فلم يُوجّه الخطاب إلى جنوده بل إلى يربعام وكل شعب إسرائيل. أما محور الخطاب فهو أن الحق الإلهي بجانبه، لأن الله نفسه بجانبه.

يؤكد أيبا أن الله أعطى الملوك على إسرائيل لبית داود، ليس كتدبيرٍ لفترة زمنية مؤقتة، وإنما **بعهد إلهي دائم وأبدي**، وفي إلحاحٍ.

فَقَامَ يَرْبِعَامُ بْنُ نَبَاطَ عَبْدُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَعَصَى سَيِّدَهُ. [٦]

لم يُؤمِّ الله يربعام ملكًا، لكن أقام نفسه بخداعه ومكره وتعدّيه على سيده، وقد سمح الله بذلك، لكن ليس حسب مسرّة الله.

ألقى أيبا اللوم كله على يربعام الذي استغل صغر سن ربيعام وتردده، ليثير الأسباط ضده. أما جوهر علّة الانقسام فهو أن يربعام كان يتعبّد للعجول الذهبية لا الله الحي [٨]، هذا الذي لم يترك اللاويين يعملون في الشمال [٩]. أما أحقيّة يهوذا في العرش، فتقوم على الإخلاص والإيمان بوعده الله

¹ City of God 17:21.

² Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship. Orthodox Reflections on Chronicles*, 2 Chapter 13.

فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ بَطَّالُونَ بَنُو بَلِيْعَالٍ،
وَتَشَدَّدُوا عَلَى رَحْبُعَامَ بْنِ سُلَيْمَانَ،
وَكَانَ رَحْبُعَامُ فَتَى رَقِيقَ الْقَلْبِ،
فَلَمْ يَثْبُتْ أَمَامَهُمْ. [٧]

كما دعا يريعام "عاصى سيده" حسب أن رجالاً بطالين وقفوا معه وشجعوه، وهو تعبير مستعار من قضاة ١١: ٣، كما دعا هم بني بليعال، أي أناس بلا مبدأ، ما يهدفون إليه هو إقامة ملك يسلك حسب هواهم.

وَأَنْتُمْ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ،
وَمَعَكُمْ عَجُولٌ ذَهَبَ قَدْ عَمِلَهَا يَرِيْعَامُ لَكُمْ آلِهَةً. [٨]

واضح أن أبياً لم يكن عابد وثن، لذلك هاجم رجال يريعام، لأنهم يعبدون العجول التي أقامها يريعام، ربما لم ينزع المرتفعات والأصنام من المملكة (٢ أي ١٤: ٣-٥)، إلا أنه استمر في حفظ خدمة الهيكل.

مهما بلغ الفساد في مملكة يهوذا في ذلك الوقت، فإنه لا يُقَارَنُ بفساد بني إسرائيل. "أنتم جمهور كثير": هذا ما كانت مملكة إسرائيل تفتخر به على مملكة يهوذا، إذ كانوا أكثر عدداً منهم، لكن أبياً لا يهابهم، لأن في وسطهم "عجول كثيرة"، وهذا ما يكفي لهلاكهم. إنها ليس فقط تعجز عن حمايتهم، إنما تجعلهم موضع غضب الله، فيهلكون.

أَمَا طَرَدْتُمْ كَهَنَةَ الرَّبِّ بَنِي هَارُونَ وَاللَّاوِيِّينَ،
وَعَمِلْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ كَهَنَةً كَشُعُوبِ الْأَرْضِ،
كُلُّ مَنْ أَتَى لِيَمْلَأَ يَدَهُ بِثَوْرٍ ابْنٍ بَقْرٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ،
صَارَ كَاهِنًا لِلَّذِينَ لَيْسُوا آلِهَةً! [٩]

أبرز أبياً أن يريعام ومن ساروا وراه قد تمرّدوا على بيت داود، الأسرة المالكة الشرعية من قبل الرب، كما طردوا الكهنة أبناء هرون الذين وحدهم لهم حق القيادة وتقديم الذبائح لله. إنها فضيحة كبرى أنهم طردوا الكهنة واللاويين الذين عينهم الرب، وعينوا كهنة كل مؤهلات الكاهن فيهم أن يأتي ويملاً يده بثور ابن بقر وسبعة كباش.

وَأَمَّا نَحْنُ فَالرَّبُّ هُوَ إِلَهُنَا وَلَمْ نَتْرُكْهُ.
وَالْكَهَنَةُ الْخَادِمُونَ الرَّبِّ هُمْ بَنُو هَارُونَ.
وَاللَّاوِيُّونَ فِي الْعَمَلِ [١٠]

التمرد على بيت داود وطرّد أبناء هرون ليس إهانة للسبطين يهوذا ولاوي، وإنما رفض الله الحي، وتركه، لذا تركهم الله. أما مملكة يهوذا فتمتّع بسكّنى الله في وسطها: "نحن للرب ولم نتركه". وثق ألباً من النصره، معتمداً لا على إمكانياته العسكرية، إنما على الله. فالرب هو إلهنا، ولم نتركه [١٠].

وَيُوقِدُونَ لِلرَّبِّ مُحْرَقَاتٍ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَبَحُورُ أَطْيَابٍ،
وَحُبُزُ الْوُجُوهِ عَلَى الْمَائِدَةِ الطَّاهِرَةِ،
وَمَنَارَةُ الذَّهَبِ وَسُرْجُهَا لِإِلْقَادِ كُلِّ مَسَاءٍ،
لَأَنَّنَا نَحْنُ حَارِسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ إِلَهِنَا.
وَأَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ تَرَكْتُمُوهُ. [١١]

"لأننا نحن حارسون حراسة الرب"، إننا مؤتمنون على الحفاظ على أوامر الرب وخطته وتدييره، وملتزمون بذلك. أما أنتم فتركتم الرب، وسلكتكم حسب فكركم البشري الخاطئ، أقمتم آلهة باطلة من صنّع أيديكم، وكهنة لا يعرفون الحق الإلهي. تركت مملكة الشمال الكهنوت الشرعي، وانصرفت عن العبادة المستقيمة.

وَهُوَذَا مَعَنَا اللَّهُ رَئِيسًا،
وَكَهَنَتُهُ وَأَبْوَاقُ الْهَتَافِ لِلْهَتَافِ عَلَيْكُمْ.
فَيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تُحَارِبُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ،
لَأَنَّكُمْ لَا تَفْلِحُونَ. [١٢]

أكد ألباً أنه لا مجال للحرب، فالنصرة لا تقوم على إمكانيات وخبرات عسكرية، إنما على الإخلاص في عبادة الرب.

نستطيع أن نقول إن حديث ألباً كله يدور حول الإيمان بالله الحي واستقامة العبادة له. قائدنا معنا، حي لا يموت، وجيشه الحقيقي هو كهنته الحاملون أبواق الهتاف التي تعلن عن نصرته الأكيدة. كل مقاومة له مصيرها الفشل والهزيمة. من حماقة أن يدخل إنسان أو شعب في مقاومة الله!

٤. هزيمة إسرائيل أمام يهوذا

وَلَكِنْ يَرِيعَامُ جَعَلَ الْكَمِينَ يَدُورُ لِيَأْتِيَ مِنْ خَلْفِهِمْ.

فَكَانُوا أَمَامَ يَهُودَا وَالْكَمِينَ خَلْفَهُمْ. [١٣]

أطال ألبيا خطاباً، واعتبر يريعام ذلك فرصة لينشغل ألبيا بالخطاب، ويقوم بوضع كمين خلف ألبيا ليجد نفسه محصوراً بين الكمين من خلف والجيش من أمام.

لم يرد عليه يريعام بكلمة، وحسب كأنه لم يسمع شيئاً، كنوع من الاستخفاف بألبيا وإلهه وجيشه، أو لكي يدبر خطته بمكر. لقد حسب أن الخطة العسكرية للنصرة هي خير رد على خطاب ألبيا. بحسب المنطق العسكري، لم يقد جيش ألبيا بحراسة بقطة، وترك الفرصة ليريعام كي يحقق خطته. وصار ألبيا وجيشه في خطر من جهة قلة العدد ومحاصرته من قدام وخلف بجيش يريعام.

فَالْتَفَتَ يَهُودَا، وَإِذَا الْحَرْبُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُدَامٍ وَمِنْ خَلْفٍ.

فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ،

وَيَبُوقَ الْكَهَنَةُ بِالْأَبْوَاقِ [١٤]

التصاق الكهنة بألبيا وجيشه كان له دوره الرئيسي في النصر.

دخل يهوذا في ضيق شديد، فالمعركة من خلف ومن قدام، وعدد جيش العدو الضعيف، أدرك يهوذا أنه لا خلاص إلا بالتدخل الإلهي. وكما يقول المرتل: "أحاطوا بي واكتنفوني، باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بي مثل النحل، وانطفأوا كمنار الشوك. باسم الرب أبيدهم" (مز ١١٨: ١١-١٢). كان يريعام رجل حرب قدير، ولو أنه سار في طريق الرب لازدهرت مملكته جداً، ولكن لأنه خالف الله، وطلب ما لنفسه، وسار بحكمته البشرية انكسر في الحرب، ومات ابنه (١ مل ١٤)، فحسر زمانه الحاضر وأبديته.

لم يطلب ألبيا مساعدة من أمّة ما، ولا تحالف مع أحدٍ ضد يريعام، إنما رفع قلبه وعينيه مع كل جيشه إلى الله، مصدر النصر الحقيقية.

سمح الله بالضيق حتى يصرخوا إليه، ويدركوا أن نصرتهم ليست خلال قوتهم أو إمكانياتهم أو خططهم العسكرية، إنما من الله. لكي يهتف كل واحدٍ منهم: "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا!" (١ يو ٥: ٤)

سمح الرب أن يشتبك ألبيا في معركة ضد يريعام وساعده فيها فغلب، بينما لم يسمح لأبيه أن يدخل في معركة مع يريعام، لماذا؟

ربما أراد الله أن يراجع كل من ربيعام ويريعام نفسه. الأول سلك بمشورة أصدقائه الأشرار، ولم يستشير الرب قبل أن يُجيب على الشعب، فاستخدم أسلوب العنف مع الشعب بغير حكمة، والثاني أخطأ لأنه اغتصب الحكم بإثارته للشعب. كان الاثنان في حاجة إلى فترة هدوء وعودة صادقة لله. ربما كان ربيعام يطمع في ضم السبطين أيضاً إلى العشرة أسباط تحت حكمه. في بداية أيام ربيعام والانشقاق، لم يكن ربيعام قد أخذ موقفاً منشدداً ضد عبادة الله الحي، لكن الآن أقام ربيعام العجول وطرد الكهنة، فسمح الله لأبياً أن يؤدبه.

وَهَتَفَ رِجَالُ يَهُودَا.

وَلَمَّا هَتَفَ رِجَالُ يَهُودَا، ضَرَبَ اللَّهُ يَرْبِعَامَ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ،

أَمَامَ أَبِيَّا وَيَهُودَا. [١٥]

تكرّر الآن مشهد المعركة ضد أريحا (يش ٦).

ضرب الكهنة بالأبواق يُشير إلى التمسك بكلمة الله ووعوده الإلهية، أما هتاف رجال يهوذا، فيشير إلى التسبيح لله بروح الفرح والبهجة.

التمسك بالوصية والوعود الإلهية مع التسبيح بفرح هو طريق الغلبة على إبليس وكل قواته.

تمتع جيش أبييا بعبطية الفرح بخلاص الله، بينما ضرب ربيعام وكل جيشه برعب شديد، حتى هربوا مع شعور بالفشل والهزيمة.

فَانْهَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِ يَهُودَا،

وَدَفَعَهُمُ اللَّهُ لِيَدِهِمْ. [١٦]

وَضَرَبَهُمُ أَبِيَّا وَقَوْمُهُ ضَرْبَةً عَظِيمَةً،

فَسَقَطَ قَتْلَى مِنْ إِسْرَائِيلَ خَمْسُ مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ. [١٧]

كان عدد جيش ربيعام ضعف جيش أبييا، إذ كان الأول يحكم عشرة أسباط يُقيم منهم جيشاً والثاني سبطان فقط. وكان لدى الجيشين رجال أقوياء وجبايرة بأس. مع ذلك فإن جيش أبييا غلب جيش ربيعام، فالنصرة ليست دائماً للقوي، ولا الحق دائماً مع الأغلبية.

فَدَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،

وَتَشَجَّعَ بَنُو يَهُودَا،

لَأَنَّهُمْ اتَّكَلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمْ. [١٨]

لم يُذكَر عن أبيّا أنه فعل المستقيم في عينيّ الرب، لكن الله وهبه النصره من أجل تسمكّه بالوعد الإلهية واتكاله عليه.

لم يكن أبيّا مثل يشوع حتى يهبه ما وهبه ليشوع عند دخوله أريحا، إنما يبقى الله أمينًا في وعوده مادما نتكل عليه.

❖ إذ أتقوى بقوتك لذلك أنطق بالكلمات التالية بجسارة: "أطرد أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى يفنوا".¹

القديس يوحنا كاسيان

❖ "أحبك يا رب قوتي؛ الرب صخرتي وحصني ومنقذي".

نعم، أعنيّ كي أحبك؛ فأنت هو إلهي، حاميّ؛ أنت حصني المنيع؛ أنت رجائي العذب وسط ضيقاتي...

لألتصق بك، فأنت هو الخير وحدك، وبدونك ليس للخير وجود!

لنكن أنت كل سعادتني، يا كُليّ الصلاح...

أيها الحياة، لمجدك يحيا كل مخلوق.

لقد وهبتي الحياة، وفيك حياتي. بك أحيأ، وبدونك أموت...

أتوسل إليك: أخبرني أين أنت؟! أين ألقاك، فأختفي فيك بالكلية، ولا أوجد إلا فيك!

❖ "هو ناصر جميع المُتَكَلِّين عليه". كل من يتكل على المسيح لا على الأنا، يجتاز التجربة بسلام، لأن الإيمان يُولّد رجاءً.

القديس أغسطينوس

❖ إذا صليت ضد أهوائك (شهواتك الشريرة) والشياطين التي تهاجمك، تذكّر ذاك الإنسان القائل:

"أطرد أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى يسقط جميعهم. أسحقهم فلا يستطيعون الوقوف،

يسقطون تحت قدمي الخ." تقول هذا في اللحظة الحاسمة التي فيها تتسلّح ضد خصمك

بالتواضع.²

القديس أوغريس من بنطس

¹ The Institutes, 12:17.

² Chapters on Prayer, 135.

وَطَارَدَ أَبِيًّا يَرْبِعَامَ وَأَخَذَ مِنْهُ مُدْنًا:

بَيْتَ إِيلَ وَقَرَاهَا وَيَشَانَةَ وَقَرَاهَا وَعَفْرُونَ وَقَرَاهَا. [١٩]

وَلَمْ يَقَوْ يَرْبِعَامَ بَعْدُ فِي أَيَّامِ أَبِيَّا،

فَضْرِبَهُ الرَّبُّ وَمَاتَ. [٢٠]

أضعفت هذه المعركة قوة يربعام، وضربه الرب ومات، لكن لم ترجع وحدة المملكة كما في أيام داود وسليمان.

٥. ختام حياته

وَتَشَدَّدَ أَبِيَّا، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً،

وَوَلَدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتَّ عَشْرَةَ بِنْتًا. [٢١]

وَبَقِيَهُ أُمُورٌ أَبِيَّا وَطَرَفُهُ وَأَقْوَالُهُ مَكْتُوبَةٌ فِي مَدْرَسِ النَّبِيِّ عَدُو. [٢٢]

"مدرس": كلمة عبرية معناها تفسير، لاسيما التفسير الذي يصحبه مواظ. أصل الكلمة "مدراش"، وردت هنا كما وردت في ٢ أي ٢٤: ٢٧.

من وحي ٢ أي ١٣

أنت هو حصني ونُصرتي وخلصي!

❖ نجح يريعام في كسب عشرة أسباط ضد بيت داود.

واستطاع أن يجمع جيشاً ضعف جيش يهوذا.

وقف يريعام في المعركة يسنده جيشه الضخم.

ووقف أبنياً ملك يهوذا متكئاً على الله.

❖ لم يلق أبنياً خطاباً يثير به جيشه ويلهبه بالحماس.

إنما ألقى خطابه إلى يريعام والأسباط العشرة.

يطلب منهم الالتصاق بالله الحيّ عوض عبادة العجول.

استخف به يريعام، وبمكيدة هاجمه من الخلف كما من قدام.

❖ لم يكن ممكناً لا لكثرة الجيش ولا لخطته العسكرية،

أن تقف أمام من يتكئ على الله ويثق فيه.

بالقليل هزم أبنياً يريعام،

طارده وأخذ منه مدناً.

❖ هب لي يا رب في معاركي ضد إبليس،

أن ألتصق بك، فلا يقوى العدو عليّ.

أنت ملجأني وحصن حياتي.

أنت نصرتي وخلصي!

لن يخاف قلبي مادمت في داخلي.

ولا أرهب الموت، فأنت حياتي!

الأصحاح الرابع عشر

آسا ملك يهوذا

آسا أحد الملوك الخمسة الذين استخدمهم الله لنهضة مملكة يهوذا؛ على خلاف مملكة إسرائيل (الشمال) التي قام فيها تسعة عشر ملكاً، ولم يكن من بينهم ملك واحد مستقيم، ولم يقم أحدهم بالإصلاح. ولكن وُجد ملوك من يهوذا دعوا صالحين، خمسة منهم كانوا بارزين في الإصلاح وهو آسا ويهوشافاط ويوآش وحزقيا ويوشيا. وُجدَ تشابه بينهم كما وُجدَ تنوع في الإصلاح. وقد تخصصت الأصحاحات الثلاثة (١٤-١٦) في تاريخ الملك آسا.

جلس آسا على العرش ٤١ عاماً، يمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى [الأصحاح ١٤]: تمتد إلى عشرة سنوات منذ بدء حكمه، سلك فيها باستقامة قلباً، وتمتعت المملكة بالسلام كثرة لانتصار أبيه على يربعام. قام في هذه الفترة ببعض الإصلاحات وتنظيف المملكة من العبادة الوثنية، وحث الشعب على طلب الرب [٢-٥]، كما اهتم بتقوية الجانب العسكري، غير أن سرَّ نجاحه في هذه المرحلة يقوم على طلبه الرب [٧].

المرحلة الثانية [الأصحاح ١٥]: إن كانت المرحلة الأولى هي مرحلة السلام، فهذه المرحلة تُدعى مرحلة الإصلاحات، حيث تشدَّد الملك ونزع الرجاسات من كل الأرض، وقام بتجديد مذبح الرب.

المرحلة الثالثة [الأصحاح ١٦] مرحلة نكسة وانحراف في السنوات الأخيرة، وتأديب الرب له. حياة هذا الملك استمرت في استقامة، لكن سقوطه في السنوات الأخيرة تعتبر تحذيراً لنا، وكما يقول الرسول: "إذاً من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١ كو ١٠: ١٢).

❖ ثباتنا هنا ليس ثباتاً آمناً. لا، حتى نخلص من تيارات هذه الحياة الحاضرة ونبحر إلى الميناء الهادئ. لا تنتفخوا إذن أنكم ثابتون، بل احرصوا لئلا تسقطوا، فإن كان بولس يخشى ذلك وهو أكثر ثباتاً منا جميعاً، كم بالأكثر يليق بنا نحن أن نحذر؟!^١

❖ من يسب الآخرين يسقط حالاً في نفس الخطايا. لهذا ينصحن الطوباوي بولس: "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" [١١].^٢

^١ In 1 Corinth., hom. 23:5.

^٢ In Titus. hom. 5.

❖ أول ملامح التنظيم للقوى العسكرية (التكتيك العسكري) هو أن يعرف كيف تقف حسنًا. أمور كثيرة تعتمد على هذا. لهذا كثيرًا ما يتحدث عن القيام بثبات، قائلًا: "اسهروا، اثبتوا في الإيمان" (١ كو ١٦: ١٣). وأيضًا: "اثبتوا في الرب" (في ٤: ١)، وأيضًا: "من يظن أنه قائم، فلينبظر أن لا يسقط". وأيضًا: "وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا" (أف ٦: ١٣). بلا شك لا يقصد مجرد أية طريقة للثبات، بل الطريقة الصحيحة. وكما أن كثيرين لهم خبرة في الحروب يلزمهم أن يعرفوا الأهمية القصوى لمعرفة كيف يثبتون. فإن كان في حالة الملاكمين والمصارعين يذكر المُمَرِّنون هذا الأمر قيل كل شيء، أقصد الثبات، فكم بالأكثر يكون له الأولوية في الحروب والشئون العسكرية^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١. تقوى الملك آسا ١-٥.
٢. سياسة الملك آسا ٦-٨.
٣. نصرته على الكوشيين ٩-١٥.

١. تقوى الملك آسا

ثُمَّ اضْطَجَعَ أَبِيًّا مَعَ آبَائِهِ،

فَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،

وَمَلِكَ آسَا ابْنَهُ عَوَضًا عَنْهُ.

فِي أَيَّامِهِ اسْتَرَاحَتِ الْأَرْضُ عَشْرَ سِنِينَ. [١]

لم تدم مدة حكم أبيًا سوى ثلاث سنوات، وجاء موته غامضًا في شبابه، لذا يرى البعض أن موته هذا كان ضريبة دفعها كما دفعها أسرته، لارتباطه بأربعة عشر زوجة واثنين وعشرين ابنًا وستة عشر ابنة.

خلف آسا أباه أبيًا، وكما شهد الكتاب المقدس عن تقواه، وقد ملك أكبر مدة من كل الملوك. وصفه يوسيفوس قائلًا:

[الآن آسا ملك أورشليم كان ذا شخصية ممتازة، يضع الله أمام عينيه، ولم يفعل شيئًا ولا فكر في شيء إلا ما فيه حفظ للشريعة. قام بنهضة لمملكته، ونزع ما فيها من شر، وظهرها من كل دنس^٢.]

^١ In Ephes., hom. 23.

^٢ Antiq. 8:12:1.

وَعَمِلَ آسَا مَا هُوَ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهِي. [٢]

يليق بالمؤمن أن يهدف نحو إرضاء الله، فيعمل ما هو صالح في عيني الله، وليس في عيني نفسه أو أعين الناس.

وَنَزَعَ الْمَذَابِحَ الْغَرِيبَةَ وَالْمُرْتَفَعَاتِ،

وَكَسَرَ التَّمَائِيلَ، وَقَطَعَ السَّوَارِي [٣]

أول ملك منذ بداية حكمه في يهوذا يبرز المرتفعات ويكسرها.

المرتفعات: ظهرت في زمن سليمان الذي بنى مرتفعة لكموش وغيره على جبل تجاه أورشليم (١)

مل ١١ : ٥-٨).

السواري: أعمدة مُزَيَّنَةٌ مأخوذة عن أشور بها إشارات لأعضاء التتاسل لإثارة الشهوة.

تحدث سفر أخبار اليوم هنا عن الإصلاحات الدينية (٣-٥) وهي إلى حد كبير تطابق ما ورد في

١ مل ١٥ : ٧-١٢. تلى ذلك فصل لم يرد في سفر الملوك (٢ أي ١٤ : ٦-١٥ : ١٥).

بدأ الإصلاح بمجرّد اعتلائه العرش. قام بإزالة العبادة الوثنية، فمنذ دخلت في أواخر أيام سليمان

بسبب نسائه الغريبات الجنس، لم يُعْمَلْ شيء لإزالتها، فتأسست في البلاد، وصار لها مذابحها وأصنامها ويسانينها.

لم يهدف آسا إلى قتل وإبادة الذين كانوا يعبدون الأصنام، إنما أن يتوبوا ويرجعوا عنها.

أما خدمة هيكل الرب، فمع استمرار قيام الكهنة بالخدمة، كانوا يعملون في فتورٍ، فأهملها

الكثيرون.

وَقَالَ لِيَهُودًا أَنْ يَطْلُبُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ،

وَأَنْ يَعْمَلُوا حَسَبَ الشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ. [٤]

أمر الملك أن يطلب الشعب مع القادة الرب إله آبائهم وليس إله الوثنيين، وأن يسلكوا حسب

الشريعة والوصية الإلهية التي أهملها الكثيرون.

إذ عمل آسا ما هو مستقيم في عيني الرب، انتهى أن يختبر القادة والشعب عذوبة الوصية

الإلهية. فيليق مع الصلاة أن "يطلبوا الرب إله آبائهم"، وأن يسلكوا حسب الشريعة والوصية.

في انحراف الإنسان، يرى في الوصية الإلهية حرماناً وثقلاً على النفس، أما في التصاقه بالرب،

فيرى فيها الحلّي الثمين الذي يُزَيِّنُ النفس كعروسٍ سماويةٍ مقدسة، تحمل صورة خالقها الجميلة. غاية

وصية الرب أن تُقَدِّمَ لنا الرب عريساً لنفوسنا، نتحد معه، وننال شركة الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤)،

أي ننعم بسماته فينا، فنتهياً للعرس الأبدي.

في ميامر عيد الفصح يدعوننا القديس مار يعقوب السروجي أن نتطلع إلى الوصايا الإلهية، لا بكونها أوامر ونواهٍ، بل قلادة وحليّ ومجوهرات تتزيّن بها العروس.

❖ يا لك من شقية كم ارتويتِ بشهوتك! لماذا تحترقين مع أصنامك؟

لماذا تُحبِّين أصدقاءك الفاسقين أكثر من العريس الملك؟

هوذا ذلك الذي خطبك من سيناء (تث ٣٢: ٢) قد أتى. قومي واخرجي للقائه، هوذا ذلك الذي قدّم لك خاتماً من داخل النار (تث ١٩: ١٨)، يريد أن يصنع له عرساً. ألقى الأصنام من حضنك، وقومي وابتهجي بوليمتك.

إن خطبتك مقبولة من قبل أبيه، فلا تردّي وجهك عن الوارث (مت ٢١: ٣٨).

هوذا مجوهرات وصاياها في أذنك، ومهر نواميسه على يديك، قلادة كهنوته على عنقك، ولباس خدمته على جسدك. افتحي له خدرك بحبّ، لأنه خطيب شبابك في القفر (إر ٢: ٢).

القديس مار يعقوب السروجي

❖ غاية التلذذ بوصايا الله هو وضعها موضع التنفيذ والعمل...

من يتلذذ بالحق أولاً، قائلاً: "أتلذذ بوصاياك التي أحببتها جداً"، يقول بعد ذلك: "ورفعت أذرعِي إلى وصاياك التي ودتها جداً". ما أجمل أن نتلذذ بالوصايا ونفهم معانيها، ثم نرفع أذرعنا إلى الأعمال التي تتفق مع الوصايا.

لا ننتم عمل الوصايا عن حزنٍ أو اضطرارٍ (٢ كو ٩: ٧)، وإنما بفرح.

إذ نتلذذ بها وننقذها يلزمنا أن ننطق بها (تث ٦: ٧)، لهذا يضيف: "وتلوتُ (أناجي) في حقوقك"، بمعنى أنه من أجل حُبّي لوصاياك، لا أتوقف عن الحديث عنها، وإنني أتلوها وأنا متلذذ جداً بكل ما يمسُّ حقوقك.

العلامة أوريجينوس

وَنَزَعَ مِنْ كُلِّ مَدُنٍ يَهُودًا الْمُرْتَفَعَاتِ وَتَمَائِيلَ الشَّمْسِ،

وَاسْتَرَاحَتِ الْمَمْلَكَةُ أَمَامَهُ. [٥]

إذ رجع الملك مع القادة والشعب إلى الرب الحقيقي، والتزموا بالشرعة والوصية استراحت الأرض، بعد فترة طويلة من الحروب في عصري الملكين السابقين له.

بلا شك أن نصره ألبياً - الملك السابق - على إسرائيل بقوة، مهّدت لفترة السلام التي عاش فيها

ابنه الملك آسا .

آسا يُمَثِّلُ الإنسانَ المُتَأَثِّرَ، فعندما استراحت المملكة أمامه (١٤ : ٥)، لم يفعل مثل داود الذي فكر في الراحة لنفسه بينما كان جيشه في الميدان، إنما استغلَّ الراحة لبناء مدنٍ حصينة في يهوذا، بالرغم من أنه لم تكن عليه حرب، لأن الرب أراحه، اهتم ببناء الجيش وتسليحه (٤ : ٦-٧). إنه يُمَثِّلُ الإنسانَ اليقظ الذي يستعد بنعمة الله لأي هجوم من عدو الخير .

إن استراحت نفوسنا من هجوم عدو الخير، فلا نُحوِّلِ الراحة إلى الترف والتهاون، بل نتسلَّح بكلمة الله .

يتحدَّث الأب يوحنا من كرونستادت عن الجهاد والتغصُّب قائلاً: [من الذي جعل طريق المختارين ضيقاً؟ العالم يضغط على المختارين، والشيطان يضغط عليهم، وكذلك الجسد، هذا هو ما جعل طريقنا لملكوت السموات ضيقاً^١]. كما يقول: [إن كنَّا لا نجاهد يوماً لنغلب الشهوات التي تهاجمنا، ونقتني ملكوت الله في قلوبنا، فالشهوَات تملكنا بطغيانٍ شديدٍ وعنْفٍ، وتسلب نفوسنا كاللصوص^٢].

❖ نُعلِّمنا المزامير التي تُدعَى "مزامير الصعود" كيف نصعد وننقِّد في سيرنا مع الله .

يدعونا المرثل بالروح القدس أن نصعد بالقلب، أي أن نزداد في الرغبة المقدسة الحقيقية، الأمر الذي هو أعظم من البحث عن "المشاعر الروحية".

نبدأ بالإيمان، ونؤمن في حقيقة عالم الله غير المنظور، وأسس ملكوته الثابت. هذا يلهب فينا رجاءً حياً بأننا أبناء الملكوت. هذا بدوره يجعلنا نسكب حب الله على الغير. هذا يُزِيد رغبتنا لخبرة حضور الله الأبدي الآن، كما في الحياة العتيدة، التي بلا نهاية. هذا هو ما يعنيه أننا نصعد .

أتحدث إليكم من هذا الكتاب (المزامير)، لأنكم تفرعون عندما يُقرأ عليكم تحذير ورد في الإنجيل... إنكم تقرأون أن الرب يأتي مثل لصٍ في الليل. كما يقول يسوع في مثال: "إن كان رب البيت يعرف في أيَّة ساعة بالليل يأتي اللص، لسهر ولا يدع بيته يُنقَّب، هكذا أنتم أيضاً كونوا مستعدين" (مت ٢٤ : ٤٣-٤٤).

في فزعكم وخوفكم تفكرون: "كيف يهيبُ الإنسان نفسه إن كانت الساعة تأتي كلصٍ؟ هل هذا عدل؟

أبدأ فأقول لكم، هذا لأنكم لا تعرفون ساعة مجيئه، لذا تسعون في الإيمان على الدوام. ربما

¹ My Life in Christ, vol 1, p. 45.

² My Life in Christ, vol 1, p. 254.

يُحْطِّطُ اللهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، جَاعِلًا إِيَّانَا نَجْهَلَ سَاعَةَ مَجِيئِهِ حَتَّى نَنْتَهِيَا فِي كُلِّ لِحْظَةٍ لِاسْتِقْبَالِهِ. الطَّرِيقَةُ الَّتِي بِهَا يَنْطَلِعُ الْعَبْدُ إِلَى يَدِ سَيِّدِهِ.

سَتَكُونُ هَذِهِ السَّاعَةُ مَوْضِعَ دَهْشَةٍ لِلَّذِينَ يَحْسِبُونَ أَنفُسَهُمْ "أَرِيَابَ بِيوتِهِمْ"، الْأَمْرُ الَّذِي بِهِ يَعْنِي الَّذِينَ هُمْ فِي كِبْرِيَاءٍ يُدَبِّرُونَ أُمُورَهُمْ دُونَ اخْتِبَارِ لِإِرَادَةِ سَيِّدِهِمُ الْحَقِيقِيِّ. لِذَلِكَ لَا تَكُنْ سَيِّدًا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْبَاطِلَةِ، فَلَا تَدَهْشْ وَلَا تَفْرَعْ.

تَسْأَلُنِي: فَبِمَاذَا أَتَشَبَّهُ إِذْنُ؟

أَقُولُ: تَشَبَّهُ بِذَلِكَ الَّذِي سَمِعْتَ عَنْهُ مِنَ الْمَرْثَلِ الصَّارِخِ: "فَقِيرٌ أَنَا وَحَزِينٌ" (مز ٦٣: ٣٠).
(Douay).

إِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ دَوْمًا فَقِيرٌ وَحَزِينٌ فِي الرُّوحِ (مت ٥: ٣)، تَكُونُ عَيْنَاكَ دَوْمًا عَلَى الرَّبِّ، وَتَتَالَى رَحْمَةً مِنْ تَعْبِكَ وَرَاحَةً وَقُوَّةً مُسْتَمِرَّةً^١.

الْقُدِّيسُ أَعْسَطِينُوسُ

٢. سِيَّاسَةُ الْمَلِكِ آسَا

وَبَنَى مُدُنًا حَصِينَةً فِي يَهُودَا،

لَأَنَّ الْأَرْضَ اسْتَرَاخَتْ،

وَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ حَرْبٌ فِي تِلْكَ السَّنِينَ،

لَأَنَّ الرَّبَّ أَرَّاحَهُ. [٦]

تَظْهَرُ حِكْمَةُ آسَا وَجِدِيَّتُهُ، أَنَّهُ إِذْ اسْتَرَاخَتْ مَمْلَكَتُهُ، لَمْ يَسْلُكْ فِي تَرْفٍ وَتَدْلِيلٍ، وَإِنَّمَا اسْتَعْلَمَ هَذِهِ الْفِتْرَةَ لِتَحْصِينِ مَدْنِهِ. هَكَذَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ يَقِظًا وَعَامِلًا بِكُلِّ نَشَاطٍ حَتَّى فِي فِتْرَاتِ رَاحَتِهِ.

بَنَى مَدُنًا حَصِينَةً، لَكِنَّهُ كَانَ مُتَّكِلًا عَلَى حِمَايَةِ اللَّهِ، اسْتَعْلَمَ وَقْتُ الرَّاحَةِ فِي تَحْصِينِ مَدْنِهِ، فَهُوَ لَا يَضِيعُ وَقْتَهُ، بَلْ يَعْمَلُ حَتَّى فِي وَقْتِ السَّلْمِ. هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَلَّا نَتَوَقَّفَ عَنِ الْجِهَادِ الرُّوحِيِّ، حَتَّى لَوْ لَمْ تَوْجَدَ مَحَارِبَاتٍ، حَتَّى لَا نَسْقُطَ فِي الْفِتْرِ الرُّوحِيِّ.

سِرُّ رَاحَتِهِ لَيْسَ كَثْرَةُ عَدَدِ الْمُجَنَّدِينَ، وَلَا قُدْرَتُهُ الْعَسْكَرِيَّةُ، وَلَا إِمْكَانِيَّاتُهُ، إِنَّمَا "لَأَنَّ الرَّبَّ أَرَّاحَهُ". هَكَذَا إِذْ يَسْلُكُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، يَهْبِهُ سَلَامُهُ "وَلَيْسَ كَمَا يَعْطِي الْعَالَمُ" (يو ١٤: ٢٧).

وَقَالَ لِيَهُودَا: لِنُبْنِ هَذِهِ الْمُدُنَ،

¹ Homilies on the Psalm: 3.

وَنَحَوَّطُهَا بِأَسْوَارٍ وَأَبْرَاجٍ وَأَبْوَابٍ وَعَوَارِضٍ،

مَادَامَتِ الْأَرْضُ أَمَامَنَا،

لَأَنَّا قَدْ طَلَبْنَا الرَّبَّ إِلَهَنَا.

طَلَبْنَاهُ فَأَرَاخَنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

فَبُنُوا وَنَجَّحُوا. [٧]

لم ينسب آسا الراحة التي تمتعت بها دولته وحركة الإنشاءات إلى حكمته أو تقواه، وإنما يقول: "لأننا قد طلبنا الرب إلهنا؛ طلبناه فأراخنا من كل جهة" [٧]. هذه الراحة هي هبة من الله لتشجيعنا على السلوك ببره (حجّي ٢: ١٨-١٩؛ ملا ٣: ١٠).

كثيرون إذ تحلُّ بهم الراحة، عوض تقديم الشكر لله والعمل لبناء الجماعة، تجتذبهم الملذات والشهوات، ويحلُّ بهم الفساد كما حدث مع بني إسرائيل بعد أن تمتعوا بأرض الميعاد، إذ تركوا الرب وانجذبوا للرجاسات الوثنية. أما آسا فلم تكن الراحة بالنسبة له دافعاً للرخاوة والترف، وإنما فرصة للعمل، إذ قال ليهودا: لنبنِ هذه المدن ونحوّطها بأسوار وأبراج وأبوابٍ وعوارضٍ، مادامت الأرض أمامنا... فبنوا ونجحوا" [٧]. وكما قيل عن الكنيسة الأولى: "وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة، فكان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" (أع ٩: ٣١).

وَكَانَ لَأَسَا جَيْشٌ يَحْمِلُونَ أُنْزَاسًا وَرِمَاحًا مِنْ يَهُودَا ثَلَاثَ مِئَةِ أَلْفٍ،

وَمِنْ بَنِيَامِينَ مِنَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْأُنْزَاسَ وَيَشُدُّونَ الْقِسِيَّ مِئَتَانِ وَثَمَانُونَ أَلْفًا.

كُلُّ هَؤُلَاءِ جَبَابِرَةٌ بِأَسٍ. [٨]

لا يستكين المؤمن في فترة السلام، بل يستعد دوماً لمواجهة المقاومات والحروب، لذلك في فترة الراحة أعدَّ جيشاً، وكان أعضاؤه "جبابرة بأس"، كما أحاط المدن بأسوارٍ وأبراجٍ الخ [٧]. من الغريب أن سبط بنيامين الذي دُعي منذ فترة ليست ببعيدة "بنيامين الصغير" (مز ٦٨: ٢٧)، كان لديه من جبابرة البأس مائتان وثمانون ألفاً وهو يقترب من العدد الذي كان لسبط يهوذا، فقد بارك الرب في القليل فصار كثيراً، وتعاون السبطان معاً، وإن كان لكل سبطٍ موهبته الخاصة.

٣. نصرته على الكوشيين

يكشف السفر عن هذه الحقيقة أنه إذ يتكئ الملك على الله تماماً ينجح ضد أعدائه (١٤: ٩-١٣)، وإن لم يتكل عليه يُعاقب (١٦: ٧-١٢).

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ زَارِحُ الْكُوشِيِّ بِجَيْشٍ أَلْفٍ أَلْفٍ وَبِمَرْكَبَاتٍ ثَلَاثِ مِئَةٍ،
وَأَتَى إِلَى مَرِيشَةَ. [٩]

زارح الكوشي: غالبًا من بلاد العرب جاء بتأييد من مصر. إذ يوجد مكانان باسم كوش، النوبة جنوب مصر حتى أثيوبيا؛ وشرق بلاد العرب وجنوبها عند اليمن. غالبًا ما تقصد المنطقة الثانية بدليل أن الغنيمة كانت من الغنم والجمال.

مريشة: تبعد حوالي خمسة وعشرين ميلاً جنوب غرب أورشليم.

"بجيش ألف ألف": لم يوجد في لغة الكتاب العبرية، ولم يُعرَف رقم مليون. هذا وتعبير "ألف ألف" اصطلاح يستخدم بمعنى فرقة فرقة، أو مجموعة كبيرة كبيرة.

مع ما اتَّسم به الملك من استقامة، وتجاوب معه القادة والشعب، غير أن ضيقة شديدة حلت بالبلد. سمح الله بالضيقة كفرصة لإظهار مجد الله، فقد هاجمهم الكوشيون بمليون من رجال الجيش.

وَدَخَرَ آسَا لِلْقَائِهِ، وَاصْطَفُوا لِلِقِتَالِ فِي وَادِي صَفَاتَةَ عِنْدَ مَرِيشَةَ. [١٠]
وَدَعَا آسَا الرَّبَّ إِلَهَهُ:

أَيُّهَا الرَّبُّ لَيْسَ فَرَقًا عِنْدَكَ أَنْ تُسَاعِدَ الْكَثِيرِينَ وَمَنْ لَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ.
فَسَاعِدْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا،
لَأَنَّنَا عَلَيْكَ اتَّكَلْنَا،

وَبِاسْمِكَ قَدَمْنَا عَلَى هَذَا الْجَيْشِ.

أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْتَ إِلَهُنَا.

لَا يَقُو عَلَيْكَ إِنْسَانٌ. [١١]

عندما خرج زارح الكوشي بجيش قدامه مليون من المشاة وثلاث مئة من المركبات، لجأ آسا إلى الله (١٤: ١١)، فضرب الرب الكوشيين.

لم يستطع زارح أن يقف ليس أمام آسا الذي حسب نفسه لا قوة له [١١]، بل أمام الرب وجيشه [١٣]، دُعي جيش آسا جيش الرب!

اتكاء آسا على الرب وهبه الآتي:

ا. النصر على العدو، فصاروا كأنهم مَوْتَى "لم يكن لهم حي" [١٣].

ب. حُسِبَت الحرب للرب لا لآسا، لأن الملك اختفى في الرب وتحصَّن به، ودُعي جيشه "جيش الرب" [١٣].

ج. استولى وجيشه على مدن كثيرة، أربعا الرب، ونالوا غنائم كثيرة [١٤].

د. رجعوا إلى أورشليم [١٥] مدينة الله، بالفُزْب من هيكل الرب، لكي يُجَدِّدُوا قوتهم بالشركة مع الرب. لم يرجع الجيش إلى معسكراته، ولا رجع كل جندي إلى بيته، بل إلى مدينة الله كما في بيت الرب.

هـ. لم يصنع آسا أنصبه يُسَجَّل عليها نصرته، ولا سَجَّل هذه النصره في سجلات مُعَيَّنَة، لأنه حسب النصره هي من قبل الرب، أما من جهته ومن جهة جيشه، فلا فضل لهم في شيء. هذا ولم يكن ممكناً لزارح أن يُسَجَّل هزيمته، فهي فضيحة عَظْمَى لجيش يبلغ قوامه المليون.

جاءت صلاة آسا الملك قصيرة، لكنها عميقة، وتحمل معاني كثيرة:

أ. أعطى المجد لله على قدرته وسلطانه، فهو يُخَلِّص بالقليل كما بالكثير، وبالأقوياء كما بمن ليس لهم قوة. إنه يعمل بقوته لا بقوة الأسلحة. وكما قال داود لجليات: "أنت تأتي إليّ بسيفٍ وبرمحٍ وبنترسٍ، وأنا أتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم" (١ صم ١٧: ٤٥).
ب. لم يقل الملك الله بأن لديه جيشاً قوياً واستعداداً حكيماً، فليعمل به، وإنما مع ما لديه من جيشٍ، فالنصره هي من عنده، "لأننا عليك اتكلنا".

ج. لم يقل: "لا تدع إنساناً يقوى علينا"، بل حسب الحرب ضد الله نفسه: "لا يقو إنسان عليك". حين قال آسا في صلاته: "أيها الرب، ليس فرقا عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة"، غالباً ما تذكر كلمات يونان بن شاول للغلام حامل سلاحه: "لعل الله يعمل معنا، لأنه ليس للرب مانع من أن يُخَلِّص بالكثير أو بالقليل" (١ صم ١٤: ٦)، وكلمات سليمان عند تدشين الهيكل: "إذا خرج شعبك لمحاربة أعدائه في الطريق الذي تُرْسِلهم فيه، وصلوا إليك نحو هذه المدينة التي اخترتها، والبيت الذي يثبت لاسمك، فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم" (٢ أي ٦: ٣٤-٣٥).

يقول الرسول بولس: "بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براء، نالوا مواعيد، سدّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء" (عب ١١: ٣٣-٣٤).

فَضْرَبَ الرَّبُّ الْكُوشِيِّينَ أَمَامَ آسَا وَأَمَامَ يَهُودَا،

فَهَرَبَ الْكُوشِيُّونَ. [١٢]

يقول يوسيفوس إن المعركة بدأت بينما كان آسا لا يزال يُصَلِّي من أجل النصر^١.

وَطَرَدَهُمْ آسَا وَالشَّعْبُ الَّذِي مَعَهُ إِلَى جَرَارَ،
وَسَقَطَ مِنَ الْكُوشِيِّينَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَيٌّ،
لأنَّهُمْ انكسروا أمامَ الرَّبِّ وأمامَ جيشِهِ.

فَحَمَلُوا غَنِيمَةً كَثِيرَةً جِدًّا. [١٣]

وَضَرَبُوا جَمِيعَ الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ جَرَارَ،
لأنَّ رُعبَ الرَّبِّ كَانَ عَلَيْهِمْ،

وَنَهَبُوا كُلَّ الْمُدُنِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِيهَا نَهَبٌ كَثِيرٌ. [١٤]

لم ينكسروا أمام آسا وجيشه، إنما "انكسروا أمام الرب وأمام جيشه". ولم يسقط الكوشيون أمام رُعبِ آسا وجيشه، بل رُعبَ الرب كان عليهم".
أخيرًا، تَحَوَّلَتْ ثروة الخاطي إلى يد البار.

وَضَرَبُوا أَيْضًا خِيَامَ الْأَمَاشِيَّةِ،

وَسَاقَفُوا غَنَمًا كَثِيرًا،

وَجَمَالًا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [١٥]

¹ Antiq. 8:12:2.

من وحي ٢ أي ١٤

بذراعك الإلهي قَدَّسني وخلصني!

- ❖ صنع آسا ما هو مستقيم في عينيك.
نزع عبادة الأصنام وَحَطَّمَهَا.
طلب من شعبه أن يحفظ شريعتك ووصاياك!
- ❖ بروحك القدوس هَبْ لي الاستقامة والصلاح.
انزع من قلبي كُلَّ وَثْنٍ،
وَحَطَّمْ في داخلي كل شهوةٍ شريرةٍ.
عوض شهوات الجسد، ألهب فيَّ شهوات الروح.
يلتهب قلبي بِحُبِّكَ، وتقدَّس حواسي بنعمتك!
انقش وصاياك في قلبي،
فأتلذَّذ بها وتنزَّيِّن أعماقي ببهائك.
- ❖ لتتزيِّن نفسي بوصاياك.
أعترُّ بها لأنها الحليِّ السماوي.
بها أحمل صورتك، وأتهيأ ليوم عُرْسِي.
روحك القدوس يُجَدِّدُ أعماقي كل صباح.
فتستهي القوات السماوية أن تفرح بعملك فيَّ.
- ❖ يهيج العدو لأنه لا يطيق يوم عُرْسِك.
ماذا يُخَلِّصني من عبودية إبليس سوى صليبك؟
ماذا يُحَطِّم ظلمة إبليس سوى قيامتك؟
- ❖ ليثر العدو بكل قوته.
بك نُحَطِّمُ كل حيله وأعماله الشريرة.
بك ننال النصره، ونتكلل بك.
ننطلق إلى السماء، ولا يقدر العدو أن يصطادنا في شباكه!
لك المجد يا واهب النصره!

الأصحاح الخامس عشر

إصلاحات آسا الداخلية

الدخول في عهد مع الله

الآن إذ عاد آسا إلى أورشليم، مُحَمَّلًا بالغنائم، ومتهللاً بالنصرة، شعر أن الله هو سرّ نصرته، ولعلّه كان يفكر ماذا يرَدُّ للرب من أجل كثرة إحساناته.

شعر آسا أن الإصلاح الذي قام به لم يكتمل بعد. لقد قهر بالرب أعداءه الذين في الخارج، لكن يوجد أعداء أكثر خطورة لم يُفْهَرُوا بعد، وهم أوثان ويهوذا وبنيامين وبعض بلاد من إسرائيل كانت تكُنُّ له تقديراً وتسمع وتخضع له. انتصاره في الخارج حَثَّهُ على العمل في الداخل لتكملة المسيرة المقدسة في الرب.

- ١-٧. رسالة إلهية له على فم نبي
٨. غيرته لإزالة الأوثان
- ٩-١١. الغنائم التي كُرِّسَتْ لله
- ١٢-١٥. الدخول في عهد مع الله
١٦. إصلاح في البلاط الملكي
١٧. ترك المرتفعات
١٨. إدخال المقدسات إلى بيت الرب
١٩. سلام عظيم للمملكة

١. رسالة إلهية له على فم نبي

وَكَانَ رُوحُ اللَّهِ عَلَى عَزْرِيَا بْنِ عُودِيدَ [١]

في ذلك الوقت وُجِدَ أيضاً أنبياء في إسرائيل مثل هوشع وعاموس وإيليا وإليشع وغيرهم. فإذ كثر أنبياء البعل والأنبياء الكذبة في مملكة إسرائيل المُتَشَقَّة، أرسل إليهم الرب الكثير من الأنبياء **صنعوا معجزات وسط شعب ارتدَّ عن الله وعبد الأوثان**. يهتم الله بعمل معجزات في وسط غير المؤمنين لأجل رجوعهم إلى الحق الإلهي.

يا لمحبة الله الفائقة، ففي أغلب العصور وُجِدَ أنبياء ورجال الله كرسل يبلغون الملك والشعب كما

أحياناً الكهنة برسائل إلهية. والعجيب مع ما للملك آسا من غيرة وجود أنبياء في وسط الشعب، إلا أن البعض كانوا يدمنون عبادة الأوثان، لما فيها من ملذات وإثارة جسدية. لم يلتق النبي بالملك ليمدحه وبهئته بالنصرة، وإنما لينهضه بالأكثر لعبادة الله، وحفظ الوصية الإلهية، والعهد مع الله. لم يأت النبي من نفسه، إنما حركه روح الله. جاء النبي عزريا بن عوديد يُشجّع الملك آسا، ويحثّه على الدخول مع شعبه في عهد مع الله.

بناء على عمل روح الله في عزريا النبي، التقى النبي مع آسا الملك ليقدّم المعنى اللاهوتي السليم للمعركة للملك وجميع يهوذا وبنيامين. أوضح النبي في حديثه ثلاث أساسيات في عمل الله معهم¹:

١. الله مع إسرائيل، مادام إسرائيل مع الله [٢].

٢. يليق بالشعب مع الملك ألا ينسوا فترة القضاة، حيث تجاهلوا تعليم الكهنة [٣-٦].

٣. وعد الله بالاستمرار في معاونة الملك مادام الملك يسلك الطريق المستقيم [٧].

كثيرون تمّتّعوا بالنصرة، لأنهم طلبوا الرب والتصفوا به، لكن للأسف استطاع عدو الخير أن يُحوّل نصرتهم إلى مصيدة لهلاكهم. عوض تقديم الشكر لله سقطوا في الكبرياء أو التهاون من جهة علاقتهم بالرب، ففقدوا كل ما نالوه.

يمكننا أن نقول بأن عزريا جاء لاستقبال الملك الغالب وجيشه، ليُشجّعهم ويُحذّرهم في نفس الوقت.

فَخَرَجَ لِلِقَاءِ آسَا وَقَالَ لَهُ:

اسْمَعُوا لِي يَا آسَا وَجَمِيعَ يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ.

الرَّبُّ مَعَكُمْ مَا كُنْتُمْ مَعَهُ، وَإِنْ طَلَبْتُمُوهُ يُوجَدُ لَكُمْ،

وَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَتْرُكْكُمْ. [٢]

جاء جوهر الرسالة: "الرب معكم ما كنتم معه. وإن طلبتموه يُوجد لكم. وإن تركتموه يترككم" [٢].

الله لا يُفجّم نفسه في حياة أحد، إنما يشاق أن يعمل في الإنسان بشرط رغبة الإنسان بكامل إرادته الحرّة أن يعمل الله فيه وبه.

خشى النبي أن يُسيئوا استخدام النصر التي وهبهم الله إيّاها. فالنصرة لا تدوم معهم إن انصرفوا

عن الله. يؤكد لهم: "الرب معكم ما كنتم معه"، مُحذّراً إيّاهم: "وإن تركتموه يترككم".

¹ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship. Orthodox Reflections on Chronicles*, 2 Chapter 15.

بقوله: "يُوجَد لَكُمْ" وليس فقط معهم. يشير النبي إلى أن مسرة الله أن يكون ليس فقط سندا لهم، أو مُرافقاً لهم، إنما هو لهم، فهو من جانبه موجود، وفتح أحضانه لهم، ليكتشفوا أنه موجود لهم، ويليق بهم من جانبهم أن يصيروا له.

وضع لهم النتيجة الخطيرة لتركهم الله، فإنه يتركهم، كاستجابة لطلبهم، إن لم يكن باللسان فبالعمل. يحسب الله ترك الإنسان له أشبه بطلبة من الله أن يتركه، فيستجيب الله له. وكما يقول المرثل: "يعطيك سؤل قلبك" (مز ٣٧: ٤).

يُقدّم لنا يوسيفوس المؤرخ ما عناه النبي، قائلًا: [السبب في نوالهم هذه النصره من قِبَل الله هو أنهم ظهروا كأناسٍ أتقياءٍ مُتدينين، يفعلون كل شيءٍ حسب مشيئة الله. لذلك قال (عزريا) إنهم إن ثابروا هكذا، فإن الله يمنحهم أن يغلبوا على الدوام أعداءهم ويعيشوا في سعادة، أما إن تركوا عبادته سيسقط كل شيءٍ إلى العكس^١].

هذا المفهوم الذي يربط بين العبادة لله وحياة النصره، كما قدّمه عزريا النبي، يتناغم تمامًا مع فكر أخبار الأيام.

غالبًا ما تواضع الملك بهذه الرسالة الإلهية، التي سندهت إلى زمنٍ طويلٍ، غير أنه انحرف وسقط في الفخ في السنوات الأخيرة من حياته كما سنرى في الأصحاح السادس عشر.

وإِسْرَائِيلَ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ بِلَا إِلَهٍ حَقٍّ،
وَبِلَا كَاهِنٍ مُعَلِّمٍ،
وَبِلَا شَرِيعَةٍ. [٣]

أ. يظن البعض أن النبي يتحدث هنا عن فترة القضاة المظلمة للغاية، حيث ترك إسرائيل عبادة الله الحقيقي، وعبدوا آلهة غريبة. لقد كان بينهم كهنة، لكنهم لم يكن بينهم "كاهن مُعَلِّم". صاروا بلا شريعة، مع أن بين أيديهم شريعة موسى، لكن القادة والشعب حتى الكهنة في ذلك الحين لم تشغلهم الشريعة في شيءٍ.

سمح الله لكثير من الأمم مثل الموابيين والمدانيين والعمونيين وغيرهم أن يزججهم بكل ضيقٍ [٦]، ومع هذا في وسط ضيقهم لم يرجعوا إلى الله سريعًا، لكن إذ صاروا يصرخون إليه أرسل إليهم قضاة يُخَلِّصونهم من أعدائهم.

¹ Antiq. 8:12:2.

ب. يرى آخرون أنه يتحدث هنا عن **مملكة الشمال (إسرائيل)** التي أقامت العجول ليعبدوها جنباً إلى جنبٍ مع عبادة الله. لقد خانوا الله حتى في تظاهريهم بالتعبُّد له. كانوا بدون كهنة مُعلِّمين، لأن الكهنة اللاويين ذهبوا إلى أورشليم ومعهم بعض الأتقياء.

ج. يرى فريق ثالث أن النبي يتكلم **عمَّا سيحدث في المستقبل**. يقول هوشع: "لأن بين إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك ولا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفودٍ وترافيم، وبعد ذلك يعود بنو إسرائيل يطلبون الرب إلههم وداود ملكهم، ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام" (هو ٣ : ٤ - ٥).

أيام الرب وأيام إبليس

يُميِّز العلامة أوريجينوس بين أيام الرب وأيام إبليس في تعليقه على ما ورد في (قض ٢ : ٧) "**وعبَدَ (خدم أو خاف) الشعب الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع،** قائلاً بأنه توجد أيام الرب وأيام إبليس، ولعل ما ورد هنا "**أيام كثيرة بلا إله حق**" تشير إلى أيام إبليس أو أيام الشر. فيما يلي سمات أيام الرب وسمات أيام إبليس، كما وردت في عظته الأولى على سفر القضاة:

١. أيام الرب برّ وأيام إبليس شر

يليق بالمؤمن أن يكون في أيام يشوع الذي هو رمز ليسوع المسيح **شمس البرّ**، فيتمتع بأيام البرّ، ولا يكون في أيام أحد الملوك الأشرار مثل فرعون أو منسى، فتكون أيامه أيام شر.

❖ يقول: "**وعبَدَ الشعب الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع.**"

يجب إدراك أنه يليق بكل واحدٍ منا البرهنة هل هو في أيام الخير أم في أيام الشر؟ وهل يقتني "أيام يشوع" التي هي أيام البرّ، أم يقتني أيام الشر.

لأننا إن أدركنا: "النور الحقيقي الذي ينبير كل إنسانٍ آتياً إلى العالم" (يو ١ : ٩)، وسلّمنا أنفسنا إليه كي نستتير، وإذا أشرقت "شمس البرّ" (ملا ٤ : ٢) فينا، وأنارت عالم أنفسنا، فسوف نقنتي "أيام يشوع"، أي أيام يسوع المسيح، أيام الخلاص.

أما إذا سلّم أحد نفسه "للنور الذي سينطفئ" (راجع أي ١٨ : ٥)، النور الذي يُضاد الحق، فإنه سوف يقنتي أيضاً أياماً، لكنها أيام الشر. لن يكون في أيام يشوع، إنما في أيام منسى أو فرعون، في

الأيام الشريرة التي لملوك آخرين^١.

العلامة أوريجينوس

٢. أيام الرب تُقدِّم لنا رؤية الجالس على العرش وأيام الشر تفسد البصيرة

تَمَتَّعَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ (الإنجيلي الخامس) برؤياه للرب شمس البرّ جالسًا على العرش في سنة وفاة عزيا الملك (إش ٦ : ١)، هذا الذي تصلَّف في كبريائه، وحاول اغتصاب العمل الكهنوتي عنوةً، فأصيب بالبرص في جبهته (٢ أي ٢٦ : ١٩). حُسِبَتْ أيامه شرًّا، لذا بعد موته تمتع إشعيا برؤياه المُفْرِحة الخاصة بالعرش الإلهي وحوله السيرافيم يرفرفون بالتسبيح في فرح (إش ٦ : ٣). هكذا إذ يموت فينا الإنسان الشرير، ويملك فينا الإنسان الجديد الذي يتمتع بالشفاء بشمس البرّ (ملا ٤ : ٢)، تفتتح بصيرة المؤمن، ليتمتع برؤية الجالس على العرش، ويشترك مع الطغمات السماوية في التسبيح. لنكن أيامنا أيام الرب، فنتطلق أعماقنا كما إلى السماء.

❖ لم يقدر إشعيا أن يرى رؤيا في أيام الملك آحاز الظالم (عزيا) والشرير^٢. لم يقدر إشعيا أن يرى: "السيد جالسًا على كرسي عال ومرتفع" (إش ٦ : ١-٣)، إلا عندما مات هذا الملك الشرير الذي كانت أيامه شريرة، عندئذ صار النبي قادرًا على رؤية الرب... في الحقيقة اسمعوا إلى النبي يقول: "ولكم أيها المتَّقون اسمي تُشرق شمس البرّ" (ملا ٤ : ٢)، إذن بدون شك سيجعل الله لهؤلاء "أيام البرّ" التي هي "أيام يشوع". بالإضافة إلى ذلك قال عن الأشرار، إن شمسه البرّ تشفيهم. بدون شك تشفي من كان العدل ميتًا فيهم^٣.

العلامة أوريجينوس

٣. تتسم أيام الرب بكثرة السلام العظيم وأيام الشر تحطم السلام

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ١. ترجمة الشماس بيشوي بشرى فايز.

^٢ ربما يكون المقصود هو عزيا وليس آحاز بن يوثام الذي ملك من ٧٣٦ ق.م حتى ٧١٦ ق.م. كان كل ملوك يهوذا أشرارًا في عيني الرب بحسب ما ورد في سفر إشعيا و(٢ أي ٢٦-٢٨). تمت رؤية إشعيا (إش ١) بخصوص أورشليم ويهوذا في هذه الفترة. أعطى الرب إشعيا رسالة النبوة فقط في سنة وفاة عزيا (إش ٦).

لقد أشار أوريجينوس في عظته على سفر إشعيا *Hom. In Is 1,1* ما كان لإشعيا أن يرى رؤية طالما كان الملك عزيا على قيد الحياة. أما هنا فذكر أن إشعيا لم ير رؤية في أيام آحاز. فمن المرجح إذن أنه يقصد عزيا وليس آحاز.

^٣ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ١. ترجمة الشماس بيشوي بشرى فايز.

الرب هو ملك السلام (عب ٧: ٢). متى صارت أيامنا أيام الرب، يملأ أعماقنا بسلامه حتى في وسط الضيقات، فنختبر السلام الداخلي الإلهي العظيم.

❖ هل تريدون من النبي معرفة من يقتنون "كثرة السلام"؟ اسمعوا كيف يقول في المزامير: "فليكن سلام عظيم للذين يُجِبُّون اسمك، وليس لهم شك" (مز ١١٨: ١٦٥ LXX)^١.

العلامة أوريجينوس

٤. تتسم أيام الرب بالنور الدائم العظيم وأيام الشر نورها مخادع

إذ يتحدث العلامة أوريجينوس عن أيام يشوع رمز المسيح النور الحقيقي الأبدي، وأيام الشيوخ رمز الرسل الذين بالمسيح صاروا نورًا للعالم، ولا يطلبون نور الأشرار الغاش. ميّز أوريجينوس بين النورين، الحقيقي والمخادع بالآتي:

ا. من له أيام الرب يتمتع بالنور الحقيقي الأبدي، فلا يُحطّمه الزمن. أما أيام الشرير فتبدو منيرة، لكن نور الشر ينطفئ، وهو مخادع.

ب. ليس من شركة بين النور الحقيقي والنور المخادع، إذ ليس من شركة بين المسيح والشيطان.

ج. إذ يظن البعض مثل الرواقيين وبعض الغنوصيين أن السعادة تكمن في المذات الزمنية، يحسبون اللذة أو المتعة نورًا ساطعًا صالحًا وخيرًا.

د. يرفع النور الحقيقي القلب إلى السماوي، فيشتهي الحياة السماوية، أما النور المخادع، فيربط الإنسان بالزمن والزمنيات، فيطلب الأرضيات الزائلة من غنى ومجد وكرامة، ويحسب هذه الأمور أبدية.

هـ. يقدم لنا النور الإلهي الحق، أما النور المخادع فيُقدّم الباطل. لذا يُحدّرنا الرب من الهراطقة، الذين يرتبطون بالتعاليم الكاذبة.

و. من بين الهراطقة بعض الغنوصيين مثل مرقيون الذي رفض العهد القديم، وحسب الله الخالق ليس صالحًا. بعض الغنوصيين نادوا بأن إله العهد الجديد جاء يُخلّص العالم من الإله الخالق.

ز. الصلاة أو الالتقاء مع رب المجد يسوع هو الطريق للتمتع بالنور الحقيقي والخلص من النور المخادع.

❖ تُشرق أيام البرّ وكثرة السلام لمُحِبِّي اسم الرب. أما الأشرار، فلهم نورهم الخاص الذي تشرق منه

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ١. ترجمة الشماس بيشوي بشرى فايز.

بدون شك "أيام الشر".

هل تريدون أن أثبت لكم ذلك من الأسفار المقدسة؟ اسمعوا إلى ما هو مكتوب: "العدل دائماً فيه نور، ونور الأشرار ينطفئ" (راجع أم ١٣: ٩؛ أي ١٨: ٥-٦).

أنتم تتظنون إذن أن "نور الأشرار" سوف ينطفئ، أما "نور الحق" فيستمر إلى الأبد. لا أعلم إن كان أحد يعتقد في جنونٍ مفترضاً وجود نور أساسي يمكن أن يقال عنه من ناحية إنه "نور الشر" ومن ناحية أخرى "نور الحق". هذا لا يمكن بالتأكيد أن يكون صحيحاً على أي حال. لأن نور العالم الذي خلقه يشرق دائماً للكل وبالتساوي. لكن كما شرحنا سابقاً، من المفهوم أن نفوسنا، إما تستنير بالنور الحقيقي (يو ١: ٩) الذي لا ينطفئ أبداً، الذي هو المسيح، أو تستنير بالنور الذي لا يملك في نفسه ما هو أزلّي. فبدون شك تستنير (النفوس) بهذا النور المؤقت الذي ينطفئ بواسطة ذاك الذي "يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور" (٢ كو ١١: ١٤)، وينير قلب الخاطئ بنورٍ مخادعٍ حتى تخيل له هذه الأنوار الحاضرة والزائلة أنها صالحة وساطعة جداً.

بهذا النور يستضيء القائلون إن المتعة هي الخير الأعظم.

بهذا النور يستنير الذين يبحثون عن الثروة والكرامات العالمية والمجد الأرضي كما لو كان الآن هو عصر الأبدية.

وبالتالي فإنهم أيضاً "في أيام" نوره "الذي سينطفئ" يستنير الهراطقة أيضاً بهذا النور مُعلنين للملأ العلم الكاذب الاسم (١ تي ٦: ٢٠). استنار مرقيون بهذا النور، فدعا إله الناموس الحق (العهد القديم) ليس صالحاً.

لهذا إذا فهمنا بالصواب ما هي الأيام المستنيرة برنا يسوع المسيح "النور الحقيقي" والأيام التي ينيرها ذاك "الذي يُغيّر شكله إلى شبه ملاك نور" والذي سينطفئ نوره، يمكننا الفهم الصحيح "لأيام يشوع" التي قيل عنها: "وعَبَدَ الشعب الرب كل أيام يشوع". لأن من المؤكد أن من يقتني في نفسه "أيام يشوع" يخدم الرب.

لا يمكن أن يخدم الشيطان أو الطمع من اقتنى في نفسه "أيام يشوع" ونور المسيح. ولا لمن استنار بنور الحق أن يخدم الكذب، ولا الذي استنار بنور الطهارة يكرس نفسه للشهوة أو النجاسة. بالحقيقة أعلن الرسول الآتي: "لأنه أية خلطة للبرّ مع الإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" (٢ كو ٦: ١٤-١٥).

لهذا فلنُصلّ كي يجعل فينا المسيح الذي هو "النور الحقيقي" (يو ١: ٩) دائماً أياماً صالحة، ولا

نقنتي أبدأ في أنفسنا "أيامًا شريرة" (بإشارة الشيطان فينا) التي قال عنها الرسول: "مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" (أف ٥ : ١٦).

إننا نقنتي أيامًا شريرة عندما نبحث عن الشهوات عوض الأمور الروحية، والأرضيات عوض السماويات، والأمور الزائلة عوض الأبديات، والأمور الحاضرة عوض العتيدة. فعندما ترون إذن مثل هذه الشهوات تثور فيكم، تأكدوا إنكم واقفون في أيام "فاسدة وشريرة".

من أجل هذا كرّسوا أنفسكم للصلوات، كي تتحرروا من "الأيام الشريرة" وتماّمًا كما قال الرسول تُنتشلوا من "العالم الحاضر الشرير" (غل ١ : ٤). لأنه بحسب ما تكلمنا سابقًا، ليس فقط تكون أيامنا شريرة، إنما يصير العمر شريرًا^١.

العلامة أوريجينوس

٥. أيام الرب ترتبط بكلمته وحكمته (بالوصية الإلهية)

تعمل الوصية الإلهية في حياة المؤمن، فيتمتع بالحكمة الإلهية، وينعم بالمعرفة الإلهية. ما يشغل قلب الرسل والخدام هو أن نختبر بالنعمة الإلهية عذوبة الوصية وفاعليتها في حياتنا، حيث نقبل النور الإلهي، فنستتير.

❖ مبارك هو الذي في أيام يشوع يخدم (يعبد) الرب (قض ٢ : ٧)، الذي يستتير بكلمته وحكمته، الذي يستتير بوصاياه، والذي يوهب من تعليمه نور المعرفة. ويبقى أيضًا مباركًا ثانية الذي يخدم الرب في أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع. إنهم "الشيوخ" الذين عاشوا إما مع يشوع أو "بعد يشوع" إنهم ليسوا إلا الرسل الذين أناروا قلوبنا بكتاباتهم ومبادئهم، وجعلوا فينا أيامًا مطمئنة من النور الذي بعد مجيئهم اشتروا فيه من "النور الحقيقي" (يو ١ : ٩).

وبالتالي من يستتير ويتعلّم بتعاليم الرسل ويتدرّب على خدمة الرب على مثال الرسل فهو الذي قيل عنه: "خدم الرب في أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع".

علاوة على ذلك، هل تريدون حقًا معرفة لماذا كما كان المُخلّص "النور الحقيقي" الذي ينير كل إنسان أتيا إلى العالم" (يو ١ : ٩)، صار الرسل أيضًا "نور العالم"؟ مكتوب في الإنجيل أن الرب قال لهم: "أنتم نور العالم" (مت ٥ : ١٤). حتى الرسل الآن هم "نور العالم". بدون شك من خلال مبادئهم وتعاليمهم أناروا لنا "الأيام" التي فيها "تخدم الرب"^٢.

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ١. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

^٢ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ٢. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

العلامة أوريجينوس

٦. يوم الرب يُطِيل أيام الشيوخ

اهتم العلامة أوريجينوس بالحديث عن أيام الشيوخ الذين جاءوا بعد يسوع، إذ تشير إلى أيام الرسل الذين عاش يسوع رب المجد معهم وفي وسطهم حتى بعد صعوده إلى السماء، وحملت أيامهم سمات أيام السيد المسيح.

اهتم كاتب سفر يسوع أن يؤكد أن أيامهم طويلة، ليس من جهة الزمن، إنما من جهة البركة. كثيراً ما تكلم أوريجينوس عن الجنين يوحنا المعمدان، الذين لم يكن قد وُلِدَ بعد حين قامت القديسة مريم بزيارة بيته، فقام بعمل كرازي فائق، وهو بعد في سادس شهر من الحمل به، يُحسَب أكبر من رؤساء الكهنة والكهنة الذين لم يبالوا باللقاء مع الطفل يسوع! إن أيام الجنين يوحنا في عيني الله أطول من السنوات التي عاشها هؤلاء القادة الذين لم يُمَمِّوا رسالتهم ككارزين بالحق الإلهي.

لا تعجب إن قال الرسول: "إن يوماً واحداً عند الرب كآلف سنة، وألف سنة كيوماً واحدٍ" (٢ بط ٣: ٨). يقول العلامة أوريجينوس إننا سنرى في يوم الرب العظيم أطفالاً حُسِبَتْ أيامهم القليلة كسنوات طويلة، بينما نرى شيوخاً حسبت سنواتهم الطويلة كأيام قليلة، وربما كأن لا وجود لها. تُدعى أيام القديسين طويلة، لأنها أيام حب ثمينة، كل نسمة من سمات حياتهم لا يمكن تقديرها.

أما الأشرار الذين تبرد محبتهم، فأيامهم قصيرة وتافهة وزائلة! أيام القديسين طويلة ومتنوعة وجذابة، تحمل أسماء الفضائل التي يفتنونها خلال نعمة الله، فيدعون اليوم الحب، وغداً السلام، واليوم الثالث الظهارة، والرابع العفة، والخامس الصلاح... ومع طول الأيام يحمل فردوس نفسه ثمار الروح العذبة المتكاثرة.

❖ بالإضافة إلى ذلك قال: "كل أيام الشيوخ الذين طالَّت أيامهم بعد يسوع" (قض ٢: ٧). يبدو أن هذا لم يُذكر مصادفةً أن "الشيوخ" أو هؤلاء "طوال الأيام" قيل عنهم: "الشيوخ الذين طالَّت أيامهم بعد يسوع".

في الحقيقة إن الله فقط هو الذي يعرف من "بعد يسوع" سيعيش وسط "الشيوخ"، الذي يعمل "يوماً طويلاً"، الذي سيشع من نفسه النور العظيم، سواء كان بولس أو بطرس أو برثلماوس أو يوحنا. ومع ذلك يُدعى القديسون "ذوي الأيام الطويلة".

لكن في المقابل، في ذلك الزمان، عندما يمتلئ العالم بالتجارب، عندما "يكثُر الإثم، فتبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤: ١٢) وعندما "يأتي ابن الإنسان، سيجد صعوبة في وجود الإيمان على الأرض"

(راجع لو ١٨ : ٨)، في ذلك الزمان، لا يُقال إنها ستكون "أيام طويلة" بل بالحري، إنها أيام مُقَصَّرة تمامًا كما قال الرب: "لو لم يقصر الرب تلك الأيام، لم يخلص جسد" (مت ٢٤ : ٢٢). بالتالي قيل عن تلك الأيام الشريرة إنها تكون قصيرة، أما "الطويلة" فهي أيام الخير التي فيها وقت كثير، وفي قياس محدد التي طولها عظيم التي فيها نخدم الرب. ومع ذلك، انظروا أنه أشار أيضًا في الإنجيل: "إنه من أجل المختارين تُقصر تلك الأيام" (مت ٢٤ : ٢٢). إذن، "من أجل المختارين" تكون "الأيام الشريرة" أيام الإثم والتجربة قصيرة.

وأنا أعتقد أنه متى بدأت الأيام الشريرة لتكون قصيرة للمختارين، فإنها دائمًا تقصر، ونقل حتى تصوير لا شيء، وتختفي تدريجيًا بالكامل وتختفي كلية.

على حساب هذه الأشياء، أظن أن هناك من يقول أيضًا: "ليته هلك اليوم الذي وُلدت فيه" (أي ٣ : ٣).

إذن "تقصر الأيام الشريرة للمختارين" وتختفي، ولكن أيام الشيوخ القديسين مستمرة وطويلة... إن ما قاله لا يُحذف: "وعبد الشعب الرب جميع أيام يشوع" (قض ٢ : ٧). لم يقل يومًا واحدًا ليشوع، لكن أيامًا كثيرة "أيام يشوع". إذن فكم عدد الأيام التي نعدّها بحسب هذا الترتيب الذي شرحناه؟ أنا أعتقد أنه بنفس الطريقة أحد أيامه يكون عدل، والآخر طهارة، وآخر تواضع، وآخر رحمة، وهكذا لكل الفضائل والصفات الطيبة تحسب على إنها "أيام يشوع" التي خلالها يُخدَم "الرب"، لأنه بفضائل النفس^١ هذه يُسر الرب.

في الحقيقة، الصبر يُحسب أيضًا يومًا من أيامه، اللطف والتقوى والصلاح وكل شيء يتعلق بالفضيلة يمكن أن يُدعى يومه.

وهكذا "خلال كل أيام يشوع ستخدمون الرب". لأن وصايا الأسفار المقدسة لا ترغب أن تقتنوا في نفوسكم بعض سمات هذه الفضائل وتهملون الأخرى، بل أن تتزينوا بجميع هذه الفضائل وتكمل فيكم حين تتممونها. "فتخدمون الرب". وأيضًا بنفس الطريقة يفتني آخر "أيام الشيوخ" في نفسه "ويخدم الرب في أيامهم" (راجع قض ٢ : ٧) عندما ينجز ما قاله بولس الرسول: "كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضًا بالمسيح" (راجع ١ كو ٤ : ١٦؛ في ٣ : ١٧)^٢.

العلامة أوريجينوس

^١ كلمة النفس هنا تعود بالأكثر إلى الذهن أو الجزء العاقل في النفس.

^٢ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ٣. ترجمة الشماس بيشوي بشرى فايز.

٧. يوم الرب ومعرفة جميع أعمال الرب

يليق بنا إذ تكون أيامنا للرب أن نتعرّف على جميع أعماله، أي نختبرها ونحفظها ونمارسها، وإلا حُسبنا كمن يجهلها. لقد أوضح لنا العلامة أوريجينوس مفهوم كلمة يعرف، ألا وهي أن يختبر الشيء عملياً، وليس مجرد المعرفة العقلانية.

❖ قيل "في أيام الشيوخ الذين يعرفون جميع أعمال الرب" (راجع قض ٢: ٧). فمن هو الذي يعرف جميع أعمال الرب إلا الذي يعملها؟

في الحقيقة، كما قيل عن أبناء عالي: "كان بنو عالي بني بليعال لم يعرفوا الرب" (١ صم ٢: ١٢). لم يكونا يجهلان الرب - لأنهما بدون شك كانا معلمين للبقية - لكن كانا يتصرفان كما لو كانا لا يعرفان الرب. بهذه الطريقة أيضاً، ما يقال هنا يجب أن يُسمَع: "الذين يعرفون أعمال الرب"، ولكن ضيف "الذين يعرفون جميع أعمال الرب" أي الذين "يعرفون" أعمال الرب: البرّ، الطهارة، الصبر، اللطف والتقوى. وأي شيء نابع من وصايا الرب يُدعى "عمل الرب". لكن كما يوجد عمل الرب هكذا عمل الشيطان بدون شك مضاد له تماماً.

لأنه من المؤكد كما أن البرّ هو من عمل الرب، هكذا الإثم من عمل الشيطان، وكما أن اللطف من عمل الرب يكون الغضب والغیظ من عمل الشيطان. بالتالي قيل إنهم يعرفون عمل الله الذين يعملون هذا العمل.

أيضاً، بما أنه صار واضحاً من سلطان الأسفار بأية طريقة مألوفة يقال: "يعرف" أو "لا يعرف"، انظروا ما هو مكتوب في موضع آخر. لقد قيل: "حافظ الوصية لا يعرف كلمة شريرة" (راجع جا ٨: ٥ LXX). الآن "من يحفظ الوصية" هل يمكن ألا يعرف كلمة شريرة؟ في الحقيقة إنه يعرف، ولكن قيل "لا يعرف"، لأنه يحفظ نفسه من الكلمات الشريرة ويتجنبها.

علاوة على ذلك، ما قيل بخصوص الرب والمخلص نفسه إنه "لم يعرف خطية" (راجع ٢ كو ٥: ٢١). من المؤكد أنه قيل إنه لم يعرف خطية، لأنه لم يعمل أية خطية. لهذا وبنفس الطريقة قيل: "يعرف أعمال الرب" من يعمل أعمال الرب، وكذلك يجهل عمل الله من لا يعمل عمل الله^١.

العلامة أوريجينوس

٨. يوم الرب يوم خلاصه العظيم للعالم بالصليب

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ٤. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

يوم الرب هو يوم الخلاص الذي قَدَّمه عن العالم كله بالصليب. كل أعمال الله عظيمة وفائقة، لكنها لا تقارن بيوم الفداء!

❖ أيضًا كيف نتجاوز ما ضيف: "الذين رأوا (يعرفون) كل عمل الرب العظيم الذي عمل لإسرائيل" (قض ٢: ٧) ماذا بالحقيقة؟ هل توجد أعمال صغيرة للرب تختلف عن هذه التي قيل إنها أعمال عظيمة؟ أعتقد أن كل عمل الرب إنما هو بالحقيقة عظيم. لكن إذا ما قورنت بعضها ببعض، يقال عنها إنها إما عظيمة أو صغيرة بحسب قدرة الذين يحصلون عليها، الذين يعمل معهم الرب العمل.

فعلى سبيل المثال، قاد الله شعب بني إسرائيل خارج مصر "بيدٍ شديدةٍ وذراعٍ ممدودةٍ" (تث ٥: ١٥؛ راجع خر ٦: ٦؛ ١٣: ٣). وضايق المصريين بعلامات نبوية وسماوية "وجعل البحر طريقًا يابسةً وانشق الماء" (راجع خر ١٤: ٢١). وأعطى الشعب المن في البرية من السماء (راجع خر ١٦: ١٦؛ حك ٢٠: ٢٠). وتكلم مع موسى (راجع خر ١٩: ٣)، وأعطى الناموس مكتوبًا على لوحين من الحجارة (راجع خر ٢٤: ١٢). ولكن إذا قورنت هذه الأعمال بجانب خلاص الله للعالم "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (راجع يو ٣: ١٦) فسوف تجدون أن كل هذه الأعمال صغيرة بالنسبة لعظم هذا العمل الذي يجب أن نعرفه ونؤمن به.

علينا أن ننتشل بأعمال الرب (راجع يو ٦: ٢٨-٢٩) ليس بإهمال، إنما بإيمان وبقطة، حتى نوجد نحن في أيام يسوع المسيح وفي أيام الشيوخ الذين هم رسله حتى نستحق معهم الاشتراك في الميراث السماوي بواسطة ربنا يسوع المسيح نفسه الذي له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين أمين" (١ بط ٤: ١١)¹.

العلامة أوريجينوس

وَلَكِنْ لَمَّا رَجَعُوا عِنْدَمَا تَضَايَقُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ،
وَطَلَّبُوهُ وَجَدَ لَهُمْ. [٤]

قَدَّم ليهودًا مثلًا خطيرًا وهو إسرائيل الذي عاش أيامًا كثيرة بلا إله حق، وبلا كاهنٍ معلمٍ، وبلا شريعةٍ إلهيةٍ، ومع هذا فإنهم إذ رجعوا إلى الله وطلبوه وجدوه لهم [٤].

"وطلبوه وجد لهم": لم يقل: "وطلبوه فوجدوه"، إنما وجد لهم. بمعنى أنهم يجدونه لهم، فيترنمون: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي" (نش ٦: ٣). هكذا يشعر طالبو الرب أنه صار لهم، محبوبهم الخاص بهم.

¹ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الأولى، ٥. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

❖ إنه من حق النفس أن تفرح، لأنها وصلت إلى مركزٍ عالٍ أثناء صعودها إلى قمة رغباتها. ما هو أعظم من سعادة من يصل إلى رؤية الله؟ ولكن ما حققته هو بداية لما تأمل فيه بعد ذلك... يتَّجِد العروسان: الله في النفس، والنفس مرة أخرى تسكن في الله. تقول العروس: "حبيبي لي، وأنا له، الراعي بين السَّوسن"، (نش ٦: ٣) هو نفسه الذي غيَّر الحياة الإنسانية من خيال الظلال إلى قمة الحق. لاحظ الارتفاع الذي سعدت إليه العروس، متقدمة من قوةٍ إلى قوةٍ كما يقول النبي (مز ٨٤: ٧)، وتظهر كأنها حصلت على قمة أمانها. ما هو أعلى من أن تكون في المحبوب ويكون هو في نفسها؟^١

❖ تقول العروس: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي". ففي تطابقها مع المسيح تستقبل منه جمالها الأصيل. هذه البركة الأولى لطبيعتنا حسب صورة الجمال الأصلي وشبيه به ذلك الذي يستحق وحده التمجيد والحب. ويشبه ذلك مرآة مصنوعة بدقة ماهرة يدوية، التي تعكس صورة مطابقة للوجه. لذلك، عندما ترتب النفس أمورها، وترفض كل تلوثٍ ماديٍّ تُصبح مُثَلَّة لصورة الجمال النقي الخالي من الغش.

تقول النفس، المرأة الحيَّة التي تملك الإرادة الحرة: "عندما أنظر إلى وجه حبيبي، ينعكس جمال وجهه عليّ". يقلد بولس هذه الكلمات بوضوح بقوله: "وفيما بعد لا أحيأ أنا، بل المسيح يحيا في. أما الحياة التي أحيأها الآن في الجسد، فإنما أحيأها بالإيمان في ابن الله، الذي أحبني وبذل نفسه عني" (غل ٢: ٢٠). وعندما يقول: "فالحياة عندي هي المسيح" (في ١: ٢١)، يصرخ بولس أنه نفَى نفسه من أي هوى بشري مثل الحزن، والغضب، والخوف، والجبن، والأهواء القوية، والكبرياء، والحمق، والرغبة الشريرة، والحسد، والانتقام، وحب التملك والمكسب أو أية عادة قد تودّي إلى تخريب النفس.

هو وحده الذي يملأ نفسي، وليس أي شيء مما سبق ذكره. لقد نُزِعَت عني كل طبيعتي الخارجية الظاهرة، ولم يبقَ بداخلي أي شيء غير المسيح.

حقيقة الحياة عندي هي المسيح" أو كما تقول العروس: "أنا لحبيبي وحبيبي لي". هذا هو الظهر والنقاء وعدم التلوث والنور والحق الذي يُعَدِّي نفسي. إنه لا يتعدَّى بالعشب الجاف أو بالشجيرات وإنما بروعة قديسيه. يوحى السَّوسن ببهاء وإشعاع ألوانه الجميلة. من أجل هذا، فالذي يتعدَّى بين السَّوسن يقود قطيعه إلى مروج السَّوسن حتى تكون: "نعمة ربنا علينا" (مز ٩٠: ١٧).

نحن نصبح مثل الطعام الذي نأكله. دعونا نأخذ مثال الإناء الأجوف من الكريستال، فكل ما

^١ تعريب الدكتور جورج نوار. 6. Song of Songs, homily

يوضع فيه يظهر بوضوح (حتى يبدو الإثاء كأنه هو نفسه ما في داخله). وبشبه ذلك عندما نضع بهاء السوسن في نفوسنا، فإنها تشع وتظهر من الخارج الأشكال الموجودة بالداخل. لتوضيح هذه النقطة، تُعَدِّي الروح نفسها بالفضائل التي تُسمَّى رمزياً بالسوسن، ويُصبح الشخص المكوّن بهذه ذا حياة طيبة مُشعاً، مُظهرًا في حياته كل نوعٍ من الفضيلة. لنفرض أن السوسن النقي هو: ضبط النفس والاعتدال والبرّ والشجاعة والقدرة وكل ما يقوله الرسول حقيقي، ومشرف ومستحق للحب وعادل ومقدس، عطوف وفاضل ومستحق للتمجيد (في ٤: ٨). تتكون هذه الفضائل جميعها في النفس نتيجة للحياة النقية، وتزيّن النفس التي تمتلكها. لذلك تهب العروس نفسها لمحبوبها، وتستقبل جمال من تُحب^١.

القديس غريغوريوس النيصي

وَفِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ لَمْ يَكُنْ أَمَانٌ لِلخَارِجِ وَلَا لِلدَّاخلِ،

لأنّ اضطراباتٍ كثيرةً كانت على كلِّ سكّانِ الأراضِي. [٥]

يقصد بالأزمان هنا فترة القضاة، كما يقصد العشرة أسباط الذين انشقوا عن بيت داود ورفضوا الكهنوت اللاوي الخ، وهي تطبق على كل فترة يعطي فيها الإنسان القفا لله لا الوجه.

فَأُفْدِيَتْ أُمَّةٌ بِأُمَّةٍ، وَمَدِينَةٌ بِمَدِينَةٍ،

لأنّ الله أزعجهم بكلِّ ضيقٍ. [٦]

فَتَشَدَّدُوا أَنْتُمْ، وَلَا تَرْتَحِ أَيْدِيَكُمْ،

لأنّ لعنكم أجزا. [٧]

يدعو يهوذا أن يتشددوا، لا ترتخي أيديهم معتمدين على ما نالوه من نصره [٧]. يلزم أن يتدرّب الإنسان على العمل بجديّة وفرح، سواء في عبادته أو أعماله اليومية.

٢. غيرته لإزالة الأوثان

فَلَمَّا سَمِعَ آسَا هَذَا الْكَلَامَ وَنُبُوءَةَ عُوْدِيدَ النَّبِيِّ تَشَدَّدَ،

وَتَرَخَّ الرَّجَاسَاتِ مِنْ كُلِّ أَرْضِ يَهُودَا وَيَنْيَامِينَ،

وَمِنَ الْمُدُنِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ جِبَلِ أَفْرَايِمَ،

وَجَدَّدَ مَذْبَحَ الرَّبِّ الَّذِي أَمَامَ رِوَاقِ الرَّبِّ. [٨]

¹ Song of Songs, homily 15. تعريب الدكتور جورج نوار

التهبت قلوب الملك ومعاونيه، فازدادت مجهوداتهم في الإصلاح، ونزعوا الرجاسات التي تركها رجبعام من كل موقع. لقد نزعها من قبل، وها هو يُكَمَّل ما بدأ به.

الإنسان المؤمن الجاد لا يتوقَّف عن النمو المستمر، فقد بدأ آسا حركة الإصلاح منذ تولَّى العرش، وتشدَّد عندما دخل في ضيقة في حرب مع الكوشيين، وإذ نال نصرة نَسَبَهَا للرب، وتشدَّد أكثر. والآن إذ جاءت رسالته من الله على لسان عزريا بن عويد، "تشدَّد ونزع الرجاسات من كل أرض يهوذا وبنيامين ومن المدن التي أخذها من جبل أفرام". ازداد حماساً وتشجَّع للقيام بإصلاحات أخرى، وتأكيد حضور الله وسط مملكته.

"جَدَّد مذبح الرب": يبدو أن مذبح المُحرَّقة احتاج إلى ترميم، بالرغم من أنه لم يمضِ عليه أكثر من ٣٥ عامًا منذ أن شيَّده سليمان، ربما نتيجة الإهمال أثناء الحروب بين يهوذا وإسرائيل. رأينا أن آسا عمل الصالح والمستقيم في عيني الرب إليه، ونزع المذابح الغريبة والمرتفعات وكسَّر التماثيل الخ (١١: ٢)، وجاهد وطلب الرب فوهبه النصر، ومع هذا أمال أذنيه إلى كلمات النبي ولم يُعَاتِبْه على قوله: "إن تركتموه يترككم" (١٥: ٢). إنما تحرَّك لينزع الرجاسات من المدن التي أخذها من جبل أفرام ومن كل أرض يهوذا، وجدَّد مذبح الرب الذي أمام رواق الرب. لقد قام بحركة تطهير وتقديس أعمق.

أيضاً وجد في كلمات النبي فرصة لجمع يهوذا وبنيامين والقادمين من أسباط إسرائيل الذين تلامسوا مع عمل الله في حياة آسا؛ ودخلوا في تجديد للعهد مع الله "وطلبوه بكل رضاهم، فوجد لهم" (١٥: ١٥).

مع كل حركة للإصلاح، احتاج القادة مع الشعب إلى تجديد العهد مع الله!

٣. الغنائم التي كُرِّسَتْ لله

وَجَمَعَ كُلُّ يَهُودًا وَبَنِيَامِينَ وَالْغُرَبَاءَ مَعَهُمْ مِنْ أَفْرَائِيمَ وَمَنْسَى وَمِنْ شَمْعُونَ،
لَأَنَّهَمْ سَقَطُوا إِلَيْهِ مِنْ إِسْرَائِيلَ بكَثْرَةٍ،
حِينَ رَأَوْا أَنَّ الرَّبَّ إِلَهُهُ مَعَهُ. [٩]

سبق أن رأينا كثيرين من أتقيا مملكة الشمال انطلقوا إلى يهوذا. الآن تزايد عدد القادمين من أفرام ومنسى وشمعون إلى الجنوب، إذ تأثروا بإخلاص آسا في حياته وعبادته. دعاهم الغرباء إذ صار الشعبان يهوذا وإسرائيل غرباء عن بعضهما البعض.

جاءوا إلى أورشليم يعلنون رغبتهم في الالتفاف حول الملك الذي من بيت داود، مشتاقين إلى

العبادة الحقيقية والالتصاق بهيكل الرب.

"أولاً أن الرب معه": التصاقه بالرب أعطاه مهابة، ليس فقط بين شعب يهوذا، وإنما بعض الأتقياء أو المحبّين للتقوى، إذ أدركوا ذلك، انضموا إليه. جاء في زكريا النبي: "تذهب معكم، لأننا سمعنا أن الله معكم" (زك ٨: ٢٣).

فَاجْتَمَعُوا فِي أُورُشَلِيمَ فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ لِمَلِكِ آسَا [١٠]

إذ دعا الملك إلى اجتماع عام، بالفعل اجتمعوا معاً بخوف الله وفي مهابة، في الشهر الثالث، وربما كان في عيد الخمسين أو عيد الأسابيع.

وَدَبَحُوا لِلرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ الَّتِي جَلَبُوا،

سَبْعَ مِئَةِ مِنَ الْبَقَرِ وَسَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الضَّأْنِ. [١١]

قدّم هو وشعبه ذبائح للرب، نصيبهم من الغنائم التي حصلوا عليها. هذه التقدّمات لا تقارن بما قدّمه سليمان (٧: ٥)، ربما لقلّة غيرتهم أو إمكانياتهم.

٤. الدخول في عهد مع الله

وَدَخَلُوا فِي عَهْدٍ أَنْ يَطْلُبُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ بِكُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ. [١٢]

دخلوا في عهدٍ معه تائبين، لأنهم كسروا تعهداتهم معه، ووعدوا أن يسلكوا بطريقة أفضل. في تجديدهم للعهد طلبوا الرب بأكثر اجتهاد، وسألوه حنوّه، وتعهّدوا بحفظ وصاياه.

حَتَّى إِنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَطْلُبُ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ يُقْتَلُ،

مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ،

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. [١٣]

اتفقوا أن كل من لا يطلب الرب إله إسرائيل، بكونه ملحدًا أو عابد أوثان عنيدًا، يُقتل. هذا التعهّد يتفق مع ما ورد في الشريعة (نت ٧: ٢ الخ)، وكان يُناسب العصر بعنفه الشديد وممارسات العبادة الوثنية بما فيها من عنفٍ، مثل تقديم الذبائح البشرية حتى أطفال الشخص المُتعبّد نفسه. ومع هذا كله وُجِدَت العبادة الوثنية حتى في يهوذا وبنيامين [٨].

ونحن الآن في عهد النعمة لا نطالب بتنفيذ ذلك حرفياً بل رمزياً، لأن أسلحة محاربتنا روحية لا جسدية.

وَحَلَفُوا لِلرَّبِّ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَهَتَافٍ وَبِأَبْوَابٍ وَقُرُونٍ. [١٤]

أقيم العهد جهازاً بغير خجلٍ، بل بفرحٍ، لا كالمدين الذي يتعهد أمام دائته بروح الخوف والتغصّب، وإنما كالعروس الذي تفتخر بحبّها وطاعتها لعريسها البازل حياته لأجلها.

وَفَرِحَ كُلُّ يَهُودًا مِنْ أَجْلِ الْحَلْفِ،
لَأَنَّهُمْ حَلَفُوا بِكُلِّ قُلُوبِهِمْ،
وَوَطَّبُوهُ بِكُلِّ رِضَاهُمْ، فَوُجِدَ لَهُمْ،
وَأَرَاخَهُمُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. [١٥]

أقيم العهد بإخلاصٍ عظيمٍ وغيرَةٍ وتصميمٍ، إذ "حلفوا بكل قلوبهم وطلبوه بكل رضاهم، فوجد لهم". ما فعلوه لم يكن مُملًا، لأنه نبع عن قلوبهم وبكل رضاهم، أي بمسرّة وفرحٍ وتهليلٍ.

٥. إصلاح في البلاط الملكي

حَتَّى إِنَّ مَعَكَةَ أُمِّ آسَا الْمَلِكِ،
خَلَعَهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلَكَةً،
لَأَنَّهَا عَمِلَتْ لِسَارِيَةَ تِمْتَالًا،
وَقَطَعَ آسَا تِمْتَالَهَا وَدَقَّهُ،
وَأَحْرَقَهُ فِي وَادِي قَدْرُونَ. [١٦]

يخبرنا بما ورد في ١ مل ١٥: ١٣-١٤ عن عزل جدته التي كانت تعبد الأوثان من مركزها السياسي بكونها "الملكة الأم".

حركات الطهارة في مدن يهوذا وبنيامين وأيضًا في المدن التي قبلت الانضمام إليه من إسرائيل، وتجديد العهد، وبث روح الفرحة، هذا كله لم يشغله عن طهارة بيته. فقد خلع جدته معكة من العرش كملكة، لأنها عملت لسارية تمثالاً، وقطع التمثال ودقّه وأحرقه في وادي قدرون علانيةً. لقد سما فوق الروابط العائلية من أجل مجد الرب.

بروح الإخلاص والشجاعة والغيرة، لم يُداهن الملك آسا حتى أمه (جدته) الملكة؛ وكما نعلم أنه في أغلب دول العالم في القديم كانت السلطة في يد أم الملك أو جدته من أجل خبرتها وكرامتها. أما آسا الملك فأقصى جدته بسبب ارتباطها بالعبادة الوثنية. عرف آسا أنه يلزم أن يكرم الله أكثر من جدته.

غالبًا ما اقتنعت معكة بخطيتها، لهذا لم تُقتل، لكنها أقصت عن دورها القيادي. ولعل آسا طرد حاشيتها الوثنية، وحدد إقامتها بعد نزع سلطانها.

٦. ترك المرتفعات

وَأَمَّا الْمُرْتَفَعَاتُ، فَلَمْ تُنْزَعْ مِنْ إِسْرَائِيلَ.

إِلَّا أَنْ قَلَبَ آسَا كَانَ كَامِلًا كُلَّ أَيَّامِهِ. [١٧]

طهارة غير كاملة! مع كل هذا العمل الجبار، غير أنه لم ينزع المرتفعات من مدن إسرائيل التي خضعت له. كان يليق به ألا يتهاون في هذا الأمر الذي يبدو قليلاً جداً بالنسبة لجهاده وأعماله العظيمة!

خُتِمَ الأصحاح بملاحظة أن آسا لم يكن ناجحاً تماماً. بهذا يُعِدُّنا لما يرد في الأصحاح التالي عن سوء سلوك آسا في شيخوخته.

٧. إدخال المقدسات إلى بيت الرب

وَأَدْخَلَ أَقْدَاسَ أَبِيهِ وَأَقْدَاسَهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالْأَنْبِيَةِ. [١٨]

من الأمانة أن يُفَدِّمَ الله ما له.

٨. سلام عظيم للمملكة

وَلَمْ تَكُنْ حَرْبٌ إِلَى السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ لِمُلْكِ آسَا. [١٩]

لقد وُجِدَتِ مناوشات وتعديات بين آسا وبعشا ملك إسرائيل، ولكن ليست حرباً. يُقَصَّدُ بالسنة الخامسة والثلاثين من الانفصال.

من وحي ٢ أي ١٥

قَدَّسْ أَيَّامِي، وَأَعْلِنْ عَن سَكَانِكَ فِي!

❖ إلهي، إذ التصق بك آسا الملك،

صارت أيامه الأولى مقدسة.

لم يكن لإسرائيل في ذلك الحين أيام بلا إله حق.

بل صارت أيامه كأيام يشوع بن نون.

تمتع بحياة النصر والبرِّ والسلام.

❖ لتكن أيام حياتي أيام خير لا أيام شرِّ.

لتشرق عليها يا شمس البرِّ، فأستتير بك.

لن يتسلل إبليس بنوره المخادع إلى قلبي.
ولا يجتذب حياتي إلى الشر والفساد.
قدّس أيامي، فُحَسِّبْ أيامًا لك يا مخلصي.
تمدني بنعمتك، وتكسوني ببرِّك، وتهبني سلامك!

❖ لأطلبك فأجدك لي.

أناجيبك: حبيبي لي، وأنا لحبيبي.
تُحوّل إنائي الخزفي إلى كريستال نقي.
تتجلّى صورتك فيّ، وبنعكس بهاؤك عليّ!
تشبع أعماقي بك، فلا تطلب سواك!
تصير أنت نوري ومجدي وشبعي وغنائي.
أجد فيك راحتى وسعادتي.

❖ تُحطِّم كل وثنٍ في داخلي،

وتتزع كل رجاسة وذنس من أعماقي.
يَحوّل قلبي إلى مذبحٍ مُقدَّس لك.
يُسمَع في داخلي صوت هتاف مُفرح.
وتصعد من أعماقي رائحة بخور عطر!
تتمجّد فيّ بأعمال نعمتك.
وتفتح أبواب الفردوس لقلبي.
تسكن فيّ، وأسكن فيك، يا شهوة قلبي.

الأصحاح السادس عشر

انحدار آسا في أواخر أيامه

نجح آسا في علاقته مع الله سواء في مواجهته للأعداء حيث اعترف أنه بلا قوة وائْتَكَل على الرب إلهه، فانتصر على العدو. كما نجح في مقاومته للعبادة الوثنية وتطهيره للأرض وإعادة تأسيس عبادة الرب في كل مكان. غير أنه استسلم للحلول الوسطى في تعامله مع المدن التي أخذها من إسرائيل، مُنْكَأً على الحكمة البشرية في تشامخ وكبرياء، كي يكسبهم. إذ قيل: "أما المرتفعات فلم تُنْزَع من إسرائيل" (١٥: ١٧)، معتقداً أنه بهذا يجتذبهم إليه.

هذا وقد أعطاه الله فرصاً كثيرة للتوبة، لم ينتفع بها. بل أساء استخدامها؛ من هذه الفرص الآتي:
١. سمح لملك إسرائيل بعشا أن يصعد إلى الرامة لبينيها، حتى يمنع شعبه من الالتقاء بأسا. وربما كان بذلك يُعِدُّ نفسه للحرب ضد يهوذا. عوض أن يلجا آسا إلى الله بروح التوبة والالتصاق به، التجأ إلى ملك أرام كي يسنده ويكسر تحالفه مع إسرائيل.

٢. مرة ثانية قَدَّمَ له فرصة لمراجعة نفسه، إذ أرسل إليه حناني الرائي (النبى) لِيُؤَيِّخه، مؤكداً له أنه بتصرفه الخاطئ فقد النصرة على كل من إسرائيل وأرام، مذكراً إِيَّاه بالنصرة التي سبق له أن تمتع بها على زارح الكوشي بجيشه العظيم. لم يسمع للنبى بل سجنه وأهانته.

٣. مرة ثالثة أعطاه فرصة خلال المرض الخطير، إذ صار سجيناً على سريره كما سجن النبى. وعوض التوبة ورفع القلب إلى الله نزل بقلبه إلى الأرض ليحفر قبراً يليق بكرامته بأوي جثمانه الذي لا تستطيع العطور مهما كان قدرها ونوعها أن تحفظه من الفساد.

يدعوننا هذا الأصحاح أولاً ألا نَعْتَمِد على ماضينا الصالح، فقد يعيش الإنسان شبابه مقدساً للرب، لكن في شيخوخته يتهاون ويتصَلَّف ولا يسمع لصوت الرب. ثانياً أن نتجاوب مع دعوة الله المستمرة وبوسائل مختلفة كي نرجع إليه ونلتصق به خلال التوبة.

❖ إلى متى لا نطيع المسيح، الذي يدعوننا إلى ملكوته السماوي؟... هذا هو وقت التوبة، وذاك هو وقت المكافأة. هذا وقت التعب والمشقة، وذاك وقت نوال الأجرة. هذا وقت الصبر، وذاك وقت الراحة^١.

¹ Reg Fus. Introduction, I.

❖ حين تشغل بخطية ما كن مُتَهَمًا لنفسك (أم ١٨ : ١٧)، ولا تنتظر الآخرين لِيُقَدِّمُوا الاتهام. بهذا تصوير أشبه بإنسانٍ بارٍ يتهم نفسه في أول حديث له في المحكمة، أو تكون كأيوب الذي لم يعقه جمهور الشعب في المدينة عن الإعلان عن جريمته أمام الكل^١.

القديس باسيليوس الكبير

للأسف يختم هذا الأصحاح تاريخ الملك آسا، ولا يسرد أخبارًا سارة عن أواخر أيامه كالتي رأيناها في بداية مُلْكِهِ.

١. معاهدة حمقاء مع بنهدد ملك آرام ٦-١.
٢. توبيخ الله له بواسطة نبي ٩-٧.
٣. استيلاء آسا من النبي ١٠.
٤. مرض آسا وموته ١١-١٤.

١. معاهدة حمقاء مع بنهدد ملك آرام

فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ لِمُلْكِ آسَا،

صَعِدَ بَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَهُودَا وَبَنَى الرَّامَةَ،

لِكَيْلَا يَدَعَ أَحَدًا يَخْرُجُ أَوْ يَدْخُلُ إِلَى آسَا مَلِكِ يَهُودَا. [١]

يرى البعض أن النص الخاص بالسنة السادسة والثلاثين هي اختصار *shorthand formula* يعني السنة السادسة والثلاثين من بداية المملكة المنشقة، أي بعد موت سليمان مباشرة. بهذا تكون السنة هنا ٩٨٦ ق.م، وهي تطابق ما ورد في ١ مل ١٦ : ٦-٨. فقد عاش آسا عشرة سنوات في سلام (١٤ : ١).

يرى يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنه جاء خطأ في النسخ فهي "في السنة السادسة والعشرين".

لقد بنى بعشا ملك إسرائيل الرامة، لكي لا يسمح لأحدٍ من شعبه أن يخرج إلى آسا ملك يهوذا (١٦ : ١)، حتى لا ينضم إليه، فيفقد مدنًا أكثر تنضم إلى يهوذا، وربما كان يُعَدُّ نفسه للدخول في معركة ضد يهوذا.

يرى البعض أن ما حدث من بعشا كان بسماع من الله لتأديب آسا من أجل عدم توبته، لأنه لم ينزع المرتفعات من مدن إسرائيل التي خضعت له (١٥ : ١٧)^٢.

¹ On Humility.

² The Wiersbe Bible Commentary, p. 653.

وَأَخْرَجَ آسَا فِضَّةً وَذَهَبًا مِنْ خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيَّتَ الْمَلِكُ،

وَأَرْسَلَ إِلَى بَنَهَدَدَ مَلِكِ أَرَامِ السَّاكِنِ فِي دِمَشْقَ قَائِلًا: [٢]

يظهر مدى انحدار ما وصل إليه آسا أنه إذ صعد على يهوذا بعشا ملك إسرائيل لم يستشر الله، كما سبق وتصرّف عندما هاجمه زارح الكوشي، إنما في خوفٍ واضطرابٍ وعدم رجوع إلى الرب أخرج فضة وذهبًا من خزائن الهيكل والقصر الملكي، وأعطاهما لبnehدد ملك سوريا (أرام) لينقض عهده مع بني إسرائيل. أراد أن يُحرّك السياسات الدولية بالمال، عوض أن يثق في الله ضابط الكل، أراد أن يُحطّم هذا التحالف بطرقٍ بشرية.

آسا الذي اتكل على الله عندما هاجمه زارح الكوشي، الآن يضطرب من بعشا ملك إسرائيل. لم يلجأ إلى الله، بل إلى ملك أرام طالبًا معونته ضد إسرائيل. نجحت خطته البشرية إلى حين، فحين استلم بنهدد الفضة والذهب التي أحضرها له آسا من بيت الرب كجزية، كسر بنهدد تحالفه مع بعشا، ووجدها فرصة لكي يضرب مدن أفرام.

لم يكن قلب آسا مُخلصًا لله ومستقيمًا، إنما كان صاحب قلب منقسم إلى يومٍ للرب ويومٍ للاتكال على البشر.

لقد دخل آسا في سلسلة من الخطايا كل خطية تدفعه إلى خطايا أخرى:

١. لم يأتِ هذا الخطأ فجأة، إنما جاء ثمرة تهاونه، إذ كما رأينا استسلم للحلول الوسطى في تعامله مع المدن التي أخذها من إسرائيل، متكلًا على الحكمة البشرية، كي يكسبهم، إذ قيل: "أما المرتفعات، فلم تنزع من إسرائيل" (١٥: ١٧).

٢. اتكّاه على الحكمة البشرية دفعه إلى عدم استشارة الله عندما هاجمه بعشا ملك إسرائيل كما سبق أن فعل عندما هاجمه زارح الكوشي في بداية حكمه.

٣. أخطأ بتحالفه مع بنهدد الملك الوثني، فلو تمثّل بأبيه الذي أقام عهدًا مع الله، لما افتخر بتحالف والده مع الأسرة المالكة في أرام [٣].

٤. لم يُراعِ كرامة إخوته شعب إسرائيل بوجهٍ ما وسلامهم، فكان يمكنه معالجة الموقف دون أن يتحالف مع ملكٍ وثنيٍّ ضد إخوته، فلا يفتح الباب لهذا الوثني أن يكون له موضع في إسرائيل، ويكون مصدر إزعاج ليهوذا في المستقبل.

٥. استخدم الرشوة، فقام بنهدد بكسر عهده مع بعشا ملك إسرائيل. وهذا أمر ليس فيه كرامة ووقارٍ بين الملوك، أن يُنقض التحالف بسبب إغراءٍ مادي.

٦. مما زاد من بشاعة الخطية، أن آسا أخذ ذهب وفضة بيت الرب، وأغرى بنهدد الوثني. لقد نهب خزائن الهيكل من أجل خدمة سياسية عالمية. كان الأفضل أن يُقدّم صلوات وابتهاالات للرب في بيته، فيدخل في صداقة مع الله لا تكلفه ما دفعه لبنهدد.

٧. آسا مسئول أمام الله من أجل الدم الذي سفكه بنهدد في إسرائيل، وأيضًا الغنائم التي سلبها [١٤].

إِنَّ بَيْتِي وَبَيْنِكَ وَبَيْنَ أَبِي وَأَبِيكَ عَهْدًا.

هُوَذَا قَدْ أَرْسَلْتُ لَكَ فِضَّةً وَذَهَبًا،

فَتَعَالَ أَنْقِضْ عَهْدَكَ مَعَ بَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،

فَيَصْغَدَ عَنِّي. [٣]

فَسَمِعَ بَنَهَدَدُ لِلْمَلِكِ آسَا،

وَأَرْسَلَ رُؤَسَاءَ الْجِيُوشِ الَّتِي لَهُ عَلَى مُدُنِ إِسْرَائِيلَ،

فَضَرَبُوا عُيُونَ وَدَانَ وَأَبَلَ الْمِيَاهِ وَجَمِيعَ مَخَازِنِ مُدُنِ نَفْتَالِي. [٤]

فَلَمَّا سَمِعَ بَعْشَا كَفَّ عَنِ بِنَاءِ الرَّامَةِ، وَتَرَكَ عَمَلَهُ. [٥]

فَأَخَذَ آسَا الْمَلِكُ كُلَّ يَهُودَا،

فَحَمَلُوا حِجَارَةَ الرَّامَةِ،

وَأَخْشَابَهَا الَّتِي بَنَى بِهَا بَعْشَا وَبَنَى بِهَا جَبَعَ وَالْمِصْفَاةَ. [٦]

توقّف بعشا عن بناء الرامة، فاستخدم آسا الحجارة لبناء حصون ضد إسرائيل، في جبع على بُعد ميلين ونصف من شرق الرامة، والمصفاة على بُعد نفس المسافة من شمال الرامة. فصار في مأمن من إسرائيل.

٢. توبيخ الله له بواسطة نبي

وَفِي ذَلِكَ الزَّمَانِ جَاءَ حَنَانِي الرَّائِي إِلَى آسَا مَلِكِ يَهُودَا، وَقَالَ لَهُ:

مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ اسْتَنْدْتَ عَلَى مَلِكِ أَرَامَ،

وَلَمْ تَسْتَنْدِ عَلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ،

لِذَلِكَ قَدْ نَجَا جَيْشُ مَلِكِ أَرَامَ مِنْ يَدِكَ. [٧]

حسب آسا أن خطته قد نجحت تمامًا، وأنه تصرف بحكمة. فمن جانب توقّف بعشا عن بنائه

الرامة. ومن جانب آخر توسّعت تخوم يهوذا، وصارت في حَصَانة من إسرائيل. ولعل الكثير من الشعب والقادة مدح آسا على حكمته وحُسْن تدبيره للأمور، لكن الله لم يُسرّ منه. أرسل إليه حناني الرائي ليُرَدّه إليه بالتوبة.

حناني الرائي: هو أب ياهو، وهو نبي آخر نقرأ عنه في ١ مل ١٦: ١؛ ٢ أي ١٩: ٢؛ وقد لاحظنا أخطاء كثيرة في تحالف آسا مع بنهدد، لكن ما كشفه النبي أن أعظم أخطائه التي أذنب فيها كان اعتماده على ملك آرام، وليس على الرب إلهه.

لعل آسا ظن أن الله لا يقدر أن يهبه النصر، أو لا يريد له النصر، فلجأ إلى الذراع البشري. لقد فَعَدَ آسا ثقته في الله، مُعْطِياً القدرة لخلاصه في يد بنهدد لا الله، ولهذا أخبر النبي الملك بوضوح أنه في تصرّفه هذا غباوة وحماقة [٩]. لقد اتَّكأ على قصبَةٍ مرضوضَةٍ، عَوَّض الاتِّكَال على صخر الدهور.

اتَّكَل آسا على بنهدد ملك آرام، فنجأ جيش الأخير من يد آسا، لأن الرب رفع يده عن آسا، ولم يكن مصير بنهدد وجيشه كمصير الكوشيين. لو أن آسا صرخ إلى الله كما فعل سابقاً، لدخل ملك آرام في حرب ضد آسا بكونه متحالفًا مع بعشا ملك إسرائيل، وبالتالي سقط ملك آرام تحت يد آسا مع بعشا!

على خلاف جده الذي تواضع أمام الكلمة النبويّة (١٢: ٦)، مَدَّ آسا يده على النبي بالسوء، وكان أول ملك ليهوذا يمارس هذا الخطأ. وقام الرب بتأديب آسا على عدم ثقته فيه واضطهاده نبي الله.

**أَلَمْ يَكُنِ الْكُوشِيُّونَ وَاللُّوبِيُّونَ جَيْشًا كَثِيرًا بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا؟
فَمِنْ أَجْلِ أَنَّكَ اسْتَنْدْتَ عَلَى الرَّبِّ دَفَعَهُمْ لِيَدِكَ. [٨]**

لقد أوضح النبي للملك أنه كان يليق به أكثر من غيره أن يثق في الله، لأن له خبرة سابقة في معركته مع الكوشيين، كيف أنقذه الله بالرغم من كثرة عدد الكوشيين وإمكاناتهم العسكرية (١٤: ٩-١٥).

يليق بنا في ضيقاتنا أن نتذكّر معاملات الله معنا ومع آبائنا في مثل هذه الظروف المتكررة؛ وأن ربنا هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد، فلماذا لا نتكل عليه؟

**لَأَنَّ عَيْنِي الرَّبِّ تَجُولَانِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ،
لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ،
فَقَدْ حَمَقَتْ فِي هَذَا،**

حَتَّى إِنَّهُ مِنَ الْآنَ تَكُونُ عَلَيْكَ حُرُوبٌ. [٩]

في حماقته فَقَدْ آسَا سلامه مع الله، فسمع الصوت النبوي: "من الآن تكون عليك حروب". كثيرًا ما يخطئ الإنسان باعتماده على ذراع بشر لإنقاذه من ضيقته، فيحصد قلقًا دائمًا، ويصير كأن الرب نفسه ضده، يدخل في حروبٍ لا تنقطع!

كان آسا يعرف تمامًا أن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه، وهذا معناه:

أ. أن الله ضابط المسكونة كلها، رحمته بلا حدود، فكيف نتق في المخلوقات دون الخالق؟ عينا الرب تجولان في كل الأرض، ولا يُخفى شيء عنهما، ولا يفلت منه أمر كضابط الكل. رأى القديس يوحنا المُخَلَّص الذي ينظر إلى الأرض كلها، فقال: "رأيت فإذا في وسط العرش والمخلوقات الحيَّة الأربعة في وسط القسوس خروف قائم كأنه مذبح، له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المُرسلة إلى كل الأرض" (رؤ ٥: ٦).

ب. أن الله يرعى شعبه متى كانت قلوبهم كاملة نحوه، تتكى عليه وتثق فيه. وهو يُدبِّر كل الأمور لخلصهم، وذلك من قِبَل حُبِّه العجيب للمؤمنين به والمُخلصين في علاقتهم به (إش ٤٥: ٤؛ أف ١: ٢٢).

ج. مَنْ كانت قلوبهم مستقيمة أمام الله، لهم ثقة في حمايته لهم. فعدم الثقة فيه يكشف عن بُعدنا عن الله وبأسنا في تعاملنا معه، واتكأنا على ذراع البشر.

❖ هل يدهش أحد لأن عقل الله الإلهي يمتد إلى كل أجزاء المسكونة، يجري هنا وهناك، ويُدبِّر كل الأشياء، ويحكم كل الأمور، بكونه حاضرًا في كل موضع، منتشرًا في كل مكان، إن كان للذهن البشري القوة والقدرة، بالرغم من كونه محصورًا في جسدٍ مائت، حتى أنه لا يمكن إعاقته بحواجز الجسد الثقيل والبطيء الحركة الذي يربطه، عن أن يمنح نفسه في عدم صبره على الراحة، قوة الجولان بلا عائق؟^١

لاكتانتْيوس

٣. استياء آسا من النبي

^١ Lactantius: On the Workmanship of God, or the Formation of Man, 16.

فَغَضِبَ آسَا عَلَى الرَّائِي،

وَوَضَعَهُ فِي السَّجْنِ،

لَأَنَّهُ اغْتَاظَ مِنْهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا،

وَضَائِقَ آسَا بَعْضًا مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. [١٠]

لم يعد قلب آسا كاملاً أمام الله كما أعلن حناني النبي (٧-١٠). مع خبراته كل هذا الزمان وسلوكه في طريق الكمال، تهاون آسا بتركه المرتفعات في البلاد التي خضعت له، حاسباً أنه يكفي أن يرجعوا إلى الرب.

هذا التهاون دفعه إلى تهاون أخطر، فقد سلّم ذهب بيت الرب وفضته لملك سوريا ليحطّم إسرائيل، وعندما جاء حناني يُحذّره من هذا الانحراف، وضعه في السجن.

صار آسا عدواً لكلمة الله في شخص من حملها (حناني النبي). وإذ حزن بعض من الشعب على تصرف آسا مع حناني النبي ضايقهم الملك.

٤. مرض آسا وموته

لم يحتمل آسا توبيخ الله له على لسان نبيّه، مع إدراكه أن ما قاله النبي صادر من الله نفسه، وأنه توبيخ عادل، غايته أن يرجع إلى الله، ويندم على خطئه. لكنه في كبرياء قلبه عوض التوبة، أضاف إلى خطئه شراً أعظم، وهو عناده لإنسان الله، ورفضه مشورته الحكيمة. لم يحتمل الملك معارضة تصرفاته، فسقط في الغضب ليقف ليس ضد النبي، بل في وجه الله نفسه.

لم يقف غضبه عند الانفعال، وإنما تحوّل إلى رغبة في الانتقام، فسجن النبي كفاعل شرٍ. "ضايق آسا بعضاً من الشعب في ذلك الوقت"، ربما لأنهم حاولوا التقاهم مع الملك لإخراج النبي من السجن، أو قاموا بخدمة النبي في السجن. تحوّل الملك من خادمٍ لشعبه إلى طاغيةٍ عنيدٍ في رأيه.

وَأُمُورُ آسَا الْأُولَى وَالْآخِرَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ الْمُلُوكِ لِيَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ. [١١]

وَمَرَضَ آسَا فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ مُلْكِهِ فِي رَجُلِيهِ،

حَتَّى اسْتَدَّ مَرَضُهُ،

وَفِي مَرَضِهِ أَيْضًا لَمْ يَطْلُبِ الرَّبَّ، بَلِ الْأَطِبَّاءَ. [١٢]

إن كان الله قد سمح بمرض آسا، لأنه لم يسمع لحناني الرائي، فكان يلزمه أن يرجع بالتوبة إلى

الله، فيشفيه. "هلم نرجع إلى الرب، لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا" (هو ٦: ١). لكنه عوض الرجوع إلى الرب طبيب النفوس والأجساد طلب الأطباء [١٢].

من أجل أمانته كل هذا الزمان سمح الله له بالتأديب، فحلّ به مرض لمدة سنتين في رجله، واشتد المرض به جدًّا، ومع هذا لم يرجع آسا عن شره.

قام الرب بتأديبه، فإذ سجن الرائي، قيد الرب حركته بالسماح له بالمرض في رجله ليشعر بضعفه وعجزه عن الحركة. لم يُقَيِّده بسلاسل وقيود منظورة، وإنما بالمرض.

لقد فقد شركته مع الله، ورفض الوصية الإلهية، وغضب على رجل الله والمؤمنين الحقيقيين، وفي مرضه لم يرجع إلى الله بالتوبة.

يبدو أن رائحة الفساد التي فاحت من رجله كانت شديدة جدًّا، بالرغم من أنهم أضجعوه في سرير كان مملوءًا أطيابًا عطرة، غير أن هذه الأطياب لم تنزع رائحته الفاسدة أمام الرب.

أصيبَ الملك بمرض في رجله، فتألم جدًّا، غالبًا من نوع خطير من النقرس. فكما وضع النبي في مقطرة في السجن، وضعت خطاياها في مقطرة المرض الشديد لكي لا يتحرّك من سريره، لعله يتعرّف على خطيئته، ويرجع إلى الرب. لكنه في عنادٍ مرّ "لم يطلب الرب، بل الأطباء" الوثنيين الذين كانوا يستخدمون السحر. كان يمكنه أن يطلب الأطباء لكن يطلب الرب أولاً، فيهبه الرب الشفاء خلال الأطباء والأدوية. فهو الذي خلق الأعشاب للعلاج، وهو الذي يعطي الفهم والمعرفة لخدمة البشرية خلال تخصصاتهم، لكن ليس في عنادٍ مع الله، وتجاهلٍ لعمل نعمته والاتكال عليه.

لعل الأطباء الذين لجأ إليهم كانوا غرباء عن شعبه، يستخدمون السحر والشعوذة، لا العلم والمعرفة.

كتب يشوع بن سيراخ الذي يُقال عنه إنه كان طبيبًا، فصلًا رائعًا عن "الطب والأطباء"، جاء فيه:

"أعطِ للطبيب كرامته اللاتئة به، حسب احتياجك له، فإن الرب خلقه.

فإن الشفاء من عند العلي، ومن المَلِك ينال الطبيب العطايا.

مهارة الطبيب ترفع رأسه، فيُعجَب به في حضرة العظام.

أخرج الرب الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يستخف بها.

أليس بعوْدٍ صار الماء عذبًا (خر ١٥: ٢٥)، حتى عُرِفَت قوته؟

وهو الذي أعطى الناس المهارة ليتمجّد في عجائبه.

بالأدوية يشفي، ويزيل الأوجاع، ومنها يصنع الصيدلي أمزجة.

وأعماله لا نهاية لها، وعن يده يحلُّ السلام على وجه الأرض.
يا بني، إذا مرضتَ فلا تتهاون، بل صلِّ إلى الرب، فهو يشفيك.
اقلع عن أخطائك، واجعل يديك مستقيمتين، وطَهِّرْ قلبك من كل خطيئة.
قَرَّبْ ذبيحة ذات رائحة مرضية، وتذكّر قربان الخبز الفاخر، واسكب دهنًا على تقدمتك، بحسب ما في يدك.

ثم اجعل الطبيب في مكانته، فإن الرب خلقه هو أيضًا، ولا يفارقك، فإنك تحتاج إليه.
في بعض الأحيان تكون العافية في أيادي الأطباء.
فهم أيضًا يُصلُّون إلى الرب أن ينجح عملهم على الراحة والشفاء من أجل إنقاذ الحياة.
من يخطئ أمام صانعه، قد يقع في يدي طبيب" (سي ٣٨: ١-١٥).

❖ اطلب الرب، لا تكن مثل آسا ملك يهوذا الذي بعدما تقبَّل بركات من الله سقط، حتى إذ أصيب بشللٍ في قدميه، لم يرد أن يسأل الله بالرغم من وجود نبي^١.

الأب أمبروسياستر

❖ كل فنٍ هو هبة الله لنا، ليس نقص ما تفنقر إليه الطبيعة... بعد أن قيل لنا إننا إلى التراب الذي جننا منه نعود، لحقنا بجسمٍ مُلتحفٍ بالألم ومصيره الموت، ويُعرَّض للمرض بسبب الخطية، وأعطى لنا علمَ الطب حتى يشفينا من المرض ولو بقدرٍ ضئيل^٢.

القديس باسيلوس الكبير

❖ أعطى الله الأرض وعقاقيرها من أجل شفاء الجسد، مُصدرًا أمرًا بأن يُعالج الجسد الذي من التراب بأشياء مأخوذة من التراب (الأعشاب)... بعدما سقط الإنسان من الفردوس، جاء تَوًا تحت تأثير أمراض الجسد واضطرابات... لذلك وهب الله العالم الدواء لأجل راحته، للشفاء ورعاية الجسد، وسمح للذين لا يستطيعون أن يستودعوا أنفسهم بالكامل بين يدي الله أن يستخدموه^٣.

القديس مقاريوس الكبير

❖ فن الطب ليس عائقًا عن التقوى، لكن يجب أن تمارسه بخوف الرب^٤.

¹ Comm. on Paul's Epistles (Rom 3:11) .

² The long Rules.

³ Sermon 48.

⁴ Philokalia.

الأب برصنوفايوس

ثُمَّ اضْطَجَعَ آسَا مَعَ آبَائِهِ،
وَمَاتَ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالْأَرْبَعِينَ لِمُلْكِهِ [١٣]
فَدَفَنُوهُ فِي قُبُورِهِ الَّتِي حَفَرَهَا لِنَفْسِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَأَضْجَعُوهُ فِي سَرِيرٍ كَانَ مَمْلُوءًا أَطْيَابًا وَأَصْنَافًا عِطْرَةً حَسَبَ صِنَاعَةِ الْعِطَارَةِ.
وَأَحْرَقُوا لَهُ حَرِيقَةً عَظِيمَةً جَدًّا. [١٤]

يرى البعض أن آسا في مقاومته لله، أعدَّ لنفسه قبره وتدبير موكب جنازته المهيب، وذلك في زهوه وغروره. لقد حفر القبر لنفسه.

وربما تذكر الشعب ما قام به الملك من أعمال تقوية لسنين طويلة. اهتموا بجنازته، فمارسوها بوقارٍ شديدٍ، وأحرقوا له حريقة عظيمة جدًا بالأطياب، تعبيرًا عن احترامهم له، وحسبوا ما فعله مؤخرًا هفوات وضعفات.

هَبْ لِي قَلْبًا مُسْتَقِيمًا وَإِرَادَةً مُقَدَّسَةً!
فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ وَأَنْتَصِرُ بِكَ!

- ❖ اهتَزَّ قلب رجل الإصلاح آسا ملك يهوذا.
في أواخر أيامه انقسم قلبه، وفقد استقامته.
ظن أنه قادر أن يعطي ساعة لزيَّه وساعة للعالم.
فسدت إرادته المقدسة، وفقد قدسية عقله.
انهار في سلسلة من الخطايا،
فصار ألعبوبة في أيديها.
- ❖ دَخَلَ الكبرياء، فظن في نفسه حكيمًا.
لم يُعَدِّ يستشير الله ولا يَتَّكِلُ عليه.
تهاون في تقديس المدن التي استولى عليها،
حتى يكسب سكانها،
فخسر مساندة الله له.
سمح له الله بقيام ملك إسرائيل ضده،
لكي يرجع إليه بالتوبة،
ويسترد قُدسية إرادته وتفكيره.
لم يسمع لصوت التجربة التي حَلَّتْ به.
- ❖ نهب ذهب بيت الرب وفضته وفتح مخازن قصره،
ليغري أرام، فيتخَلَّى عن حليفه ملك إسرائيل.
نجح بأسلوبيه البشري المُجَرَّد من نعمة الله.
انهار أمامه ملك إسرائيل إلى حين.
ووسَّع آسا تخوم يهوذا وبنى حصونًا.
- ❖ أرسل إليه الرب حناني النبي يدعوه للتوبة.
ازداد تصلُّفًا، وسجن النبي وأهانته.

تحركَّ البعض من الشعب لنصحه، فغضب عليهم.
ظنَّ في نفسه القدرة والحكمة والتدبير الحسن.
ليس من يقدر أن يقف أمامه أو يراجعه.

❖ سمح الله له بتجربة المرض.

اشتدَّ به المرض، فصار مُقيَّدًا به على سريره.

عوض الرجوع إلى الله بالتوبة.

التجأ إلى السحرة يطلب منهم الشفاء.

شعر بفُربٍ انتقاله، فاهتم بحفر مقبرة له.

لم يرفع قلبه إلى الله يسأله المغفرة.

إنما نزل بفكره إلى الأرض، يُعدِّ لجثمانه مكانًا!

❖ هَبْ لي يا رب قلبًا مُخلصًا مستقيمًا كقلب داود.

يطلبك على الدوام ويعمل مرضاتك.

قَدَّسْ عقلي الذي وهبتي إِيَّاه،

فينشغل دومًا بك.

قَدَّسْ إرادتي، لتتناغم بنعمتك مع إرادتك.

قَدَّسني إلى التمام، فأَتَكَلْ عليك في كل أموري.

ارفع فكري إلى سماواتك،

فلا أحفر لجثماني قبرًا، يضم فيه رائحة الفساد.

الإصلاح الروحي في عصر يهوشافاط

أخبار الأيام الثاني ١٧-٢٠

يُسَجَّل لنا هذا القسم فترة النهضة أو الإصلاح الثانية، وقد كانت أعظم من إصلاحات آسا. "يهوشافاط" معناه "يهوه يدين" وهو أحد ملوك أخبار الأيام المُفضَّلِين. يُصَوِّرُه السفر كملكٍ غيرٍ على بَرِّ الله، يطلب طرقَه، ويحرص على ملاحظة وصاياه. لذلك كان ناجحًا ومُكرَّمًا في أعين الأمم. كان مهتمًا برعاية شعبه، وحريصًا على سلامهم وازدهارهم (١٧: ٢، ١٢-١٣).

يهوشافاط بن آسا كان آلة طيِّبة في يد الله للعمل في وسط شعبه، كان من أعظم المُصلِحِين في يهوذا مع حزقيا ويوشيا. أهم إصلاحاته السلبية والإيجابية:

١. نزع المرتفعات والسواري من يهوذا [٦].
٢. نشر التعليم في كل مدن يهوذا [٧-٩]، والتركيز على شريعة الرب [٩].
٣. اهتمامه بتحسين مدن يهوذا [١٢]، وتقوية الجيش [١٣].
٤. اهتمامه بالقضاء والعدالة في كل مدن يهوذا (١٩: ٥-٧).
٥. اهتمامه بالقضاء الخاص بالرب (١٩: ٨-١٠).

الأصحاح السابع عشر

حياة يهوشافاط ومُلكه

كل ما ورد هنا في هذا الأصحاح لم يرد في الأسفار الأخرى. كان شريكاً في الحُكْم في السنوات الثلاث الأخيرة من حياة أبيه آسا الذي اشتدَّ به المرض في رجليه. ولعلَّه في هذه السنوات أدرك خطأ أبيه الذي سجن النبي الذي وبَّخه على عدم ثقته في الرب. يهوشافاط أحد ثلاثة ملوك ليهودا مُتميزين، يمكن القول إنه أفضل ملك ليهودا منذ نياحة الملك داود، كان رجلاً صالحاً ابن رجلٍ صالحٍ، فقد جرت النعمة في دمه الملوكي في ذلك الحين. طوبى لأبٍ صالحٍ له ابن صالح، كما طوبى لابنٍ صالحٍ من أبٍ صالحٍ، أو قل طوبى لمملكة يتبوءُ عرشها ملكان حكيمان مثل آسا وابنه يهوشافاط!

١. تبوءُ يهوشافاط العرش وثباته ١-٢، ٥.
٢. تقوى يهوشافاط وحفظه للوصية ٣-٤، ٦.
٣. اهتمامه بالتعليم والعبادة لله ٧-٩.
٤. تأثيره على الممالك المجاورة ١٠-١١.
٥. قوته العسكرية ١٢-١٩.

١. تبوءُ يهوشافاط العرش وثباته
وَمَلِكُ يَهُوشَافَاطُ ابْنُهُ عِوْضًا عَنْهُ،
وَتَشَدَّدَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. [١]

ما أن تبوءَ يهوشافاط العرش، حتى بدأ في جدية يُشدِّد على عدم تسرُّب الفساد من إسرائيل إلى يهودا، كما اهتم بالجانب العسكري وتحصين المدن، وكانت يد الرب معه. أما سبب اهتمامه بهذا الجانب، فهو أن أخاب ملك إسرائيل كان ملك حروب، له ثلاث سنوات على العرش في الوقت الذي فيه كانت يهودا في حالة انحطاطٍ وضعفٍ في أواخر أيام آسا. ربما بدأت مملكة إسرائيل تُرعب يهودا، هذا ما دفع يهوشافاط أن يبدأ بتقوية الجيش. في نفس الوقت كان يهوشافاط حكيماً ومُتعمِّلاً غير مُحِبِّ لسفك الدم، خاصة لئني جنسه في مملكة الشمال. كما لم يلجأ مثل أبيه إلى التحالف مع أرام ضد إسرائيل.

حسن أنه حَصَّن نفسه حتى لا يعتدي عليه ملك إسرائيل؛ وسلك في بدء حُكْمِه في طريق أبيه الصالح، حسب فكر الله، فثَبَّتَ اللهُ المملَكة في يده، وقَدَّمَ له كل يهوذا هدايا. أسرع أَخَاب إلى التودد والتحاليف معه. ويسبب فساد أَخَاب وانحرافه عن الإيمان بالله الحي صار كصديق له أخطر من الأعداء من الأمم.

وَجَعَلَ جَيْشًا فِي جَمِيعِ مَدُن يَهُودَا الْحَصِينَةِ،
وَجَعَلَ وُكَلَاءَ فِي أَرْضِ يَهُودَا وَفِي مَدُنِ أَفْرَايِمَ الَّتِي أَخَذَهَا آسَا أَبُوهُ. [٢]

٢. تقوى يهوشافاط وحفظه للوصية

وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوشَافَاطَ،
لَأَنَّهُ سَارَ فِي طَرِيقِ دَاوُدَ أَبِيهِ الْأُولَى،
وَلَمْ يَطْلُبِ الْبُعْلِيمَ [٣]

قيل عنه: "سار في طرق داود أبيه الأولى". نجد قلة حتى من ملوك يهوذا يُقَال عنهم هكذا (١ مل ١٥: ٣-١١؛ ٢ مل ١٤: ٣؛ ١٦: ٢؛ ١٨: ٣).

لقد صارت حياة داود مقياسًا لملوك يهوذا. أما قوله "الأولى"، فيُقصد بها قبل سقوط داود في أمر أوريا الحثي وزوجته بثشبع، وقد صار هذا السقوط وصمة عارٍ في تاريخه (١ مل ١٥: ٥). لم يُذكر في الترجمة السبعينية "داود"، إنما "طرق أبيه الأولى"، لذلك يرى البعض أنه يقصد آسا في بداية حُكْمِه، حين كان يسلك باستقامة في الرب. "ولم يطلب البعليم"، إذ كانت الأمم المجاورة له، لكل منها البعل الخاص بها؛ أما هو فلم تكن له أية صلّةٍ بعبادة البعل.

وَلَكِنَّهُ طَلَبَ إِلَهَ أَبِيهِ وَسَارَ فِي وَصَايَاهُ،
لَا حَسَبَ أَعْمَالِ إِسْرَائِيلَ. [٤]

امتاز يهوشافاط ليس فقط بتمسّكه بعبادة الله الحي، إله أبيه، وإنما سار أيضًا في وصاياه، وليس حسب إسرائيل الذي خلط بين عبادة الله والعبادة الوثنية، ولم يحفظ الوصية الإلهية. مع حفظه للصدّيقة مع إسرائيل، لم تكن له شركة معه في عبادته المُنحرِفة ورفضه للوصية الإلهية.

❖ سؤال: كيف يمكن أن نفعل كل شيء لمجد الله؟...

إن فعلنا كل شيء حسب الله ووصاياه، ولا نطلب مديح الناس^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ لا يكفي أن نقتني الوصايا فقط، لكننا نحتاج إلى حفظ مستقصى وبلغ لها.

❖ حيث إن المكافأة هنا أعظم والقوة الممنوحة بالروح أغزر، لذا يجب أن تكون فضائلنا أيضاً أعظم. فإنه لم يعدنا هنا بأرض تفيض لبناً وعسلاً، ولا براحة طول العمر، ولا كثرة الأطفال، ولا (ببركة) الحنطة والخمر والغنم والقطعان، إنما صارت لنا السماء والسماويات والتبني والأخوة للابن الوحيد وشركة الميراث معه، وأن نتمجّد معه ونملك معه، وغير ذلك من الجزاءات غير المحصية. أما بخصوص تَمَتُّعنا بعونٍ أعظم، فاسمع ما يقوله بولس: "إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ١-٢)^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَتَبَّتِ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ فِي يَدِهِ،

وَقَدَّمَ كُلَّ يَهُودًا هَدَايَا لِيَهُوشَافَاطَ.

وَكَانَ لَهُ غِنَى وَكَرَامَةٌ بِكثْرَةٍ. [٥]

إذ كان يهوشافاط يطلب مجد الله وبرّه، وهبه الله مع التقوى الغنى والكرامة. يقول السيد المسيح: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تزداد لكم" (مت ٦: ٣٣؛ لو ١٢: ٣١).

❖ ملكوت الله وبرّه هو الخبز الذي نسعى إليه، والذي نقصده من كل أعمالنا. ولكننا إذ نخدم في هذه الحياة كجنودٍ راغبين في ملكوت السماوات، نحتاج إلى الضروريات اللازمة للحياة، لذلك قال الرب: "هذه كلها تزداد لكم"، "ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه". فبقوله كلمة "أولاً"، أشار إلى طلبنا هذه الأشياء، ولكننا لا نطلبها أولاً، لا من جهة الزمن بل حسب الأهمية، فملكوت الله نطلبه كخير نسعى نحوه، أمّا الضروريات فنطلبها كضرورة نحتاج إليها لتحقيق الخير الذي نسعى نحوه^٣.

القديس أغسطينوس

^١ Reg. Brev., 195.

^٢ In Matt. hom 16:6.

^٣ Sermon on Mount, 5:53.

وَتَقْوَى قَلْبُهُ فِي طَرُقِ الرَّبِّ،

وَنَزَعَ أَيْضًا الْمُرْتَفَعَاتِ وَالسَّوَارِيَ مِنْ يَهُودَا. [٦]

"تقوى قلبه في طرق الرب"، بمعنى أنه سرّ قلبه أن يسلك في طرق الحق الإلهي، أو رفع قلبه بكل إخلاص إلى الله، فصار سلوكه متناغمًا مع عبادته لله. وكما يقول المرثل: "إليك رفعت نفسي" (مز ١١٩: ٣٢). رفع القلب يشير إلى فرحه وتهليل قلبه بالله وعبادته وخدمته بكل غيرّة ونشاط. لقد تشبّه ببيعقوب الذي لما رأى السلم النازل من السماء انطلق بكل قوة ونشاط، إذ قيل: "ثم رفع يعقوب رجليه، وذهب إلى أرض بني المشرق" (تك ٢٩: ١).

ارتفع قلبه في طرق الرب، فلا تستطيع فحاح العدو أن تمسك به، ولا للصعوبات أن تعوقه عن العمل، وكما قال الحكيم: "من يرصد الريح لا يزرع، ومن يراقب السحب لا يحصد" (جا ١١: ٤). سلك يهوشافاط بروح التحديّ لإبليس وقواته ومكائده وخططه، لأنه اتكل على الرب إلهه الذي يرفع قلبه عن التراب، ويهبه روح القوة.

من الجانب الإيجابي، رفع قلبه في طرق الرب وتقوى؛ ومن الجانب السلبي "نزع أيضًا المرتفعات والسواري من يهوذا" [٦]. قيل عنها: "ماذا نفع التمثال المنحوت حتى نحته صانعه، أو المسبوك ومُعَلَّم الكذب حتى أن الصانع صنعة، يتكل عليها فيصنع أوثانًا بكما" (حب ٢: ١٨).

بنزعه كل أثر للعبادة الوثنية أعطى الفرصة لرؤسائه أن يُعلّموا في مدن يهوذا، ومعهم اللاويون [٧-٨]. لقد حطّم مصدر الغواية والكذب لِيُهَيِّئ الطريق لقبول التعليم الحق.

وكأن يهوشافاط في حكمه ابتدأ بتقوية الجيش وتحصين المدن، ثم رفع قلبه للعمل بغير إحباط، وإزالة مُعَلِّمي الكذب (العبادة الوثنية)، ثم إرسال مُعَلِّمي الحق، حتى يستنير الكل، ويقبل النور الإلهي. لكن للأسف ارتدّ الشعب إلى تلك الممارسات الوثنية، لم تمس هذه الإصلاحات قلب الشعب وضميره.

لهذا كثيرًا ما نسمع عن نزع المرتفعات والسواري، ويعود الشعب إلى إقامتها وممارسة الرجاسات الوثنية.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن بعض الملوك المُصْلِحِينَ كانوا يقومون بالإصلاح الجزئي فقط ومؤقتًا.

٣. اهتمامه بالتعليم والعبادة لله

يذكر السفر هنا أنه اهتم بالجيش، لا في أورشليم وحدها، بل في جميع مدن يهوذا الحصينة. غير

أننا من بين السطور نرى حكمة يهوشافاط، ففضى الثلاث سنوات الأولى أو أقل قليلاً يُعَدُّ جيشاً آخر وهو تدريب اللاويين وغيرهم وتشجيعهم على التعليم. فما كان يمكنه أن يرسل الرؤساء واللاويين أن "يعلموا في مدن يهوذا" [٧-٩] دون إعداد قادة مدنيين وروحانيين.

اهتم يهوشافاط بالتعليم حتى يتعامل مع شعبه، لا خلال الطاعة العمياء التي بلا فهم، بل خلال المعرفة الصادقة. لم يُقْبَلْ أن يقودهم وهم معصوبو العينين، فيعوقون التقدّم والإصلاح، إنما كخليفة عاقلة، تتعرّف على الحق، وتزداد في المعرفة والحكمة.

لقد أَعَدَّ السيد المسيح اثني عشر تلميذاً وسبعين رسولاً للخدمة والشهادة لإنجيل الحق. هكذا يليق بالكنيسة أن تقتدي بعريسها، وتبث روح التعليم والمعرفة الصادقة تحت قيادة روحه القدس.

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِمُلْكِهِ، أَرْسَلَ إِلَى رُؤَسَائِهِ،
إِلَى بَنَحَائِلَ وَعُوبَدِيَا وَزَكَرِيَّا وَتَنْشِيلَ وَمِيخَايَا،
أَنْ يُعَلِّمُوا فِي مَدُنِ يَهُودَا [٧]

أراد يهوشافاط الملك أن يشترك الرؤساء المدنيون مع اللاويين، حتى يدرك الشعب أن قوانين الدولة تتجاوز مع الوصية الإلهية.

يُعلِّق المؤرخ يوسيفوس: [الآن في السنة الثالثة لملكه، دعا حُكَّامَ البلد والكهنة، وأمرهم أن يجولوا في الأرض، ويُعلِّموا الشعب الذين تحت سلطانه، مدينة مدينة، شريعة موسى، وأن يحفظوها، وأن يجاهدوا في العبادة لله. لهذا سُرَّتِ الجموع جداً. بهذا لم يعد يشغلهم شيء ويغاروا على شيء مثل حفظ الشريعة^١].

❖ إنني مؤتمن على الكرازة بالرب يسوع... ويليق بي ألا أزيد أو أنقص الأمانة. وإذ هي "بحسب أمر الله مخلصنا" (تي ١: ٣)، ليس في سلطاني أن أهرب منها، إن الأمر ليس متروكاً لاختيارنا، فإما تنفيذه أو العقاب. وهذا واضح من قوله: "الضرورة موضوعة عليّ، فويل لي إن كنت لا أبشّر". (١ كو ٩: ١٦).

إنني بصراحة أقول في وضوح في مشهد من الجميع إن من يؤتمن على قيادة الكنيسة وينال شرف الأسقفية يُدان إن لم يصارح الناس بما ينبغي عليهم أن يفعلوا. أما الرجل العلماني فليس تحت هذا الإلزام.

¹ Antiq. 8:15:2.

❖ تأملوا كيف نَبَتَ المسيح كلماته بأعماله. هكذا يقول: "تَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩). عَلَّمَ البشر أن يكونوا فقراء، وقد أوضح ذلك بأعماله، فإن "ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه" (مت ٨ : ٢٠). مرة أخرى أوصى البشر أن يُجِبُوا أعداءهم، وقد عَلَّمَ ذات الدرس على الصليب حين طلب من أجل صالبيه.

لقد قال: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً" (مت ٥ : ٤٠). الآن لم يُعْطِ فقط الثياب بل قَدَّمَ دمه. بهذه الطريقة أمر الآخرين أن يُعَلِّمُوا. لذلك يقول بولس أيضا: "كونوا متمثلين بي" (في ٣ : ١٧). فليس شيء أكثر تفاهة من أن يُظْهِرَ مُعَلِّمٌ فلسفته بالكلمات؛ فإن هذا ليس من عمل المُعَلِّم بل المرائي. لذلك عَلَّمَ الرسل أولاً بسلوكهم وبعد ذلك بكلماتهم، بل بالأحرى لم يكونوا في حاجة إلى كلمات عندما نطقت كلماتهم بصوت عالٍ. فليس من الخطأ أن نتحدَّث عن آلام المسيح كعمل، فإنه بآلامه، بهذا كله، تَمَّ عملاً عظيماً وعجيباً، بل دَمَّر الموت، وقَدَّمَ لنا أموراً كثيرة فعلها من أجلنا^١.

❖ يُمَكِّننا المسيح من أن نكون أشبه بسرج، إذ نكون مُعَلِّمين للآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَمَعَهُمُ اللَّاَوِيُّونَ سَمَعِيًّا وَتَنْثِيًّا وَزَيْدِيًّا وَعَسَائِيلُ وَشَمِيرَامُوثُ وَيَهُونَاثَانُ
وَأُدُونِيًّا وَطُوبِيًّا وَطُوبُ أَدُونِيَّا اللَّاَوِيُّونَ،
وَمَعَهُمُ أَلِيْشَمْعُ وَيَهُورَامُ الْكَاهِنَانِ. [٨]

لكي يكون التعليم متكاملًا استخدم يهوشافاط ثلاث فئات:

١. الكهنة لتعليم الشريعة الإلهية والوصية.
٢. اللاويين لتعليم الطقوس والفرائض والتسابيح.
٣. الرؤساء لتعليم القانون المدني وقوانين الدولة، كما يقومون بمعاينة المستهترين.

فَعَلَّمُوا فِي يَهُودَا، وَمَعَهُمْ سِفْرُ شَرِيْعَةِ الرَّبِّ،
وَجَالُوا فِي جَمِيعِ مُدُنِ يَهُودَا، وَعَلَّمُوا الشَّعْبَ. [٩]

لم يقف يهوشافاط عند نقطة انفصاله عن الشر، إنما كان في قلبه يود أن يقيم ما هو صالح، وهذا لن يتحقق في حياة الشعب بدون تعليم كلمة الله والناموس في كل مكان.

¹ Hom. On Acts, Homily 1.

كان التعليم يحتلُّ مركز الصدارة في حياة الكهنة واللاويين، فالعبادة والتقدمات يلزم أن تصدر عن فهمٍ وإدراكٍ ومعرفَةٍ. غالبًا ما كان الكل قد أهمل التعليم في فترات الضعف الروحي. كما أن موسى الذي يُمثِّل التعليم وهرون الذي يُمثِّل العبادة يعملان معًا، هكذا يليق عدم الفصل بينهما في كل الأجيال.

كان معهم "شريعة الرب" حتى لا يُعلِّموا حسب وصايا الناس. انتشر المُعلِّمون في كل مدن يهوذا وفُراها، مؤكدين أن كلمة الله هي طريق الإصلاح الحقيقي والنهضة.

لم يستمد اللاويون سلطانهم في التعليم من انتداب الملك لهم، وإنما من "سفر شريعة الرب" [٩]. ولعل هذا السفر هو الذي اكتُشف في الهيكل في أيام الملك يوشيا. في فترة العودة من السبي، اهتم عزرا بالتعليم حسب شريعة الرب (نح ٨). لم يقف التعليم عند طقوس ممارسة العبادة والتسبيح، وإنما أيضًا حفظ الشريعة. في القرن الثاني الميلادي نرى مدى اهتمام الكنيسة برتبة الشماسية للقيام بنفس دور اللاويين، وهو التعليم^١.

❖ بعبارات صغيرة يزرع (الكتاب) الحكمة الإلهية في كل من يكون مهتمًا، وفي دفعات كثيرة عبارة واحدة تُقدِّم للذين يقبلونها يمكن أن تكون مصدرًا لمؤونة رحلة الحياة كلها^٢.

❖ من المفيد جدًا قراءة الكتاب المقدس، فإنها تجعل النفس حكيمة، وتُوجِّه الروح نحو السماء، وتُحرِّك الإنسان نحو الشكر، وتهلك الرغبة في الأمور الأرضية، وتدع أذهاننا تتمتع باستمرار في العالم الآخر^٣.

❖ أُعطي الكتاب المقدس بهذا الهدف أن يكون إنسان الله كاملاً به، بدونه لن يمكن أن يكون كاملاً. يقول (الرسول): لديك الكتب المقدسة عوضًا عني. إن أردت أن تتعلَّم شيئًا فتعلَّمه منها. هذا كتبه لتيموثاوس المملوء من الروح، فكم بالأكثر يكون بالنسبة لنا!^٤

❖ بذرة الإنجيل هي أصغر البذور، لأن التلاميذ كانوا أكثر حياءً من غيرهم، لكنهم يحملون فيهم قوَّة

¹ Cf. Clement of Rome: Corinthians 32:2; 40:5.

² Concerning the Statues, homily 1: 3.

³ د. عدنان طرابلسي: شرح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم، ١٩٩٦، ص ٥.

⁴ In 2 Tim. hom 9.

عظيمة، فانتشرت كرازتهم في العالم كله^١.

❖ كلمة واحدة من الكتب الإلهية هي أكثر فاعلية من النار! إنها تلين قسوة النفس، وتُهيئها لكل عمل صالح^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤. تأثيره على الممالك المجاورة

وَكَاثَتْ هَيْبَةُ الرَّبِّ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ الْأَرْضِ الَّتِي حَوْلَ يَهُودَا،
فَلَمْ يُحَارِبُوا يَهُوشَافَاطَ. [١٠]

نتيجة للالتصاق بالله وحفظ كلمته المقدسة أعطى الله الملك وكل دولته مهابة "هيبته الرب" أمام الأمم المجاورة، وحلّ الرخاء في البلاد. كلما وهبه الرب كرامة وخيرات ارتفع بالأكثر قلبه نحو طرق الرب.

من يخشى الرب ويهابه، يهبه مهابة في أعين الناس.

وَيَعِضُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَنْتَوُا يَهُوشَافَاطَ بِهَدَايَا وَجَمَلِ فِضَّةٍ،
وَالْعَرَبَانَ أَيْضًا أَنْتَوُهُ بَعْنَمٍ مِنَ الْكِبَاشِ سَبْعَةَ آلَافٍ وَسَبْعُ مِئَةٍ،
وَمِنَ التِّيُوسِ سَبْعَةَ آلَافٍ وَسَبْعُ مِئَةٍ. [١١]

صار الفلستينيون الذين كانوا أعداء لليهود في أيام داود في مودة، وأرسلوا هدايا وفضة إجلالاً ليهوشافاط ولكسب صداقته. لقد وعد الله أنه يجعل أعداءنا يسالموننا (أم ١٦: ٧).

٥. قوته العسكرية

وَكَانَ يَهُوشَافَاطُ يَتَعَزَّمُ جِدًّا،
وَبَنَى فِي يَهُودَا حُصُونًا وَمُدُنَ مَخَازِنَ. [١٢]

من كثرة الهدايا قام يهوشافاط ببناء مدن مخازن لحفظ الهدايا.

وَكَانَ لَهُ شُغْلٌ كَثِيرٌ فِي مَدُنِ يَهُودَا،
وَرِجَالُ حَرْبٍ جَبَابِرَةٌ بِأَسِي فِي أُورُشَلِيمَ. [١٣]

وهذا عددهم حسب بيوت آبائهم من يهودا رؤساء ألوف:

¹ In Matt. hom 47.

² In Matt. hom 2: 9.

عَدَنَةُ الرَّبِّيسُ وَمَعَهُ جَبَابِرَةُ بِأَسٍ ثَلَاثُ مِئَةِ أَلْفٍ. [١٤]
وَبِجَانِيهِ يَهُوَنَاتَانُ الرَّبِّيسُ وَمَعَهُ مِئَتَانِ وَتَمَانُونَ أَلْفًا. [١٥]
وَبِجَانِيهِ عَمْسِيَا بْنُ زِكْرِي الْمُنْتَدِبُ لِلرَّبِّ وَمَعَهُ مِئَتَا أَلْفٍ جَبَّارٍ بِأَسٍ. [١٦]

ذكر هنا خمسة قادة عسكريين مع عدد الذين كانوا تحت قيادتهم، ثلاثة في يهوذا، واثنين في بنيامين.

ما أروع ما قيل عن القائد العسكري عمسيا، "كان منتدباً للرب"؛ لم يكن مندوباً عن الملك فقط ليخدمه في هذا المنصب، إنما كان يحسب نفسه مندوباً عن الرب ليُمجِّدَه بهذا المنصب. لقد كان أبرز هؤلاء القادة العسكريين في اهتمامه بالعبادة. قبل المنصب لا للكرامة ولا للسلطان أو المنفعة، إنما ليُمجِّدَ الله. كان يخدم الرب ويلده بضميرٍ صالح.
لم يُقدِّمَ عمسيا شيئاً للرب، بل قدَّم نفسه وقلبه له. قيل: "يا ابني أعطني قلبك، ولتُلاحظ عيناك طريقي (أم ٢٣: ٢٦)."

أقصى ما يريده الله منا هو القلب، ففي العهد القديم قدَّم لنا الناموس منقوشاً على حجارة، لعل قلوبنا الحجرية تلتقط شيئاً من الناموس الإلهي، أو يترك الناموس بصماته على قلوبنا. وإذ لم يحدث هذا، قدَّم لنا إنجيل العهد الجديد ناموساً منحوتاً بالروح القدس على قلوبنا. "أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم" (عب ٨: ١٠). لهذا إذ يصرخ الكاهن: "ارفعوا قلوبكم"، يترنم الشعب متلهلاً: "هي عند الرب".

❖ في داخلكم إما معرفة الحق أو جهل، الابتهاج بالفضيلة أو الرذيلة، بهذا نعد قلوبنا إما ملكوت المسيح أو ملكوت إبليس^١.

الأب موسى

❖ إن لم تُعطِ نفسك *your soul*، فإنك تفقدها. تتكلم المحبة نفسها خلال الحكمة، وتخبرك كي تُخلِّصك من حالة الذعر، إذ يقال: "أعطني نفسك".
إن أراد أحد أن يبيع لك حقلاً، يقول لك: "أعطني ذهبك"، وإن كان شيء آخر، يقول لك: "أعطني نحاسك"، "أعطني فضتك".

الآن لتصنغ إلى ما نقوله المحبة لك، إذ تتطرق خلال فم الحكمة: "يا ابني أعطني قلبك". ماذا

¹ Cassian: Conferences 1:13.

تعطيها؟ "قلبك يا ابني". كان قلبك شريراً حين كان معك، عندما احتفظت به لنفسك. كنت تُسحب في هذا الطريق وذلك كما بالدمي والتفاهات وشهوات الحُبِّ المُدَمَّر. استبعد قلبك عن هذا كله. إلى أين تسحبه؟ أين تضعه؟ تقول الحكمة: "أعطني قلبك". اجعله لي، فلا تفقده¹.

القديس أغسطينوس

وَمِنْ بَنِيَامِينَ أَلْيَادَاغَ جَبَّارُ بَأْسٍ،

وَمَعَهُ مِنَ الْمُتَسَلِّحِينَ بِالْقِسِيِّ وَالْأَتْرَاسِ مِئَتَا أَلْفٍ. [١٧]

وَبِجَانِيهِ يَهُوزَابَادُ وَمَعَهُ مِئَةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفًا مُتَجَرِّدُونَ لِلْحَرْبِ. [١٨]

كان عدد رجال الجيش تحت قيادة هؤلاء الخمسة قد بلغ ١١٦٠٠٠٠٠ جباري بأس ومحاربين، وهو رقم كبير للغاية بالنسبة لمساحة يهوذا وبنيامين. فأبياً استطاع أن يجمع ٤٠٠٠٠٠٠ (١٣: ٣)، وآسا ٦٠٠٠٠٠ (١٤: ٨).

أما سرّ تزايد العدد إلى الضعف تقريباً عمّا كان عليه العدد في أيام آسا، فهو الآتي:

أ. سبق أن وعد الله إبراهيم أن نسله سيكون كنجوم السماء ورمل البحر في العدد.

ب. وجود فترة سلّم طويلة لم يُقتل فيها جنود.

ج. يُفترض أنه مع حركة الإصلاح اتسعت مدينة أورشليم جداً.

د. كثيرون أتوا من مملكة إسرائيل، وانضموا إلى مملكة يهوذا (١٥: ١٩)، مما جعل عدد الشعب

يتزايد.

ه. كان العنصر الرئيسي في زيادة العدد، هو بركة الرب التي رافقت يهوشافاط، ونجاحه في كل

عملٍ تمتد إليه يده.

هؤلاء خُدّامُ الملك،

فَضْلاً عَنِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ الْمَلِكُ فِي الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ فِي كُلِّ يَهُوذَا. [١٩]

غالباً ما كان الجنود يعيشون في بلادهم، يمارسون بعض الأعمال، ومن حين إلى آخر يُستدعون

للتدريب العسكري. أما قادة الجيش، فكانوا يخدمون في شئون الدولة كموظفين في البلاط الملكي

ووزراء للدولة ومشيرين للملك.

¹ Sermon 34:7.

أخيراً، فإن ليست ضخامة عدد الجند هي سرّ رهبة الجيش لدى الأمم المحيطة، إنما وهبهم الله من عنده مهابة مع نجاح وتقدّم ونعمة في أعين الجميع.

من وحي ٢ أي ١٧

إلهي أنت هو سرّ نجاحي!

❖ لألتصق بك يا إلهي، كما التصق بك يهوشافاط.

فتكون يدك معي، لأسير في طريقك يا ابن داود.

بك أشعر بروح القوة يا ملك الملوك.

تُقيم من الضعفاء أبطالاً.

ترفعني من المزلة، وتهبني سلطاناً.

فلا يكون لقوات الظلمة موضع في داخلي.

❖ من يقتنيك لا يعوزه شيء.

تُقيم ملكوتك في داخلي.

فتهبني من فيض حكمتك وغناك وكرامتك.

تنزع من داخلي كل صنمٍ أتعبد له.

وتُقيم مني هيكلًا مقدسًا لك.

❖ بعث يهوشافاط كهنة ولاويين ورؤساء،

يُعلّمون يهوذا وصيبتك المقدسة.

افتح عن عيني، فأتعرف عن أسرارك.

واحملني بروحك إلى مائدة وصاياك.

أتلذذ بكلماتك، وأشبع بحُبِّك، وتمتلئ نفسي فرحًا بك.

روحك القدوس ينقش وصاياك في قلبي.

كنيستك المقدسة تُدرّيني بروح الحق.

تدخل بي إلى عربون السماء، فتستتير نفسي.

❖ تُقيم من ضعفي سفيرًا لك.

أشهد بحُبِّك منادياً: تصالحو مع الله!

تُقيم من أعماقي أورشليمي الحصينة.
تُدرب طاقاتي وعواظي وأحاسيسي،
فتُقيم منها جيشاً بألوية.
نعم، أنت هو سرُّ نجاحي.
بدونك تنهار نفسي إلى التراب،
وبك تُقيمني إلى الشركة مع خدامك السمايين!

الأصحاح الثامن عشر

تحالف يهوشافاط مع أخاب

ورد هذا الأصحاح تقريباً في (١ مل ٢٢) فيما عدا الآيات ١-٣. غير أن النظرة التي يتطلع إليها ملوك الأول تختلف عن تلك التي لأخبار الأيام الثاني. الأول يهتم بقصة ميخا وأخاب، والثاني ميخا ويهوشافاط، يذكر أخاب بطريقة عارضة، فإن يهوشافاط ملك يهوذا لا أخاب ملك إسرائيل الذي كان مهتماً أن يطلب مشورة ميخا [٦-٧]. هذا كان باعث قلبي صادر من يهوشافاط. كان بعض ملوك يهوذا يعنزون بكل قلوبهم بكلمة الرب (راجع ١٢: ٥-٦؛ ١٥: ١-٧؛ ١٦: ٧-٩؛ ١٩: ٢-٣؛ ٢٠: ١٣-١٧؛ ٢٤: ٢٠؛ ٢٥: ٧-٩، ١٥-١٦؛ ٢٨: ٩-١١؛ ٣٣: ١٠؛ ٣٤: ٢٢-٢٨). وذلك على خلاف ملوك إسرائيل الذين لم يكونوا يباليون بعبادة الله الحي، بل غالباً ما كانوا يقاومونها. ارتباط يهوشافاط ملك يهوذا الصالح بأخاب ملك إسرائيل الشرير شوّه صورة يهوشافاط، وسبّب له متاعب كثيرة.

١. ارتباط يهوشافاط بأخاب الشرير
٢. مشاركة أخاب لاستعادة راموت جلعاد
٣. استشارة الأنبياء الكذبة
٤. يهوشافاط يطلب نبياً للرب
٥. الرب ينقذ يهوشافاط
٦. جرح أخاب وموته

١. ارتباط يهوشافاط بأخاب الشرير

وَكَانَ لِيَهُوشَافَاطَ غِنًى وَكَرَامَةٌ بكَثْرَةٍ.

وَصَاهَرَ أَخَابَ. [١]

نقطة الضعف الخطيرة في حياة يهوشافاط أنه صاهر الملك الشرير أخاب. سيرته تكشف عن خطورة التصاق الأتقياء بفاعلي الشر.

دخل يهوشافاط في علاقة مصاهرة مع أخاب الذي باع نفسه لعمل الشر، عابد وثن، ومقاوم لعبادة الله الحي. لقد زوّج يهوشافاط ابنه يهورام لعثليا ابنة أخاب، وكانت صورة مطابقة لأمرها إيزابيل

الشريرة التي قتلت الأنبياء وهدمت مذابح الرب، ونشرت عبادة البعل في إسرائيل.

ربما سقط يهوشافاط في فخ محبة الكرامة والغنى، فأراد أن يُزوّج ابنه لابنة ملك إسرائيل الغني والذي كانت له شهرة بسبب انتصاراته. نخطئ كثيرًا عندما نُكوّن الصداقة على مُجرّد شهرة الآخرين، بقصد نوال شهرة بصداقتنا معهم، أو نُحبّهم لمُجرّد مدح الآخرين لهم.

يرى البعض أنه فعل ذلك لأسباب سياسية، مثل رغبته في توحيد المملكتين في ابنه، ولعل أخاب أغراه بأنه سيجعل يهورام واريًا له. وحدة المملكتين أمر مُفرح، لكن كان يلزم أن تكون على أساس وحدة الإيمان والحياة المقدّسة. فقد أخطأ يهوشافاط حين قال: "مثلي مثلك، شعبي كشعبك، وخيلي كخيلك". كان يليق به أولاً أن يطلب قدسيّة حياة الملك وشعبه قبل الاتّحاد معه في الحروب. لقد دفع يهوشافاط الكثير بسبب هذه الصداقة القائمة بلا أساس.

ما أراد هذا السفر تأكّيده، أن الخطأ الخطير الذي ارتكبه آسا هو تحالفه الغبي مع أرام، أما بالنسبة ليهوشافاط، فإن أخطر ما فعله هو مصاهرته لأخاب ملك إسرائيل المُقاوم للحق الإلهي.

بسبب هذه المصاهرة دخلت الوثنية الفينيقية بشورها بكل قوّة في مملكة يهوذا، وبسبب هذا الخطأ الفاحش مرّت فترة كاد كل نسل داود أن يفنى، لو لم يبق الكاهن يهوياذا بتخبئة يوأش الطفل الصغير في مخازن الهيكل لمدة ست سنوات، ليستلم كرسي داود وهو في السابعة من عمره (٢٢: ١-١٢). هذا ما جعل كاتب السفر بوحى الروح القدس يُسجّل مصاهرة يهوشافاط أخاب هنا، وكيف تعرّض يهوشافاط نفسه للقتل في المعركة ربما بخبث أخاب.

كثيرًا ما حذرنا الكتاب المقدس وآباء الكنيسة من الصداقات الشريرة. أخطأ القديس أغسطينوس في بداية حياته عندما كوّن صداقة بينه وبين هيريوس *Hierius* لمُجرّد شهرته، لينال هو أيضًا شهرة على حساب هذه الصداقة.

❖ ماذا دفعني أيها الرب إلهي أن أهدي هذه الكتب لهيريوس وهو أحد خطباء روما، الذي أحببته دون أن أقاله، إنما لمُجرّد ما اشتهر به من علم؟!...

ولكن هل يمكن أن تتدخّل المحبة في قلب السامع لمُجرّد سماعه عنه من فم مادحه؟!... لقد أحببت في ذلك الوقت الممدوحين من البشر، وليس الممدوحين منك، وإن كنت قد أحببتهم ومدحتهم، فإنني كنت أود أن أكون مشهورًا مثلهم...

من أين أعرف، وكيف أعترف لك بأنني أحببت ذلك الخطيب بسبب حُب مادحيه له، أكثر من حُبّي له؛ بسبب الصفات التي مدحوه من أجلها، فلما ذمه مادحوه أنفسهم... ففترت محبتي له وصرت

غير متأثر به؛ مع أن الأسباب التي ذموا لأجلها لم تكن جديدة عليه، كما لو أنه أصبح شخصاً آخر. لكن الذي تَغَيَّر هو شعور المُتحدِّثين عنه.

القديس أعسطينوس

❖ افحصي يا نفسي ذاتك، وانظري إلى أي موضع تنتقلين، إذا طُرِدتِ من جسدك، ومن هم الأبناء رفاؤك الذين تسيرين معهم لميراثهم؟ إن كانوا ملائكة نور، فكيف لم يضيئوا عليك بشعاع جمالهم بمحييهم عندك؟! ويفرحوا بالخطاة معهم قبل الافتراق؟! وأما إذ كانوا أولئك السمجين الخداعين بالشهوة، السارقين للأطفال إلى بلدة ظلمتهم، المحرومة من العزاء، فالويل لي من صحبتهم، الويل لي من قُرْبهم الذي يبعدني عن ربِّي! الويل لي لأنني أطمعُ غشهم، وَمَنَعْتُ نفسي من نظر الحُسن! الويل لي لأنني أبعدتُ ذاتي عن الشر، وصرت شريكاً للشريير بإرادتي.

الشيخ الروحاني

❖ لا تُقسِدْ وصية الله من أجل صداقة أحدٍ. لا تعد إلى المدينة التي أخطأتَ الله فيها مرةً أخرى. لا تتخلَّ عن العبادة لئلا يصير ذلك لك فحاً وعترة.

الطوباوي أنبا أنطونيوس

❖ المعاشرات والاتحاد الخاص يضر النفس ضرراً عظيماً. لهذا يجب علينا أن نهرب منه باحتراس ونتوطد على هذا الأساس... وهو أنه لا يجوز في الرهينة أن يكون لأحد صديق خاص يتحد معه في صداقة يمكن أن يتألم من قبلها بقية الإخوة.

القديس مار أفرام السرياني

❖ لا تضطربوا لحقيقة أن (داود النبي) حسب السلام شرّاً. فإنكم تجدون حقاً في الإنجيل أيضاً سلاماً يرفضه المسيح، كما يقول هو نفسه: "سلامي أترك لكم، سلامي أنا أعطيتكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤ : ٢٧). لأنّه يوجد سلام لا يضع حجر عثرة، و سلاماً يضع... لهذا أيضاً يقول النبي "سلام سلام، وليس سلام" (حز ١٣ : ١٠). إذن، لنهرب من سلام الأشرار، لأنّهم يتآمرون ضدّ البريء ويجتمعون على مضايقة البار (حك ٢ : ١٢)، ويقهرون الأرملة، ويسحقون تواضعها!^١

القديس أمبروسوس

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث ٣ : ٦.

٢. مشاركة أخاب لاستعادة راموت جلعاد

وَنَزَلَ بَعْدَ سِنِينَ إِلَى أَخَابِ إِلَى السَّامِرَةِ،
فَدَبِحَ أَخَابُ غَنَمًا وَبَقَرًا بكَثْرَةً لَهُ وَلِلشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ،
وَأَعْوَاهُ أَنْ يَصْنَعَدَ إِلَى رَامُوتِ جِلْعَادِ. [٢]

في السنة السابعة عشرة من حُكْم يهوشافاط، وهي ليست أقل من ثمان سنوات من إتمام زواج ابنه بعثليا ابنة أخاب^١، قام بزيارة أخاب في السامرة.

ذبح أخاب غنمًا وبقرةً بكثرة له وللشعب الذي معه. في هذا لم يسلك يهوشافاط في طُرُق أبيه الذي لم يُجَالِس الأشرار، إذ يقول: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز ١: ١). كما يقول: "أبغضت جماعة الأئمة، ومع الأشرار لا أجلس" (مز ٢٦: ٥). ولم يشته أن يأكل من نفائسهم (مز ١٤١: ٤).

صنع أخاب هذه الوليمة لِيَتَمَلَّق يهوشافاط، ويجتذبه لِيُشَارِكه في استرداد راموت جلعاد من ملك أرام.

قام يهوشافاط بهذه الزيارة كنوعٍ من الصداقة مع أخاب، ولم يكن في ذهنه أن يُقِيم تحالفًا سياسيًا ضد أرام. غير أن أخاب استغل هذه الزيارة لإقامة تحالف سياسي مع يهوشافاط.

❖ "لم أجلس مع محفل باطل" (مز ٢٦: ٤)... إلى أي شيء يرمز الجلوس؟ أن يكون الشخص بقلب واحدٍ مع من يعاشروهم. إن لم يكن قلبك هناك على الرغم من وجودك معهم، فأنت لا تجلس معهم، أما إن كان قلبك هناك، فإنك تجلس معهم حتى وإن كنت غائبًا عنهم (بالجسد).

القديس أغسطينوس

وَقَالَ أَخَابُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُودَا:

أَتَذْهَبُ مَعِيَ إِلَى رَامُوتِ جِلْعَادِ؟

فَقَالَ لَهُ: مَتَى مَتَى، وَشَعْبِي كَشَعْبِكَ، وَمَعَكَ فِي الْقِتَالِ. [٣]

كانت إمكانيات أخاب العسكرية قد انحدرت، بينما كانت قوة أرام (سوريا) العسكرية قد تشدّدت. تسرّع يهوشافاط في إجابته على أخاب، دون أن يحسب النفقة، فإنه يتحالف مع ملكٍ لا علاقة له مع الله، بل كان أخاب قد انحرف إلى العبادة الوثنية، وأحاط نفسه بمجموعة ضخمة من الأنبياء الذين ارتبطوا بعبادة العجول، ولم يكن في ذلك الوقت في إسرائيل نبي للرب إلا ميخا بن يملة وحده،

¹ Barnes, Notes.

وكان مكروهاً جداً من أخاب. يبدو أن إيليا في ذلك الوقت كان قد انسحب إلى البرية، فلم يُعرَف في السامرة نبي سوى ميخا.

٣. استشارة الأنبياء الكذبة

ثُمَّ قَالَ يَهُوشَافَاظُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ:

اسْأَلِ الْيَوْمَ عَنْ كَلَامِ الرَّبِّ. [٤]

وهب الله يهوشافاط سلاماً، لكن خلال مصاهرته لأخاب اندفع إلى الحرب، ويبدو أنه كان قلقاً لهذا القرار، وقد طلب أن يسأل الله في الأمر.

جاء في ١ مل ٢٢؛ ٢ أي ٢٠ أن يهوشافاط دخل في تحالف تجاري مع أخزيا بن أخاب الذي خلف والده على مملكة إسرائيل، وقد أرسلت سفن إلى ترشيش حيث تجارة القمح والذهب، وتحتطمت السفن وضاعت البضائع، فالله لا يبارك مثل هذا التحالف.

حسن أن يطلب يهوشافاط أن يسأل الله بخصوص الدخول في القتال، لكنه للأسف لم يسأل الله عند مصاهرته أخاب، ولا عند نزوله إلى السامرة.

فَجَمَعَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الْأَنْبِيَاءَ أَرْبَعَ مِئَةِ رَجُلٍ،

وَقَالَ لَهُمْ: أَنْذَهُبْ إِلَى رَامُوتِ جَلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ أَمْتَنِعْ؟

فَقَالُوا: اصْعُدْ، فَيَدْفَعَهَا اللَّهُ لِيَدِ الْمَلِكِ. [٥]

٤. يهوشافاط يطلب نبياً للرب

فَقَالَ يَهُوشَافَاظُ: أَلَيْسَ هُنَا أَيْضًا نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَنَسْأَلُ مِنْهُ؟ [٦]

تُرى ماذا كانت مشاعر يهوشافاط المُلتصِق بالله حين طلب من أخاب أن يسأل، فأحضر له أربعمائة نبي ليس بينهم نبي واحد للرب؟ جميعهم أنبياء كذبة يَعْمَلُونَ لحساب الشيطان! حقاً كانت نفسه مُرَّة، فقال: "أليس هنا أيضاً نبي للرب، فنسأل منه؟!"

كان يليق به أن يرفض البقاء في هذا المجلس الذي هو مجلس لحساب إبليس، ليس للرب موضع فيه.

في كل عصرٍ يوجد أنبياء كذبة يقاومون الحق الإلهي لحساب إبليس. يقول السيد المسيح: "يقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين" (مت ٢٤: ١١)؛ "لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة، وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً" (مت ٢٤: ٢٤؛ مر ١٣:

٢٢). يُحَدِّرنا الأنبياء والرسل منهم، قائلين: "ولكن كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضًا مُعَلِّمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك، وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا" (٢ بط ٢: ١). "أيها الأحباء لا تُصَدِّقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (١ يو ٤: ١). "الأنبياء ينتبأون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب وماذا تعملون في آخرتها" (إر ٥: ٣١). "لذلك هكذا قال الرب عن الأنبياء الذين ينتبأون باسمي، وأنا لم أرسلهم، وهم يقولون لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض: بالسيف والجوع يفنى أولئك الأنبياء" (إر ١٤: ١٥).

❖ عندئذٍ سِيحَلُ الشيطان، فيعمل بكل قوته خلال ضد المسيح بطريقة باطلة ومدهشة... إنه يخدع الحواس الميتة بأوهام؛ فيظهر كمن يعمل أعمالاً في الحقيقة هو لم يعملها؛ أو ربما يفعل عجائب حقيقية لكنها تضلل الناس عن الحق، إذ يحسبونها قوة إلهية^١.

القديس أغسطينوس

فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُوشَافَاطَ:

بَعْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ لِسُؤَالِ الرَّبِّ بِهِ،

وَلَكِنِّي أَبْغِضُهُ،

لَأَنَّهُ لَا يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا كُلَّ أَيَّامِهِ،

وَهُوَ مِخَا بْنُ يَمَلَةَ.

فَقَالَ يَهُوشَافَاطُ: لَا يَقُلِ الْمَلِكُ هَكَذَا. [٧]

فَدَعَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ خَصِيًّا،

وَقَالَ: أَسْرِعْ بِمِخَا بْنِ يَمَلَةَ. [٨]

وَكَانَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُودَا جَالِسَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى كُرْسِيِّهِ،

لِأَسْنَيْنِ ثِيَابَهُمَا وَجَالِسَيْنِ فِي سَاحَةِ عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ السَّامِرَةِ،

وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ يَتَنَبَّأُونَ أَمَامَهُمَا. [٩]

يبدو أن الملكين قد انسحبا من الوليمة، وجلسا على عرشيهما في ساحة عند مدخل مدينة السامرة. في هذا الموضع كان أخاب يجلس ينظر في بعض القضايا الهامة. كان الملوك في الشرق

¹ City of God 29: 19.

في ذلك الحين يجلسون على عروش متحركة يأخذونها معهم في رحلاتهم، وأينما ذهبوا^١. الذين يجالسون المستهزئين غالباً ما يسقطون في أخطاء كثيرة، منها عدم مبالاتهم بواجبهم. جلس يهوشافاط بحُلَّتِه الملوكية صاعياً بصيرٍ لأكاذيب الأنبياء الكذبة باسم الله، وربما كان يشعر بتأنيب ضمير خفيف في داخله بسبب البغضة نحو أحد أنبياء الله [٧]. لم يجرؤ أن يؤنب النبي الكذاب الذي استهان بالرأي الصادق. ولم يعترض يهوشافاط على وضع النبي الصادق في السجن. اعتاد أخاب أن يستمع إليهم، ويُعجَب بكلمات الإطراء والملاطفة ويرفض اللقاء مع النبي الصادق، لأنه صريح ويحذره من الخطأ والخطر. هنا تظهر خطورة المحاطين بالمداهنين، مثل الأنبياء الكذبة الذين يتكلمون بالناعمات، ويبثون رجاءً مزيفاً.

وَعَمِلَ صِدْقِيَا بْنُ كَنْعَةَ لِنَفْسِهِ قُرُونَ حَدِيدٍ وَقَالَ:

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: بِهَذِهِ تَنْطَحُ الْأَرَامِيُّونَ حَتَّى يَفْنَوْا. [١٠]

تستخدم القرون في الكتاب المقدس كرمزٍ للقوة. كان النطح بالقرون يشير إلى الدخول في معركة حربية بروح القوة، مع التأكد من النصر على الأعداء (راجع تث ٣٣: ١٧؛ مز ٤٤: ٥؛ دا ٨: ٤). أما قول صدقيا وهو كاهن للبعل: "هكذا قال الرب"، فقد أراد بروح الكذب أن يُعلن أنه مُرسل من قِبَل الرب.

أما قيام صدقيا بعملية النطح بالقرون الحديدية، وإدعائه أن الرب قال له: "بهذه تنطح الأراميين"، فذلك لأن أنبياء الأوثان كانوا ليس مُجَرَّد ناطقين بما يقوله لهم الآلهة، إنما كان لديهم شخصياً القوة والسلطان أن يعملوا ما يريدون، وأن يحثوا الآلهة على إتمام ما يطلبونه^٢.

وَتَتَبَّأَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ هَكَذَا قَائِلِينَ:

اصْعَدْ إِلَى زَامُوتِ جَلْعَادَ وَأَفْلَحْ،

فَيَدْفَعَهَا الرَّبُّ لِيَدِ الْمَلِكِ. [١١]

وَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي ذَهَبَ لِيَدْعُو مِيخَا:

هُوَذَا كَلَامَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِفَمِ وَاحِدٍ خَيْرٌ لِلْمَلِكِ.

فَلْيَكُنْ كَلَامُكَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ. [١٢]

قدَّم الرسول لميخا نبي الرب مشورة أو نصيحة أن يتكلم مع الملك بما اتفق عليه كل الأنبياء

¹ Barnes, Notes on 1 Kings 22:10.

² Barnes, Notes on 1 Kings 22:13.

الكذبة أو أنبياء الأوثان. أما ميخا فحسب هذه المشورة شريرة وباطلة.

فَقَالَ مِيخَا: حَيُّ هُوَ الرَّبُّ،

إِنَّ مَا يَقُولُهُ إِلَهِي فِيهِ أَتَكَلَّمُ. [١٣]

وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْمَلِكِ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ:

يَا مِيخَا، أُنْذِرْهُ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ أَمْتِنَعْ؟

فَقَالَ: اصْعَدُوا وَأَفْلِحُوا فَيُدْفَعُوا لِيَدِكُمْ. [١٤]

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي فيها يضطر أحآب أن يستدعيه فيسأله، وهو لا ينتظر منه الإجابة، إنما ينتظر منه أن ينطق بما يقوله الأنبياء الكذبة، ربما لكي يقنع الذين حوله أن هؤلاء الأنبياء صادقون. فكان يجيبه ميخا بما يطلبه الملك، ولكن بلهجة تحمل نوعاً من السخرية والاستخفاف بتصرفات الملك الذي يود أن ينطق رجل الله ليس حسب فكر الله، إنما حسب هوى الملك.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: كَمْ مَرَّةً اسْتَخْلَفْتُكَ أَنْ لَا تَقُولَ لِي إِلَّا الْحَقَّ بِاسْمِ الرَّبِّ! [١٥]

كان الملك يعلم تماماً أنه إذ يستحلف النبي، يلتزم الأخير أن يُغيّر أسلوبه، فلا يتكلم بسخرية، إنما ينطق بما يخبره به الرب.

فَقَالَ: رَأَيْتُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ مُسْتَتِينَ عَلَى الْجِبَالِ كَخِرَافٍ لَا رَاعِيَ لَهَا.

فَقَالَ الرَّبُّ: لَيْسَ لَهُوْلَاءَ أَصْحَابٌ،

فَلْيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلَامٍ. [١٦]

أدرك الملك ما وراء المثل من معنى، وذلك من صلاة موسى حين طلب من الرب رئيساً أو قائداً صالحاً للشعب فقال: "يخرج أمامهم، ويدخل أمامهم، ويخرجهم ويدخلهم، لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها" (عد ٢٧: ١٧).

فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُوشَافَاطَ:

أَمَا قُلْتَ لَكَ إِنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا؟ [١٧]

أراد أحآب أن يُصوّر ليهوشافاط أن ما نطق به ميخا لم يصدر من الله، إنما عن حقدٍ يحمله ضد الملك، لذلك جاء رأيه مناقضاً للإجماع الذي كان بين كل الأربعمئة نبي.

وَقَالَ: فَاسْمَعْ إِذَا كَلَّمَ الرَّبُّ.

قَدْ رَأَيْتَ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ،

وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَقُوفٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. [١٨]

كثيرًا ما تحدث داود النبي عن الرب الجالس على العرش في السماء (مز ٩ : ٧ ؛ ١١ : ٤ ؛ ٤٥ : ٦ ؛ ١٠٣ : ١٩)، وقد ظهر القدير جالسًا على العرش في رؤى وهبت لإشعيا (إش ٦)، ودانيال (دا ٩ : ٧)، وحزقيال (حز ١ : ٢٦)، وإستفانوس (أع ٧ : ٥٦)، ويوحنا (رؤ ٤ : ٢).

فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخَابَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، فَيَصْنَعُ وَيَسْقُطُ فِي رَامُوتِ جَلْعَادَ؟

فَقَالَ هَذَا هَكَذَا، وَقَالَ ذَلِكَ هَكَذَا. [١٩]

ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ، وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ.

فَسَأَلَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ [٢٠]

جاء في الترجوم فكر غريب؛ وهو أن روح نابوت اليزرعيلي خرج من مسكن الأبرار ووقف أمام الرب، وقال: "أنا أخدعه"، فقال له الرب: "بماذا؟ فأجاب: "أصير روح نبي كذاب في أفواه أنبيائه". قال له الرب: "إذن ليكن هذا. ولكن إذ تأخذ سلطان لتخدعهم، لا يجوز لك أن تجلس بين الأبرار، لأن من يتكلم بالكذب، لا يقدر أن يقطن بين الأبرار. فإذهب عني، وأفعل ما قد قلت".

فَقَالَ: أَخْرُجْ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ.

فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ.

فَأَخْرُجْ وَأَفْعَلْ هَكَذَا. [٢١]

إذ كان أخاب يستريح ويستطيب مشورة الأنبياء الكذبة، لذا سمح الله له أن يخدعه روح الكذب ويغويه.

يتعجب كيف يوجد في السماء من يقول: "أخرج وأكون روح كذب"، غير أنه من المعروف أن الرؤى الخاصة بالسماء لا تُفسَّر بطريقة حرفية، إنما هي أقرب إلى المثال أو الإعلانات التي لا يُنطق بها. إنها تُقدِّم للبشر بطريقة تتناسب مع اللغة البشرية أو الفكر البشري.

وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ أَنْبِيَانِكَ هَؤُلَاءِ،

وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ. [٢٢]

فَتَقَدَّمَ صَدِيقًا بَنُ كُنْعَنَةَ،

¹ Cf. Adam Clarke Commentary.

وَضْرَبَ مِيخَا عَلَى الْفَكِّ وَقَالَ:

مَنْ أَيُّ طَرِيقٍ عَبَّرَ رُوحَ الرَّبِّ مِنِّي لِيُكَلِّمَكَ؟ [٢٣]

غالبًا ما كان ميخا مربوط اليدين، وقد أحضر من السجن. ضربه صدقيا على خدّه أو وجهه كنوع من الخزي والعار.

فَقَالَ مِيخَا: إِنَّكَ سَتَرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَدْخُلُ فِيهِ

مِنْ مَخْدَعٍ إِلَى مَخْدَعٍ لِتَخْتَبِي. [٢٤]

لم يجب ميخا النبي صدقيا على سؤاله مباشرة، إنما قدّم الإجابة لجميع الحاضرين، قائلاً: لهم حين يأتي خبر موت أخاب الملك إلى السامرة، يختبئ كل مشيري الملك والأنبياء الكذبة، حينئذ يهرب صدقيا ليختبئ من موضع إلى موضع، خشية أن ينتقم منه أخزيا بن أخاب، أو إيزابل الملكة، عندئذ تدركون أنني نبي حقيقي.

فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ: خُدُوا مِيخَا،

وَرُدُّوهُ إِلَى أَمُونَ رَئِيسِ الْمَدِينَةِ، وَإِلَى يُوَأَشَ ابْنِ الْمَلِكِ [٢٥]

طلب الملك أن يردوا ميخا إلى السجن الذي كان محبوباً فيه.

كان للسامرة رئيس مدينة، وكان من بين مسئولياته إدارة السجن العام والإشراف على طريقة التعامل مع المسجونين.

وَقُولُوا هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: ضَعُوا هَذَا فِي السَّجْنِ

وَأَطْعِمُوهُ خُبْزَ الضِّيْقِ وَمَاءَ الضِّيْقِ، حَتَّى أَرْجِعَ بِسَلَامٍ. [٢٦]

أراد أخاب أن يؤكد للملك يهوشافاط وجميع الحاضرين أنه لا يُصدّق ما يقوله ميخا، لذا أمر بالتشديد على النبي في السجن، فيأكل خبز الضيق أو الحزن، ويشرب ماء الضيق.

فَقَالَ مِيخَا: إِنْ رَجَعْتَ رُجُوعًا بِسَلَامٍ، فَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِي.

وَقَالَ: اسْمَعُوا أَيُّهَا الشُّعُوبُ أَجْمَعُونَ. [٢٧]

موقف المشيرين الأمانة صعب، وغالبًا ما يكونوا مكروهين ومضطهدين، وذلك بسبب أمانتهم للرب إلههم. لكن في الوقت المناسب يكشف الله عن رجاله الأمانة وعن المضللين والكذبة.

عرّض يهوشافاط الإنسان المستقيم في عيني الله نفسه للخطر بلباسه الملوكي، ومع ذلك نجّاه الله. وأخاب الشرير الذي ادعى الصداقة الحميمة ليهوشافاط، وقدّم له مشورة خطيرة تُعرّض يهوشافاط

للقتل.

برى البعض أنه قدّمها بسوء نيّة، فقد أضمر في نفسه إنهاء حياة يهوشافاط بجعله علامة واضحة أمام العدو لكي يقتله، وبذلك يسيطر على خليفته - ابنه يهورام - زوج ابنة أخاب. لكن سقط أخاب في الحفرة التي حفرها لصديقه. لقد تخفّى أخاب ليظهر كجندي عادي، فسمح الله أن يُقتل بيد مجهول.

٥. الرب ينقذ يهوشافاط

فَصَعِدَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُشَافَاظُ مَلِكُ يَهُودَا إِلَى رَامُوتِ جَلْعَادَ. [٢٨]

كان يليق بيهوشافاط بعد سماعه ما قاله ميخا النبي أن ينسحب، ولا يذهب مع أخاب إلى المعركة.

للأسف لقد أعلن له ميخا النبي إرادة الله، ومع ذلك اندفع بالعاطفة نحو أخاب الشرير ليسنده في المعركة. ربما شعر أنه ليس من الرجولة أو الشجاعة أن يترك أخاب في المعركة وحده.

وَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُشَافَاظَ: إِنِّي أَتَنَكَّرُ وَأَدْخُلُ الْحَرْبَ،
وَأَمَّا أَنْتَ فَالْبَسْ ثِيَابَكَ.

فَتَنَكَّرَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، وَدَخَلَ الْحَرْبَ. [٢٩]

ربما سمع أخاب الأمر الذي أصدره بنهدد لقادة جيشه، أن يُركّزوا كل المعركة على شخص أخاب (١ مل ٢٢: ٣١).

وَأَمَرَ مَلِكُ أَرَامَ رُؤَسَاءَ الْمَرْكَبَاتِ الَّتِي لَهُ:

لَا تُحَارِبُوا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا مَلِكَ إِسْرَائِيلَ وَحَدَهُ. [٣٠]

فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءَ الْمَرْكَبَاتِ يَهُشَافَاظَ، قَالُوا إِنَّهُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ،
فَحَاوِطُوهُ لِلْقِتَالِ،

فَصَرَخَ يَهُشَافَاظُ، وَسَاعَدَهُ الرَّبُّ وَحَوَّلَهُمْ عَنْهُ. [٣١]

جاء في الترجوم: "صرخ يهوشافاط، وقدّمت له كلمة الرب مساعدة".

إذ وجد يهوشافاط نفسه في مأزق، صرخ طالبًا النجدة من رجاله. سمعه رؤساء مركبات أرام، وعرفوا أنها ليست صرخة أخاب، بل صرخة يهوشافاط، فتحولوا عنه.

¹ Cf. Adam Clarke Commentary.

لم يحدث هذا اعتباطاً، إنما بسماع من الرب الذي أراد أن يُنقذَ يهوشافاط بالرغم من عدم سماعه لما تنبأ عنه ميخا.

ظنَّ يهوشافاط أن الدخول في مصاهرة مع أخاب ملك إسرائيل الشرير يسنده ويعطيه قوة. لقد ضحى بشركته مع الله من أجل أسباب سياسية ودبلوماسية، فعرض نفسه للموت، مع هذا فإن الله تطلع إلى ما سبق فسلكه يهوشافاط بأمانة، فأنقذه من الموت.

٦. جرح أخاب وموته

فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْمُرْكَبَاتِ أَنَّهُ لَيْسَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، رَجَعُوا عَنْهُ. [٣٢]

وَأَنَّ رَجُلًا نَزَعَ فِي قَوْسِهِ عَيْرَ مُتَعَمِّدٍ،

وَضْرَبَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ الدَّرْعِ،

فَقَالَ لِمُدِيرِ الْمُرْكَبَةِ: رُدْ يَدَكَ وَأَخْرِجْنِي مِنَ الْجَيْشِ، لِأَنِّي قَدْ جُرِحْتُ. [٣٣]

جاء في الترجوم: "لأن نعمان قائد قوات ملك سوريا العظيم، سحب قوساً ضده (لكي تتحقق نبوة إيليا التثبي وميخا بن يملة)، وضرب ملك إسرائيل ما بين القلب وغشاء الكبد، في موضع المفصل...¹"

كانت دروع الصدر مصنوعة من المعادن، خاصة في مصر وأشور. ضرب الجندي قوسه تحت درع الصدر مباشرة، في المفصل.

"رد يدك": كانت العادة في مصر وأشور أن يقود المعركة سائقها خلال لجام يديره بيديه معاً.

ما حدث هنا كان درساً لإسرائيل كما ليهودا، فإنه لا خلاص إلا بالشركة مع الله والاتكال عليه، وعدم الانغماس في الفساد والنجاسة، والتحفظ من الالتصاق بالأشراك.

وَأَشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ،

وَأَوْقَفَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي الْمُرْكَبَةِ مُقَابِلَ أَرَامَ إِلَى الْمَسَاءِ،

وَمَاتَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. [٣٤]

¹ Cf. Adam Clarke Commentary.

تحالف فاسد وشرير!

- ❖ ليس شيء يَسْرُّ الله مثل الحب والوحدة والتحالف.
نزل إلينا لينزع عنا كل ما هو غريبٍ عن الحُبِّ.
ارتفع على الصليب لكي بالخشبة الرأسية تتحالف السماء مع الأرض.
وبالخشبة الأفقية تتحالف البشرية معًا وكل الأمم.
- ❖ صاهر يهوشافاط أخاب الشرير.
فأقام شِبْه تحالف فاسد.
أي اتفاق بين الله وبليعال؟!
وأية شركة بين النور والظلمة؟!
- ❖ كيف احتمل يهوشافاط إنسان الله أن يجتمع مع أخاب؟
اجتمع معهما أربعمئة نبي كذاب.
تحدّثوا باسم الرب، وهم خدام إبليس وجنوده.
قدّموا مشورة باسم الرب،
تحدّثوا بالناعمات وأكّدا النصرّة على أرام.
فكانوا يدفعون الملكين وشعبيهما للدمار!
- ❖ أكّد ميخا الرائي كذبهم وخداعهم،
لكن فساد أخاب أفسد بصيرة يهوشافاط.
فُقِلَ أخاب في عارٍ،
وكاد يهوشافاط أن يهلك مع شعبه.
- ❖ هَبْ لي يا إلهي روح القوة والتميز.
فأرفض كل تحالفٍ مع الشر والظلمة.
ألتصق بك يا نور العالم،
فلا تتسلل الظلمة إلى قلبي أو فكري.
أتمنّع بالشركة مع قديسيك خُدّامك النارين!

ألتصق بالحق، فلا يجد الباطل له في مكاناً.

❖ أشتهي خلاص العالم كله،

أصلب معك، لأحيا بك وفيك.

لا أدين أحداً، ولا أستخف بإنسانٍ.

لكنني لا أشارك في عمل الظلمة.

هَبْ لي مع البساطة روح الحكمة والتمييز.

أترقّب بكل ضعيفٍ، كأني ضعيف لأريحه.

لكنني لا أنحدر معه في الضعفِ.

❖ نَبَّتني فيك يا إلهي، النور الحقيقي.

بك أستتير وأحملك إلى كل قلبٍ.

فلا أستعذب فساد الظلمة!

بل أتهلل بنورك، وأتمتع بالاتحاد معك.

❖ متى أرى العالم كله ملتصقاً بك؟

متى أرى الأرض تصير بك سماءً جديدة؟

متى أرى البشرية بك تصير شبه ملائكة؟

لك المجد يا مخلص العالم، مُجِب البشرية!

الأصحاح التاسع عشر

عودة إلى اورشليم

ما ورد في هذا الأصحاح لم يرد في الأسفار الأخرى، بما فيه لقاء يهوشافاط مع ياهو النبي [١]- [٣]، وإصلاحاته القضائية، بجانب تعليم الشعب شريعة الرب بواسطة اللاويين تحت إشراف رئيس الكهنة.

لم يذكر أخبار الأيام العمل الثاني الخطير في عدم أمانته، فبعد اتحاده مع أخاب ضد أرام، يعود فينجد مع يهورام بن أخاب ضد مواب (٢ مل ٣).

يا له من قلب أمين ليهوشافاط، فقد طلب أن يستشير الله بعد ما سلك حسب إرادته الذاتية في تحالفه مع أخاب ومصاهرته له دون استشارة الرب.

حلَّ الغضب على يهوشافاط، لكنه في حبه لشعبه لم يرد أن يحلَّ الغضب عليهم. هذا يُدكرنا بكلمات داود النبي عند بيدر أرونا اليبوسي (١ أي ٢١: ١٧).

١. رجوعه بسلام إلى اورشليم
٢. توبيخه على تحالفه مع أخاب
٣. اهتمامه بإصلاح المملكة
٤. تعليماته للقضاة في المحاكم الصغرى
٥. تعليماته للقضاة في المحاكم العليا

١. رجوعه بسلام إلى اورشليم

وَرَجَعَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى بَيْتِهِ بِسَلَامٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [١]

إن كان يهوشافاط قد أخطأ، لأنه صاهر أخاب الشرير، وتحالف معه، فقد أدبه الرب، وتعرّضت حياته للخطر، لكن الله تعطف عليه، وردّه إلى اورشليم سالمًا. لقد حدث له أفضل مما كان يتوقّع، لأجل نقاوة قلبه، وشوقه الحقيقي للالتصاق بالرب، وجهاده من أجل خلاص شعبه.

هكذا يليق بنا بالرغم من ضعفاتنا أن نشتهي اللقاء مع الله، ونطلب منه أن يجعل الخطية مرة في فما حتى بالتأديبات الصادرة عنه كمحبٍ لخلصنا ومجدنا، فنقتود قلوبنا إلى اورشليم العليا في سلام حقيقي، تمارس عريون السماء.

من يقدر أن يصف مشاعر يهوشافاط وقد عاد إلى أورشليم مدينة الله، حاسبًا إيَّها مدينةً وبيته. يشتهي الله أن يُقِيمَ من أعماقك، ليس فقط فردوسًا سماويًا، وإنما مدينةً مُقدَّسةً له، وهيكلًا خاصًا به، فيجعل من أعماقك أورشليم جديدة، بها هيكل ليس من صنْعِ يدٍ بشريَّةٍ، بل من عمل يديه هو. في كل العصور صارت زيارة أورشليم والأراضي المقدسة التي سار فيها السيد المسيح وتَمَّ عمله الخلاصي شهوة قلب المؤمنين، غير أن القديس جيروم، وهو لا يُقلُّ من قُدسيَّة هذه الأماكن المقدسة ينطلق بأنظارنا نحو أورشليمنا الداخلية.

❖ **بلوغ القصر السماوي أسهل من الوصول إلى بريطانيا أو أورشليم، لأن ملكوت الله داخلكم.**

أنطونيوس وطغمت رهبان مصر وما بين النهرين وبنطس وكبادوكية وأرمينيا لم ينظروا أورشليم، لكن انفتح لهم باب الفردوس.

الطوباوي هيلاريون مع كونه من مواطني فلسطين وسكانها لم ينظر أورشليم سوى يومًا واحدًا، إذ لم يرغب وهو قريب من الأماكن المقدسة أن يتجاهلها، وفي نفس الوقت لم يرد أن يحصر الله بحدود مكانية محلية¹.

❖ **تأمل كيف أن هذا الهيكل هو مثال للهيكل السماوي، لأن نجمًا يفضل عن نجم في المجد، هكذا أيضًا في القيامة من الأموات (١ كو ١٥: ٤١-٤٢).** طوبى للإنسان الذي يستحق أن يوجد على الدرجة الخامسة عشرة في أورشليم السماوية في الهيكل، فإن هذا العلو سام، أظنه هو موضع الرسل والشهداء.

إذن لثُصِّلْ لكي نتأهَّل فنوجد على الأقل على أقل درجات هيكل الرب.

إنهم يقفون على درجات الهيكل المختلفة لكي يترنموا معًا في وحدة بمزمورٍ واحدٍ وتشكراتٍ واحدة للرب.

الأماكن مختلفة، لكن تسبيح الرب (تمجيده) واحد.

هذا بخصوص أورشليم السماوية، أما بالنسبة للحاضر، فإننا قد وُجِدنا في هذا العالم لكي نتأدَّب كما أظن كل يومٍ من أيام حياتنا.

يوجد أحدنا على الدرجة الأولى، فليتشجَّع ليلبغ الدرجة التالية. يوجد آخر على الدرجة الثانية، لا يفقد رجاءه في بلوغ الدرجة الثالثة!

طوبى للشهداء الذين تأهَّلوا أن يصعدوا أعلى الدرجات في القمة عينها، أما نحن إذ نعيش في هذا

¹ Epistle 58:3.

العالم لا نقدر أن نصعد كل الدرجات دفعة واحدة من أسفل الدرجات إلى أعلاها، إنما يليق بنا ألا نتوقّف عند البقاء على الدرجة الأولى، بل لنصارع لنبلغ الدرجات العليا...
أظن هذا هو معنى سلم يعقوب الذي رآه حينما هرب يعقوب من عيسو أخيه^١.

القديس جيروم

❖ أغلقت أبوابك يا أورشليم، وليبق عريسك في داخلك.

سدّي نوافذك، لتستمر رائحة أطيايه.

عندما تُفتح أبوابك وتنتظرين إلى هنا وهناك، تطليبيه وليس هو (نش ٣: ٢). تصبغين وجنتيك

بالدموع فلا تجدينه...

احرسي أبوابك باحتراز، لئلا يعرض لك ثانيةً ما حلّ بك سابقاً (يو ١٩: ١٧). فإن لم تفعل هذا
تُسلميه إلي أيدي الوثقين^٢.

❖ طوبى لمن كان مذبحة في ذاته، وقدس أقداسه في داخله؛ هناك يسمع الله الذي يخيف كل
العصاة بحركة منه ويرعبهم.

هناك يُرى الغمام ذو النور الوفير الإشراق. فيه هو مختبئ عن كل رؤية وعن كل الناظرين.

ذاك هو البلد المقدس، حيث يُرى قدوس القديسين أحياناً بإشراق إشعاعاته، ويخفي رؤيته أحياناً
في ظلمة مجده بتلك الرؤية التي هي أرفع من كل رؤية ومعرفة^٣.

الشيخ الروحاني (يوحنا الذلياتي)

٢. توبيخه على تحالفه مع أخاب

وَحَرَخَ لِلْقَائِهِ يَا هُوَ بَنُ حَنَانِي الرَّائِي،

وَقَالَ لِلْمَلِكِ يَهُوشَافَاطَ:

أَتَسَاعِدُ الشَّرِيرَ، وَتُحِبُّ مُبْغِضِي الرَّبِّ؟

فَلَذَلِكَ الْعُضْبُ عَلَيْكَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. [٢]

إن كان يهوشافاط قد أخطأ بمصاهرته لأخاب الذي يُوصَف بأنه عدو الله، فإن ياهو النبي مُصَمِّم

^١ On Ps. hom 41.

^٢ رسالة ٤: ٣٦.

^٣ رسالة ٦: ٣٦.

أَنْ يَرُدَّهُ لِلسُّلُوكِ بِحِكْمَةٍ وَتَقْوَى. لَقَدْ أَكَّدَ لَهُ النَّبِيُّ أَنَّ الغَضَبَ الإِلَهِيَّ سَيَحِلُّ بِبَيْتِهِ بِسَبَبِ تَحَالْفِهِ مَعَ أَحْآبِ الشَّرِيرِ.

لماذا لم يرسل الله ياهو للملك يهوشافاط قبل أن يصاهر أَحْآبَ ويلتصق به؟ لكي يؤكد لنا أنه يقدر حرية إرادة الإنسان، ولكي بتذوقه مرارة الالتصاق بالأشرار يتعلَّم درسًا، ويكون مثالاً للشعب. هذا وأراد الله أن يؤكد أن رجال الله مثل يهوشافاط لهم أخطاؤهم.

وَبَيَّحَ حَنَانِي وَالِدَ يَاهُو الْمَلِكِ آسَا (١٦ : ١٠)، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِسُجْنِهِ، وَرَأَى يَاهُو أَبَاهُ فِي السُّجْنِ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَخْفَ أَنْ يُوَيِّخَ يَهوشافاط الْمَلِكِ، فَكَلِمَةُ اللَّهِ لَا تُقَيَّدُ. سَمِعَ الْمَلِكُ لَهُ، لَكِنَّهُ شَرِبَ مِنْ مِصَاهِرَتِهِ لِأَحْآبِ.

❖ "المُسايرِ الحِكماءِ يَصِيرُ حَكِيمًا، وَرَفِيقِ الْجَهالِ فَيُعْرِفُ (يُضِرُّ)" (أم ١٣ : ٢٠). إذ يليق بنا ألا نجري مع لص، ولا نجعل نصيبًا مع زانٍ، إذ يقول داود: "ألا أبغض مبغضيك يا رب، وأمقت مقاوميك، بغضًا تامًا أبغضتهم، صاروا لي أعداء" (مز ١٣٩ : ٢١-٢٢). يُويِّخُ اللهُ يَهوشافاطَ لصدافته مع أَحْآبِ، وتخالفه معه ومع أخزيا بواسطة ياهو النبي: "أتساعد الشرير وتحب مبغضي الرب، فلذلك الغضب عليك من قبل الرب".¹

الدسقولية

للأسف لم يقطع يهوشافاط علاقته بأحآب وأهل بيته. لقد كشف لنا سفر الملوك ما حلَّ بأحآب وكل أهل بيته.

عَيرَ أَنَّهُ وَجِدَتْ فِيكَ أُمُورٌ صالِحَةً،

لأنَّكَ نَزَعْتَ السَّوَارِي مِنَ الأَرْضِ،

وَهَيَّأتَ قَلْبَكَ لِطَلْبِ اللَّهِ. [٣]

حقًا لقد أخطأ يهوشافاط، لكن ليس لنا أن ندين، فقد رجع يهوشافاط عن خطئه، وضاعف جهاده لخدمة الرب.

يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بولسُ مِنْ إِدانَةِ الساقطين، قائلاً: مَنْ أَنْتِ الَّذِي تَدِينِ عَبدَ غَيْرِكَ. هُوَ لِمَوْلَاهُ يَثْبِتُ أَوْ يَسْقُطُ، وَلَكِنَّهُ سَيَثْبِتُ، لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَثْبِتَهُ" (رو ١٤ : ٤).

كما انتفع يهوشافاط من توبيخ النبي، انتفع أيضًا من مدحه له، فازداد في عمل الإصلاح.

¹ Constitutions of the Holy Apostles, Book 6: 3: 18.

بالرغم من أن الله لم يُسرَّ بما فعله يهوشافاط، غير أنه لم يطرحه خارجاً، إذ يذكر له أنه أزال العبادة الوثنية بقلبٍ ملتهبٍ غيرة على عبادة الله، وأنه طلب الله.

❖ الله وحده يدين، له أن يُبَيِّنَ وله أن يدين، هو يعرف حال كل واحدٍ منا، وإمكانياتنا وانحرافاتنا ومواهبنا وأحوالنا واستعداداتنا، فله وحده أن يدين حسب معرفته الفريدة. إنه يدين أعمال الأسقف بطريقةٍ، وأعمال رئيسٍ بطريقةٍ أخرى، يحكم على أب دبر أو تلميذ له بطريقةٍ مغايرة، الشخص القديم (الذي له خبراته ومعرفته) غير طالب الرهبة، والمريض غير ذي الصحة السليمة. من يقدر أن يفهم كل هذه الأحكام سوى خالق كل شيءٍ والعارف بكل الأمور؟

الأب دوروثيوس

❖ سيحكم الله في الوقت المناسب. فإن القاضي يُهان متى نطق خادم بحكم قبل معرفة قرار الحكم الذي للقاضي¹.

❖ ابسط رداءك على المُذنب واستره، إن كنت لا تقدر أن تحتل وتضع أوزاره على نفسك.

مار إسحق السرياني

❖ جلب حام بن نوح على نفسه اللعنة، لأنه ضحك عندما رأى عورة أبيه. أما اللذين سترًا عورة أبيهما فنالا البركة².

القديس أمبروسيوس

٣. اهتمامه بإصلاح المملكة

لم يُسجَل لنا السفر رد فعل يهوشافاط للتحذير النبوي، غير أن يوسيفوس يعتقد بأن إصلاحاته الأخيرة تُعلن إيجابياً عن قبوله للتحذير، ومحاولة إصلاح ما سقط فيه. يقول يوسيفوس [عندئذٍ لجأ الملك إلى تقديم الشكر وذبائح لله، كما انطلق إلى كل البلاد التي تحت سلطانه، وعلمَّ الشعب الشرائع التي أعطاهها الله لموسى، وأيضاً العبادة الواجب تقديمها لله³].

وَأَقَامَ يَهُوشَافَاطُ فِي أُورُشَلِيمَ.

ثُمَّ رَجَعَ وَخَرَجَ أَيْضًا بَيْنَ الشَّعْبِ مِنْ بَثْرٍ سَبْعٍ إِلَى جَبَلِ أَفْرَايِمَ،

¹ CSEL.

² للمؤلف: الحب الرعوي، إدانة أبي الكاهن.

³ Antiq. 9:1:1.

وَرَدَّهُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمْ. [٤]

تلامس يهوشافاط مع حنو الله عليه بالرغم من أخطائه، لذلك قَبِلَ التوبيخ برضى، ولم يتنمر ولا قاوم الله كما فعل أبوه، بل حسب تأديب الرب وتوبيخه له نوعًا من الرحمة الإلهية، لهذا عاد إلى اورشليم، ثم خرج إلى الشعب وردهم إلى الرب إله آبائهم. انطبق عليه قول سليمان الحكيم: "وَبُخَّ حَكِيمًا فَيَزِدَادُ حِكْمَهُ، وَيَقْبَلُ التَّحْذِيرَ" (أم ٩: ٨-٩). إن كان قد طلب من الكهنة واللاويين والرؤساء تعليم الشعب، فقد خرج بنفسه ليطمئن أن العدالة تُطَبَّقُ عمليًا في كل مكان. انطلق من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال.

لعله بذل كل جهده أن يرد الشعب من بئر سبع في الجنوب إلى جبل أفرام في الشمال إلى الرب إله آبائهم، وحسب ذلك تكفيرًا عن زيارته لأخاب.

ربما تَعَثَّرَ الشعب من مصاهرة يهوشافاط الصالح لأخاب الشرير، فانحرف البعض إلى عبادة الأوثان، لذلك وضع في قلبه أن يضاعف مجهوداته لإرجاعهم للرب. هكذا يليق بنا إن سَبَّنا عثرة لأحدٍ أن نبذل كل الجهد لإصلاح هذا الخطأ.

❖ إنه يحثنا ألا نترك الأمر كله للصلوات المُقَدَّمة عنا دون أن نساهم نحن في شيءٍ من جانبنا.

انظروا كيف يبرز دوره هو، ألا وهو الرجاء مصدر كل صلاح. وكما يقول النبي: "لتكن رحمتمك يا رب علينا، إذ نترجأك" (مز ٣٣: ٢٢). وكتب في موضع آخر: "اعتبروا الأجيال القديمة وانظروا، هل تَرَجَّى أحد الرب فخرى؟ (ابن سيراح ٢: ١٠). مرة أخرى يقول الطوباوي نفسه: "الرجاء لا يخزى" (رو ٥: ٥). هذا هو رجاء بولس، الرجاء الذي لن يخزى قط!...

ألا تنتظروا عظمة الرجاء في الله؟ يقول: مهما حدث لن أخزى، فإنهم لن يسودوا عليّ، بل بكل جرأة كما في كل حينٍ كذلك يتعظَّم المسيح في جسدي".

حقًا لقد تَوَقَّعُوا أن يُسَقِطُوا بولس في هذا الفخ، وأن يُطْفِئُوا كرازة الإنجيل كما لو كان لمكرهم أية قوة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤ . تعليماته للقضاة في المحاكم الصغرى
وَأَقَامَ قُضَاةً فِي الْأَرْضِ فِي كُلِّ مَدِينٍ يَهُودًا الْمُحَصَّنَةَ،

¹ Homilies on Philippians, homily 3.

فِي كُلِّ مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ. [٥]

سبق أن أرسل يهوشافاط مُعَلِّمِينَ للشعب من رؤسائه كما من الكهنة واللاويين (١٧: ٧-٩)، الآن أقام قضاة جددًا، ربما بسبب وجود عجز في عددهم، وأرسل هيئات قضائية ثابتة في المدن الصغيرة والقرى، وأيضًا في أورشليم والمدن الكبيرة. غاية هذه الهيئات، الإشراف على تنفيذ الشرائع التي تَعَلَّمَهَا الشعب، وردع فاعلي الإثم.

ربما وُجِدَ قبل ذلك قضاة، لكنهم أهملوا واجباتهم، أو استخف الشعب بهم، لذلك وضع نظامًا جديدًا للقضاء بمهام جديدة. فكانت مسئولية القضاة:

أ. حَفِظَ الشعب في عبادة الله.

ب. معاقبة الذين يكسرون الشريعة والقوانين.

ج. فض النزاعات بين الشعب.

وَقَالَ لِلْقَضَاءِ: انظُرُوا مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ،

لَأَنَّكُمْ لَا تَقْضُونَ لِلإِنْسَانِ بَلْ لِلرَّبِّ،

وَهُوَ مَعَكُمْ فِي أَمْرِ الْقَضَاءِ. [٦]

حَدَّرَ الملك القضاة من الحُكْمِ حسب هواهم، وليس حسب الرب: "انظروا ما أنتم فاعلون، لأنكم لا تقضون للإِنسان بل للرب، وهو معكم في القضاء."

طلب منهم أن يسلكوا بروح التقوى: "تكن هيبة الرب عليكم". كما طلب منهم العدالة، فليس عند الرب ظلم ولا محاباة ولا رشوة. أكد لهم الملك الالتزام بالأمانة وذلك للآتي:

أ. إنهم مُفَوَّضُونَ من الله لا الناس، فهم خُدَّامه [٦].

ب. عَيْنَ الرب عليهم، وهو معهم في أمر القضاء [٦].

ج. الله هو قائدهم، ومثلهم الأعظم في العدالة، فليس عنده ظلم ولا محاباة ولا رشوة [٧].

د. كل خطأ يرتكبه في القضاء، يُحَسَبُ إثمًا ضد الرب نفسه [١٠].

وَالآنَ لِتَكُنْ هَيْبَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ.

اخْذَرُوا وَافْعَلُوا.

لَأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ الرَّبِّ إِلَيْنَا ظَلْمٌ وَلَا مُحَابَاةٌ وَلَا ارْتِشَاءٌ. [٧]

اختبر يهوشافاط كيفية التعامل مع الله. فإن من يكرم الرب يكرمه الرب، ومن يهابه يعطيه مهابة

أمام الآخرين. ومن يقرض الرب خلال المساكين يرد له القرض مضاعفًا. بهذا المبدأ طلب الملك من القضاة أن يسلكوا بمهابة، لا باستخدام سلطانهم البشري وإصدار أوامر مُشَدَّدة، إنما إذ يخافون الرب تحلُّ مهابة الرب عليهم.

يكشف حديث الملك للقضاة عن قلبه المملوء حبًا وإخلاصًا للرب مع مخافة الرب.

❖ تحوي مخافة الرب كل تلك المتطلبات (للفرح المستمر). لأن الإنسان الذي يخاف الرب كما يليق، ويثق فيه، يجمع كل مصادر السعادة، ويقتني ينبوع الكامل للبهجة. كما أن نقطة ماء تسقط في محيط مُتَّسِعٍ سرعان ما تختفي، هكذا مهما حلَّ بمن يخاف الرب يتبدد ويزول في محيط الفرحة الهائل. حقًا إنه لأمر عجيب للغاية، فإنه مع وجود ما يُسبِّب الحزن، تجد الإنسان متهللاً. فإنه إذ لا يوجد شيء ما يجلب حزنًا، فإن هذا المرَّ يكون بلا قيمة عنده مقابل تمتعه بالفرح الدائم¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لأن قايين لم يخف الله طوعًا،

ملكته المخافة عليه كرهًا،

وأصبح مرتعبًا، هائمًا على وجه الأرض،

وتحت عذاب الخوف، كان يرجو الله أن يسمح لأي إنسان يقتله،

لكي يتخلص من هذه الحياة المملوءة خوفًا ورعبًا!

القديس مار فيلوكسينوس

٥. تعليماته للقضاة في المحاكم العليا

وَكَذَا فِي أُورُشَلِيمَ، أَقَامَ يَهُوشَافَاطُ مِنَ اللَّاَوِيِّينَ وَالْكَهَنَةَ،

وَمِنْ رُؤُوسِ آبَاءِ إِسْرَائِيلَ لِقَضَاءِ الرَّبِّ وَالدَّعَاوِي.

وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٨]

أقام الملك محكمة عليا في أورشليم العاصمة، تُرْفَع إليها الحالات المستعصية أو من يشعر بظلم أو جورٍ حلَّ به في محكمة صغرى. أقامها في أورشليم حتى يمكنه التمدُّل بنفسه فيها إن كان الأمر خطيرًا.

يُمَيِّز الملك بين "قضاء الرب" و"الدعاوي"؛ ولعلَّه يقصد بالأولى الأمور الخاصة بشرعية الرب

¹ Concerning the Statues, homily 18.

مباشرة، والثانية تخص الخلافات بين الأفراد.

وَأَمْرُهُمْ: هَكَذَا تَفْعَلُونَ بِتَقْوَى الرَّبِّ بِأَمَانَةٍ وَقَلْبٍ كَامِلٍ. [٩]

مع اهتمام الملك بانتشار العدل في مملكته، ورفع كل ظلمٍ ومحاباةٍ، ركَّز في حديثه مع القضاة على التقوى بأمانة ونقاوة القلب أو كماله.

مع سقوط الملك في ضعفات خطيرة، مثل مصاهرته لأخاب ملك إسرائيل الشرير، غير أن تصرُّفاته وأحاديثه مع القضاة تكشف عن سمو حياته الروحية واستقامة مفاهيمه ونقاوة قلبه.

❖ إنه ليس دنس الجسد بل دنس النفس الذي يفر الله منه. إذ يقول: "طوبى للأتقياء"، فهل يقول هذا عن الجسد؟ لا بل "أنقياء القلب، فإنهم يعاينون الله" (مت ٥ : ٨). وماذا يقول النبي: "قلباً نقياً أخلقه فيّ يا الله" (مز ٥١ : ١٠). وأيضاً: "أغسل قلبي من الشر" (إر ٤ : ١٤).^١

❖ إني أرى كثيرين يقرعون صدورهم قائلين: أخطأنا، ويظنون أن قلوبهم تنطق معهم بهذا اللفظ. أقول لهم ولأمثالهم: إنه ليس كل من يقول أخطأت، أخطأت، ينال الغفران، كما أنه ليس كل من يقول يا رب يا رب يرث ملكوت السماوات (مت ٧ : ٢١).

لأنني أرى في الكتاب المقدس أن يهوذا قال أخطأت أمام كهنة اليهود وشيوخهم (مت ٢٧ : ٣). كما قالها شاول الملك أمام صموئيل (١ صم ١٥ : ٢٤-٣٤)، وقالها أيضاً داود النبي أمام ناتان، إلا أن واحداً من هؤلاء فقط سمع الجواب الصريح بالغفران وهو داود (٢ صم ١٢ : ١٣). وذلك لأن داود قالها من القلب حقاً (مز ٥١ : ١)، وهو ثابت في صلواته ونسكه كما هو واضح في سفر المزامير.

❖ "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ٨ : ٦). لاحظوا هنا أيضاً أن المكافأة روحية، فهو يدعو من بلغوا قمة الفضائل ولم يُضمروا في نفوسهم أي شر "أنقياء"، وكذلك من يضبطون أنفسهم في كل شيء، ويتعففون عن الشهوات. لأنه ما من شيءٍ نحتاج إليه بالأكثر لنُعائِن الله مثل هذه الفضيلة الأخيرة. حيث يقول القديس بولس الرسول أيضاً: "اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب ١٢ : ١٤).^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا تجعل فمك مستعداً، بل قلبك... إذ نقبله نعرف ما نفكر فيه. نقبل فقط القليل، وننتعش في

^١ Homilies on 2 Timothy, 6.

^٢ Sermon On the Mount. تعريب: دكتور جرجس كامل يوسف

القلب. ما يقوتنا ليس ما نراه بل ما نؤمن به. لهذا فنحن لا نطلب ما يمسُّ حواسنا الخارجية، ولا نقول: "ليؤمن الذين يرون بأعينهم ويلمسون بأيديهم الرب نفسه بعد قيامته إن كان ما يُقال هو حق إننا لم نلمسه، فلماذا نؤمن؟"¹

❖ غَيَّرَ القلب، فتنغَيَّرَ الأعمال! اقتلع الشهوات واغرس المحبَّة، فكما أن الشهوة (محبَّة المال) أصل كل الشرور (١ تي ٦: ١٠) هكذا المحبَّة أصل الصلاح.^٢

القديس أغسطينوس

❖ قلب الإنسان ليس بالأمر الصغير؛ فإنه يقدر أن يحتضن هذا كله.

العلامة أوريجينوس

وَفِي كُلِّ دَعْوَى تَأْتِي إِلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمُ السَّاكِنِينَ فِي مُدُنِهِمْ بَيْنَ دَمٍ وَدَمٍ.
بَيْنَ شَرِيعةٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ جِهَةِ فَرَائِضٍ أَوْ أَحْكَامٍ حَذَّرُوهُمْ.
فَلَا يَأْتُمُوا إِلَى الرَّبِّ، فَيَكُونُ غَضَبٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى إِخْوَتِكُمْ.
هَكَذَا افْعَلُوا فَلَا تَأْتُمُوا. [١٠]

أعطى اهتمامًا خاصًا بالحكم في قضايا القتل، أو سفك الدم لخطورتها.

لا يقبل الله سفك دم إنسان، خاصة إن كان بريئًا. فإن من يسفك دم أخيه في البشرية، يكون كمن أساء إلى قلب خالقه مُحِبِّ البشرية.

لا يطيق الله أن يرى الدم البريء مسفوكًا بلا ذنب، إذ يقول لقاين: "صوت دم أخيك صارخ من الأرض" (تك ٤: ١١)، ولا يحتمل حتى سفك دم الشرير، إذ يقول: "كل من قتل لقاين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقاين علامة، لكي لا يقتله كل من وجده" (تك ٤: ١٤-١٥). تظهر كراهيته لسفك الدم قوله لداود النبي المحبوب لديه: "قد سفكت دمًا كثيرًا وعملت حروبًا عظيمة، فلا تبني بيتًا لاسمي" (أي ٢٢: ٨).

في شريعة مدن الملجأ (عد ٣٥: ٢٩-٣٤) أراد الله حماية من يتسبب في قتل إنسانٍ عن غير عمدٍ، وهذا لا يعني التهاون مع جريمة القتل، لذلك أوضح جريمة القتل وخطورتها.
أ. إن جريمة القتل لا تثبت بشهادة إنسانٍ واحدٍ، بل أكثر من شاهد، وعقوبتها الإعدام.

¹ Sermons on N.T. Lessons, 62:5.

² Ser. on N. T. hom 22.

ب. لا يمكن قبول فدية عن نفس القاتل المُذنب للموت، حتى لا يظن الغني بأمواله قادر أن يقتل ويدفع فدية، إنما من يقتل يُقتل.
ج. التهاون في عقاب القاتل، يُحسب تدنيساً للأرض التي يقيم فيها، والرب نفسه ساكن في وسطها.

وَهُودًا أَمْرِيَا الْكَاهِنُ الرَّأْسُ عَلَيْكُمْ فِي كُلِّ أُمُورِ الرَّبِّ،
وَزَيْدِيَا بَنُ يَشْمَعِيَلِ الرَّئِيسِ عَلَى بَيْتِ يَهُودَا فِي كُلِّ أُمُورِ الْمَلِكِ،
وَالْعُرَفَاءُ اللَّادِيُونَ أَمَامَكُمْ.
تَشَدَّدُوا وَأَفْعَلُوا،

وَلْيُكِنِ الرَّبُّ مَعَ الصَّالِحِ. [١١]

أقام رئيس الكهنة رئيساً للمحكمة العليا، غالباً في الشرائع الدينية وأمور العبادة، ورئيس الوزراء زديا في الأمور الخاصة بالملك.

من السمات الجميلة التي تزيّن بها يهوشافاط، تشديد النفوس وتشجيعها للعمل بروح القوة والرجاء في الله الصالح العامل فيهم وبهم.

لقد تَعَلَّم من الرب نفسه أن يسند العاملين معه بقوله: تشددوا، اعملوا، فإن الرب الصالح يعمل بكم. حديثه هذا يحمل دعوة الرب ليشوع، قائلاً له: "تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ لا ترهب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" (يش ١: ٩).

وينفس الروح يقول لإرميا النبي: "لا تَقُلْ إني وُلِدْتُ... لا تخف من وجوههم لأنني أنا معك لأنقذك يقول الرب... فيحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنني أنا معك يقول الرب لأنقذك" (إر ١: ٧-٨، ١٩).
بقدر ما يختفي الخادم في الله لا يخاف غيره، إذ يبقى مطمئناً فيه، وكما يقول القديس يوحنا الدرجي:
[الذي صار خادماً لله يخاف سيده وحده، أما من لا يخاف سيده، فغالباً ما يخاف حتى من خياله].^١

^١ Ladder.

من وحي ٢ أي ١٩

رُدُّني إلى أورشليم العليا!

❖ كم تهلَّلتُ نفس يهوشافاط حين رجع إلى مدينتك المقدسة،

حسب مدينتك أورشليم بيتًا له، يستريح فيه.

فإنه لن يستريح إلا في أحضانك.

في غباوة صاهر أخاب الشرير.

تُرى هل أغرته انتصاراته، أم أراد اتِّحاد المملكتين؟!

صداقته مع الشرير كادت تقضي عليه.

لكن من أجل بساطته ونقاوة قلبه أنقذته،

وعاد إلى أورشليم سالمًا!

❖ من أجل محبتك له ولأجل خلاصه،

أرسلت إليه ياهو بن حناني يُوبِّخه،

في تواضعٍ سمع له، لأنه إنسان الله.

بذل كل الجهد، لنزع السواري من البلاد.

وسلِّم قلبه، لكي تُهَيِّئَه، فيطلبك!

❖ أقام قضاة، لا لِيُنْفِذُوا أوامره،

إنما ليقضوا لك وليس لإنسانٍ ما.

دعاهم إلى مخافتك المقدسة،

لِيَتَمَتَّعُوا بهيبتك عليهم!

سألهم أن يقتدوا بك، يا أيها العجيب في برِّه!

فلا يظلموا أحدًا، ولا يُحَابُوا ولا يَقْبَلُوا رشوة!

❖ سألهم أن يسلكوا بالنقوى والأمانة وكمال القلب.

فتعمل أنت فيهم وبهم، وتسود مخافتك وسط الشعب.

شدَّد عليهم أن يحفظوا شريعتك،

ودعاهم للطاعة لوصيِّتك.

وحذّرهم من الإثم والمعصية!

❖ كما شددت يشوع ودعوته ألا يرهب إنسانًا.

أعلنت له مَعِيَّتِكَ أَيْنَمَا ذَهَبَ.

هكذا شدد يهوشافاط العاملين معه.

أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّكَ تَشْتَاقُ أَنْ تَرافِقَهُمْ يَا أَيُّهَا الصَّالِحُ!

❖ هَبْ لِي يَا رَبِّ قَلْبًا نَقِيًّا كِداود وحفيده يهوشافاط.

ليعمل روحك فيّ، فأشتهي أن يكون الكل قادة.

تملأ قلبي رجاءً وفرحًا وسلامًا،

فَأُقَدِّمُ مِمَّا لَكَ لِإِخْوَتِي!

❖ أعمالك يا سيدي عجيبة.

تُؤَيِّمُ مِنَ الْخَطَاةِ قَدَّيسِينَ،

ومن الضعفاء جبابرة بأس.

وترفعهم من المزلّة، ليجلسوا مع أشراف أشراف شعبك.

❖ لك المجد يا من تعمل في كل الأجيال،

لنُؤَيِّمُ بَقِيَّةَ مُقَدَّسَةٍ تَشْهَدُ لَكَ.

وسفراء لك يسلكون بروحك القدوس!

لك المجد يا من أعدت يهوشافاط إلى أورشليم سالمًا!

هَبْ لِقَلْبِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أُورْشَلِيمِكَ الْعَلِيًّا نَقِيًّا!

الأصحاح العشرون

الغزو الأجنبي والخلاص منه بالتسبيح

- يُعتَبَرُ هذا الأصحاح مقالاً عملياً عن النصرَة على عدو الخير بكل طاقاته التي تبدو جبارة وعنيفة خلال التسبيح لله. وفي نفس الوقت يُقَدِّم لنا مفهوماً سليماً للتسبيح، ألا وهو:
١. مع كل جهادٍ ونصرةٍ، نتوقَّع هياج العدو بلا سببٍ.
 ٢. التسبيح ليس عملاً روتينياً جافاً، إنما يصدر عن قلبٍ مُلتهبٍ بحُبِّ الله، يطلب الله نفسه ليتمتَّع بالشركة معه.
 ٣. التسبيح، حتى في الحجرة الخاصة، يحمل تناغماً وحباً للجماعة المقدسة.
 ٤. نُسَبِّحُ الله في إيمانٍ و يقينٍ بعمل الرب بنا وفينا.
 ٥. يليق التسبيح والشكر بعد نوال النصرَة أيضاً.

الحرب مرة أخرى

تَوَقَّفْنَا في الأصحاح السابق عند انشغال الملك يهوشافاط بإصلاح مملكته، إذ نزع الأوثان والمرتفعات، واهتم بتعليم الشعب وصايا الله وناموسه، وتزويدها بأجهزة العدالة، وتقويم العبادة، فحلَّ السلام والرخاء في مملكته، وخضعت الممالك المجاورة له.

لكن إذ سلك في غير أمانة لله، حيث تحالف مع أرام ضد إسرائيل أخيه، أعلن له ياهو النبي أن غضب الله سيحلُّ عليه. استغل عدو الخير فرصة سقوطه في عدم الأمانة، فأثار عليه موآب يقاومه لأنه صاهر إسرائيل، وكانت هناك عداوة بين موآب وإسرائيل.

دخل في ضيقةٍ شديدةٍ بسبب تكاتف بعض الأمم الوثنية ضده، لكن الله تَمَجَّد في وسط الضيق، وتبعه خلاصٌ مجيدٌ كجزاءٍ جزيلٍ لتقواه واتكأله على الله مُخَلِّصه بالرغم من ضعفاته.

أخيراً، انتهت حياته، ولكن ليست بدون شوائب.

كل ما ورد في هذا الأصحاح باستثناء الآيات ٢١-٢٤، ورد في الملوك الأول.

١. الغزو الأجنبي ٢-١.
٢. الالتجاء إلى الله ٣-١٣.
٣. إرسال نبي يؤكد النصرَة ١٤-١٧.
٤. التسبيح سلاح النصرَة ١٨-٢١.

٥. هزيمة الأعداء ٢٢-٢٥.
٦. ذبيحة الشكر ٢٦-٣٠.
٧. ختام حياة يهوشافاط ٣١-٣٧.

١. الغزو الأجنبي

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَى بَنُو مُوَابَ وَبَنُو عَمُونَ وَمَعَهُمُ الْعَمُونِيُّونَ،

عَلَى يَهُوشَافَاطَ لِلْمُحَارَبَةِ. [١]

فوجئ يهوشافاط بتحالف هذه الأمم ضده ودخولهم بلاده، ولا نعلم سبب هذه الخصومة المفاجئة. غالباً لم يحتل عدو الخير ما فعله يهوشافاط بكل جدية للإصلاح.

اتحد مع بني موآب في الحرب بنو عمون الذين أدلهم داود وكسرهم قبلاً، كذلك بعض من أدوم (الإيميون *Meunim, Moanites* الذين من منطقة أدوم أي جبل سعير [تث ٢: ١٠]).

فَجَاءَ أَنَاسٌ، وَأَخْبَرُوا يَهُوشَافَاطَ:

قَدْ جَاءَ عَلَيْكَ جُمُهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ عِبْرِ الْبَحْرِ مِنْ أَرَامَ،

وَهَا هُمْ فِي حَصُونِ تَامَارَ (هِيَ عَيْنُ جَدِي). [٢]

قيل إنهم جاءوا من عبر البحر، أي البحر الميت، حيث توجد سدوم، ويبدو أنهم مروا على مملكة الشمال المقيمين في عبر الأردن، وسمحوا لهم بالسير عبر حدودهم.

يرى البعض أن ما ورد في ع ٢ "أرام" جاء في بعض النسخ "أدوم". ففي العبرية الكلمتان "أرام" و"أدوم" يقتربان جداً، ويسهل على الناسخ أن يمزج بينهما. ذكر "عين جدي" يجعل أدوم هي أقرب إلى الصحة.

لقد مدَّ يهوشافاط يده لاسترداد راموت جلعاد لمملكة الشمال، وتعرَّض هو نفسه للقتل.

كانت الأمم المجاورة تخاف يهوشافاط (١٧: ١٠)، غير أن تحالفه مع أخآب هزَّ شخصيته أمامهم، وشعروا أن إلهه لا يعود يسنده، لأنه لا يسرُّ به بسبب التصاقه بأخآب الوثني. وربما هذا حدث بعد موت أخآب مباشرة، واستلام أخزيا عرش مملكة الشمال.

حصون تامار: اسم قديم لعين جدي، وكانت في يهوذا بقرب بحر لوط عند منتصف البر الغربي

على بعد نحو ميل من الشاطئ.

٢. الالتجاء إلى الله

فَخَافَ يَهُوشَافَاطُ، وَجَعَلَ وَجْهَهُ لِيَطْلُبَ الرَّبَّ،

وَنَادَى بِصَوْمٍ فِي كُلِّ يَهُودًا. [٣]

لم يذكر عنه أنه حشد قواته، الأمر الذي يُحتمل أنه قام به، لكن اهتمامه كان بالأكثر هو حصوله على تأييد الله وتدخله ووقوفه بجانبه، لأنه كان قد أُخبر من النبي عن غضب الله بسبب تصرفاته، وقد أظهر ندمًا على ذلك. لقد خشي لئلا يسقط تحت التأديب، وكأنه صرخ مع أبيه داود طالبًا أنه يقع في يد الله ولا يقع في يد إنسان.

كان من ثمر أخطائه أنه خاف، خاصة وأن الهجوم جاء مفاجئًا له.

عالج يهوشافاط الموقف بحكمة، فقد جعل في المقام الأول الالتصاق بالرب والدخول معه في صداقة. لذلك طلب الرب بمثابرة، واثقًا أن من يطلبه يجده. نادى يهوشافاط بصومٍ في كل يهودا، وعين يومًا للتأمل والصلاة، لكي يشترك الكل، قادة وشعب، في الاعتراف بخطاياهم، وطلب معونة الله. الصوم في مثل هذه المواقف تعبير عن إدانة الإنسان نفسه عما ارتكبه من خطايا، حيث يشعر الإنسان أنه غير مستحق للخبز الذي يأكله، وأن الله بار وعادل حتى إن حرمه منه. كما يُعبر الصوم عن الرغبة الجادة في الامتناع عن الملذات والخطايا.

ربما ما شغل قلب الكاتب ليس ما قام به من حشد جيشه، بل استعداداته الروحية.

❖ الصوم يجعل العاقر تلد أولادًا.

الصوم يصنع الأقوياء.

الصوم يجعل المُشرِّعين حكماء.

الصوم حارس للنفس.

الصوم رفيق أمين للجسد.

الصوم سلاح الشجعان.

الصوم تدريب الرياضيين.

الصوم يصد التجارب.

الصوم يُمهِّد الطريق للتقوى.

إنه رفيق الهدوء وصانع العفة.

الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب.

الصوم يُعلِّم السكينة في وقت السلام

الصوم يُقدِّس النذير^١، ويجعل الكاهن كاملاً. لأنه كيف يمكن للكاهن أن يُصَلِّي بدون صوم؟ لقد كانت ممارسة الصوم أمراً ضرورياً، ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائرية، ولكن أيضاً بالنسبة للعبادة الناموسية^٢.

❖ الصوم هو الذي يقود القديسين إلى الحياة مع الله...

الصوم هو جناح الصلاة لترتفع إلى السماء، وتخرق إلى عرش الله... هو عماد البيوت؛ حاضن الصحة، مُعلِّم الشباب، زينة الشيوخ، صديق الأرواح. لا تستقيم الفضيلة إلاً بالتسكُّ، لأن التسكُّ يلجم الشهوات. والطعام لا ينفع الجاهل، هكذا قال سليمان الحكيم. "لا تهتموا لأجسادكم بما تأكلون" هكذا قال السيِّد أيضاً. ولست أعني بالصوم ترك الطعام الضروري، لأن هذا يؤدِّي إلى الموت. ولكن أعني ترك المأكَل الذي يجلب لنا اللذة، ويُسبِّب تمرُّد الجسد. الصائم الحقيقي هو الذي يتغرَّب عن كل الآلام الجسدية حتى الطبيعية^٣.

القديس باسيليوس الكبير

وَاجْتَمَعَ يَهُودًا لِيَسْأَلُوا الرَّبَّ.

جَاءُوا أَيْضًا مِنْ كُلِّ مَدِينٍ يَهُودًا لِيَسْأَلُوا الرَّبَّ. [٤]

إذ خاف يهوشافاط من تحالف الجيوش الثلاثة ضده، جعل وجهه ليطلب الرب. اقتدى الشعب به، فجاءوا من كل مدن يهوذا يسألون الرب [٤].

جاءوا من كل مدن يهوذا مع عائلاتهم، يعترفون بخطاياهم، ويطلبون الرحمة. جاءوا بأطفالهم الصغار الأبرياء كي ينظر الرب إليهم، كما نظر إلى أطفال نينوى فيما بعد (يون ٤: ١١).

جاءوا إلى بيت الرب، مُتَطَلِّعين إلى الوعد الإلهي "أذناي تكونان مصغيتين إلى صلاة هذا المكان" (١ مل ٧: ١٥).

لا يكف رجال الله عن حثنا على سؤال الرب وطلبه. فهذه هي غاية كل عبادتنا، أن نلتقي مع ربنا يسوع ونطلبه من كل القلب كسرَّ حياتنا.

^١ النذيرون هم جماعة من اليهود مُكرِّسون لله بقسم، وهم يبتعدون عن شُرْب الخمر وعن تناول بعض الأطعمة. من هؤلاء كان شمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان.

^٢ عظتان عن الصوم عن الصوم: ٦: ١.

^٣ راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٠.

"لك قال قلبي: قلت اطلبوا وجهي، وجهك يا رب **أطلب**" (مز ٢٧ : ٨).

"اطلبوا الرب وقدرته التمسوا، وجهه دائماً" (مز ١٠٥ : ٤).

"اطلبوا الرب ما دام يوجد، ادعوه وهو قريب" (إش ٥٥ : ٦).

"اطلبوا الرب فتحيوا، لئلا يقتحم بيت يوسف كنار تحرق ولا يكون من يطفئها من بيت إيل (عا ٥ : ٦).

"اطلبوا الرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حكمه، اطلبوا البر، اطلبوا التواضع لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب" (صف ٢ : ٣).

يرى القديس كبريانوس في النداء "اطلبوا الرب" دعوة لتترك كل شيءٍ لنطلب الرب وملكوته وبره عندئذٍ كل شيءٍ يزداد لنا كقول السيد المسيح نفسه (مت ٦ : ٣١-٣٣)^١.

❖ كيف أطلبك يا رب، فإنني إذ أطلبك يا إلهي أطلب الحياة السعيدة. أطلبك فتحيا نفسي، لأن جسدي يحيا بنفسي ونفسي تحيا بك^٢.

❖ "لا ترفضني يا الله مخلصي" (مز ٢٧ : ٩). لا تستخف بجسارة مانت يطلب الأبدي، لأنك أنت يا الله تشفي الجرح الذي تركته خطيئي.

القديس أغسطينوس

❖ حيث يوجد زمن، تطلعون إلى الخلاص الحقيقي الأبدي، وإذ صارت نهاية العالم على الأبواب حوّلوا أذهانكم بمخافة الرب إلى الله. لا تبتهجوا بسلطانكم الباطل الذي بلا قوةٍ يسيطر في هذا العالم على الأبرار والودعاء... "اطلبوا الرب فتحيوا" (عا ٥ : ٦). اعرفوا الرب حتى إن كان الوقت متأخرًا... آمنوا به، هذا الذي لن يخدعكم. آمنوا بذاك الذي سبق فأخبركم بحدوث كل هذه الأمور. آمنوا بالذي سيهب الحياة الأبدية للذين يؤمنون. آمنوا بذاك الذي بنيران جهنم يوقع عقوبة أبدية على غير المؤمنين^٣.

الشهيد كبريانوس

❖ "انفرح قلوب الذين يلتمسون الرب" (مز ١٠٥ : ٤). ليفرح الرهبان، لأن القلوب التي تطلب الرب تفرح. إن كانت قلوب الذين يلتمسون الرب مملوءة فرحًا، فكم بالأكثر تكون قلوب الذين يجدونه؟

¹ St. Cyprian: The Treatise of Cyprian, Book 1, 21.

² Confession 10:20.

³ To Demetrian, 23.

حقًا إن الذين يجدونه لن يدعوهم يذهب عنهم^١.

القديس جيروم

لم يكن من حق الملك أن يُقَدَّمَ بخورًا أو ذبائح، لكن كان الملوك يُصَلُّون باسم الشعب، ويُعلِّمون الشعب كما فعل سليمان ويهوشافاط.

**فَوَقَّفَ يَهُوشَافَاطُ فِي جَمَاعَةِ يَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
أَمَامَ الدَّارِ الْجَدِيدَةِ [٥]**

وقف يهوشافاط في الهيكل نيابةً عن جميع يهوذا. أخذ يُذَكِّرُ الله بمعاملته معهم في أيام إبراهيم. **الدار الجديدة:** كان للهيكل داران، أي دار الكهنة والدار العظيمة، وكان الاجتماع في الدار العظيمة، وربما سُمِّيَت الدار الجديدة لأن آسا أصلحها. وقف أمام الدار، أي عند فاصل الدارين. مع بلوغ المؤمنين إلى بيت الرب يتوسل كل منهم إلى الله مترقبًا الفرج. يعلن المؤمن باسم الجماعة أنهم جميعًا موالون وخاضعون. عيونهم إلى يد الرب الحانية، التي لا تكف عن أن تعمل خيرًا.

**وَقَالَ: يَا رَبُّ إِلَهَ آبَائِنَا، أَمَا أَنْتَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ؟!
وَأَنْتَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ الْأُمَمِ، وَبِيَدِكَ قُوَّةٌ وَجَبْرُوتٌ،
وَلَيْسَ مَنْ يَقِفُ مَعَكَ؟ [٦]**

اعترف الملك بأن كل ما يحدث على الأرض هو بسماح من الله، قائلًا: "أما أنت هو الله في السماء؟" [٦] أليس سلطانك فوق كل سلطان، حتى فوق الممالك الوثنية؟ يطلب من أن الله أن يتدخل بنفسه، ويضع حدودًا لشتائم الأشرار وتصرفاتهم الشريرة. فيبيده القوة والجبروت، ولا يستطيع أحد أن يقف أمامه.

يُذَكِّرُ الله بعهده مع الآباء: "أما أنت إله آبائنا؟" [٧] يُذَكِّرُ الله بأن الأرض التي في أيديهم هي هبة من عنده، وعد بها إبراهيم خليله. فهي وديعة بين أيديهم. وكأنه يقول: احفظ يا رب وديعتك، وحصننها ضد كل الدعاوي الظالمة، ولا تسمح بطردنا منها، أو ضياعها من أيدينا. نحن وكلاء وأنت هو المالك، احفظ ما هو ملكك [١١]. يليق بنا أن ندرك أن كل ما في أيدينا ملك الله، ونحن وكلاء.

¹ Homily 31 on Ps 104 (105).

بالإيمان ترتفع نفوسنا كما إلى الله الساكن في السماء، في مدينة الله، أورشليم العليا، وبالإيمان يسكن السيد المسيح في قلوبنا، فيجعل منها سماءً جديدةً.

❖ ليصعد هذا المُسَبِّح. لِيُسَبِّحْ هذا في قلب كل واحدٍ منكم، وليكن كل واحدٍ منكم هو هذا الإنسان، لأنه عندما يقول كل واحدٍ منكم هذا، حيث أنكم جميعًا واحد في المسيح، إنسان واحد ينطق بهذا، فلا يقول: "إليك يا رب نرفع أعيننا"، وإنما "إليك يا رب رفعتُ عيني"، يلزمكم أن تتصوروا أن كل واحدٍ منكم بالحقيقة يتكلم، ولكن الواحد هذا بمعنى خاص يتكلم وهو منبسط في الأرض كلها¹.

❖ أنتم تسكنون في بيت (الله السماوي)، فإن سُجِبَ البيت تسقطون. والله يسكن في القديسين، فإن فارقههم يسقطون!²

القديس أغسطينوس

أَلَسْتُ أَنْتِ إِلَهِنَا الَّذِي طَرَدْتِ سُكَّانَ هَذِهِ الْأَرْضِ،
مِنْ أَمَامِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ،

وَأَعْطَيْتِهَا لِنَسْلِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ إِلَى الْأَبَدِ؟! [٧]

في اجتماع الأمة للصلاة [٣-١٢]، جاءت صلاة يهوشافاط تقترب جدًا من صلاة سليمان عند إقامة الهيكل (٦: ١٢-٤٠). يعتبر البعض صلاة يهوشافاط امتدادًا وتطبيقًا لصلاة سليمان^٣. في هذه الصلاة يذكّر الرب أن المقاومين لهيكله هم أنفسهم الأمم الذين طلب الرب عدم إبادتهم (١٠-١١؛ عد ٢٠: ٢١؛ تث ٢: ١، ٤، ٥، ٨، ١٩).

دُعي إبراهيم خليل الله في (إش ٤١: ٨؛ يهوديت ٨: ١٩؛ يع ٢: ٣). يقول القديس إكليمنضس الروماني: [إبراهيم الذي دُعي "الخليل"، وُجد أمينًا إذ أطاع كلمات الله^٤].

فَسَكُنُوا فِيهَا،

وَبَنُوا لَكَ فِيهَا مَقْدَسًا لِاسْمِكَ قَائِلِينَ: [٨]

يذكر أيضًا الهيكل المقدس الذي بنوه باسم الرب، وقدموه له مما أعطاهم، فلا فضل لهم فيه. يشتمكي يهوشافاط من الأشرار، الذين يكافئونهم شرًا عن الخير.

اعترف يهوشافاط باعتماده الكلي على الله، فبالرغم من الجيش العظيم والمُدْرَب، قال: ليس فينا

¹ On Ps 123 (122).

² On Ps 123 (122).

³ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship*, 2 Chronicles 20.

⁴ *The First Epistle of Clement*, 10.

قوة أمام هذا الجمهور. نعم لا نتوقع نصره إلا بحضورك وبركتك. ليس لنا ما نفتخر به ونثق فيه سواك. أعيننا نحوك، وإليك نتطلع.
امتاز يهوشافاط عن أبيه بأنه انتفع من معاملات الله الماضية، وألقى بكل كيانه ومشاعره ومملكته وشعبه في يدي الله.

إِذَا جَاءَ عَلَيْنَا سَرٌّ، سَيْفٌ قَضَاءٌ أَوْ وَبًا أَوْ جُوعٌ،
وَوَقَفْنَا أَمَامَ هَذَا الْبَيْتِ وَأَمَامَكَ،
(لَأَنَّ اسْمَكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ)
وَصَرَخْنَا إِلَيْكَ مِنْ ضَيْقِنَا،
فَإِنَّكَ تَسْمَعُ وَتُخَلِّصُ. [٩]

إذ يقف المؤمن أمام بيت الرب الذي دُعي عليه اسم الرب، يحسب نفسه في حضرته الإلهية، فيطلب بإيمان وثقة. لقد أعلن الله عن مجده وجلاله عند تدشين الهيكل، علامة سكناه فيه وتكريسه، ليمارس المؤمنون فيه العبادة له. لهذا صراخه وقت الضيق هو علامة التجائه إلى الله لا إلى الأذرع البشرية.

وَالآن هُوَذَا بَنُو عَمُونَ وَمَوَابُ وَجَبَلُ سَاعِيرَ،
الَّذِينَ لَمْ تَدْعَ إِسْرَائِيلَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ حِينَ جَاءُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،
بَلْ مَالُوا عَنْهُمْ وَلَمْ يَهْلِكُوهُمْ [١٠]
فَهُوَذَا هُمْ يُكَافِئُونَنَا بِمَجِيئِهِمْ لَطْرِدْنَا مِنْ مُلْكِكَ الَّذِي مَلَكَتْنَا إِيَّاهُ. [١١]

لقد أوصى الرب شعبه وهم في البرية: "أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير، فيخافون منكم، فاحترزوا جداً. لا تهجموا عليهم، لأنني لا أعطيتكم من أرضهم ولا وطأة قدم. لأنني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً" (تث ٢: ٤-٥). كما أمرهم "لا تعادِ مواب، ولا تثر عليهم حرباً" (تث ٢: ١٩). وأيضاً: "فمتى قربت إلى تجاه بني عمون، لا تُعادهم ولا تهجموا عليهم" (تث ٢: ١٩). الآن ها هم الثلاثة يتحالفون ضد شعب الله، ويردُّون السلام بالحرب، والخير بالشر. ها هم قادمون ليطردهم من أرض الموعد.

كأن الشعب يقف ليُدكَّرَ الله بوصاياهم ألا يهجموا على هذه الشعوب، وها هي الشعوب تهجم عليهم بلا سبب!

يَا إِلَهَنَا، أَمَا تَقْضِي عَلَيْهِمْ،
لَأَنَّهُ لَيْسَ فِيْنَا قُوَّةٌ أَمَامَ هَذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ الْآتِي عَلَيْنَا،
وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَاذَا نَعْمَلُ،
وَلَكِنْ نَحْوِكَ أَعَيْنُنَا. [١٢]

وَكَانَ كُلُّ يَهُودًا وَاقْفِينِ أَمَامَ الرَّبِّ مَعَ أَطْفَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ. [١٣]

يقف الشعب من رجال ونساء وأبناء في تدلّل أمام الرب كمن في ضعفٍ يقرعون طالبين الرحمة. وكما يقول المرتل: "هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيديتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا" (مز ١٢٣: ٢).

❖ ليس لهم رجاء في العون والمساعدة من أي مكان آخر، ولا يتطلعون نحو أي مصدر آخر، وذلك كالأمّة والخادم اللذين ليس لهما قوت أو ملبّس وكل بقية مستلزمات الحياة، إلّا بحفظ أعينهما على سادتهما، إنهما لا يكفان عن ذلك، بل يبقيان هكذا حتى ينالا، فيشكرا. إنها ممارسة يفعلانها على الدوام^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يلزم كل أحد أن ينتبه لعمله الخصوصي، ويهتم به برغبة، ويؤمّمه بدون ملامة بغيره ونشاطٍ وعنايةٍ وسهرٍ، لئلا يستحق اللعنة، إذ قيل ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء (إر ٤٨: ١٠). كما يلزمه أن يعمل على مرأى من الله، وذلك لكي يتهيأ له أن يقول بدالة كل حين: "كما أن عيون العبيد إلى أيدي مواليتهم، كذلك عيوننا إلى الرب إلهنا" (مز ١٢٣: ٢)^٢.

القديس باسيليوس الكبير

٣. إرسال نبي يؤكد النصر

وَإِنَّ يَحْزَائِيلَ بْنَ زَكَرِيَّا بْنَ بَنِيَامِينَ بْنَ مَتْنِيَّا اللَّائِيٍّ مِنْ بَنِي آسَافَ،
كَانَ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ [١٤]

إذ تحدث يهوشافاط بقلبه، كما بلسانه، بكل كيانه أمام الله، جاءت الاستجابة سريعة للغاية. بينما كان يتحدث مع الله، وقبل أن يصرف الشعب أرسل الله إليه رسالة بالنصرة.

^١ On Ps 123.

^٢ القوانين المطوّلة - سؤال ٤١.

استجابة لهذه الطلبة التي ليهوشافاط، انسكب روح الرب على يحرزئيل ليقدم منطوقاً نبوياً [١٤-١٧]. رسالته نوعاً من النبوة الليتورجية. كانوا يطلبون من أجل العون في المعركة، فإذا بالله يكشف أنه لا حاجة للحرب.

تحدث الله في هذه المرة على لسان أحد اللاويين الحاضرين في وسط الجماعة، ولم يكن له امتياز خاص. لم يقدم الله علامة لتأكيد النصر، لأنها ستتم في اليوم التالي.

فَقَالَ: اصْعُوا يَا جَمِيعَ يَهُودَا وَسَكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَأَيُّهَا الْمَلِكُ يَهُوشَافَاطُ.
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ لَكُمْ: لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَاعُوا بِسَبَبِ هَذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ،
لَأَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ لَكُمْ بَلَّ لَهِ. [١٥]

يود الله في كل الأجيال أن يسند الراجعين إليه بكل قلوبهم. قال لهم يحرزئيل بن زكريا... [١٥-١٧]. لقد كرر مرتين: "لا تخافوا ولا ترتاعوا"، دون أدنى عتاب على عدم أمانتهم سواء بالنسبة للملك أو الشعب.

يؤكد الرب أنه عارف بأن شعبه ليس في إمكانياته أن ينتصر، لكن الحرب ليست لهم بل لله نفسه. وضع لهم الخطة، وكشف لهم عن المكان الذي فيه العدو، ولم يطلب منهم أن يحاربوا، بل يقفوا ويثبتوا ويروا بأعينهم خلاص الرب معهم. لقد حدّد لهم تحركاتهم، وعيّن لهم المكان والزمان. طلب منهم أن يقفوا ويثبتوا وينظروا خلاص الله العجيب، كما سبق فقال موسى عند عبورهم البحر الأحمر (خر ١٤: ١٣).

الحرب ليست لكم بل لله: في بعض الأحيان حارب الله أعداء شعبه دون أن يحاربوا هم، كما حدث عند شق البحر الأحمر، وسقوط أسوار أريحا، ومع جدعون والمديانيين، ومع حزقيا الملك حين حاصره سنحاريب الأشوري الخ. وأحيانا يهيب شعبه النصر وهم يحاربون بقليل القليل.

عَدَا انزَلُوا عَلَيْهِمْ.
هُودَا هُمْ صَاعِدُونَ فِي عَقْبَةِ صِيصٍ،
فَتَجِدُوهُمْ فِي أَقْصَى الْوَادِي أَمَامَ بَرِّيَّةِ يَرُوءِيلَ. [١٦]
لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هَذِهِ.
قَفُّوا انثَبُوا وَاَنْظُرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ مَعَكُمْ يَا يَهُودَا وَأُورُشَلِيمُ.
لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَاعُوا.

عَدَا اخْرَجُوا لِلِقَائِهِمْ، وَالرَّبُّ مَعَكُمْ. [١٧]

بكل قوة، قال لهم: "غداً اخرجوا للقائهم والرب معكم" [١٧].

٤ . التسييح سلاح النصره

فَحَزَّ يَهُوشَافَاطُ لَوَجْهِهِ عَلَى الْأَرْضِ،

وَكُلُّ يَهُودًا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ سَقَطُوا أَمَامَ الرَّبِّ سُجُودًا لِلرَّبِّ. [١٨]

لم يقل يهوشافاط كما سبق فقال في الحرب السابقة مع زراح الكوشي: "تشددوا وافعلوا" (١٩: ١١)، بل قال: "ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا. شأن ما بين موقفه وهو أمين في علاقته مع الرب وبين موقفه الآن بعد فقدانه أمانته، وإن كان قد رجع إلى الله بالتوبة. برجوعه مع الشعب إلى الله بروح التواضع اغتصب المراحم الإلهية. هذا ذكر في (٢ مل ٨). أعلن الملك وكل القادة والشعب ثقتهم في هذا الوعد الإلهي، وقدموا له الشكر بروح التواضع قبل أن يتحقق الخلاص، إذ حسبوه كأنه قد تمّ ورأوه.

فَقَامَ اللَّاؤُيُونَ مِنْ بَنِي الْقَهَاتِيِّينَ وَمِنْ بَنِي الْقُورِحِيِّينَ،

لِيَسْبِّحُوا الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ بِصَوْتِ عَظِيمٍ جِدًّا. [١٩]

لقد سبّحه اللاويون بصوت عظيم جداً، وأعلنوا بهجتهم بالخلاص الذي حسبوه قد تحقّق، مادام الرب أعلن عنه. وكما يُرنم المزمّل: "الله قد تكلم بقدهسه، أبتهج" (مز ٦٠: ٦). يليق بالعاملين في كرم الرب أن يذكروا أن الكرم هو للرب نفسه، ويثقوا أنه هو الذي يحل كل متاعب ومشاكل الخدمة، فلا يقلقوا ولا يضطربوا، مُقنين همهم عليه.

❖ عندما تَغنى يهوشافاط بتسايح الرب، وهب الرب عابده نصره.

مرة أخرى عندما حارب موسى عماليق، غلب لا بالسيف بل بالصلاة (خر ١٧: ١١). لهذا إن أردنا أن نرتفع يلزمننا أولاً أن ننبتح!

القديس جيروم

وَبَكَرُوا صَبَاحًا، وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ تَفُوعَ.

وَعِنْدَ خُرُوجِهِمْ وَقَفَ يَهُوشَافَاطُ، وَقَالَ:

اسْمَعُوا يَا يَهُودًا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ،

آمِنُوا بِالرَّبِّ إِلَهِكُمْ فَتَأْمِنُوا.

¹ St. Jerome: Letters 60:17.

آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتَقَلَّحُوا. [٢٠]

بروح القوة والشكر والتسبيح لله، وقف يهوشافاط أمام الشعب يعظهم، فقال: "آمَنُوا بِالرَّبِّ إِلَهُكُمْ فَتَأْمَنُوا، آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتَقَلَّحُوا". عجيب أن يقف الملك وهو في نفس الوقت قائد الجيش ليعظ قبل المعركة.

جاءت المعركة فريدة وعجيبة، فقد انطلق الجيش وهم رجال حرب جابرة، لكننا لم نسمع شيئاً عن معداتهم الحربية من سيوفٍ ورماحٍ وسهامٍ، إنما تَقَدَّمَ الملك، وَقَدَّمَ لهم السلاح في ميدان المعركة ألا وهو **الإيمان والتسبيح**، إذ قال لهم، "آمَنُوا بِالرَّبِّ إِلَهُكُمْ فَتَأْمَنُوا. آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتَقَلَّحُوا". ليس من سلاحٍ في وقت الشدة أعظم من الإيمان الثابت في قوة الله ورحمته ووعوده وتدابيره. إنه يُرَكِّز أنظارهم على الإيمان بالله، والإيمان بكلمته ووعوده التي ينادي بها أنبيأؤه.

وَلَمَّا اسْتَشَارَ الشَّعْبَ، أَقَامَ مُعْتَنِينَ لِلرَّبِّ،
وَمُسَبِّحِينَ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَمَامَ الْمُتَجَرِّدِينَ،
وَقَائِلِينَ: اْحْمَدُوا الرَّبَّ، لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ. [٢١]

كان طليعة الجيش هو التسبيح لله والحمد والشكر، وكان المُعْتَنُونَ للرب في زينة مقدسة. كانوا يُرَمِّمون: "احمدوا الرب، لأن إلى الأبد رحمته" [٢١].

هكذا أعلن الملك ومشيره عن صدق اعتمادهم على الله. طَلِبَ من المُعْتَنِينَ أن يرتدوا زينة مقدسة، لأنهم يقفون أمام الله القدوس، وَيُسَبِّحُونَ الله، لأن الله يَقْبَلُ التسبيح أكثر من الذبائح، امتلاً الجيش بروح البهجة والفرح، وارتبك العدو.

٥. هزيمة الأعداء

وَلَمَّا ابْتَدَأُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ،
جَعَلَ الرَّبُّ أَمْنَةً عَلَى بَنِي عَمُونَ وَمُؤَابَ وَجَبَلِ سَاعِيرِ الْآتِينَ عَلَى يَهُوذَا،
فَانكَسَرُوا. [٢٢]

لم تتم هزيمة العدو بالرمح أو البرد أو بسيف ملاك أو بحد السيف أو بأية مفاجأة مزعجة كالتي حَلَّتْ على المديانيين في أيام جدعون، لكن الرب جعل أمانة عليهم. ما هذه الأمانة سوى قوات سماوية، أو من العدو نفسه، حيث حدث ارتباك فيما بينهم، حتى قام الحلفاء على بعضهم البعض، وَتَحَوَّلُوا إلى أعداء، كل منهم يود تحطيم الآخر حتى لا ينفلت من يده، وبدون سبب. لقد بدأ يهوذا بالتسبيح والفرح والتهليل، وفي نفس الوقت بدأ العدو يضرب بعضه البعض.

قد نسمع عن غضب الله على صلاة شعبه، إذ قيل: "يا رب إله الجنود إلى متى تُدخّن على صلاة شعبك؟! (مز ٨٠: ٤)، لكننا لم نسمع عن غضبه على تسبيحهم.

تحققت نبوة يحرزئيل عندما سار اللاويون في موكبٍ دينيٍ مهلليٍّ، قدام جيش يهوذا. حلّ تسبيحهم محل المعركة، إذ انقلب الأعداء على بعضهم البعض. عندما صلّى الشعب وسبّح الله على الأرض تدخّل إله السماء، وحدث ما لم يكن في الحسبان.

وَقَامَ بَنُو عَمُونَ وَمَوَابُ عَلَى سَكَّانِ جَبَلِ سَاعِيرٍ لِيَحْرَمُوهُمْ وَيُهْلِكُوهُمْ.
وَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ سَكَّانِ سَاعِيرٍ سَاعَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِهْلَاكِ بَعْضٍ. [٢٣]

تحوّلت المعركة من مقاومة العدو ليهوذا إلى مقاومتهم لسكان جبل ساعير (أدوم)، فغلبوا، لكن عوض الانطلاق نحو جيش يهوذا، ساعد بعضهم على إهلاك بعض. فالفساد يُحطّم نفسه، والشر يُفسد ذاته!

وَلَمَّا جَاءَ يَهُوذَا إِلَى الْمَرْقَبِ فِي الْبَرِّيَّةِ،
تَطَلَّعُوا نَحْوَ الْجُمْهُورِ،

وَإِذَا هُمْ جُثَّتْ سَاقِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ يَنْقَلِبْ أَحَدٌ. [٢٤]

المرقب: بناء كبرج في البرية مرتفع، يشرف الرقيب منه على القتال.

فَأَتَى يَهُوشَافَاظُ وَشَعْبُهُ لِنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ،

فَوَجَدُوا بَيْنَهُمْ أَمْوَالًا وَجُثَّتًا وَأَمْتِعَةً ثَمِينَةً بَكْتَرَةً،

فَأَخَذُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَحْمِلُوهَا.

وَكَانُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَنْهَبُونَ الْغَنِيمَةَ، لِأَنَّهَا كَانَتْ كَثِيرَةً. [٢٥]

لم نسمع قط عن تقسيم غنيمة كما حدث في هذه المعركة، إذ لم يقدرُوا أن يحملوها، وصاروا ينهبونها لمدة ثلاثة أيام، لأنها كانت كثيرة جدًا. كثرة الغنيمة دليل على كثرة القتلى والهاربين من أرض المعركة.

لم يكن لجيش يهوشافاظ ومن معهم عمل ما، إذ لم يستخدموا أسلحة، ولم يفعلوا شيئًا سوى التسبيح والحمد بفرحٍ وتهليلٍ، ويحملوا الغنائم.

أعطاهم الرب أكثر مما طلبوا، وفوق ما تحبّلوا. كانوا يطلبون النصر على الأعداء، وكانوا يخشون أن يُدمّرهم العدو تمامًا. أما أن يروا العدو جثثًا مُلقاة على الأرض قاموا بقتل بعضهم البعض،

دون أن يموت أحد منهم أو يخسروا سلاحًا، بل يكرسون طاقاتهم في نهب الغنائم، فهذا ما لم يكن في تصوّرهم قط!

٦. ذبيحة الشكر

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ اجْتَمَعُوا فِي وَايِ بَرَكَهٖ،
لَأَنَّ هُنَاكَ بَارَكُوا الرَّبَّ،

لِذَلِكَ دَعَوْا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَايِ بَرَكَهٖ إِلَى الْيَوْمِ. [٢٦]

إن كانوا قد سَبَّحوا الله أثناء الضيقة، فإن النصره وجمع الغنائم لم يشغلهم عن التسبيح والحمد والشكر لله.

لقد وضح الآن لماذا سمح الله لهم بهذه الضيقة:

١. دخلوا في علاقة صداقة قوية ومصالحة عجيبة مع الله نفسه.
٢. تَمَجَّدَ اللهُ فيهم، وتقدّم بنفسه إلى المعركة، وحسبها معركته هو.
٣. وهبهم روح الفرح والتسبيح في وسط الضيق، فنالوا بركة الإيمان العملي الحقيقي.
٤. انهارت الأمم المتحالفة ضدهم، لا بمقاومتهم، بل بمقاومة الأمم لنفسها بنفسها.
٥. جاءت الجيوش العظيمة المتحالفة، لا لتحارب، بل لتصير جثثًا ملقاة على الأرض في عارٍ وخزي.

٦. جاءت الجيوش لتُسَلِّمَ غنائمها في يد يهوذا.

٧. دُعِيَ الوادي "وادي بَرَكَهٖ"، لكي تذكر الأجيال القادمة بركة الرب.

٨. منح الرب هيئته لشعبه، فارتعبت كل ممالك الأرض حين سمعوا أن الرب حارب أعداءهم [٢٩]، ولم تعد الشعوب تهددهم.

٩. استراحت مملكة يهوذا، وأراحه الله من كل جانب [٣٠]. ربما كان البعض قد استاءوا حين أنزل الملك تماثيلهم وحسبوا ذلك خسارة، الآن استراحوا للغاية.

❖ لتشكر الله ولتُسَبِّحْ ذاك الذي يختبرك في الأتون. لتتطق بالتسبيح عوض التجديف هذا هو الطريق الذي به عبَّرَ ذاك الطوباوي عن نفسه^١.

❖ إن كنا نمارس هذه الحكمة الروحية (الشكر الدائم)، لن نخبر أي شرٍ، حتى إن سقطنا تحت آلام

¹ On Ps 128.

لا حصرَ لها، بل يكون الرِّيحَ أعظمَ من الخسارة، ويطغي الخير على الشر. بهذه الكلمات تجعل الله رحومًا نحوك، ويدافع عنك ضد طغيان إبليس. ما أن ينطق لسانك بهذه الكلمات، حتى يهرب الشيطان منك سريعًا^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سَبَّحُوا الرب على القيثارة. إن صار لكم فيض من الأرضيات فَدَمُوا شكرًا للعاطي. إن كان هناك عوز أو سُلبتم مما لكم، اعزفوا على القيثارة بفرح. لأنكم لم تُحزَموا من العاطي، وإن كنتم قد حُرِمتم من العطية التي وهبكم إياها. هكذا أُكْرِر، اعزفوا ببهجةٍ بثقةٍ كاملة في إلهكم، امسكوا بأوتار قلوبكم كما بقيثارة لتدوي أصواتكم إلى أعماقها صارخين: "الرب أعطى، الرب أخذ"^٢.

❖ هذا هو الطريق الذي به قَدَّمَ أيوب ذبيحة (تسبيح) بالرغم من الأحزان المُرعِبة التي فوق الطاقة البشرية قد حَلَّتْ به^٣.

القديس أغسطينوس

❖ كيف أتأهل أن أكون في صُحْبَةِ أيوب، أنا الذي لا أُقْبَلُ المِحَنَ العاديةِ بشكرٍ؟^٤

القديس غريغوريوس النريزي

ثُمَّ ارْتَدَّ كُلُّ رِجَالِ يَهُوذَا وَأورشَلِيمَ وَيَهُوشَافَاطَ بِرَأْسِهِمْ،

لِيَرْجِعُوا إِلَى أُورشَلِيمَ بِفَرَحٍ،

لَأَنَّ الرَّبَّ فَرَحَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ. [٢٧]

لم تشغلهم الغنائم عن تمجيد الله، إذ دخلوا أورشليم إلى بيت الرب يُسَبِّحُونَهُ.

وَدَخَلُوا أُورشَلِيمَ بِالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ وَالْأَبْوَاقِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. [٢٨]

وَكَانَتْ هَيْبَةُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مَمَالِكِ الْأَرْضِي،

حِينَ سَمِعُوا أَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ أَعْدَاءَ إِسْرَائِيلَ. [٢٩]

حين كان الملك أميئًا نسمع: "وكانت هيبة الله على كل ممالك الأراضي"، وتكرَّر الأمر عندما

أعلن الله أمانته للراجعين إليه بالتوبة (١٧ : ١٠ ؛ ٢٠ : ٢٩).

¹ Paralytic Let Down through the Roof, 8.

² On Ps. 32, Discourse, 2: 5.

³ On Ps. 50.

⁴ The Long Rules, Preface..

وَاسْتَرَاحَتْ مَمْلَكَةُ يَهُوشَافَاطَ وَأَرَاخَهُ إِلَهُهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. [٣٠]

٧. ختام حياة يهوشافاط

وَمَلِكُ يَهُوشَافَاطَ عَلَى يَهُودَا.

كَانَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلِكٌ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،

وَاسْمُ أُمِّهِ عَزُوبَةُ بِنْتُ شَلْجِي. [٣١]

وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ آسَا، وَلَمْ يَحِدْ عَنْهَا،

إِذْ عَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. [٣٢]

إِلَّا أَنَّ الْمُرْتَفَعَاتِ لَمْ تُنْتَزَعْ،

بَلْ كَانَ الشَّعْبُ لَمْ يُعَدُّوا بَعْدُ قُلُوبَهُمْ لِإِلَهِ آبَائِهِمْ. [٣٣]

حسن أن يزيل يهوشافاط المرتفعات التي كانت بها مذابح للأوثان، لكنه أخطأ إذ ترك تلك التي

كان بها مذابح للرب.

وَبَقِيَةُ أُمُورِ يَهُوشَافَاطَ الْأُولَى وَالْآخِرَةِ،

مَكْتُوبَةٌ فِي أَخْبَارِ يَاهُو بْنِ حَنَانِي الْمَذْكُورِ فِي سِفْرِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٣٤]

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اتَّحَدَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُودَا مَعَ أَخْزِيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،

الَّذِي آسَاءَ فِي عَمَلِهِ. [٣٥]

للأسف بعد أن قَدَّم لنا يهوشافاط صورة غاية في الجمال والإيمان واختبار معاملات معه، عاد

فأقام اتِّحادًا مع أخزيا بن أخاب، لا في حرب كما حدث مع أخاب بل في علاقات تجارية بحرية.

اشترك معه في تكوين أسطول بحري يسير إلى شرق الهند شرقًا وترشيش غربًا [٣٥-٣٦].

للأسف بعد هذا كله تحالف يهوشافاط مع مملكة الشمال. إنها كارثة خطيرة!

فَاتَّحَدَ مَعَهُ فِي عَمَلِ سَفْنٍ تَسِيرُ إِلَى تَرْشِيشَ،

فَعَمِلَا السَّفْنَ فِي عَصِيُونَ جَابِرَ. [٣٦]

وَتَبَّأَ أَلْيَعَزَّرُ بْنُ دُودَاوَا مِنْ مَرِيشَةَ عَلَى يَهُوشَافَاطَ، قَائِلًا:

لَأَنَّكَ اتَّحَدْتَ مَعَ أَخْزِيَا، قَدْ افْتَحَمَ الرَّبُّ أَعْمَالَكَ.

فَتَكَسَّرَتِ السَّفْنُ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ السَّيْرَ إِلَى تَرْشِيشَ. [٣٧]

يُسَجَّلُ لنا هذا السفر حلفًا تجاريًّا بين يهوشافاط وأخزيا. وإذ انكسر أسطوله في عسيون جابر، أدرك يهوشافاط تحذيرات الرب له، ورفض تجديد مشروعه السابق ومغامراته مع أخزيا.

من وحي ٢ أي ٢٠

هَبْ لي روح الفرح بك وسط المعركة!

❖ تَبَارِكُكَ نفسي يا أيها القدوس،

إذ تسمح لي أن أنطلق من معركةٍ إلى معركةٍ.

تُرافِقني، فتتهلل نفسي بك على الدوام،

قبل المعركة وأثناءها وبعد النصر فيها.

كيف أخشى إبليس وقواته مادمت في داخلي!

❖ هَبْ لي روح التواضع في مواجهتي لعدو الخير.

أطلبك بكل قلبي، صائمًا عن كل شيءٍ،

لأنك أنت تُسبِّح كل كياني.

أؤمن بك، وأثق في وعودك الإلهية،

وأنطلق إلى المعركة، مختفيًا فيك!

أنت سرُّ فرحي وقوتي ونصرتي!

❖ أعماقي تتحوَّل بك إلى سماء جديدة.

أُسبِّحُك مع إخوتي وفي رفقة السمايين.

أطلب مجدك، وأسألك خلاص كل إخوتي.

أنت هو قائدي وسلاحي ونصرتي وإكليلي.

أية غنائم أطلبها في كل معركة،

سوى أن أتدرب مع كل معركة على الالتصاق بك؟!

وماذا أقدم لك، سوى قلبي المتهلل بك؟!

لك الحمد والشكر والتسبيح يا شهوة قلبي!

الأصحاح الحادي والعشرون

يهورام: ذهبَ غير مأسوفٍ عليه

باستثناء ما ورد في الأعداد ٥-١٠، فإن كل ما ورد في هذا الأصحاح عن يهورام لم يُذكر في ٢

مل ٨.

تُرَى هل أخطأ يهوشافاط الذي عمل المستقيم في عيني الرب (٢٠: ٣٢)، إذ سمح لابنه يهورام أن يتزوج ابنة أخاب وإيزابل الشريرين، أم هي خطية الابن الذي أصرَّ على الزواج منها. على أي الأحوال تعلَّم يهورام الشرَّ من زوجته الذي تشربته من والدتها إيزابل. لقد انحرف بمملكة يهوذا لتسلك في طريق مملكة إسرائيل، وبلغ إلى أسوأ حال.

يهورام الذي تزوج ابنة أخاب الشرير وإيزابل الشريرة [١-٦]، قاد بيت داود إلى أقصى مراحل الخطورة، لكن الله بقي أميناً في وعده مع داود ونسله.

برى البعض أن الله سمح للشعب أن يُملِّك هذا الملك الشرير، كعقابٍ لهم أو لتأديبهم، إذ لم ينفَعوا بحركة الإصلاح في أيام أبيه يهوشافاط الصالح. إذ قيل: "إلا أن المرتفعات لم تنتزع، بل كان الشعب لم يعدوا بعد قلوبهم لإله آبائهم" (٢٠: ٣٣).

١. اعتلاء يهورام العرش ٣-١

٢. تثبيت عرشه بقتل إخوته ٤.

٣. سلوكه في طريق إسرائيل ٥-٦.

٤. غلبته على أدوم كعطية إلهية ٧-١١.

٥. نبوة إيليا ضده ١٢-١٥.

٦. هزيمته أمام الأمم ١٦-١٧.

٧. تأديبه بالمرض ١٨-١٩.

٨. ذهبَ غير مأسوفٍ عليه ٢٠.

١. اعتلاء يهورام العرش

وَاضْطَجَعَ يَهُوشَافَاطُ مَعَ آبَائِهِ،

فَدُفِنَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،

وَمَلِكُ يَهُورَامَ ابْنُهُ عَوِضًا عَنْهُ. [١]

أخذ يهورام موقفًا مصادًا تمامًا لموقف أبيه يهوشافاط.

وَكَانَ لَهُ إِخْوَةٌ بَنُو يَهُوشَافَاطَ:

عَزْرِيَا وَيَحْيَيْيْلُ وَزَكَرِيَّا وَعَزْرِيَاهُ وَمِيخَائِيلُ وَشَفْطِيَا.

كُلُّ هَؤُلَاءِ بَنُو يَهُوشَافَاطَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. [٢]

في الحقيقة أن يهوشافاط كان ملك يهوذا وليس ملك إسرائيل، غير أن البعض يرى أن كاتب سفرى أخبار الأيام يتطلع إلى مملكة يهوذا أنها مملكة إسرائيل الأصلية حيث يترجع على عرشها بيت داود، أما مملكة الشمال فهي مملكة مُنَشَقَّة ومُتَمَرِّدة، لذلك كثيرًا ما يتجاهلها.

وَأَعْطَاهُمْ آبُوهُمْ عَطَايَا كَثِيرَةً مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَتُحْفٍ،

مَعَ مُدُنٍ حَصِينَةٍ فِي يَهُودَا.

وَأَمَّا الْمَمْلَكَةُ فَأَعْطَاهَا لِيَهُورَامَ، لِأَنَّهُ الْبِكْرُ. [٣]

يبدو أن إخوة يهورام كانوا أكثر حكمة منه، والتصقوا بالرب لا بالعبادة الوثنية، لكن يهوشافاط التزم بالعرف السائد، وهو تسليم العرش للابن البكر. لقد قدم عطايا كثيرة من فضة وذهب تحف ومدن حصينة حتى لا يثوروا على أخيه. لكن هذا التصرف لم يُحَقِّق ما كان في فكر يهوشافاط. أقامه والده شريكًا معه في المملكة لمدة حوالي ثلاث سنوات قبل موته، ولذلك فقد ملك منفردًا لمدة خمس سنوات¹.

٢. تثبيت عرشه بقتل إخوته

فَقَامَ يَهُورَامَ عَلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِ،

وَتَشَدَّدَ وَقَتَلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ بِالسَّيْفِ،

وَأَيْضًا بَعْضًا مِنْ رُؤَسَاءِ إِسْرَائِيلَ. [٤]

محبة السلطة تُحوّل الإنسان إلى وحشٍ كاسرٍ، تُحَطَّمُ فيه كل محبة وتُفسد إنسانيته، بل تُقيم منه شيطانًا. فقد أراد يهورام أن يثبت مملكته بسفك دم إخوته.

إذ لم يعط يهوشافاط المكانة الأولى لمصلحة الشعب وعلاقتهم بالله وتقديسهم، بل انحاز نحو ابنه الشرير في تدليل، كان ثمرة ذلك أن الابن لم يحترم فكر أبيه ومحبتة له وتصرفه نحوه. إنما في

¹ Adam Clarke Commentary.

وحشية قتل إخوته وبعض رؤساء إسرائيل، غالبًا ما توحى فيهم ميلهم لعبادة الله الحي.

لم يكن يوجد ما يدعو يهورام للخوف من إخوته وهؤلاء القادة، إنما غالبًا ما حمل مشاعر قايين الذي حسد أخاه هابيل، لأن تقواه ونقاوة قلبه وعبادته الصالحة لله صارت شهادة ضده. غالبًا ما فعل هذا بتأثير من زوجته عثليا، فقد كان هذا تمهيدًا لإقامة عبادة البعل. هذا وقد كان قتل إخوة الملك والتخلص من بعض الرؤساء المحبوبين من الشعب عادة منتشرة في الأمم الوثنية. هذه العادة لم تبطل تمامًا، فإنها لا تزال توجد حتى في بعض البلاد المتحضرة، وإن كانت بطرق مخفية. كثيرًا ما يُحذَرنا آباء الكنيسة من تحوُّل بعض قادة الكنيسة عن روح الأبوة خلال حُبِّ السلطة.

يرى القديس باسيليوس الكبير أن ملكة النحل التي تقود الكل أمًا مثالية، أمًا للجميع، لا تُنتخب من بقية النحل الذين يختارون أسوأ شخص لينال السلطة، ولا بالوراثة لكي تغتني.

❖ لا تدع رتبة الكهنوت تجعلك في خيلاء، بل بالحري تجعلك متواضعًا، فإن الانحلال والخزي يُولدان من التشمخ.

كلما اقتربت من الرتب العليا للنظام الكهنوتي المقدس، يليق بك بالأكثر أن تتواضع، متذكرًا بخوفٍ مثال أولاد هرون معرفة الحياة المقدسة هي معرفة وداعة وتواضع. التواضع هو اقتداء بالمسيح. التعالي والتجاسر والوقاحة هو اقتداء بالشيطان.

كن مُتمنِّئًا بالمسيح، لا بضد المسيح، بالله وليس بالمقاوم لله، بالسيد لا بالعبد الشارد، بالرحوم لا بالذي بلا رحمة، بالمُحِبِّ للبشرية لا بعدوها، بشريكك في حجال العرس لا بساكن الظلمة. لا تكن توافًا لاستغلال السلطة على الجماعة، حتى لا تضع على عنقك أثقال خطايا الآخرين¹.

❖ ليست الطبيعة، بل محبة السلطة، هي التي قسمت البشرية إلى عبيد وسادة².

❖ الذين يحصلون على سلطة لأنفسهم خلال إحسان البشر، هم عبيد لأولئك الذين منحهم الإحسان³.

❖ الله هو الذي يرفع الملوك، وهو الذي يُنزلهم عن عروشهم⁴.

❖ الويل لذاك الرئيس الذي يحاول استغلال السلطة والإسراف في غيِّه وأنانيتته، فإن القصاص ينتظره

¹ On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 30-31).

² De Oratone Dominica, 5.

³ Letter 92:2.

⁴ Hom. in Ps. 32..

من قِبَلِ الدِّيَّانِ العَادِلِ، ويكُونُ لَهُ بِمَقْدَارِ القِسْوَةِ الَّتِي عَامَلَ بِهَا قَدِّيسِي اللهُ^١.

❖ لَيْتَ ذَاكَ الَّذِي هُوَ رَئِيسٌ لَا يَنْتَفِخُ بِسَبَبِ عَمَلِهِ، لِئَلَّا يَسْقُطَ مِنْ طَوْبَاوِيَّةِ التَّوَاضَعِ، وَإِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَعْرِفَ التَّوَاضَعِ الحَقِيقِي كخِدمَةِ للكثِيرِينَ... لَيْتَ الأَعْظَمُ يَكُونُ كالأَصْغَرِ.

❖ يَلِيقُ بِالَّذِينَ يَحْتَلُونَ المَرَاكِزَ الرَّئِيسِيَّةَ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ أَنْ يَقْدَمُوا حَتَّى الخِدمَةِ الجَسَدِيَّةِ عَلَى مِثَالِ الرَّبِّ الَّذِي عَسَلَ قَدَمِي تَلَامِيذِهِ. لَذَا قِيلَ "لِيَكُنِ المَتَقَدِّمُ كَالخَادِمِ"^٢.

❖ لِكِي نَتَجَنَّبُ الإِرتِبَاكَ النَّاتِجَ عَنِ تَدْبِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ أُمُورَهُ حَسَبَ هَوَاةِ الشَّخْصِي، لَذَا يَلِيقُ بِمَنْ يُوَضَعُ فِي مَرَكِزِ المَسْئُولِيَّةِ عَنِ الغَيْرِ وَالَّذِي يُعْلَنُ بِحُكْمِ الكُلِّ عَنِ سَمُوهِ الفِكْرِي وَاسْتِقْرَارِهِ وَحِزْمِهِ فِي الحَيَاةِ، أَنْ تَكُونَ كُلُّ مَقْتِنِيَّاتِهِ مَلَكًا مِشَاعًا لِكُلِّ الَّذِينَ يَتِمْتَلُونَ بِهِ^٣.

القَدِّيسُ بَاسِيلْيُوسُ الكَبِيرُ

٣. سَلُوكُهُ فِي طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ

كَانَ يَهُورَامُ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ ثَمَانِي سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. [٥]

وَسَارَ فِي طَرِيقِ مَلُوكِ إِسْرَائِيلَ كَمَا فَعَلَ بَيْتُ أَخَابَ،

لِأَنَّ بَيْتَ أَخَابَ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةً.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. [٦]

كَمَا لِلزَّوْجِ قَدْسِيَّتِهِ، فَهوَ أَيْضًا خَطُورَتِهِ وَفَاعِلِيَّتِهِ فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ، إِذْ اسْتَطَاعَتْ زَوْجَةُ يَهُورَامِ الشَّرِيرَةِ أَنْ تَجْتَذِبَ زَوْجَهَا المَلِكَ لِيَسْلُكَ فِي طَرِيقِ أَبِيهَا وَأَمَهَا عَلَى حِسَابِ المَمْلَكَةِ كُلِّهَا وَخِلَاصِ نَفْسِهِ وَأَنْفُسِهِمْ.

تَحَدَّثَ القَدِّيسُ إِبْرُونِيمُوسُ^٤ عَنِ أَهْمِيَّةِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ، مُسْتَشْهِدًا بِأَقْوَالِ الحَكِيمِ سَلِيمَانَ صَاحِبِ الخَبْرَةِ بُوحيِ اللهُ، إِذْ يَقُولُ: "لِأَنَّهُ بِسَبَبِ المَرَأَةِ الغَبِيَّةِ وَالجِسُورَةِ يَفْتَقِرُ المَرءُ إِلَى الخَبزِ" (رَاجِعْ أَم ٦: ٢٦). إِنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ يَفْتَقِرُ لِلخَبزِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ!

❖ الزَّوْجِ عَطِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ، وَلَكِنْ لَا تَكُونُ هَكَذَا إِنْ تَمَّتْ مَعَ غَيْرِ المُؤْمِنِينَ. لَا يُعْطَى رُوحَ اللهُ لِيَسْكُنَ

¹ Epistle 61.

² In Reg. Fus. Dis. Int 30- 31.

³ An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 218).

⁴ Adv. Jovinianus 1:28.

في هؤلاء الذين هم غير مؤمنين^١.

❖ الزوج والزوجة هما واحد كما أن الخمر والماء هما واحد عند امتزاجهما معًا. كما أن الشريك غير المؤمن يفسد المؤمن. لهذا فإن الذي لم يتزوج بعد يلزمه بكل حرص، إما أنه لا يتزوج نهائيًا أو يتزوج في الرب^٢.

العلامة أوريجينوس

٤. غلبته على أدوم كعطية إلهية

وَلَمْ يَشَأِ الرَّبُّ أَنْ يُبَيِّدَ دَاوُدَ لِأَجْلِ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ دَاوُدَ،
وَلِأَنَّهُ قَالَ إِنَّهُ يُعْطِيهِ وَبَنِيهِ سِرَاجًا كُلَّ الْأَيَّامِ. [٧]

لا نجد في حُكْم كل من يهورام وابنه أخزيا صورة واحدة لا تستدعي القضاء النهائي على يهوذا. وبالرغم من ذلك يبقى الرب أمينًا لمواعيده. فلم يشأ أن يزيل كرسي داود حتى يأتي المسيا ابن داود الذي يملك على القلوب إلى الأبد (مز ٨٩: ٣٠-٣٧).

فِي أَيَّامِهِ عَصَى أَدُومُ عَلَى يَهُودَا،
وَمَلَكُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَلَكًا. [٨]

أدوم الذي في جنوب شرق يهوذا خضع ليهوشافاط، كما رأينا في الأصحاح السابق، تمرّد الآن ونجح في تمرّده، وصار الوضع سيئًا للغاية [٨-١٠].

إذ عصى يهورام الرب إلهه، وتكرّر له، عصاه أدوم، وأقام الأدوميون لأنفسهم ملكًا حسب هواهم، كما أقام يهورام لنفسه آلهة وثنية حسب هواه. مع هذا من أجل وعد الله لداود أعطى ليهورام فرصة لمراجعة نفسه، إذ وهبه النصر على أدوم إلى حين.

لم يفقد يهورام أدوم إلى ما بعد نهاية حكمه، وإنما فقد أيضًا إحدى مدن مملكته "لبنة"، فعصته، "لأنه ترك الرب إله آباءه". وقد كان للبنة ملكها منذ القديم (يش ١٢: ١٥).

عندما يلتصق الإنسان بالله في محبة وإخلاص مع مخافة وتكريم للرب، يلتصق به الكثيرون، ويهابه حتى المقاومين له.

وَعَبَرَ يَهُورَامُ مَعَ رُؤَسَائِهِ وَجَمِيعِ الْمُرْكَبَاتِ مَعَهُ،

¹ Commentary on 1 Cor. 3:34:42-45.

² Commentary on 1 Cor. 3:36:2-5.

وَقَامَ لَيْلًا وَضَرَبَ أَدُومَ الْمُحِيطَ بِهِ وَرُؤْسَاءَ الْمُرْكَبَاتِ. [٩]

فَعَصَى أَدُومُ عَلَى يَهُودَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

حِينَئِذٍ عَصَتْ لِبْنَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَيْهِ،

لَأَنَّهُ تَرَكَ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِ. [١٠]

تمردت لبنة مدينة الكهنة كاحتجاج على رجاسات الملك، وتمردت أدوم على يهوذا، إذ كانت تحت الجزية، ولم يكن فيها ملك بل وكيل أو حاكم (١ مل ٢٢: ٤٧).

لم ينتفع يهورام من الفرصة التي أعطاها له الله، إذ وهبه نصره على أدوم، لذلك عاد أدوم يعصى يهورام، وانهارت يهوذا أمام أدوم!

وَهُوَ أَيْضًا عَمِلَ مَرْتَفَعَاتٍ فِي جِبَالِ يَهُودَا،

وَجَعَلَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ يَزْنُونَ وَطَوَّحَ يَهُودَا. [١١]

فشل الملوك السابقون في تدمير المرتفعات التي في جبال يهوذا، أما يهورام فقد أقام مرتفعاته، الأمر الذي لم يفعله أحد من ملوك يهوذا قبله.

ارتبطت خطية الزنا بالعبادة الوثنية من جانبيين:

١. غالبًا ما كانت عبادة الأوثان مرتبطة بالانحلال الأخلاقي خاصة الزنا. فكان معبد أفروديت يضم حوالي ألف كاهنة، يُقدِّمن أجسادهن للخطية، مُقابل مبالغ مالية، تُستخدَم في صيانة الهيكل.
٢. كانت عبادة الله الحي تُحسب كأنها دخول في علاقة أسرية، حيث تلتصق النفس به كعروسٍ مقدسة، فالانحراف إلى عبادة الأوثان يُحسب ممارسة للزنا. فقد قيل: "هكذا قال الرب أين كتاب طلاق أمكم التي طلقتموها؟ أو من هو من غرمائي الذي بعته إياكم هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ومن أجل ذنوبكم طلقتم أمكم" (إش ٥٠: ١).

"وقال الرب لي في أيام يوشيا الملك: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ انطلقت إلى كل جبلٍ عالٍ، وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك" (إر ٣: ٦).

"فرأيت أنه لأجل كل الأسباب، إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها، بل مضت وزنت هي أيضًا" (إر ٣: ٨).

"وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر" (إر ٣: ٩).

"وزنت أهولة من تحتي، وعشقت محبيها أشور الأبطال" (حز ٢٣: ٥)

"وأكثر زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر" (حز ٢٣: ١٩)

"لأنهما قد زنتا وفي أيديهما دم، وزنتا بأصنامهما، وأيضا إجازتا بنيهما الذين ولدناهم لي النار أكلاً لها" (حز ٢٣: ٣٧)

"أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب" (هو ١: ٢)

٥. نبوة إيليا ضده

وَأَتَتْ إِلَيْهِ كِتَابَةٌ مِنْ إِيلِيَا النَّبِيِّ تَقُولُ:

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ:

مَنْ أَجَلُ أَنْتَ لَمْ تَسْلُكْ فِي طَرُقِ يَهُوشَافَاطَ أَبِيكَ وَطَرُقِ آسَا مَلِكِ يَهُودَا [١٢]

أخذ يهورام موقف التحدي ضد الله، مُفضلاً الفساد والنجاسة عن قداسة الله. أرسل إليه إيليا النبي متنبأً له عن نهاية يهورام المُحزنة. تُعتبر هذه الرسالة أول مثال للرسائل النبوية، قرن كامل قبل كتابات عاموس وإشعيا. خصص سفر الملوك ستة أصحابات عن إيليا لم تُوجد فيها أية إشارة إلى هذه الرسالة المُوجهة ليهورام.

لا نسمع عن أنبياء يهودا يُوبخون الملك، إنما نسمع عن كتابة من إيليا نبي إسرائيل [١٢-١٥]، يُعلن فيها أنه سيُضرب بمرضٍ رديء. دانه إيليا على ثلاثة تصرفات:

أ. تركه الرب. ب. نشره الفساد.

ج. تمرده على الله.

كيف أرسل إيليا رسالة ليهورام خليفة يهوشافاط، بينما يبدو أن إيليا صعد إلى السماء قبل أن يملك يهوشافاط (٢ مل ١-٣)؟ هل كتب إيليا هذه الرسالة قبل ذلك بمدة ووصلت إليه بعد موت يهوشافاط؟ أو هل كتب إيليا الرسالة ليهورام قبل اعتلائه العرش كنوع من النبوة لما سيحدث معه؟ هذا ما نادى به بعض الربيين القدامى، حاسبين أن إيليا قد وُهب معرفة الكثير من الأمور المُقبلّة. أو هل بعد صعود إيليا في المركبة النارية أرسله الله إلى الأرض إلى حين ليرعى هذا الأمر.

يرى البعض أن هذه الرسالة أبلغها إيليا النبي لتلميذه إيشع قبل إصعاده في المركبة النارية. وغالبًا ما بعث بها إيشع إلى يهورام الملك كي يرجع عن طريقه الشرير، وبقتدي بأبيه الصالح يهوشافاط وجدّه آسا، اللذين عاشا في سلام وتقوى وماتا مُكرّمين.

على أي الأحوال كثير من تصرّفات إيليا حتى وهو على الأرض كانت فائقة، ولا يمكن تصوّر أي تحليل لأعماله. لهذا يمكن قبول أي احتمال بالنسبة لإيليا في تصرّفاتة.

بَلْ سَلَكْتَ فِي طُرُقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ،
وَجَعَلْتَ يَهُودًا وَسَكَانَ أُورُشَلِيمَ يَزْنُونَ كَزَنَا بَيْتِ أَخَابَ،
وَقَتَلْتَ أَيْضًا إِخْوَتَكَ مِنْ بَيْتِ أَبِيكَ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِنْكَ [١٣]

وَجَهَّ إيليا للملك اتَّهامين خطيرين هما:

- أ. اقتدائه بأخآب الشرير عوض اقتدائه بأبيه وجدّه، فانحرف إلى العبادة الوثنية.
 - ب. وحشيته حتى مع إخوته وبعض القادة، فقتلهم بدون ذنبٍ مع أنهم أفضل منه.
- لهذا صدر الحكم عليه بسبب تعدّياته وخطيئته.

هُودًا يَضْرِبُ الرَّبُّ شَعْبَكَ وَيَتِيكَ وَيَسَاعِكَ وَكُلَّ مَالِكَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. [١٤]

صدر الحكم بضربةٍ شديدةٍ تحلُّ بشعبه وبنبيه ونسائه، إذ انحرفوا معه في العبادة الوثنية، كما كانت نساؤه علةً انحرافه.

وَإِيَّاكَ بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ بِدَاءِ أَمْعَانِكَ،

حَتَّى تَخْرُجَ أَمْعَاؤُكَ بِسَبَبِ الْمَرَضِ يَوْمًا فَيَوْمًا. [١٥]

لم تقف الضربة الشديدة عند السقوط على شعبه وأسرته، وإنما حلَّت بصحته، فأصيب بأمراضٍ قاسيةٍ حتى خرجت أمعاؤه من بطنه. لقد أراد الرب أن يؤكد له أن ما حلَّ به وبأسرته وشعبه ليس مصادفة، ولكنه تأديب من قبل الرب بسبب إصراره على خطاياها بدون توبةٍ ورجوعٍ إلى خالقه.

تعلَّم يهورام الشر من أخآب وابنته، وكان يلزم أن يتعلم من أخآب التواضع حين تبلغ إليه رسالة الإهية عن طريق نبيّه (١ مل ٢١: ٥٧)، إذ شق ثيابه وليس مُسحًا وصام. لكن يهورام لم يُبدي اهتمامًا بإنذارات الرب، إنما ألقى برسالة إيليا النبي كما في سلة المهملات.

هذا وليس كل من يحلُّ به مرض، يُحسب هذا بسبب خطية ارتكبها. فقد أصيب أيوب بمرضٍ خطير، لا كثرةٍ لخطاياها، وإنما لأجل تزكيتِه. فقروحه ولدَّت دودًا ملأ جسمه، وصار الدود حول جسمه في جروحه أشبه برداء يلبسه، ولا يقدر الخلاص منه. وقشور القروح صارت مثل أكداس التراب، أما جلده فتقلَّص وتمزق. هكذا من يقدر أن يصف منظر أيوب الذي صار أشبه بكومة تراب مشحونة بالدود، راثحتها كريمة للغاية، دبَّ الفساد فيها، من ينظر إليه يشمئز تمامًا.

❖ كانت قروح جسمه تعد له إكليل السماء^١.

¹ Homilies on Psalms, 6.

القديس جيروم

❖ أي ضرر أصاب لعازر بسبب مرضه وقروحته وفقره وعدم وجود من يحميه؟ ألم تكن هذه الأمور تُضَفِّرُ له إكليلاً من زهور النصر؟!

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦. هزيمته أمام الأمم

وَأَهَاجَ الرَّبُّ عَلَى يَهُورَامَ رُوحَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَالْعَرَبَ،
الَّذِينَ بِجَانِبِ الْكُوشِيِّينَ [١٦]
فَصَعَدُوا إِلَى يَهُودَا وَافْتَتَحُوهَا،
وَسَبُّوا كُلَّ الْأَمْوَالِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ،
مَعَ بَنِيهِ وَنِسَائِهِ أَيْضًا،
وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ابْنٌ إِلَّا يَهُوَأَحَازُ أَصْغَرَ بَنِيهِ. [١٧]

يُخَمِّنُ الأصحاح بهياج الفلسطينيين والعرب مع الكوشيين ضد يهورام. لقد حَلَّتْ أكثر الساعات ظلمة على يهوذا. إذ لم يبال يهورام بإنذارات الرب وتأديباته، أهاج عليه روح الفلسطينيين والعرب والكوشيين، وتحالف الثلاثة ضده، وصعدوا إلى يهوذا، وسلبوا كل الأموال التي في بيت الملك مع بنيه ونسائه. وبعد سبيهم قتلهم جميعاً (٢٢: ١)، كما قتل هو إخوته، ولم يترك سوى ابن واحد. كما قتل إخوته، سمح الله للفلسطينيين والعرب أن يذبحوا أولاده، ولم يترك من ذريته سوى يهوآحاز المعروف باسم أخزيا (٢٢: ١) وهو عزريا (٢٢: ٦)، لأن الرب أراد أن يبقى سراجاً لداود وبنيه.

٧. تأديبه بالمرض

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، ضَرَبَهُ الرَّبُّ فِي أَمْعَانِهِ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ. [١٨]
وَكَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَحَسَبَ ذَهَابِ الْمُدَّةِ عِنْدَ نَهَايَةِ سَنَتَيْنِ،
أَنَّ أَمْعَاءَهُ خَرَجَتْ بِسَبَبِ مَرَضِهِ،
فَمَاتَ بِأَمْرَاضٍ رَدِيئَةٍ،
وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ شَعْبُهُ حَرِيقَةً حَرِيقَةً آبَائِهِ. [١٩]

سبق فهددت الشريعة الذين لا يخافون الرب ويُبصِرُونَ على مقاومته، أنهم يسقطون تحت أمراض

^١ المؤلف: من كتابات القديس يوحنا الذهبي الفم، ٢٠٠٧، ص ٥٧.

مؤلمة ومزمنة (تث ٢٨: ٥٨-٥٩)، هكذا كان مرض يهورام ثقيلًا للغاية. استمر لمدة سنتين دون تذوق طعم الراحة، وهو في ريعان شبابه، لم يكن بعد قد بلغ الأربعين من عمره. حقًا لقد سمح الله لآسا الملك الذي كان قلبه مستقيمًا في عيني الرب أن يُجرب بالمرض، لكن في قدميه فقط. أما يهورام الذي لم يكن له أحشاء رافة حتى تجاه إخوته، ضربت أعاؤه حتى انسكبت، حتى يدرك ما حلّ بأحشائه الروحية، فيرجع إلى الرب.

كثير من القديسين مثل الرسول بولس جُربوا بالأمراض، إما لتزكيتهم، أو لحفظهم من الكبرياء. فيقولون "أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف" (مر ١٤: ٣٨)، ويجدون تعزيتهم في إدراكهم قول الرسول: "مع المسيح صليبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠).

لقد حَلَّت التآديبات بيهورام تدريجيًا ليعطيه الرب فرصة للتوبة:

١. أرسل له عن طريق إليشع إنذارًا مكتوبًا من إيليا النبي [١٢].
٢. سمح أن يُهَيِّج عليه الفلسطينيين والعرب والكوشيين ويتحالفون معًا ضده [١٦].
٣. نهب هؤلاء المتحالفون كل ما وجدوه في بيت يهورام، مع بنيته ونسائه.
٤. أصيب بالمرض ففقد طاقته، وتحطمت نفسه، لأنه لم يعد فيه قوة ليكون له رجاء في استرجاع عائلته وكنوز قصره.

٥. ما أضاف لهذا المرض الشديد مرارة أكثر، حرمانه من رفقة نسائه وأولاده له لمواساته، والعناية به وخدمته في مرضه.

لقد أراد الله أن يكشف عن عينيه ليلمس بنفسه ثمار الخطية، فقد صار مريضًا وفقيرًا ووحيدًا ومحرومًا من رضا الله ونعمته، ومع هذا كله للأسف لم يرجع إلى نفسه.

وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ شَعْبُهُ حَرِيقَةً كَحَرِيقَةِ آبَائِهِ: يترجمها البعض "لم يقيموا له جنازة كجنازة آبائه. فقد كانت العادة أن تُحرق أطياب ثمينة أثناء إقامة الجنازة.

٨. ذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ

كَانَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ ثَمَانِي سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ،

وَذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ،

وَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي قُبُورِ الْمُلُوكِ. [٢٠]

حلّ بيهورام العار والخزي حتى في لحظات موته، بل وحتى بعد موته، إذ لم يحزنوا عليه لكثرة

شوروه.

١. مع أنه لم يملك سوى ثمانٍ سنوات، إذ حلَّ به الموت: "ذهب غير مأسوف عليه". لم يحزن أحد لموته، إذ شعر الكل بأنه لن تحلَّ بأورشليم خسارة أكثر مما حلَّ بها في أيامه.
٢. عَيَّرَ الكل قادة وشعب عن مرارة نفوسهم بسبب فساده، لذا لم يدفنوه في مقابر الملوك، إذ حسبوه ليس أهلاً لذلك.

٣. لم يعملوا له حريقة كحريقة آبائه [١٩].

يرى البعض أنهم لم يُكْرَموا الجنان بدهنه بحنوطٍ ثمينة أو سكب روائح عليه، مع أن جنمانه كان يتطلب ذلك، لأن الأمراض التي حلَّت به بعثت من الجنان رائحة لا تُطَاق.
العجيب أن الشعب الذي سمع ليهورام وترك عبادة الله، وانحرف إلى العبادة الوثنية، ازدروا به من أجل شوروه وفساد حياته واستخدامه للعنف.

من وحي ٢ أي ٢١

هَبْ لِي رُوحَ الْمَلُوكِيَةِ الْحَقِيقِيَّةِ

❖ أَقَمْتَ أَبُوِّي أَدَمَ وَحَوَاءَ مَلَكًا وَمَلَكَةً،

وهبتهما سلطانًا على الحيوانات والطيور والأسماك،

وعلى كل الخليقة غير العاقلة.

لم تُقَمِّهما ليتسلَّطَا على بني البشر.

لم تخلق إنسانًا ليكن عبدًا لأخيه.

❖ هَبْ لِي سُلْطَانًا بِنِعْمَتِكَ عَلَى أَفْكَارِي وَحَوَاسِي وَعَوَاطِفِي.

أَقِمْ مَلَكُوتَكَ فِي دَاخِلِي،

فلا تتسلَّلَ محبة السلطة إلي أعماقي.

حتى لا أحمل روح إبليس المُتسلِّط.

بل أسلك بروحك يا أيها العجيب في تواضعك.

❖ لِأَتَجِدَ بِكَ، فَيَصِيرُ لِي الْحَقُّ فِي الْإِنْطِلَاقِ لِأَكُونَ آخِرَ الْكُلِّ.

أَحْمَلُ حُبَّكَ لِلْبَشَرِيَّةِ،

فَأَشْتَهِي أَنْ أُغْسَلَ أَقْدَامَ الْجَمِيعِ.

- أُكْرِمَكَ فِي كُلِّ فَقِيرٍ وَصَغِيرٍ .
لَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ مِنْ تَزْدَرِي بِهِ .
بَذَلْتَ ذَاتَكَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ ،
فَنَقِّمِ مِنَ الْبَشَرِ مَلُوكًا عِظَمَاءَ فِي عَيْنَيْكَ .
- ❖ قَتَلَ يَهُورَامُ إِخْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ تَثْبِيثِ كُرْسِيِّهِ .
لَطَخَ يَدَيْهِ بَدَمِ إِخْوَتِهِ ،
وَأَفْسَدَ قَلْبَهُ بِمَحَبَةِ السَّلْطَةِ .
سَلَّمَهُ كِبْرِيَاوَهُ لِلْأَعْدَاءِ ، فَقَتَلُوا نِسَاءَهُ وَأَبْنَاءَهُ .
- ❖ لَمْ يَسْمَعْ لَصَوْتِ إِيلِيَا نَبِيِّكَ ،
فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ شَعْبَهُ ، وَلَا احْتَرَمُوهُ كَمَلِكٍ .
تَسَلَّلَ الْمَرَضُ إِلَى أَمْعَائِهِ يَوْمًا فَيَوْمًا .
فَقَدَّ نِسَاءَهُ وَأَبْنَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ وَصِحَّتَهُ .
- ❖ صَارَ دَرَسًا لِكُلِّ مَنْ يَحْنُ حُبُّ السَّلْطَةِ عَلَى الشَّرِّ .
لَمْ يَهْتَمَّ شَعْبُهُ بِهِ فِي مَرَضِهِ .
وَإِذْ مَاتَ لَمْ يُدْفَنَ فِي مَقْبَرَةِ الْمُلُوكِ .
ذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ !

الأصحاح الثاني والعشرون

الملك أخزيا بن يهورام

وعثليا الملكة المتعطشة للدماء

ورد الكثير من تفصيلات هذا الأصحاح أيضًا في ٢ مل ٨: ٢٥-٢٩؛ ٩: ٢٧-٢٨؛ ١٠: ١٣-١٤؛ ١١: ١-٢. ورث أخزيا الشر عن أبيه يهورام، إذ لم يتعظ مما حلَّ بأبيه. تأثر أخزيا بأُمَّه التي كانت تُشير عليه بفعل الشر [٢].

لقد حَلَّتْ أكثر ساعات الظلمة على يهوذا، كثمرة من ثمار دخول يهوشافاط في مصاهرة مع أخاب الشرير.

مات يهورام ودُفِنَ غير مأسوف عليه، واستلمت زوجته عثليا الكرسي، وهي نسخة مطابقة لأمها الشريرة إيزابل، لذا لا نعجب من تعطشها لسفك الدماء.

١. أخزيا ملك يهوذا ٢-١.
٢. أخزيا يسلك في طريق أخاب ٣-٤.
٣. اشتراك أخزيا مع يهورام في الحرب ٥.
٤. ياهو يقتل أخزيا ٦-٩.
٥. اغتصاب عثليا أم أخزيا للعرش ١٠.
٦. إخفاء يهوآش بن أخزيا في الهيكل ١١-١٢.

١. أخزيا ملك يهوذا

وَمَلِكُ سَكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَخْزِيَا ابْنُهُ الْأَصْغَرَ عَوْضًا عَنْهُ،
لَأَنَّ جَمِيعَ الْأَوَّلِينَ قَتَلَهُمُ الْغُرَاةُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الْعَرَبِ إِلَى الْمَحَلَّةِ.

فَمَلِكُ أَخْزِيَا بَنُ يَهُورَامَ مَلِكِ يَهُودَا. [١]

بقوله "ملك سكان أورشليم أخزيا..." نستنتج أنه غالبًا لم يكن سكان أورشليم مستريحين لاستلامه العرش، ربما لأنه أصغر إخوته أو لضعف شخصيته، لكن لم يكن أمامهم بديل، حيث قتل العرب كل إخوته.

صار ملكًا من الجانب الشكلي، إذ كانت أمه هي التي تُدبّر أمور المملكة.

كَانَ أَحْزَبًا ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ،
وَأَسْمُ أُمِّهِ عَثْلِيَّا بِنْتُ عُمْرِي. [٢]

جاء في الترجمة السبعينية أن عمر أخزيا حين ملك كان عشرين عامًا. هذا مقبول مع ما ورد في الأصحاح السابق يهورام أنه ملك وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة، وملك ثماني سنين، أي مات في الأربعين من عمره، بهذا كان ابنه البالغ العشرين من عمره قد وُلِدَ حين كان والده عشرين سنة. وكان أخزيا متأثرًا بالمشيرين من مملكة الشمال (إسرائيل) أكثر من أي ملك آخر ليهودا. قرأنا في الأصحاح السابق عن سبي أبناء يهورام ونسائه، لكن لم يقل كل أبنائه وكل نسائه. لذلك ذكر في هذا الأصحاح أحد أبنائه "أخزيا" وإحدى نسائه "عثليا" التي يمكن القول إنها مع أمها إيزابل الشريرة هما مصدر خزي وكارثة سواء بالنسبة لمملكة إسرائيل أو مملكة يهوذا. سبق أن رأينا كيف أرادت عثليا أن تبيد كل النسل الملوكي، لكي تؤكد أنه لن يتحقق الوعد الإلهي الخاص باستمرارية كرسي داود.

٢. أخزيا يسلك في طريق أخاب

وَهُوَ أَيْضًا سَلَكَ فِي طَرُقِ بَيْتِ أَخَابِ،
لَأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تُشِيرُ عَلَيْهِ بِفِعْلِ الشَّرِّ. [٣]

بعد دفن أبيه الشرير يهورام، ربما كان الشعب ينتظر من الابن الأصغر ألا يسلك كأبيه، غير أن أمه وأسرتة دفعوه للسلوك في نفس طريق أبيه. لم يكن لأخزيا مبادئ يعيش بها، إنما وثق في أمه عثليا ابنة عمري، المرأة الشديدة الطموح والعنيفة للغاية، كانت تقوده وتشير عليه بالشر. أقام أخزيا تحالفًا مع يهورام بن أخاب.

فَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ مِثْلَ بَيْتِ أَخَابِ،
لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ مُشِيرِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ لِإِبَادَتِهِ. [٤]

٣. اشتراك أخزيا مع يهورام في الحرب

فَسَلَكَ بِمَشُورَتِهِمْ،
وَدَهَبَ مَعَ يَهُورَامَ بْنِ أَخَابِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ لِمُحَارَبَةِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ،

فِي رَامُوت جِلْغَادَ. وَصَرَبَ الْأَرَامِيُّونَ يُورَامَ [٥]

٤. يَاهُو يَقْتُلُ أَخْزِيَا

فَرَجَعَ لِيَبْرًا فِي يَزْرَعِيلَ بِسَبَبِ الصَّرِيَّاتِ الَّتِي صَرَبُوهُ بِهَا فِي الرَّامَةِ،
عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ.
وَنَزَلَ أَخْزِيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكِ يَهُودَا لِيُزَوِّرَ يُورَامَ بْنَ أَخَابَ فِي يَزْرَعِيلَ،
لَأَنَّهُ كَانَ مَرِيضًا. [٦]

فَمِنْ قَبْلِ اللَّهِ كَانَ هَلَاكُ أَخْزِيَا بِمَجِيئِهِ إِلَى يُورَامَ.
فَإِنَّهُ حِينَ جَاءَ خَرَجَ مَعَ يُورَامَ إِلَى يَاهُو بْنِ نِمْشِي،
الَّذِي مَسَحَهُ الرَّبُّ لِقَطْعِ بَيْتِ أَخَابَ. [٧]

سبق لنا الحديث عن ياهو في تفسيرنا لسفر الملوك الثاني (٢ مل ٩: ٢٧-٢٨).

ما حدث لأخزيا هو ثمرة الالتصاق بالصدقات الشريرة ومعاشرة الأشرار والتزواج منهم، وأيضاً عبادته للأوثان. إن كنا لا نخاف من العدوى بالانحراف نحو الشر، فلنخف من الهلاك مع الأشرار. لذلك جاءت الوصية: "اخرجوا من بابل" (رؤ ١٨: ٤).

وَإِذْ كَانَ يَاهُو يَقْضِي عَلَى بَيْتِ أَخَابَ،

وَجَدَ رُؤْسَاءَ يَهُودَا وَبَنِي إِخْوَةِ أَخْزِيَا،

الَّذِينَ كَانُوا يَخْدُمُونَ أَخْزِيَا، فَقَتَلَهُمْ. [٨]

وَطَلَّبَ أَخْزِيَا، فَأَمْسَكَوهُ وَهُوَ مُخْتَبِئٌ فِي السَّامِرَةِ،

وَأَتَوْا بِهِ إِلَى يَاهُو وَقَتَلُوهُ وَدَفَنُوهُ،

لَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ ابْنُ يَهُوشَافَاطَ الَّذِي طَلَّبَ الرَّبُّ بِكُلِّ قَلْبِهِ.

فَلَمْ يَكُنْ لِبَيْتِ أَخْزِيَا مَنْ يَقْوَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ. [٩]

قام ياهو بقتل أخزيا الذي اختبأ في السامرة، الذي ظن أنه يكون في أمان، وقد ترك ياهو جثمان أخزيا لكي يدفنوه.

٥. اغتصاب عثليا أم أخزيا للعرش

وَلَمَّا رَأَتْ عَثْلِيَا أُمَّ أَخْزِيَا أَنَّ ابْنَهَا قَدْ مَاتَ،

قَامَتْ وَأَبَادَتْ جَمِيعَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ مِنْ بَيْتِ يَهُودَا. [١٠]

ورد ذلك في ٢ مل ١١ : ١ الخ. أمرت عثليا بقتل أحفادها حتى تضمن بقاءها على العرش. عثليا امرأة شريرة تسعى لهدم بيت داود إلى الأبد، لتُقيم على أنقاضه عرشاً لنفسها. أبادت جميع النسل الملكي بوحشية، وغالباً ما كانت تود أن تنقل العرش من بيت داود إلى أقاربها من أمها. لم يكشف الكتاب المقدس عن دوافعها الخفية وخطتها، سوى ضمانها أن يبقى العرش في يدها. أول من تأمل في هذا الأمر يوسيفوس المؤرخ، فوصف تصرفاتها بأنها قد ورثت من والديها الكراهية لبيت داود. يقول عنها إنها كانت ترغب "في ألا يبقى أحد من بيت داود حياً، بل أن تبيد كل الأسرة، حتى لا يتسلّم ملك فيما بعد يقوم من الأسرة"¹. كان دافعها هو تكذيب الوعد الإلهي أن يجلس نسل داود على العرش، ومجيء المخلص من نسل داود.

يرى البعض أن عثليا بجانب رغبتها ألا يلمس أحد إكليلها، ولا يجلس أحد من بيت داود على عرش يهوذا. إنها أرادت الانتقام لقتل إيزابيل أمها وإبادة أسرتها على يد ياهو. ظنّت أنها على حق أن تنتقم لوالديها ولكل أسرتها حتى من نسلها الذين هم خليفة يهورام الذي من بيت داود. لعل عثليا كانت في أعماقها كراهية مرّة لما حلّ بأسرتها؛ وكراهيتها لبيت داود دفعها لكراهية إله داود. ما فعلته عثليا مارسه أيضاً هيروودس في مذبحّة أطفال بيت لحم، ليحتفظ بكرسي العرش. ظنّت عثليا وأيضاً هيروودس أنهما صارا في أمان، ولم يُدرِكا أن الله ضابط الكل وراعي شعبه. سمح الله بما حدث لبيت داود ليؤكد أن رعاية الله وحدها هي التي أنقذت الموقف، ليبقى طفل صغير لبيت داود، خلاله يبقى سراج مُنير للبيت، ويأتي من نسل داود المخلص. باطلاً حاول عدو الخير أن يُبطل خطة الله للخلاص.

❖ لاحظت الأشرار، فرأيتهم في سلام، أي سلام؟ سلام مؤقت، مُتغيّر، عابر وأرضي، ومع هذا فإنني أنا أيضاً أطلب هذا من الله. رأيت الذين لم يخدموا الله ينالون ما اشتبهتبه أنا الذي أخدم الله، لكن قدمي زلنا وخطواتي زلقت (مز ٧٣ : ٢). الآن أدركت لماذا لهم سلام وانتعاش على الأرض... لأن عقابهم ليس مؤقتاً، بل ثابتاً إلى الأبد^٢.

القديس أغسطينوس

❖ يُقال عن الأشرار بعد موتهم: "أين خيمة مساكن الأشرار؟"

إن أمعنا النظر في هذا، هل تقدرون أن تتكروا بأنه توجد مجازاة من قِبَل العدل الإلهي؟ الأول

¹ Antiq. 9:7:1.

² On Ps. 73.

(البار) تغمر السعادة قلبه، والثاني البؤس. الأول بشهادة نفسه أنه بريء من الذنب، والثاني مجرم.

ذاك الإنسان سعيد في رحيله من العالم، والثاني حزين عليه.

من يقدر أن ينطق بالبراءة على من هو ليس ببريء في عيني ضميره؟ يقول: "أين غطاء خيمته،

تذكاره لن يوجد" (راجع أي ٢١ : ٢٨).

حياة المجرم حلم. لا، حتى الراحة ذاتها التي للأشرار وهم يعيشون هنا هي وهم، إنهم الآن في

الجحيم، إذا ينحدرون إلى جهنم وهم أحياء^١.

❖ يجيب القديس أيوب: لا تظنوا أنكم سعداء وأنتم منغمسون في الملذات، لأن ضربات الله لم تحل

عليكم في هذه الحياة.

"سراج الأشرار ينطفئ". إنه يعطي ضوءاً إلى زمن، لكنه لا يحمل نوراً أبدياً.

وبالرغم من أن العالم يحابي مثل هؤلاء الناس، لأنهم يمارسون إرادة الله صاحب السلطان على

العالم (يو ١٤ : ٣٠)، لكن عادة ما تحل لحظة التحول في الأحداث، حيث تأتي الأحران من قبل

غضب السماء وسخطها، حيث يُعْرَبِل الأشرار "كالتبن قدام الريح". يُعْرَبِل الظالمون كالفخس، والأبرار

كحنطة. التفتوا إلى الرب القائل لبطرس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يُعْزِلَكُمْ كالحنطة، ولكني طلبتُ

من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو ٢٢ : ٣١-٣٢)^٢.

القديس أمبروسيو

❖ "وعدد سنوات ظلمه غير أكيدة"... معروف أن كل إنسانٍ مُتَكَبِّر يمارس الطغيان حسب قياسه.

فما يمارسه شخص في دولة وذلك بحُكْم مركزه العالي الذي يتناسب معه؛ وآخر في مقاطعة،

وآخر في مدينة، وآخر في أسرته، وآخر يخفي شره، فيمارسه على نفسه في فكر قلبه.

فالله لا يشغله كمية الشر التي يستطيع الإنسان أن يمارسها، وإنما الكمية التي في ذهنه ليمارسها.

وعندما يكون الإنسان بلا سلطان في الخارج، يُحَسَب طاغية في داخله، ويسيطر الإثم عليه في

داخله. فإنه وإن كان لا يضغط على أقربائه من الخارج، إلا أنه في الداخل يبحث ليجد فرصة

وسلطناً للضغط على الغير. فإن الله يتطَلَّع إلى قلوب البشر، فيحسب في عيني الله الشرير أنه

مارس بالفعل حسب ما يتخيَّله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

¹ Duties of the Clergy, 1:12:44.

² St. Ambrose: The Prayer of Job and David, 5: 17, 18.

٦. إخفاء يهوآش بن أزريا في الهيكل

أَمَّا يَهُوشَبَعُ بِنْتُ الْمَلِكِ، فَأَخَذَتْ يَهُوآشَ بْنَ أَزْرِيَا،
وَسَرَقَتْهُ مِنْ وَسْطِ بَنِي الْمَلِكِ الَّذِينَ قُتِلُوا،
وَجَعَلَتْهُ هُوَ وَمُرْضِعَتُهُ فِي مَخْدَعِ السَّرِيرِ،
وَخَبَأَتْهُ يَهُوشَبَعُ بِنْتُ الْمَلِكِ يَهُورَامَ امْرَأَةَ يَهُويَادَاعَ الْكَاهِنِ.
(لأنَّهَا كَانَتْ أُخْتِ أَزْرِيَا)

مِنْ وَجْهِ عَثْلِيَا فَلَمْ تَقْتُلْهُ. [١١]

وثق أزريا في أمه عثليا ابنة عمري، المرأة العنيفة للغاية، والتي تشير عليه بالشر [٣]. أقام تحالفاً مع يهورام بن آخاب.

في وسط المذبحة التي صنعتها عثليا لإبادة جميع النسل الملكي لتبقى بمفردها في الحكم، لم ينطفئ سراج مسيح الرب؛ فقد حفظ الله رضيعاً ضعيفاً، وذلك رمزاً للسيد المسيح الذي حُفِظَ من مذبحة أطفال بيت لحم.

في السنة السبئية - السنة السابعة - سنة راحة الأرض ظهر يوآش لملك أمام عيون الجميع، استعلن أنه الملك الوحيد الذي له السلطان أن يلبس التاج.

❖ كما أن ما أعدَّه الله للذين يحبونه يفوق العقل، كذلك ما أعدَّه من عذابات للأشرار يفوق العقل^١.

العلامة أوريجينوس

❖ يُذرى الأشرار بمرارة (كزوانٍ خفيفٍ)، أما الأبرار فيخلصون كحنطةٍ ثقيلةٍ. لاحظوا ما يقوله الرب لبطرس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو ٢٢: ٣١). الذين يُذرون مثل زوانٍ يهلكون، أما الذي لا يهلك فهو مثل البذرة التي تسقط وتنمو وتزيد وتأتي بثمرٍ كثيرٍ (لو ٨: ٨)... يُشبه الشر بالعصافة التي تحترق سريعاً وتصير تراباً^٢.

القديس أمبروسوس

وَكَانَ مَعَهُمْ فِي بَيْتِ اللَّهِ مُحْتَبِئًا سِتِّ سِنِينَ،

وَعَثْلِيَا مَالِكَةً عَلَى الْأَرْضِ. [١٢]

^١ عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا، ترجمة جاكين سمير كوستي، عظة ١٩: ١٥.

^٢ The Prayer of Job and David, 2: 5: 18.

حُبُّها لسفك الدماء أبقدها شعبيتها، إن كانت قد وُجِدَتْ. وتوليها العرش ليس له أي أساس قانوني. كل ما تتسم به هو عنفها وجبروتها، فظنَّت أنه ليس من يقدر أن يعصاها أو يقاومها.

جاء اختباء الطفل في بيت الله بحكمة إلهية فائقة:

١. لم يكن ممكناً لإنسانٍ ما أن يخفي الطفل في بيته، لئلا يتسرَّب الخبر، فتنقَم عتليا من صاحب البيت وكل عائلته.

٢. بقاء طفل صغير مع مرضعته في بيت الرب لمدة ست سنوات دون تسرُّب الخبر إلى الملكة، لم يتم باطلاً، إنما بخطة إلهية تكشف عن رعاية الله نفسه للأمر.

٣. حفظ الطفل في بيت الرب تحت رعاية رئيس الكهنة، كشف عن خطة الله الذي خصص سبطاً معيناً للعمل الكهنوتي، وآخر للعمل الملوكي، مع تعاون السبطين. وكان الله يعلن رعايته لشعبه روحياً وزمناً.

من وحي ٢ أي ٢٢

هَبْ لي روح الرعاية والقيادة

❖ هَبْ لي روحك يعمل فيّ، يا أيها الزاعي الصالح.
بحُبِّك ترعى شعبك، وتبذل ذاتك عنهم.
بحُبِّك تُقيم من كل طفلٍ قائداً محباً!

❖ تَسَلَّم أخزيا العرش، ولم يكن له مبادئ صادقة.
كانت أمُّه الشريرة تقوده وتشير عليه بشرها.
دفعته إلى الشر، وحرمته من الالتصاق بك.
دفعته إلى الالتصاق بيهورام عابد الأصنام.
ظنَّ في تحالفه مع يهورام أن نفسه تطمئن.
فإذا بالموت يلاحقه، والعار يلتصق به.

❖ تسَلَّمت عتليا أمه عرش ابنها.

في حُبِّها للسلطة، قتلت كل ذكرٍ من بيت داود.
قتلت واستراحت، وظننت أنها في أمانٍ واستقرارٍ.
لم يعد بعد من ينافسها على عرشها.

ليس من يستطيع أن يقف أمامها.
ولا يوجد في المملكة كلها من يقدر أن يعصاها.
بقيت على العرش ست سنوات،
وظننت أنها قديرة وحكيمة وقائدة فريده.
لم يعد بعد أحد من بيت داود يجلس على العرش.
ولا يمكن للنبوات عن بيت داود أن تتحقق.

❖ لكنك أيها الراعي الصالح أنقذت طفلاً ابن سنة واحدة.
احتضنته في هيكلك المقدس.
حرسته بعنايتك، وهيأته ليجلس على العرش.
تعمل بالكثير كما بالقليل، وبالكبير كما بالطفل الصغير.
تسكب روحك على مؤمنيك،
فيحملون روح الحب والرعاية والقيادة!

الأصحاح الثالث والعشرون

تجليس يوأش بن أخزيا ملكاً

واغتيل عثليا

وردت هذه القصة في ٢ مل ١١ : ٤ الخ.

تم إصلاح النظام الملكي وعودة بيت داود إلى العرش في داخل الهيكل الذي بناه سليمان بن داود، حتى يتمكن السبط الكهنوتي أن يخدم الله. التاريخ الحقيقي هو في بيت العبادة. ارتبطت رئاسة الكهنوت المُمَثَّلة في يهوئاداع ارتباطاً وثيقاً بالمملكة. هذا الارتباط واضح جداً في أخبار الأيام على الرغم من أن المملكة والكهنوت لا يُمنحان كليهما لشخص واحد، إنما في شخص المسيح وحده الذي هو ملك الملوك ورئيس الكهنة السماوي. قيل عنه: "يكون كاهناً على كرسيه" (زك ١٣ : ٦).

١. يهوئاداع يُعد الشعب لاستقبال يوأش ١٠-١.
٢. يهوئاداع يُظهر الملك أمام الشعب ١١.
٣. قتل عثليا مغتصبه العرش ١٥-١٢.
٤. إصلاحات الملك ٢١-١٦.

١. يهوئاداع يُعد الشعب لاستقبال يوأش

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تَشَدَّدَ يَهُوئَادَاعُ،

وَأَخَذَ مَعَهُ فِي الْعَهْدِ رُؤَسَاءَ الْمِنَاتِ:

عَزْرِيَا بَنُ يَرْوَحَامَ وَإِسْمَاعِيلَ بَنُ يَهُوْحَانَانَ وَعَزْرِيَا بَنُ عُوْبِيدَ

وَمَعْسِيَا بَنُ عَدَايَا وَأَلِيشَافَاطَ بَنُ زَكْرِي [١]

لم يذكر سفر الملوك أسماء هؤلاء الرؤساء المنات. إنما ذكر وجود حراسات ملكية في خمسة أقسام (٢ مل ١١ : ٤-٨). كان رؤساء المنات الخمسة من قوة الحرس الملكي، وكانوا مستائين من عثليا واتجاهاتها العدائية لبيت الرب ولنسل داود، وغالباً ما كانوا في ودٍ مع يهوئاداع الكاهن.

شخصية الكاهن يهوئاداع

يُعتَبَرُ يَهُوئَادَاعُ كَاهِناً مِثَالِيّاً يَخْدُمُ لَا لِحِسَابِ نَفْسِهِ أَوْ النَّاسِ إِنَّمَا لِمَجْدِ اللَّهِ؛ يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ

في أمورٍ كثيرة.

أ. كان ذا حكمة وتدبير صالح وحياء مقدسة، فقد حفظ الأمير الصغير لعدة أعوام حتى أصبح قادرًا على الظهور أمام الشعب والقادة الصالحين الذين سئموا تصرفات الملكة المغتصبة للعرش. حَطَّط يهوياذاع لهذا العمل ونَفَّذَه في سرِّيَّةٍ عجيبةٍ وبسرعةٍ، بلا تراخ.

❖ قَدَّمَ ثلاث سمات للكراسة بالكلمة: غيرة متقدمة مغامرة، ونفس مستعدة لاحتمال أية مخاطر مُحتمَل حدوثها، ومعرفة وحكمة مرتبطان معًا. فإن حُبَّه للمغامرة في كرازته، وفي حياته التي بلا لوم ما كانت تنفعه في شيء لو لم يتقبَّل قوة الروح. تطلع إليه إذ تظهر فيه هو أولاً، أو بالأحرى اسمع كلماته: "لئلا تُلام خدمتنا".¹

❖ يليق بالكاهن أن يتلأأ، فيضيء بسيرته الحسنة على جميع الناس ليقنتوا بمثاله. أما إذا تحوَّل هذا النور إلى ظلام، فماذا يحل بالعالم؟! أما يصير خرابًا؟²

القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. إنسان الله، يشعر أن الله قد دعاه لهذا العمل، ويرافقه في عمله، وبدونه لا يستطيع أن يمارس عمله الكهنوتي.

❖ من هو الطاهر ويدون زيف قدام الله، حتى يلبس النار، ويقوم ويخدم اللهب؟ أي ترابي التَّهَبَ بلاهوتك حتى يقدر أن يمسك ذلك اللهب الذي لا يُدرك؟ من تنقَّى من قذارة العالم البغيض، وقام بدرجة عظيمة المجد حتى يكهن؟ لو كان أحد ساروف نارياً، لن يقدر أن يكهن ذبائح مصاف الرسل الكاملة.³

القديس مار يعقوب السروجي

ج. رجل ذو نفوذ، جذاب، انضم إليه القواد، وخضع له اللاويون ورؤوس آباء إسرائيل عندما دعاهم إلى أورشليم [٢]. كإنسانٍ حكيمٍ ومحبٍ وأعطى سلطاناً من الله، يسمعون له في هدوءٍ (جا ٩: ١٧).

¹ In Ephes., hom. 6.

² الحب الرعوي، ص ١٧٨.

³ الميمر ٧٠ على تعزية الكهنة (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

❖ كملكٍ أرسلهم حكامًا، معطيًا إياهم سلطانًا أن يُلقوا في السجن أو أن يُخرجوا منه، هكذا إذ أرسلهم قَلدَّهم ذات السلطان^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. رجل إيمان عظيم، لم يكن الذين حوله يُحَرِّكونه، بل تقوده كلمة الله، يطلب أن يعمل حسب إرادة الله [٣]. يعمل لا ليمكِّك ابن الملك الصغير لمقاومة عتليا، وإنما "كما تكلم الرب" [٣].

❖ إنها لدينونة عنيفة يسقط تحتها من يُعلِّمون. هذا ما يظهره تلميذ المسيح القائل: "لا نكونوا مُعلِّمين كثيرين يا إخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يع ٣: ١). فإن عطية المواهب الروحية وفيرة للذين هم رؤساء الشعب، إذ يكتب الحكيم بولس إلى الطوباوي تيموثاوس: "قلِّعُك الرب فهمًا في كل شيء" (٢ تي ٢: ٧)، "لا تُهمل أيضًا موهبة الله التي فيك بوضع يدي" (راجع ٢ تي ١: ٦). من هذا يظهر أن مُخلِّص الكل إذ يعطيهم أكثر يطالبهم أكثر.

ما هي الفضائل التي يطالبهم بها؟ الثبات في الإيمان، والتعليم الصحيح، والتأسيس حسنًا في الرجاء، والصبر بلا زعزعة، والقوة الروحية التي لا تُعَلَّب، والفرح والشجاعة في كل تقدُّم حسن. بهذا نصير قُدوة للآخرين في الحياة الإنجيلية. فإن عشنا هكذا يمنحنا المسيح الإكليل، الذي به ومعه السُّبح والسلطان للأب والروح القدس إلى أبد الأبد آمين^٢.

القديس كيرلس الكبير

ه. رجل عبادة، لا لتنفيذ الطقوس بلا فهم، إنما يطلب الله به وفيه. يجد في الله شبعه.

❖ خادم المسيح الكامل ليس له شيء بجانب المسيح^٣.

القديس جيروم

و. ذو إرادة قوية وتصميم عجيب. عرَّض نفسه للقتل، لكنه عمل بروح القوة بغير خوف.

❖ ذلك الذي هدَّب رغباته ودرَّب نفسه على الاحتمال، ونما إلى حالة كمال المعرفة يكون مساويًا للملائكة!

لقد استنار فعلاً وصار مُضيئًا كالشمس في ممارسة اللطف، مُسرِّعًا بمعرفة مملوءة بِرًا إلى

¹ Homilies on St. John, 86:3.

² In Luc Ser 93.

³ Letter 14: 6.

المسكن المُقدَّس خلال حُبِّ الله كما فعل الرسل. فإن هؤلاء الرسل لم يصيروا رسلاً لاختيارهم للرسوليَّة بسبب امتياز في طبيعتهم، إذ كان يهودا أيضاً مختاراً من بينهم، لكنهم كانوا قادرين أن يكونوا رسلاً (أن يمارسوا الحياة الرسوليَّة المستتيرة)... فيروا أموراً غير محدودة. متياس لم يكن مختاراً بينهم، لكنه أظهر نفسه مستحقاً أن يكون رسولاً عوضاً عن يهودا.

الآن أيضاً، الذي يُدْرَب نفسه على وصايا الرب، ويعيش بالكمال بمعرفة حسب الإنجيل، يحسب في جسد الرسل المختارين. مثل هذا يكون بحق كاهناً للكنيسة، وخادماً (شماشاً) حقيقياً لإرادة الله، مادام يعمل ويُعلَّم حسب الرب، وليس مُجَرَّد أنه سيم من أناس، فهو لا يُحسب باراً لمُجَرَّد كونه كاهناً، وإنما صار في الكهنوت لأنه بار. فإنه حتى وإن لم ينل هنا على الأرض كرامة الكرسي الأعظم، لكنه سيجلس (مع) الأربعة وعشرين عرشاً، يدين الناس، كما قال يوحنا في سفر الرؤيا¹.

القديس إكليمنضس السكندري

وَجَالُوا فِي يَهُودَا، وَجَمَعُوا اللَّاوِيِّينَ مِنْ جَمِيعِ مَدُنِ يَهُودَا،

وَرُؤُوسَ آبَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٢]

حرص يهوياداد على دعوة القيادات العسكرية مع المدنية والدينية للقيام بالثورة ضد عثليا، والمناداة ببوآش ملكاً، فقد تحرَّك رؤساء المئات وجمعوا القيادات الدينية (اللاويين) والسياسية (رؤوس آباء إسرائيل) ليجتمع الكل معاً في أورشليم.

يقصد بإسرائيل هنا مملكة يهودا التي كانت تضم يهودا وبنيامين والأثقياء من الأسباط الأخرى، وقد تركوا مملكة الشمال وانضموا إلى مملكة الجنوب.

لم يستدع يهوياداد الكاهن رؤساء الأسباط الذين في مملكة الشمال، لأنهم لا يُؤتمنون على أمرٍ كهذا، وقد تركوا الهيكل وقبول حصر الملوك في نسل داود.

يحتمل أن ما حدث كان في فترة الاحتفال بأحد الأعياد الكبرى السنوية، حيث كان اليهود يجتمعون في أورشليم. بهذا لم تشعر عثليا بوجود مؤامرة مُدبَّرة ضدها.

وَقَطَعَ كُلُّ الْمَجْمَعِ عَهْدًا فِي بَيْتِ اللَّهِ مَعَ الْمَلِكِ.

وَقَالَ لَهُمْ: هُوَذَا ابْنُ الْمَلِكِ يَمْلِكُ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ بَنِي دَاوُدَ. [٣]

قصد بكل المجمع هنا القيادات السابق ذكرها في العبارة السابقة.

¹ Strom. 6:13.

هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ.

الثُّلُثُ مِنْكُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي السَّبْتِ مِنَ الْكَهَنَةِ،

وَاللَّاوِيِّينَ يَكُونُونَ بَوَائِبِنَ لِلْأَبْوَابِ [٤]

إن كان يهوياдав في حكمته ورغبته في العمل الجماعي، قد جمع القيادات العسكرية والدينية والمدنية، ليشعر الكل أن العمل خاص بالجميع وليس بفتنة معينة، غير أنه حرص على التفاف الكهنة واللاويين حَوْلَ الملك، ومراعاة الشريعة بخصوص الاحتفال في الهيكل.

"هذا هو الأمر الذي تعملونه": يصف هنا التنظيم الخاص بالدفاع عن هذه الثورة ضد عتليا وتتصيب يوأش ملكًا، فقد قسّم القائمين بالحراسة إلى ثلاث مجموعات: قسم لحراسة الملك أينما وجد [٧]، وقسمان يقومان بحراسة كل الأبواب ومداخل بيت الرب وبيت الملك.

وَالثُّلُثُ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ،

وَالثُّلُثُ فِي بَابِ الْأَسَاسِ،

وَجَمِيعُ الشَّعْبِ فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٥]

وَلَا يَدْخُلُ بَيْتَ الرَّبِّ إِلَّا الْكَهَنَةُ وَالَّذِينَ يَخْدُمُونَ مِنَ اللَّاَوِيِّينَ،

فَهُمْ يَدْخُلُونَ لِأَنَّهُمْ مُقَدَّسُونَ،

وَكُلُّ الشَّعْبِ يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ. [٦]

وَيُحِيطُ اللَّاَوِيُّونَ بِالْمَلِكِ مُسْتَدِيرِينَ كُلُّ وَاحِدٍ سِلَاحَهُ بِيَدِهِ.

وَالَّذِي يَدْخُلُ الْبَيْتَ يُقْتَلُ.

وَكُونُوا مَعَ الْمَلِكِ فِي دُخُولِهِ وَفِي خُرُوجِهِ. [٧]

غالبًا ما خشي يهوياдав من هجوم كهنة البعل على الملك داخل الهيكل، لذلك حمل اللاويون المحيطون بالملك السلاح لمنعهم من الدخول.

فَعَمِلَ اللَّاَوِيُّونَ وَكُلُّ يَهُودًا حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ يَهُوَيَادَاعُ الْكَاهِنَ.

وَأَخَذُوا كُلُّ وَاحِدٍ رِجَالَهُ الدَّاخِلِينَ فِي السَّبْتِ مَعَ الْخَارِجِينَ فِي السَّبْتِ،

لَأَنَّ يَهُوَيَادَاعَ الْكَاهِنَ لَمْ يَصْرِفِ الْفِرْقَ [٨]

كان الكهنة واللاويون مُقسَّمين إلى فرق، كل فرقة تقوم بنوبتها، وتتصرف لتحل فرقة أخرى مكانها. أما في هذا الحدث فاعتبر يهوياдав أن جميع الفرق في حالة طوارئ، فلم يسمح لها أن تتصرف حتى يتم الاحتفال، ويطمئن أن الجو في المدينة كلها يسوده الهدوء والسلام.

وَأَعْطَى يَهُوِيَادَاعَ الْكَاهِنُ رُؤَسَاءَ الْمَنَاتِ الْحِرَابِ وَالْمَجَانِّ،
وَالْأُتْرَاسِ الَّتِي لِلْمَلِكِ دَاوُدَ الَّتِي فِي بَيْتِ اللَّهِ. [٩]
وَأَوْقَفَ جَمِيعَ الشَّعْبِ وَكُلَّ وَاحِدٍ سِلَاحَهُ بِيَدِهِ،
مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ الْإَيْمَنِ إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ الْأَيْسَرِ،
حَوْلَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ حَوْلَ الْمَلِكِ مُسْتَدِيرِينَ. [١٠]

٢. يهوياذاع يُظهر الملك أمام الشعب

ثُمَّ أَخْرَجُوا ابْنَ الْمَلِكِ،
وَوَضَعُوا عَلَيْهِ التَّاجَ،
وَأَعْطَوْهُ الشَّهَادَةَ وَمَلَكُوهُ.
وَمَسَحَهُ يَهُوِيَادَاعُ وَبَنُوهُ،
وَقَالُوا: لِيَخَي الْمَلِكُ! [١١]

كم كان فرح الشعب وهو يرى الطفل الصغير، ابن داود يقف على المنبر. لقد تحطّم اليأس الذي حلّ بالأكثريين، فركضوا فرحين ليروا ما لم يكن يتوقعونه.

جاء في الترجوم: "وجاءوا بابن الملك، ووضعوا عليه التاج الملكي الذي أخذه داود من رأس ملك بني عمون. وقد رُصّع بحجر كريم جذاب، وقد نُقِشَ عليه ما يُعبّر عن عظمة اسم "يهوه" وكرامته، هذا الذي وضعه عليه بالروح القدس. وكان يزن وزن ذهاب. وكان ذلك شهادة لبني داود، وأنه لا يقدر لملك ليس من بيت داود أن يحتل وزنه. وعندما رأى الشعب أنه قد وضع على رأس يوش، وأنه احتل هذا التاج، صدّقوا أنه من نسل داود، وللحال نصبوه ملكًا. عندئذ مسح يهوياذاع وأبنائه، وقالوا: "ليزدهر الملك في مملكته!"

عندما قتل داود جليات أخذ الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه، وقدمهما للملك شاول (٢ صم ١: ١٠). أما الشهادة التي أُعطيَت للملك، فيقال إنها درج مكتوب عليه الشريعة (نتث ١٧: ١٨)، يوضع في يدي الملك الذي يمسك بصولجان الملك.

كان الملك يستلم هذا الدرج بيديه ويضعه فوق رأسه قبل أن يقرأه، علامة خضوعه لما في الدرج وتكريمه لما ورد فيه.

٣. قتل عثليا مغتصبة العرش

وَلَمَّا سَمِعَتْ عَثَلِيَّا صَوْتِ الشَّعْبِ يَرْكُضُونَ وَيَمْدَحُونَ الْمَلِكَ،

دَخَلَتْ إِلَى الشَّعْبِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [١٢]

تجاسرت الملكة عثليا ودخلت الهيكل، إذ ظننت أن نفوذها لا يصدّه شيء ما.

وَنظَرَتْ وَإِذَا الْمَلِكُ وَقَفَّ عَلَى مَنْبَرِهِ فِي الْمَدْخَلِ،

وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَبْوَاقُ عِنْدَ الْمَلِكِ،

وَكُلُّ شَعْبِ الْأَرْضِ يَفْرَحُونَ وَيَنْفُخُونَ بِالْأَبْوَاقِ،

وَالْمُعَنُّونَ بِآلَاتِ الْغِنَاءِ وَالْمُعَلَّمُونَ التَّسْبِيحِ.

فَشَقَّتْ عَثَلِيَّا ثِيَابَهَا وَقَالَتْ: خِيَانَةٌ! خِيَانَةٌ! [١٣]

كان الملك على منبره في دار الشعب مُقابل الكهنة، فقد أحضر الملك الصغير من الداخل إلى دار الشعب. يرى البعض أن الملك كان على المنصة النحاسية التي لسليمان، موضوعة بجوار المنبر (العمود).

لم تكن عثليا تظن أن أحداً من بيت داود قد نجا من المذبحة التي ارتكبتها. فجأة رأت ما لم يكن في حسابها، فصرخت: "خيانة! خيانة!"

يليق بالأبرار ألا يشمتوا في الأشرار عند هلاكهم، فإنهم يحملون إرادة أبيهم أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقْبَلُونَ (١ تي ٢: ٤)، لكنهم يفرحون بإبادة سلطان الشر والظلم حتى لا يتعزّر الضعفاء، كما يُسرّون بمجد الله الذي لا يقبل الفساد.

يجد الأبرار الفرصة للكشف عن بطلان الشر وضعفه وعدم ديمومته، وسخافة حكمة الأشرار ومكرهم وخبثهم. يُسرّ الأبرار بانهيار إبليس ومملكته، وبدمار الخطية لا الخاطي. فإن البار لا يعرف إلا الحب حتى بالنسبة للخطاة.

❖ "يرى الأبرار ذلك فيبتهجون، ويضحك الأبرياء عليهم ساخرين" [١٩]. إذ يرى الأبرار الأشرار يخطئون هنا، لا يُسرّون بخطأ أناس يهلكون أنفسهم. فإنهم إن كانوا يسرون بالخطأ لا يُحسبون بعد أبراراً...

لقد فقد الفريسي برّه لأنه سرّ، حاسباً نفسه أسمى من العشار، قائلاً: "أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين، الظالمين، الزناة، ولا مثل هذا العشار" (لو ١٨: ١١).

مرة أخرى إن قلنا إن البار يمكن أن ينتصر بفرح كامل لموت الأشرار، أي نوع هو هذا الفرح من أجل الانتقام من الأشرار في هذا العالم، الذي فيه حياة البار غير أكيدة؟

لنُمَيِّز بين الأزمنة التي للرعب والتي للمجد. فالأبرار يرون الأشرار الآن، وبصيرون في هزالٍ من أجل شرورهم. وعندما يرونهم يُضربون، لا يتفون في حياتهم هم أيضاً... الآن يرى الأبرار أبناء الهلاك ويبتنون، وفي الدينونة النهائية يرونهم ويضحكون ساخرين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَأَخْرَجَ يَهُوِيَادَاعُ الْكَاهِنُ رُؤَسَاءَ الْمِنَاتِ الْمُؤَكَّلِينَ عَلَى الْجَيْشِ، وَقَالَ لَهُمْ:
أَخْرِجُوهَا إِلَى خَارِجِ الصُّفُوفِ،
وَالَّذِي يَتَّبِعُهَا يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ.
لَأَنَّ الْكَاهِنَ قَالَ: لَا تَقْتُلُوهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [١٤]

بحكمة أخذ يهوياذاع كل حيطة ألا تقتل المرأة الشريرة في بيت الرب، فالموضع مُقدَّس، ويلزم ألا يلحق به عار. وفي نفس الوقت يجب ألا تُترك الملكة الطاغية، لئلا تغتال الملك الصغير، لذلك طلب قتل من يتبعها، رافضاً إقامة يوأش ملكاً.

فَأَلْفُوا عَلَيْهَا الْأَيَادِي.
وَلَمَّا أَتَتْ إِلَى مَدْخَلِ بَابِ الْخَيْلِ إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ قَتَلُوهَا هُنَاكَ. [١٥]
أولئك الذين يرضون بالإثم لا يكون لهم نصيب بين الخالدين^١.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ "محوت اسمهم إلى الدهر والأبد" (مز ٩: ٥). إنك تُدَمِّرهم تماماً، تستأصلهم من أصولهم، وتمحوهم، فتختفي ذكراهم أيضاً... "باد ذكراهم بتحطيم" (أي ١٨: ١٨). وفي نص آخر "باد ذكراهم معهم". ماذا يعني بقوله: "بتحطيم"؟ إنه يتحدث عن تدمير تام، أو عن بشاعة الشرور. وهذه في الواقع علامة عناية الله، أنه لا يفعل هذا سراً، حتى يُصلح من حال الناس خلال مصائب الآخرين. لذلك يشير إلى شهوة الدمار الذي يحلُّ بهم^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا التبن لا يهلك من هم حنطة الرب، والذين هم قليلون إن قورنوا بالآخرين، لكنهم هم جمع عظيم. لا يهلك مختارو الله الذين يُجمعون من أقاصي العالم، من أربعة رياح، من أقصى السماء

^١ الفيلوكاليا: ١٧٠ نصاً عن حياة القداسة، ١٣.

^٢ On, Ps. 9.

إلى أقصاها (مت ٢٤ : ٣١). يصرخ المختارون قائلين: "خَلِّصْ يَا رَبِّ، لَأَنَّهُ قَدْ انْقَرَضَ التَّقِي، لَأَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْأَمْنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (مز ١٢ : ١). فيقول لهم الرب: "من يصبر إلى المنتهى (حيث يُقِيدُ الشَّرَّ) فهذا يَخْلُصُ" (مت ٢٤ : ١٣).^١

❖ ارتجَّت الأرض وارتعشت" (مز ١٨ : ٧). عندما تمجَّد ابن الإنسان هكذا ارتج الخطاة وارتعشوا. "أسس الجبال ارتعدت" (مز ١٨ : ٧)، فإن رجاء المتكبرين الذين كانوا في هذه الحياة قد ارتعد. "وارتجت لأنه غضب". هذا هو الرجاء في البركات الزمنية، لم يعد بعد متأسسًا في قلوب الناس.^٢
القديس أغسطينوس

❖ "ذابت الجبال مثل الشمع" (مز ٩٧ : ٥). بالنسبة لي تبدو الجبال أنها قوات الشياطين. سواء كانوا جبلاً أو لا يكونون، فهم بالتأكيد الناس المتكبرون.
هذه النار لا تهلك الذين في الأسفل (المتواضعين)، وإنما تهلك المتسامخين وحدهم.
كحقيقة واقعة فإن البرق نادرًا ما يؤثر على الذين هم في الوادي، وإنما لن ينجو منه أولئك الذين في الأعالي على الجبال.

القديس جيروم

يرى يوسيفوس أنها قُتِلَتْ عند باب البغال، جنوب شرقي الهيكل، بالقرب من باب الخيل في وادي قدرون، كان في ذلك الوقت يُحسب مكانًا دنسًا.^٣

٤ . إصلاحات الملك

فَقَطَعَ يَهُوِيَادَاعُ عَهْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ الشَّعْبِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ،
أَنْ يَكُونُوا شَعْبًا لِلرَّبِّ. [١٦]

حرص يهوياذاع على بدء الإصلاح بتجديد العهد مع الله. لقد قطع عهدًا بينه كمثل الله والشعب والملك بعد أن أفسدت عتليا العبادة لله، وبذلت كل جهدها أن تستبدل عبادة الله بعبادة الأوثان.
عهد ثلاثي: حرص الكاهن أن يُجَدِّدَ الميثاق بين الرب والملك، وبين الله والشعب، وبين الملك والشعب (٢ مل ١١ : ١٧). أما غاية هذا التجديد للعهد، فهو الحرص أن يكون الشعب "شعب الرب"، فلا يطلب الملك ولا الكاهن ولا الشعب مجددًا لأنفسهم بل للرب.

¹ Ep. 93:33.

² On Ps. 18.

³ Jamieson , Fausset and Brown commentary.

وَدَخَلَ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى بَيْتِ الْبَعْلِ وَهَدَمُوهُ،

وَكَسَرُوا مَذَابِحَهُ وَتَمَاثِيلَهُ،

وَقَتَلُوا مَتَانَ كَاهِنَ الْبَعْلِ أَمَامَ الْمَذْبَحِ. [١٧]

أفضع ما فعلته عثليا هو السير في طريق أمها الشريرة إيزابل، وإدخال عبادة البعل وتعصيدها. طالبت الشريعة بقتل كهنة الأوثان، لأنهم يغوون الشعب على العبادة الوثنية ورجاساتها (نت ٧: ٦-٥).

متان *Mattan*: غالبًا كان أول كاهن للبعل، جاء مرافقا عثليا من السامرة، وهو الذي كان مُقَرَّبًا ليربعام في نشر عبادة البعل بأورشليم، دعاه يوسيفوس معثان^١.

وَجَعَلَ يَهُوِيَادَاعُ حُرَّاسًا عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ عَنِ يَدِ الْكَهَنَةِ اللَّأْوِيِّينَ،

الَّذِينَ قَسَمَهُمْ دَاوُدُ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ،

لِإِصْعَادِ مُحْرِقَاتِ الرَّبِّ.

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى بِالْفَرَجِ وَالْغِنَاءِ حَسَبَ أَمْرِ دَاوُدَ. [١٨]

أهمِلَ الهيكل في أيام الملوك الأشرار، وحدث مزج بين عبادة الله وعبادة الأوثان، وفسد نظام الهيكل، لذلك قام يهوياذاع رئيس الكهنة بالآتي:

١. عيّن الكهنة لإصعاد المحرقات كما هو مكتوب في شريعة موسى.

٢. عيّن المُسَبِّحِينَ حسب ترتيب داود النبي والملك، إذ ارتبطت العبادة بالفرج (رو ٥: ١١).

٣. أقام حُرَّاسَ الأبواب حسب ما أمر داود [١٩]، كي لا يدخل الهيكل من كان نجسًا.

وَأَوْقَفَ الْبُؤَابِينَ عَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الرَّبِّ،

لِنَلَا يَدْخُلَ نَجِسٌ فِي أَمْرِ مَا. [١٩]

وَأَخَذَ رُؤَسَاءَ الْمَنَابِتِ وَالْعُظَمَاءَ وَالْمُسْتَطِينَ عَلَى الشَّعْبِ، وَكُلَّ شَعْبِ الْأَرْضِ،

وَأَنْزَلَ الْمَلِكَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ،

وَدَخَلُوا مِنْ وَسْطِ الْبَابِ الْأَعْلَى إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ،

وَأَجْلَسُوا الْمَلِكَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمَمْلَكَةِ. [٢٠]

فَفَرِحَ كُلُّ شَعْبِ الْأَرْضِ، وَاسْتَرَاخَتِ الْمَدِينَةُ،

¹ Josephus: Antiq. 9:7:3; McClintock & Strong's Cyclopedia, article Mattan.

وَقَتَّلُوا عَثْلِيًّا بِالسَّيْفِ. [٢١]

ما يلاحظ في كل هذه الإصلاحات سيادة روح الفرح الحقيقي مع السلام الداخلي. هكذا عندما

يملك ابن داود على القلب لا يفارقنا فرح الروح، وننعم بعربون السماء!

من وحي ٢ أي ٢٣

لتملك في قلبي، وتقتل كل شر فيه!

- ❖ ظننت عتليا أنها ملكت،
وقتل كل وريث للعرش.
بطغيانها صارت تُحرِّك القيادات كقطع الشطرنج.
ظننت أنه لا يوجد إله تخشاه!
- ❖ وجدت في عبادة البعل ملذاتها،
وأقامت نفسها إلهة، لا يستطيع أن يقف أمامها أحد.
استهانت بكل وعودك لبيت داود.
خطت وظننت أنه يستحيل أن يكون لبيت داود موضع على العرش.
- ❖ عنايتك عجيبة، وتدابيرك حكيمة.
حرَّكتَ كاهنك يهوياذاع وزوجته لحفظ طفلٍ بدا كأنه منسي.
وحان الوقت ليجلس على كرسي العرش.
بفرح تحرَّكت القيادات العسكرية والدينية والمدنية.
فُنِّلت عتليا عند باب البغال،
وقُتِلَ معها كاهن البعل متان.
- ❖ تجسدت يا كلمة الله وصرت طفلاً،
أرعبت إبليس وكل قواته.
تترع على قلوب البشر،
وتُفيم ملكوتك فيهم داخلياً.
تحوّل الترابيين إلى شبيه سماءيين.
وتضم البشر إلى الخورس السماوي.
لك المجد يا مُخلِّص البشرية.

الأصحاح الرابع والعشرون

انحراف الملك يوأش

يؤكد هذا الأصحاح ارتباط النظام الملكي لببيت داود بالنظام الكهنوتي اللاوي. إذ كان يوأش تحت إرشاد يهوياذاع رئيس الكهنة النقي، سلك باستقامة قلب، واهتم بالهيكل والعبادة. لكن بعد موت يهوياذاع، صار له مشيرون أشرار، فارتدَّ عن الإيمان.

١. إصلاح الهيكل ١٤-١.
٢. إعادة العبادة في الهيكل ١٦-١٥.
٣. ارتداد الملك وتحذيره ١٩-١٧.
٤. قتل زكريا النبي ٢٢-٢٠.
٥. غزو الأراميين له ٢٤-٢٣.
٦. قتله ودفنه ٢٧-٢٥.

١. إصلاح الهيكل

إذ لم يعد يوجد ملك على يهوذا، إنما استلمت عتليا العرش، صار لرئيس الكهنة والكهنة دور رئيسي. وكان الجيش والشعب متعاطفين مع يهوياذاع. في بداية مُلكه كان يوأش يسلك تحت إرشاد يهوياذاع الكاهن النقي. لم تكن إرشاداته تُمنَّل تقلاً على نفسه، بل سكبت عليه وعلى الشعب سعادة وفرحاً. والعجيب أن يوأش أظهر غيرة على إصلاح الهيكل أكثر من يهوياذاع نفسه [٦]. اهتم الملك ببناء الهيكل، ولكن إلى حين، أما يهوياذاع فانشغل بالأكثر بالإصلاح الداخلي حتى النفس الأخير.

كَانَ يَهُوَأَشُ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،

وَأَسْمَ أُمِّهِ ظَبْيَةُ مِنْ بَنُرِ سَبْعِ. [١]

وَعَمِلَ يَهُوَأَشُ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ يَهُوَيَادَاعِ الْكَاهِنِ. [٢]

وَاتَّخَذَ يَهُوَيَادَاعُ لَهُ امْرَأَتَيْنِ، فَوَلَدَ بَيْنَ وَبَيْنَاتِ. [٣]

ربما نظن أن يهوياذاح اهتم بقيام الملك من نسل داود كرد جميل لما فعله داود وسليمان في بناء الهيكل، وتنظيم العبادة، وتدبير كل ما يمس العمل الكهنوتي، غير أن العلاقة كانت قوية للغاية حتى في الأمور الشخصية. تَدَخَّل يهوياذاح في حياة الملك الخاصة جداً، فلم يتزوج الملك إلا بامرأتين. فقد قيل عن الملك: "ولا يكثر له نساء، لئلاً يزيغ قلبه" (تث ١٧: ١٧). هذا ما سقط فيه سليمان الحكيم: "وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيَّات وأدوميَّات وصيدونيَّات وحثِّيَّات... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة... فأملت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (١ مل ١١: ٦-١).

وَحَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي قَلْبِ يَهُوَأَشَ أَنْ يُجَدِّدَ بَيْتَ الرَّبِّ. [٤]

وضع يوآش في قلبه أن يُجَدِّدَ بيت الرب، فقد مرَّ على إنشائه حوالي مئة وثلاثين عاماً. شعر يوآش أن بيت الرب هو الملجأ الذي تربى فيه، والحصن الذي لجأ إليه من الموت. شعر بحنين نحو هذا البيت، فوضع في قلبه أن يُجَدِّدَهُ بعد أن تجاهله الكثير من ملوك يهوذا خاصة أيام يهورام وعتليا، فكان الهيكل في حاجة إلى ترميم دقيقٍ وشاملٍ. وبالفعل تَمَّت بعض الترميمات والإصلاحات فيه^١.

لقد اختبر يوآش عذوبة السكنى في بيت الرب، وبركات الالتقاء مع الرب في بيته، فمن يصعد إلى بيت الرب باشتياق للعشرة معه، يكون كمن يصعد إلى السماء.

❖ أنتم تعرفون أيها الأعمام الأعمام أن أغنية المصاعد (إلى بيت الرب) هي أغنية صعودنا، وأن هذا الصعود لا يتحقق بأقدام الجسد بل بمشاعر القلب^٢.

❖ نُعَلِّمُنَا المزامير التي تُدْعَى "مزامير المصاعد" كيف نصعد ونتقدَّم في سيرنا مع الله. يدعونا المرتل بالروح القدس أن نصعد بالقلب، أي أن نزداد في الرغبة المقدسة الحقيقية، الأمر الذي هو أعظم من البحث عن "المشاعر الروحية".

نبدأ بالإيمان. ونؤمن في حقيقة عالم الله غير المنظور، وأسس ملكوته الثابت. هذا يلهب فينا رجاءً حياً بأننا أبناء الملكوت. هذا بدوره يجعلنا نسكب حبَّ الله على الغير.

هذا يُزِيدُ رغبتنا لخبرة حضور الله الأبدي الآن، كما في الحياة العتيدة، التي بلا نهاية. هذا هو ما

¹ Josephus: Antiq.9:8:2.

² On Ps 124 (123).

يعنيه أننا نصعد.

❖ إننا نئن في رحلتنا، وسنفرح في المدينة. لكننا نجد لنا رفقاء في رحلتنا، هؤلاء قد رأوا تلك المدينة عينها. هؤلاء يحثوننا أن نجري نحوها. يفرح (المرتل) بهؤلاء أيضاً، قائلاً: "فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب"¹.

❖ بالرغم من أنك لا تزال على الطريق، ضع نصب عينيك كما لو كنت بالفعل واقفاً، كما لو كنت بالفعل فرحاً بلا توقّف مع الملائكة، كما لو أن المكتوب قد تحقق فيك: "طوبى للساكنين في بيتك، دائماً يسبحونك"².

القديس أغسطينوس

❖ وجودنا في الكنيسة ما هو إلا استغاثة للعزة الإلهية، وإظهار عبوديتنا له، وشكرنا للنعمة المجانية التي أسبغها علينا حال كوننا أعداء له ومضادين وغير خاضعين لعزته، إذ أرسل ابنه الوحيد من السماء سافكاً دمه الزكي، وبإذلاً جسده الكريم الطاهر فداءً عنا، ذاكرين هذه الآلام المجيدة، وصانعين هذه التذكارات الجليلة المحبوبة تحت ستار طبيعتي الخبز والخمر اللذين هما سرّ الجسد المبذول والدم الزكي المسفوك، ومشاركين في هذه النعم الفريدة، مُتّحدين في هذه الأمجاد الإلهية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَجَمَعَ الْكَهَنَةَ وَاللَّوِيِّينَ وَقَالَ لَهُمْ:
اُخْرَجُوا إِلَى مَدُنِ يَهُودَا،
وَاجْمَعُوا مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلِ فِضَّةً،
لَأَجْلِ تَرْمِيمِ بَيْتِ إِلَهِكُمْ مِنْ سَنَةِ إِلَى سَنَةٍ،
وَبَادِرُوا أَنْتُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ.
فَلَمْ يُبَادِرِ اللَّوِيُّونَ. [٥]

طلب الملك من الكهنة واللاويين أن يخرجوا إلى كل المدن، يجمعون فضة لأجل ترميم بيت الرب.

إن كان بيت الرب قائماً في أورشليم، إلا إنه يُمثّل الحضرة الإلهية في المملكة كلها، بل في وسط

¹ On Ps 122 (121).

² On Ps 122 (121).

الشعب أينما وُجِدُوا، فهو مصدر بركة للجميع. هذا وقد أراد الملك أن يشترك الكل في تكلفة الترميم والصيانة المستمرة عبر السنوات، ليتمتعوا ببركة العطاء كذبيحة شكر مُقدَّمة للرب، راعي الجميع والمعنتي بالكل والمهتم بخلصهم.

يظهر من أسلوب هذا الملك الشاب في حديثه مع اللاويين أن غيرته على ترميم بيت الرب كانت شديدة. غير أنه إذ يتحدث عنه الله يقول: "لأجل ترميم بيت إلهكم"، ولم يقل: "إلهنا". مما يجعلنا نتصور أن غيرة الملك على بيت الرب كانت تمسُّ التجديد والمظهر، وليس العلاقة الشخصية التي تليق بالملك كما بكل القادة والشعب مع الرب.

هذا يُدَكِّرنا بالرؤساء والقادة حين كانوا يتحدثون مع إرميا، قالوا له: "فتصلي لأجلنا إلى الرب إلهك" (إر ٤٢: ٢، ٣).

إذ تهاون الكهنة واللاويون في ترميم بيت الرب، اهتم الملك نفسه بذلك. بذل كل الجهد لترميم بيت الرب، ولم يكف عن العمل لتحقيق هذا:

١. جمع الكهنة واللاويين، ودفعمهم للتحرك في كل مدن يهوذا، ليشترك كل الشعب في المساهمة في تجديد الهيكل.

٢. لم يقاوم اللاويون الأمر، لكنهم تراخوا في حث الشعب على المساهمة.

٣. عاتب الملك رئيس الكهنة يهوياحاز على تراخي اللاويين، كما ذكَّره بما فعلته عتليا من تخريب لبيت الرب.

٤. لم يقف عند الحث والعتاب، إنما تحرك للقيام بعملٍ إيجابي بسيط، إذ صنع صندوقاً عند باب بيت الرب خارجاً لل تبرعات. ففرح كل الرؤساء، وألقوا في الصندوق حتى امتلأ.

٥. تعاون الملك مع الكهنة معاً، فكان كاتب الملك ووكيل رئيس الكهنة يُفرغان الصندوق ويعيدانه من جديد يومياً [١١].

٦. كمل العمل، وبقيت فضاة استخدمت في عمل آنية ذهبية وفضية لبيت الرب؛ وكانت تُصعد مُحَرَّقات في بيت الرب كل أيام يهوياحاز [١٤].

فَدَعَا الْمَلِكُ يَهُوِيَادَاعَ الرَّئِيسَ وَسَأَلَهُ:

لِمَاذَا لَمْ تَطْلُبْ مِنَ اللَّاَوِيِّينَ أَنْ يَأْتُوا مِنْ يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ

بِحَرْبِيَّةِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ وَجَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ لِحَيْمَةِ الشَّهَادَةِ؟ [٦]

طُلبَ من كل من بلغ العشرين من عمره فما فوق أن يُقدِّمَ نصف شاقل لبيت الرب، الغني لا يُكثر

والفقير لا يقلل، لكي يدرك أن الكل متساوون في عيني الرب (خر ٣٠: ١٢-١٥).

لأنَّ بَنِي عَثَلِيَا الْخَبِيثَةِ قَدْ هَدَمُوا بَيْتَ اللَّهِ،
وَصَيَّرُوا كُلَّ أَقْدَاسِ بَيْتِ الرَّبِّ لِلْبَيْعِ. [٧]
وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَعْمَلُوا صُنْدُوقًا، وَجَعَلُوهُ فِي بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ خَارِجًا [٨]
وَتَادَا فِي يَهُوذَا وَأورشليم بأنَّ يَأْتُوا إِلَى الرَّبِّ بِحِزْيَةِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ
الْمَفْرُوضَةِ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ. [٩]

الترم الشعب بتقديم مساهمة حب في نفقات الخيمة (أو الهيكل) من كل الرجال، ٢٠ عامًا فما فوق، دون تمييز بين غني وفقير (خر ٣٠: ١٢ الخ). تُشير إلى أن التقدمة وإن كانت تحمل روحًا جماعية، لكنها تحمل أيضًا علاقة شخصية بين كل مؤمن وإلهه. خدمة الخيمة (أو الهيكل) هي خدمة الجماعة كلها، دون أن تفقد المؤمن شخصيته كعضو حي له علاقة مباشرة مع الله، وفي نفس الوقت خلال اتحاده بالجماعة.

فَفَرَحَ كُلُّ الرُّوسَاءِ وَكُلُّ الشَّعْبِ وَأَدْخَلُوا،
وَأَلْفُوا فِي الصُّنْدُوقِ حَتَّى امْتَلَأَ. [١٠]
وَحِينَمَا كَانَ يُؤْتَى بِالصُّنْدُوقِ إِلَى وَكَالَةِ الْمَلِكِ بِيَدِ اللَّاوِيِّينَ،
عِنْدَمَا يَرُونَ أَنَّ الْفِضَّةَ قَدْ كَثُرَتْ،
كَانَ يَأْتِي كَاتِبُ الْمَلِكِ وَوَكِيلُ الْكَاهِنِ الرَّئِيسِ وَيُفْرِغَانِ الصُّنْدُوقَ،
ثُمَّ يَحْمِلَانِهِ وَيُرْدَانِهِ إِلَى مَكَانِهِ.
هَكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ يَوْمًا فَيَوْمًا،
حَتَّى جَمَعُوا فِضَّةً بكَثْرَةٍ. [١١]
وَدَفَعَهَا الْمَلِكُ وَيَهْوِيَادَاعُ لِعَامِلِي شُغْلِ خِدْمَةِ بَيْتِ الرَّبِّ،
وَكَانُوا يَسْتَأْجِرُونَ نَحَاتِينَ وَنَجَّارِينَ لِتَجْدِيدِ بَيْتِ الرَّبِّ،
وَلِلْعَامِلِينَ فِي الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ أَيْضًا لِتَرْمِيمِ بَيْتِ الرَّبِّ. [١٢]
فَعَمِلَ عَامِلُو الشُّغْلِ وَنَجَّحَ الْعَمَلُ بِأَيْدِيهِمْ،
وَأَقَامُوا بَيْتَ اللَّهِ عَلَى رَسْمِهِ وَثَبَّتُوهُ. [١٣]
وَلَمَّا أَكْمَلُوا أَتُوا إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَيَهْوِيَادَاعَ بِبَقِيَّةِ الْفِضَّةِ،
وَعَمَلُوهَا آيَةً لِبَيْتِ الرَّبِّ،

آبِيَّةٌ خِدْمَةٍ وَإِصْعَادٍ وَصُحُونًا وَأَبِيَّةٌ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.
وَكُنَّا يُصْعِدُونَ مَحْرَقَاتٍ فِي بَيْتِ الرَّبِّ دَائِمًا كُلَّ أَيَّامٍ يَهُوِيَادَاعَ. [١٤]

٢. إعادة العبادة في الهيكل

وَشَاخٌ يَهُوِيَادَاعٌ وَشَبِعٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَمَاتَ.

كَانَ ابْنُ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَ وَفَاتِهِ. [١٥]

مات يهوياذاع وهو ابن مئة وثلاثين سنة. يبدو أنه وُلِدَ في أيام سليمان، وعاصر ستة ملوك، وتبنَّى حفظ الطفل يوأش، وتخبَّئته لمدة ست سنوات حتى قام بتجليسه وهو في السابعة من عمره.

فَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مَعَ الْمُلُوكِ،

لَأَنَّهُ عَمِلَ خَيْرًا فِي إِسْرَائِيلَ وَمَعَ اللَّهِ وَبَيْتِهِ. [١٦]

أَكْرَمَهُ الْمَلِكُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالشَّعْبُ، إذ عمل خيرًا في إسرائيل ومع الله وبَيْتِهِ [١٦]، فدُفِنَ مع الملوك. حسبه الكل كملك، لأنه خلال احتضانه ليوأش الذي يبدو أنه كان ضعيف الشخصية، كان يُدبِّرُ شئون المملكة تحت اسمه.

قيل: "عمل خيرًا في إسرائيل" [١٦]، لأن مملكة يهوذا صارت تُمَثِّلُ إسرائيل، أما بقية الأسباط فزاعوا عن الرب.

٣. ارتداد الملك وتحذيره

وَبَعْدَ مَوْتِ يَهُوِيَادَاعَ،

جَاءَ رُؤَسَاءُ يَهُودَا وَسَجَدُوا لِلْمَلِكِ.

حِينَئِذٍ سَمِعَ الْمَلِكُ لَهُمْ. [١٧]

جاء رؤساء يهوذا إلى الملك بعد موت يهوياذاع مباشرة ليصطادوه في فخ عبادة الأصنام. جاء في الترجوم: "بعد موت يهوياذاع، جاء عظماء يهوذا إلى الملك يوأش، وسجدوا له وأغوه، فقبل منهم أصنامهم".^١

للأسف بدفن يهوياذاع الذي كان مشيرًا للملك، دُفِنَ كل فكرٍ صالحٍ في الملك، ونسي ما فعله معه الكاهن، وكيف حفظه في الهيكل حتى يعتلي العرش في السابعة من عمره.

تصرَّفَ يوشيا الملك بعد موت مُرْشِدِهِ الرُّوحِيِّ يكشف سرَّ اهتمام الكنيسة بالأب الروحي.

¹ Adam Clarke Commentary.

❖ ذرفت سيلاً من الدموع على حياتي التعيسة، وصلّيت لأجدَ مُرشدًا يمكنه أن يبيث فيّ مبادئ التقوى الحقيقية... وأصبح جل اهتمامي أن أعمل على إصلاح أخلاقي بعد أن أفسدها طول اختلاطي برفقاء الشرّ، ثم قرأت الإنجيل، ورأيت أنه لا سبيل إلى بلوغ الكمال إلاّ بأن يبيع المرء ما له ويعطي للفقراء نصيبهم، ويتخلّى عن مطامع الحياة جميعها، حتى لا يبقى للنفس ما يُعكّر صفوها من كل ما في الدنيا من أشياء^١.

❖ يلزم أن يوجد قائد واحد مُعيّن، ليأمر بهذه الطريق العجيب للحياة، يُختار بكونه أفضل من البقية، خلال امتحان حياته وشخصيته وسلوكه الصالح.

يجب أخذ العمر في الاعتبار حيث يظفي عليه نوعًا من الكرامة. فإنه إلى حد ما بحسب طبيعة الإنسان أن الذي أكثر سنًا يستحق كرامة أعظم.

تبعًا لهذا فان هذا الرأس يمارس سلطة هكذا، ويلتزم الإخوة بالطاعة الاختيارية فقط، في خضوع وتواضع، لكي يمنع أي شخص في الجماعة من مقاومة إرادته عندما يصدر أمرًا ما يساهم في تكريم الحياة الدينية وكمالها^٢.

❖ إذ يليق بالجماعة أن تطيع الرئيس وتخضع له بكل الطرق، لذا فإنه على جانب عظيم من الأهمية أن الذي يُختار كمرشدٍ في هذه الحالة من الحياة أن تصلح حياته أن تكون نموذجًا في كل فضيلة لكل الذين يتطلعون إليه. وكما يقول الرسول أن يكون "صاحيًا، عاقلًا، ذا سلوك صالح، معلمًا" (١ تي ٣: ٢).

لهذا ففي رأيي يلزم الاستقصاء عن طريقة حياته، ولا يقف الأمر عند بلوغه عمرًا معينًا من جهة الزمن، فأحيانًا توجد سمات صيبانية مع الشبية والتجايد.

فالاستفسار عنه يلزم أن يكون فوق كل شيء لمعرفة إن كانت شخصيته وأخلاقياته نمت في شبية بلياقة، حتى أن كل ما يفعله ويقوله يمكن أن يمثل قانونًا وقاعدة ملزمة للجماعة.

علاوة على هذا فإن الذين يقودون الحياة الرهبانية أن تُؤخذ حياتهم في الاعتبار كما يصفها الرسول، حتى أن الذين يشتغلون بأياديهم يأكلون خبزهم بكرامة (٢ تس ٣: ١٢)^٣.

❖ تصفي بعض الحيوانات على حياتها معنى سياسيًا معينًا، إذا كنا نعتبر أن عمل السياسة هو

¹ Letters, 223:2; Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 38.

² An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 210).

³ An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 210-211).

توجيه الطاقات الفردية نحو غاية مشتركة...

إن ما يلاحظ في حياة النحل هو أنه يعمل تحت أمر رئيسٍ أو مندوبٍ عنه. فهو لا يذهب إلى الحقول قبل أن يتولَّى الملك رأس الحملة^١.

القديس باسيليوس الكبير

وَتَرَكُوا بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمْ،

وَعَبَدُوا السُّوَارِيَّ وَالْأَصْنَامَ،

فَكَانَ غَضَبٌ عَلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ لِأَجْلِ إِثْمِهِمْ هَذَا. [١٨]

قام الرؤساء بدور أصدقاء السوء؛ لعلمهم صاروا يتَمَلَّقونه ويداهنونه، ويُظهِرون له كل ولاءٍ. وفي نفس الوقت هناؤه بموت الكاهن الشيخ الذي حسبه كمن قام بعمل الوصاية على الملك. وحنُّوا الملك أن يتحرَّر من الكبت الذي عاشه في أيام يهوياداد، لينعم بالحياة خلال الانغماس في الرجاسات الوثنية. لم يُدرك أنهم دفعوه إلى العبودية للشهوات والفساد والحياة المُخزِية.

من المحتمل أن رؤساء يهوذا تقدَّموا بطلبٍ مباشرٍ أو خفي، مُعلِّنين فيه أنهم لم يجسروا أن يتقدَّموا به في حياة يهوياداد من أجل مجهوداته وشيخوخته، وهو أن يعودوا إلى نصب السواري والأصنام التي هُدمت في بداية حكم يواش، وأنهم لا يريدون التقيد بخدمة الهيكل العتيقة والصعبة. لم يسمح لهم الملك بذلك فحسب، وإنما اشترك معهم في إحياء العبادة الوثنية.

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ لِإِزْجَاعِهِمْ إِلَى الرَّبِّ،

وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُصْنَعُوا. [١٩]

إن كان عدو الخير قد أثار رؤساء اليهود على العودة إلى العبادة الوثنية، فإن الرب من جانبه، وإن كان لم يلزمهم بالعبادة السليمة قسراً، أرسل إليهم أنبياء يُوبِّخونهم على إثمهم، ويحدِّرونهم من عواقب الشر والخطية.

في خبثٍ تحرَّك رؤساء يهوذا مستغلين موت يهوياداد لبعث روح الشر، لكن في كل عصرٍ يوجد شهود لله، يعلنون الحق الإلهي، ويحدِّرون الأشرار من الهلاك الذي ينتظرهم. لم يصغ رؤساء الكهنة ولا الملك لرسالة الرب خلال أنبيائه.

٤. قتل زكريا النبي

¹ Hexamaeron 7:4.

وَلَيْسَ رُوحَ اللَّهِ زَكَرِيَّا بْنَ يَهُوِيَادَاعَ الْكَاهِنِ،

فَوَقَّفَ فَوْقَ الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ:

هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ: لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصَايَا الرَّبِّ فَلَا تُفْلِحُونَ؟

لَأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ الرَّبَّ، قَدْ تَرَكَكُمْ. [٢٠]

إذ لبس روح الله زكرياً بن يهوياذاع الكاهن، وقف أمام الشعب الذي لم يكن بعد قد فارق الهيكل، بل كان يجتمع فيه، لكنهم بدأوا يعبدون الأصنام.

ربما مع عبادتهم للأصنام، كانوا يجتمعون معاً في الهيكل في بعض المناسبات كالأعياد.

جاء في الترجوم: "عندما رأى إثم الملك والشعب، إذ كانوا يُفدِّمون بخوراً لصنم في هيكل الرب، في يوم الكفارة، ويمنعون كهنة الرب من تقديم المُحرقات والذبائح والتقدمات اليومية والخدمات كما ورد في شريعة موسى، وقف على الشعب وقال".

فَفَتَّنُوا عَلَيْهِ، وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ،

بِأَمْرِ الْمَلِكِ فِي دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٢١]

نطق الكاهن بالحق الإلهي في وضوحٍ كاملٍ وبلغتهٍ غير مثيرةٍ للغضب، ودون أن يُوجِّه اللوم إلى الملك أو رؤساء يهوذا، ولم يُهدِّدهم بالقصاص الإلهي. لقد طالبهم بالالتزام بالشريعة وحفظ الوصية الإلهية.

أثار حديث الكاهن الصريح ضمير الملك ورؤساء يهوذا، فعوض الرجوع إلى الله، عاملوه بوحشية، إذ رجموه بالحجارة بفتنة من هؤلاء الرؤساء ومن معهم، وبأمر الملك الذي حسب في كلمات الكاهن تحدياً له شخصياً.

لم يذكر الكاتب أن الملك أمر بمحاكمته أو اتهمه بالتجديف أو الخيانة أو أنه نبي كذاب، إنما غالباً ما قام به أتباع الرؤساء بتهيبج الشعب، فحدث شغب، لذلك أصدر الملك أمره برجمه لتهدئة الشعب.

يا له من ملك بئس! ترك الله، فاحتل عدو الخير قلبه، فصار عنيفاً يأمر برجم نبي الله وكاهنه، وابن ذلك الذي له الفضل في اعتلائه كرسي الحكم!

يا للعجب! لقد ارتكب جريمة بشعة من جوانب كثيرة، منها:

١. تمَّ رجمه وهو كاهن تقي مُقدَّس في بيت الله المقدس نفسه. يبدو أن زكريا هو المذكور في (لو

١١: ٥١)، ودُعِيَ ابن برخيا (مت ٢٣: ٣٥)، ربما بتأثير إشعيا ٨: ٢.

٢. العجيب أن الملك أمر برجمه في دار بيت الله، مع أن والد زكريا لم يرد أن يقتل عثليا في بيت الرب، وهي ملكة شريرة مُقاومة لله ومفسدة للهيكَل ومُتحدية لبيت داود، فطلب أن يخرجوها من بيت الرب لتُقْتَل هناك.

٣. نسي الملك أن والد هذا الكاهن يهوياذاع هو الذي عَرَضَ حياته للموت لأجل حفظ العرش له! بذل كل الجهد ليحافظ على بقاء العرش لبيت داود.

٤. نسي الملك العهد الذي قطعه مع الله يوم تجليسه.

٥. تُظهِر بشاعة هذه الجريمة أنها ضد زكريا الذي استشهد من أجل أمانته لله ووطنه، وأنه ابن يهوياذاع الذي عمل الكثير من الإصلاحات في يهوذا، وأنه كان أشبه بوالد للملك.

٦. جاء في التقليد اليهودي أن حادثة رجم الكاهن زكريا تمت في يوم الكفارة. لذلك يرى بعض اليهود أن هذه الجريمة تُمَثَلُ سبعة تعدييات وهي: إنها جريمة قتل كاهن، نبي، قاضي، سفك دم بريء، ودنست دار بيت الرب، حدثت في يوم سبت، تمت في يوم الكفارة.

وَلَمْ يَذْكُرْ يَهُوَأَشُ الْمَلِكُ الْمَعْرُوفَ الَّذِي عَمِلَهُ يَهُوَيَاذَاعُ أَبُوهُ مَعَهُ،
بَلْ قَتَلَ ابْنَهُ.

وَعِنْدَ مَوْتِهِ قَالَ: الرَّبُّ يَنْظُرُ وَيُطَالِبُ. [٢٢]

يوآش الذي بدأ حياته كملك في غيرة مُتقدِّة على بيت الرب، إذا به في جحود يأمر بقتل زكريا بن يهوياذاع داخل بيت الرب. عند قتله صرخ زكريا: "الرب يرى ويطلب" [٢٢]. وهي صرخة ناموس يُنتهك. سمع الله لهذه الصرخة، فسمح لحيش أرام أن يأتي بشرزمة قليلة إلى أورشليم لكي يذلوا جيشاً عظيماً جداً ليوآش [٢٤].

لم يطلب الكاهن الانتقام من الملك، إنما تنبأ عمًا سيحل بالملك بقوله لراجميهِ: "ينظر الرب ويطلب" [٢٢].

لا ننسى أن زكريا من دم ملوكي، لأن والدته هي عمّة الملك (٢٢: ١١)، وقامت بدور هام مع زوجها رئيس الكهنة يهوياذاع في حفظ حياة يوآش الملك وتدبير وتنفيذ تجليسه ملكًا، مُعَرِّضِينَ نفسيهما لغضب عثليا.

٥. غزو الأراميين له

وَفِي مَدَارِ السَّنَةِ صَعَدَ عَلَيْهِ جَيْشُ أَرَامَ،
وَأَتُوا إِلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ،

وَأَهْلَكُوا كُلَّ رُؤَسَاءِ الشَّعْبِ مِنَ الشَّعْبِ،

وَجَمِيعَ غَنِيمَتِهِمْ أَرْسَلُوها إِلَى مَلِكِ دِمَشْقَ. [٢٣]

تحققت نبوة الكاهن، ففي مدار السنة صعد على المدينة جيش أرام، وأهلكوا كل رؤساء الشعب، وأرسلوا جميع غنيمتهم إلى دمشق.

لأنَّ جَيْشَ أَرَامَ جَاءَ بِشَرِّذِمَةٍ قَلِيلَةٍ،

وَدَفَعَ الرَّبُّ لِيَدِهِمْ جَيْشًا كَثِيرًا جَدًّا،

لأنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ.

فَأَجْرُوا قِضَاءً عَلَى يَهُوَأَشَ. [٢٤]

٦. قتله ودفنه

وَعِنْدَ ذَهَابِهِمْ عَنْهُ - لِأَنَّهُمْ تَرَكُوهُ بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ - فَتَنَ عَلَيْهِ عِبِيدَهُ،

مَنْ أَجَلَ دِمَاءَ بَنِي يَهُوِيَادَاعِ الْكَاهِنِ،

وَقَتَلُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ فَمَاتَ.

فَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،

وَلَمْ يَدْفِنُوهُ فِي قُبُورِ الْمُلُوكِ. [٢٥]

يبدو أن يوأش تمرّد على ملك أرام... شرب يوأش من كأس الشر الذي ملأه. ومع هذا لم يستجب للتأديبات التي حلّت عليه بالتوبة والرجوع إلى الله.

١. سمح الله بشرذمة قليلة من أرام أن تهزم جيشه العظيم وتقتل رؤساء الشعب.

٢. أخذ حزائيل كل الأقداس وذهب الهيكل وما في خزائن بيت الملك [٢٧].

٣. أُصِيبَ يُوَأَشَ بِسَلْسَلَةٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ كَثِيرَةٍ، رِمَا بِسَبَبِ الضَّغُوطِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ. قَدْ تَكُونُ أَمْرَاضٌ جَسَدِيَّةٌ أَوْ عَقْلِيَّةٌ. فَمَعَ كَوْنَهُ فِي رِبْعِ عَمْرِهِ، كَانَ يَتَخَلَّصُ مِنْ مَرَضٍ لِيَجِلَّ بِهِ مَرَضٌ آخَرَ.

٤. بينما كان يظن أنه ينجو من الأمراض إذا به يُغتَالُ بالسيف وهو على سريره، وذلك من أجل دماء أبناء يهوِيَادَاعِ البريئة، إذ قتل زكريا وإخوته [٢٥].

٥. إذ أعاد الملك تأسيس العبادة الوثنية، ودفع الشعب إلى عبادة الأصنام، ودخلوا في زيجات مع نساء وثنيات؛ هلك على يدي اثنين من أبناء الوثنيات. أوضح الكتاب أن اللذين فتنا عليه أحدهما ابن

أم عمونية، والآخر أمه موابية.

٦. لم ينل يواش حتى كرامة دفنه في قبور الملوك، هذا الذي في السابعة من عمره تُوج ملكًا في بيت الرب بمجدٍ عظيمٍ وفرحٍ. لم يُدفن في قبور الملوك، لأنه لطَّخ اسمه وكرامته، وكما يقول المرتل: "ليته لا يُكتَب مع الصديقين" (مز ٦٩: ٢٨).

لم يُدفن يواش الملك في قبور الملوك، بينما دُفِن الكاهن يهوئاداع في قبور الملوك. يوضح يوسيفوس^١ أن الأخير كُرِّم من أجل إعادة العرش لبيت داود.

❖ الله هو الذي يرفع الملوك وهو الذي يُنزِلهم عن عروشهم^٢.

❖ الويل لذاك الرئيس الذي يحاول استغلال السلطة والإسراف في غيِّه وأنانيتته، فإن القصاص ينتظره من قبل الديان العادل، ويكون له بمقدار القسوة التي عامل بها قديسي الله^٣.

القديس باسيلوس الكبير

وَهَذَانِ هُمَا الْفَاتِنَانِ عَلَيْهِ:

زَابَادُ بْنُ شِمْعَةَ الْعُمُونِيَّةِ، وَيَهُوَزَابَادُ بْنُ شِمْرِيَّتِ الْمُوَابِيَّةِ. [٢٦]

غالبًا هذان اللذان قاما بالاغتيال كانا في جناح القصر الملكي، وكانا موضع ثقة الملك وحاشيته، حتى استطاعا أن يقوما بهذا الاغتيال.

من جانب آخر لم يذكر السفر أن والديهما كانا يهوديين أم غرباء من الأمم.

وَأَمَّا بَنُوهُ وَكَثْرَتُهُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ وَمَرَمَةٌ بَيْتِ اللَّهِ فَمَكْتُوبَةٌ فِي مِدرَسِ سِفرِ الْمُلُوكِ.

وَمَلِكٌ أَمْصِيًا ابْنُهُ عَوْضًا عَنْهُ. [٢٧]

لقد حذَّره النبي الكاهن، وإذ لم يسمح له، وأمر برجمه حمل ثمار عصيانه وشره، فإذا بها أحمال فوق طاقة البشر. صار يواش عبره لمن ينحرف عن الرب، وكما قيل عن امرأة لوط: "اذكروا امرأة لوط..."

مدرس: سبق الحديث عن هذه الكلمة في ٢ أي ١٣: ٢٢.

¹ Josephus: Antiq.9:8:3.

² Hom. in Ps. 32..

³ Epistle 61.

احفظني من نفسي!

- ❖ استطاع يوأش الطفل والشاب أن يعمل بقوة.
رأى في يهوياذاع الكاهن أبًا ومشيرًا وسندًا.
ورأى في بيتك أيقونة السماء،
فاشتهى أن يشارك كل الشعب والقادة في ترميم بيتك المقدس.
كان القائد الناجح السالك باستقامة في عينيك،
بك صار مصدر فرح للشعب كما للرؤساء!
أكرم أباه الروحي إلى يوم وفاة أبيه!
- ❖ بعد موت أبيه الروحي أعطى الله القفا لا الوجه.
سجد له الرؤساء والعظماء، فسجد لأصنامهم.
عصى الرب، ولم يبالي وبالوصية الإلهية.
كان عدوه الحقيقي أعماقه التي انحرفت للشر.
تركك وأقام ذاته إلهًا، يطلب الكرامة الزمنية.
انفتحت أبواب قلبه على مصراعها لقوات الظلمة.
- ❖ ما أصعب أن يكتشف الإنسان خداع نفسه.
يسهل علينا أن ندرك أخطاء الغير، ونُشهرَ بها.
ويصعب علينا أن ندرك حقيقة أنفسنا.
ليعمل روحك القدوس فينا، فنكتشف ضعفاتنا.
- ❖ يا للمرارة والبؤس!
لقد أقام من قلبه عرشًا لإبليس.
فقد حتى الطبيعة البشرية العامة،
وتحوّل إلى شيطانٍ عنيفٍ.
لم يسمع لذكريا كرجل الله،
ولا كابن ليهوياذاع الذي عرّض نفسه للموت كي يُجلّسه على العرش.

أمر برجمه بالحجارة،
لأن قلبه قد تَحَجَّرَ .

❖ سفك دمًا بريئًا لرجلٍ بارٍ ،
فأدَّبَه الرب بشرذمة قليلة من أرام .
أهلكوا كل رؤساء شعبه الذين خدعوه .
استولوا على غنيمة ضخمة أرسلوها إلى ملك دمشق .

❖ لم يرجع إلى الرب حتى بعد انهياره هو وجيشه .
بقي في عناده مُتَغَرِّبًا عن الرب الإله الحقيقي .
فقام غريبان باغتياله وهو على سريره في قصره .
استاء الكل منه، ولم يدفنوه في قبور الملوك .

❖ احفظني يا ربي من نفسي لئلا تتحرف .

هَبْ لي أن ألتصق ولا أتركك،
فأشعر بحضورك وحُبِّكَ في أعماقي .
لا تمتد يدي إلى العنف .

ولا أحمل جحودًا لبنيك وخدامك .
لا تتركني، ولا تتخلَّ نعمتك عني !

الأصحاح الخامس والعشرون

أمصيا ملك يهوذا

أغلب ما ورد هنا سبق أن ورد في ملوك ١٤، غير أنه ضمَّ إضافات هامة. للأسف بدأ حكمه بالعدل والحكمة ومراعاة شريعة الرب، لكن إذ انتصر على الأدوميين يبدو أنه تشامخ واعتزَّ بقوته وقدرته، فسقط في عبادة الأصنام التي كان يتعبَّد لها الأدوميون، فتخلَّى الرب عنه.

في جهالةٍ وتهورٍ طلب الدخول في معركة مع إسرائيل أخيه، فانهزم أمامه، وأكمل أيامه في خزي. فننُّوا عليه في أورشليم واغتالوه.

١. انتقم لوالده بعدلٍ ١-٤.
٢. طاعته للرب ١٠-٥.
٣. انتصاره على أدوم ١١-١٣.
٤. عبادته لأصنام الأدوميين ١٤-١٦.
٥. تحدِّيهِ لملك إسرائيل ١٧-٢٤.
٦. نهاية مُخزِية ٢٥-٢٨.

١. انتقم لوالده بعدلٍ

مَلِكُ أَمْصِيَا وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ وَعَشْرِينَ سَنَةً،
وَمَلِكٌ تِسْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،
وَأَسْمُ أُمِّهِ يَهُوعَدَانُ مِنْ أُورُشَلِيمَ. [١]
وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ،
وَلَكِنْ لَيْسَ بِقَلْبٍ كَامِلٍ. [٢]

لَيْسَ بِقَلْبٍ كَامِلٍ: لقد عمل المستقيم في عيني الرب، أي عبد الرب، وأقام خدمة الهيكل، لكنه لم يفعل هذا بقلبٍ كاملٍ.

لا يتجاهل الكتاب المقدس أعمال أمصيا الصالحة، غير أن قلبه لم يكن كاملاً، إذ سرعان ما تحوَّل إلى عابد للوثن.

استأجر من إسرائيل مئة ألف جبار بأس دون أن يستشير الرب.

سمع لكلمات النبي الذي وبَّخه على التجائه إلى إسرائيل، وكافأه الرب على ذلك بنصرته على بني ساعير. لكن بعد نصرته جلب أصنام بني ساعير وسجد لها وعبدها، مع أنها لم تتقدّ بني ساعير من يد أمصيا نفسه. عوض أن يشكر الله على نصرته، ويحطّم الأصنام العاجزة، ترك الله وعبد هذه الأصنام.

عندما وبَّخه النبي على عبادته للأصنام لم يرجع عن ذلك، بل هدّد النبي بقتله.

لم يشرح لنا الكتاب لماذا سمح الله للجنود الإسرائيليين أن يخربوا مدن يهوذا، ويقتلوا ثلاثة آلاف من بني يهوذا وينهبوا الكثير. لعلّه لعدم استقامة قلب أمصيا، أو مع طاعته للنبي كان في أعماقه مُنذَمراً. ولعل هذا دفع الملك أمصيا ألا يقبل النبي ولا يسمع له.

كثيرون من المعاصرين يُقدّمون أعمالاً صالحة، ويهتمون بمساعدة الآخرين، لكن ليس بقلبٍ كاملٍ مشتاق للحياة السماوية الخالدة.

❖ إذا تطهّر قلب إنسان يظهر صورة الطبيعة الإلهية في جماله.

القديس غريغوريوس النيسي

❖ أين يهرب قلبي من قلبي؟ أين أهرب من نفسي؟

القديس أغسطينوس

❖ لِيُعدّ طريق الرب في قلوبنا، فإن قلب الإنسان هو عظيم ومُتّسع، كما لو كان هو العالم. أنظر إلى عظّمته لا في كمّ جسدي، بل في قوّة الذهن التي تعطيه إمكانيّة أن يحتضن معرفة عظيمة جدّاً للحق. إذن فليُعدّ طريق الرب في قلوبكم خلال حياة لائقة وبأعمال صالحة وكاملة، فيحفظ هذا الطريق حياتكم باستقامة، وتدخل كلمات الرب إليكم بلا عائق¹.

العلامة أوريجينوس

وَلَمَّا تَثَبَّتِ الْمَمْلَكَةُ عَلَيْهِ،

قَتَلَ عِبِيدَهُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمَلِكَ أَبَاهُ. [٣]

إذ ثبتت مملكته، انتقم لأبيه من قاتليه، غير أنه التزم بالشرعية، إذ منع قتل أبنائهم.

وَأَمَّا بَنُوهُمْ فَلَمْ يَقْتُلْهُمْ،

¹ In Luc. hom 21.

بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الشَّرِيعَةِ فِي سِفْرِ مُوسَى،
حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ: لَا تَمُوتِ الْآبَاءُ لِأَجْلِ الْبَنِينَ،
وَلَا الْبُنُونَ يَمُوتُونَ لِأَجْلِ الْآبَاءِ،
بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ لِأَجْلِ خَطِيئَتِهِ. [٤]

بدأ أمصيا بن يوأش الحكم باستقامة، ولكن ليس بقلبٍ كاملٍ. فإنه لم ينزع المرتفعات بالرغم من أنه هو نفسه لم يذبح فيها.

حرص على تنفيذ الشريعة (تث ٢٤: ١٦) بعدم قتل أبناء قاتلي أبيه، غير أنه لم يرتبط بالإيمان أن الله قادر أن يُخَلِّصَ بالكثير أو بالقليل، كما خلص الملك آسا الذي قضى على مليون محارب لزارح الكوشي (١٤: ٨-٩).

قام أمصيا باستئجار مئة ألف متطوع جبار بأس من إسرائيل دون أن يستشير الرب. جاء رجل الله النبي يحذره مما فعل، لأن الله لم يكن مع إسرائيل.

٢. طاعته للرب

وَجَمَعَ أَمْصِيَا يَهُودًا،
وَأَقَامَهُمْ حَسَبَ بَيْوتِ الْآبَاءِ رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَرُؤَسَاءَ مِائَاتٍ،
فِي كُلِّ يَهُودًا وَبِنِيَامِينَ،
وَأَحْصَاهُمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَمَا فَوْقَ،
فَوَجَدَهُمْ ثَلَاثَ مِئَةِ أَلْفٍ مُخْتَارٍ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ حَامِلِ رُمَحٍ وَتُرْسٍ. [٥]

بحكمة أقام أمصيا قادة الجيش من رؤساء أُلُوفٍ ورؤساء مِائَاتٍ حسب بيوت الآباء، لكي يشعر كل فريق أن الجنود والقادة من ذات السبط، تربطهم روح الأخوة والقرابة والصدقة.

أراد أن يهاجم الأدميين الذين تَمَرَّدُوا على حكم يهوذا منذ فترة طويلة، فقام باستعدادٍ كبيرٍ. جمع قواته الخاصة من يهوذا وبنيامين، وكان عددهم ثلاثمائة ألف مختار صالحين للحرب.

في أيام يهوشافاط، أي قبل ذلك بحوالي ست سنوات، كان عددهم أربعة أضعاف هذا الرقم (٢ أي ١٧: ١٤-١٩)، غير أن الخطية أضعفت الشعب والجيش، وأفسدت معنوياتهم.

لقد حَطَّمَتِ الحروب الجيش إلى حدٍ ما (٢ أي ٢١: ٨، ١٦؛ ٢٤: ٢٣-٣٤)، وأيضًا كان لانحدار المملكة وضعفها أثره على الجيش.

يقول الحكيم: "البر يرفع شان الأمة، وعار الشعوب الخطية" (أم ١٤: ٣٤). يشهد التاريخ عبر

كل العصور أن الأمم، كما الأفراد، يرفعها البرّ، ويُحطِّمها الشرّ بفساده. إن كانت الأمم كثيرًا ما تتشامخ بإمكانياتها العسكرية، لكن يبقى التاريخ يشهد لقوة البرّ وقدرته.

❖ لا يوجد مكتوبًا في حروف الناموس (أي الكتاب المقدس) ما هو البرّ، ولكن القلب النقي هو برّ الإنسان.

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

الخطية تُحطِّم الجيوش، وتُفقد الإنسان سلطانه وأبديته، حتى وإن كان ملكًا.

❖ الكذب والمحابة مرفوضان هناك؛ لأن الدينونة عادلة وتقف كلها باستقامة.

في تلك المحكمة يدخل أيضًا الحكام، وتُعبّ أعمالهم وأفعالهم.

تُنزع الدرجات عن الحكام، ويدخلون ليصبحوا مُحَاكَمِينَ بمحكمة عادلة من قبل العدالة.

تُمزق هناك حلل السلاطين، ويقفون عراة، ورقبتهم مكشوفة مثل الضعفاء.

لن يرى أحد هناك ملكًا له إكليل، ولا حاكمًا له عرش في تلك المحكمة.

يقوم هناك الأسياد مع الفقراء، ولا أحد يأمر، لكن واحد هو رئيس القضاة.

كل الأحكام التي فُضِي فيها هنا زورًا تدخل إلى المحكمة لتصدر هناك بعدلٍ.

تسقط أكاليل السلاطين وتيجانها وعروشها في المحكمة...

ما لم تكن أفعالهم مستقيمة يقفون هناك مثل مذنبين في حجلٍ بسبب أعمالهم^١.

❖ أيتها النفس يا محبوبة ربّها، مَنْ أضلك؟ مَنْ سخر منك؟ مَنْ أغواك بالشهوات؟

مَنْ أنزلك من الروحانية إلى دناءة العبيد وحقارتهم الساقطة فيه؟

أنتِ بنت الأحرار، أنتِ بنت الملك، أنتِ بنتِ النور، لماذا أنتِ لابسة لون الليل وأنتِ مُظلمة؟^٢

القديس مار يعقوب السروجي

❖ تؤذي الخطايا النفس بخطورة أعظم من أذية الدود للجسم. ومع هذا فنحن لا ندرك فسادها، ولا

نشعر بإلحاح ضرورة التطهر منها. وذلك كالسكران الذي يعجز عن أن يعرف كيف أن مذاق

الخمير مشمئز، أما المتعقّل فيمكنه تمييز ذلك بسهولة. هكذا بالنسبة للخطايا، فمن يعيش في وقارٍ

يُميّز بسهولة الوحل والفساد، وأما من يعيش في الشرّ فيكون كالمخمور بالمسكر، فلا يتحقق من

^١ الميمر ٣١ (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

^٢ الميمر ٣٠ (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

أنه مريض. هذا هو أشر ما في الخطية أنها لا تسمح للساقطين فيها أن يدركوا حالة المرض الخطير التي هم فيها، وإنما يكونون كمن يرقدون في وحلٍ ويظنون أنهم يتمتعون بالأطياب. فليس لديهم أدنى رغبة للتحرُّر. وإذا يعمل فيهم الدود يفتخرون كمن لديهم حجارة كريمة. لهذا لا يريدون قتلها، بل أن ينعشوها ويضاعفوها حتى تعبر بهم إلى الدود الذي في الحياة العتيدة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَاسْتَأْجَرَ مِنْ إِسْرَائِيلَ مِئَةَ أَلْفِ جِبَارٍ بِأَسِ بِمِئَةِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ. [٦]

استأجر أمصيا مئة ألف جبار بأس من إسرائيل مقابل دفع مئة وزنة من الفضة. أخطأ أمصيا في هذا التصرف، أولاً لأنه لم يستشر الرب خلال أحد أنبيائه، ولأنه لم يتعظ مما فعله إسرائيل بيهودا، حيث دخلت عبادة البعل إلى يهوذا خلال التصاقه بإسرائيل.

واضح أن الملك أمصيا قدّم هذه الفضة لملك إسرائيل، وأودعت الفضة في خزانة الدولة، ولم تُسلّم لجابرة البأس كمنحة لهم مقابل دخولهم في حربٍ وتعرضهم للموت^٢.

وَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ اللَّهِ قَائِلًا:

أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا يَأْتِي مَعَكَ جَيْشُ إِسْرَائِيلَ،

لَأَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ مَعَ إِسْرَائِيلَ مَعَ كُلِّ بَنِي أُفْرَايِمَ. [٧]

واضح أن أمصيا بجانب عدم استشارته الرب قبل طلب جابرة من إسرائيل، أنه لم يكن واثقاً في الله الذي يعمل بالقليل كما بالكثير، ولم يأخذ في اعتباره انحراف إسرائيل في عبادة الرب. "لأن الرب ليس مع إسرائيل مع كل بني أفرام". فأية منفعة نتوقعها من الذين يعلن الرب بنفسه أنه ليس معهم؟ جاء في الترجوم: "كلمة الرب ليست معيناً للإسرائيليين، ولا لمملكة سبط أفرام"^٣.

كانت عبادة الأصنام هي العبادة السائدة في إسرائيل، وأفرام تضم مراكز القيادة لهذه العبادة^٤.

وَأَنَّ ذَهَبْتَ أَنْتِ، فَأَعْمَلْ وَتَشَدَّدِي لِلْقِتَالِ،

لَأَنَّ اللَّهَ يُسْقِطُكَ أَمَامَ الْعَدُوِّ،

لَأَنَّ عِنْدَ اللَّهِ قُوَّةَ لِلْمُسَاعَدَةِ وَلِلْإِسْقَاطِ. [٨]

قوله هنا: "اعمل وتشددي" هو نوع من التهكم، أي مهما عملت وتشددت، فسيسقطك الله، بعدم

¹ Homilies on Rom., 40.

² Jamieson, Fausset and Brown Commentary.

³ Adam Clarke Commentary.

⁴ Jamieson, Fausset and Brown Commentary.

معاونته لك.

اعتبر الرب الالتجاء إلى إسرائيل المقاوم لله، مقاومة مباشرة للرب نفسه.

فَقَالَ أَمْصِيَا لِرَجُلِ اللَّهِ:

فَمَاذَا يُعْمَلُ لِأَجْلِ الْمِئَةِ الْوِزْنَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لِعِزَّةِ إِسْرَائِيلَ؟

فَقَالَ رَجُلُ اللَّهِ: إِنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ أَنْ يُعْطِيَكَ أَكْثَرَ مِنْهَا. [٩]

قَدَّمَ أَمْصِيَا عُدْرًا يَمْنَعُهُ مِنَ التَّرَاجُعِ، لِأَنَّهُ دَفَعَ مَبْلَغًا عَظِيمًا مَقَابِلَ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ جِبَابَةِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمِئَةُ وَزْنَةً لَيْسَتْ مَبْلَغًا كَبِيرًا بِالنِّسْبَةِ لِرِجَالِ الْحَرْبِ، غَيْرَ أَنَّ الْمُسْتَأْجِرِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ نَصِيبًا مِنَ الْغَنِيمَةِ. وَهِيَ أَيْضًا مَبْلَغٌ زَهِيدٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ الْقَادِرِ أَنْ يَعْوِضَهُ أَوْضَاعًا بِحُضُورِهِ مَعَهُمْ. أَكَّدَ لَهُ الْمَلِكُ أَنَّ الْقُوَّةَ أَوْ الْمَسَاعِدَةَ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الرَّبُّ أَعْظَمُ مِنَ الْمَالِ مَهْمَا كَانَ قَدْرُهُ.

فَأَفْرَزَ أَمْصِيَا الْعِزَّةَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ أَفْرَايِمَ لِيَنْتَظِلُّوا إِلَى مَكَانِهِمْ،

فَحَمِيَ غَضَبُهُمْ جَدًّا عَلَى يَهُودَا،

وَرَجَعُوا إِلَى مَكَانِهِمْ بِحُمُومٍ الْغَضَبِ. [١٠]

حَسَبَ أَمْصِيَا آيَةَ خَسَارَةٍ مَهْمَا بَلَغَتْ لَا تَعَادِلُ تَعْوِضُ اللَّهِ لَهُ بِحُضُورِهِ فِي وَسْطِ جَيْشِهِ وَشَعْبِهِ! الْعَجِيبُ أَنَّ اللَّهَ رَدَّ لِأَمْصِيَا مَا يَقَابِلُ هَذِهِ الْخَسَارَةَ، وَهُوَ النِّصْرَةُ عَلَى أَدُومَ، كَمَا رَدَّ نَفْسَ الْمَبْلَغِ لِحَفِيدِهِ يُوْتَامَ (٢٧: ٥).

نَجَحَ أَمْصِيَا فِي طَاعَتِهِ لِأَمْرِ الرَّبِّ، فَصَرَفَ رُجْعَ الْجَيْشِ بَعْدَ أَنْ اسْتَعَدَّ فِي الْمِيدَانِ، وَلَمْ يَبَالِ بِغَضَبِ حَلْفَائِهِ؛ مُقَابِلِ مَسْرَّةِ اللَّهِ بِهِ وَرِضَاهِ عَنْهُ.

"حَمِيَ غَضَبُهُمْ جَدًّا عَلَى يَهُودَا". غَضِبُوا لِأَنَّهُمْ حَسَبُوا هَذَا نَبْدًا وَإِهَانَةً لَهُمْ كَرِجَالٍ غَيْرِ أَهْلِ لِلْخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا يَتَرَجَّوْنَ الْعُودَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ حَامِلِينَ غَنَائِمَ مِنْ أَدُومَ. فَرَفَضَهُمْ حَسَبُوهُ إِهَانَةً لِسَمْعَتِهِمْ وَخَسَارَةً لِمَكَاسِبِهِمْ.

يَرَى الْبَعْضُ أَنَّ عِلَّةَ غَضَبِهِمْ أَنَّهُمْ صَارُوا فِي مَوْقِفٍ حَرَجٍ، إِذْ حَسَبُوا أَنَّ مَمْلَكَةَ يَهُودَا قَدْ تَشَكَّكَتْ فِي إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ الْحَيِّ.

٣. انتصاره على أدوم

وَأَمَّا أَمْصِيَا فَتَشَدَّدَ،

وَإِفْتَادَ شَعْبَهُ وَذَهَبَ إِلَى وَادِي الْمَلْحِ،

وَضَرَبَ مِنْ بَنِي سَاعِيرَ عَشْرَةَ آلَافٍ [١١]

وادي الملح: يقع هذا الوادي الضيق الشديد الانحدار جنوب البحر الميت.

وَعَشْرَةَ آلَافٍ أَحْيَاءَ سَبَاهُمْ بَنُو يَهُودَا،

وَأَثُوا بِهِمْ إِلَى رَأْسِ سَالِعٍ،

وَطَرَحُوهُمْ عَنْ رَأْسِ سَالِعٍ،

فَتَكَسَّرُوا أَجْمَعُونَ. [١٢]

رأس سالع: كانت بالقرب من أرض المعركة.

في وحشية أخذ أمصيا المسيبين، وأتى بهم إلى رأس سالع، وهناك طرحهم الجيش على منحدرات صعبة صخرية، فسقطوا وتكسّر العشرة آلاف أجمعين. كانت هذه طبيعة الحروب بين الإسرائيليين والأدوميين.

وَأَمَّا الْغُرَاةُ الَّذِينَ أَرْجَعَهُمْ أَمْصِيَا عَنِ الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى الْقِتَالِ،

فَأَقْتَحَمُوا مَدُنَ يَهُودَا مِنَ السَّامِرَةِ إِلَى بَيْتِ حُورُونَ،

وَضَرَبُوا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ،

وَنَهَبُوا نَهَبًا كَثِيرًا. [١٣]

استغلّ هؤلاء الإسرائيليون رجال البأس انشغال أمصيا وجيشه في الحرب مع أدوم، واقتحموا بعض مدن يهوذا، وضربوا ثلاثة آلاف، ونهبوا الكثير، حاسبين هذا التصرف يرد لهم كرامتهم ويعوّضهم عن عدم استيلائهم على غنائم من أدوم.

لقد أطاع أمصيا الله وردّ الإسرائيليين إلى بلادهم، فلماذا سمح للإسرائيليين أن يقتحموا بعض مدن يهوذا ويقتلوا ويسلبوا؟ سمح الله بذلك لتأديب الساكنين في تلك المناطق القريبة من إسرائيل، لأنهم عبدوا الأوثان بإغراء الإسرائيليين لهم. هكذا يفعل إبليس، إذ يغري ويغوي بالشرور والشهوات، وفي نفس الوقت يُفسد ويُهلك.

٤. عبادته لأصنام الأدوميين

بدا كملك صالح، لكنه عبد آلهة الشعب الذي غلبه [١٤-١٦].

ثُمَّ بَعْدَ مَجِيءِ أَمْصِيَا مِنْ ضَرْبِ الْأَدُومِيِّينَ أَتَى بِآلِهَةِ بَنِي سَاعِيرَ،

وَأَقَامَهُمْ لَهُ آلِهَةً،

وَسَجَدَ أَمَامَهُمْ، وَأَوْقَدَ لَهُمْ. [١٤]

آلهة بني ساعير: جاء في الترجوم: "أصنام بني جبال Gebal".¹

وهب الرب النصره لأمصيا على الأدوميين، فإذا به يقتلهم بطريقة وحشية، لكن إذ لم يكن قلبه كاملاً [٢]، جذبته الأصنام والرجاسات، فحمل آلهة تلك المنطقة معه لا لِيُحَطِّمَهَا، بل ليسجد لها! حملة آلهتهم كان دليلاً على سقوط أدوم تماماً، فأخر شيء يُسَلِّمونه هو آلهتهم... كان حمل صور الآلهة أو تماثيلها من الأمة المهزومة أو المدينة عادة شائعة في الشرق. وأحياناً كان يمارسها الرومان، ليتعبّدوا لها، خاصة إذا كانت الأمة الغالبة تعرف هذه الآلهة، وتتطلّع إليها في شيء من القدسية^٢.

يا لغباوة الإنسان الذي يجري وراء الشهوات! ماذا رأى أمصيا في أوثنان بني ساعير سوى الضعف والجمود والموت والعار. لمس بنفسه الأمور التي حَلَّتْ على المُتَعَبِّدِينَ لها، ومع هذا من أجل لذات وقتية باطلة كَرَّمَهَا وسجد لها. ربما ظن أنه بالسجود لها لا تبالي هذه الآلهة بالدفاع عن الأدوميين. كان يليق به عوض أن يلقي بالأسرى من رأس سالع أن يلقي بهذه الأوثان فتتحطم. ليس من المنطق أن يعبد إنسان آلهة جامدة لأعداء له انتصر عليهم. لكن وحشيته في التعامل مع الأسرى سلّمته للجهالة والغباوة وعدم الحكمة.

فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى أَمْصِيَا،

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَبِيًّا، فَقَالَ لَهُ:

لِمَاذَا طَلَبْتَ آلِهَةَ الشَّعْبِ الَّذِينَ لَمْ يَنْقُدُوا شَعْبَهُمْ مِنْ يَدِكَ؟ [١٥]

غضب الله ليس انتقاماً بالمفهوم البشري، بل لدعوته لشعبه بالتوبة والرجوع إلى الرب، وترك الشر. أرسل إليه نبياً ليرده إلى صوابه، فيمنع هلاكه. تحدّث معه النبي بلطفٍ.

وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ، قَالَ لَهُ: هَلْ جَعَلْتُمْ مُشِيرًا لِلْمَلِكِ؟

كُفَّ! لِمَاذَا يَقْتُلُونَكَ؟

فَكَفَّ النَّبِيُّ، وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى بِهَلَاكِكَ،

لَأَنَّكَ عَمِلْتَ هَذَا، وَلَمْ تَسْمَعْ لِمَشُورَتِي. [١٦]

لم يحتمل الملك أن يسمع صوت النبي، فعبادته للأصنام كشفت عن قسوة قلب الملك، وجعلت

¹ Adam Clarke Commentary.

² Barnes' notes.

أذنيه لا تحتلمان صوت الرب على لسان نبيّه.

لم يكن لدى الملك ما يُبرّر به تصرّفه الغبي، وعضو الدخول معه في حوارٍ، انفعَل مُؤبِّخًا إيّاه بسخرية، حاسبًا أن النبي بوقاحةٍ يُقيم نفسه مشيرًا للملك، الأمر الذي لم يطلبه منه أحد. قام بتهديده بالقتل، ولعلّه أراد أن يُدكّرهُ بما حدث لذكريا الكاهن من أبيه (٢٤: ٢١).
كانه في سخرية يقول له: "هل جعلوك مشيرًا للملك؟ فإن كان لم يُعيّنك أحد في هذا المنصب، فلماذا تتطرّع بتقديم نصيحة للملك لا حاجة به إليها".

لم يخف النبي، بل حدّره بأنه سالك في طريق الهلاك لعصيانه للرب، وعدم قبول مشورة نبيّه. توقّف النبي عن الحديث، لأنه رأى الملك متصلبًا برأيه، مُستعبدًا لشهوته وعبادة الأصنام. يقول الرب بهوشع: "أفرايم موثق بالأصنام، اتركوه" (هو ٤: ١٧).

٥. تحدّيه لملك إسرائيل

فَاسْتَشَارَ أَمْصِيَا مَلِكِ يَهُودَا،

وَأَرْسَلَ إِلَى يُوَاشَ بْنِ يَهُوَأَحَازَ بْنِ يَاهُو مَلِكِ إِسْرَائِيلَ قَائِلًا:

هَلُمَّ نَتَرَاءَ مُوَاجِهَةً. [١٧]

وردت قصة دخول أمصيا في معركة مع ملك إسرائيل في ٢ مل ١٤: ٨-٢٠. ونلاحظ أن أمصيا لم يستشير الله أو أنبياءه، بل استشار من هُم حوله.
لم يُذكر في سفر الملوك أن أمصيا استشار أحدًا قبل أن يرسل إلى ملك إسرائيل، قائلًا: "هلم نترأء مواجهة". لم يستشير النبي، إذ لم يكن من مشيري الملك، إنما استشار بعض رجال دولته الذين يداهنوه، والذين لا علاقة لهم بالله ولا بكلمته ولا بأناس الله. قدّموا له مشورة تُشبع كبرياءه وغروره وتهوُّره.

فَأَرْسَلَ يُوَاشُ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِلَى أَمْصِيَا مَلِكِ يَهُودَا قَائِلًا:

الْعُوسَجُ الَّذِي فِي لُبْنَانَ أَرْسَلَ إِلَى الْأَزْرِيِّ الَّذِي فِي لُبْنَانَ، يَقُولُ:

أَعْطِ ابْنَتَكَ لِابْنِي امْرَأَةً.

فَعَبَّرَ حَيَوَانٌ بَرِّيٌّ كَانَ فِي لُبْنَانَ وَدَاسَ الْعُوسَجَ. [١٨]

غالبًا ما فوجئ ملك إسرائيل بما طلبه منه أمصيا، حيث قال: "هلم نترأء مواجهة". لقد طلب

¹ Barnes' notes.

أمصيا عونًا من إسرائيل، واستأجر منه مئة ألف جبار بأس بمئة وزنة من الفضة [٦]. ثم عاد ولم يسمح لهم أن يشتركوا معه في المعركة، بل ردّهم في خزيٍّ شديدٍ. وها هم قد انتشروا في يهوذا وقتلوا ثلاثة آلاف، وعادوا إلى إسرائيل بغنائم أكثر مما كانوا سينالونها في المعركة. فبأي وجه يطلب أمصيا أن يتراءى مواجهة. إنه في ضعف العوسج الذي إن سار عليه حيوان برّي يسحقه؟ كيف يطلب مصاهرة الأرز بكل جماله وقوته!؟

تَقُولُ: هُنَذَا قَدْ صَرَبْتُ أُدُومَ.

فَرَفَعَكَ قَلْبُكَ لِلتَّمَجُّدِ! فَالآنَ أَقِمِ فِي بَيْتِكَ.

لِمَاذَا تَهْجُمُ عَلَى الشَّرِّ، فَتَسْقُطُ أَنْتِ وَيَهُودًا مَعَكَ؟ [١٩]

فَلَمْ يَسْمَعْ أَمْصِيَا، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ،

لَأَنَّهُمْ طَلَبُوا إِلَهَةَ أُدُومَ. [٢٠]

وَصَعِدَ يُوَاشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ،

فَتَرَايَا مُوَاجَهَةً هُوَ وَأَمْصِيَا مَلِكُ يَهُودَا،

فِي بَيْتِ شَمْسٍ الَّتِي لِيَهُودَا. [٢١]

فَانهَزَمَ يَهُودًا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ،

وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ. [٢٢]

وَأَمَّا أَمْصِيَا مَلِكُ يَهُودَا، فَأَمْسَكَهُ يُوَاشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ شَمْسٍ،

وَجَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

وَهَدَمَ سُورَ أُورُشَلِيمَ مِنْ بَابِ أَفْرَايِمَ إِلَى بَابِ الرَّأوِيَةِ أَرْبَعَ مِئَةَ ذِرَاعٍ. [٢٣]

وَأَخَذَ كُلَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَكُلَّ الْآبِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ اللَّهِ مَعَ عُوْبِيدِ أُدُومَ،

وَخَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَالرُّهْنَاءِ،

وَرَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ. [٢٤]

جاء في ١ أي ٢٦: ١٥ أن عوبيد أدوم ونسله كانوا يحفظون الكنوز الإلهية.

٦. نهاية مخزية

وَعَاشَ أَمْصِيَا بَنُ يَهُوَأَشَ مَلِكِ يَهُودَا،

بَعْدَ مَوْتِ يُوَاشَ بَنِ يَهُوَأَحَازَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. [٢٥]

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ أَمْصِيَا الْأُولَى وَالْأَخِيرَةِ،

مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ مَلُوكِ يَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ. [٢٦]

جاء في الترجوم: [(الأمور) الأولى عندما سار في مخافة الرب؛ والأخيرة عندما ترك الطريق

المستقيم الذي أمام الرب، والتي لم تُكتب^١.]

وَمِنْ حِينَ حَادَ أَمْصِيَا مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ،

فَتَنُّوا عَلَيْهِ فِي أُورُشَلِيمَ،

فَهَرَبَ إِلَى لَخِيَشَ،

فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ إِلَى لَخِيَشَ وَقَتَلُوهُ هُنَاكَ [٢٧]

يقصد الكاتب أن اغتيال أمصيا جاء تابعا لارتداداه عن الإيمان، ليس بعد الارتداد فورا من جهة الزمن، إنما على الأقل جاء بعد خمسة عشر عاما من ارتداداه (٢ أي ٢٥: ٢٥). فقد أطال الرب أناته عليه، وإذ امتلأ كأس شره تحققت فيه النبوة الواردة في ٢ أي ٢٥: ١٦.

إذ ابتعد قلبه عن الله، ابتعدت قلوب شعبه عنه. لقد فتنوا عليه، أي دبّروا له مؤامرة قتله، لأنهم شعروا أنه متهور. تعجّل في عبادته لآلهة أدوم، وتعجّل في دخوله في حرب مع إسرائيل بغير داع. يبدو أن تدبير قتله لم يكن من شخص أو اثنين، إنما بواسطة عدد كبير من الشعب... لقد فقد شعبيته بعد أن خسر المعركة ضد الإسرائيليين، وفقدت أورشليم سورها، وسُلِبَت الكنوز الملكية. لقد صارت أورشليم مدينة غير مُحَصَّنَة، لذلك هرب إلى لخيَش يحتمي فيها.

وَحَمَلُوهُ عَلَى الْخَيْلِ،

وَدَفَنُوهُ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ يَهُودَا. [٢٨]

¹ Adam Clarke Commentary.

من وحي ٢ أي ٢٥

بداية مفرحة ونهاية مُخزية!

- ❖ تبقى حياة أمصبا ملك يهوذا مثلاً خطيراً.
بدأ حياته باستقامة حتى في عينيّ الرب.
لكن لم يكن قلبه كاملاً.
يحرص على اللقاء مع الله وطاعة وصيته،
أما أبواب قلبه فكانت مفتوحة لتتسلل الخطية تدريجياً إليه.
حين انتقم لأبيه لم يقتل أبناء مغتاليه.
إنما التزم بالشرعية الإلهية، لا يحمل الابن جريمة أبيه.
- ❖ إذ أراد الدخول في معركة مع أدوم،
اهتم أن يجمع رجال حرب مختارين من كل يهوذا وبنيامين.
لكنه مع اهتمامه بشعبه،
لم يسأل الرب المعونة.
استأجر مئة ألف جبار بأس من إسرائيل المنحرفة عن الحق الإلهي.
ظنّ أنه بفضته يستأجر جبابرة بأس.
ولم يدرك أن النصر في يد الرب.
وأن المعركة ليست ليهوذا بل للرب.
- ❖ أرسل له الله نبياً يُحذّره، فسمع وأطاع.
وهبه الله نصره على بني أدوم.
أما هو فمن جانبه تعامل مع الأدوميين بوحشية غير لائقة.
وفي نفس الوقت حمل أصنامهم لا ليحطّمها،
إنما ليسجد لها ويعبدها، ويُقدّم لها بخوراً.
يا لبؤسه، يكرم الأصنام التي عجزت عن إنقاذ عابديها من يده!
- ❖ سمح الله بتأديبه، فقام جبابرة البأس الإسرائيليون بغزو الكثير من مدن يهوذا.
صار كالعوسج الذي تسحقه أقدام حيوان برّي.

وصار ملك إسرائيل كالأرز، ليس للعوسج أن يواجهه.

❖ في منزلة اصطاده ملك إسرائيل،
وباستخفاف رده إلى أورشليم بعد أن أفسد سورها.
حمل ما في خزائن بيت الرب والقصر الملكي وأيضاً الرهناء!

❖ ترك الرب بإصرارٍ وعنادٍ، فتركه الرب.
فقد عرشه والمدينة المقدسة وهيكل الرب.
هرب إلى لخيش ليختفي فيها،
هناك اغتيل، ففقد مملكته وحياته وأبديته.
يا لها من نهاية مخزية أمام الجميع في هذا العالم وفي الحياة الأبدية.

❖ احفظني يا إلهي كي لا ينحرف قلبي.
بروحك القدوس هبه أن يشبع بك ويستريح فيك.
مع كل نسمةٍ من نسومات حياتي،
تنتلق بي نعمتك من مجدٍ إلى مجدٍ، ومن قوةٍ إلى قوةٍ.
تتهلل نفسي مترنمة مع إرميا النبي:
"مراحمك جديدة في كل صباح،
نصيبي هو الرب، قالت نفسي."

❖ لنكن نهاية حياتي أكثر بهجة من بدايتها.
أنت هو البداية والنهاية.
أنت هو الطريق، فلا انحرف عنك يميناً ولا يساراً!
أنت فرحي وقوتي ومجدي ونصيبي الأبدي!

الأصحاح السادس والعشرون

عُزِّيَا (عزريا) الملك

وردت محتويات هذا الأصحاح باختصار شديد في ٢ مل ١٤ : ٢١-٢٢ ؛ ١٥ : ١-٧ .
بدأ عُزِّيَا مُلْكَهُ بحياة مستقيمة في عَيْنِي الرب مع اهتمامه بالإنشاءات ونصراته. لكن إذ حاول اغتصاب العمل الكهنوتي، ضُرِبَ بالبرص حتى يوم موته.
ملك عُزِّيَا على يهوذا لمدة ٥٢ عامًا، وهي أطول مدة لملك على يهوذا. في سنواته الأخيرة بسبب التزامه بالسُكْنَى في بيت المرض، كان ابنه يوثام يشاركه الحكم.
بالرغم من هذه المدة الطويلة التي قضاها عُزِّيَا في الحُكْم، وردت سيرته ٢ مل ١٥ : ١-٧ في سبعة آيات فقط.

قَدَّمَ سفر أخبار الأيام الثاني تفاصيل كثيرة لم ترد في سفر الملوك. ميَّزه هنا بخمسة أمور^١ :
١. أشار إلى سلوكه تحت إرشاد الكاهن زكريا [٥]، كما كان يوأش تحت إرشاد أبيه الروحي يهوئاداع (٢٤ : ٢).

٢. أبرز هنا اهتمامه العسكري، وأعماله الجريئة [٦-٩ ؛ ١١-١٥]. كشفت الحفريات عن كثير من المعسكرات الحربية الواردة هنا.

٣. اتَّسَمَ بغيرته على النَّقْدُم في الزراعة والإنتاج الحيواني [١٠].

٤. أوضح السفر سبب إصابته بمرض البرص (٢ مل ١٥ : ٥) كعقوبة لتعدّيه بممارسة عمل كهنوتي بعجرفة (١٦-٢١)، وذلك كما فعل شاول الملك (١ صم ١٣ : ٨-١٤).

٥. أشار السفر إلى أن بقية أعمال عُزِّيَا سَجَّلَهَا إشعيا النبي [٢٢].

مع طول مدة مُلْكِهِ مات، وفي السنة التي مات فيها رأى إشعيا النبي الملك الحقيقي، ملك الملوك، جالسًا على العرش، وأذنيه تملأ الهيكل (إش ٦ : ١)!

١. سلوكه باستقامة في الرب ١-٥.

٢. نصرته في الحروب ٦-٨.

¹ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship*, 2 Chronicles 26.

٣. إنشأته ١٠-٩
 ٤. أعمال التنظيم ١١-١٥
 ٥. تشامخه واقتحام الكهنوت ١٦-١٨
 ٦. إصابته بالبرص ١٩-٢٠
 ٧. عزله وموته ٢١-٢٣

١. سلوكه باستقامة في الرب

وَأَخَذَ كُلُّ شَعْبٍ يَهُودًا عَزِيًّا وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً،

وَمَلَكُوهُ عَوْضًا عَنْ أَبِيهِ أَمْصِيَا. [١]

هُوَ بَنَى أَيْلَةَ وَرَدَّهَا لِيَهُودًا بَعْدَ اضْطِجَاعِ الْمَلِكِ مَعَ آبَائِهِ. [٢]

قام عزيا ببناء أيلة (إيلات)، وهي مدينة تقع بالقرب من عصيون جابر على الذراع الشرقي للبحر الأحمر. أخذها داود (٢ صم ٨: ٢٠) ثم استرجعها الأدوميون. ارتبطت مرة بسليمان (٨: ١٧)، ثم أصبحت في أيدي أدوم.

كَانَ عَزِيًّا ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.

وَأَسْمُ أُمِّهِ يَكْلِيَا مِنْ أُورُشَلِيمَ. [٣]

وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ أَمْصِيَا أَبُوهُ. [٤]

أقامت نعمة الله ملكاً جديداً، وقدمت له الفرص لكي ينمو ينجح، لكن دون أن تلزمه بالسلوك باستقامة بغير إرادته، كما سبق ففعلت مع يواش، وأيضاً مع أمصيا. فالأول بعد موت يهوئاداع سار وراء مشورة الرؤساء مجبى الأصنام. والثاني بعد أن وهبه الله النصر على بني أدوم سجد لأصنامهم. وها هي النعمة تعمل في عزيا ليبدأ باستقامة، لكنه بعد ذلك بكبرياء قلبه حاول اغتصاب العمل الكهنوتي بتقديم البخور في بيت الرب.

"حسب كل ما عمل أمصيا أبوه": يذكره هنا من أجل أعماله الصالحة، ولا يذكر سقطاته.

وَكَانَ يَطْلُبُ اللَّهُ فِي أَيَّامِ زَكَرِيَّا الْفَاهِمِ بِمَنَاطِرِ اللَّهِ.

وَفِي أَيَّامِ طَلْبِهِ الرَّبَّ، أَنْجَحَهُ اللَّهُ. [٥]

كان على علاقة طيبة مع زكريا الفاهم فيما لله. يرى البعض أنه ابن زكريا الكاهن الذي رجمه

جده يوأش (٢٤: ٢١). يبدو أن زكريا هذا كان مُتَبَحَّرًا في النبوة، ورِعًا يطلب السماويات. بحسب الترجمة السبعينية كان له تأثيره عليه كَمُعَلِّمٍ له، ربما كان يُفَسِّرُ له النبوات.

كان يطلب الله في أيام زكريا الفاهم بمناظر الله، فأنجحه الله، كما جعله فهيمًا يسمع لكلام الله على لسان زكريا. ليس من الضروري أن يوصف جميع الأنبياء بهذه الصفة، أي رائين. ولم يكن الكل قادرين على شرح مناظر الله، إنما هي موهبة تُعْطَى لبعض رجال الله مثل يوسف ودانيال (دا ١: ٧). لم يكتفِ عَزْيَا أن يعيد بناء ما دَمَّرَه العدو، بل سعى أن يجعله الله آمنًا من الهجوم. كان مُلتَزِمًا بحماية القطيع من الأعداء الخارجيين والذين من الداخل.

التصاقه بزكريا وطلب مشورته جعله ناجحًا، إذ قيل: "وفي أيام طلبه الرب، أنجحه الله" [٥]. الالتصاق بالله يهب المؤمن حياة ناجحة، ليس فقط في عبادته، وإنما في كل جوانب حياته. فالنجاح عطية من الله.

٢. نصرته في الحروب

وَحَرَجَ وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ،

وَهَدَمَ سُورَ جَتَّ وَسُورَ يَبْنَةَ وَسُورَ أَشْدُودَ،

وَبَنَى مَدْنًا فِي أَرْضِ أَشْدُودَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ. [٦]

كان بعضهم قد أتى يهدايا ليهوشافاط (١٧: ١١)، وقاموا على يهورام ابنه (٢١: ١٦). إذ التصق بالرب وهبه الله نصرته على الفلسطينيين الوثنيين، فَحَطَّمْ حصونهم، وأقام مدناً خاصة به في أراضيهم.

وَسَاعَدَهُ اللهُ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ،

وَعَلَى الْعَرَبِ السَّاكِنِينَ فِي جُورِبَعْلَ وَالْمَعُونِيِّينَ. [٧]

ساعده كلمة الرب ضد الفلسطينيين وضد العرب الذين عاشوا في جيرار وسهول المعون *Meun*. جاء في الترجوم إنه يقصد بالعرب هنا أولئك الذين كانوا يُدْعَوْنَ *Meuneons, Munites, Meonites*¹.

وَأَعْطَى الْعَمُونِيُّونَ عَزْيَا هَدَايَا،

وَأَمْتَدَّ اسْمُهُ إِلَى مَدْخَلِ مِصْرَ، لِأَنَّهُ تَشَدَّدَ جَدًّا. [٨]

¹ Adam Clarke Commentary.

٣. إنشأته

وَبَنَى عَزْرِيَا أَبْرَاجًا فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الزَّائِيَةِ،
وَعِنْدَ بَابِ الْوَادِي وَعِنْدَ الزَّائِيَةِ وَحَصَّنَهَا. [٩]

لم يكن عزريا من الذين يبذلون طاقاتهم في الحروب مع الأمم على حساب بنيان بلده وشعبه.

وَبَنَى أَبْرَاجًا فِي الْبَرِّيَّةِ،

وَحَفَرَ آبَارًا كَثِيرَةً،

لَأَنَّهُ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فِي السَّاحِلِ وَالسَّهْلِ،

وَفَلَّاحُونَ وَكِرَامُونَ فِي الْجِبَالِ،

وَفِي الْكِرْمَلِ، لَأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْفِلَاحَةَ. [١٠]

بنى أبراجا لحماية المواشي من هجوم الأعداء، وهي للمراقبة والدفاع من الغزاة.

كان محبا للفلاحة بجانب اهتمامه بالقطيع والمراعي والرعاة والمزارعين.

وكان محبا للتعجير أيضا كما للفلاحة. كان فخر للمزارعين أن يهتم أحد عظماء ملوك بيت داود

بالفلاحة المنتجة، ولعل اهتمامه بالفلاحة أعطى لنفسه سلاحا وسط المعارك والحروب، كما جعلته لا

يمارس حياة الترف واللهو، كما يفعل كثير من الذين عرفوا بالانتصارات في المعارك.

ماذا يقصد بالبرية والساحل والسهل؟^١

١. يقصد بالبرية المنطقة المرتفعة في الجنوب والجنوب الشرقي الممتدة من الشاطئ الغربي

للبحر الميت حتى قرب بئر سبع.

٢. الساحل: السهل المجاور للبحر في الغرب بين تلال اليهودية والبحر.

٣. السهل: الأرض الخصبة جدا التي وراء الأردن في سهول جلعاد.

الكرمل: يرى كالميت Calmet أنه يوجد كرمل في سبط يهوذا حيث عاش نابال، وكرمل

Carmel أخرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بجوار Kishon، وكلاهما يمتازان بأراضيهما

الخصبة لزراعة الكروم.

اهتم بحفر آبار كثيرة مثل الآباء البطارقة، وهي تشير إلى الاهتمام بعمل الروح القدس، الماء

الحَيِّ.

¹ Barnes Notes.

يُعلِّق العلامة أوريغينوس عن الآبار التي حفرها إبراهيم وطَمَّها الفلسطينيون وملأوها ترابًا (تك ٢٦: ١٥). بعد موته عاد إسحق ونبشها، وأزال عنها التراب (تك ٢٦: ١٨)، قائلاً: بأن ما فعله الفلسطينيون الوثنيون يشير إلى عمل الشياطين في النفس البشرية حيث يفسدون فيها صورة الله. وما فعله إسحق كان رمزًا لعمل المسيح الذي يُعيد لنا الصورة الإلهية بعمل روحه القدس. أما عن نبش الآبار التي يردمها عدو الخير بالقاذورات، فيتحقق بدراسة الكتاب المقدس باجتهاد مع الصلاة. لذلك يوصينا بالصلاة. ففي كثير من الأحيان، نكون بجانب آبار الماء الجاري - الكتاب الإلهي - ولكننا نعجز عن التعرّف عليه بمفردنا.

❖ كما أن إسحق أتى لينبش الآبار التي حفرها أبيه، فإن المسيح فقط، (ورمزته) إسحق، هو الذي يمكن أن يُزِيلَ من آبار أنفسنا القاذورات التي ملأتها خطايانا، حتى يمكن للمياه الحية أن تطفو مرة أخرى. ويؤكد دوام "بقاء الصورة" في الإنسان، بالرغم من أخطائه، من خلال نعمة المسيح، حيث يمكن التحوُّل من حالة إلى أخرى: ونفس الشيء بالنسبة لدوام سكنى الروح.

❖ لذلك، فإن الآبار التي حفرها إبراهيم، التي هي أسفار العهد القديم، قد امتلأت بالتراب بواسطة الفلسطينيين، أو بالمُعَلِّمين الأشرار، الكتبة والفرسيين، أو حتى القوى المعادية... حتى لا يعطوا مشروبًا للذين هم لإبراهيم. فهؤلاء الناس لم يشربوا من الأسفار المقدسة، بل عانوا "من عطش كلمة الرب"، حتى يأتي إسحق، ويفتح لهم الخدام كي يشربوا.

وإننا نُقدِّم الشكر للمسيح، ابن إبراهيم حيث كُتِبَ: "كتاب أجيال يسوع المسيح، ابن داود بن إبراهيم (مت ١: ١) الذي أتى وفتح الآبار لنا. فقد فتحها للذين قالوا: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا، إذ كان يُكَلِّمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟" (لو ٢٤: ٣٢). لقد فتح هذه الآبار!

❖ فلنعلِّم أننا أحيانًا نكون مُستلْقِين بجانب بئر "المياه الحية"، التي هي حول الكتب الإلهية، ونخطئ فيها. نأخذ الكتب ونقرأها، ولكننا لا نقرب من المعنى الروحي.

إذن، هناك ضرورة للبكاء والصلاة المستمرة التي بها يفتح الرب أعيننا، لأنه حتى أعين العميان الموجودين في أريحا، لم يكن ممكنًا أن تُفْتَحَ إلا عندما يطلبون من الرب (مت ٢٠: ٣٠).

وماذا أقول؟ إن أعيننا تُفْتَحُ، لأن المسيح أتى ليفتح أعين الذين لا يُبْصِرُونَ.

إذن، أعيننا انفتحت، وُزِعَ حرف الناموس. ولكن أخشى أننا نغلقها مرة أخرى في سباتٍ عميقٍ،

فلا نرى المعنى الروحي.

❖ كن مجتهداً في قراءة الكتاب المقدس. نعم، كن مجتهداً...

اقرع. فسيفتح لك حارس الباب...

لا نكتفي بأن تقرع وتستقصي. فالصلاة هي أهم شيء لبلوغ الحقيقة الروحية.

لذلك، لم يقتصر مخلصنا على القول: "اقرعوا يفتح لكم" و"اطلبوا تجدوا"، بل قال أيضاً "اسألوا تعطوا".

فكل منا، الذي يخدم كلمة الله، يحفر آباراً، ويطلب الماء الحي الذي بواسطته يجدد سامعيه.

❖ مازال اليهود عند مارة، مقيمين عند المياه المرة، لأن الله لم يرههم بعد الشجرة التي يصير بها الماء عذبة¹.

❖ ألقى الرب بشجرة في المياه، فصارت عذبة. أما عندما تأتي شجرة (صليب) يسوع، ويسكن في داخلي لتعليم مخلصي، حينئذ يصير ناموس موسى "عذبة"، ويصير مذاقه، لمن يقرأه ويفهمه، بالحقيقة حلوا².

العلامة أوريجينوس

٤. أعمال التنظيم

وَكَانَ لِعُزِّيَا جَيْشٌ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ،

يَخْرُجُونَ لِلْحَرْبِ أَحْزَابًا حَسَبَ عَدَدِ إِخْصَائِهِمْ،

عَنْ يَدِ يَعِيثِيلَ الْكَاتِبِ وَمَعْسِيَا الْعَرِيفِ،

تَحْتِ يَدِ حَنْنِيَا وَاحِدٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَلِكِ. [١١]

اهتم أيضاً بجيشه، لاستكمال أسلحته الدفاعية.

يبدو أن عزيا في أيام سلوكه باستقامة في عيني الرب اتسم بالتدبير الصالح والنظام، فأنشأ للجيش

مؤسستين: جيش المقاتلين يخرجون للحرب أحزاباً، يستردون ما سبق أن فقدته المملكة. وجيش

لحماية الحصون والبلاد، كانوا مستعدين للدفاع ضد أي هجوم من الخارج [١٢-١٣].

يبدو أن نظامه كان أفضل ممن سبقوه، لذلك أشار إليه يعيثيل الكاتب، الذي كان عمله أن يسجل

أسماء الجنود أفراداً حسب فرقهم (أحزابهم).

¹ In Exodus hom. 7:3.

² In Jer. hom. 10:2.

كُلُّ عَدَدِ رُؤُوسِ الْآبَاءِ مِنْ جَبَابِرَةِ الْبَاسِ أَلْفَانِ وَسِتُّ مِئَةٍ. [١٢]
يقصد برؤوس الآباء القادة في الجيش.

وَتَحْتِ يَدِهِمْ جَيْشُ جُنُودٍ،
ثَلَاثُ مِئَةِ أَلْفٍ وَسَبْعَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُ مِئَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ،
بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ لِمُسَاعَدَةِ الْمَلِكِ عَلَى الْعُدُوِّ. [١٣]
وَهَيَأُ لَهُمْ عَزِيًّا لِكُلِّ الْجَيْشِ،
أَنْزَاسًا وَرِمَاحًا وَخَوْدًا وَدُرُوعًا وَقِسِيًّا وَحِجَارَةً مَقَالِيعَ. [١٤]
حجارة مقاليع: أعدها لكي إذا ما حدث قتال يجدونها جاهزة.

وَعَمِلَ فِي أُورُشَلِيمَ مَنْجَنِيقاتٍ اخْتِرَاعَ مُخْتَرَعِينَ لِتُكُونَ عَلَى الْأَبْرَاجِ،
وَعَلَى الزُّوَايَا لِتُرْمَى بِهَا السَّهَامُ وَالْحِجَارَةُ الْعَظِيمَةُ.
وَأَمْتَدَّ اسْمُهُ إِلَى بَعِيدٍ،
إِذْ عَجِبَتْ مُسَاعِدَتُهُ حَتَّى تَشَدَّدَ. [١٥]

المنجنيقات: هي آلات لرمي الحجارة، بلغة العصر مدافع تقذف حجارة وليس قذائف. كان هذا السلاح موجودًا قبل عزيًا، لكنها تطورت، لتحمل كميات أكبر من الحجارة، أو تقذف على مدى مسافات أكبر.

كان عزيًا مهتمًا بالجانب العسكري، جاء في الترجوم: [صنع في أورشليم آلات رائعة: منجنيقات، وأبراجًا مجوفة بنتها على الأبراج وعلى البستين (أجزاء ناتئة من الحصن) لكي تُصوّب منها السهام والحجارة الضخمة^١].

يرى البعض أن هذه المنجنيقات كانت متقدمة بالنسبة لعصرها، وأن مملكة يهوذا سبقت اليونانيين والرومان في استخدامها. لا نعجب إن كان ما قام به عزيًا أعطاه شهرة عالمية، وكان مصدر رعب لأعدائه^٢.

٥. تشامخه واقتحام الكهنوت
وَلَمَّا تَشَدَّدَ ارْتَفَعَ قَلْبُهُ إِلَى الْهَلَاكِ،

¹ Adam Clarke Commentary.

² Adam Clarke Commentary.

وَحَانَ الرَّبُّ إِلَهُهُ،

وَدَخَلَ هَيْكَلَ الرَّبِّ لِيُوقِدَ عَلَى مَذْبِحِ الْبُخُورِ. [١٦]

جاء في الترجوم: [لقد أخطأ ضد كلمة الله إلهه].

لعل نجاحه وشهرته على مستوى عالمي، ورُعب الأعداء منه، دفعه إلى الكبرياء، فتسلل في قلبه وفكره العصيان على الشريعة الإلهية.

للأسف رغم كل هذا النجاح ارتفع قلبه إلى الهلاك [١٦]. تعالى، وحاول اغتصاب الحق، لإيقاد البخور على المذبح الذهبي الخاص بالكهنة وهدمهم (عد ١٦ : ٤٠). ضُربَ الملك بالبرص لاحتقاره قداسة الله، فبادر بالخروج من حضرة الرب.

سقط بعض الملوك الذين من نسل داود في الزنا أو عبادة الأوثان أو الزواج من وثنيات أو القتل، غير أن عُرِّيَا لم يُنَّهَمَ بأية خطية من هذا النوع، إنما خان الرب إلهه بتعديده على وظيفة الكهنوت. وهو في هذا لم يتعظ بما سبق أن فعله شاول البنياميني أول ملك لإسرائيل.

لم نسمع أن أحدًا من الملوك الصالحين أو الأشرار فعل هذا، فلماذا تجاسر عُرِّيَا الملك، ودخل الهيكل ليقود بخورًا على المذبح، بالرغم من معرفته أن الناموس يمنعه من ذلك، وقد دخل وراءه رئيس الكهنة ومعه ثمانون كاهنًا يقاومونه، أما هو فغضب جدًا وحنق عليهم؟

١. ربما ظنَّ أنه أكثر غيره وحبًا للعبادة من الكهنة ومن الملوك السابقين، فتعدَّى حدوده، ومارس ما لا يجوز له فعله.

٢. ربما توَّهم أن الكهنة لم يقوموا بوظيفتهم بورعٍ وتقوى كما يجب، وأنه بإمكانه أن يعمل ما هو أفضل منهم.

٣. ربما كان ذلك في يوم عيدٍ مقدسٍ، أو مناسبة خاصة به أو بأسرته، فدخل يُقدِّم بخور شكر الله أو يطلب مراحمه، لكن للأسف بروح التشمخ والتحدِّي للوصية الإلهية.

٤. ربما لاحظ أن الملوك الذين انحرفوا في عبادة الأوثان أوقدوا بخورًا بأنفسهم للأصنام، فأبوه أوقد بخورًا لآلهة أدوم (٢٥ : ١٤). وأيضًا يربعام (١ مل ١٣ : ١). فأراد أن يؤكد أنه ملتصق بمذبح الرب لا مذابح الأوثان.

٥. إذ تعرَّف على الكثير من الأسرار الإلهية وشرح النبوات بتلمذته لذكريا الفاهم بمنظر الله، لم

¹ Adam Clarke Commentary.

يسلك بما يليق بهذه المعرفة، إنما ظنَّ أنه صاحب معرفة أكثر من غيره، فسقط في الغرور والكبرياء.

هذا كله لا يُبَرِّر ما فعله، إذ لم يكن قانعًا بالكرامات والعطايا والنصرات التي وهبها الله إيَّاهَا، فأراد اغتصاب المنوعات كما فعل أبوانا الأولان.

❖ توجد أربع علامات بها يُعرَف كل نوعٍ من كبرياء المتعجرفين:

عندما يظنون أنهم يقتنون آية سمة صالحة من ذواتهم.

وإذا اعتقدوا أنها وهبت لهم من فوق، ولكن من أجل استحقاقاتهم الذاتية.

أو دون تردد عندما يفتخرون بأن لديهم شيء وهو ليس لديهم،

أو عندما يستخفون بالآخرين، ويرغبون أن يظهروا أنهم الوحيدون الذين لديهم ما لهم.

يفتخر الشخص بأنه اقتنى سماته الصالحة من ذاته، مثل هذا يقول له الرسول: "أي شيء لك لم

تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟" (١ كو ٤: ٧)

مرة أخرى، يُحذِّرنا ذات الرسول ألا نظن أن آية عطية من النعمة تُوهب لنا عن استحقاقات

سابقة، بقوله: "لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمالٍ

كيلا يفتخر أحد" (أف ٢: ٨-٩). ويقول عن نفسه: "أنا الذي كنتُ قبلاً مُجدِّفًا ومضطهدًا ومفتريًا،

ولكنني رُحمت" (١ تي ١: ١٣). في هذه الكلمات يعلن بوضوح أن النعمة لا تُعطى لمستحقين، حين

يُعلِّمنا الأمرين، أي استحقاق له عن أفعاله الشريرة، وأن ما ناله هو بواسطة حنو الله.

لكن يفتخر البعض أن لديهم أمورًا بالحقيقة ليست لديهم، وذلك كما يتكلم الصوت الإلهي عن

موآب بالنبي: "أنا عرفت كبريائه وعجرفته، وأن فضيلته ليست حسب (استحقاقاته)" (راجع إر ٤٨:

٣٠). وقيل لملاك كنيسة لاودكية: "لأنك تقول إنني أنا غني، وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء،

ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان" (رؤ ٣: ١٧).

والبعض في استخفافهم بالغير، يرغبون في الظهور أنهم الوحيدون أصحاب سمات صالحة

يُتسمون بها. هكذا نزل الفريسي من الهيكل دون أن يتبرَّر، لأنه وصف نفسه كما لو كان في موقفٍ

فريدٍ، مستحقًا للأعمال الصالحة، وميَّز نفسه عن العشار المتوسل.

يُحذِّرنا الرسل القديسون من خطية الكبرياء هذه. فإنهم إذ رجعوا من كرازتهم، وقالوا في كبرياء: "يا

رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لو ١٠: ١٧)، فلكي يحفظهم من الفرح بهذه العطية الفريدة

لعمل المعجزات... أجابهم الرب للحال، قائلاً: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠:

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يا لُحِبَّ السيطرة! يا لشهوة المجد الباطل، كيف تُسْقِطُ وتُهْلِكُ كل شيء، تجعل البشر يقفون ضد خلاصهم وخلص الآخرين. تجعلهم بالحق عميان، وفي ظلمة، ويحتاجون إلى من يقودهم بيديه^١.

❖ كيف يمكننا أن نتخلص من المجد الباطل؟ فَكَّرُوا في أولئك الذين من أجل المجد أنفقوا أموالاً كثيرة، ولم ينالوا شيئاً منه.

فَكَّرُوا في الأموات، أي مجد قد نالوه، وكيف أن هذا المجد لا وجود له، بل يبدو أنه صار كلاً شيء. لتفكروا أنه يحمل مُجَرَّدَ الاسم "المجد" ولا يحوي فيه شيئاً حقيقياً... لنهرب من هذه الهوة، ولنطلب أمراً واحداً: المجد الذي من الله، وأن نكون مقبولين لديه، وممدوحين من سيدنا جميعاً. فإذ نعبر حياتنا الحاضرة في الفضيلة، ننال البركات الموعود بها مع أولئك الذين يحبونه بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقدرة والكرامة مع الآب والروح القدس إلى أبد الأبد وإلى انقضاء العالم^٢.

❖ لنهرب من الكبرياء، لأنه أكثر الأوجاع خداعاً للنفس. فمنه تتبع الشهوة الرديئة ومحبة المال والكراهية والحروب والصراعات. لأن الذين يطمعون في نوال أكثر مما لديهم لن يستطيعوا أن يتوقفوا. شهوتهم لا تتبع إلا من خلال حُبِّهم للمجد الباطل... إذا ما استطعنا أن نقطع الكبرياء، رأس كل شر، يصاحب ذلك إمكانية إماتة كل أعضاء الشر الأخرى، ولا يوجد شيء يمنعنا عن أن نعيش على الأرض وكأنها سماء!...

إذا ما أردنا أن نقتني مجداً، يلزمنا أن نهرب من مجد العالم، وننتهي مجداً من الله وحده. حينئذٍ نحقق الاثنين معاً (المجد في العالم ومن الله)، ونتمتع بهما بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته الحانية^٣.

❖ واضح أن الفخر المُبالغ فيه كان من سمات الرسل الكذبة^٤.

¹ Hom. on Acts, hom. 28.

² Hom. on Acts, hom. 28.

³ On John, homily 28.

⁴ In 2 Cor. hom 22:2.

❖ كما أن الكبرياء هو ينبوع كل الشرور، هكذا التواضع هو أساس كل ضبط للنفس^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَدَخَلَ وَرَاءَهُ عَزْرِيَا الْكَاهِنُ،

وَمَعَهُ ثَمَانُونَ مِنْ كَهَنَةِ الرَّبِّ بَنِي النَّاسِ. [١٧]

دخل الكهنة لكي يطلبوا منه الخروج من الهيكل، وكانوا يُعلِّمون أن هذا يُكلِّفهم حياتهم نفسها.

وَقَاوَمُوا عَزْرِيَا الْمَلِكَ، وَقَالُوا لَهُ:

لَيْسَ لَكَ يَا عَزْرِيَا أَنْ تُوقِدَ لِلرَّبِّ،

بَلْ لِلْكَهَنَةِ بَنِي هَارُونَ الْمُقَدَّسِينَ لِلْإِيقَادِ.

أَخْرَجَ مِنَ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّكَ خُنْتَ،

وَلَيْسَ لَكَ مِنْ كَرَامَةٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الْإِلَهَةِ. [١٨]

إذ حاول إيقاد البخور بنفسه في بيت الرب على مذبح البخور الذهبي، عارضه رئيس الكهنة والكهنة المُرافِقون له، إذ كانوا مستعدين لإيقاد البخور لحسابه حسب قانون وظيفتهم. شرحوا له بوضوح أن ما يفعله، يكسر الناموس، ويُعرِّضه للخطر. أوضحوا له الآتي:

١. "ليس لك يا عَزْرِيَا": إذ لا يجوز حسب الشريعة لأحد سوى الكهنة من بني هرون أن يفعل هذا (خر ٣٠: ٧؛ تث ٣٣: ١٠؛ ١ أي ٢٣: ١٣). فداود وسليمان وبهوشافاط صلُّوا مع الكهنة، وباركوا الشعب ووعظوهم، لكنهم لم يُوقِدوا بخورًا. للملك دوره وللکاهن دوره. ولا يجوز لإنسانٍ ما أن يمارس العملين: الملوكي والكهنوتي. فالملوك من سبط يهوذا، والكهنة من سبط لاوي. المسببُ المُخَلَّص هو وحده رئيس الكهنة السماوي، وفي نفس الوقت ملك الملوك.

طلبوا منه أن يكرم الرب لا بممارسة ما لا يجوز عمله، إنما بالتزامه بروح الإخلاص والأمانة مع الحُبِّ والتواضع بما وهبه الله.

٢. "ليس لك من كرامة من عند الرب الإله". قدّموا له تحذيرًا بأسلوب هادئ وديع، لأن ما يعنونه هو: "ستحلُّ بك فضيحة أمام الشعب مع هلاك لنفسك، فتفقد حتى كرامتك كملك".

حدّروه مما يحلُّ بالغرباء الذين يقتحمون العمل الكهنوتي (عد ٣: ١٠؛ ٢٨: ٦). فقد سبق قورح وجماعته وهم من بين لاوي وليسوا كهنة من بين هرون أن تمردوا بتقديمهم بخورًا لله فهلكوا (عد ١٦:

¹ In Matt. hom 15:3.

يليق بنا كمؤمنين في شركة مع السيد المسيح، كهنة وشعباً، أن نتطلع إلى رئيس الكهنة السماوي، القادر وحده أن يحملنا إلى حضن أبيه.

٦ . إصابته بالبرص

فَحَنَقَ عَزْرِيَا.

وَكَانَ فِي يَدِهِ مِجْمَرَةٌ لِلإِيقَادِ.

وَعِنْدَ حَنَقِهِ عَلَى الْكَهَنَةِ،

خَرَجَ بَرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ أَمَامَ الْكَهَنَةِ،

فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِجَانِبِ مَذْبَحِ الْبُخُورِ. [١٩]

حنق عزريا على الكهنة الذين وبَّخوه، وأصرَّ على تنفيذ ما في فكره. تطلع عزريا إلى نصيحة الكهنة كتدخلٍ في شؤونه الخاصة، وإهدارٍ لكرامته، ودخولهم في عداوة معه. مع هذا يرى البعض أنه كان أفضل من أبيه، إذ لم يسقط في عبادة الأوثان حتى عند سقوطه في الكبرياء واقتحامه الكهنوت.

"البرص"^١ في الطب الحديث هو مرض جلدي خطير يصل في بعض مراحل الخطيرة إلى تآكل بعض أطراف الجسم وتشويه شكل الإنسان، بجانب خطورته في انتقال العدوى سريعاً. ولعل ما ورد في العهد القديم تحت اسم "البرص" لا يعني مرضاً معيناً، إنما كل ما يمكن أن يُسبب عدوى لا بين الناس فحسب، إنما حتى بين الأثاثات كانتقال العث من ثوب إلى ثوب، والسوس من خشب إلى خشب الخ.

قد يرى الإنسان في الحُكْم على الأبرص في ظل الشريعة الموسوية نوعاً من القسوة، مثل عزله بعيداً عن الجماعة، وحسابه نجساً حتى يبرأ. لكننا نجد حتى في المجتمعات الحديثة بالرغم مما وصل إليه الطب من تقدُّمٍ فائقٍ في هذا القرن أن أصحاب الأمراض الجلدية يُعزلون في مستشفيات أو مصحات بعيدة عن السكن، ويخشى حتى الأطباء على أنفسهم من انتقال العدوى إليهم.

ارتبط البرص في ذهن اليهود بالخطية، لخطورة المرض صحياً، وتشويه جسم الإنسان، وسرعة نقل العدوى. لهذا استخدمه الرب أحياناً للتأديب، كما فعل مع مريم أخت موسى بسبب كلامها ضد أخيها (عد ١٢ : ١٠)، وما حدث مع جحزي، حين مال قلبه وراء نعمان السرياني يطلب الفضة

^١ راجع تفسير لاويين ١٣.

والذهب ويكذب على أليشع النبي (٢ مل ٥ : ٢٧)، وما أصاب عُرْيَا الملك لاعتدائه على وظيفة الكهنوت (٢ أي ٢٦ : ١٦-٢١).

فَالْتَفَتَ نَحْوَهُ عَزْرِيَا هُوَ الْكَاهِنُ الرَّأْسُ وَكُلُّ الْكَهَنَةِ،
وَإِذَا هُوَ أَبْرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ،
فَطَرَدُوهُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ بَادَرَ إِلَى الْخُرُوجِ،
لَأَنَّ الرَّبَّ صَرَبَهُ. [٢٠]

إذ واجه الكهنة بعنفٍ وتحذُّرًا للوصية الإلهية، ظهر البرص على جبهته، ليكشف المرض على ثمر العصيان للوصية، وأنه يلتزم بالخروج فورًا، لئلا يُصاب بعقوبةٍ أقسى.

يخبرنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن عُرْيَا هَدَّدَ الكهنة بالقتل إن عارضوه، فتزلزلت الأرض، وانشق سقف الهيكل وسقطت أشعة الشمس على وجه الملك لتكشف عن حلول البرص على جبهته. ويرى البعض أن هذه الزلزلة هي التي وردت في عا ١ : ١؛ زك ١٤ : ٥.

هذه الضربة العلنية والتي شهدت لها الشمس، وعبرت الأرض عن غضبها، أنهت الشجار الذي حدث بين الملك والكهنة، فتسجَّعوا على طرده من الهيكل. بل بادر بنفسه بالخروج، من أجل ما حلَّ به من فضيحة.

لقد أدرك أن ما حلَّ به لا يمنعه فقط من تقديم البخور على المذبح، وإنما حتى من التعامل مع الناس، والاقتراب من مذبح الله.

لم يقتنع الملك بكلمات الكهنة، فأقنعه الله بلغة المرض الذي يُفقد كرامته وقدرته على الاقتراب حتى من المُقَرَّبِينَ له. أراد اغتصاب كرامة الكهنوت بجانب كرامة الملوكية، فتجرَّد من كل كرامة، حتى كرامة العامة من الشعب.

لقد أعطى الله مثالاً لما يحل بالمتكبر، وكشف عن غيرته على نقاوة بيته، وطلب أن يعرف كل إنسانٍ مهما كان صالحًا وعظيمًا أن يلتزم بالوصية الإلهية.

يرى البعض أن الملك كان فاقداً مخافة الرب، لذلك سمح الله له بالمرض، كي يعتزل المجتمع، ويتوقَّف عن الأعمال الملوكية لئُفكَّر في علاقته بالله.

يروون أنه مع كونه ملكًا فاضلاً إلا إنه أخطأ بمحاولته اقتحام وظيفة الكهنوت، وهذه نقطة سوداء في حياته، وقد سمح الله بتأديبه. لقد ظن أنه يقترب من الله بالأكثر خلال تقديم البخور على مذبح البخور الذي لا يُقرَّبُه سوى الكهنة. ولعله في فترة اعتزاله هذه رجع إلى نفسه، وأدرك خطأه وندم!

"لأن الرب ضربه". جاء في الترجوم: "لأن كلمة الرب جلب عليه الوباء".^١

❖ الشخص الذي لا يُعهد إليه بهذه الوظيفة ويمارسها بذاته، يسقط تحت نفس عقوبة عزيا^٢.

الدسقولية

٧. عزله وموته

وَكَانَ عَزْيَا الْمَلِكِ أَبْرَصَ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ،

وَأَقَامَ فِي بَيْتِ الْمَرْصِ أَبْرَصَ،

لَأَنَّهُ قَطِعَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ،

وَكَانَ يُوْتَامُ ابْنُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَلِكِ يَحْكُمُ عَلَى شَعْبِ الْأَرْضِ. [٢١]

بابتلائه بالبرص اضطر أن يعتزل المجتمع كله، حتى من أسرته والقادة العسكريين والمدنيين ومن رجال الدين، لقد فقد إمكانية القيام بالعمل الملكي، واضطر أن يترك ابنه يوثام "على بيت الملك يحكم على شعب الأرض" [٢١].

كان يظن الملك أنه فوق كل قانون وكل سلطان، فإذا صار أبرص خضع للفحص والحكم عليه من الكهنة (تث ٢٤: ٨).

أقم نفسه بالدخول إلى القدس، حيث لا يجوز لأحد الدخول فيه سوى اللاويين، الآن ببرصه لا يجوز له الدخول حتى في الدار الخارجية.

صار حال الملك مثل مريم أخت موسى وهرون التي أصيبت بالبرص (عد ٧: ١٤).

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ عَزْيَا الْأُولَى وَالْآخِرَةُ كَتَبَهَا إِشْعِيَاءُ بْنُ أَمْوَصَ النَّبِيُّ. [٢٢]

لقد فقد هذا العمل تمامًا، إذ لم يصلنا من إشعيا عنه سوى ما ورد في (إش ١: ١؛ ٦: ١).

في سنة وفاة عزيا رأى إشعيا رؤياه (إش ٦)، ليُعلن أن الملك الحقيقي هو رب الجنود، وأن نعمة

الله تقوم على الذبيحة (إش ٦: ٧).

ثُمَّ اضْطَجَعَ عَزْيَا مَعَ آبَائِهِ،

وَدَفَنُوهُ مَعَ آبَائِهِ فِي حَقْلِ الْمُقْبِرَةِ الَّتِي لِلْمُلُوكِ،

لَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ أَبْرَصٌ.

¹ Adam Clarke Commentary.

² Constitutions of the Holy Apostles, Book 3: 1: 10.

وَمَلِكٌ يُوثِقُ ابْنَهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٣]

لم يُدْفَن في مقبرة الملوك، لأن جثمانه يحمل آثار البرص، ويُحسَب ذلك نجاسة.

ملحق أخبار الأيام الثاني ٢٦

عُزِّيَا الْمَلِكِ وَإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ

للقديس مار يعقوب السروجي

إذ قام إشعياء النبي بعمله النبوي في أيام عُزِّيَا ويوثام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا (إش ١ : ١)، يربط القديس مار يعقوب السروجي في ميمره ١٦٣ بين تصرفات عُزِّيَا الملك ورسالة إشعياء النبي. جاء ميمره بمقدمة طويلة عن الثالث القدوس، لأن إشعياء في رؤياه في سنة وفاة عُزِّيَا رأى السيد جالساً على كرسي عالٍ وأذياله تملأ الهيكل، وشاهد السيرافيم كل واحد ينادي الآخر مُسَبِّحًا الثالث القدوس، بقوله: قدوس، قدوس، قدوس... (إش ٦ : ٣). كما ركَّز على نبوات إشعياء عن السيد المسيح والقديسة مريم، ثم تحدَّث عن رفض ابنة إبراهيم (اليهود) لسرَّ الثالث القدوس وتعبُّدها للأصنام.

بعد هذا تحدث عن اقتحام الملك عُزِّيَا للعمل الكهنوتي.

كعادته في قصائده عن نصوص الكتاب المقدس وأحداثه، جاء مار يعقوب فريداً في تفسيره لما حدث مع عُزِّيَا الكاهن.

ابنة إبراهيم أفسدت ملوكها

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن تصرف الملك عُزِّيَا الذي بدأ ملكه بداية حسنة، إذ "عمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه" (٢ أي ٢٦ : ٤)، لم ينحرف إلى اقتحام العمل الكهنوتي في كبرياءٍ وتشامخٍ وتحديٍّ فجأة، إنما هو ثمرة تجاوبه مع الشعب الذي حتى في طاعته أحياناً للملوك المُصلِحين كانت قلوبهم ملتهبة بالعبادة الوثنية والرجاسات. لقد علَّل ذلك بالآتي:

١. في بدء انطلاق الشعب من مصر، حين صعد موسى على جبل حوريب وتأخر، ألزموا هارون أن يصنع لهم عجلاً ذهبياً يتعبَّدون له ويرقصون حوله.
٢. كثيراً ما كان الشعب يقتدي بالأمم في ممارستهم للاحتفالات والمواسم بطريقة فاسدة ورجاسات.
٣. كان الشعب يضغط على الملوك بممارسة العادات الوثنية علانية.
٤. يبدو أن القديس مار يعقوب رأى في انحراف سليمان بزواجه نساء كثيرات والارتباط بالسراري كان بوزاع من القادة الذين حوله، أو امتثالاً بالشعب المنحرف في هذا العمل بصورة أو أخرى. هكذا كان الملوك يتأثرون بالقادة الذين حولهم وبالشعب.

٥. ذكر مار يعقوب أمثلة من الملوك الذين انحرفوا ولو إلى زمانٍ مُعَيَّنٍ نحو العبادة الوثنية مثل رحبعام بن سليمان ويربعام الذي انشقَّ عن بيت داود وجمع حوله عشرة أسباط، وأخاب الذي تزوج إيزابيل الشريرة وغيرهم، كان للشعب دوره في هذا الانحراف.

هكذا يرى القديس مار يعقوب مع مسئولية الملوك عن انحرافهم، غير أن الشعب كان مُعَلِّمًا لهم للفساد بطريقة أو أخرى. هذا لا يعني الملوك من مسئوليتهم عن شرِّهم، إذ كانوا في انحرافهم يدفعون الشعب بالأكثر نحو الوثنية. هنا يظهر خطورة القائد والشعب أيضًا، حين يدفع كل منهما الآخر نحو الفساد أو التقوى.

❖ أَحَبَّت ابنة إبراهيم العجل (خر ٣٢: ٤)، وَعَلَّمَتْ ملوكها أيضًا أن يُجْبُوا الأصنام.

أَحَبَّت جماعة الشعب العجل منذ طفولتها، وصاغت أصنامًا، وصنعت مواسم للأباطيل...

صار لها الملوك، وأبغضوا الرب كما أبغضته، واحتقر القضاء الله بِسَيَرِهِمْ.

صارت مُعَلِّمَةً، ومنها تَعَلَّمَ الملوك الإثم، وأسكرتهم علنًا بالوثنية.

عرف الملوك بأنها تحب الأباطيل، وكل واحدٍ منهم كَثُرَ صنمًا لِيُحْسِنَ لديها.

رقد داود الملك العادل والإلهي، وقام سليمان الشاب الذي تَرَى مع الشريرات.

نصبت الجماعة له فخاخًا بفضل نساء كثيرات، وَعَلَّمَتْه أن يُصْعِدَ الذبائح للآلهة (١ مل ١١:

٤).

أخذت رحبعام، وربَّته ليصير وثنيًا (١ مل ١٤: ٢٣)، لأنها كانت تتوق أن تُكثِّر الأصنام بكل

الفرص.

كمل يربعام شهوتها الذي صاغ العجول (١ مل ١٢: ٢٨-٢٩)، وأراح نفسها أخاب وإيزابيل

بأصنامهما (١ مل ١٦: ٣١).

الواحد أراحها، لأنه صنع صنمًا رباعي الوجوه، والآخر عزَّأها، إذ أجاز ابنه في النار، وصار

وثنيًا (٢ أي ٣٣: ٦-٧)¹.

القديس مار يعقوب السروجي

الملك عُزِّيَا يخطف دور الكهنوت (٢ أي ٢٦)

¹ الميمر ١٦٣ على عُزِّيَا الملك وإشعيا النبي (إش ٦: ١؛ ٢ أي ٢٦: ٢٣-١؛ ٢ مل ١٥: ١-٧) (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

بعد أن تحدث القديس مار يعقوب عن عُزْرِيَا الذي بدأ بالاستقامة، وانحرف نحو الوثنية وعاداتها في قلبه، وقد ساهم المحيطون به في ذلك، رأى ملوك الأمم المحيطة يُحْسَبُونَ رؤساء كهنة للأوثان، يَتَمَتَّعُونَ بالسلطان الملوكي كما الكهنوتي. لهذا حسب نفسه في وضع مُهَيَّن بين ملوك الأرض. تجاسر ليمارس العمل الكهنوتي، وحين نصحه كاهن بخطئه، لم يبال بذلك، بل أهانه كمن قد وطأه تحت قدميه.

صوّره القديس بأنه في وقاحةٍ خطف المجرمة من يد الكاهن قسرًا، ودخل إلى مذبح البخور لِيُقَدِّمَ بخورًا أمام الله.

❖ عُزْرِيَا الذي حفظ نفسه من الوثنية جعلته (ابنة إبراهيم) يخطف مكان الكاهن بجسارة. إن كان لا يميل السامع من التعليم، فإن الميمر قد تَحَرَّكَ ليظهر خبر عُزْرِيَا. خبر ذلك الوحي الذي (صار) عند إشعياء سببه موجود هنا لمن يسمع بتمييز. لبس عُزْرِيَا جسارة قلب ملوك الأرض وكبرياءهم، لكي يضع البخور أمام الله. ظفر في الحرب، وعظمت نفسه في المملكة، وتكَبَّرَ ليضع البخور في مكان الكاهن. ولم يكفِه أنه لم يحسب حسابًا للكاهن الذي وطئه، بل تجاسر وخطف الكهنوت بإثم. التاج الذي ناله من الله وجده صغيرًا في عينيه، فدخل ليخطف المجرمة بالإكراه من اللاوي. لم يكفِه أنه قام في ولاية ملوك الشعب، فحسن لديه أن يخطف بجسارة درجة الكهنة. وبكبرياءٍ مُهَيَّنٍ للاهوت، خطف بإثم مجرمة الكاهن من يديه. دخل بعنف الرئاسة إلى هيكل الرب، وضلَّ بالسلطة، وسقط عن أداء الواجب. نفخه كبرياء الرئاسة، ولم يفهم بأنه لا يجوز له وضع البخور أمام الله^١.

القديس مار يعقوب السروجي

سلطان متكاملتان: الكهنوت يأمر الأرواح والملوكية تأمر الأجساد

يُقَدِّم لنا القديس مار يعقوب السروجي صورة حيّة للعلاقة بين السلطان الزمني للدولة ورجالها والدور الفعّال للكنيسة وقادتها. ليس من تنازع بين الدولة والكنيسة. فسلامة الواحدة فيها بنيان للثنتين. تُعْطَى لرئيس الدولة كرامته ويُعْتَرَفَ بسلطانه، ويُكْرَمُ قادة الكنيسة فيما يخص دورهم. ليس من حق الدولة أن تلزم الكنيسة بما يتعارض مع إيمانها ودورها الروحي الفعّال، ولا من

^١ الميمر ١٦٣ على عُزْرِيَا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الزاهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

حق رجل الدين التدخّل في السياسة.

❖ أعطى الله للبشر سلطتين، الواحدة للمملكة، والأخرى معها للكهنوت. الملك صاحب سلطان على الأراضي وعلى الولايات، والكاهن صاحب سلطان على النفوس وعلى الضمائر.

يأمر الملك الأجسام، وتسمع صوت أمره، ويأمر الكاهن الأرواح وتسمعه. للملك سيف يقتل الجسد فقط، وللکاهن حق الحرمان الذي يقدر أن يقطع النفس. الملك صاحب سلطان على المقتنيات وعلى المباني، والكاهن صاحب سلطان على الأرواح لينتهرها.

يقدر الملك أن يعطي الذهب لمن يحبه، ويقدر الكاهن أن يغفر للشعب الذي يطلب منه.

للملك تاج علني ورئاسة، وللکاهن كلمة خفية تحل العقد.

أعطى الناموس القوس للملك، والمجمره للكاهن، ليقوم كل واحدٍ منهما بما يخصه حسب سلطته.

لا يليق السيف بالكاهن إن استله، ولا الملك أن يحمل المجمره إذا اشتاق إليها.

الأمر الروحية هي للكاهن من قبل الله، وللملك أن يُدبّر الأمور الجسدية.

لا ذاك صاحب سلطان ليأمر الأمور العلنية، ولا ذاك يقدر أن يُدبّر الأمور الخفية.

الكاهن كاهن والملك ملك: إنهما سلطتان لينتظم العالم بالكهنوت وبالمملكة^١.

القديس مار يعقوب السروجي

الكاهن عزريّا يؤنب الملك عزريّا على فعله

تجاوز الملك عزريّا حدوده، فأراد أن يُقدّم بخورًا في هيكل الرب، فويّخه عزريّا الكاهن، طالبًا منه ألا يقتحم هيكل الرب، ويمارس عملاً ليس من اختصاصه.

❖ تجاوز عزريّا الملك حدوده، وأسقط الكاهن، وبجسارته أخذ مكانه.

له القوس وله المجمره، وكما ظن صارت له المملكة والكهنوت أيضًا.

أخذ ما هو للملوك، وفشّش عما هو للكهنة، ولو أمكن لخطف الرمح الخارجي والعطر الداخلي.

بكبرياء تجاوز الواجب كل يوم، ودخل إلى الهيكل، وأخذ المجمره بإثم.

وألقى البخور ليدخل ويعطر أمام العظمة، فتحرّك الكاهن بتوبيخ مملوء نورًا.

^١ الميمر ١٦٣ على عزريّا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الزاهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

بدأ ابن اللاويين يتكلم بدون خوفٍ ضد الملك بصوتٍ عالٍ وهو يقرعه.
الهيكل المقدس هو بيت في سلطة الكاهن، والكاهن لم يكن يخاف من توبيخه.
شرح الكاهن يقول للملك وهو يوبخه: اعلم أيها الملك بأن هذه الدرجة ليست درجتك.
لك سلطان في الخارج لتدبير الولايات، أما الرئاسة في بيت الغفران، فليست خاصة بك.
أنت ملك فقط لا كاهن، لا تضل! فالمجمره ليست خاصة بك من قبل الله.
عليك أن تأمر بالحروب الخارجية، أما الذبائح الداخلية فعلياً أنا أن أصعدّها.
ليس لي قوس، وليس لك عطر من قبل الله، خذ ما يخصك، ولا تتصرف بما لا يخصك.
يكفيك تاجك ورئاسة كل الشعب، فلا تخطف درجة أخرى ليست خاصة بك.
إنك ملك، لا سلطان لك على الكهنوت، فامكث فيما أنت فيه، ولا تشتت ما لا يخصك.
خذ السيف واخرج، وكن قوياً على الأراضي، وأعطني المجمره لأضع البخور في بيت الغفران.
أعطاك العلي المملكة، وأعطاني الكهنوت! يا ملك الشعب، ماذا تتوحي من درجة الكهنوت؟^١

القديس مار يعقوب السروجي

غضب عزّياً من عزّياً الكاهن

ما كان يشغل قلب عزريا الكاهن ليس أن الملك سلّبه سلطانه، وإنما أقحم نفسه في عملٍ خاصٍ بسبط اللاويين، كاسراً الشريعة.
في جسارةٍ أخذ الملك المجمره، ودخل ليُقَدِّمَ بخوراً، مُتَشَبِّهاً بملوك الأمم الوثنية. لذا أسرع الكاهن يُحَدِّره حتى لا يُدينه الله على تهاونه مع الملك. شعر الملك أن الكاهن أهانه، واستخفَّ به أمام حاشيته الملكية وأمام الكهنة، فحدّد عليه، وفكّر كيف ينتقم منه.

❖ تكلم الكاهن بطهارة القلب ضد الملك لئلا يسكت ويصير مُلاماً من قبل الله.
لم يتذمّر لأن الملك خطف درجته، لكنه تذرّم بسبب عنف جسارته.
كان الكاهن متضامناً، لأن النظام اضطرب هناك، فاغتاظ لاوي وأبناؤه الأبحار من عزّياً.
أخذ الرجل المجمره ليدخل (ويعطر) ولم يكن لاوياً، وقد وُطئ وأبطل ناموس بيت الله.
تسلّح الكاهن البهي بالتوبيخ ضد هذا التصرف، واحتقر الملك بسبب الإثم الذي ارتكبه.
وإذ صدر التوبيخ على عزّياً، صار مُحَنَقراً ومُهَمِّلاً أمام جنوده.

^١ الميمر ١٦٣ على عزّياً الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

رماه الكاهن بكلمات الحق، كما لو كان بسهامٍ، وطُعِنَ الملك، وتصادع غضبه كالدخان. تضايق وغضب، وصار أضحوكة أمام حاشيته، وصار يُهَدَّد الكاهن، مُفَكِّراً بما يصنعه به. وقف الكاهن وفمه مملوء توبيخاً، يقرع الملك مثل صبي مُلام قد أُذُنَّب. كان الملك مملوءاً حقداً وغضباً وقسوة قلب، وفكر في الضربة التي يضرب بها الكاهن^١.

القديس مار يعقوب السروجي

عُزِّيَا يلبس قميص البرص

إذ ارتدى الملك الجسارة على المقدسات الإلهية، حلَّ بجبهته البرص كلباسٍ ارتداه لا يستطيع الخلاص منه. عوض البخور برائحته الطيبة، صدر عن المجرمة التي في يد الملك رائحة الكبرياء والعجرفة والتشامخ، رائحة لا يطيقها رب السماء!

صار الملك كمن دخل وليمة السماء بثيابٍ دنسيةٍ، فاستحق الطرد. حلَّ به البرص علامة التزامه بمفارقة الهيكل فوراً. صار الملك العنيف في خزيٍ وعارٍ، أما الكاهن المُفْتَرَى عليه فرأى السماء تتحرَّك لتدافع عن قدسية الهيكل. يبدو أن الملك - في نظر القديس مار يعقوب السروجي - أراد أن يغتصب لباس المجد الكهنوتي، فارتدى البرص البغيض.

❖ أظهر الرب ما يخصه في بيت الغفران، فصدر البرص، وقبض على الملك، وجعله مُدَنِّساً.

لبس عُزِّيَا قميصاً من مائدة اللاهوت، لأنه كان قد لبس الجسارة.

فحصت العين الخفية، وتطلعت إلى مجمرته، ورأت بأنه وضع بخوراً بكبرياء لا يعدل.

رأت أنه احتقر الكاهن القائم في بيت الغفران، ولم يسمح له بوضع البخور لله.

وأراد أن يدوس ذلك الكاهن الفقير والبهيم، فأخذ مجمرته ليدخلها هو أمام الله.

حسب الملك وقوفه وراء الكاهن إهانة له، وأيضاً عودة الرئاسة في الهيكل المقدس إلى الكهنة.

بكبريائه لم يتنازل حتى يُغفر له بالبخور الذي يُدخِله ابن اللاويين لأجل الكثيرين.

ولهذا سعد من مجمرته عطر نتن، وفاحت رائحة كريهة إلى العدالة، وتصادع غضبها.

وعندما تدنَّس بحرمانه وبالعطر الذي قرَّبه، ألبسته ثوباً مدنساً على أعضائه.

أصيب الملك بالبرص، لأنه اشتهى سلطةً ليست خاصة به، ولبس الكاهن بهجة الوجه أمام

الكثيرين.

^١ الميمر ١٦٣ على عُزِّيَا الملك وإشعياء النبي.

من البيت المقدس خرج البرص لعزياً، لئلا يخطف لباس الكاهن، ويعطر البخور. صار البرص شاهداً للكاهن، ووبَّخ الملك، وصار في خزي له، لأنه كان يسيء التصرف. أراد أن يتجاوز على الأفود لباس الكهنة، فلبس بدل الأفود البرص البغيض^١.

القديس مار يعقوب السروجي

القلب النقي والأفكار الطاهرة هي بخور مُقدَّس يتصاعد أمام الله

يَسْتَمُّ اللهُ القُدُوسُ قَداسَةَ القلب والفكر وأعماق النفس رائحة بخور طيبة.

قد يكون الإنسان طاهر الجسد، أي أن جسده نظيف، إلا أن دنس القلب يسكب دنساً حتى على أعضاء الجسم. وهبنا الله الإرادة الحُرَّة، لكي نُقدِّمَ اشتياقنا للخلاص ومحبتنا لله عطرًا زكيًا، فيهبنا المغفرة.

دخل عزيا الملك الهيكل بإرادته الحُرَّة، يحمل كبرياء قلبه، فعوض تقديم بخور عطر، قدَّم رائحة دنسة، لهذا خرج مرتدياً البرص على جبهته علامة غضب الرب عليه.

❖ القلب النقي هو مُحَرَّقة أمام الله، الذي يحب الأفكار الطاهرة كالعطور.

مَحَبَّة (خلاص) النفس هي مجمرة مملوءة حياة، ومحبة الرب هي سكيب يصعد أمام العظمة.

طلب الرب من أبناء لاوي أن يُدْخِلُوا أمامه أفكارهم مع مباخرهم.

بحجة المجرمة نَقَى النفس التي تحملها، لتكون رائحتها طيبة كالعطور.

نار المجرمة مُشَبَّهَةٌ كلها بمحبة الرب، والعقاير بالحركات الصادرة من الفكر.

وعندما تصدر الأفكار الصالحة من الإرادة الحُرَّة، تقبلها محبة الرب بحرارة.

يتصاعد عطر زكيّ الرائحة إلى الله، ويصدر غفران من العظمة للمقرب.

لم يُعَرِّبْ عَزْيَا عطر النفس، بل خُطِفَ بإثم مجرمة الكاهن.

وبعدلٍ صدر عليه البرص من البيت المقدس: أجرة بغيضة للمجرمة المُقَرَّبَةِ ببغضٍ.

كان قلبه دنسًا وجسده طاهرًا، ولهذا بسط دنس نفسه على أعضائه.

عندما دخل عَزْيَا إلى الهيكل المقدس، كان متكبرًا بالمملكة والعجرفة والسلطة.

وعندما خرج كان تاجه مطأطأ، وروحه هابطة، ولابسًا البرص، وقد صار سخريّة للبلدان.

جرى كل هذا لأنه تكبَّر، وتجاسر ليدخل ويعطر البخور أمام العظمة.

^١ الميمر ١٦٣ على عَزْيَا الملك وإشعياء النبي (ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

وإذ أخذ المجرمة من الكاهن ابن اللاويين، لبس البرص، وأهين أمام المشاهدين.
تجاوز عُرْيَا حدوده، وأثم بخلاف نظامه، فصار غريبًا عن المملكة، لأنه أخذ المجرمة^١.

القديس مار يعقوب السروجي

جاءت رؤيا إشعيا في سنة وفاة عُرْيَا الملك (إش ٦ : ١)، وجاء قول الرب لهوشع في أيام عُرْيَا وبوثام (هو ١ : ١). استنتج القديس مار يعقوب من هذين النصين أن إشعيا عاصر حادثة اقتحام عُرْيَا العمل الكهنوتي والتزم الصمت، ربما لأنه كما قال في رؤياه: "ويل لي، لأنني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين" (إش ٦ : ٥). إذ صمت ولم يُؤيخ الملك على ما فعله، فقد إشعيا روح النبوة إلى حين، وحلَّ على هوشع لِيُؤيخَ الملك. يرى القديس يعقوب أنه كان يليق بإشعيا أن يُؤيخَ الملك كما فعل عزريا الكاهن. سمح الله لإشعيا بالصمت كتأديب له فترة برص عُرْيَا حتى يوم موته. وعندئذٍ إذ قدَّم إشعيا توبة صادقة، فكان مَرُّ النفس على ما حلَّ بالشعب، اعترف أنه نجس الشفتين، وأن الشعب نجس الشفتين. إذ تمتَّع إشعيا النبي بهذه الرؤيا السماوية، أدرك سرَّ الابن الوحيد. ارتعب قدام القدس، وتذكَّر أنه لم يُؤيخَ عُرْيَا الملك على حماقته وعجرفته ومحاولته اغتصاب السلطان الكهنوتي بالعنف. اعترف إشعيا النبي بخطئه، حاسبًا نفسه أنه نجس الشفتين، وساكن بين شعب نجس الشفتين.

هذا رأي شخصي لم يرد في كتابات الآباء على ما أظن، لذلك لم أقتبس كلماته في هذا الشأن في تفسيرنا هذا الأصحاح، إنما أكتفي بما تمتع به إشعيا عند رؤيته للشاروبيم وسماعه تسبحتهم لله.

السيرافيم يؤمنون بسرَّ الثالث الذي علَّموه لإشعيا

أروع ما ناله إشعيا النبي أنه تعرَّف على سرَّ الثالث القدس، إله واحد مُتَلَّت الأقانيم. هذه المعرفة ترتبط بالجو السماوي الفريد في التهليل والتسبيح كما بنغمات نارية جميلة!

- ❖ سيرافيم النار صنعوا ميمر الإيمان، وكانوا يُكرِّرونه أمام إشعيا ليتعلَّم أيضًا.
- كانوا يُسبِّحون بالمزمارة المهور بكنارة مؤهلة ومُصاغة من اللهب.
- وكان العلويين يشكرون الابن مع أبيه بنغمات اللهب الجميلة.
- لو كان اللاهوت أقنومًا واحدًا فقط لكان التقديس واحدًا لا ثلاثة كما نُطِقَ.
- ومادام للسيرافيم ثلاثة تقديسات، فقد تعلَّم العالم بأن الله ثلاثة أقانيم.

^١ الميمر ١٦٣ على عُرْيَا الملك وإشعيا النبي (راجع نص الزاهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

الابن الكامل معروف ومساوٍ مع أبيه، كما يشهد الميمر المؤلّف من قِبَل السماويين.

قيل: قدوس، قدوس، قدوس الرب: تقديسات ثلاث...

لا يُقال أرباب في اللاهوت، لأن الرب واحد والتقديسات الثلاثة خاصة به^١.

القديس مار يعقوب السروجي

الثلاثة تقديسات تعني مساواة الأقانيم في الثالوث

جاءت تسبحة السيرايم في سفر إشعياء (أصحاح ٦) تكشف عن سرّ الثالوث القدوس.

١. لا يُمكن أن يُقال قدوس الأولى للآب والثانية للابن والثالثة للروح القدس، كأنهم منفصلون

ومنعزلون عن بعضهم البعض.

٢. ليست "قدوس" منهم تختلف عن الاثنين الآخرين، لأن ليس في الأقانيم أكبر أو أقل.

٣. تكشف الثلاثة تقديسات عن وجود ثلاثة أقانيم، لكن التسبحة ككلٍ موجهة للثلاثة أقانيم كما

لكل أقنوم.

٤. لم يقل قدوس، قدوس، قدوس أرباب، بل "رب"، لأنه رب واحد، إله واحد.

٥. هذه التسبحة يُسبّحها السيرايم من قِبَل أن توجد المسكونة وقبل خلقه الإنسان.

❖ التقديسات التي نُطِقت لا تُقسّم الأقانيم ليُخصص أي (تقديس) هو الآب، وأي هو (تقديس) الابن.

الصوت الأول ليس (صوت) الآب، والثاني (صوت) الابن، والثالث (صوت) الروح فقط.

لا يوجد لكل واحدٍ منهم تقديس مُعيّن، لكن (توجد) ثلاثة (تقديسات) غير مجزأة لثلاثتهم.

لا توجد درجة واحدة عالية وواحدة وسطى وواحدة سفلى، ليصير عمقٌ في اللاهوت.

لا يقبل الآب صوتاً واحداً هو الصوت الأول، والصوت الآخر الذي في الوسط هو للابن.

في فمنا الأصوات مصفوفة الواحد بعد الآخر، في اللاهوت لا توجد صفوف وأجزاء.

ثلاثة أصوات تقديسات لثلاثتهم، لأن كل الأصوات هي عامة بالقداسة.

ثلاثة أصوات ليتضح الثالوث: الرب واحد، لأن اللاهوت لا ينقسم.

واحد هو القدوس، ولأنه ثلاثة (أقانيم) تُرسَل إليه سرّياً ثلاثة تقديسات من قبل الملائكة.

جَمْعُ النار تحرّك ليقول أمام إشعياء: قدوس الرب، وليس قدوس الأرباب.

ثلاثة تقديسات، لأن الأقانيم هم ثلاثة، أما الرب فهو واحد، لأن الله لا يتجزأ.

^١ الميمر ١٦٣ على غزّيّا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

عندما يُقَدَّس ثلاثيًا يُنطق واحد، وعندما يُعترف به إلهًا واحدًا فهو ثلاث. لا تنقسم الأصوات لتصبح أجزاء: (جزء) الروح (وجزء) الابن (وجزء) الآب. كلها هي (أصوات) الآب، وكلها هي (أصوات) الابن بدون انقسام، وكلها هي (أصوات) الروح القدس، لأن اللاهوت واحد. في النبوة وفي تسييح السماويين الواحد هو ثلاثة والثلاثة هم واحد بوضوح. ومنذ البداية كان الثلاث يُقَدَّس بحركة أبناء النور النارية الحية^١.

القديس مار يعقوب السروجي

لا يؤمن اليهود بأن للآب ابنًا كشفه لبني سرّه

كان يليق بالشعب اليهودي أن يؤمنوا بالثالوث القدوس، إذ أعطيت لهم فرص كثيرة للتعرف على سرّه، خاصة خلال النبوات التي بين أيديهم. إن كان السيرافيم كطغمة سماوية عظيمة تعرفوا على السرّ بالطبيعة بكونهم في السماء، فإنهم بدورهم صاروا مُعلّمين لليهود عنه.

❖ أظهر الآب في كل مناسبة أن له ابنًا، وكان يكشف لبني سرّه عن وحيدته. وكان ينتظر بالأب يُفصح أمام اليهود، ويلومونه ويفصلونه عن أبيه. كان سيرافيم النار يعرفون السرّ الخفي، وكانوا يتحرّكون إلهيًا لتسيحه. كانوا يتحرّكون بالابن ذاته على الكلام، لأنهم به يوجدون ويؤمرون على خدمته. سبقوا وتعلموا بالإحساس الذي أعطاه لطبيعتهم أن يسبحوا بالمزمارة ثلاثيًا للاهوت. لأنهم رأوا الابن حالاً في حضن أبيه، وكان يُترجم بفمهم مع الروح القدس. عرفوا ثلاثيًا بأن الرب هو واحد، وقد سبّح العلويون بالمزمارة: قدوس، قدوس، قدوس الرب. لم يسمع اليهودي السرّ العظيم كما نُطق، لأنه أراد أن يتقل أذنيه. ولا يرى صورة الابن المصورة في الكتب كالنير، لأنه أراد أن يصير أعمى. لماذا استعمل السيرافيم ثلاثة تقديسات، إلا ليتعلم العالم بأن الثلاث موجود؟ ولو نظر الشعب الذي شاء أن يصير أعمى، لرأى صورة الابن في القراءات^٢.

^١ الميمر ١٦٣ على غزياً الملك وإشعيا النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

^٢ الميمر ١٦٣ على غزياً الملك وإشعيا النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

القديس مار يعقوب السروجي

جمرة إشعياء ترمز إلى سرّ جسد ابن الله (إش ٦ : ٦-٧)

إن كان بتسبيح السيرافيم تعرّف إشعياء النبي على سرّ الله الواحد مُتَلِّث الأقانيم، فإنه خلال الجمرة التي لمست شفّته أدرك سرّ جسد الرب واهب المغفرة. يا لعظمة جسد الرب المُقَدَّم للخُطَاة لأجل تطهيرهم!

لم يكن ممكناً للساروف أن يمسك بيده الجمرة التي ترمز إلى جسد المسيح، بل استخدم ملقطاً حتى لا يحترق!

الآن أعطي للكاهن في سرّ الإفخارستيا أن يناول الخُطَاة السالكين في طريق التوبة جسد الرب ودمه لينالوا مغفرة الخطايا، ويتمتعوا بالحياة الأبدية.

❖ حالاً قَرَّب الساروف له جمرة في ملقطٍ وهي سرّ جسد ابن الله.

ظهر له النمط المُزَمع أن يصير على الأرض: كيف تشرق المراحم لتغفر لجميع الخُطَاة.

قال له: ها قد مسّت هذه فمك ليزول إثمك، وتُغفَر لك خطاياك.

باللؤلؤة الموضوععة هنا على المائدة تصوّر الجمرة التي أعطاها الساروف لإشعياء.

أمسك ملقط اللهب بيد نارية، وبها أخذ جمرة السرّ من المائدة.

ورأى النبي صورة كل أمور المستقبل: كيف وبماذا يُغفَر للعالم إثمه؟

لم يمسكها الساروف بيده لئلا يحترق، ولم يأخذها النبي بفمه لئلا يضمحل...

أسرار رؤية النبوة هذه، تُخدَم هنا كل يوم في بيت الغفران.

وبما أن الجمرة ظهرت جسدياً، فهي هي توكّل من المائدة الإلهية.

هوذا الكاهن يمسكها بأصابعه، ويُقرّبها إلى الخاطي ليأكل منها وبها يتطهّر.

ها إنها توكّل وتُشرب بالخبز والخمر، وهوذا جميع الخُطَاة يوزعونها بأيديهم.

سرّ النار الغافرة بحركة الجناح وببهاء السماويين.

وتعلّم النبي منذ ذلك الحين سرّ الكنيسة، وفي نبوته جلب إلى العالم صورة الجمال^١.

القديس مار يعقوب السروجي

الطبيعة والكتاب يبرهنان على الابن وعلى الثالوث

^١ الميمر ١٦٣ على غزيا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الزاهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

يقف القديس مار يعقوب السروجي في دهشة لعدم إنصاف اليهود للنبوات التي بين أيديهم. لقد قبلوا عبر العصور العبادة الوثنية، أي السجود لأصنام الآلهة والإلهات الباطلة، بينما يرفضون ابن الله الذي شهد له أنبيأؤهم.

❖ لا الأنبياء بإيحاءاتهم، ولا رؤى الحقائق تُنفع اليهودي.

بجنونه يعرف أن يفترى فقط، وينقض ويرذل كل أسرار الوحيد.
ظهر له بأن الله ابنًا في الخفاء، ولأنه صار وثنيًا احتقر ووطئ النبوة.
أغمض عينيه بإرادته، وأثقل أذنيه، ولا يريد أبدًا أن يرى ولا أن يسمع.
يسهل عليه أن يقول: يوجد آلهة وآلهات، ولا يتنازل ليقول إن الله ابنًا^١.

القديس مار يعقوب السروجي

براهين للابن: الشمس وضوءها والشجرة وثمرتها والنفس وكلمتها

تشهد الطبيعة نفسها لابن الله، فالشمس يتولد منها الضوء، وبدونه ما كانت تُحسب شمسًا.
والأشجار تتولد منها ثمار نتمتع بها، فلماذا يرفضون ولادة كلمة الله من الآب؟!

❖ لا يعترف إذاً أن للشمس ضوءً، ولا للهب حرارة.

ولا للشجرة ثمرة وهي منها، ولا للنفس كلمة وهي مستترة فيها.
ولا يريد أن يصدق الطبيعة التي يراها ولا يشاء أن يسمع الكتاب وهو يقرأ فيه.
ولا إشعياء الذي رأى مجد الوحيد وتكلم عنه، ولم يعطِ أذنه لسماع الحق^٢.

القديس مار يعقوب السروجي

إشعياء يكرز بالتالوث

إذ تجاوب مع سؤال الله طالبًا أن يرسله، كرز بالتالوث القدوس: فالآب أُعْلِنَ عنه، والابن كُرِّرَ به، والروح القدس هو الذي أرسله.

❖ وعد النبي فخرج لِيُبَشِّرَ، وشرع يُظهِر للعالم السرَّ الذي كان مخفيًا.

ورفع صوته لِيُظهِر الابن للأرضيين، ويكرز بمجده في جمع السماويين العظيم.

^١ الميمر ١٦٣ على غُزيا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

^٢ الميمر ١٦٣ على غُزيا الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

سمع ترتيل السيرافيم المملوء عجباً، وبوحيه خلط صوته ليزمر (ليسبِّح) هو أيضاً. فهم بأنهم رَتَّلُوا الخبر ثلاثياً، ومن كلمتهم تَعَرَّفَ على كل التالوث. وتأكد أن للاهوت أقانيم، فأظهر للأرض الأسرار التي كانت مستترة. وصف الآبَ وسماه في نبوته: "أظهِرْ"، وكرز بالابن، وقال: أُعْطِيَ لنا "ابن". وعندما أراد أن يُظهِرَ أُنُومَ الروح قال: الرب "وروحه" أرسلني، وكشف كل السرِّ. اسم الآبَ والابن والروح بأقانيمهم مزركش وجلي في النبوة بدون نقاش^١.

القديس مار يعقوب السروجي

طوبى للكنيسة التي تؤمن بالتالوث

❖ لكِ الطوبى أيتها الكنيسة رفيقة أسرار النبوة، فجمالِكِ انتصر بكل كنوز مصاف الرسل. هوذا الكنوز وكل الأشياء الجديدة والعتيقة مخزونة في خزينتكِ، ليغتني العالم من خيراتكِ. هوذا التالوث يُكْرزُ بفم أبنائك، كما سبق السيرافيم وأظهروا لإشعياء. اعترفتِ بالآبَ ولم تبدليه بالأباطيل، وآمنتِ بالابن ولم تفصليه عن أبيه. وصدقتِ بالروح ولم تجعليه غريباً عن الجوهر، وإيمانكِ عالٍ ونقي بكل الأصوات... هوذا الأصوات تختلط فيكِ بالأصوات بقداسة، ليكثر التسبيح من قبل العلويين ومن قبل السفليين. هوذا إشعياء يفرح بك بنبوته، لأنكِ عرفتِ إحياءه كما نُطِّقتِ. رجائكِ في الآبَ، وحقيقتكِ في الابن، وافتخاركِ في الروح، مباركٌ مَنْ بمحبته أعطاكِ جسده لتُخَلَّصي به^٢.

القديس مار يعقوب السروجي

^١ الميمر ١٦٣ على غزياً الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

^٢ الميمر ١٦٣ على غزياً الملك وإشعياء النبي (راجع نص الراهب بول بيجان ترجمة الدكتور الأب بهنام سوني).

من وحي ٢ أي ٢٦

هَبْ لِي رُوحَ التَّوَضُّعِ، فَاتَّشَبَّهْ بِكَ يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ!

❖ بروح التواضع، خضع يواش الملك ليهوياداع،

فعاش في استقامة قلب، يعمل لمجد اسمك القدوس.

وها هو حفيده عَزِيًّا يَنْتَلِمُذْ عَلَيَّ يَدَيَّ زَكْرِيَّا الْكَاهِنِ وَالنَّبِيِّ،

فَكَانَ يَطْلُبُكَ، وَكَانَتْ أَنْتَ سُرًّا نَجَّاحَهُ.

❖ وهبه الله النصر على الفلسطينيين الوثنيين.

هدم أسوار بعض مدنهم، وبني لنفسه مدناً في أرضهم.

ذاع صيته في بلاد كثيرة، فتشدد جداً.

اهتم بالأعمال العسكرية، واستخدم آلات حديثة.

صار موضع رُعبِ الأعداء.

إذ خاف الرب، وهبه أن يكون مخوفاً ومُكْرَمًا.

قام بتنظيم جيشه وتقويته.

❖ انحدر هذا الجبار الناجح في هوة الكبرياء.

ظن أنه أعظم من الجميع، فإذا به يصير أسير الذات.

التحف بثوب إبليس، وفي خيلاء اقتحم ما ليس في سلطانه.

تطلَّع إلى الملوك حوله وهم يمارسون العمل الكهنوتي في عبادة الأصنام.

في كبرياء أراد أن يُقَدِّمَ بخورًا في الهيكل غير مبالٍ بالشرعية.

حين حذَّره رئيس الكهنة ضاقت نفسه فيه.

وحسب تحذيرهم إهانة له.

اقتحم الهيكل، وأمسك بالمجمره يُقَدِّمُ بخورًا.

صعد من المجمره رائحة عصيانه وكبريائه وفساد قلبه.

عوض تقديم بخور لنوال مراحم الله،

حلَّ عليه التأديب من قبل الساكن في السموات.

أصابه وباء البرص على جبهته، حتى لا يقدر أن يخفيه.

خشي الكل أن يلمسوه لئلا يتنجسوا .

فاضطر أن يسرع بالخروج بسبب الفضيحة العلنية .

فقد شركته مع أسرته، واللقاء مع الجماعة، والحديث مع القادة المدنيين والعسكريين .

انقطع حوارهِ مع الكهنة، وأغلق على نفسه في بيت المرض .

عوض نوال سلطان الكهنوت بجانب سلطانه الملكي،

فقد ما كان لديه ولم ينل شيئاً .

ليس من طريق نقتني به البركات مثل الحب والتواضع .

ليس من طريق للنجاح والكرامة سوى الطاعة لله .

أفحم نفسه أن يدخل إلى القدس،

فطرّد نفسه بنفسه من قصره الملكي،

حتى في موته لم يُدفن في مقبرة الملوك، إنما في حقلها!

❖ هَبْ لي يا رب أن ألتصق بك، وأتمثل بوداعتك .

هَبْ لي أن أصير بروحك القدوس شريكاً لك في التواضع .

وأنت خالق السماء والأرض، دُفِنْتَ في مقبرة بين الأموات .

لكي أتمتع بقوة قيامتك،

أقوم معك وأتمتع بعربون سماواتك!

بالكبرياء يفقد الإنسان صورتك فيه!

وينعمتك تهبني التواضع، فنتجلى صورتك فيَّ يوماً فيوماً .

إني أترقّب يوم مجيئك على السحاب مع ملائكتك .

نعمتك تُقيمني وترفعني إليك، وأختني في أحضانك!

الأصحاح السابع والعشرون

يوثام الملك

يُعتَبَرُ هذا الأصحاح أصغر الأصحاحات الواردة في سفرِي أخبار اليوم. مع مدحه لشخصية يوثام النقي، غير أن الشعب كانوا يُفسِدون في بيت الرب، ولم يُقدِّم لنا الكتاب تعليلاً لعدم قدرة يوثام على قيادة الشعب في طريق التقوى.

لا يوجد الكثير في حياة هذا الملك، فقد اكتفى السفر بما ورد عنه في ٢ مل ١٥: ٣٢. إذ أفسد الشعب نفسه في أيام يوثام، وسقطوا تحت التأديب بالرغم من تقوى الملك، صارت الحاجة مُلِحَّةً لإعادة تأسيس العبادة في يهوذا بعد أن تركوها.

١. عمل المستقيم في عيني الرب ١-٢.
٢. إنشأته ٣-٤.
٣. نصرته على بني عمون ٥.
٤. سرّ قوته ونجاحه ٦.
٥. مُدَّة حكمه وموته ٧-٩.

١. عمل المستقيم في عيني الرب

كَانَ يُوْثَامُ ابْنُ خَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،
وَأَسْمُ أُمِّهِ يَرُوشَةُ بِنْتُ صَادُوقَ. [١]

في ٢ مل ١٥: ٣٢-٣٨ نجد حديثاً مختصراً عن مُلْكِ يوثام. نحن نعلم أنه شارك والده في الحُكْمِ لمدة حوالي تسع سنوات (٧٥٠-٧٤٢ ق.م)، وملك منفرداً من ٧٤٢ حتى ٧٣٥ ق.م، فالست عشرة سنة تضم المُدَّتَيْنِ معاً.

وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ عُرِّيَا أَبُوهُ،
(إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ هَيْكَلَ الرَّبِّ).

وَكَانَ الشَّعْبُ يُفْسِدُونَ بَعْدُ. [٢]

يشهد الكتاب المقدس عن يوثام أنه تَمَثَّلَ بأبيه في كل عملٍ صالحٍ قام به، وفي نفس الوقت

بحكمةٍ وتديبيرٍ حسنٍ، فلم يسقط فيما سقط فيه أبوه، إذ لم يقتحم القدس، ولا اغتصب لنفسه ما هو خاص بالكهنة. كان حذرًا جدًا من السقوط مثل أبيه.

لعل سنده في ذلك ما قدّمه زكريا من معرفة لأبيه، كما انتفع من ميخا النبي الذي بدأ نبوّته أثناء حكمه (مي ٢: ٧). بلا شك كانت معرفته للأسرار الإلهية أقل مما كان لأبيه، غير أنه حوّل المعرفة إلى عمل بالنعمة الإلهية.

فالمعرفة ضرورية للغاية، لكنها لا تقف عند العقل وحده. فمع كونها عطية الله العظيمة، لكن بدون الله باطلة، وبنعمة الله يتقدس العقل، فيدرك وصايا الله ويمارسها، بلا فصل بين العقل والقلب والحياة، إذ كلها متداخلة مترابطة ببعضها. فالمعرفة الحقيقية ليست نظرية بحتة، بل راسخة في القلب، ومتجسدة في الحياة^١.

غير أن نقطة الضعف في حياة يوثام الملك هي عدم تَمَتُّعِهِ بالروح القيادية الرعوية اللائقة به كملكٍ تقويٍّ، بل وكمؤمنٍ. فإن من يلتصق بالله مُحبٍ البشرية يشتهي خلاص الكل، ويطلب من أجل مجد الكل.

❖ يريد البعض أن يضعوا حدودًا للحب بأفريقيا! إن أردت أن تُحبَّ المسيح، فابسط يدك بالحب على كل العالم، لأن أعضاء المسيح منتشرة في العالم كله^٢.

القديس أغسطينوس

❖ حيث أن الحُبَّ الحقيقي هو أن نحب الكل، فإن عرف أحد أنه يبغض ولو شخصًا واحدًا يلزمه أن يسرع ويتقيأ هذه اللقمة المرّة، حتى يتهيأ لقبول عذوبة الحب نفسه^٣.

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ انظر، فإنه يُقال إننا نحب بعضنا بعضًا. ولكن إن كان أحد له صديقان وآخر له ثلاثة، فإن هذا ليس حبًا من أجل الإله، بل من أجل المحبوبين.

الحُبُّ الذي من أجل الإله لا يحمل هذا كأساسٍ للحب، بل كإنسانٍ يميل نحو كل البشرية، يجب من لهم إيمانه بكونهم إخوة حقيقيين، ويحب الهراطقة والوثنيين واليهود^٤، بكونهم إخوة بالطبيعة متأسفًا

^١ د. جورج عوض إبراهيم: القديس باسيليوس الكبير، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

^٢ Tr., on 1 John 10:8.

^٣ Sermons 23:4.

^٤ تميّز الكنيسة بين محبة الإنسان لعدوه الشخصي وبين أمانته لوطنه.

عليهم عاملاً بتعبٍ وباكياً من أجلهم.

بهذا نكون على مثال الله لا بصنع أعمال عجيبة، بل إن أحببنا كل البشر حتى أعداءنا. إننا ندهش من الله إذ يظهر عجائب، وبالأكثر جدًّا عندما يُظهر حبًّا للإنسان، عندما يظهر طول أناته علينا.

إن كان هذا يستحق الإعجاب في الله، فكم بالأولى يستحق البشر الإعجاب (بحبهم للجميع)¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مع سلوك الملك فيما هو مستقيم في عينيّ الرب، وتحاشيه ما سقط فيه والده، كان ملوماً، إذ لم يهتم بإصلاح أخطاء الشعب، إذ قيل: "وكان الشعب يفسدون بعد". لقد قدّم تعاليم صالحة، بالقدوة لهم، لكنه لم يتحرّك بقوة لإصلاح أخطائهم. ولعله كان عاجزاً عن العمل في أمةٍ كانت غير أمينة؛ هذا ما نلمسه من سفرَي إشعياء وميخا.

عندما سُئل يوحنا المعمدان: "من أنت؟" كنا نظنه يقول: "أنا الذي جاء جبرائيل الواقف أمام عرش الله مبشراً أبي بمولدي"، أو "أنا هو الملاك الذي يُهيئ الطريق قدام المسيا المنتظر". لكنّه ما قال هذا ولا ذلك، بل قال: "أنا صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب...". هذه هي رسالة القائد أن يكون قادراً على التعليم، يُعلن صوت الرب عالياً، ويكشف شريعة الرب لأولاده أو لشعب الله، وأن يُعلّم إخوته كيف يحيون!

فالله الحكمة ذاته ومُعَلِّم المسكونة، يريد من القادة أن يتعلّموا ويُعلّموا حتى لا يهلكوا، ولا يُهلكوا الآخرين.

هذا هو المميز بين الراعي والرعيّة، أن الراعي قادر أن يُعلّم الآخرين طريق الرب. لم تكن له شركة مع المرتفعات، غير أنه لم ينزعها. كان الشعب يفسدون، لذلك كان ميخا يتحدث عن القضاء بخصوص الشعب وقادته دون ذكر للملك الذي لم يشترك معهم في شرورهم. فيما يلي صورة لأحاديث ميخا النبي عن القضاء بخصوص خطايا يهوذا، تكشف عن فساد الشعب والرؤساء والقضاة والأنبياء الكذبة دون ذكر الملك: "أنوح وأولول، أمشي حافياً وعريئاً، أصنع نحيباً كبنات آوى ونوحاً كرجال النعام. لأن جراحاتها عديمة الشفاء، لأنها قد أتت إلى يهوذا، وصلت إلى باب شعبي إلى أورشليم" (مي ١: ٨-٩).

"فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها، والبيوت وبأخذونها، وبظلمون الرجل وبيته، والإنسان

¹ In Hebr. 3: 11.

وميراثه... ولكن بالأمس قام شعبي كعدو تنزعون الرداء عن الثوب من المجتازين بالطمأنينة، ومن الراجعين من القتال. تطردون نساء شعبي من بيت تتعمهن، تأخذون عن أطفالهن زينتني إلى الأبد. قوموا واذهبوا، لأنه ليست هذه هي الراحة. من أجل نجاسة تهلك والهلاك شديد" (مي ٢ : ٢، ٨-١٠).

"وقلت اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل، أليس لكم أن تعرفوا الحق؟ المبغضين الخير، والمحبين الشر، النازعين جلودهم عنه، ولحمهم عن عظامهم. والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم، ويهشمون عظامهم، ويشققون كما في القدر وكاللحم في وسط المقلَى... هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبي، الذين ينهشون بأسنانهم وينادون سلام، والذي لا يجعل في أفواههم شيئاً يفتحون عنليه حرباً. لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا. ظلام لكم بدون عرافة، وتغيب الشمس عن الأنبياء، ويظلم عليهم النهار (مي ٣ : ١-٣، ٥-٦).

"اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال ويا أسس الأرض الدائمة، فإن للرب خصومة مع شعبه، وهو يحاكم إسرائيل (مي ٦ : ٢).

قد باد التقي من الأرض وليس مستقيم بين الناس، جميعهم يكمنون للدماء، يصطادون بعضهم بعضاً بشبكة. اليدان إلى الشر مجتهدتان، الرئيس طالب، والقاضي بالهدية، والكبير متكلم بهوى نفسه فيعكسونها (مي ٧ : ٢-٣).

٢ . إنشاءاته

هُوَ بَنَى الْبَابَ الْأَعْلَى لِبَيْتِ الرَّبِّ،

وَبَنَى كَثِيرًا عَلَى سُورِ الْأَكْمَةِ. [٣]

إن كان أبوه عزياً قد بني أبراجاً لحماية المدينة (٢ أي ٢٦ : ٩)، فإن يوثام ابنه أكمل التحصينات التي أهملها أبوه، فقام بتحسين بيت الرب.

أشار في ٢ ملوك إلى بنائه الباب الأعلى لبيت الرب، وقام بتزيينه، وهنا قَدَّمَ شيئاً من التفصيل عن مشروعاته في البناء، وبنى الكثير على سور الأكمة.

وَبَنَى مُدُنًا فِي جَبَلِ يَهُودَا،

وَبَنَى فِي الْعَابَاتِ قَلْعًا وَأَبْرَاجًا. [٤]

اهتم بالإنشاءات، فبنى مدناً على جبل يهوذا. اهتم بتحسين بلاده وتجديدها.

لم تكن له شركة مع المرتفعات، غير أنه لم ينزعها. كان الشعب يفسدون [٢]، لذلك كان ميخا

يتحدّث عن القضاء بخصوص الشعب وقادته، دون ذكر للملك الذي لم يشترك معهم في شرورهم.

٣. نصرته على بني عمون

وَهُوَ حَارِبَ مَلِكِ بَنِي عَمُونَ وَقَوِيَ عَلَيْهِمْ،
فَأَعْطَاهُ بَنُو عَمُونَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ،
مِئَةَ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَعَشْرَةَ آلَافٍ كُرِّ قَمْحٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ مِنَ الشَّعِيرِ.
هَذَا مَا أَدَاهُ لَهُ بَنُو عَمُونَ، وَكَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ. [٥]

٤. سرُّ قوته ونجاحه

وَتَشَدَّدَ يُوْتَامُ،

لَأَنَّهُ هَيَأُ طَرْقَهُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ. [٦]

يُمتدح يوثام على الأقل من أجل عدم اقتدائه بأبيه الذي اغتصب حقوق خاصة بالهيكل [٢]. كما قيل عنه إنه تشدّد، لأنه هياً طرقه أمام الرب إلهه [٦]، الأمر الذي يندر أن يُقال عن الملوك المذكورين في الكتاب المقدس.

برزت تقوى يوثام في حمايته لبيت الرب، فإن كان عُرِّيَا فد بَنَى أبراجاً لحماية المدينة (٢٦: ٩)، فإن يوثام بنى أبراجاً لحماية الهيكل.

أكمل يوثام أعمال التحصينات التي أهملها أبوه [٤]. وكانت تقواه هي مصدر قوته.

لم يذكر أخبار الأيام ما ورد في ٢ مل ١٥: ٢٦، عن إرسال الله رصين ملك أرام وفقح بن رمليا على يهوذا، لأن إرسال هؤلاء الأعداء ليس من أجل الملك النقي، بل من أجل الشعب.

٥. مدة حكمه وموته

وَبَقِيَهُ أُمُورِ يُوْتَامَ وَكُلُّ حُرُوبِهِ وَطَرْقِهِ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ مَلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا. [٧]
كَانَ ابْنُ خَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. [٨]
ثُمَّ اضْطَجَعَ يُوْتَامُ مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَمَلَكَ أَحَازُ ابْنُهُ عَوِضًا عَنْهُ. [٩]

انتهى حُكْمَه في وقتٍ قصيرٍ، لكنه أنهاه بكرامةٍ. مع أنه مات في منتصف عمره، حسب تعبير العامة، غير أنه عاش سعيدًا ومات مُكْرَمًا.

من وحي ٢ أي ٢٧

لتحمل الكل على ذراعيك يا مُخَلِّص العالم!

❖ لك المجد يا من أنقذت يوثام من خطأ أبيه عزيا.

وهبته نعمتك، من أجل التصاقه بك،

فسلك بروح الاستقامة أمام عينيك.

لم ينحرف كأبيه ليغتصب كرامة ليست له!

❖ هب لي روح الاستقامة، فإني ضعيف وعاجز!

وسع تخوم قلبي، فأشتهي خلاص العالم كله!

من يقدر أن يحمل البشرية، ويصعد بها سواك؟!

في ضعفي أصرخ إليك، لأن نفسي مرة من أجل التائبين عن الطريق.

اقبل كل صلاةٍ وصومٍ وسجودٍ أمامك من أجل إخوتي.

❖ إني آخر الكل، وأضعف الجميع.

لكن نفسي تنن من أجل إخوتي في البشرية.

أنت وحدك تعمل بروحك القدوس فيهم وفيّ.

إني محتاج إلى خلاصك ونعمتك.

هب لإخوتي كما لضعفي النصره بك، فأتهلل بأكاليلهم!

❖ لأبسط يدي معك على الصليب،

فأحتضن كل نفسٍ ساقطة وأقدمها إليك!

مع كل نفس تقوم بنعمتك، تقوم أيضًا نفسي معها.

اجذبني وراعك فنجري كلنا إليك.

كم تشتهي نفسي ألا يهلك أحد من البشر؟!

❖ متى تأتي يا مخلصي على السحاب،

وتتضم كنيسةك التي من آدم إلى آخر الدهور؟

أخبار الأيام الثاني - الأصحاح السابع والعشرون

يفرح بها خُدَّامك السمائيون،
ويشترك الأرضيون معهم في التسبيح لك.

الأصحاح الثامن والعشرون

الملك آحاز الشرير

لم يصنع شيئاً صالحاً!

بعد الفترة القصيرة التي عاشها الملك النقي يوثام، ملك آحاز الذي يُقدِّمه لنا الكتاب المقدس كعينة رديئة للغاية في ارتداده عن الإيمان. تولى آحاز الملُك بعد موت أبيه، لكنه لم يسلك باستقامة قلب مثل أبيه، بل سار في طريق ملوك إسرائيل الذين لم يوجد بينهم ملك واحد صالح. أغلق آحاز بيت الرب، وأجاز بنيهِ في النار، فدفعه الرب ليد أرام وأيضاً ليد ملك إسرائيل حيث سُبي عددٌ كبيرٌ من شعبه.

١. شرُّ آحاز العظيم ٤-١.
٢. انهياره أمام ملك أرام .٥
٣. انهياره أمام ملك إسرائيل ٨-٦.
٤. عوبيد يويخ جيش إسرائيل ١٥-٩.
٥. التجاوؤه إلى أشور باطلاً ٢١-١٦.
٦. التجاوؤه إلى آلهة دمشق ٢٣-٢٢.
٧. التجاوؤه إلى آلهة أخرى ٢٥-٢٣.
٨. موت مُخزي ٢٧-٢٦.

١. شرُّ آحاز العظيم

كَانَ آحَازُ ابْنَ عَشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،

وَلَمْ يَفْعَلِ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ كَدَاوُدَ أَبِيهِ [١]

استلم آحاز كرسي يهوذا، وكانت المملكة غنية وقوية والعبادة مُستقرة بفضل استقامة حياة أبيه، بينما كانت مملكة إسرائيل في حالة انهيار ودمار، وصارت على وشك السقوط تحت السبي الأشوري. في غباوة اقتدى بإسرائيل المنهار في مقاومته للرب، ورفض أن يُكَمِّلَ مسيرة أبيه المقدسة، فانحدرت في أيامه يهوذا. وقد آحاز الكثير، إذ عاش في سلسلة من المتاعب مع الهزيمة والعار.

ومع هذا كلما فشل ازداد في الشر، حاسبًا في الوثنية نصرته وخلصًا.

بموت أبيه واستلامه للمملكة، ظنَّ في طريق الفساد نوعًا من الحرية واللذة.

قاوم آحاز عبادة الله الحيّ، فأخطأ في حق الله، كما أخطأ في حق نفسه، وأساء إلى شعبه. اقتدى بإسرائيل المُتمرّد، وظنَّ في التحالف مع آشور، والاحتماء تحت جناحيه أمانًا وسلامًا، لكن آشور أهانه ولم يسنده.

لجأ إلى آلهة دمشق (أرام)، حاسبًا أنها تقدر أن تُخلّصه فانهار. لجأ إلى الآلهة الأخرى وصنع شرورًا ورجاسات وأحرق بنيه بالنار للأصنام!

في دراستنا للأصحاح السابق لاحظنا أن يوثام الملك، وإن كان قد سلك باستقامة قلب كل أيام مملكته، غير أنه كانت تتقصه موهبة كسب النفوس لله. لم نسمع عنه أنه وبَّخ القادة والشعب على فسادهم الرهيب الذي كشفه ميخا النبي بمرارة نفسه، ولا رفع صلوات عنهم، إنما مع أعماله الصالحة وإيمانه أهمل في حق الشعب إذ لم يحثهم على الرجوع إلى الله، والامتناع عن العبادات الوثنية ورجاساتها.

لعل هذا الموقف انعكس على حياة ابنه آحاز الذي انغمس في الشر بصورة رهيبة، فإذ لم يهتم بالشعب لم يعمل الله في قلب أولاده. يصعب علينا أن نتجاهل مسئولية يوثام نحو تربيته لابنه آحاز. يليق بنا أن نقف قليلاً عند نظرة القديس يوحنا الذهبي الفم عن مسئولية الوالدين في تربية أبنائهم^١، حتى ندرك جميعنا مسئوليتنا على مساعدة الأجيال القادمة للتمتع بالخلاص.

بَلْ سَارَ فِي طُرُقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ،

وَعَمِلَ أَيْضًا تَمَاثِيلَ مَسْبُوكَةً لِلْبُعْلِيمِ. [٢]

وَهُوَ أَوْقَدَ فِي وَادِيِ ابْنِ هِنُومَ، وَأَحْرَقَ بَنِيهِ بِالنَّارِ،

حَسَبَ رَجَاسَاتِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٣]

في (٢ مل ١٦: ٣) وفي يوسيفوس المؤرخ^٢ ورد عنه أنه قدّم ابنه مُحرقًا في وادي ابن هنوم، وهنا يذكر تقديمه أبنائه بالجمع [٣].

وَدَبَّحَ وَأَوْقَدَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ وَعَلَى التَّلَالِ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. [٤]

^١ انظر ملحق الأصحاح ٢٨، ص ٣٦٤.

^٢ Josephus: Antiq.9:8:3.

٢ . انهياره أمام ملك آرام

فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ لِيَدِ مَلِكِ أَرَامِ،
فَضْرَبُوهُ، وَسَبَّوْا مِنْهُ سَبِيًّا عَظِيمًا،
وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ .
وَدَفَعَ أَيْضًا لِيَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. [٥]

إذ أعطى القفا لله الحيّ، ولجأ إلى الآلهة المُرَيَّفَة لتحميّه، سقط تحت أيدي أعدائه. أدبّه الله تارة بواسطة ملك آرام الذي أهانه وقهره وضربه في ساحة الحرب، وسبى الكثيرين من بني يهوذا، وأتى بالملك إلى دمشق، وتارة على يد ملك إسرائيل الذي ضربه ضربة عظيمة.

ما حدث مع آحاز وقادته وشعبه، إنما هو قصة متكررة منذ سقوط أبونا الأولين إلى يومنا هذا، وتبقى إلى نهاية الدهور. فإن الشرّ مع ما يحمله من لُدّة، يشبه العسل المملوء سمًا، يدفع الإنسان كما الأمة أو الدولة إلى الدمار. يحمل الشرّ الفشل والمُدَلَّة والدمار والفساد في داخله. وليس من طريق اللبرّ والنجاح والنصرة بدون نعمة الله التي تُقيِّمنا كما من الموت.

يُقدِّم لنا كثير من الآباء أمثلة عملية عبر التاريخ عن خطورة الشر وترك الرب، نذكر هنا ما كتبه العلامة أوريجينوس كمثال يلزمنا أن نحذر منه. ففي تعليقه على الآية "وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان" (قض ٦ : ١) قال:

❖ طالما كانت الخطية في سكون، تكون الأرض في سلام (قارن قض ٥ : ٣١). لكن مكتوب أن الأرض نهضت، أي نهض سكانها عندما بدأت الخطية تقوم، وتعكرت بعمق نفوس البشر. من أجل هذا كُتِبَ: "واستراحت الأرض أربعين سنة" (قض ٥ : ٣١).

"وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين. فاعتزّت يد مديان على إسرائيل" (قض ٦ : ١-٢).

طالما وُجِدَ البرُّ في الأرض، أي في الساكنين على الأرض، يُقال: "كانت الأرض في سلام" (قارن حز ٤ : ٣-١). لكن عندما يزداد الظلم، ويعملون الشر في عيني الرب، يُقال: "دفعهم الرب ليد مديان سبع سنين".

لم يُذكر أن أيدي المديانيين اعتزّت على شعب الرب عندما كان الشعب يحفظ وصايا الرب. لكن عندما بدأوا في إهمال الوصايا الإلهية، قويت أيدي الأعداء، وصارت أكثر فاعلية ضدهم.

حقاً، تشتد قوة الأعداء الجسديين ضد الشعب عند ارتكاب الشعب الخطية. كذلك ضدنا نحن أيضاً المدعويين إسرائيل بالمعنى الروحي، فبدون شك يقوى الأعداء الروحيين، عندما نهمل وصايا الله. عندما نقاوم وصايا المسيح، تقوى أيدي الشياطين ضدنا، وتُدفع ليد أعدائنا عندما نفصل أنفسنا عن النعمة^١.

❖ لكن دعونا نرى ما حدث لهؤلاء الذين دُفعوا بسبب خطاياهم. مكتوب: "بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغائر والحصون. وإذا زرع إسرائيل، كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق عليهم، وينزلون عليهم ويثْلِفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة" (قض ٦ : ٢-٤). في الحقيقة تألم "إسرائيل حسب الجسد" (راجع ٢ كو ١٠ : ١٨) بمثل هذه الأمور. لقد زرع الأرض، وبسبب خطاياهم سُلِّم لأيدي الأعداء الذين كانوا ينمون في القوة. ومن ثمار الأرض، "حصد فساداً" (غل ٦ : ٨).

أما بالنسبة لنا نحن الذين دُعينا إسرائيل حسب الروح، دعونا نتأمل فيما يمكن أن يحدث. قد نزرع، ولا يمكن للأعداء تدمير البذور التي نغرسها، أو تدبير المكيدة لغرس الأرض وفي ظرف آخر قد يُدَمَّر ما نزرعه.

يُعَلِّمنا بولس الرسول عن هذا الاختلاف في الزرع. اسمعوا ما يقوله: "من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦ : ٨). لهذا فالذين يزرعون للجسد يأتي المديانيون ويُدَمَّرُون ما يزرعون، هؤلاء الذين تُدَمَّرُ ثمارهم وتبيد. أما البذور التي تُزَرَع للروح، فلا يستطيع المديانيون تدميرها. لأن قوات العدو لا تقدر أن تقوم على الحقول الروحية، ولا أن تنتهك قدسية حقول الروح المُفْلَحة التي لهؤلاء الذين "لا يزرعون على الأشواك، بل يحرثون لأنفسهم حرثاً" (راجع إر ٤ : ٣؛ هو ١٠ : ١٢؛ مت ١٣ : ٢٢)^٢.

العلامة أوريجينوس

٣. انهياره أمام ملك إسرائيل

وَقَتْلَ فَقْحُ بَنُ زَمَلِيَا فِي يَهُودَا مِئَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ

- الْجَمِيعُ بَنُو بَأْسٍ -

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة السابعة، ١. ترجمة الشماس ببشوي بشرى فايز.

^٢ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة السابعة، ٢. ترجمة الشماس ببشوي بشرى فايز.

لَأْتَهُمْ تَرْكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ. [٦]

اقتدى آحاز بإسرائيل المُتَمَرِّد، فسمح له الرب أن يُسَلِّمَ لملك إسرائيل المُتَعَبِّد للأوثان، فضربه ضربة عظيمة، وعانى شعبه الكثير من هذا التأديب. سالت دماء مئة وعشرين ألفاً في يومٍ واحدٍ، ونُهِبَت بلاد يهوذا، وتشتت الشعب.

هذا الشعب الذي لم يتجاوب بقلبه وسلوكه مع الملك الصالح يوثام، انهار في أيام آحاز بن يوثام. في يومٍ واحدٍ قتل فقح ١٢٠٠٠٠ من رجال يهوذا، رجال ذوي بأس، ليس لعدم أمانة الملك فحسب، وإنما لأنهم تركوا الرب إله آبائهم. كما قام إسرائيل بسبي ٢٠٠٠٠٠ شخص، ونهبوا غنائم كثيرة. بدأ انهيار مملكة يهوذا تمامًا، وبالرغم من ذلك فإن الله لم يسمح لابن طيبئيل أن يَحِلَّ محل ذرية داود الحقيقية، إنما أراد أن يحقق وعده لداود.

**وَقَتَلَ زَكْرِي جَبَّارُ أَفْرَائِمَ مَعْصِيَا ابْنِ الْمَلِكِ، وَعَزْرِيْقَامَ رَئِيسَ الْبَيْتِ،
وَأَلْقَانَةَ ثَانِي الْمَلِكِ. [٧]**

معسيا ابن الملك: غالباً يُقصد بالملك هنا يوثام.

**وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِئَتِي أَلْفٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ،
وَنَهَبُوا أَيْضًا مِنْهُمُ غَنِيمَةً وَأَفْرَةً،
وَأَتُوا بِالْغَنِيمَةِ إِلَى السَّامِرَةِ. [٨]**

سلك آحاز في طريق إسرائيل، فإذا بإسرائيل يقتل من يهوذا مئة وعشرين ألفاً من رجال البأس في يومٍ واحدٍ، الأمر الذي لم يحدث مثله في كل تاريخ يهوذا، وكان من بينهم قادة وابن الملك، وقام إسرائيل بسبي مائتي ألف من النساء والبنين والبنات، مع أن مملكة إسرائيل في ذلك الوقت لم تكن قوية. هذا كله لأنهم "تركوا الرب إله آبائهم" [٦].

٤. عوديد يُوبِّخ جيش إسرائيل

وَكَانَ هُنَاكَ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ اسْمُهُ عُوْدِيدُ،

فَخَرَجَ لِلِقَاءِ الْجَيْشِ الْآتِيِ إِلَى السَّامِرَةِ وَقَالَ لَهُمْ:

هُوَذَا مِنْ أَجْلِ غَضَبِ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِكُمْ عَلَى يَهُودَا قَدْ دَفَعْتُهُمْ لِيَدِكُمْ،

وَقَدْ قَتَلْتُمُوهُمْ بِغَضَبِ بَلْعِ السَّمَاءِ. [٩]

بغضبٍ بلغ إلى السماء: إشارة إلى عظمة الغضب وعظمة خطيتهم، فالله لا يطبق سفك الدم

وسبي النساء والأولاد والبنات.

مع ما في تقديم أبنائه ذبائح من قسوة وندس وبُغْضَةِ اللَّهِ الحَيِّ الذي يمنع الذبائح البشرية، عَرَضَ تسلسل ملوك يهوذا من بيت داود للخطر. وفي هذه المناسبة ذهب إليه إشعياء النبي لمقابلته وتأكيد سقوط أرام وأفرام، وبعدها قَدَّمَ له السيد الرب أن يعطيه علامة خاصة بميلاد المُخْلِصِ الإله المتجسد من العذراء، ويُدعى اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٠-١٧).

والحدث الثاني هو المعاملة الطيبة للأسرى من يهوذا بواسطة مملكة الشمال حيث ظهر على المسرح النبي عوديد فجأة لاستقبال جيش إسرائيل المنتصر والقادم يسوق يهوذا في مذلة للسي، ويحمل الغنائم بعد سفك دماء هذا قدرها.

استقبل الجيش لا ليُهَنِّئَهُ على نصرته، بل ليكشف خطأهم، ويحذّرهم من العقوبة التي ستحل بهم. فإن كان الله قد غضب على يهوذا بسبب تركهم له، إنما اقتدوا بإسرائيل الشرير. سألهم ألا ينشغلوا بالنصرة، بل يتطلّعوا إلى شرهم: "أما عندكم أنتم آثام للرب إلهكم... لأن حمو غضب الرب عليكم" [١٠-١١].

ما حدث ليس لأجل برِّ إسرائيل وعدالة قلبه، وإنما لأجل إثم يهوذا، كما سبق فقال الرب على لسان موسى النبي وهم في الطريق للعبور ليُمَلِّكُوا شعوباً أكبر (تث ٩: ١-٥). لهذا يُحذّرنا الرسول بولس، قائلاً: "لا تستكبر، بل خف، لعل الله لا يشفق عليك أيضاً" (رو ١١: ٢٠-٢١).

ويخ عوديد النبي من ظنّوا أنهم منتصرون على الآتي:

١. وحشية قتل إخوتهم في ساحة الحرب، من منطلق الكراهية لإخوتهم، وبطريقة بربرية. "غضب الإنسان لا يصنع برّ الله" (يع ١: ٢٠).

٢. معاملتهم للمسيبيين بعجرفة [١٠]، "أنتم عازمون على إخضاع بني يهوذا وأورشليم عبيداً وإماء لكم". ربما كان في نيّتهم أن يقوموا ببيعهم عبيداً للأمم الأخرى.

٣. ذكّرهم بخطاياهم التي جلبت غضب الرب عليهم. "أما عندكم أنتم آثام للرب إلهكم؟" [١٠]. حثّهم على التوبة على خطاياهم، عوض السماتة في إخوتهم والكراهية. حدّثهم، لأن ما حلّ بيهوذا لسبب خطاياهم سيحلّ بهم هم أيضاً يوماً ما.

وَالآنَ أَنْتُمْ عَازِمُونَ عَلَى إِخْضَاعِ بَنِي يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ عِبِيدًا وَإِمَاءَ لَكُمْ.

أَمَا عِنْدَكُمْ أَنْتُمْ آثَامٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ؟ [١٠]

أكد عوديد النبي لشعبه أن انتصارهم على يهوذا، إنما لتأديب يهوذا، وأن مركز الحكم الإلهي في

يهودًا بكونه السبط المختار من الرب. وطالبهم أن ينظروا هم إلى آثامهم للرب [١٠]، وأن يرجعوا إليه. فالسيف الذي وجهه الرب ضد يهوذا يُوجّه إليهم هم أيضًا.

وَالآن اسْمَعُوا لِي، وَرُدُّوا السَّبِيَّ الَّذِي سَبَيْتُمُوهُ مِنْ إِخْوَتِكُمْ،

لَأَنَّ حُمُومَ غَضَبِ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ. [١١]

ثُمَّ قَامَ رِجَالٌ مِنْ رُؤُوسِ بَنِي أَفْرَايِمَ:

عَزْرِيَا بْنُ يَهُوَحَانَانَ وَيَرَحْيَا بْنُ مَشْلِيمُوتَ وَيَحْرَقِيَا بْنُ شَلُومَ،

وَعَمَاسَا بْنُ حِذْلَايَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ مِنَ الْجَيْشِ [١٢]

جاء تحذير النبي بثمرٍ صالح، فقد قبل أربعة من رؤوس أفرايم كلمات النبي عوديد بإيمانٍ، ووضعوا على عاتقهم ألا يزيد إسرائيل آثامه بسبيهم إخوانهم، وأتمر إيمانهم بالتوبة في قلوب الكثيرين، وأثمرت التوبة حبًا عمليًا للإخوة المسيبين. بإيمان هؤلاء الأربعة أنقذوا مملكة إسرائيل من الدمار الكامل بسبب غضب الرب عليهم. قاموا باستقبال الجيش، لا ليكافئوهم على نصرتهم، إنما ليمنعوهم من الدخول بالمسيبين إلى السامرة، حتى لا يضيفوا إلى إسرائيل خطايا فوق خطاياهم.

لقد نظر الله إلى مذلة الشعب المسكين، وسمع صراخهم، وأعطاهم نعمة قدام الذين سبواهم (مز ١٠٦: ٤٤، ٤٦).

وَقَالُوا لَهُمْ: لَا تَدْخُلُونَ بِالسَّبِيِّ إِلَى هُنَا،

لَأَنَّ عَلَيْنَا إِثْمًا لِلرَّبِّ،

وَأَنْتُمْ عَازِمُونَ أَنْ تَرِيدُوا عَلَيَّ خَطَايَانَا، وَعَلَيَّ إِثْمَنَا،

لَأَنَّ لَنَا إِثْمًا كَثِيرًا، وَعَلَى إِسْرَائِيلَ حُمُومُ غَضَبِ. [١٣]

إذ تكلم الرؤوس سمعوا لهم، وكان رد السبي بهذا الأسلوب من قبل الله.

فَتَرَكَ الْمُتَجَرِّدُونَ السَّبِيَّ وَالنَّهْبَ أَمَامَ الرُّؤَسَاءِ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ. [١٤]

في طاعة للرؤساء قام رجال الجيش بترك المسيبين والغنائم التي جاءوا بها، بهذا أظهر رجال الجيش بطولة حقيقية بطاعتهم للسلطة، وتراجعهم عمًا كان في قلوبهم رغم ما يبدو من خسائر شخصية لكل واحدٍ منهم.

وَقَامَ الرَّجَالُ الْمُعَيَّنَةُ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَخَذُوا الْمَسْبِيِّينَ،

وَأَلْبَسُوا كُلَّ عُرَاتِهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَكَسَوْهُمْ وَحَدَّوهُمْ،

وَأَطَعُوهُمْ وَأَسْقَوْهُمْ وَدَهَنُوهُمْ،
وَحَمَلُوا عَلَى حَمِيرٍ جَمِيعَ الْمُعِينِ مِنْهُمْ،
وَأَتُوا بِهِمْ إِلَى أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ إِلَى إِخْوَتِهِمْ.
ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى السَّامِرَةِ. [١٥]

نظر الله إلى مذلة المسيبيين وصرخات قلوبهم، فأعطاهم نعمة ليتكلم عوديد النبي، كمن بسطانٍ. عُرِفَت مملكة إسرائيل في ذلك الوقت بمقاومتها لله نفسه ولأنبيائه، وكثيرًا ما اضطهدوا الأنبياء وقتلوهم. لكن هنا أطاع الرؤساء عوديد النبي، وسمع الجيش كله للرؤساء. ما قاموا به من اعتناء بالجرحي والمسيبيين يُماثل ما قاله السيد المسيح في مثل السامري الصالح (لو ١٠).

٥. التجاؤه إلى أشور باطلاً

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ آحَازُ إِلَى مَلُوكِ أَشُورَ لِيُسَاعِدُوهُ. [١٦]

في ذلك الوقت تقريبًا، قبل غزو رصين وفقح ليهودا، طلب آحاز معونة أشور، ولم يسأل من الرب آية (إش ٧: ١٠-١٢). وثق في البشر، ولم يثق في الله. قَدَّمَ لِأَشُورِ كُلَّ كَنُوزِ الْمَلِكِ وَرِجَالِهِ وَمِنْ بَيْتِ الرَّبِّ أَيْضًا؛ افقر ليكسب حماية تلغث فلاسر، لكن جاء الأشوري وضايقه ولم يُشَدِّده، ولم يساعده [٢٠-٢١].

انكَّاله على ذراع بشر دفعه إلى الاتكال على الآلهة الكاذبة [٢٣]. ترك مذبح الله البسيط الكفاري، ولجأ إلى مذبح آلهة دمشق المزخرف. لقد ترك الإله الحي وارتدَّ عنه.

ما يدعو للعجب أن بعض رؤساء إسرائيل سمعوا لصوت الله خلال نبيِّه عوديد، والجيش سمع لصوت الرؤساء، أما آحاز الشرير فلم يتَّعَظْ مما حلَّ عليه وعلى جيشه وشعبه من تأديب. عوض الرجوع إلى الله، التجأ إلى ملوك أشور لمساعدته.

لقد اقتدى آحاز بالكلدانيين الذين التجأوا إلى بناء مدينة لتخليد اسمهم، وبناء برج يصعدون فيه متى حلَّ طوفان مرة أخرى لتأديبهم.

فَإِنَّ الْأَدُومِيِّينَ أَتَوْا أَيْضًا، وَضَرَبُوا يَهُودًا وَسَبُّوا سَبِيًّا. [١٧]

وَأَقْتَحَمَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ مَدُنَ السَّوَاخِلِ وَجَنُوبِيَّ يَهُودَا،

وَأَخَذُوا بَيْتَ شَمْسٍ وَأَيْلُونَ وَجَدِيرُوتَ وَسُوكُوَ وَقَرَّاهَا وَتِمْنَةَ،

وَقَرَّاهَا وَحَمْزُوَ وَقَرَّاهَا وَسَكَنُوا هُنَاكَ. [١٨]

لَأَنَّ الرَّبَّ دَلَّلَ يَهُودًا بِسَبَبِ آحَازَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ

لَأَنَّهُ أَجْمَحَ يَهُودًا، وَخَانَ الرَّبَّ خِيَانَةً. [١٩]

ورد في عا ١ : ٦ ، ٩ المعاملة الرديئة التي قَدَّمها الفلسطينيون والفينيقيون الذين كانوا يبيعون اليهود المسبيّون (من مملكة الشمال) عبيدًا لبني أدوم.

فَجَاءَ عَلَيْهِ تَغْلَتْ فَلَأَسَرَ مَلِكُ أَشُورَ وَضَايِقَهُ وَلَمْ يُشَدِّدْهُ. [٢٠]

جاء في السجلات الأشورية خضوع آحاز كملكٍ هزمه تغلت فلاسر.

لَأَنَّ آحَازَ أَخَذَ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ وَمِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ وَمِنْ الرُّؤَسَاءِ،

وَأَعْطَاهُ لِمَلِكِ أَشُورَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسَاعِدْهُ. [٢١]

وضع آحاز ثقته في أشور لا في الله، وأرسل هدية عظيمة من ذخائر بيت الرب وبيت الملك ومن الرؤساء إلى ملك أشور، فقبلها أشور، ولم يُقدِّم له أية مساعدة. لذلك قيل: "هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يَنكُلُ على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه" (إر ١٧ : ٥).

❖ يليق بنا أن نعتد على الله وحده، وليس على أحدٍ غيره، حتى إن قيل إنه جاء من فردوس الله، كما يقول بولس: "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما" (غل ١ : ٨)^١.

العلامة أوريجينوس

٦ . التجاؤه إلى آلهة دمشق

وَفِي ضَيْقِهِ زَادَ خِيَانَةً لِلرَّبِّ (الْمَلِكُ آحَازُ هَذَا) [٢٢]

غاية الضيقة التوبة والرجوع إلى الله، لكن آحاز في قسوة قلبه ازداد في خيانتته لله، فقد فعل مثل أمصيا الذي سجد لآلهة الأمة المهزومة.

٧ . التجاؤه إلى آلهة أخرى

وَدَبِحَ لِآلِهَةِ دِمَشْقَ الَّذِينَ ضَارِبُوهُ وَقَالَ:

لَأَنَّ آلهَةَ مُلُوكِ أَرَامَ تُسَاعِدُهُمْ أَنَا أَدْبِحُ لَهُمْ فَيُسَاعِدُونِي.

وَأَمَّا هُمْ فَكَانُوا سَبَبَ سَفْوَطٍ لَهُ وَلِكُلِّ إِسْرَائِيلَ. [٢٣]

عبد آحاز آلهة دمشق (أرام)، لأنهم وهبوا الأراميين النصره عليه [٢٢-٢٣]، فأراد أن ينال هو

¹ In Gen. hom. 2:3.

أيضًا النصره بواسطتهم، ونسي أن هذه الآلهة عاجزة عن إنقاذ أرام من يد الأشوريين. (راجع إيش ٧: ١٣).

وَجَمَعَ أَحَازُ آتِيَةَ بَيْتِ اللَّهِ وَقَطَعَهَا،

وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ بَيْتِ الرَّبِّ،

وَعَمِلَ لِنَفْسِهِ مَذَابِحَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ فِي أُورُشَلِيمَ. [٢٤]

في جنون أحاز بالعبادة الوثنية، قطع آتية بيت الله، وأغلق أبواب بيت الرب، أي أبواب القدس وقدس الأقداس، فتوقفت الخدمة تمامًا. وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية في أورشليم. لقد منع الشعب من دخول بيت الرب، ودفعهم للعبادة الوثنية.

وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ مِنْ يَهُودَا،

عَمِلَ مُرْتَفَعَاتٍ لِلإِيقَادِ لِآلِهَةٍ أُخْرَى،

وَأَسْحَطَ الرَّبِّ إِلَهَ آبَائِهِ. [٢٥]

ما فعله كان عن عمدٍ كمن يتحدّى الرب نفسه على مستوى كل المدن، وأغضب الرب إله آبائه.

٨. موت مخزي

وَبَقِيَهُ أُمُورِهِ وَكُلُّ طَرَفِهِ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ،

مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ مُلُوكِ يَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ. [٢٦]

ثُمَّ اضْطَجَعَ أَحَازُ مَعَ آبَائِهِ،

فَدَفَنُوهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي أُورُشَلِيمَ،

لَأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِهِ إِلَى قُبُورِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ.

وَمَلَكَ حَزَقِيَّا ابْنَهُ عَوَضًا عَنْهُ. [٢٧]

من وحي ٢ أي ٢٨

لتطرد كل خطية من قلبي، فأستريح بك!

❖ جلس أحاز على العرش،

وجاءت القيادات تخضع له.

حسب أنه ليس لأحد حتى الله أن يحرمه من المملكات.

أعطى ظهره لعبادة الله،

وحسب الوصية الإلهية قيِّداً لا يُحتَمَل .
ظن في ملوك إسرائيل والملوك الوثنيين أنهم سعداء .
فتح قلبه للخطية، كي تنشأ وتترعرع فيه .
جذبت عليه فشلاً وخسائر ومرارة .
عوض الرجوع إلى مصدر الفرح،
أصرَّ أن يندفع بالأكثر من خطيةٍ إلى خطيةٍ .
وانطلق من عبادة صنمٍ إلى صنمٍ آخر .

❖ دفع الخطية أن تتربّع على عرش قلبه .
ففقد القلب سلامه الداخلي،
وانهار أمام أرام وإسرائيل .
عوض الرجوع إلى الله لينقذه،
ذبح لآلهة دمشق كي تسنده .
وظن أن ملك أشور قادر أن يُخلِّصه،
فسلب خزائن بيت الرب وبيت الملك وبيوت الرؤساء،
وأعطاهما له .

فقد كل شيءٍ في حياته، فصار بانئساً .
وفي موته لم يُدفن في قبور الملوك !

❖ انزع عني كل خطيةٍ وعصيانٍ،
فيستريح قلبي بك وفيك .
تترعّب يا أيها القدس على عرشك في قلبي،
وثقِّم ملكوتك في داخلي .

ملحق أخبار الأيام الثاني ٢٨

لقطات سريعة من مقال^١

تنشئة الأطفال والمجد الباطل

للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

أهمية تربية الأطفال

يرى القدّيس يوحنا الذهبي الفم أن ذبيحة الشكر التي يُقدّمها الآباء لله عن أطفالهم هي أن يقوموا بتربيتهم بما يُسر الله. فلا يضع الآباء في أذهانهم أنهم يقومون بهذا العمل، لكي يسروا الأطفال أو يبتهج والداهم أو بلدهم، بل يسروا أولاً الله نفسه (فصل ٩٠). خلال هذه المَسْرَة يتمتع الكل بالسُرور. ميلاد الطفل هو بركة من عند الله، هبة يُقدّمها للوالدين، فيليق بهما أن يُكرّساه لله الذي يُحبّانه ويعرفانه بكونه خالقهما وأباهما. بدون هذا لا يظهران حبهما لله. يقول القدّيس يوحنا الذهبي الفم إن كل طفل يصير بالمعمودية والميرون والإفخارستيا ابناً لله بالمسيح بواسطة الروح القدس الساكن فيه. فمسئولية الوالدين هي أن يبقى الطفل ابناً لله، وأن يتبع وصايا المسيح وتعاليمه، وأن يجاهد في فضائل الحياة المسيحية. وقد قدّم الذهبي الفم نصائح للوالدين تساعد على نمو الطفل مع إزالة العقبات التي تواجه الطفل في نموه، مُقدّماً الجوانب الإيجابية والسلبية. قد يناسب هذا المقال مدينة أنطاكية في القرن الرابع، لكنه بالحق إذ يحمل فكراً إنجيلياً، يناسب أيضاً العصر الحالي إلى حدٍ كبير.

تربية الأطفال عمل مقدس!

ينتطلع الذهبي الفم إلى دور الآباء في تربية أطفالهم أنه عمل مقدس، يمارسه الآباء ليُقدّموا لله ذبائح شكر موضع سروره وبهجته. يؤكد أنه لا يطلب أن يمارس كل طفل الحياة الرهبانية أو أن يُعد لها، إنما يُعلّم الآباء أبناءهم أن "يكونوا وقورين (في الرب) من شبابهم المُبكر" (فصل ١٩). إذ يدعوهم عملاً مقدساً، يجعل من الوالدين أن يقتربوا إلى أطفالهما، لا منذ ولادتهم بل وهم في البطن كما إلى مقدسات إلهية، بروح التقوى، مسنودين بروح الله القدوس، ليُقدّموا لله ما يليق به. إنهم عطية الله، وكلاء عن هذه العطية الفائقة.

^١ سبق نشره بتصرف في كتاب الحب الأخوي، ج ٣، الحب العائلي، فصل ٧.

❖ أن يكون (للشخص) أطفال هذا يمس الطبيعة، أما تربيتهم وتعليمهم في الفضائل فهو أمر يخص الفكر والإرادة.

❖ لا أعني بالالتزام بالتنشئة ألا يُترك الأطفال يموتون جوعاً فحسب، كما يقف كثيرون عند هذا الحد بخصوص أطفالهم، فإن هذا تُعَلِّنه الطبيعة نفسها كما بصوت عالٍ، ولا يحتاج إلى كتبٍ أو سننٍ لتعليمه. إنما ما أتكلّم عنه هو الاهتمام بقلوب الأطفال والتقوى. هذا واجب مقدس، من ينتهكه يرتكب بصورة ما جريمة قتل للأطفال.

❖ هذا الالتزام يخص الآباء كما الأمهات أيضاً. يوجد آباء يضحون بكل شيءٍ، لكي يؤمنون لأطفالهم معلمين للتمتع بالملذّات، ويجعلون منهم ورثة أغنياء. أما أن يصير الأولاد مسيحيين ويمارسون التقوى، فلا يباليون كثيراً بهذا. يا للعلى الذي يُحسب جريمة!

إنه إهمال سخيف، مسئول عن الارتباك الذي يجعل المجتمع في مرارة. لنفترض أنك تُعد لهم ممتلكات عظيمة. فإنهم إن كانوا يجهلون كيف يسلكون في حياتهم، فحتمًا لن تدوم هذه الممتلكات معهم. إنها ستبتد، وتهلك مع أصحابها، ويصير ميراثًا غايّة في الخطورة!

❖ سيكون أبنائك في غنى بما فيه الكفاية على الدوام، إن تقبلوا منك تنشئة صالحة، قادرة أن تُدبّر حياتهم الأخلاقية وسلوكهم. هكذا ليتك لا تجاهد لتجعلهم أغنياء، بل لتجعلهم أتقياء، سادة على أهوائهم، وأغنياء في الفضائل.

علمهم ألا يُفكروا في احتياجات مخادعة، فيحسبون أنهم يُكرمون حسب مستواهم الزمني (العالمي المادي). راقب بلطف تصرفاتهم، ومعارفهم وأصدقائهم، ولا تتوقّع أية رحمة تحلّ من عند الله إن لم تُنمّ هذا الواجب.

لتقتدوا بالآباء المهتمين بأبنائهم

❖ لتقتدوا بأبواب الذي كان يهتم باستمرار بأبنائه، وقَدّم ذبائح لأجل الرحمة من أجل أي فعل خاطئ ربما ارتكبه خفية (أي ١ : ٥).

لتقتدوا بإبراهيم الذي لم يشغل نفسه بطلب الغنى، مثل انشغاله بحفظ كل عضوٍ في بيته شريعة الله، والذي شهد الرب له. "لأنني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برباً وعدلاً" (راجع تك ١٨ : ١٩).

إذ قارب داود من الموت، أراد أن يترك لسليمان ميراثاً أكيداً، دعاه ليكرر على مسمعه التعاليم التالية الحكيمة: "لكي يقيم الرب كلامه الذي تكلم به عني قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم، وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم، وكل أنفسهم، قال لا يُعَدَم لك رجل عن كرسي إسرائيل" (١ مل ٢: ٤).

هذه أمثلة يلزمنا أن نفتدي بها في حياتنا حتى النفس الأخير.

نصائح للوالدين

١. اختيار اسمه

يرى القديس أن أول درس يُقدِّمه الوالدان لطفلهما هو اختيار اسمه، فقد عالج هذا الموضوع في شيء من الإطالة، مُطالباً ألا يُدعى الطفل باسم أحد أفراد الأسرة، بل باسم أحد الشهداء أو الرسل أو الأساقفة (فصل ٤٧). وكأنه أراد من الوالدين أن يدركا أن طفلهما ينتسب للأسرة السماوية أكثر مما لهما أو لعائلتهما. فالطفل يعتز باسمه الذي ناله ليتشبه بالشهداء والرسل والأساقفة، مُقدِّماً قلبه بالكامل مُكرِّساً للرب.

تتكون علاقة حب بين الطفل والقديس حامل اسمه في الرب، تنمو هذه العلاقة مع الزمن، ويود الطفل أن يتشبه به، ويطلب صلواته عنه، لكنه لا يصير صورة مطابقة له، لأن لكل مؤمن شخصيته الفريدة، إنه ابن فريد للرب!

بناء على هذه النصيحة يرى البعض أن أول هدية تُقدَّم للطفل في عيد ميلاده (أو عماده) هي أيقونة القديس الذي يحمل الطفل اسمه. وإذا كان عيد القديس في يوم غير عيد ميلاد الطفل أو عماده، تقيم الأسرة احتفالاً بعيد القديس بكونه عيداً خاصاً بالطفل حامل اسمه.

٢. تعليمه الرضا والقناعة

اهتم القديس بتوجيه الوالدين لطفلهما نحو الرضا والقناعة، وكما يقول الحكيم: "القليل مع مخافة الرب خير من كنزٍ عظيم مع همّ. أكلة من البقول حيث تكون المحبة، خير من ثورٍ معلوفٍ ومعه بغضة" (أم ١٥: ١٦-١٧).

٣. توجيهه نحو الأسفار المقدسة

يطالب القديس يوحنا الذهبي الفم الآباء أن يُوجِّهوا أطفالهم إلى التمتع بالكتاب المقدس ودراسته.

¹ Kathleen Haverlack: Using Saint John Chrysostom's Views to Raise Children in the Orthodox Faith.

فالوالدان يجنيان أول ثمرة من هذا التوجيه، حيث يُدرَّبهما الكتاب المقدس على الطاعة للوالدين، فيجد الوالدان في أبنائهما روح الوداعة والطاعة لهما.

ومن الجانب الآخر، يبدو أن بعض الآباء كانوا يخشون من اهتمام أبنائهم بالكتاب المقدس أن يميلوا إلى الحياة الرهبانية. لذلك يوضح القديس أن الأطفال الذين يعيشون في العالم متى نماوا في القامة صاروا في حاجة إلى التدرُّب على كلمة الله أكثر من الرهبان، لأنهم يواجهون مواقف مثيرة وتجارب أكثر منهم. فإن كان كثيرون يهتمون بتعليم أبنائهم لينالوا مراكز سامية في القصر الملكي أو خلفه، يتعرَّضون لروح الكبرياء والعجرفة، فمن يستطيع أن يروضهم عن هذا الفكر؟ إنهم في حاجة إلى الكتاب المقدس أكثر من الرهبان لأجل ترويضهم.

❖ لما كان تقديم النصح للأبناء ضروريًا، يوجه الرسول خطابه إلى الآباء، قائلاً: "وأنتم أيها الآباء... ريوهم بتأديب الرب وإنذاره" (أف ٦: ٤).

أتريد أن يكون ابنك مطيعًا؟ ربه من البداية على تعليم الرب وتهذيبه.

لا تظن أنه ليس من الضروري أن يصغي الطفل إلى الأسفار المقدسة، فإن أول ما يسمعه منها هو: "أكرم أباك وأمك" (خر ٢٠: ١٢)، وفي الحال تبدأ تجني مكافأتك.

لا تقل إن الكتاب المقدس للرهبان، هل أريد أن أجعل ابني راهبًا؟ لا. ليس من الضروري أن يكون راهبًا. اجعله مسيحيًا!

لماذا تخاف من أمر صالح؟ فإنه يليق بكل أحد أن يعرف التعاليم الكتابية، وهذا أمر حقيقي لازم للأطفال...

لنُقدِّم أنفسنا قدوة لهم، فنُعلِّمهم منذ سنواتهم المُبكرة أن يدرسوا الكتاب المقدس.

❖ مع من يتحدث الراهب؟ مع حوائط قلايته، أم مع بطانيته (غطائه)؟ مع الصحراء أم مع الشجيرات؟ مع التلال أم الأشجار؟ هكذا إنه ليس في حاجة إلى ذات التعليم بالرغم من الحقيقة أنه يصارع لكي يصير كاملاً في ذاته وليس أن يُعلِّم الآخرين، بل يُعلِّم نفسه.

ما هو الموقف بالنسبة للذين يعيشون في هذه الحياة (في العالم)؟ إنهم في حاجة ماسة إلى هذا التعليم، لأن الإنسان في العالم يواجه مصادر كثيرة للتجارب، أكثر من الراهب.

وإن أردتم أن تعرفوا، فإنه يمثل هذا التعليم يكون الشخص موضع السرور أكثر من الكل. يبدأ الكل يوقره، عندما يرونه أنه ليس بغضوبٍ، ولا بطالب السلطة.

إذ تعرفون هذا، درَّبوا أبناءكم على معرفة الرب وإنذاره! وإن كان الإنسان فقيرًا فما الموقف...؟

فإن هذا التعلّم لن يسيء إليه، لأنه لا يخدم بين رجال الحاشية الملكية، بل بالعكس يصير موضع إعجاب الآخرين...

فإن كان المظهر الخارجي (للفلاسفة) وحده، ظل الفلسفة المجرد، يمكنه أن يرفع من شأن الإنسان، فماذا يُقال عن الحب نحو الحكمة الحقيقية واهبة الاستنارة؟ أما يبدأ كل أحدٍ يحترم مثل هذا الإنسان؟

أما يتقون فيه دون تحفّظ، فيأتمنونه على بيوتهم ونسائهم وأطفالهم؟

❖ اخبروني، أية أشجار هي الأفضل؟ ألسنا نُفضّل الأشجار القوية في الداخل، فلا تؤذيها عواصف الأمطار أو البرّد أو عواصف الرياح أو أي نوع من الجو القاسي، بل تتعرّض لهذا كله دون حاجة إلى أسوار أو حدائق تحميها؟ من يحب الحكمة بالحق يكون هكذا، ويكون له غناه الذي سبق لنا وصفه. ليس لديه شيء وهو يملك كل شيء؛ لديه كل شيء وليس لديه شيء. السور لا يحمي القوة الداخلية، ولا يكون الحائط سنداً طبيعياً، بل هما حماية صناعية... الإنسان الغني بالحق هو المحب الحقيقي للحكمة، لا يحتاج إلى شيء من هذه الأمور، ولهذا ينصحنا الرسول الطوباوي أن نُزَيِّ أولادنا بتأديب الرب وإنذاره (أف ٦: ٤)...

❖ لِنُزَيِّ أولادنا بإنذار الرب وتعليمه، فتكون لنا مكافأة عظيمة محفوظة لنا. فإن كان الفنانون الذين يصنعون تماثيل، ويرسمون صوراً للملوك، يصير لهم تقدير عظيم، ألا الله يبارك ربوات المرات الذين يعلنون ويزينون صورته الملكية (لأن الإنسان صورة الله)؟

عندما نُعلِّم أولادنا أن يكونوا صالحين ولطفاء، ومسامحين (فإن هذه كلها سمات تُنسب لله)، وأن يكونوا أسخياء، ويُحبُّوا الناس زملاءهم، ويحسبوا هذا الزمن الحاضر كلا شيء، فإننا نغرس الفضيلة في نفوسهم، ونعلن صورة الله فيهم. هذا إذن هو واجبنا: أن نُعلِّم أنفسنا وأولادنا في تقوى، وإلا بماذا نجيب أمام كرسي المسيح للحكم؟ إن كان الإنسان الذي له أبناء عصاة لا يتأهّل ليكون أسقفًا، فكيف يتأهّل لملكوت السماوات؟

٤. سلّمه في يدي الرب!

❖ لماذا ترفضون الاقتداء برجال ونساء العهد القديم القديسين؟ أخبروني! خاصة أنتن أيتها الأمهات، فلتفكرن في حنة كمثال، أنظرن ماذا فعلت. لقد أحضرت ابنها الوحيد صموئيل إلى الهيكل حينما كان لا يزال طفلاً!

من منكن لا تريد أن يكون ابنها مثل صموئيل الذي هو أفضل من ملكٍ على العالم كله ربوات المرات؟ تقولين: "هذا مستحيل!، فإن ابني لن يكون عظيمًا هكذا مثله!" لماذا هذا الأمر مستحيل؟ لأنك بالحقيقة أنتِ لا تريدين هذا. أودعيه في يدي ذاك القادر أن يجعله عظيمًا. ومن هو هذا؟ الله! أودعت حنة صموئيل في يدي الله.

لم يكن رئيس الكهنة عالي قادرًا بالحقيقة أن يُشكِّله، فقد فشل في تشكيل ابنه. إن إيمان الأم وغيرها جعل كل شيء ممكنًا. لقد كان ابنها البكر والوحيد. لم تكن تعرف هل سيكون لها ابن آخر غيره، ومع هذا لم تقل قط: "سأنتظر حتى يكبر، ويذوق مباحج العالم، على الأقل في صوته". لا، فقد رفضت مثل هذه الأفكار كلها. كان لها هدف واحد، كيف استطاعت من البدء أن تُكرِّس بهجة قلبها لله.

لتدخلوا أيها الرجال أمام حكمة هذه المرأة. لقد قدّمت صموئيل لله، وعند الرب تركته. بهذا تبارك زواجها بالأكثر، لأن غايتها الأولى هي الأمور الروحية. لقد كرّست بكر رحمها لله، فنالت بعد ذلك أبناء كثيرين. لقد رأت صموئيل مُكرِّمًا حتى في هذه الحياة.

إن كان الناس يردون التكريم بالتكريم، أما يرده الله بالأكثر لمن يكرمه؟ إنه يعطي الكثير جدًا حتى لمن لا يكرمونه نهائيًا! إلى متى نبقي هكذا ككتل جسدية؟ إلى متى نلتصق بالأرض؟ ليصر كل شيء في المرتبة التالية بعد اهتمامنا بأولادنا، فربيبهم في تعليم الرب وإنذاره (أف ٦ : ٤).

٥ . اهتمام الله نفسه بتربية الأبناء

يُحدِّثنا القديس يوحنا الذهبي الفم عن اهتمام الله نفسه بتربية الأبناء، فإن هذه النفوس ثمينة في عينيه. فهو الذي خلق في الوالدين الأبوة والأمومة، خلال هذا الدافع "الوالدية" يشعر كل من الأب والأم بالالتزام بتربية الطفل. وضع الله في الناموس وصايا وشرائع تكشف عن اهتمامه بتربية الأبناء. يرى الذهبي الفم أن من اهتمام الله بتربية الأطفال أنه طالب الأبناء بالطاعة للوالدين، يُقدِّم بنفسه المكافأة للمطيعين، ومن جانب آخر ليعت في الوالدين اعتزازًا أكثر بأطفالهم. فالأطفال هم موضع اهتمام الله نفسه.

❖ يُعطي الله نفسه اهتمامًا عظيمًا بتربية الأبناء. هذا هو السبب الذي لأجله وضع مثل هذا الانجذاب الطبيعي في الوالدين نحو أطفالهما، وذلك لكي يضع الوالدين في مركز يُلزِمهما برعاية أطفالهما بالضرورة. لقد شرع قوانين خاصة بهذا الاهتمام، وأسس أعيادًا تأمرنا أن نوضح معانيها. لقد لخص معنى الفصح في التعليم التالي: "وتخبر ابنك في ذلك اليوم قائلًا: من أجل ما صنع

إليّ الرب، حين أخرجني من مصر" (خر ١٣ : ٨).

صنع نفس الأمر بخصوص الشريعة. فعندما تحدّث عن البكر، أضاف مرة أخرى: "ويكون متى سألك ابنك غدًا قائلاً: ما هذا؟ تقول له: بيدٍ قوية أخرجنا الرب من مصر، من بيت العبودية. وكان لما تقسى فرعون عن إطلاقنا، أن الرب قتل كل بكرٍ في أرض مصر، من بكر الناس إلى بكر البهائم، لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم، وأفدي كل بكرٍ من أولادي" (خر ١٣ : ١٤ - ١٥). خلال هذا كله يأمره الله أن يقود أطفاله إلى معرفة الله.

حتى بالنسبة للأطفال أنفسهم أمرهم الله كثيرًا بخصوص الوالدين، مكافئًا المطيعين، ومجازيًا العاصين، حتى يجعلهم في موضع أكثر اعتزازًا عند الوالدين.

٦. تقدير قيمة الطفل وقدراته

يتطلع القديس الذهبي الفم إلى الطفل في تقديرٍ عجيبٍ واعتزازٍ به، فيرى في الأطفال فلاسفة في تكوينهم، مصارعين في تداريبهم، ومواطنين يتشكّلون ويتهيأون للسكنى الأبدية في السماء (فصلا ٣٨ و ٣٩). يرى فيهم قدرات عظيمة تتحقق خلال التداريب الجادة. يرى في الطفل مدينة ذات أبواب أو مداخل كثيرة. فالنفس يقطنها حُكّام أو قضاة صالحون، وأيضًا أشرار غير موقرين. لذا يحتاج الطفل إلى نواميس تضبط التصرفات الخاطئة. فالتسيب يقود إلى دمار المدينة (فصول ٢٣-٢٦). أما أبواب المدينة التي تحتاج إلى حراسة، فهي الحواس الخمس: اللسان (التذوق والكلام) والنظر والشم واللمس والسمع (فصول ٢٧-٣٧).

٧. التحذير من العقوبات البدنية!

حقًا يوضح القديس أن وضع قواعد للسلوك دون تحقيقها عمليًا تجعلها قواعد باطلة (فصل ٢٦)، وأيضًا التهديد بالعقوبة دون التنفيذ لغو (فصل ٣٠). فالتأديب والحزم أمران هامين، لكنه يحذر الآباء من استخدام العقوبات البدنية. ففي رأيه أن الأب الحكيم (أو الأم) يلزمه أن يكف عن الاستخدام المستمر للعقوبة البدنية، أو ما يدعوها بالعصا. فإن استخدام العصا يقود الطفل إلى الاستخفاف بها وعدم المبالاة بالعقوبة، كما لا تُؤلّد فيه محبة الفضيلة. ليخشى الطفل العقوبة، لكن لا يسقط دومًا تحتها (فصل ٣٠).

٨. ليكن تعليم الطفل وتدريبه حسب قدراته

يرى القديس في قول الرسول: "لا تغيظوا أولادكم" (أف ٦ : ٤؛ كو ٣ : ٢١) دعوة إلى عدم مطالبة

الطفل بأكثر من قدراته وإمكانياته، فلا يليق المبالغة في تعليمه (فصل ٥٢)، حتى لا يحل به الرعب.

٩. التعليم بالقدوة

رَكَزَ القديس على دور الوالدين كقدوة في حياة أبنائهما، وإذ يطلبان منهم أن يكونوا فلاسفة ومصارعين ومواطنين سمائيين، يليق بالوالدين أن يكونا هكذا حتى يَتَمَثَّلَ بهما أبنائهم عملياً.

١٠. الاهتمام بمن لهم تأثير على الطفل

يؤكد القديس ضرورة اهتمام الوالدين بالتدقيق في اختيار من لهم تأثير على أبنائهما، فلا يسمح لمن يلتصق بهم أن يروي لهم قصصاً تافهة وخزعبلات، بل يسمع أبنائهما قصصاً من الكتاب المقدس بطريقة مُبْهِجَة، مع إعطاء الفرصة للحوار والنقاش. هذا ولا يليق تجاهل الحديث عن الجانب التأديبي من قبل الرب للأشترار مع توضيح محبة الله لنا. بهذا يلزم التدقيق في اختيار مربية الأطفال.

١١. الاهتمام بتقديس حواس الطفل

لم يتكلم عن حاسة الشم كثيراً، إلا أنه أكد ألا يبالغ الوالدان في الروائح العطرة، فإن غاية الأنف أن تستنشق الهواء لصالح الجسم، لا أن تنتعم بالروائح العطرة. يرى البعض أن هذا الأمر تافه، لكن القديس يؤكد ما هو خلاف ذلك (فصل ٥٤).

١٢. نقاوة القلب

رَكَزَ القديس على اهتمام الوالدين بتوجيه طفلهما نحو نقاوة القلب الداخلي، فيُعَلِّمَانِهِ المحبة وطول الأناة خاصة مع الخدم (فصول ٦٦-٦٩)، ومع إخوته الأصغر منه (فصل ٧٤)، وأن يعامل الخدم كأخوة له (فصل ٧٢).

١٣. العفة والطهارة في حياة أبنائنا

يطلب القديس الوالدين ألا يسمحا لطفلهما بالذهاب إلى المسارح، حتى لا يتسلل الانحلال الجنسي إليه (فصل ٧٧). هذا من الجانب السلبي، أما من الجانب الإيجابي فيلبيق بهما مسانئته بحفظ صوم يومي الأربعاء والجمعة ليتمتع بحياة الطهارة والعفة. يطلب بهما أن يشجعا على الزواج المبكر بعد أن يتمتع بالحياة الناضجة المستقيمة لحفظ طهارته.

١٤. أولوية الحكمة في تربية الأبناء

يبرز القديس أهمية دور الوالدين في تمثُّع الطفل بالحكمة التي تهيه ضبط النفس (فصل ٨٥)، وتقدم له مفاهيم سليمة للثروة والشهرة والقوة، حيث تزرع في قلبه مخافة الرب (فصل ٨٥)، ويشتهي

السماويات لا الأرضيات. بالحكمة يكون مواظناً صالحاً يمارس الشؤون السياسية دون أن يخطئ (فصل ٨٩).

❖ إن علمناهم من البداية حُبَّ الحكمة الحقيقية، ستكون لهم ثروة أعظم وأفضل مما يجلبه الغنى. إن تَعَلَّمَ طفل التجارة أو نال تعليمًا عاليًا في مهنة مُربحة للغاية، فإن هذا كله يُحَسَب كلاً شيءٍ إن قورن بفن التخلي عن الغنى. إن أردت أن تجعل طفلك غنياً علّمه هذا. يكون بالحقيقة غنياً، ذاك الذي لا يشتهي الممتلكات العظيمة، ولا يحيط نفسه بالثروة، بل لا يطلب شيئاً!

❖ لا تسأل كيف يمكنه أن يَتَمَنَّعَ بعمرٍ طويلٍ هنا، بل كيف يَتَمَنَّعَ بحياة أبدية لا نهائية في الحياة العتيدة. قَدِّم له الأمور العظيمة، لا التافهة. لا تُجاهِد لتجعل منه خطيباً بارعاً، بل علّمه أن يحب الحكمة الحقيقية. إنه لا يعاني من شيء إن كانت تتقصه كلمات بارعة، لكن إن نقصته الحكمة، فإن كل بلاغة العالم لا تقدر أن تُعِينَهُ... لست أقصد أن التعليم الزمني بلا قيمة وأن نتجاهله، وإنما يلزم ألا ترتبك به في مبالغة!

١٥ . حفظهم من العادات الوثنية

أشار القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله هذا إلى ضرورة حفظ الأطفال من العادات الوثنية. هذه الوصية لازالت لها أهميتها في هذا الجيل بطريقٍ أو آخر. فإننا نلاحظ ما قد تسَلَّلَ إلى الكنيسة في الغرب مثل فكرة *Santa Claus* الذي يُقَدِّم الهدايا في عيد الميلاد المجيد *Christmas*، وأرنب القيامة *Easter Bunny*، حتى كاد هذا الأمر يقضي على المفهوم الروحي لعيدي الميلاد والقيامة (الفصح المسيحي)، وقد بدأ يتسَلَّل الأمر ذاته إلى الشرق.

يليق بنا في عيد الميلاد التركيز على ميلاد السيد المسيح كهبة قَدِّمها الآب للبشرية مع توضيح أن قصة *Santa Claus* مستوحاه عن شخصية القديس نيقولاوس المُجِب للعباء. أما في عيد القيامة فنهتم أن نُقَدِّم في أحد الشعانين السعف مع عمل صلبان وقلوب منها، وتوضيح دخول السيد المسيح إلى قلوبنا، وأورشليم الداخلية، وتأكيد عمل الفداء والخالص للعالم كله.

١٦ . عدم بث مفاهيم خاطئة في أذهان الأبناء

يُحَدَّر القديس الآباء من إعطاء أسماء لامعة لأخطاء جسيمة وتصرفات غير لائقة، مما يُفسد حياة الأبناء ويدفعهم إلى الانحلال والتسيب.

❖ إنه لأمر شرير بما فيه الكفاية أن تحت أبنائك على ممارسة ما هو ضد وصايا المسيح، بل

وثلبس هذه الممارسات قناعاً تحت أسماء بَرَاقَة.

فتدعو حضور سباقات الخيل والمسارح بصورة مستمرة "حياة اجتماعية". واقتناء الغنى "حرية".
والتهور "انفتاحاً". والإسراف والتبذير "ممارسة إنسانية". والظلم "رجولة".

وكأن هذا الخداع ليس فيه الكفاية فتدعو الفضائل بأسماء مهينة، فالاحتشام تدعوه "تقصاً في
التعليم"، والوداعة "جبناً"، والعدالة "ضعفاً"، والتواضع "خنوعاً"، وعدم الغضب "عجزاً". وكأنك تخشى
أن يسمع ابنك الأسماء الحقيقية للفضائل والرزائل، فيهرب من الفضائل بكونها وباءاً...

وما هو أشر أنك تحنهم على فعل الشر، ليس فقط بكلماتك بل وبأفعالك... التي تظلم نفوسهم...
إنك تبذل كل الجهد لكي تمدد ابنك بخادمٍ وفرسٍ ومُلبسٍ فاخرٍ، لكنك لا تريد أن تفكر أن يكون هو
نفسه صالحاً. لا، إنك تهتم بالصخور والأشجار، ولا تعطي أدنى اهتمام للنفوس. تفعل كل شيء
لتطمئن أن يوجد تمثال جميل وسقف ذهبي لبينتك، أما النفس التي هي أئمن من كل التماثيل الذهبية،
فليس لها اعتبار لديك...

عندما ترى ابنك مريضاً في الجسد، لا تحتاج إلى من يسألك لكي يكون في صحة جسمية كاملة
وقوية. على العكس، فإنك تستخدم كل وسيلة حتى يصير جسمه في صحة جيدة ولا يعود إليه
المرض ثانية. لكن عندما تكون نفوس الأبناء مريضة، يقولون إنهم ليسوا في حاجة إلى علاج، وبعد
هذا يتجاسرون ويدعون أنفسهم آباء!

١٧. اهتم بخلص أولادك!

❖ إننا لا نبخل عن بذل كل جهد واستخدام كل وسيلة لتعليم أطفالنا العلوم الزمنية، حتى يخدمون
السلطات الزمنية حسناً. أما معرفة الإيمان المقدس وخدمة الملك السماوي، فهي أمور ليست بذات
قيمة عندنا. نسمح لهم بحضور المسارح، ولا نهتم بذهابهم إلى الكنيسة والوقوف فيها بوقارٍ. إن
كنا نحاسبهم عما تعلموه في المعاهد العالمية، فلماذا لا نسألهم عن ما سمعوه في بيت الرب؟

١٨. الاهتمام بتعليم الأبناء وتدبير الأمور الزمنية

تركيز القديس على الحكمة السماوية وتدريب الأبناء خلال كلمة الله لا يعني تجاهل تعليم الأبناء
بالعلوم الزمنية وتدبير الأمور الزمنية لهم.

❖ تقول: "ماذا؟ هل نطلب الحكمة ونترك كل ما هو أرضي؟" لا، أيها المكرمون جداً، فإن هذا ليس
فيه حب للحكمة، بل نقص لها، مما يُدمر كل شيء ويفسده.

١٩. تشجيع الأبناء على التكريس

كما أن الآباء القديسين يسندون أبناءهم، وتبقى بركة هؤلاء الآباء تسند أحفادهم إلى أجيال كثيرة، هكذا الأبناء القديسون الذين يُكرِّسون قلوبهم وحياتهم يكونون سندًا لأبائهم. فمن أجل داود النبي بارك الرب ابنه سليمان وبعض أحفاده كحزقيا الملك، وأيضًا كان صموئيل النبي الذي جاء ثمرة صلوات أمه هو سرّ بركة أيضًا لأمه.

❖ لنسمح لأبنائنا أن يخدموا الله. نقودهم ليس فقط إلى الهيكل كما حدث مع صموئيل، وإنما إلى السماوات عينها ليخدموا معًا مع الملائكة ورؤساء الملائكة. فإنه يُمكن لأي شخص أن يرى ذلك الذي يكرس حياته لمحبة الحكمة بالحق سيخدم مع الملائكة. لهذا فإن مثل هؤلاء الأبناء يقفون بدالة عظيمة ليس عن أنفسهم فقط، وإنما أيضًا عنا نحن.

فإن كان بعض الأبناء ينالون عونًا من الله من أجل آبائهم، فبالأكثر يمكن للآباء أن ينالوا عونًا من أجل أبنائهم. ففي الحالة الأولى يأتي العون من خلال الطبيعة، أما في الحالة الثانية فيأتي العون من خلال التربية، التي هي أهم بكثير من الطبيعة. إنني أتى إليكم ببراهين من الكتاب الإلهي. لم تكن لحزقيا الملك الفاضل النقي دالة بأعماله ليواجه الخطر العظيم الذي هدّده، فقد خلص بواسطة الله من أجل فضيلة أبيه كما قال الله نفسه: "سأدافع عن هذه المدينة كدرع، من أجلي، ومن أجل عبدي داود" (٢ مل ١٩: ٣٤).

يقول بولس في رسالته إلى تيموثاوس عن الأمهات: "ولكنها (الأم) ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" (١ تي ٢: ١٥).
يمتدح الكتاب المقدس أيوب، لأنه كان مستقيمًا بلا عيب، بارًا وتقيًا ويحيد عن الشر (أي ١: ١) كما أيضًا لأجل اهتمامه بأبنائه (أي ١: ٥).

٢٠. رَبِّ ابْنِكَ فَلَا يُرِيهِ الزَّمَن!

❖ إن جاهد الآباء الصالحون ليقدموا لأبنائهم تربية صالحة، لا نحتاج إلى شرائع وقضاة ومحاكم ولا إلى عقوبات. فإن الذين يُنفِّذون العقوبات، إنما وُجدوا بسبب عدم وجود أخلاقيات فينا.

٢١. جريمة الإهمال في تربية الأبناء

كثيرًا ما حذرّ الذهبي الفم الوالدين من الإهمال في تربية أبنائهما، مُظهرًا مدى خطورة هذه الخطية التي يحسبها أحد الخطايا الخطيرة للغاية، فلم يتردد عن أن يدعوها قتلًا للأطفال.

❖ لنفترض أنك تتمتع وصايا الناموس في كل الأمور الأخرى، لكنك غير أمين في هذه الوصية الواحدة، فإنك تُعاقب بشدة. أصغ إلى هذا من خلال تاريخ الشعب القديم. فإنك ترى أية عقوبة مُرعبة حَلَّت على الآباء الذين أهملوا في تربية أبنائهم.

كان بين اليهود كاهن موقر بسبب شخصيته الودیعة، اسمه عالي. كان لهذا الكاهن ابنان سَلَمًا نفسيهما لكل رذيلة. لم يُبالِ الأب بهذا الأمر، بل استخفَّ به، وقد تعدَّى فسادهما الحدود فانتهرهما، لكن ليس بحماسٍ لائق وسلطان. كان يلزم أن يعاقبهما بحزمٍ شديدٍ حتى يوقف هذا الاعتداء. لم يفعل شيئاً من هذا. إنما اكتفى بتقديم نصيحة، قائلاً: "لماذا تعملون مثل هذه الأمور؟ لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب" (١ صم ٢: ٢٤). هل هذا هو ما كان يجب أن يقوله؟ لقد عصيا ذلك الذي هما مدينان له بوجودهما، ومع هذا لازال يقبلهما كعضوين في أسرته. كانت نصيحته باطلة بلا نفع. لا، بل كان يلزمه أن يرعيبهم، ليقنع هذا العمى من قلبيهما.

يا لها من نصيحة باطلة! لم يكن ابنا عالي ينقصهما مثل هذه النصيحة. إنها كلمات بلا فائدة! يا لها من وداعة أئيمة، بها صارا ضحيتين!

لقد بدأت الحرب، وصار البائسان غنيمتين للأعداء. وإذ علم الأب عما حلَّ بهما من نكبة سقط على الأرض، وانكسرت رقبته ومات (١ صم ٤: ١٨)! لقد قُلْتُ لكم حالاً إن الآباء الذين لا يهتمون بتربية أبنائهم في نشأة مسيحية هم قتلة لأبنائهم. أليست هذه حقيقة؟!

من ينبغي أن يلومه عالي بسبب موت ابنيه؟ يلزمه أن يلوم نفسه! حقاً إن سيف العدو قتلها، لكن إهمال أبيهما الباطل هو الذي صوّب ضدهما الضربة. إذ فارقهما العون السماوي ظهرا عريانين أمام سهام الفلسطينيين. لقد دَمَّر الأب نفسه ودمَّرهما. غير أننا نرى ذات الأمر أمامنا يومياً. كم من آباء لا يريدون أن يأخذوا على عاتقهم هذا العمل بإصلاح عقوق أبنائهم وجموحهم؟

إنهم كمن يخشون مضايقة أبنائهم، لئلا بسلطان الكلمات القاسية يسيطرون على الميول الفاسدة. وما هي النتيجة؟ يزداد اعتلالهم، وتقودهم حصاناتهم من العقوبة إلى ارتكاب معاصٍ جنائية. ينفادون إلى المحاكم، ويموت هؤلاء البائسون على أيدي المعاقبين.

أنتم ترفضون حقوقكم الشخصية عليهم، فتدفعون بهم إلى عقوبات مدنية، وتقتص العدالة البشرية حقها العنيف منهم.

أنتم تخشون إهانتهم بعقوبة خفيفة في حضوركم، ولكن أية إهانة مُرعبة تحل عليكم، عندما لا يعود يرى الأب ابنه حوله، والذين يتهمونه يلاحقونه في كل موضع، ولا يجسر بعد أن يظهر في أي

مكان!

❖ الإهمال في تربية الأبناء هو أحد الخطايا العظمى. هو أعلى درجات عدم التقوى... إن لم نهتم بخلاص أولادنا، نسقط تحت أقسى أنواع العقوبة. أنتم تعرفون قصة عالي رئيس الكهنة الواردة في الأسفار المقدسة. كان شيخاً مسنّاً، كاهناً معروفاً، حكم الأمة اليهودية بلا خطأ لمدة عشرين عاماً، عاش في وقتٍ لا يحتاج إلى حزمٍ شديدٍ في الحياة. ومع هذا لم يستطع أن يُبرّر نفسه، بل على العكس، هلك بطريقة مُرعبة في كارثة، لأنه لم يهتم بسلوك ابنه كما ينبغي. حُسِبَ ذنب إهماله، خطأ فادحاً غطى على كل سمات عالي وأعماله الصالحة. فكم تكون دينونتنا نحن الذين نعيش في عهد مملوء بالأكثر بحب الحكمة، ولسنا نمارس فضائل عالي؟

❖ لا يأتي فساد الأطفال من فراغ، بل من الجنون الذي يلحق بالآباء نحو الاهتمامات الأرضية. الاهتمام بالأرضيات وحدها، واعتبار كل شيء غيرها ليس بذِي قيمة، يدفعهم لا إرادياً نحو إهمال نفوس أطفالهم.

أقول، إن هؤلاء الآباء (ولا يظن أحد أن هذه الكلمات تتولد فيّ عن غضب)، أشر من قتلة الأبناء. الأول يفصل الجسم من النفس، أما الآخر فيطرح كليهما معاً في نيران جهنم. الموت أمر محتم حسب النظام الطبيعي، أما المصير الثاني، فيمكن للآباء تجنبه لو لم يؤد إهمال الآباء إليه.

الموت الجسماني يمكن أن ينتهي في لحظة بالقيامة حينما تحل، لكن لا توجد مكافأة تنتظر النفس المفقودة. إنها لا تنعم بالقيامة، بل تعاني آلاماً أبدية.

هذا يعني أنه ليس بغير عدلٍ ندعو هؤلاء الآباء أشر من قتلة الأبناء. إنه ليس بالأمر القاسي أن تسن سيفاً، وتمسك به باليد اليمنى، لتغرسه في قلب طفلٍ مثلما أن نُحطّم النفس وتذلها، فإنه ليس من شيءٍ يعادل النفس.

٢٢. يهيئهم للزواج المقدس

يبدو كما رأينا أن البعض كانوا يخشون على أولادهم من دراسة الكتاب المقدس لئلاّ يعشقوا الحياة الرهبانية الزاهدة، فأوضح لهم القديس أن الإنسان الذي يعيش في العالم - إن صحت العبارة - أكثر احتياجاً إلى كلمة الله لكي تُهدّبه وتقدّسه، فيحيا مقدساً وناجحاً في حياته وفي معاملاته مع الغير. الآن يؤكد القديس حاجة الأبناء إلى التربية المقدسة لتهيئتهم للزواج المقدس.

❖ إن وضعنا حدودًا (للأبناء) في سنٍ مبكرٍ، فلا نحتاج بعد إلى مجهودٍ عظيمٍ هكذا، بل بالعكس يصير ذلك عادةً وقانونًا لهم. لا نسمح لهم أن يمارسوا ما فيه لذة، وفي نفس الوقت ضار، لن نسرهم لمجرد أنهم أطفال، فإن هذا يضرهم أكثر من أي شيء وهم شباب...
لنأخذ لهم زوجات في سنٍ مبكر، حتى يتحدوا مع عرائسهم بأجسام طاهرة غير فاسدة...
من كان عفيفًا قبل الزواج هكذا يكون بعد الزواج. أما الذين تعلّموا الزنا قبل الزواج، فيفعلون ذات الأمر بعده. مكتوب في الأسفار الإلهية "كل خبزٍ حلو للزاني" (سيراخ ٢٣: ١٧). لهذا السبب يوضع تاج على الرأس (في الهيكل)، علامة النصر، أنهما داخلا إلى حجال العرس غير منهزمين، ولا مقهورين بالشهوة.
أما من ينكب على محبة اللذة، مُسلّمًا نفسه للزواني، فما الحاجة لأن يوضع التاج على رأسه حيث أنه منهزم؟ لنغرس هذا فيهم، ولنعلّمهم ذلك، ونهددهم بكل الطرق.

الإصلاح في عصر حزقيا الملك

الأصحاحات ٢٩-٣٢

ما فعله آحاز من إبطال عبادة الله، وإغلاق أبواب الهيكل، والالتجاء إلى الأصنام، وتسليم ذخائر بيت الرب والقصر الملكي وبيوت الرؤساء لملك آشور، وتماديه المستمر في الشر، كان كافياً لاستبعاد مملكة يهوذا كشعب الله. لكن أمانة الله وحُبُّه للنشورية كلها ورغبته في تحقيق وعوده الإلهية ليجلس ابن داود ملكاً بالصليب، جعله يُقيم حزقيا على يهوذا. لقد تغيّر كل شيء، فقد أشرق نور النعمة الإلهية في هيكل الرب عوض الظلمة التي سادت في أيام آحاز. أفرد سفر أخبار الأيام الثاني أربعة أصحاحات للحديث عن إصلاحات حزقيا الملك وممارسته للفصح، هذا وقد سجّل لنا سفر الملوك الثاني إصلاحاته ولخصّها في ٢ مل ١٨: ٤-٧، وحدثنا إشعياء النبي عن هذا الملك في عدة أصحاحات تاريخية.

كشفت هذه الأسفار الثلاثة التي أبرزت عمل الله في حياة هذا الملك الصالح عن الآتي:

١. الشرط الوحيد الذي يلزم لقيام وبقاء مملكة ابن داود ويهوذا نفسه كشعب الله هو إعادة تأسيس العبادة وتطهير الهيكل أو إعادة تنظيم الكهنوت اللاوي. خير بداية لنا هي تطهير هيكل الرب الداخلي من كل خطية وتهاونٍ وتراخٍ.

٢. تولّى حزقيا الملك العرش في فترة يبدو كأنّ الشعب قد فقد كل رجاءٍ في الإصلاح. فقد فقدت مدن يهوذا كل مواردها الرئيسية، وحلّ بالجيش سلسلة مَرّة من الهزائم، وخانتها آشور بعد أن استلمت الكثير من ذخائر بيت الرب والقصر الملكي والرؤساء، وتحوّلت ساحة الحرب إلى بركة دماء في يومٍ واحدٍ على يديّ إسرائيل.

في وسط هذه الصورة القاتمة للغاية، أرسل الله إنساناً بارّاً ليُعلنَ أنه لا يريد هلاك شعبه بل خلاصهم، وأنه في كل جيلٍ يوجد أناس أمناء ومُخلصون للحق الإلهي.

٣. حقاً وُجِدَت فترات إصلاح أخرى عظيمة في مملكة يهوذا، لكن لا نجد أعظم من حزقيا في فترات بلغ الشر فيها إلى القمة. إنه يرسل الإنسان المناسب في الوقت المناسب.

٤. يُقدّم لنا سفر ملوك الثاني الإصلاحات السلبية التي قام بها حزقيا الملك. فقد أزال المرتفعات وكسر التماثيل وسحق الحيّة النحاسية التي أقامها موسى وأساء الشعب بعد ذلك استخدامها. فعوض

التطلع إليها بالإيمان كرمزٍ لصليب المسيح المخلص، صارت موضع عبادة حرفية قاتلة. دعاها حزقيا نحشستان بتهكم.

لم يرد هنا شيء عن هجوم آشور وعن حصار شلمنأسر للسامرة، إنما اهتم بإبراز رفض الأسباط العشرة العبادة لله واستبدالها بالعبادة الوثنية. في سفر أخبار الأيام الثاني نرى الأعمال الإيجابية.

إصلاحات حزقيا

الله في أمانته لتحقيق وعده لداود سمح بقيام ملك صالح بعد أن كاد أخاب أن يُدمر مملكة يهوذا. يُعتبر عصر حزقيا الملك مرحلة جديدة أو بداية جديدة، لا لمملكة يهوذا فقط، وإنما لكل شعب الله، إذ كان قلب حزقيا ملتهبًا بالحب نحو خلاص كل الشعب. فقد أقام لا تحالفًا عسكريًا أو تبادل علاقات تجارية بين المملكتين، بل وحدة في الرب، تقوم على تجديد العهد مع الله والالتصاق بالهيكل، ليتمتع الكل بقوة إلهية، ويختبروا فرح الروح الحقيقي.

أول خطوة قام بها الملك خلال الكهنة واللاويين هي تطهير الهيكل الذي دنسه آحاز أبوه. تمّ تطهير الهيكل في وقت قياسي. فعادت التسابيح بالمزامير والفرح بالشركة مع الله.

الخطوة الثانية لتحقيق الوحدة على أساس روحي سليم، هي الاحتفال بعيد الفصح، العيد الذي يُحتفل به تذكيرًا لثمة الشعب بالتحرك من عبودية فرعون والانطلاق إلى البرية للعبور إلى أرض الموعد. يرى بعض الدارسين أن حزقيا يُعتبر سليمان آخر، حيث ما كان يشغله هو ضم شمل كل الأسباط بفكرٍ روحي سليم، ودعوتهم للحضور إلى أورشليم للاحتفال بالفصح. يُعتبر حزقيا خليفة سليمان الرابع¹.

¹ Celine Mangan, p. 130.

الأصحاح التاسع والعشرون

حزقيا الملك وتقديس بيت الرب

يتطلَّع السفر إلى حزقيا الملك كأحد عظماء ملوك يهوذا. تُبرز حياة حزقيا الملك دور الأنبياء في القرن الثامن ق.م، خاصة إشعيا وميخا، بينما جاء دور إرميا النبي في فترة يوشيا. يرى البعض أن حزقيا الملك يُحسب حلقة الوصل بين فترتي النبوات الكتابية¹. لقد هبَّ حزقيا الجو يوشيا للإصلاح بحفظ شريعة الرب. منذ تولَّى الملك الصالح حزقيا، من السنة الأولى لحُكمه، انشغل بالعبادة المقدسة لله القدوس أكثر من غيره من الملوك الصالحين. كان قلبه ملتهبًا بالحُبِّ الإلهي والغيرة على قدسية بيت الرب. ففي السنة الأولى قام بالآتي:

- ١-١١. أعاد الكهنة واللاويين إلى بيت الرب
- ٢-١٩. حتَّ اللاويين على تطهير الهيكل
- ٢٠-٢٤. التكفير عن خطايا الحكم السابق
- ٢٥-٣٦. الاهتمام بذبائح التسبيح والمُحرقَات

١. أعاد الكهنة واللاويين إلى بيت الرب

مَلِكُ حَزَقِيَّا وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ وَعِشْرِينَ سَنَةً،

وَمَلِكٌ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ وَاسْمُ أُمِّهِ أَبِيَّةُ بِنْتُ زَكَرِيَّا. [١]

يرى البعض أن حزقيا تولَّى العرش في حدود الخامسة والعشرين من عمره، ولصغر سنه وقلة خبرته، كان يعتمد على مشورة الكهنة واللاويين الأكبر منه سنًا، الأمر الذي يحسبه سفر أخبار الأيام مديحًا له. ولعله كان تحت إرشاد إشعيا النبي.

أشار الكاتب إلى اسم أمه وجدّه، ربما لأنهما كانا بارزين، وتأثر بهما في شبابه.

وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ،

حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ دَاوُدُ أَبُوهُ. [٢]

¹ Josephus: Antiq.9:8:3.

قيل عن بعض الملوك الذين أتوا قبله إنهم عملوا المستقيم في عيني الرب، لكن نادراً ما يُقال: "حسب كل ما عمل داود أبوه"، أي حسب غيرة داود وأمانته.

هُوَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْ مُلْكِهِ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ،

فَتَحَ أَبْوَابَ بَيْتِ الرَّبِّ وَرَمَمَهَا. [٣]

اعتلى يوأش العرش بعد ملكين فاسدين وكان سنُّه سبع سنوات، مما تسبَّب في تأخير البدء العملي في الإصلاح. تَكَرَّرَ نفس الأمر عندما تَوَلَّى يوشيا العرش بعد ملكين فاسدين، وكان في الثامنة من عمره. أما بالنسبة لحزقيا فتَوَلَّى العرش وهو ابن خمس وعشرين سنة، لذلك بدأ في الإصلاح في السنة الأولى من تولَّيه العرش.

يصعب علينا أن نُصوِّر مدى حُزْنِ حزقيا، إذ عبد أبوه الأوثان، وأغلق أبواب الهيكل، ولم يكن ممكناً لحزقيا أن يفتح أبوابه أثناء حياة أبيه. حتماً كانت نفسه في غاية المرارة. يرى البعض أن أباه أغلق أبواب الهيكل في وجه الشعب، لكن كان بعض اللاويين يدخلون فأبقوا على استمرار اشتعال النار المقدسة، حتى جاء حزقيا، ففتح أبواب الهيكل حيث وجدوا النار مشتعلة، ولا تحتاج إلى إعادة اشتعالها.

وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةَ وَاللَّاوِيِّينَ وَجَمَعَهُمْ إِلَى السَّاحَةِ الشَّرْقِيَّةِ [٤]

الساحة الشرقية: يُقصد بها مكان فسيح أمام الباب الشرقي لدار الهيكل الخارجية^١. جمع حزقيا الكهنة واللاويين، لكي ينزعوا الرجاسات التي صنعها أبوه، وكأنه قد اعترف عملياً بخطأ أبيه، مُعلِّناً رغبته الجادة في تصليح ما أفسده والده. لقد اعترف أن آباءه خانوا الرب، وعملوا الشر في عينيه وتركوه [٦]، لا لنفدهم، إنما لكي ينطلق مع القادة والشعب إلى إصلاح الفساد. هكذا يليق بالمؤمن لا أن يَسْتَلِمَ للحزن على الماضي، بل أن يعالج الفساد الذي حلَّ به وبإخوته في إيجابية عملية مثل حزقيا. حسن أن نبكي على أخطائنا، لكن لا نقف في يأسٍ، بل بالنعمة الإلهية ننطلق للعمل بروح الرجاء والقوة.

وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا لِي أَيُّهَا اللَّاويُونَ،

تَقَدَّسُوا الْآنَ،

وَقَدَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِكُمْ،

¹ Barnes' Notes.

وَأَخْرَجُوا النَّجَاسَةَ مِنَ الْقُدْسِ [٥]

لقد جمع الملك الكهنة واللاويين، وأدخلهم إلى الساحة الشرقية، وطلبهم بالتقديس، بإزالة كل مظاهر العبادة الوثنية والمذبح الأشوري، وإزالة الرجاسات التي كانت مرتبطة بالعبادة الوثنية. وأيضاً إزالة الأوساخ بسبب وقف الخدمة في أيام آحاز. هذا التصرف يكشف عن فتورهم متى قورن بغيرته.

❖ في العالم الظاهر إذا ذهب ملك لِيُقِيمَ زماناً (في مدينة) واتفق أنه نزل بيتاً فيه نجاسة ما، فإنه يُنظَّم ويُرِين بزينات متنوعة ويُبخر بروائح عطرة، فكم بالحري يحتاج بيت النفس الذي يأتي الرب ليستريح فيه إلى زينات كثيرة لكي يدخله ويُقِيم فيه، ذلك الذي هو نفسه نقي من كل دنسٍ وعيبٍ. هكذا يكون القلب، إذ فيه يحل الله وكل الكنيسة السماوية^١.

❖ إذاً يجب على كل منا أن يجتهد بإخلاص، ولا يقصر في الفضيلة، وأن يؤمن ويطلبها من الرب لكي يصير الإنسان الباطن منه شريكاً في المجد في هذه الحياة الحاضرة، وتكون للنفس شركة في قداسة الروح (١ يو ١: ٣) حتى إذا تطهرنا من دنس الخطية، يكون لنا في القيامة ما نستر به عري أجسادنا عند قيامها، ونغطي به عيوبنا وبِحبينا وبريحنا في ملكوت السماوات إلى الأبد^٢.

القديس مقاريوس الكبير

لأنَّ آبَاءَنَا خَانُوا وَعَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهَنَا وَتَرَكَوهُ،

وَحَوَّلُوا وُجُوهَهُمْ عَنْ مَسْكَنِ الرَّبِّ، وَأَعْطَوْا قَفَاً [٦]

لم يبتهم حزقيا أباه وحده بما بلغ إليه الحال من فساد، إنما ساهم كثيرون فيه سواء من ملوك أو كهنة أو لاويين أو حتى الشعب، لذلك قال: "لأنَّ آبَاءَنَا خَانُوا وَعَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهَنَا وتركوه".

حسن لنا أن نذكر أمانة وإخلاص الكثير من آباءنا عبر الأجيال، لكن لا ننسى أيضاً رخاوة البعض وإهمالهم، بل وخيانة البعض وجحدهم للإيمان.

وَأَعْلَفُوا أَيْضاً أَبْوَابَ الرَّوَّاقِ،

وَأَطْفَأُوا السَّرْجَ،

^١ الحب الإلهي ص ١٠١٦.

^٢ الحب الإلهي ص ١٠١٩.

وَلَمْ يُوقِدُوا بِحُورًا،

وَلَمْ يُصْعِدُوا مُحْرَقَةً فِي الْقُدْسِ لِإِلَهِ إِسْرَائِيلَ. [٧]

اعترف حزقيا الملك عن الشرور التي ارتكبها آباؤه، وكأنه قد ارتكبها هو، ويريد التوبة عنها.

١. حَوَّلُوا وُجُوهَهُمْ عَنِ بَيْتِ الرَّبِّ [٦]. أخطر خطية، إن صحَّ التعبير، هي إعطاء القفا لا

الوجه للرب، أي انحراف القلب وتركه للرب. الأمر الذي كثيرًا ما عاتب الرب شعبه عليه. على لسان إرميا النبي: "قائلين للعود أنت أبي، وللحجر أنت ولدتي، لأنهم حولوا نحو القفا لا الوجه، وفي وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا" (إر ٢: ٢٧).

"فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنه، بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير، وأعطوا القفا لا الوجه" (إر ٧: ٢٤).

"وقد حوَّلوا لي القفا لا الوجه، وقد علَّمتهم مُبَكَّرًا ومُعَلِّمًا، ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبًا" (إر ٣٢: ٣٣)

"لأن شعبي عمل شرئين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينفروا لأنفسهم آبارًا، آبارًا مشقة لا تضبط ماء" (إر ٢: ١٣).

٢. أَغْلَقُوا بَابَ الرُّوَّاقِ [٧] حتى لا يدخل أحد إلى بيت الرب، ويتمتع بالشركة معه. فإنهم لم

يدخلوا ولم يدعوا الداخلين أن يدخلوا. هذا هو عمل عدو الخير، أن يستخدم كل وسيلة ليحرّم البشر من الدخول إلى بيت الله، لأنه أيقونة السماء.

اهتم سفر المزامير أن يُقدِّمَ للمؤمنين مزامير المصاعد أو الدرجات (مز ١٢٠-١٣٤) ليدركوا أنهم صاعدون إلى بيت الرب الذي هو أيقونة السماء. يبدو أنها كانت كُتُبًا صغيرة، يستخدمه الصاعدون إلى بيت الرب في اورشليم.

❖ لماذا إذن الذين يسكنون في اورشليم لا يتزعزعون إلى الأبد، إلا لأنه توجد اورشليم أخرى تشتاقون أن تسمعوا عنها؟ إنها أمنا التي نئن لأجلها ونتنهّد في رحلتنا هذه، لكي ما نرجع إليها... اورشليم الأبدية، أمنا جميعًا التي في السماء^١.

القديس أغسطينوس

٣. أَطْفَأُوا السَّرْجَ: تشير السرج إلى النور الإلهي، فقد أشرق السيد المسيح نور العالم على

¹ On Ps 125 (124).

الجالسين في الظلمة لكي يصيروا بروحه القدوس نورًا للعالم.

لما كان عدو الخير هو رئيس مملكة الظلمة، فإنه لا يحتمل النور الإلهي، لذا يحث الملوك الأشرار على إطفاء السُّرج.

❖ عظيمة هي محبة المسيح الذي أعطى كل ألقابه لتلاميذه، فيقول: "أنا هو نور العالم" (يو ٨: ١٢) ومع ذلك يعطي من طبعه لتلاميذه، قائلًا: "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٤). يقول: "أنا هو الخبز الحي" (يو ٦: ٣١)، ونحن جميعًا خبز واحد (١ كو ١٠: ١٧). يقول: "أنا هو الكرمة الحقيقية" (يو ١٥: ١)، ويقول لك: "غرستك كرمة سورق زرع حق كلها" (إر ٢: ٢١).^١

❖ إن أردتم أن تجدوه، فالشمس قد أشرقت الآن، تعالوا مثل هؤلاء النسوة، بمعنى ليته لا يكون في قلوبكم ظلام الشر، لأن شهوات الجسد والأعمال الشريرة هي ظلام. من كان في قلبه ظلام من هذا النوع لا يعاين النور ولا يدرك المسيح، لأن المسيح هو نور. انزعوا الظلام منكم يا إخوة، أي انزعوا عنكم كل الشهوات الخاطئة والأعمال الشريرة، وليكن لكم الطيب الحلو، أي الصلاة بغيره، قائلين مع المرثل: "لستقم صلاتي كالبخور قدامك" (مز ١٤١: ٢) ... إن أردتم أن تعاينوا الرب وتأتوا إلى بيتكم السماوي، يلزمكم ترك الشر، مثابرين على الثبات في الصلاح الذي بدأتكم إياه.^٢

القديس أمبروسيو

❖ إن كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان، فهو إذن قد أثار يوحنا أيضًا الذي أقر واعترف بحق "من ملئه أخذنا" (يو ١: ١٦).^٣

القديس أغسطينوس

٤. لم يوقدوا بخورًا: يشير تقديم البخور إلى الصلاة، وكما جاء في سفر الرؤيا عن المخلوقات الحية الأربعة والأربعة وعشرين قسيسًا أنهم كانوا يُقدِّمون بخورًا "هي صلاة القديسين" (رؤ ٥: ٨).

❖ تهب المزامير النفس الطمأنينة، وتعطيها السلام، وتهدئ فيها بلبله الأفكار وتراكم الشهوات. هذا الكتاب هو كتاب المحبة... هو سلاح ضد الشيطان... هو سبب راحة بعد تعب النهار... هو تعزية الشيوخ، هو باعث أفراننا وأحزاننا المقدسة... هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور

^١ تفسير لو ٩: ١٩-٢٦ (ترجمة مدام عابدة حنا بسطا).

^٢ PL 17: 671 Ser 34.

^٣ Sermon on N.T. Lessons, 17:9.

زكي الرائحة^١.

القديس باسيليوس الكبير

٥. ولم يصعدوا مُحْرَقَةً: كانت الذبائح بكل أنواعها تُشير إلى جوانب مُتعدِّدة لصليب السيد المسيح. تشير المُحرَّقة إلى ذبيحة المسيح الذي بحُبِّه للبشرية ارتفع على الصليب فداءً للمؤمنين. شركتنا مع المسيح المصلوب تجعلنا أشبه بمُحرَّقة أو ذبيحة حب لله.

❖ ما هي المُحرَّقات؟ احتراق الذبيحة بالنار بكاملها؛ عندما يُوضَع الحيوان على المذبح ويحترق بالنار، فُيدعى مُحْرَقَةً.

ليت النيران الإلهية ترفعنا بكليتنا إلى فوق، ونلتهب بالكامل...

ليس فقط نفوسنا ترتفع بنار الحكمة هذه، بل وجسداً أيضاً، إذ ينال الخلود. لِيُقَدِّمَ إِذَا كُمُحْرَقَةً فَيُبْتَلَعُ الموت!

القديس أغسطينوس

❖ يريد كلَّ من الجسد والنفس، أي الإنسان بكليته، أن يصير ذبيحة مقدسة لله. يُعْلِنُ المرثل أن النفس هي ذبيحة مُقدَّمة لله بقوله: "الروح المنسحق ذبيحة لله"^٢.

❖ لِنُقَدِّمَ نفوسنا ذبيحة بالصوم. فإننا لا نستطيع أن نُقَدِّمَ ما هو أفضل من هذا. يؤكد النبي ذلك بقوله: "الروح المنسحق ذبيحة لله، والقلب المتواضع لا يرذله الله". قَدِّمَ يا إنسان نفسك لله. قَدِّمَ تقدمة الصوم. افعلْ هذا لتجعل نفسك ذبيحة طاهرة، ذبيحة مقدسة، ذبيحة حية تبقى لك وأنت تُقَدِّمُها لله^٣.

الأب بطرس خريستولوجوس

ما كان يشغل قلب حزقيا الملك قيام ملكوت الله، ليس فقط في يهوذا بل في كل إسرائيل.

فَكَانَ عَضْبُ الرَّبِّ عَلَى يَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ،
وَأَسْلَمَهُمْ لِلْقَلْقِ وَالْدَّهْشِ وَالصَّفِيرِ،

^١ راجع الأب الياس كويتير المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٢. عظة على المزمير.

^٢ Fr. Peter Chrystologus, Selected Sermons, 1093

^٣ Selected Sermons.

كَمَا أَنْتُمْ رَأَوْونَ بِأَعْيُنِكُمْ. [٨]

ربما يشير هنا إلى الهزيمة الخطيرة والخسائر الفادحة بواسطة الإسرائيليين، حيث قُتِلَ مائة وعشرون ألفاً، وأسر مائتا ألف (٢ أي ٢٨: ٦، ٨).

كان حزقيا مُقْتَبِعًا أن ما حلَّ على يهوذا من ضيقات علته انحراف الملك والقادة والشعب عن طريق الاستقامة في عيني الرب.

لقد أخطأ أحاز عندما حاول علاج المتاعب بطريقة بشرية مُجَرَّدة، فانحاز إلى أشور لمساعدته ضد الأعداء المحيطين به، أما حزقيا فوضع في قلبه أن لا خلاص من الشر والمتاعب إلا بالرجوع إلى الله والثقة فيه. يرى ملكوت الله منطلق كل تصرف، له الأولوية في كل شيء.

من العبادة والجهل أن نحاول بناء البيت أولاً وبعد ذلك نضع الأساسات. هكذا لا يمكن أن نتحرك بقوتنا وإمكاناتنا وأفكارنا وخبراتنا البشرية أولاً، إنما ليكن الله هو القائد والأول، يُقَدَّس كل تحركاتنا وأفكارنا وإمكاناتنا! ملكوت الله هو الأساس الداخلي في القلب يقوم عليه كل فكر وكلمة وعمل!

لعل حزقيا الملك يقصد بالصغير هنا ما ورد في ميخا ٦: ١٦، وذلك عندما يجلُّ الخراب ببلد معين أو شعب معين، يستهزئ بهم الأعداء، فيصفرون في سخرية. كان يليق بشعب الله أن يكونوا موضع إعجاب السمايين ودهشتهم، لكن بتركهم الرب يصيرون موضع سخرية غير المؤمنين.

وَهُودًا قَدْ سَقَطَ آبَاؤُنَا بِالسَّيْفِ،

وَبَنُونًا وَبَنَاتُنَا وَنِسَاؤُنَا فِي السَّبْيِ لِأَجْلِ هَذَا. [٩]

اعترف حزقيا الملك بأن الضيقات التي حلت بهم، يستحقونها لخيانتهم، وأوضح لهم عواقب ترك الرب والإهمال في الالتصاق به والعبادة له، ليكون ذلك دافعاً لتجديد العهد مع الله والشركة معه.

فَالآنَ فِي قَلْبِي أَنْ أَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ،

فَيُرِدُّ عَنَّا حُمُومَ غَضَبِهِ. [١٠]

ما يشغل قلب حزقيا في كل الإصلاحات هو قطع عهد مع الرب الإله، فتتم مصالحة مع الله. بقوله "في قلبي" يكشف عن تصميمه على ذلك من كل قلبه. فمع رغبته في عهد شخصي بينه وبين الرب، يطلب شركة الكل معه. فالعهد هو مع إله إسرائيل، ليرد "عنا" حموم غضبه، أي عن الملك وكل القيادات مع الشعب.

يَا بَنِي لَا تَضَلُّوا الْآنَ،

لَأَنَّ الرَّبَّ اخْتَارَكُمْ لِتَقْفُوا أَمَامَهُ وَتَخْدُمُوهُ،

وَتَكُونُوا خَادِمِينَ وَمُوقِدِينَ لَهُ. [١١]

مع صغر سنه كان يدعوهم "يا بني"، ربما لأنه شعر كملكٍ ملتزم أن يهتم بكل القادة والشعب كأبناء محبوبين لديه، يُسأل عنهم أمام الرب. كان يليق بالكهنة واللاويين أن يُدكِّروا الملك بعلاقته بالرب، لكننا نرى هنا الملك هو الذي يدعوهم أن يتذكروا اختيار الرب لهم لخدمته والإيقاد له. يحثهم على مراجعة أنفسهم، متحدِّثًا معهم كأبٍ مع أبنائه: "يا بني لا تضلوا" [١١]. ما أروع أن يحمل صاحب السلطان روح الأبوة الحانية والجادة في نفس الوقت.

٢. حثّ اللاويين على تطهير الهيكل

فَقَامَ اللَّاَوِيُّونَ مَحْتٌ بَنُ عَمَاسَايَ وَيُوئِيلُ بَنُ عَزْرِيَا مِنْ بَنِي الْقَهَاتِيِّينَ،

وَمِنْ بَنِي مَرَارِي قَيْسُ بَنُ عَبْدِي وَعَزْرِيَا بَنُ يَهْلُنَيْلَ،

وَمِنْ الْجَرَشُونِيِّينَ يُوَآخُ بَنُ زِمَّةَ وَعِيدُنُ بَنُ يُوَآخُ [١٢]

هنا نرى عملاً جاداً، عملاً حسناً، وعملاً له احتياج، ألا وهو تطهير بيت الرب.

الأشخاص الذين استخدموا لهذا العمل كانوا لاويين وكهنة، وكان من الواجب عليهم أن يحتفظوا ببيت الرب طاهراً، وإذ أهملوا في هذا، طالبهم الملك أن يكون ذلك اهتمامهم الأول. ذكر عديد من أسماء اللاويين، اثنين من كل من العشائر الثلاث الرئيسية: قهات وجرشون ومراري [١٢]. وذكر اثنين من كل من العائلات الثلاث المُعَنِّين: آساف وهيمان وبيدوثون [١٣-١٤]. ذكَّروهم ربما لأنهم كانوا أكثر غيرة ونشاطاً عن البقية.

وَمِنْ بَنِي أَلِيصَافَانَ شِمْرِي وَيَعِيئِيلُ وَمِنْ بَنِي آسَافَ زَكْرِيَّا وَمَتْنِيَا [١٣]

وَمِنْ بَنِي هَيْمَانَ يَحِيئِيلُ وَشَمْعِي وَمِنْ بَنِي يَدُوثُونَ شَمْعِيَا وَعَزْرِيئِيلُ. [١٤]

وَجَمَعُوا إِخْوَتَهُمْ وَتَقَدَّسُوا،

وَأَتَوْا حَسَبَ أَمْرِ الْمَلِكِ بِكَلَامِ الرَّبِّ لِيُطَهَّرُوا بَيْتَ الرَّبِّ. [١٥]

كان لغيرة الملك فاعلية في حياة هؤلاء المذكورين للعمل لتطهير بيت الرب، بل جمعوا إخوتهم ليعمل الكل "حسب أمر الملك بكلام الرب". وكأنَّ كلام الرب عمل في قلب الملك، فدفع اللاويين والكهنة، وهؤلاء دفع بعضهم البعض ليعمل الكل في تطهير بيت الرب.

ماذا يعني بتطهير بيت الرب؟

١. لقد تراكمت الأتربة العامة أثناء إهماله وغلقه.
٢. تطهيره من الأصنام ومذابح الأوثان التي أقيمت فيه، وتُحسَب قذارة تُلوث هيكل الرب أكثر من التراب والعنكبوت.

وَدَخَلَ الْكَهَنَةُ إِلَى دَاخِلِ بَيْتِ الرَّبِّ لِيُطَهِّرُوهُ،
وَأَخْرَجُوا كُلَّ النَّجَاسَةِ الَّتِي وَجَدُوهَا فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ إِلَى دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ،
وَتَنَاوَلَهَا اللَّاويُونَ لِيُخْرِجُوهَا إِلَى الْخَارِجِ إِلَى وَادِي قَدْرُونَ. [١٦]

لم يكن يُسَمَحُ لللاويين أن يدخلوا القدس، فدخل الكهنة ونظفوا وكانوا يحملون الأتربة إلى خارج القدس، ويحملها اللاويون ليلقوها بعيدًا.

وَشَرَعُوا فِي التَّقْدِيسِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ.
وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ انْتَهَوْا إِلَى رِوَاقِ الرَّبِّ،
وَقَدَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ،
وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ انْتَهَوْا. [١٧]

جاء في الترجوم: [بدأوا في اليوم الأول من الشهر الأول، أي نيسان^١].
تواضعه مع محبته وغيرته... هذا كله دفع اللاويين بكل همّة، فقاموا بتطهير الهيكل من الرجاسات في مدة أسبوعين [١٧].

بسرعة فائقة وهمة وجدية بدأوا في بداية الشهر الأول، وكان ذلك العمل يُبَسَّرُ بعامٍ جديدٍ مباركٍ.
طَهَرُوا الْهَيْكَلَ فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، وَقَدَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ أُخْرَى.

وَدَخَلُوا إِلَى دَاخِلِ إِلَى حَرْقِيَا الْمَلِكِ وَقَالُوا:
قَدْ طَهَرْنَا كُلَّ بَيْتِ الرَّبِّ وَمَذْبَحِ الْمُحْرِقَةِ وَكُلِّ آبِيَّتِهِ،
وَمَائِدَةَ خُبْزِ الْوُجُوهِ وَكُلِّ آبِيَّتِهَا. [١٨]

وَجَمِيعُ الْآبِيَّةِ الَّتِي طَرَحَهَا الْمَلِكُ آحَازُ فِي مَلِكِهِ بِخِيَانَتِهِ قَدْ هَيَّأْنَاهَا وَقَدَّسْنَاهَا،
وَهَا هِيَ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ. [١٩]

طرح آحاز آنية بيت الرب، أي نبذها ولم يستعملها، بل استعمل أشياء تتفق مع العبادة الوثنية،

¹ Adam Clarke Commentary.

هذا بجانب ما قام بتكسيه مثل ثيران النحاس.

قدّموا تقريراً لحزقيا الملك عما فعلوه في سنة عشر يوماً، لا لينالوا مكافأة مادية، إنما ليخبروه بأن كل ما كان نجساً قد تطهّر حسب الشريعة، وصار مهياً للاستخدام.

أبرز السفر أن الظلمة الحالية التي سببها آحاز بدأت تنقشع بالنور الذي أشرق في المقدس في أيام حزقيا. جاء في الترجوم: [جميع الآنية التي دنّسها آحاز بالأصنام الغريبة، وصارت بغيضة عندما تسلط (آحاز) في عصيان ضد كلمة الرب، قد جمعناها وأخفيناها، واستبدلناها بآنية أخرى وضعناها الآن أمام الرب].¹

نجح عدو الخير في إبعاد الشعب عن الله في أيام آحاز، وجاء حزقيا رمزاً للمسيح الذي يُجدّد القلوب لمجده الإلهي.

٣. التكفير عن خطايا الحكم السابق

وَبَكَرَ حَزَقِيَّا الْمَلِكُ وَجَمَعَ رُؤَسَاءَ الْمَدِينَةِ،

وَصَعِدَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. [٢٠]

صعد الملك وجميع رؤساء المدينة إلى بيت الرب في اليوم التالي من تقديم التقرير له. لم يرد أن يضيع وقتاً.

فَأَتَوْا بِسَبْعَةِ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةِ كِبَاشٍ وَسَبْعَةِ خِرْفَانٍ وَسَبْعَةِ ثِيُوسٍ مِعْرَى،

ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ عَنِ الْمَمْلَكَةِ وَعَنِ الْمَقْدِسِ وَعَنْ يَهُودًا.

وَقَالَ لِبَنِي هَارُونَ الْكَهَنَةِ أَنْ يُصْعِدُوهَا عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ. [٢١]

هذه الذبائح أكثر مما طلبتها الشريعة (لا ٤: ١٣). فقد طلبت ثوراً واحداً أو عجلاً عن خطايا الشعب، وكتبشاً واحداً عن خطايا الملك (الرئيس). ما ورد في سفر اللاويين يقصد الخطايا التي عن جهل، أما حزقيا فأراد أن يُقدّم ذبائح عن كل الخطايا مثل عبادة الأوثان، والارتداد عن الإيمان، وتدنيس الهيكل. هذا بجانب ذبائح لتقديس الهيكل والكهنة ويهوذا. لذلك قدّم أكثر مما طلبته الشريعة.

قدّم الكهنة بنو هرون ذبائح خطية عن المملكة [٢١]، تكفيراً عن جميع إسرائيل [٢٤]. فالتطهير

لن يتحقّق بدون دم الذبيحة، أي لا ننعّم بالمغفرة إلا بالمسيح الذي صار ذبيحة خطية.

قدّمت الذبائح عن الملك والرؤساء، عن الكهنة وكل الشعب (لا ٤: ١٣-١٤؛ عد ١٥: ٢٤-

¹ Adam Clarke Commentary.

فَذَبَحُوا الثِّيْرَانَ وَتَنَاوَلُ الْكَهَنَةُ الدَّمَ، وَرَشُوهُ عَلَى الْمَذْبَحِ،
ثُمَّ ذَبَحُوا الْكِبَاشَ وَرَشُوا الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ،
ثُمَّ ذَبَحُوا الْخِرْفَانَ وَرَشُوا الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ. [٢٢]
ثُمَّ تَقَدَّمُوا بِنْيُوسِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيئَةِ أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهَا [٢٣]

فُذِّمَت ذَبِيحَةُ الْخَطِيئَةِ أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْجَمَاعَةِ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهَا، مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى مَنْ يَحْمِلُ عَنْهُمْ خَطَايَاهُمْ. وَضَعَ الْأَيْدِي عَلَى الذَّبِيحَةِ اعْتِرَافًا عَلَنِي أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ وَمُسْتَحَقُونَ الْمَوْتِ، وَإِذْ يَلْقُونَ بِالْخَطِيئَةِ عَلَى رَأْسِ الذَّبِيحَةِ، فَتَمَوْتَ الذَّبِيحَةَ عَنْهُمْ.

وَذَبَحَهَا الْكَهَنَةُ،

وَكَفَرُوا بِدِمِهَا عَلَى الْمَذْبَحِ تَكْفِيرًا عَنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ،

لَأَنَّ الْمَلِكَ قَالَ إِنَّ الْمُحْرَقَةَ وَذَبِيحَةَ الْخَطِيئَةِ هُمَا عَنْ كُلِّ إِسْرَائِيلَ. [٢٤]

كَانَ يَلْزِمُ الْكَهَنَةَ وَاللَّوِيِّينَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَبَعْدَ التَّطَهُّيرِ تَقَدَّمَ ذَبِيحَةَ الْخَطِيئَةِ [٢٠-٣٠] عَنِ الْمَمْلَكَةِ وَالْمَقْدَسِ وَيَهُودًا.

حزقيا هو أول ملك ليهودا رغب في تطهير كل إسرائيل، وأن يصعدوا إلى اورشليم ليعيدوا هناك. لقد حطمت آشور مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م، قبل اعتلاء حزقيا العرش بست سنوات. قام الآشوريون تحت حكم الإمبراطور سرجيون الثاني بترحيل أعداد كبيرة من شعب إسرائيل إلى مناطق بعيدة في الهلال الخصيب. وقد تبقَّى عدد قليل منهم في إسرائيل. شعر حزقيا الملك بمسئوليته عن هذا الشعب المُتَبَقِّي، وأن يعمل على وحدة إسرائيل أو المملكتين ما استطاع. هذه النية تظهر بالأكثر في الأصحاحات التالية. في هذا الأصحاح قدَّم الكهنة الذبائح تكفيرًا عن كل إسرائيل [٢٤]، وأُصْعِدَتِ الْمُحْرَقَةُ مَعَ التَّسَابِيحِ بِاسْمِ كُلِّ إِسْرَائِيلِ [٢٧].

❖ كانت هذه الذبائح رموزًا، تنبأت عن الذبيحة الواحدة المُخْلِصَةِ. فإننا لم نُتْرَكْ نحن بدون ذبيحة (المسيح المصلوب) نُقَدِّمُهَا لِلَّهِ...

قَدِّمُ بِالتَّأَكِيدِ فِي نَفْسِكَ مَا تَرِيدُ أَنْ نُقَدِّمَهُ...

لا تطلب أن تذبح قطيعًا من الخارج، إنما يوجد داخلك ما تذبحه!

القديس أغسطينوس

٤ . الاهتمام بذبائح التسبيح والمحرقات

وَأَوْقَفَ اللَّاوِيِّينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِصُنُوجٍ وَرَبَابٍ وَعِيدَانٍ،
حَسَبَ أَمْرِ دَاوُدَ وَجَادَ رَائِي الْمَلِكِ وَنَاثَانَ النَّبِيِّ،
لَأَنَّ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ الْوَصِيَّةَ عَنْ يَدِ أَنْبِيَائِهِ. [٢٥]

حسب أمر داود: أي بحسب النظام الذي وضعه داود وجاد وناثان، ونلاحظ أن الفرح والتسبيح تحققا بعد التمتع بمغفرة الخطايا.

❖ الآن إذ نجتمع مع بعضنا البعض في الكنيسة نُسَبِّحُ الله، ولكن عندما يذهب كل واحدٍ إلى عمله يبدو كمن تَوَقَّفَ عن تسبيح الله. لكن، لئنه لا يتوقَّفَ أحد عن الحياة المستقيمة، فيكون مُسَبِّحًا لله على الدوام. إنك تتوقَّفَ عن التسبيح لله عندما تحرف عن العدل وعن كل ما يسرُّ الله. ولكن إن كنت لا توقف عن الحياة المستقيمة فإن حياتك بليغة، وتفتح أذن الله لقلبك^١.

❖ كل ما تفعله، افعله حسنا، بهذا تُسَبِّحُ الله^٢.

❖ هناك نستريح، وهناك نرى. سنرى ونحب، سنحب ونُسَبِّحُ!^٣

❖ إن كان حتى الملائكة الذين طبيعتهم بسيطة وروحية يُقَالُ إن لهم ألسنة بها يُرْتَمون التسابيح لإلههم وخالقهم، ويُقدِّمون له تشكرات بغير انقطاع، كم بالأكثر الأجساد الروحية التي للبشر يفعلون هذا بعد القيامة، فإن كل أعضاء الجسد المجد يكون لها ألسنة في أفواههم، تعطي صوتاً لألسنتهم المتحدثة، وهكذا ينطقون بتسابيح إلهية تفيض بكلمات حبهم وأفراحهم التي تملأ أحاسيسهم^٤.

القديس أغسطينوس

❖ التسبيح في ذاته صالح، والمزمور يُقدِّم خيرات كثيرة: إنه يعزل العقل عن الأرض، ويعطي النفس أجنحة، ويجعل (الأجنحة) خفيفة قادرة على الطيران في الجو. لهذا يقول بولس: "مترنمين ومرتلين

¹ On Ps 148:2.

² Letter 130:19.

³ City of God 22:30.

⁴ Letter, 94.

في قلوبكم للرب" (أف ٥ : ١٩) ... توجد حاجة للتسبيح من أجل حياة المرتل وصلاته والتوفيق^١.

❖ لتشكر الله ولتُسَبِّحْ ذاك الذي يختبرك في الأتون. لتتطق بالتسبيح عوض التجديف، هذا هو الطريق الذي به عبّر ذاك الطوباوي عن نفسه^٢.

❖ هذا هو الطريق الذي به قدّم أيوب ذبيحة (تسبيح) بالرغم من الأحزان المرعبة التي فوق الطاقة البشرية قد حلت به^٣.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَوَقَفَ الدَّالِيُّونَ بِآلَاتِ دَاوُدَ وَالْكَهَنَةَ بِالْأَبْوَاقِ. [٢٦]

بعد إتمام الكفارة، صار ممكناً تقديم التسبيح للرب. بعد أن قدّمت ذبيحة الخطية قدّمت ذبائح المحرقة مع الضرب بالأبواق والغناء بنشيد الرب. فمع اعترافنا بخطايانا، نُقدّم ذبائح الحمد والتسبيح والشكر كمحرقة حب لله. نحن في حاجة لا إلى غفران خطايانا فحسب، وإنما يرافقها تهليلنا بحب الله ورحمته!

الضرب بالأبواق يقوم به الكهنة، لأنها تشير إلى كلمة الله أو الوصية الإلهية، إذ يلتزم الكهنة أن يحثوا الكل على الطاعة للوصية.

وَأَمَرَ حَرْقِيًّا بِإِصْغَادِ الْمُحْرَقَةِ عَلَى الْمَذْبَحِ.

وَعِنْدَ ابْتِدَاءِ الْمُحْرَقَةِ،

ابْتَدَأَ نَشِيدُ الرَّبِّ وَالْأَبْوَاقُ بِوَاسِطَةِ آلَاتِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. [٢٧]

في أيام آحاز توقفت خدمة الله اليومية، ففقد الشعب تمتعه بتقديم ذبائح الحمد والشكر والتسبيح، كما فقدوا الفرح الداخلي.

❖ تخرج هذه الذبيحة من كل القلب، وتتغذى على الإيمان، وتراعي الحق. تدخل في براءة ونقاوة، في عفة، تتزين بالحب. ويلزمنا أن نحرصها بعظمة الأعمال الصالحة، مُقدّمين مزامير وتسابيح على مذبح الله لننال كل الأشياء منه^٤.

العلامة ترتليان

¹ On Ps. 147.

² On Ps 128.

³ On Ps. 50.

⁴ Tert. On Prayer 28.

وَكَانَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ يَسْجُدُونَ وَالْمَعْتُونَ يُعْتُونَ وَالْمُبَوَّقُونَ يَبُوقُونَ،

الْجَمِيعُ، إِلَى أَنْ انْتَهتِ الْمُحْرَقَةُ. [٢٨]

وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الْمُحْرَقَةِ، خَرَّ الْمَلِكُ وَكُلُّ الْمُؤْجِدِينَ مَعَهُ وَسَجَدُوا. [٢٩]

وَقَالَ حَزَقِيَّا الْمَلِكُ وَالرُّؤَسَاءُ لِلأَوِيِّينَ،

أَنْ يُسَبِّحُوا الرَّبَّ بِكَلَامِ دَاوُدَ وَأَسَافَ الرَّائِي،

فَسَبِّحُوا بِابْتِهَاجٍ وَخَرُّوا وَسَجَدُوا. [٣٠]

قيل إنهم يُسَبِّحون الرب بكلام داود بكونه ملك إسرائيل قبل الانقسام [٣٠]، ويقصد بكلام داود التسبيح بالمزامير. إن كانت الخطية قد جلبت جواً من الحزن والكآبة، فإن التمتع بالمغفرة والشركة مع الله، خاصة في بيته، خلال ذبيحة المسيح، تُحوّل حياتنا إلى محفلٍ مفرحٍ ومتهللٍ. سجد الملك وكل الموجودين معاً أمام الله، يُعلن أنهم قد صاروا في شركة مع السمائيين الذين يُسَبِّحون له، ويسجدون "فسبّحوا بابتهاج وخرّوا وسجدوا" [٣٠].

ثُمَّ قَالَ حَزَقِيَّا: الْآنَ مَلَأْتُمْ أَيْدِيكُمْ لِلرَّبِّ.

تَقَدَّمُوا وَأَتُوا بِذَبَائِحٍ وَقَرَابِينَ شُكْرٍ لِبَيْتِ الرَّبِّ.

فَأَتَتِ الْجَمَاعَةُ بِذَبَائِحٍ وَقَرَابِينَ شُكْرٍ وَكُلُّ سَمُوحِ الْقَلْبِ أَتَى بِمُحْرَقَاتٍ. [٣١]

ملأ الشعب أيديهم، أي قدّموا ذبائح وقربان شكر لبنيان الرب قدر المستطاع [٣١ الخ]، وقاموا بتكريس العبادة لله وحده وعدم الشركة في العبادة الوثنية. سموح القلب، أي بقلبٍ حرٍ متهللٍ، لا يسقط تحت مرارة الإحباط، يعطي بسخاءً.

وَكَانَ عَدَدُ الْمُحْرَقَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا الْجَمَاعَةُ،

سَبْعِينَ نَوْراً، وَمِئَةٌ كَبِشٍ، وَمِئَتِي خُرُوفٍ.

كُلُّ هَذِهِ مُحْرَقَةٌ لِلرَّبِّ. [٣٢]

قدّم الشعب عطاياهم بسخاءً، لكنها لم تكن بوفرةٍ كما في أيام سليمان، أولاً لأن كل الأسباط كانوا يمثلون مملكة واحدة، أما حزقيا فكان ملكاً على مملكة يهوذا التي انشق عنها العشرة أسباط (مملكة إسرائيل). ومن جانبٍ آخر كان الشعب في فقرٍ، ولا ننسى أن سلسلة الملوك الأشرار أضعفت حالة النقوى.

وَالأُقْدَاسُ سِتُّ مِئَةٍ مِنَ البَقَرِ، وَثَلَاثَةُ أَلْفٍ مِنَ الضَّأْنِ. [٣٣]

إِلَّا إِنَّ الْكَهَنَةَ كَانُوا قَلِيلِينَ،
فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَسْلُخُوا كُلَّ الْمُحْرَقَاتِ،
فَسَاعَدَهُمْ إِخْوَتُهُمُ اللَّاويُونَ حَتَّى كَمِلَ الْعَمَلُ،
وَحَتَّى تَقْدَسَ الْكَهَنَةُ.

لأنَّ اللاويين كانوا أكثر استقامة قلب من الكهنة في التقدُّس. [٣٤]

بالنسبة لذبائح السلامة وغيرها، كان اللاويون يقومون بذبحها وسلخها. أما المُحْرَقَات التي تُحْرَق بكاملها على المذبح، فلا يلمسها إلا الكهنة، ماعدا في الظروف الاستثنائية كما في هذه الحالة. كان عدد اللاويين أكثر من الكهنة، وأكثر استقامة قلب في التقديس [٣٤]، على عكس ما حدث بعد العودة من السبي كما يظهر في عزرا ونحميا.

لا ننسى أن بعض الكهنة حُرِّموا من العمل في بيت الرب، لأنهم خدموا في المرتفعات.

وأيضاً كانت المُحْرَقَاتُ كَثِيرَةً بِشَحْمِ ذَبَائِحِ السَّلَامَةِ وَسَكَابِ الْمُحْرَقَاتِ.

فَاسْتَقَامَتْ خِدْمَةُ بَيْتِ الرَّبِّ. [٣٥]

قدَّم البعض ذبائح سلامة التي أُحرق دهنها على المذبح، وقُسم اللحم بين الكهنة ومقدميها.

وَفَرِحَ حَزَقِيَّا وَكُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ الشَّعْبَ،

لأنَّ الأَمْرَ كَانَ بِعُتَّةٍ. [٣٦]

إذ كان الملك يتحرَّك بسرعة بقلبه الناري، واشتياقه لفتح هيكل الرب، وإعادة العبادة فيه، فرح الملك، وكان الأمر بالنسبة للشعب قد تحقق فجأة (بعتة).

سرُّ النجاح هو عمل الرب نفسه بقوة وبعته، إذ أعدَّ الشعب لذلك [٢٥-٣٦]. هكذا تحقق رجوع

الملك والقادة والشعب خلال عمل نعمة الله.

الطهارة والنجاح

❖ استلم حزقيا العرش، وهو شاب في الخامسة والعشرين.
ورث دولة مُثْقَلَةٌ بالفساد والخراب.
نشأ وتربى لدى أب يتحدّى الله وأنبياءه.
أما حزقيا فأمال أذنيه لله ولأنبيائه.
أدرك منذ صباه أن الطهارة وراء النجاح.
ومن أين يَتَمَنَّى القادة والشعب بالطهارة وأبواب بيت الله مغلقة؟
كيف ينجحون، وهم لا يَتَمَتَّعون بفرح الروح؟
لقد وضع الملك أساس برنامجه: العبادة المقدسة الطاهرة!

❖ في السنة الأولى فتح بيت الرب.
اجتمع بالكهنة واللاويين لِيُلْهَبَ قلوبهم بحُبِّ القداسة.
طلب أن يبدأ كل منهم بنفسه.
فإن لم تتطهر نفسه من الرجاسات، كيف يهتم بقدسية بيت الله؟
وإن لم يهتم بقدسية بيت الرب، كيف يتقدّس الشعب؟
ألهب حزقيا قلوبهم بالغيرة على تقديس حياتهم.
تقدّس الكل، فصاروا جماعة مقدسة.

❖ انطلقت الجماعة المقدسة لتطهير بيت الرب.
أخرجوا النجاسة من المقدس،
أزالوا الأوثان، وكل آثارها، من بيت الرب.
كانت دموع قلبه، تنسكب أمام عرش الله.

❖ كانت دموع فرح،
لأن الله وهبه أن يُزِيلَ النجاسة
من قلوب الكهنة واللاويين، وأيضاً من بيت الرب.
كانت دموع حزن على آباءه،

الذين أُصِرُّوا على غلق بيت الرب،
إذ لم يطيقوا الشركة مع السماوي.

❖ كسروا الوعد القائم بين الله وشعبه.

أطفأوا السرج، إذ أُحِبُّوا الظلمة لا النور.
صاروا عبيدًا لإبليس رئيس مملكة الظلمة.
ورفضوا البنوة لله واهب النور،
المُشْرِقِ على الجالسين في الظلمة،
تسللت الدموع، وقد حان الوقت لإيقاد البخور.
تأمل السماء وهي تتهلل ببخور الصلوات.
عوض رائحة العناد والنجاسة والفساد.

❖ كيف كانت مشاعر الملك وقد قَدَّمَ الكهنة الذبائح،

عن الكهنة واللاويين والرؤساء مع الشعب.
رأى ذبيحتك على الصليب خلال الذبائح الحيوانية،
فتهللت نفسه، ورقص قلبه كما مع السمائيين.

❖ الآن وقد تَقَدَّسَ بيت الرب القدوس،

فماذا جال في فكر حزقيا الملك؟
عاد فكره إلى أجيال سابقة ليرى ماذا فعل آباؤه؟
رأهم في قلقٍ واضطرابٍ ومرارةٍ داخلية.
رأى الأمم الشامتة تصفّر وتسخر بهم.
وها هو الشعب اليوم في فرحٍ وتهليلٍ ونصرةٍ.
رأى في آبائه مئات الألوف من القادة والجنود والشعب سقطوا بسيف الأعداء.
رأهم وقد قَيَّدَهم إبليس بسلاسل الخطية.
وسحبهم في مذلَّةٍ وعارٍ وخزيٍ إلى الجحيم.

❖ الآن تحوَّلت أورشليم إلى حفلٍ بهيجٍ.

قُدِّمَتْ ذبائح كثيرة عن خطايا الكل.

هوذا اللاويون يعزفون ويُسَبِّحون.

قد صاروا أشبه بأعضاء في خورُس السماء.

وهوذا الكهنة يضربون بالأبواق الفضيّة.

إنهم يدعون الجميع للاستماع لصوت الرب.

ويقبلون وصاياهِ كحليّ يزِينُهُم،

ويسكب على نفوسهم جمالاً فائِئاً.

❖ هَبْ لي يا رب مع حزقيا أن أتقدّس بروحك القدس.

وتتقدّس حواسي وعواظفي وكل طاقاتي.

فتحوّل أعماقي إلى بيتٍ مقدسٍ لك.

تُقيم ملكوتك في داخلي،

يصعد منه بخور عطر، يحمل رائحتك المقدسة.

وتعرس فيه صليبك الذي يُحطّم قُوَى إبليس.

ويُحوّل إنساني الداخلي إلى خورُس لا يكف عن التسبيح لك.

الأصحاح الثلاثون

حزقيا يدعو المملكتين لعيدي الفصح والفطير

لم يختبر الشعب الفرح الحقيقي والمحافل المقدسة منذ أيام سليمان بن داود [٢٦]. بالرغم من الظروف التي تبدو صعبة للغاية وطول مدة الحرمان من المحافل المقدسة وانقسام الشعب إلى مملكتين، آمن حزقيا بأن إله المستحيل لا يصعب عليه شيء. احتفل بالفصح بصورة لا مثيل لها. حقاً لم يكن لدى الكثيرين خبرة هذا العيد المجيد غير أن الله أعلن نعمته ورحمته [٦-٩]. يظهر حنو الله وطول أناته وشوقه لخلاص الجميع إن أمكن، وذلك بعدم الالتزام بالحرف بالنسبة للكهنة الذين لم يتطهروا عن جهلٍ وعدم خبرة، وليس عن استهتارٍ وتهاونٍ. هذا بجانب السماح بامتداد فترة الفرح [٢٦].

في هذا الأصحاح نرى حزقيا ملك يهوذا يدعو المملكتين للمجيء إلى بيت الرب في أورشليم للاحتفال بعيد الفصح.

١. دعوة المملكتين للاحتفال بالعيد ١
٢. تأجيل الاحتفال للشهر الثاني ٢-٥
٣. الحث على الاحتفال ٦-١٢
٤. إقامة الاحتفال بالعيد ١٣-٢٧

١. دعوة المملكتين للاحتفال بالعيد

وَأَرْسَلَ حَزَقِيَّا إِلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا،
وَكَتَبَ أَيْضًا رِسَائِلَ إِلَى أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى،
أَنَّ يَأْتُوا إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ،
لِيَعْمَلُوا فِصْحًا لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. [١]

سبق أن شنَّ أبوه حرباً على المملكة الشمالية، وسقط كثير من يهوذا أسرى، وكان الكل يتوقع أن حزقيا سينتقم من إسرائيل. لكن قلب حزقيا المُلتهب بالحب لله، والرغبة في إعادة فتح أبواب الهيكل بأورشليم، وإزالة العبادة الوثنية دفعه بعد تطهير بيت الرب أن يدعو أبناء المملكة الشمالية ليأتوا ويعبدوا الله. إنها روح عظيمة مُتسعة بالحب لله وللإخوة! بعث برسائل إلى أفرايم ومنسى لأنهما أقرب أسباط مملكة الشمال إلى يهوذا.

يبدو أن ملك إسرائيل في ذلك الوقت هو هوشع بن إيلة، وهو من أحسن ملوكها، تسامح مع دعوة حزقيا عكس الملوك السابقين الذين كانوا يمنعون الشعب من الصعود إلى أورشليم.

٢. تأجيل الاحتفال للشهر الثاني

فَتَشَاوَرَ الْمَلِكُ وَرُؤَسَاؤُهُ وَكُلُّ الْجَمَاعَةِ فِي أُورُشَلِيمَ،

أَنْ يَعْمَلُوا الْفِصْحَ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي [٢]

تسلّم حزقيا العرش، وكان بيت الرب به دنس العبادة الوثنية، لم يتسرّع بالاحتفال بعيد الفصح في موعده "الشهر الأول"، بل قام بالتشاور مع الرؤساء وكل الجماعة في أورشليم أن يعملوا الفصح في الشهر الثاني بعد تطهير بيت الرب وتقديس الكهنة. لم ينتظر ليقيم الاحتفال في الشهر الأول للسنة الثانية من تولّيه العرش للاحتفال به في موعده لثلاث يتسلّل الفطور إلى قلوب الشعب. اعتمد على نص في الناموس يسمح لغير الطاهر في الشهر الأول أن يُقيم الفصح في الشهر الثاني (عد ٩: ١-١٣). سبق حزقيا الملك زمانه، إن صح التعبير، فمع حرصه الشديد على تنفيذ الوصية الإلهية والطاعة لقوانين الشريعة، لم يكن حرفياً في التنفيذ. ففي موضوع اختيار ميعاد الاحتفال بعيد الفصح، كان أمامه ثلاثة بدائل، يلزمه اختيار أحدها، وهي:

١. أن يُنمّم الشريعة حرفياً، وهذا يتطلب أمرين، وهما تقديس الكهنة واللاويين والهيكل من كل آثار للوثنية ورجساتها التي تسلّلت إليهم في السنوات الطويلة المظلمة، والاحتفال في الشهر الأول من السنة. هذا يتحقق بأن يُقيم الاحتفال في الشهر الأول من السنة الثانية. لكن هذا الانتظار لمدة سنة قد يطفئ غيرة البعض لذلك لم يقبله الملك.

٢. يُقيم الاحتفال في الشهر الأول من السنة الأولى، بهذا يتم بدون تقديس اللاويين والكهنة والهيكل، وهذا فيه كسر لوصية جوهرية، وهي الالتزام بالقداسة والطهارة. هذا الرأي لا يليق قبوله، لأن القدوس لا يُسرّ بتجاهل القداسة والطهارة.

٣. البديل الثالث والذي يتطلب قلباً سالكاً بالروح، وهو تأجيل الاحتفال للشهر الثاني من السنة الأولى. الانتظار للشهر الثاني وإن كان مخالفاً لحرفية الشريعة وليس لروح الشريعة، مادام التأخير ليس بسبب إهمالٍ أو تراخٍ، إنما لكي مع الغيرة يوجد التقديس. هذا هو الاختيار الذي أخذ به الملك. بجانب أن الانتظار لمدة شهر تقريباً يُعطي فرصة لدعوة الذين في مملكة الشمال للاشتراك في الاحتفال.

❖ اليهود هم مثل أولاد تحت إشراف مُعَلِّم. الناموس هو مُعَلِّمنا، يُحْضِرنا إلى السيد، والمسيح هو سيدنا... المُعَلِّم نخافه، والسيد يشير إلى طريق الخلاص. الخوف يحضرننا إلى الحرية، والحرية إلى الإيمان، والإيمان إلى الحب، والحب يجلب بنوة، والبنوة تجلب ميراثًا. لذلك حيث يوجد الإيمان تُوجَد حرية، لأن العبد يعمل في خوفٍ، والحر يعمل بالإيمان. **الأول تحت الحرف، والثاني تحت النعمة. الأول في عبودية، والآخر في الروح. "وحيث روح الرب فهناك حرية"¹.**

❖ جاء الرب يسوع، وأحضر العهد الجديد، وما صنعه (قبلاً) صار قديمًا. تَجَدَّد المسيحي وشاخ اليهودي؛ النعمة تجددت، والحرف شاخ. لقد **تزرحت الجبال وانتقلت**. نعم لقد زرح المفهوم الذي بحسب الحرف، وهدمه، وأقام الإدراك الذي بحسب الروح. لهذا فإن فهم الناموس حسب الجسد قد عبر وصار الناموس روحيًا. لهذا يقول الرسول: "فإننا نعلم أن الناموس روحي، وأما أنا فجسدي" (رو ٧: ١٤). ولكن هو نفسه الذي كان جسديًا صار روحيًا، كما يؤكد الرسول، قائلاً: "أظن إني أنا أيضًا عندي روح الله" (١ كو ٧: ٤٠). هكذا جعل يسوع هذه الجبال تشيخ، ولم يعلم اليهود ذلك. حقًا لو عرفوا ذلك لما صلبوا رب المجد، ولما اتَّبَعوا الخرافات اليهودية².

القديس أمبروسيوس

يُعلِّق العلامة أوريجينوس على الكلمات: "عيناك حمامتان" (نش ١: ١٥) بقوله:

❖ من المؤكد أن مقارنة عينيها بالحمام، عائد إلى أنها الآن تفهم المكتوب الإلهي، ليس بحسب الحرف بل وفقًا للروح. وتدرك فيه أسرارًا روحانية. **فالحمامة رمز للروح القدس (مت ٣: ١٦).** يتحقق فهم الناموس والأنبياء بالمعنى الروحي بأن يكون لنا عينا الحمام... النفس التي مثل هذه، تصبو في المزمور لأن يُعطى لها جناحا حمامة (مز ٦٨: ١٣)، حتى تصير لها القدرة أن تطير **عاليًا في فهمها للأسرار الروحية. وأن تريض في أروقة الحكمة.**

❖ "ملكوت الله في داخلكم" (لو ١٧: ٢١)... وذلك من أجل التوبة عن الحرف إلى الروح المحيي؛ "إذ يرجع أحد إلى الرب يُرفع البرقع"³.

❖ من يُفسِّر الناموس حسب الجسد، أي حسب الحرف، لا يأتي إلى المسيح الذي هو الحياة⁴.

¹ Letters to Laymen, 69.

² The Prayer of Job and David, Book 1, 5:12.

³ Commentary on Matthew, 10:14

⁴ Commentary on Romans (8: 6).

العلامة أوريجينوس

❖ لقد تسلمتم الناموس، وأنتم تريدون أن تحفظوه، لكنكم عاجزون عن ذلك... اشتاقوا إلى المسيح. اعترفوا له، آمنوا به. لقد أضيف الروح إلى الحرف فتخلصون. فإنك إن نزعت الروح عن الحرف "الحرف يقتل". وإن قتل، فأين الرجاء؟ "أما الروح فيحيي" (٢ كو ٣: ٦)^١.

القدیس أغسطينوس

لَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،

لَأَنَّ الْكَهَنَةَ لَمْ يَتَقَدَّسُوا بِالْكَفَايَةِ،

وَالشَّعْبَ لَمْ يَجْتَمِعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٣]

تأخير الفصح شهراً أعطى لحزقيا فرصة لدعوة كل إسرائيل بما فيهم البقية التي تبقت في مملكة الشمال بعد الدمار الذي فعله الآشوريون في المملكة منذ ست أو سبع سنوات. هذه الدعوة التي وُجِّهت لمملكة الشمال، قوبلت بالرفض من الأسباط الكبرى، لكنها وجدت قبولا من كثيرين كأفراد. بعد قرنين من الزمان نرى حُجَّاجًا يأتون من الجبل إلى أورشليم.

تحققت الوحدة بين الجليل ويهوذا بفضل مجهودات حزقيا الملك. فقد جاء الجليليون إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح، وقد ذاقوا مرارة الانقسام الذي دام في ذلك الوقت قرنين من الزمان. لقد وجدوا ترحيباً من رجال يهوذا، بهذا تأهل حزقيا أن يحمل سمة داود واسمه. كانت إحدى نساء حزقيا من الجليل، وأيضا زوجة ابنه (٢ مل ٢٣: ٣٦؛ ٢١: ١٩).

اعتاد بعضهم على الذهاب إلى أورشليم للاحتفال بالعيد، حتى أيام السيد المسيح (لو ٢: ٤١ - ٤٢؛ يو ٧: ٩-١٠). وكان من السهل التعرف على الجليليين من لهجتهم فقد عرف بطرس أنه جليلي (مر ١٤: ٧٠)، وأيضا بعض التلاميذ (أع ٢: ٧).

فَحَسَنَ الْأَمْرُ فِي عَيْنِي الْمَلِكِ وَعُيُونِ كُلِّ الْجَمَاعَةِ. [٤]

فَاعْتَمَدُوا عَلَى إِطْلَاقِ النَّدَاءِ فِي جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْتِ سَعِجٍ إِلَى دَانَ،

أَنْ يَأْتُوا لِعَمَلِ الْفِصْحِ لِلرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ فِي أُورُشَلِيمَ،

لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوهُ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ. [٥]

"لم يعملوه كما هو مكتوب": يرى البعض أن هذه العبارة تعني أنهم لم يحفظوه في كمال عدده كما

¹ Sermon on N.T. Lessons, 86:5.

هو مكتوب. بمعنى أن اليهود في مملكة الشمال لم يحفظوا هذا الفصح كما تتطلب الشريعة^١، لأن ملوكهم لم يسمحوا لهم بالذهاب إلى الهيكل في العيد.

٣. الحث على الاحتفال

فَذَهَبَ السَّعَاءُ بِالرَّسَائِلِ مِنْ يَدِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَائِهِ فِي جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا،
وَحَسَبَ وَصِيَّةَ الْمَلِكِ كَمَا نَقُولُونَ:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، ارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ،
فَيَرْجِعَ إِلَى النَّاجِينَ الْبَاقِينَ لَكُمْ مِنْ يَدِ مُلُوكِ أَشُورَ. [٦]

السعاة: هم رسل حاملون رسائل يتسمون بسرعة الحركة ويلزم أن يكونوا موضع ثقة الراسل إياهم. كان هؤلاء السعاة يمثلون فريقًا من حراس الملك^٢.

واضح من هذه العبارة أن هذه الرسالة بُعِثَ بها بعد السبي الأشوري لإسرائيل.

وَلَا تَكُونُوا كَأَبَائِكُمْ وَكَإِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ خَانُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ،
فَجَعَلَهُمْ دَهْشَةً كَمَا أَنْتُمْ تَرُونَ. [٧]

الآن لا تصلبوا رقابكم كأبائكم،

بَلْ اخْضَعُوا لِلرَّبِّ وَادْخُلُوا مَقْدِسَهُ، الَّذِي قَدَّسَهُ إِلَى الْأَبَدِ،
وَاعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ، فَيَرْتَدَّ عَنْكُمْ حُمُومُ غَضَبِهِ. [٨]

لأنه يرجعكم إلى الرب يحد إخوتكم وبنوكم رحمة أمام الذين يسبونهم،
فيرجعون إلى هذه الأرض،

لأن الرب إلهكم حنانٌ ورحيمٌ ولا يحول وجهه عنكم إذا رجعتم إليه. [٩]

صورة رائعة عن ارتباط التوبة بمحبة الإخوة، فإنه إذ يرجع الإنسان إلى الله لا يتمتع وحده برحمة الله وحنانه وتطلع وجه الله إليه، إنما يتمتع معه إخوته وبنوه. فعندما رفع نحما قلبه الله طالباً مرحام الله ومعتزلاً باسمه وباسم بيت آبائه بخطاياهم تمتع الشعب بالرحمة الإلهية. فلا نعجب إن رفع المؤمن قلبه طالباً أن يهبه الله التوبة، قائلاً: "اجذبني وراعك فنجري... نبتهج ونفرح بك" (نش ١: ٤). فبصيغة المفرد يقول اجذبني، وبصيغة الجمع يقول "فنجري، نبتهج ونفرح بك". حين يرتفع قلب المؤمن إلى الله، يجذب معه قلوب الكثيرين للتمتع بالشركة مع الله.

¹ Barnes' Notes.

² Barnes' Notes.

هذا هو سرُّ الصليب وفاعليته، إنه يحمل قوة الشهادة والجادبية، وسرُّ البهجة والفرح! إذ تتمتع نفسي بك، وتكون أنت في داخلي، وأصير أنا فيك، يتعرّف الناس عليك خلاي ويطلبونك، حينئذ تمتلئ قلوبنا بهجة وفرحاً حتى السمايين يفرحون أيضاً معنا!

انجذب زكا العشار وراء السيد المسيح، فجمع الخطة والعشارين ليلتقوا به ويفرحون، وإذا جلست السامرية معه، نادى أهل المدينة ليجالسوه وينعموا بحديثه الفعال.

هذا هو سرُّ الكنيسة... قوة الصليب الجذّابة، أما إن نسيت الكنيسة هذا الصليب، واهتمت بطرق العالم، لا تقدر أن تسابق العالم فيما يخصه، إنما تغلبه بالحب العامل في حياة أولادها. بالصليب وحده تتجذب النفوس إلى الكنيسة خلال التوبة، أما وسائل العالم المغرية، فتخطّم صورة الكنيسة حتى في عيني العالم نفسه^١.

"لا يحول وجهه عنكم": كثيراً ما يكشف الكتاب المقدس بعهديه عن شوق الله للحضور فينا وفي وسطنا، ورغبته في تطّعه إلينا لنكتشف في عينيه حبه وحنانه ورحمته ورعايته.

كثيراً ما يُكرّر الرب قوله: "أنا معكم". "لأني أنا معكم لأخلصكم وأنقذكم من يده" (إر ٤٢: ١١). "أنا معكم يقول الرب" (حج ١: ١٣). "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (مت ٢٨: ٢٠).

❖ إذ وضع على عاتقهم عملاً عظيماً هكذا... قال "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"، وكأنه يقول: لا تقولوا إن العمل المُلقى عليكم صعب، فإنني أنا الذي أستطيع كل شيء بسهولة معكم. لم يقل إنه يود أن يكون معهم وحدهم، بل ومع المؤمنين الذين يأتون بعدهم، لأن الرسل لا يعيشون حتى انقضاء الدهر، لكنّه يكلم كل الذين سيؤمنون به كمن هم جسد واحد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حُمِلَ جسده إلى السماء، لكنّه لا يسحب عظمته عن العالم. لا يستطيع ملاك ولا رئيس ملائكة أن يغفر الخطية، إنّما الرب نفسه هو وحده القادر أن يقول: "أنا معكم"، إن أخطأ أحد لا يغفر له إلا إذا تاب^٢.

القديس أمبروسيو

فَكَانَ السَّعَاءُ يَعْبرُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ،

^١ راجع تفسير نش ١:٤.

^٢ Ep. 57:11.

فِي أَرْضِ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى حَتَّى زَبُولُونَ،

فَكَانُوا يَضْحَكُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَهْزَأُونَ بِهِمْ. [١٠]

لم يَصِلُوا إلى دان وفتالي، لأنهما كانتا ساقطتين في يد أشور.

فَكَانُوا يَضْحَكُونَ: لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَهُمْ، فَقَدْ دَخَلُوا تَحْتَ حِصَارِ أَشُورَ، وَبَعْدَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ سَنَاتٍ تَمَّ السَّبْيُ.

إِلَّا إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَشِيرَ وَمَنْسَى وَزَبُولُونَ تَوَاضَعُوا،

وَأَتُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [١١]

في كل جيل وفي كل موضع نجد قلة مستعدة للرجوع إلى الله. خمسة أسباط من العشرة أرسلوا ممثلين لهم [١١، ١٨] وهم أشير وأفرايم ومنسى ويساكر وزوبولون.

سبطان وهما رأويين وجاد كانا في السبي، سبط واحد وهو دان انضم إلى يهوذا. سبطان وهما شمعون وفتالي الباقيان، وكانا أكثر من عابدي أوثان عاديين^١.

وَكَانَتْ يَدُ اللَّهِ فِي يَهُودَا أَيْضًا فَأَعْطَاهُمْ قَلْبًا وَاحِدًا

لِيَعْمَلُوا بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَالرُّؤُسَاءِ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. [١٢]

كان ساعة الملك يعبرون من مدينة إلى مدينة في المملكة الشمالية. قوبلت الدعوة من البعض بالرفض والسخرية، ومن الآخرين بالقبول بروح التواضع، وجاءوا إلى أورشليم للاشتراك في العيد مع إخوتهم.

٤ . إقامة الاحتفال بالعيد

فَاجْتَمَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ شَعْبٌ كَثِيرٌ لِعَمَلِ عِيدِ الْفَطِيرِ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي،

جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا. [١٣]

وَقَامُوا وَأَزَالُوا الْمَذَابِحَ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ،

وَأَزَالُوا كُلَّ مَذَابِحِ التَّبَخِيرِ، وَطَرَحُوهَا إِلَى وَادِي قَدْرُونَ. [١٤]

واضح أن وجود مذابح وثنية في أورشليم حتى ذلك الوقت يكشف على أن الملك حزقيا بدأ أولاً بالجانب الإيجابي الخاص بإعادة العبادة لله الحي في هيكل الرب. وترك إزالة هذه المذابح وكل ملحقاتها الخاصة بالارتداد عن الرب كخطوة ثانية.

¹ Barnes' Notes.

وَدَبَّحُوا الْفِصْحَ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي.

وَالْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُّونَ خَجَلُوا وَتَقَدَّسُوا،

وَأَدْخَلُوا الْمُحْرَقَاتِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ [١٥]

يتحدث هنا عن الكهنة واللاويين الذين تقاعسوا عن التطهير والتخلص من العبادة الوثنية، بسبب عدم غيرتهم على عودة العبادة لله الحي. هؤلاء إذ رأوا غيرة الشعب وجديتهم، التهبت قلوبهم هم أيضاً وخجلوا وتقدَّسوا وقَدَّموا المُحْرَقَاتِ للربِّ. حقاً إن دور الكهنة واللاويين هو قيادة الشعب وتعليمهم ومساندتهم في التمتع بالخلاص، غير أن الأتقياء من الشعب بغيرتهم المقدسة يلهبون قلوب الكهنة واللاويين بالغيرة.

هذا ويليق بالكاهن كما بكل مؤمنٍ ألا يكف عن الشوق إلى التعلُّم المستمر.

الله وحده مُطْلَقُ الكمال، يُعَلِّمُ المسكونة ولا يحتاج إلى التعلُّم. أمَّا نحن ككهنة أو خدام، إذ نخدم بالله الساكن فينا، يلزمنا أن ينسج القلب دائماً ليأخذ من الله، وتقوح بالأكثر رائحة المسيح فينا، لأنَّه مهما عظم اتساع قلبنا فهو نقطة صغيرة بالنسبة لِلجَّةِ مُحَبَّةِ الله.

فالأراعي - ولو كان بطريركاً - إن لم يكن دائم التعلُّم يقف نموه ويظهر جموده، ويمنع شعبه عن النمو الروحي. ويقدر ما يخشع عند أقدام الرب، ويفتح قلبه له في الصلاة والدراسة في الكتاب المقدس، ويقدر ما يصغي دائماً ليتعلَّم أحكام الله، ينمو في شركته وتنمو معه رعيته أيضاً. لهذا يوصي بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثاوس بضرورة القراءة باستمرار. ويوصي الأسقف الكاهن عند سيامته، "واستضيء بالمطالعة، مواظباً على القراءة والتعاليم بمعاني كتب البيعة".^١

❖ إنَّني لا أقدر على الهروب من عمل التعليم مادام الكهنوت قد ألقى على عاتقي، رغم محاولتي الهروب منه. وإنَّني أرغب في الجهاد في التعلُّم، حتى أكون قادراً على التعليم. لأنَّه يوجد سيِّد واحد (الله) الذي وحده لا يتعلَّم ما يعلمه للجميع. أمَّا البشر فعليهم أن يتعلَّموا قبل أن يُعلِّموا، ويتقبَّلوا من الله معلِّمهم ما يُعلِّمون به الآخرين.

❖ لماذا لا تقضي وقتك بعد انتهاء عملك في الكنيسة في القراءة (التعلُّم).

لماذا لا تعود ثانية لترى المسيح؟ لماذا لا تخاطبه وتتصت إلى صوته؟ فنحن نخاطبه بالصلاة، ونسمع صوته عندما نقرأ وحي الله المقدس. إن وظيفة خدمة مذبح المسيح هي أن نأخذ...

^١ الحب الرعوي، ٢٠٠٦، ص ١٨٣ الخ.

القديس أمبروسيو

وَأَقَامُوا عَلَى مَقَامِهِمْ حَسَبَ حُكْمِهِمْ كَنَامُوسَ مُوسَى رَجُلِ اللَّهِ.

كَانَ الْكَهَنَةُ يَرُشُونِ الدَّمَ مِنْ يَدِ اللَّاَوِيِّينَ. [١٦]

جاء في المشناه *Mishna* أن العادة المتبعة للكهنة أن يقفوا في صفين يبدأان من المذبح إلى الدار الخارجية حيث يجتمع الشعب. فيقوم الذي يُقدّم الحَمَل بذبحة ووضع دمه في طست، ويُسلم الطست إلى أقرب كاهن، فيسلمه الكاهن إلى آخر بجواره ثم الكاهن التالي له وهكذا، والأخير ينقله إلى المذبح. بينما تعبر الطسوت صاعدة من كاهن إلى كاهن، إذا بالطسوت الفارغة تنتقل بواسطة الصف الثاني لتتزل من عند المذبح بدون تأخير^١.

من يد اللاويين: لما كان كثير من الذين يُقدّمون الذبائح غير مستعدين (غير طاهرين)، لذا يقوم اللاويون بذبح الحيوانات المُقدّمة ويُسلمونها للكهنة^٢.

لَأَنَّهُ كَانَ كَثِيرُونَ فِي الْجَمَاعَةِ لَمْ يَتَقَدَّسُوا،

فَكَانَ اللَّاَوِيُّونَ عَلَى ذَبْحِ الْفِصْحِ عَنْ كُلِّ مَنْ لَيْسَ بِطَاهِرٍ،

لِتَقْدِيسِهِمْ لِلرَّبِّ. [١٧]

لا ندهش إن كان كثيرون جاءوا للاحتفال دون أن يتقدّسوا. فقد عاش هؤلاء في مملكة الشمال، وتسلّموا عن آباءهم وأجدادهم العبادة الوثنية، ولا يعرفون شيئاً عن الشريعة. ومع هذا فكان لديهم اشتياق أن يرجعوا إلى الرب. لهذا قام اللاويون بذبح الفصح. في جهالة أكلوا الفصح دون أن يتقدّسوا، وإذ سمع الملك "صلى عنهم، قائلاً: الرب الصالح يُكفّر عن كل من هياً قلبه لطلب الرب إله آبائه وليس كطهارة الرب" [١٨-١٩]، وقبل الرب صلواته عنهم.

لَأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الشَّعْبِ كَثِيرِينَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى وَيَسَاكَرَ وَزَبُولُونَ،

لَمْ يَتَطَهَّرُوا، بَلْ أَكَلُوا الْفِصْحَ لَيْسَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ.

إِلَّا إِنْ حَزَقِيَّا صَلَّى عَنْهُمْ، قَائِلاً: الرَّبُّ الصَّالِحُ يُكْفِّرُ عَنْ [١٨]

حزقيا الملك باتساع قلبه وعدم الاستعجاب للحرف، سمح للقادمين من أفرايم ومنسى ويساكر وزبولون أن يشتركوا في الاحتفال بالعيد، بالرغم من أنهم لم يتطهروا، لأنه كان يُشفق عليهم، إذ جاءوا من مجتمعات خضعت تماماً للعبادة الوثنية. ففي رفضهم قد يرجعون إلى بلادهم منكسري القلوب،

¹ Barnes' Notes.

² Barnes' Notes.

وفي يأسٍ يرجعون إلى العبادة الوثنية.

إن حزقيا وهو في ظل الناموس كان أكثر حبا وروحانية واتساع قلب ونضوجا من بعض الحرفيين في العهد الجديد بغير فهم ولا حب.

في حزمٍ لم يسمح للكهنة واللاويين أن يبدأوا بتقدّيس بيت الرب إلا بعد أن يتقدّسوا، ولا سمح للشعب أن يحتفلوا بالعيد ما لم يتطهّروا، أما بالنسبة للقادمين من بلاد سادتها الوثنية، ففتح أمامهم باب الرجاء. إنه يؤكد: **الرب الصالح يكفّر عن (كل أحدٍ).**

بهذه الروح كتب القديس أمبروسيو رسالتين عن التوبة، الأولى وجّهها إلى أتباع نوفاتيوست الذين رفضوا قبول توبة الذين أنكروا الإيمان نتيجة الخوف من العذابات أو غيرهم ممن ارتكبوا خطايا لا تقبل التوبة عنها في نظرهم، وهي رسالة تكشف لنا جميعا عن مقدار حب الله للخطاة، وفتح أبواب الرجاء بلا حدود، وسهولة طريق التوبة والرجوع إلى الله. والثانية وجّهها إلينا نحن الخطاة لئلا نستهن بمراحم الله، ونحوّل الرجاء في التوبة إلى فرصة للتراخي والتأجيل. جاء في رسالتيه^١:

❖ يقولون إنه يجب ألاّ تُقبَل مُنكري الإيمان في الجماعة مرة أخرى، إذ دنّسوا المقدسات، الأمر الذي يستثنيهم من نوال الغفران. وبالتالي يجب أن نقسو عليهم.

إنهم بهذا الزعم ينقضون الوحي الإلهي، مُتمسكين بتعاليم خاصة، لأن الرب إذ غفر الخطايا، لم يستثن منها شيئا.

لقد حسبوا بعلمهم هذا أنهم يعطون الرب مهابة عظيمة... لكن الحقيقة أنه لن يوجد من يُسيء إلى الله مثلهم، إذ أساءوا إلى وصاياهم، وازدروا بوظيفتهم (ككهنة لله). لأنه إذ قال الرب يسوع نفسه في الإنجيل: "اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تُعْفَر له. ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم" (يو ٢٠: ٢٢-٢٣)، لذلك فمن يكرم الرب يطيع هذه الوصية ولا يعصاها...

ماذا أقول أيضا عن عجرتهم المتزايدة؟! فإن إرادتهم تناقض روح الرب الذي يميل إلى الرحمة لا إلى القسوة... إنهم يفعلون ما لا يريده. لأنه وهو الديان ومن حقه أن يعاقب، نجده برحمته يعفو...! يقولون إنه باستثناء الخطايا الكبيرة، تعطي حلا عن الخطايا الصغيرة... الله لم يصنع مثل هذا التمييز، بل وعد بمراحمه للجميع، واهبا كهنته سلطانا أن يحلوا جميع الخطايا بلا استثناء... فأبي ضلال هذا، أن تدعوا لأنفسكم ما يمكن أن تجلّوه من الخطايا، ناسبين إلى الرب الخطايا التي لا تُحل. بهذا تنسبون لأنفسكم الرحمة وللرب القسوة...!

^١ المؤلف: ترفقا بالخطاة! للقديس أمبروسيو، الكتاب الأول ٢٠٠٥.

يجب أن نعرف أن الله إله رحمة، يميل إلى العفو لا إلى القسوة. لذلك قيل: "أريد رحمة لا ذبيحة" (هو ٦: ٦)، فكيف يقبل الله تقدماتكم يا من تتكرون الرحمة، وقد قيل عن الله إنه لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع (حز ١٨: ٣٢)؟! وتفسيرًا لهذه الحقيقة يقول الرسول: "فإنه إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد، لكي يتم حُكم الناموس فينا" (رو ٨: ٣-٤)...

يقول داود النبي: "هل إلى الدهور يرفض الرب؟!... هل انتهت إلى الأبد رحمته؟!... هل نسي الله رأفته أو نزع برجزه مراحمه؟! (مز ٧٧: ٧-٩). هذا هو ما يعلنه لنا النبي، بينما يصر أولئك عن إنكار مراحم الله!

القديس أمبروسيو

كُلُّ مَنْ هَيَأَ قَلْبَهُ لِطَلْبِ اللَّهِ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِ وَلَيْسَ كَطَهَارَةِ الْقُدْسِ. [١٩]
فَسَمِعَ الرَّبُّ حَرْقِيًّا وَشَفَى الشَّعْبَ. [٢٠]

لم ينتقد أحد حزقيا، لأنه جاء بأناش لم يحتفلوا من قبل بالعيد، وليس لهم معرفة بطوقسه. أكلوا الفصح وهم غير طاهرين، لأن هذا الشعب لم يدخل أورشليم، ولا مارس الأعياد منذ قرنين. على العكس عندما صلى الملك من أجلهم قبل الرب صلته عنهم.

وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَوْجُودُونَ فِي أُورُشَلِيمَ عِيدَ الْفَطِيرِ،
سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ،
وَكَانَ اللَّاويُونَ وَالْكَهَنَةُ يُسَبِّحُونَ الرَّبَّ يَوْمًا فَيَوْمًا بِآلَاتِ حَمْدِ الرَّبِّ. [٢١]
وَطَيَّبَ حَرْقِيًّا قُلُوبَ جَمِيعِ اللَّاويِينَ الْفَطِينِ فِطْنَةً صَالِحَةً لِلرَّبِّ،
وَأَكَلُوا الْمَوْسِمَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ يَذْبَحُونَ ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ،
وَيَحْمَدُونَ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ. [٢٢]

تحمل شخصية حزقيا سمات القائد الروحي المحب، إذ قيل: "وطيَّب حزقيا قلب جميع اللاويين الفطنين فطنة صالحة للرب". ففي هذه الظروف تطلَّع حزقيا كقائدٍ روحي لا بعيني النقد وإصدار الأوامر، إنما شعر بتعب الكهنة واللاويين الذين ينحتون كما في الصخر، بسبب ما حلَّ بالهيكل والشعب عبر عصور الملوك الأشرار. إنه استخدم أسلوب التشجيع، مُتطلِّعًا إليهم أنهم فطنون، يُقدِّمون معرفة الله للشعب بحكمة.

يليق بالمسيحي أينما وُجد، وفي أي وضع أن يُشجِّع ويسند. يقول الرسول بولس: "شجِّعوا صغار

النفوس، اسندوا الضعفاء، تأثروا على الجميع" (١ تس ٥ : ١٤).

من الأمور الرئيسية في حفظ العيد هو أكل الخبز غير المُخْتَمِر. كما كان اللاويون يحفظونه بتقديم التسابيح اليومية مع تقديم ذبائح السلامة.

وَتَشَاوَرَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَعْمَلُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى،
فَعْمَلُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِفَرَحٍ. [٢٣]

فرح القادمون بخبرة جديدة للعيد لم يعرفوها ولا عاشوها قبلاً، لذلك امتدت فترة الاحتفال أسبوعاً آخر، ربما بعد تشاور الملك مع الرؤساء، إذ لاحظوا فرح الشعب العجيب بالعيد. تشاور الشعب الذي حُرِمَ من الاحتفال بعيد الفصح كل هذه الأجيال، سواء القادمين من مملكة الشمال أو من يهوذا أن يعملوا سبعة أيام أخرى، فعملوا ذلك بفرح. وفرح الجميع، الكهنة والشعب، بالله.

لَأَنَّ حَرْقِيَا مَلِكَ يَهُودَا قَدَّمَ لِلْجَمَاعَةِ أَلْفَ ثَوْرٍ وَسَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الضَّأْنِ،
وَالرُّؤَسَاءُ قَدَّمُوا لِلْجَمَاعَةِ أَلْفَ ثَوْرٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ مِنَ الضَّأْنِ،

وَتَقَدَّسَ كَثِيرُونَ مِنَ الْكَهَنَةِ. [٢٤]

وَفَرِحَ كُلُّ جَمَاعَةِ يَهُودَا وَالْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُّونَ،
وَكُلُّ الْجَمَاعَةِ الْآتِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ،

وَالْغُرَبَاءُ الْآتُونَ مِنْ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَالسَّاكِنُونَ فِي يَهُودَا. [٢٥]

الغرباء هم الوثنيون الذين تهودوا وعاشوا وسط الشعب واختتنوا، لأنه لم يكن يُسَمَحُ لغرباء لم يُخْتَنُوا من أن يأكلوا من الفصح.

الاحتفال بالفصح الرمزي في العهد القديم مأً الجميع فرحاً. تهلل الملك والرؤساء والكهنة واللاويون وشعب يهوذا والقادمون من بين أسباط الشمال حتى الغرباء الذين قبلوا الإيمان، حتى امتدَّ العيد أسبوعاً ثانياً. لو سألنا المُشْتَرِكِينَ في الاحتفال عن مشاعرهم لأجابوا: إننا نشتهي أن يمتدَّ العيد كل أيام حياتنا. ماذا نقول عن الاحتفال بالفصح الحقيقي، حيث أَحَبَّنَا ربنا يسوع وسَلَّمَ نفسه للصلب والموت عناً، بكونه حمل الله حامل خطية العالم، وقام لِيُقِيمَنَا معه.

حقاً إن فصح الحمل الحقيقي يُحَوِّلُ حياة المؤمنين به إلى عيدٍ لا ينقطع.

فيما يلي لقطات سريعة عن فصح المسيح المُفْرِحِ القلوب، كما سَجَّلَهَا لنا القديس مار يعقوب

السروجي.

❖ صرخ إشعياء: استيقظي، استيقظي، والبسي قوة؛ وهتف زكريا: ابتهجي جداً، وافرحي بالملك الآتي (إش ٥١ : ٩؛ زك ٩ : ٩).

صرخ الأطفال: مبارك الآتي باسم الرب، وأرعد التسييح الكثير في طريق الملك (مت ٢١ : ٩).
لكن لم تشاء الأمة العبرانية أن تسمع لإشعياء، ولا لزكريا، ولا للأطفال.
لم تنصت إلى الأنبياء، ولا إلى الأطفال، وحرزنت وغضبت من أناشيدهم.
بعنادها اهتمت كثيراً أن يصمتوا، وبحثت عن ذرائع لها لتسكتهم.
لم يسكت المُسبِّحون من التسييح، لأن الحق الظاهر حركهم على التسييح^١...
حان وقت أداء التسييح للابن، ولو أنكروا ذلك عليه، توفيه الحجارة التسييح.
إن لم يُسبِّحه الأطفال بأغصان الزيتون، تُسبِّحه الحجارة الصماء بالعود الذي لها (يو ١٢ : ١٣؛
لو ١٩ : ٤٠).

ركب رب الملوك جحشاً ابن أتان، وتحركت الطبيعة لئُسبِّحه لتواضعه.
وكان يليق بالكهنة والكتبة ورؤساء الشعب أن ينطقوا بذلك التسييح اللازم.
وإذ أنكروا الشيوخ التسييح الذي حان وقته، ارتج الأطفال لئُسبِّحوا بشعائنيهم.
ولو سكت هؤلاء، لا يتوقف التسييح هناك، فالحجارة تُرْتِّل ذلك التسييح برعدة.
تجتهد الطبيعة أن تُسبِّح ربه؛ وإن لم يتكلم الناطقون، يتكلم الخرس.
إذ سكت المُعَلِّمون تكلم البسطاء، وإن سكت هؤلاء أيضاً لاستعدت الحجارة للتسييح.
لم يكن ممكناً في ذلك الوقت أن يتوقَّف التسييح، فإما ينطق به الناس أو الحجارة.
دُهِّشَت الخليفة من تواضع ابن الله، واهتمت أن تُسبِّحه بصوت عالٍ.
لو لم يُرْتِّل الأطفال بفرح، لنطقت الحجارة، لأنه لم يكن حينئذ ممكناً أن يتوقَّف التسييح^٢.

❖ في يومك العظيم الذي فيه تبتهج كل الخليفة، اسمح لي أن أتكلم بإسهاب عن قيامتك.
في العيد الذي أبهج كل من الملائكة والتلاميذ، أبهجنى أنا أيضاً بموهبتك لأُسبِّح لك.
أيها الجبار الذي صعد من القبر بهيئاً، بك أتكلم عن غلبتك المملوءة عجباً.

^١ راجع الميمر ١٨ على أحد الشعانيين (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)، الميمر ٤٥ (بالتصحيح الوارد في نهاية الكتاب الميمر ٤٦)، على أحد الشعانيين (القبطي)، "ميمر لأجل ركوب ربنا الحش" دير القديس مقاريوس بوادي النطرون، نسخ الراهب مينا المقاري، مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج الملفان ٥٢١+، ترجمها من السريانية إلى العربية مار ملاطيوس برنابا، متروبوليت حمص وحماة وتوابعها للسريان الأرثوذكس، دار الرها ١٩٩٣؛ *Thomas Kollamparampil*.

^٢ المرجع السابق.

في عيدك الكبير، السماء مبتهجة، والأرض متهللة، ففيه تصالحت السماء والأرض اللتان كانتا في عداوة^١.

القديس مار يعقوب السروجي

وَكَانَ فَرَحٌ عَظِيمٌ فِي أُورُشَلِيمَ،

لَأَنَّهُ مِنْ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، لَمْ يَكُنْ كَهَذَا فِي أُورُشَلِيمَ. [٢٦]

أي من أيام ندشين الهيكل بفرح في عصر سليمان، فكان العيد في أيام حزقيا كعيد سليمان في طول مدة العيد وكثرة المشتركين فيه.

منذ حدث انقسام المملكة، وانشقت عشرة أسباط تحت قيادة يريعام، لم يُمارس الغالبية العظمى من هذه الأسباط العبادة في هيكل سليمان، ولا اشتركوا في الأعياد.

وَقَامَ الْكَهَنَةُ اللَّاوِيُونَ وَيَبَارَكُوا الشَّعْبَ،

فَسَمِعَ صَوْتَهُمْ،

وَدَخَلَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِهِ إِلَى السَّمَاءِ. [٢٧]

ما أحلى أن يجتمع الإخوة معاً في الرب، فقد انفتحت أبواب السماء، لتتهلل بهذا الشعب المجتمع معاً، وسمعت لمباركة الكهنة الشعب.

انعكست نقاوة قلب الملك على الكهنة اللاويين وعلى جموع المشتركين، وقبلَ الرب الإله عبادتهم، وسكب روح الفرح والتهليل في قلوبهم. مع دخان ذبائحتهم، صعدت صلواتهم وطلباتهم وشكرهم وتسابيحهم إلى السماء، مع مباركة الكهنة بكل قلبهم للعشب. جاء في الترجوم: "صعدت صلواتهم إلى مسكن الشكينة المقدسة التي في السماء"^٢.

لقد برز في هذا الاحتفال ليس فقط حب الله مع الناس، بل وحب الإخوة معاً في الرب. يقول المرثل: في المزمور قبل الأخير من مزامير المصاعد: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً" (مز ١٣٣: ١).

❖ في بيت الله، كنيسة المسيح، يسكن البشر بفكرٍ واحدٍ، يستمرون في انسجام وبساطة^٣.

^١ الميمر ٥٤ لأحد القيامة الكبير (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ قصائد القديس مار يعقوب السروجي، الميمر ٥٣ (٥٤ بالنصحیح)، على قيامة ربنا، يقرأ باكر الأحد العظيم، قيطي.

Thomas Kollamparampil: *Jacob of Sarug's Homilies on the Resurrection*, Gorgias Press, 2008.

^٢ Adam Clarke Commentary.

^٣ Treat. 1: 8.

القديس كبريانوس

❖ الحب هو الباب الذي يدخل بنا إلى السماء عينها^١.

❖ توجد أمور كثيرة حسنة (صالحة)، لكن تنقصها البهجة (الجمال). من جهة أخرى توجد أمور تهب شعباً، لكن ينقصها الصلاح. إنه ليس بالأمر السهل أن يجتمع الاثنان معاً... لاحظوا أنه لم يشر إلى مجرد السكْنَى، ولا المأوى في موضع واحد، إنما السكنى في وحدة، أي في تناغم وحب، هذا يجعل الشعب بروح واحدة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "ما أحلى مساكنك يا رب الجنود!" هذه إذن هي المخازن التي فيها تكتنز الحنطة الروحية. "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم، حتى يقبلوكم في المساكن الأبدية" (راجع لو ١٦ : ٩). "ما أحلى مساكنك يا رب الجنود!"... خلالها يُحوّل الإنسان إقامته من الأرض إلى السماء!^٣

القديس جيروم

من وحي ٢ أي ٣٠

فَرِّحْ قُلُوبَ شَعْبِكَ بِكَ!

❖ لك المجد يا الله مُفَرِّحِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ.

هَبْ لِي مَا وَهَبْتَهُ لِحَزَقِيَا الْمَلِكِ.

أَنْ يَنْشَغَلَ قَلْبِي بِقِدَاسَةِ شَعْبِكَ وَكِنِيستِكَ.

وَتَتَهَلَّلَ نَفْسِي بِرِضَاكَ عَلَيْنَا، كَهَنَةً وَشَعْبًا!

❖ كَانَتْ مَسْرَةً حَزَقِيَا هِيَ أَنْ يُسِرَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ.

أَنْ يَنْقَدَّسُوا بِكَ، وَتَسْكُنَ بَيْنَهُمْ، وَتَحْمَلَهُمْ إِلَيْكَ.

انْفَتْحَ قَلْبُهُ عَلَى الْأَسْبَاطِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

سَأَلَ الْجَمِيعَ أَنْ يَشْتَرِكُوا مَعًا فِي الْعِبَادَةِ،

وَأَنْ يَتَهَلَّلُوا بِاللهِ السَّاكِنِ وَسَطِ النَفُوسِ الْمُحِبَّةِ.

¹ On Ps. 133.

² On Ps. 133.

³ On Psalms, homily 63.

- ❖ هَبْ لي يا رب القلب المُتَّسِعِ للجميع!
والفكر الروحي الذي لا يُستَعْبَد للحرف القاتل!
هَبْ لي أن أُسر بخلص البشرية كلها!
متى يتحوَّل كل البشر إلى ملائكة؟!
متى تتحوَّل الأرض كلها إلى أيقونة للسماء؟!
- ❖ لِيَتحوَّل قلبي إلى عيدٍ دائمٍ بقوة صليبيك.
قَدَّمتَ ذاتك فصحاءً، عن البشرية كلها.
لثُعَلِنَ حبك لكل العالم، ولتُفَرِّحَ قلوب كل البشر.
أنت هو عيدنا وفرحنا وتهليلنا المُقَدَّس.
- ❖ لِنُحَرِّرَ بصليبيك العالم كله من عبودية الخطية.
ولتسكب برك على كل مؤمن.
ولتحمل كل مؤمنٍ كما إلى سماواتك،
فيختبر الحياة السماوية المتهللة.
ولينضم إلى خورس الطغيمات العلوية.
- ❖ في محبة الملك حزقيا لشعبه،
تشاور مع الرؤساء ليمد العيد أسبوعًا آخر.
ونحن نسألك خلال صليبيك وقيامتك،
أن يمتد عيد القيامة المجيد طول رحلة حياتنا.
ليتمتع العالم كله ببهجة فصحك المجيد،
وليقبل الكل مع الرسول بولس:
أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات.

الأصحاح الحادي والثلاثون

الاهتمام ببيت الرب

بعد أن ندوّق الكل، الملك ورؤساء الشعب والكهنة واللاويون والشعب، هذا الاحتفال الذي سرّت به السماء في مسكن قدس الله، انطلق الكل إلى مدن يهوذا. وضعوا في قلوبهم ألا يعودوا إلى العبادة الوثنية. فتح أبواب بيت الرب وتطهير الهيكل والاحتفال بالفصح مع شركة كثيرين من المملكة الشمالية في الاحتفال دفع إلى رغبة في مزيد من الالتصاق بالله.

تُعتبر حياة حزقيا الملك التقى صورة حيّة ومنهجًا عمليًا لحياة الخادم من جوانب كثيرة. لم يكن هذا التقى يحتمل ما فعله والده الذي أفسد البلد والقصر الملكي وهيكل الرب. وفي نفس الوقت لم يبدأ بالسلبات وهدم الأصنام وكل متعلقاتها، بل أسرع بتقديس الهيكل والبدء في عبادة الله الحيّ، فالتهب قلب الشعب بتحطيم الأصنام. إنه لم يتهاون مع العبادة الوثنية، لكنه آمن أن من يختبر عذوبة العبادة الحقيقية لا يعود يطيق الرجاسات. بهذا صار الكل معًا، خاصة الشعب، بكامل حرية إرادته ينتزع الشرور. هكذا يليق بنا أن نصنع الخير ونقتلع الشر خلال نعمة الله الفائقة.

١. هدم بقايا الوثنية في المملكتين
٢. الاهتمام بتنظيم فرق الكهنة
٣. الاهتمام بإعالة الكهنة وعائلاتهم
- أ. تقديم هبة من الملك لدعم الخدمة
- ب. حثّ الشعب على زيادة حصة الكهنة
- ج. سخاء الشعب
- د. تعيين مفوضين لتوزيع ما يُجمع
- هـ. التهاب قلب الملك للعمل

١. هدم بقايا الوثنية في المملكتين

لم يكن ممكنًا تحطيم العبادة الوثنية قبل أن يُفتح الهيكل وينبّه ويُعاد تأسيس العبادة الحقيقية [١-٤]. لا نستطيع إبادة الشر، ما لم نبدأ بالتمسك العملي بالحق الإنجيلي.

هذا ولا ننسى أن الشعب قاموا، وأزالوا المذابح التي في أورشليم، وأزالوا كل مذابح التبخير

وطرحوها إلى وادي قدرون" (٣٠: ١٤) قبل الاحتفال بالفصح، فليس من شركة بين الحق والباطل، والاحتفال بالفصح حيث سكن الله في الجماعة مع بقاء عناصر غريبة عن الله.

وَلَمَّا كَمَلَ هَذَا خَرَجَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ الْحَاضِرِينَ إِلَى مَدْنِ يَهُودَا،
وَكَسَرُوا الْأَنْصَابَ، وَقَطَعُوا السَّوَارِي، وَهَدَمُوا الْمُرْتَفَعَاتِ وَالْمَذَابِحَ،
مِنْ كُلِّ يَهُودَا وَبِنْيَامِينَ وَمِنْ أَفْرَايمَ وَمَنْسَى حَتَّى أَفْنَوْهَا،
ثُمَّ رَجَعَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى مُلْكِهِ إِلَى مُدُنِهِمْ. [١]

سبق أن طُهرت مدينة أورشليم (٢ أي ٣٠: ١٤)، والآن لزم تطهير الأرض. أصدر حزقيا مرسومًا لقيام حركة شعبية جماعية، تتجه نحو المرتفعات، حيث يُقام عليها الكثير من المذابح الوثنية، خاصة عبادة البعل، لتطهيرها. قام الشعب في يهوذا وبنيامين في الجنوب بهذه الحركة، كما تمَّ تطهير أفرام ومنسى، يساعدهم في ذلك ضعف مملكة الشمال.

جاء تحطيم الوثنية ليس فقط بأمر حزقيا، بل تجاوب الشعب مع أمانة حزقيا الملك. صورة مُبهجة أن يجتمع بعض الباقين في مملكة إسرائيل التي دَمَرها الآشوريون مع يهوذا. يَلْتَقُونَ حول الهيكل، وَيَتَعَبَّدُونَ معًا، مُشْتَهِينَ العُودَةَ إلى الحياة المُقَدَّسَةَ التي كانت لكل إسرائيل قبل الانقسام، في أيام داود النبي وسليمان الحكيم.

واضح أنه من ثمرة هذا التصرف الحكيم التقوي للملك حزقيا أن الراجعين إلى مدنهم في يهوذا قاموا بنزع كل ما يَتَعَلَّقُ بالعبادة الوثنية.

بانتهاؤ الاحتفال، لم يشعر المُشْتَرِكُونَ فيه بأنهم قد انتهوا من واجب كانوا ملتزمين به، بل التهببت قلوبهم بالأكثر للحياة مع الله. هذا ومن جانب آخر، يرى البعض أن القادمين من المملكة الشمالية وإن كانت قد فقدت استقلالها وخضعت للإمبراطورية الآشورية، غير أنها منطقة خصبة للغاية وغنية. هؤلاء جاءوا إلى أورشليم يُقَدِّمُونَ هدايا للهيكل، وينفقون أثناء إقامتهم، مما أدى إلى نوع من الرواج في أورشليم ومدن يهوذا. بجانب بركة الرب للجميع لاجتماعهم معًا بروح الحب والوحدة.

يرى علماء الآثار أن هذا التقدُّم أدى إلى امتداد مدينة أورشليم إلى الضعف، وربما ثلاثة أضعاف، فضمت تلاً آخر^١. لقد صارت أورشليم ملجأً لكثير من اللاجئين من الشمال. هذا الازدهار ساعد حزقيا على تحصين بعض المدن وتقوية الجيش.

حقًا لقد فعل الملك كل ما في إمكانه في هذا المضمار (٢ مل ١٨: ٤)، لكن الشعب في إمكانه

¹ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship*, 2 Chronicles 31.

اكتشاف الأماكن التي بها ما يخص الأوثان وغابت عن أعين جنود الملك. لذلك خرجوا بعد الاحتفال فوراً ليهدموها، لم يُوجَلوا يوماً واحداً. هكذا يليق بالمؤمن إذ يختبر عذوبة الشركة مع الله، وتتهلل أعماقه به، وأن يقطع كل ارتباط بالخطية في الحال، ويتخلّى عن كل ما يُغضب الله.

لم يفعلوا هذا في مدن يهوذا وبنيامين فقط، بل وفي أفرام ومنسى. يظن البعض أنه يقصد المدن التي كانت تحت ولاية حزقيا ملك يهوذا، لكن آخرين يرون أن ملك إسرائيل لم يمنعهم من ذلك، فترك الذين ذهبوا إلى أورشليم واشتركوا في الاحتفال بالفصح أن يفعلوا ذلك في ممتلكاتهم. قام كل من ساهم في الاحتفال بكسر كل ما لديه من أصنام، ولم يترك شيئاً ما من آثار الأوثان.

هكذا تَمَّتْ الإنسان بعذوبة الشركة مع الله تمتد إلى حياة الآخرين، ليس قسراً، وإنما خلال الحب الأخوي الصادق.

لم يعودوا إلى منازلهم قبل أن يُتمِّموا هذا العمل، بالرغم من غيابهم الطويل. لقد حدث هذا التغيير فجأةً وبقوةٍ (إش ٢: ٢٠؛ ٣١: ٦-٧). يليق بنا أن نفتدي بحزقيا الملك، فلا نترك أية آثار للآلهة الغريبة في قلوبنا. فما كُتِبَ عن الأوثان يَمُسُّ حياتنا كقول العلامة أوريجينوس في عظاته على سفر القضاة:

❖ **عبد (هذا الجيل) البعليم وتركوا الرب إله آبائهم** (قض ٢: ١١-١٢). حقاً فعل الشعب في القديم هذه الأشياء، ولكن لم تُكْتَبْ هذه الأشياء لهم، إنما: "كُتِبَتْ لِإِنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (١ كو ١٠: ١١). لنبتنا نرى ما إذا قيلت هذه الأشياء عنا أم بالحري عنهم. هل تريدون رؤية هذه الأمور مُفسَّرة علينا - ليس بواسطتي - ولكن بواسطة الرسول؟ اسمعوا ما يقوله هو نفسه: "ماذا يقول الكتاب في إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً: يا رب قتلوا أنبياءك، وهدموا مذابحك، وبقيتُ أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي". لكن في الحقيقة بماذا أجابه الوحي الإلهي؟ "أبقيت نفسي سبعة آلاف رجُلٍ لم يحنوا ركبة لبعل" (١ مل ١٩؛ رو ١١: ٢-٤). وبهذه الطريقة أضاف الرسول: "فكذلك في الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة" (رو ١١: ٥).

انظروا إذن كيف أنه حُسِبَ الذين عبدوا البعليم من بين جمع غير المؤمنين والذين لم يسجدوا من بين البقية المؤمنة. يُظهر ذلك أن غير المؤمنين وغير الأتقياء الذين عاشوا في عصر المُخلَّص "عبدوا البعليم" والأصنام، أما المؤمنون ومنفذو أعمال الإيمان "لم يعبدوا البعل". لأنه لم يُذَكَر في أي موضع في التاريخ أو الإنجيل أو أي من الأسفار المقدسة أن إنساناً في زمن المُخلَّص سجد

للأصنام، ولكن ذُكِرَ هذا خصيصاً عن الذين كانوا مُكَبِّلِينَ ومُقَيِّدِينَ بخطاياهم الخاصة. من المؤكد إننا عندما نخطئ "ونُسبى إلى ناموس الخطية" (رو ٧: ٢٣)، فإننا نعبد البعل. لكننا نحن غير مدعوين لذلك، ولم نؤمن لكي نكون في وفاقٍ مع هذه الأمور حتى نخدم الخطية ثانيةً، ونسجد للشيطان، بل بالأحرى نجثو باسم يسوع لأنه: "تجثو باسم يسوع كل رُكبةٍ ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض" (في ٢: ١٠). وهكذا نحني ركبتنا لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تُسَمَّى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض (أف ٣: ١٤-١٥).

ولكن ماذا أستفيد عندما أحني ركبتي جسدي في الصلاة لله، بينما أحني رُكبتي قلبي للشيطان؟
فإني إن لم أقف صامداً أمام مكاييد الشيطان، أحني ركبتي للشيطان (أف ٦: ١١).
إذا لم أقف صامداً أمام الغضب، أحني ركبتي للغضب أيضاً.
وهكذا بالمثل، إن لم أقف صامداً لأقاوم الشهوة، أحني ركبتي قلبي لها.
في كل هذه الحالات التي تضاد الله، أبدو كأولئك "الذين عبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي قادهم خارج أرض مصر" (قض ٢: ١١-١٢؛ خر ١٢: ٤٢)، ما لم أقف بثباتٍ وشجاعةٍ.
ليتنا إذن لا نفكر أننا إذ لا نعبد الأصنام لا تتعلّق هذه الأشياء بأي أحد منا. ما يعبده الإنسان ويُحِبُّه ويُعَجَّب به أكثر من سائر الأشياء هو إلهه.

باختصار هذا ما يطلبه الله من الإنسان قبل كل الأشياء وفوق كل الأشياء في وصيته: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك" (تث ٦: ٥)، رغبة منه أن يملك على كل عواطف القلب البشرية مُفَدِّمًا، وأن يعرف أن ما يحبه الإنسان من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قدرته هو إلهه^١.

العلامة أوريجينوس

٢. الاهتمام بتنظيم فرق الكهنة

وَأَقَامَ حَزَقِيَّا فِرْقَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاوِيِّينَ حَسَبَ أَفْسَامِهِمْ كُلِّ وَاحِدٍ حَسَبَ خِدْمَتِهِ:

الْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيِّينَ لِلْمُحْرَقَاتِ، وَدَبَائِحِ السَّلَامَةِ لِلْخِدْمَةِ وَالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ،

فِي أَبْوَابِ مَحَلَّاتِ الرَّبِّ. [٢]

أقام حزقيا الملك فِرْقَ الكهنة واللاويين حسب ترتيب داود الملك، هذه التي كانت قد أوقفت لفترة

^١ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الثانية، ٣. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

طويلة. لم يضع حزقيا نظامًا جديدًا من فكره الخاص، بل التزم بالترتيبات التي وضعها داود بوحى من روح الله القدوس.

اهتم آباء الكنيسة الأولى أن يضعوا النظام الكهنوتي للقيام بالعبادة والرعاية والكراسة حسب ما ورد في الكتاب المقدس ومارسه الرسل. قَدَّمَ لنا القديس بولس صورة روحية عن الترتيبات الكنسية بخصوص الكهنة والشروط اللازمة بالنسبة لهم، ومسئولياتهم خاصة الروحية وعلاقتهم ببعضهم البعض، وعلاقتهم بالشعب وأيضًا حقوقهم^١.

"أبواب محلات الرب": يترجم البعض كلمة "محلات" بخيام. يُقصد بالمحلّة الموضع الذي يجتمع فيه الله مع شعبه، ففي البرية كانت المحلّة يُقصد بها النفاف الأسباط حول خيمة الاجتماع، وبعد بناء الهيكل، فصارت تعني الهيكل ويضم الدار الخارجية واجتماع الشعب معًا حول الهيكل^٢. ما قام به حزقيا الملك بخصوص ترتيب بيت الرب يكشف لنا عن ما يلزمنا القيام به في هيكل الرب الذي تحدث عنه الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟! (١ كو ٣: ١٧).

١. نزع الآلهة الغريبة من القلب، وذلك بعمل الروح القدس.
٢. العمل بترتيبٍ ونظامٍ، وكما أقام حزقيا الكهنة واللاويين حسب أقسامهم، ولكل واحدٍ له دوره، هكذا يليق بالمؤمن بروح القيادة المقدسة المتواضعة أن يستخدم كل المواهب والأحاسيس والطاقات التي فيه لحساب مجد الله.
٣. تقديم مُحْرقاتِ الحب على المذبح المُقام داخل النفس.
٤. تقديم ذبائح السلامة والشكر لله على عطاياه.
٥. ممارسة التسيبج والتمتع بخبرة الفرح السماوي.
٦. الاعتزاز بالحضرة الإلهية، حيث يتحوّل الإنسان الداخلي إلى مسكن للرب، له أبواب مُقدّسة.

٣. الاهتمام بإعالة الكهنة وعائلاتهم

- أ. تقديم هبة من الملك لدعم الخدمة
وَأَعْطَى الْمَلِكُ حِصَّةً مِنْ مَالِهِ لِلْمُحْرَقَاتِ مُحْرَقَاتِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ،
وَالْمُحْرَقَاتِ لِلْسُبُوتِ وَالْأَشْهُرِ وَالْمَوَاسِمِ،

^١ راجع الحب الرعوي، ٢٠٠٦.

^٢ Barnes' Notes.

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ. [٣]

خَصَّصَ الْمَلِكُ نَصِيبًا مِنْ دَخَلِ مَمْلَكَتِهِ لِلإِنْفَاقِ عَلَى خِدْمَةِ الْهَيْكَلِ وَالْعِبَادَةِ، حَتَّى لَا يُنْقَلَ عَلَى الشَّعْبِ، قَدَمَهُ الْمَلِكُ بِسُرُورٍ .

يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ دَاوُدَ هُوَ الَّذِي وَضَعَ عَمَلِيًّا التَّزَامَ الْمَلِكِ بِالإِنْفَاقِ مِنْ حَسَابِهِ الْخَاصِّ عَلَى الْمُحْرَقَاتِ الصَّبَاحِيَّةِ وَالْمَسَائِيَّةِ وَبَعْضِ الذَّبَائِحِ الْآخَرَى.

كَانَتْ هُنَاكَ تَقَدِّمَاتٌ بَسِيطَةٌ يَقْدِمُهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ بِالسَّوَابِي، حَتَّى لَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِهِ، فَيُصَابُ بِالْكِبْرِيَاءِ أَوْ بِحَالَةٍ إِحْبَاطٍ. بِهَذَا يَدْرِكُ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مُحَابَاةٌ، إِنَّمَا يَتَسَاوَى كُلُّ الْبَشَرِ فِي عَيْنِيهِ.

وَتُوجَدُ تَقَدِّمَاتٌ أُخْرَى يُقَدِّمُهَا الْمُؤْمِنُونَ حَسَبَ إِمْكَانِيَّاتِهِمْ، لِيَدْرِكُوا أَنَّ مَا لَدَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ؛ فَيُقَدِّمُ الْغَنِيِّ الْكَثِيرَ لِلإِنْفَاقِ عَلَى خِدَامِ الْهَيْكَلِ وَلِمُسَانَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ.

"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ": مَا يَشْغَلُ قَلْبَ حَزَقِيَا هُوَ الْوَصِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ وَالشَّرِيعَةُ، فَكَانَ فِي حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةَ مُطِيعًا لِلَّهِ، وَهَذَا هُوَ سِرُّ نَجَاحِهِ.

ب. حَثَّ الشَّعْبَ عَلَى زِيَادَةِ حِصَّةِ الْكَهَنَةِ

وَقَالَ لِلشَّعْبِ سَكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَنْ يُعْطُوا حِصَّةَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاوِيِّينَ،

لِيَتَمَسَّكُوا بِشَرِيعَةِ الرَّبِّ. [٤]

أَصْدَرَ الْمَلِكُ أَمْرًا لِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَوَّلًا بِالْعَطَاءِ، لِيَكُونُوا مِثَالًا لِلآخَرِينَ. ثُمَّ امْتَدَّ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَدَنِ يَهُوذَا، لِكَيْ يُعْطُوا حِصَّةَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاوِيِّينَ حَسَبَ مَا وَرَدَ فِي النَّامُوسِ. فَقَدْ أَهْمَلَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِمَّا أَدَّى إِلَى إِهْمَالِ الْخِدْمَةِ. بِاخْتِصَارِ بَثْ سَخَاءِ الْمَلِكِ هَذَا الرُّوحَ فِي الشَّعْبِ. هَذَا وَعُذُوبَةُ الْإِحْتِفَالِ بِالْفِصْحِ جَعَلَتْهُمْ أَسْخِيَاءَ لَتَعْضِيدِ خِدْمَةِ الْهَيْكَلِ.

مَا يَشْغَلُ قَلْبَ حَزَقِيَا لَيْسَ هُوَ التَّنْظِيمُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا تَقْدِيمَ حِصَّةٍ لِلْكَهَنَةِ حَتَّى يَتَقَرَّغُوا لِلْعَمَلِ الرُّوحِيِّ وَلَا يَرْتَبِكُوا بِالْإِلْتِمَاتِ الْمَادِيَّةِ، وَإِنَّمَا "لِيَتَمَسَّكُوا بِشَرِيعَةِ الرَّبِّ". أَدْرَكَ الْمَلِكُ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَوَصَايَاهُ وَشَرِيعَتِهِ هُوَ الْمَوْضُوعُ الرَّئِيسِيُّ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى يَتَمَتَّعُوا بِالشَّرِكَةِ مَعَهُ.

يَرَى الْقَدِيسَ مَارَ يَعْقُوبَ السَّرُوجِيَّ أَنَّ وَصَايَا اللَّهِ هِيَ الْحَيَّةُ الَّتِي تَنْزِيهِ بِهَا الْكَنِيسَةُ الْعُرُوسُ، فَتَحْمَلُ بَرُوحَ اللَّهِ الْقُدُوسَ أَيْقُونَةَ عَرِيسَتِهَا السَّمَاوِيِّ.

❖ سِرُّ الْإِلَهِيِّ كَنْزٌ مَخْتَبَى بَيْنَ السُّطُورِ، فَهَبْنِي يَا ابْنَ اللَّهِ الْعَقْلَ الرَّاجِحَ لِاسْتِخْرَاجِهِ.

مَا حَوْتَهُ الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ مِنْ وَحْيِكَ جَوَاهِرَ نَفِيسَةٍ، فَاجْعَلْنِي أَهْلًا أَنْ أَجْمَعَهَا.

كلمة الحياة جوهرة لمن أحبّها، هلم أيها السامع وعلّفها في أذنك، وتجمّل بها.
إنها أتمن من الياقوت والذهب.

فالحليّ الزمنية زائلة وتافهة، أما كلمة الحياة، فهي زينة للنفس الخالدة.
الحلية تُزيّن إنساناً واحداً، أما الكلمات المقدسة فتزيّن روبات من المستمعين البشر.
إنها تهب النور للنفوس المظلمة...
بها يصبح الفقير أغنى من الملوك، مثل نهارٍ مشمسٍ^١.

❖ فليقرأ وينتفع كل من يريد أن يريح نفسه، بالكنوز المطمورة لأجله في القراءات^٢.

❖ أسفار (الكتاب المقدس) محيط، تجد فيه الدُرّة الخفية.

فعلى المُفسّر أن يغطس في الماء ليستخرجها.

يغطس العقل في الأسفار، ويستخرج الدُرّة، ويُرِيها للتجار.

ويغطس الذهن في التوراة، فيمسك الدُرّة الإلهية.

ويقدّمها للسان للسامعين، فيقول: علّفوا بأدهانكم ابنة النور كزينة لكم.

❖ كل الكلمات الموجودة في الكتب مملوءة نوراً، ربي بها أستنير لأصف خبرك بعجبٍ.

الأسرار مطمورة في القراءات كالكنوز، يا ابن الله ساعد العقل حتى يصعدها.

أيها الغني العظيم الموجود في كتب اللاهوت، ربنا، أهلني لأعرف وأخذ من كنوزها.

كلمة الحياة هي لؤلؤة لمن يُحبّها، اقترب أيها السامع، وعلّفها في أذنك، وتزيّن بها.

لو تُشتري اللؤلؤة بوزنة ذهب، فإنها تزيّن أذنًا واحدة فقط لو علّقت فيها.

كلمة الحياة هي أفضل من اللؤلؤة، لأنها تكفي لتزيّن بها روبات الأذان.

الكلمة تزيّن بجمالها السامي والطبيعي أذان كل جمع بني البشر.

انظر الآن: كيف أن اللؤلؤة ناقصة، وكيف أن كلمة الحياة عظيمة لمن يقتنيها.

الكلمة نور، ولو أشرقت في نفوس مُظلمة، استنارت بها كالنهار.

الكلمة غنى، ولو حلت عند الفقير، تجعله ملكاً يبدأ يصرف على أقرانه.

^١ ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملقان، قصيدة "أنت حبر إلى الأبد على مثال ملكي صادق".

^٢ الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).

بالكلمة فقط الإنسان أعظم من الحيوانات، وبها اغتنى آدم واقتنى الخالق.
السماء والأرض توجدان منذ البداية بالكلمة، والله بكلمته أقام كل الاتقانات^١.

القديس مار يعقوب السروجي

ج. سخاء الشعب

وَلَمَّا سَخَّعَ الْأَمْرُ كَثُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوَائِلِ الْحِنْطَةِ وَالْمِسْطَارِ وَالزَّيْتِ
وَالْعَسَلِ وَمِنْ كُلِّ غَلَّةِ الْحَقْلِ،
وَأَتَوْا بِعُسْرِ الْجَمِيعِ بَكْثَةً. [٥]

تحققت وحدة الشعب في هذا العيد الأساسي للفصح، والذي أجريت ممارساته بعملٍ مشتركٍ ضد كل ما يهين الرب.

قام الشعب بتقديم بكور منتجات الحقول والعشور بسخاء ليس لسد أعواز الخدام والكهنة، وإنما بالأكثر لتقديم ذبائح حب لله نفسه.

لقد قدّموا أكثر مما يتطلبه الناموس. فالشريعة لم تطلب تقديم العسل للرب (لا ٣: ١١)، لكن شعر الشعب أنه يمكن تقديم البكور أو العشور من حصيلته للكهنة.

يرى يوسيفوس أن العسل لا يُقصد به عسل النحل الذي لم يكن يخضع لتقديم العشور منه، إنما هو من نتاج البلح^٢.

❖ عندما يقترب إنسان من الموت ليت صديق ذلك الشخص الذي يموت يُعد له الأكفان ويحث الراحل أن يترك شيئاً للمحتاجين. ليرسله بهذه الثياب إلى القبر، تاركاً المسيح وارثاً له^٣.

❖ من يعطي قليلاً من القليل الذي لديه أفضل ممّن يعطي الكثير من الكثير، إذ يكون كالأرملّة، فالصدقة لا تُقدّر بمال العطاء، بل بإرادة المعطي وقوّته. لأن الله يلتفت للقصد وعليه يجزل العطاء...

القديس يوحنا الذهبي الفم

هذا وأن الإهمال في العطاء يصيب الخدمة والعبادة كما يظهر في نح ١٣: ١٠-١٤.

^١ الميمر ٤١ على قول داود عن رينا: أنت حبر (كاهن) إلى الأبد بشبه ملكي صادق (مز ١١٠: ٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

^٢ Barnes' Notes.

^٣ Homilies on Hebrews, hom. 27:9.

وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَيَهُودًا وَسَاكِنُونَ فِي مَدُنِ يَهُودَا،
أَتُوا هُمْ أَيْضًا بِعَشْرِ الْبَقَرِ وَالضَّأْنِ وَعَشْرِ الْأَقْدَاسِ الْمُقَدَّسَةِ لِلرَّبِّ إِلَهُهُمْ،
وَجَعَلُوهَا كَوْمَةً كَوْمَةً (صَبْرًا صَبْرًا). [٦]

فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ ابْتَدَأُوا بِتَأْسِيسِ الْكُومِ (الصَّبْرِ) وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ أَكْمَلُوا. [٧]
فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ تَقَدَّمَ الْبُكُورُ، إِذْ تَكُونُ الْمَحَاصِيلُ بَدَأَ جَمْعُهَا، وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ تَقَدَّمَ عَشُورُ
الْمَحَاصِيلِ الَّتِي جُمِعَتْ بِالْكَامِلِ.

وَجَاءَ حَزَقِيَّا وَالرُّؤَسَاءُ وَرَأَوْا الْكُومَ (الصَّبْرَ)،
فَبَارَكُوا الرَّبَّ وَشَعِبَهُ إِسْرَائِيلَ. [٨]

شَعِبَهُ إِسْرَائِيلَ: هَذَا وَمَا حَلَّ بِمَمْلَكَةِ الشَّمَالِ مِنْ أَشُورِ سَبَبَ نَوْعًا مِنَ الْإِرْتِبَاكِ، وَلَمْ يَعدْ يَمْكَنُ
فِصْلَ الْأَسْبَاطِ عَنْ بَعْضِهَا الْبَعْضِ. وَلِهَذَا مَا كَانَ يَشْغَلُ قَلْبَ حَزَقِيَّا هُوَ ضَمُّ الْكُلِّ تَحْتَ اسْمِ إِسْرَائِيلَ،
لَأَنَّ هَوِيَّةَ الْأَسْبَاطِ وَالتَّفَاقُصَ بَيْنَهُمْ كَادَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ. وَمَعَ هَذَا حَرَصَ حَزَقِيَّا عَلَى وَجُودِ مُمَثِّلِينَ لِكُلِّ
الْأَسْبَاطِ، وَاحِدٌ عَنْ كُلِّ سِبْطٍ مَعَ التَّأَكِيدِ عَلَى الْوَحْدَةِ مَعًا.

اخْتَارَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ اثْنَيْ عَشَرَ تَلْمِيذًا، لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ امْتَدَادَ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ، بَلْ أَوْشَلِيمَ
الْعَلِيَا نَفْسَهَا أَسَاسَاتِهَا اثْنَا عَشَرَ حَجْرًا كَرِيمًا (رؤ ٢١: ١٤).

وَسَأَلَ حَزَقِيَّا الْكَهَنَةَ وَاللَّاوِيِّينَ عَنِ الْكُومِ (الصَّبْرِ) [٩]

سَأَلَ الْمَلِكُ حَزَقِيَّا عَنْ كُومِ الْغَلَالِ وَالْمَحَاصِيلِ الَّتِي جُمِعَتْ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي أَكْوَامٍ، وَغَايَةَ السُّؤَالِ
الآتِي:

١. التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّ الْكَهَنَةَ وَاللَّاوِيِّينَ الَّذِينَ يَخْدُمُونَ نَالُوا نَصِيْبَهُمْ.
٢. التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّ مَا تَكْدُسُ فِي أَكْوَامٍ يُمَثِّلُ الْفَائِضَ حَقِيقَةً، وَقَدْ نَالَ كُلٌّ مِنَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاوِيِّينَ مَا
يَشْبَعُ احْتِيَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُظَلِّمْ أَحَدٌ.

فَأَجَابَ عَزْرِيَّا الْكَاهِنُ الرَّأْسَ لِبَيْتِ صَادُوقَ:

مُنْذُ ابْتَدَأَ بِجَلْبِ التَّقْدِمَةِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ أَكَلْنَا وَشَبِعْنَا وَفَضَلَ عَنَّا بِكَثْرَةٍ،
لَأَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ شَعْبَهُ وَالَّذِي فَضَلَ هُوَ هَذِهِ الْكَثْرَةُ. [١٠]

إِنْ كَانَ عَزْرِيَّا هُنَا هُوَ الْكَاهِنُ الَّذِي قَاوَمَ عَزْرِيَّا (٢ أي ٢٦: ١٧-٢٠)، فَيَكُونُ قَدْ مَارَسَ وَظِيفَتَهُ
عَلَى الْأَقْلَى لِمُدَّةِ ٣٣ سَنَةٍ.

"الرب بارك شعبه": يبدو أن الملك قد دهش من فيض المحصولات التي جُمِعَت في أكوام من البكور والعشور بصورة فائقة، لذا طمأنه عزريا الكاهن أن هذه الأكوام التي جُمِعَت ليست عن طريق غبن (تجاهل حقوق) الكهنة واللاويين للشعب، إنما هو ثمرة بركة الرب التي حَلَّت على الشعب بسبب رجوعهم إليه.

لم ينسب الكاهن كثرة حصيلة الهيكل لتعب الكهنة ومجهوداتهم مع الشعب وحسن معاملاتهم، ولا نسب ذلك لغيره الملك أنه دفع الشعب للعتاء، إنما بحق نسبه لبركة الرب الذي بارك الشعب، خاصة حين ساد الحب بين الكهنة وأيضًا بين الشعب وبين كل الفئات، وإخلاص الجميع من كل القلب. لئيتنا نطلب على الدوام مَسْرَةَ الله ورضاه وبركته أن تحلَّ على كل الكنيسة. لقد بارك الرب أول أسرة في البشرية (تك ١ : ٢٨)، وبارك اليوم السابع (تك ٢ : ٣)، وبيارك كل من له نصيب في القيامة الأولى، أي يتمتع بقيامة المسيح في حياته اليومية وهو بعد على الأرض، مشتاقًا إلى القيامة العامة. هذه البركة الإلهية هي التي تعمل في حياة المؤمن الشخصية والأسرية والاجتماعية الخ. في هذا الدهر، مع التمتع بالأمجاد الأبدية في الدهر الآتي.

❖ أيها الرجال، أحببوا نساءكم (أف ٥ : ٢٥). فقد كنتم غرباء عن بعضكم البعض، ولكن جُمِعتم بشركة الزواج. لتكن هذه الرابطة الطبيعية، هذا النير الذي وضع عليكم بفعل البركة الزوجية، صلة وصل تجمع فيما بينكم رغم المسافات^١.

❖ بالروح القدس استعادة سكاننا في الفردوس،

وصعودنا إلى ملكوت السموات،

وعودتنا إلى البنوة الإلهية،

ودالتنا لتسمية الله "أبانا"،

واشتركانا في نعمة المسيح،

وتسميتنا أبناء النور، وحقنًا في المجد الأبدي،

وبكلمة واحدة حصولنا على ماء البركة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي^٢.

القديس باسيليوس الكبير

❖ لبيت نفوسنا تبارك الرب، وليباركنا الرب.

^١ Hexaameron 7:5.

^٢ De Spir, Sanc. 15:35.

فعندما يباركنا الرب ننمو نحن، وعندما نبارك الرب ننمو نحن أيضًا، وفي كليهما نستفيد نحن (لا الله).

أولاً لتكن فينا بركة الرب، وعندئذٍ نباركه نحن، فهذا هو المطر (أي بركته لنا) وهي ذاتها الثمرة (أي نباركه بالبركة التي باركنا بها). إن المطر يرتد كثر من الله صاحب الأرض الذي أمطر علينا وأفلحنا.

لبيتنا نَنَعَى بهذه الكلمات، بعبادة مُثَمَّرَة، وكلمات غير جوفاء، وبقلبٍ حقيقيٍّ. فإنه من الواضح أن الله الأب قد دُعِيَ كرامًا (يو ١٥: ١)، والرسول يقول: "أنتم فلاحه الله، بناء الله" (١ كو ٩: ٣). كان يقوم بفلاحة حقله. فالله الأب كَرَّام له حقل، يقوم بفلاحته وينتظر منه ثمرًا. ويقول الرب يسوع نفسه إنه "غرس كرمًا... وسلَّمه إلى كرامين"، هؤلاء مُلَزَمون بتقديم الثمار في أوانها.

القديس أغسطينوس

د. تعيين مفوضين لتوزيع ما يجمع

وَأَمَرَ حَزَقِيَّا بِإِعْدَادِ مَخَادِعَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فَأَعْدَوْا. [١١]

يُفَصَدُ بِالْمَخَادِعِ هُنَا مَخَازِنُ يُوَدَعُ فِيهَا مَا يَفِيضُ مِنَ الْغَلَاتِ وَغَيْرِهَا، مِمَّا قُدِّمَ لِلْهَيْكَلِ كَبُكُورٍ وَعَشُورٍ.

وَأَتُوا بِالتَّقْدِيمَةِ وَالْعَشْرِ وَالْأَقْدَاسِ بِأَمَانَةٍ.

وَكَانَ رِئِيسًا عَلَيْهِمْ كُونَنِيَا اللَّاوِيُّ وَشَمْعِي أَخُوهُ الثَّانِي [١٢]

كان شمعي مساعدًا لأخيه كوننيا.

وَيَحِينِيلُ وَعَزْرِيَا وَنَحْتُ وَعَسَائِيلُ وَبِرِيمُوْتُ وَيُوزَابَادُ وَإِيلِينِيلُ وَيَسْمَخِيَا،

وَمَحْتُ وَيَنَايَا وَكَلَاءُ تَحْتُ يَدِ كُونَنِيَا وَشَمْعِي أَخِيهِ،

حَسَبَ تَعْيِينِ حَزَقِيَّا الْمَلِكِ وَعَزْرِيَا رِئِيسِ بَيْتِ اللَّهِ. [١٣]

اهتم الملك بإعداد مخادع في بعض ساحات الهيكل لتخزين التقدّمات بطريقة مُحَكِّمَة، كما عَيَّن أمناء صندوق أو أمناء خزينة لكي يمنعوا السرقات ويزيلوا أي فساد أو تبديد، وهذا يُشَجِّعُ الشَّعْبَ عَلَى الْعَطَاءِ بِسَخَاءٍ وَبِاسْتِمْرَارٍ.

وَقُورِي بَنُ يَمَنَةَ اللَّاوِيُّ الْبَوَابُ نَحْوَ الشَّرْقِ

كَانَ عَلَى الْمُتَبَرِّعِ بِهِ لِهِنَّ لِعِطَاءِ تَقْدِمَةِ الرَّبِّ وَأَقْدَاسِ الْأَقْدَاسِ. [١٤]

تم تعيين موظفين من أناس أمناء وحكماء لتوزيع تقديم الرب والأقداس بين الكهنة، والتأكد من سدّ احتياجات الكهنة وعائلاتهم.

أقام حزقيا قوري بن يمنة ومعه ستة أشخاص للاهتمام بالأمر المادية للهيكل، أي سبعة أشخاص يعملون معاً في خدمة التدبير المالي. وأيضاً بعد حلول الروح القدس في العلية، اختار التلاميذ سبعة شامسة للعمل الاجتماعي، وتدبير أمور المحتاجين، حتى يتفرغ التلاميذ لخدمة الكرازة والكلمة (أع ٦: ١-٥).

الرقمان لهما مدلولات روحية^١:

الرقم الأول ١٢ يشير إلى ملكوت الله على الأرض. رقم ٤ يشير إلى الإنسان المخلوق من الأرض (أركان الأرض الأربع أو الجهات الأربع)، ورقم ٣ يشير إلى الثالوث القدوس، فرقم ١٢ يشير إلى اتحاد الإنسان مع الله (٤×٣).

أما رقم ٧ فهو محصلة جمع ٣ و ٤ يشير إلى الكمال، حيث أن الإنسان أعظم الكائنات الأرضية، وهو مخلوق من التراب (٤)، والنفس صورة الله الثالوث القدوس (٣).

هذا والزمن يتكون من الشهور (١٢ شهر)، ومن الأسابيع (٧).

يرى البعض أن رقم ١٢ يشير إلى الجانب اللاهوتي حيث أساسات أورشليم العليا تتكون من اثني عشر حجرًا كريمًا. ورقم ٧ يشير إلى الجانب العملي (أيام الأسبوع). وكأنه يليق في العبادة أن يكون لنا الفكر الروحي السماوي السليم، والسلوك الروحي العملي في المسيح يسوع.

وَتَحْتِ يَدَيْهِ:

عَدْنُ وَبِنْيَامِينُ وَيَشُوعُ وَشَمْعِيَا وَأَمْرِيَا وَشَكْنِيَا فِي مَدْنِ الْكَهَنَةِ بِأَمَانَةٍ،

لِيُعْطُوا لِإِخْوَتِهِمْ حَسَبَ الْفَرْقِ الْكَبِيرِ كَالصَّغِيرِ [١٥]

جاءت كلمة بنيامين في ترجمة الفولجاتا والسريانية والسبعينية مينيامين *Miniamin*.

فَضْلًا عَنِ انْتِسَابِ ذُكُورِهِمْ مِنْ ابْنِ ثَلَاثِ سِنِينَ فَمَا فَوْقُ،

مِنْ كُلِّ دَاخِلِ بَيْتِ الرَّبِّ أَمْرٌ كُلُّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ،

حَسَبَ خِدْمَتِهِمْ فِي حِرَاسَاتِهِمْ حَسَبَ أَقْسَامِهِمْ [١٦]

¹ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship*, 2 Chronicles 31.

وَأَنْتَسَابِ الْكَهَنَةَ حَسَبَ بِيُوتِ آبَائِهِمْ وَاللَّاوِيِّينَ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَمَا فَوْقُ،

حَسَبَ حِرَاسَاتِهِمْ وَأَقْسَامِهِمْ [١٧]

وَأَنْتَسَابِ جَمِيعِ أَطْفَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي كُلِّ الْجَمَاعَةِ،

لَأَنَّهُمْ بِأَمَانَتِهِمْ تَقَدَّسُوا تَقَدَّسًا. [١٨]

وَمِنْ بَنِي هَارُونَ الْكَهَنَةِ فِي حُقُولِ مَرَاعِي مُدُنِهِمْ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ،

الرِّجَالُ الْمُعَيَّنَةُ أَسْمَاؤُهُمْ لِإِعْطَاءِ حِصَصٍ لِكُلِّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ،

وَلِكُلِّ مَنْ أَنْتَسَبَ مِنَ اللَّاوِيِّينَ. [١٩]

هـ. التهاب قلب الملك للعمل

هَكَذَا عَمِلَ حَزَقِيَّا فِي كُلِّ يَهُودَا،

وَعَمِلَ مَا هُوَ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ وَحَقٌّ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ. [٢٠]

كشفت سلوك حزقيا عن حقيقة شخصيته، فهو صالح يمارس الصلاح؛ ومستقيم يسلك باستقامة،

وعادل يسلك حسب الحق الذي أُعلن له.

وَكُلُّ عَمَلٍ ابْتَدَأَ بِهِ فِي خِدْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ وَفِي الشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ لِيُطَلَّبَ إِلَهُهُ،

إِنَّمَا عَمَلُهُ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَأَفْلَحَ. [٢١]

هذا الأمر لا يخص مدينة مُعَيَّنَةً أو مجموعة مدن، إنما عمل حزقيا هذا في كل يهوذا، لا

لإرضاء الكهنة، وإنما ما يشغله في كل تصرُّفاته أن يعمل ما هو صالح أمام الرب إلهه. يعمل بكل

نشاطٍ من كل قلبه وبنية صادقة لخدمة بيت الرب لمجد الله. لهذا نجح في أعماله، واستراح الكل

لتصرُّفاته.

من وحي ٢ أي ٣١

لأسكن في بيتك، وأتزيّن بوصاياك!

❖ تُرَى، هل كان يشغل قلب حزقيا وفكره شيء غير بيتك؟

كُرِّس طاقاته مع طاقات الكهنة واللاويين لتطهيره من الأوثان.

ألهب قلوب رؤساء إسرائيل والشعب بالغيرة على بيتك.

قام بتنظيم العبادة والعاملين في بيتك بكل دقة.

اهتم بتدبير احتياجات العاملين فيه.

قَدَّمَ الكثير من حصّته للإنفاق على البيت.

❖ هَبْ لي مع حزقيا أن أهتم ببيتك القائم في قلبي.

لتسكن في داخلي وتقدسه،

وأسكن أنا في أحضانك وأقدس بك!

لنكن أنت الإله الوحيد الذي يحتل القلب كله!

لن أسمح لإله آخر يتسلل إلى قلبي.

لن أعشق المال، ولا أتلذذ بالشهوات، ولا أطلب كرامة زمنية.

لنُحَطِّم كل وثنٍ تَرَبَّع في قلبي.

ليتك تتجلّى في داخلي، فتعكس بهاءك عليّ!

تشرق يا شمس البرّ فيّ،

فلا تجد الخطية لها مكاناً فيّ!

❖ لِنُعَلِّم عن حضورك فيّ، يا رئيس الكهنة السماوي.

يعمل عقلي مع قلبي وعواظي تحت قيادتك.

نُصَلِّب معك، فنُقَدِّم مُحَرِّقات حب على الدوام.

ونُقَدِّم ذبائح السلامة والشكر والتسبيح لك!

نعمتك العجيبة تمارس حراسة دائمة على مسكنك فيّ!

❖ بماذا أساهم لبناء هيكلك فيّ؟

إنه عمل روحك القدوس الناري!

أُقَدِّمُ مع الأرملة فلسي الحب الأفضل من كنوز العالم!

أُقَدِّمُ عمري كله وطاقاتي لخدمتك!

أتمسك بشريعتك المقدسة ووصاياك.

تتزيّن نفسي بوصاياك،

فتصير نفسي عروساً لك!

❖ من يبني في داخلي مخازن أحتفظ فيها بكنوز بيتك.

في الخفاء أدخل إلى أعماقي،

وأغتصب كنوز أسرارك الإلهية.

عطايك لي تهبني غنىً وشبعاً وفرحاً دائماً.

❖ سكناك يبارك كل ما في داخلي.

تمتلئ نفسي بالبركات والصالحات،

بل بنعمتك تجعلني بركة!

كلما التقيت بأحدٍ، أشتهي خلاصه ومجده فيك.

❖ بسكناك يفتح قلبي لكل بشرٍ.

يمتد حُبِّي، فيرجع حتى إلى أيام آدم وحواء،

ويمتد إلى قدام، لئيجب الأجيال القادمة.

أشتهي أن يتزيّن كل بني البشر بحليّ الروح القدس.

ويعتز الكل بوصاياك ككنوز لا تُقدَّر بثمنٍ.

ويشتهي السمايون رؤيتهم، لأنهم أيقونة لك.

ويترقّب الكل يوم مجيئك،

ليلتقوا معك على السحاب،

وينضمّوا إلى خورس السمايين.

❖ لك المجد يا من تطلب أن تسكن فيّ،

وتفتح أحضانك، لأسكن مع إخوتي فيها!

الأصحاح الثاني والثلاثون

بالإيمان حزقيا الملك يتحدّى أشور والمرض

روح القوة لا روح الفشل!

تكشف لنا الفترة الأخيرة من حياة حزقيا الملك أنه مهماً لنا من روح القوة، يلزمنا أن نحذر لئلا يتسرّب روح الضعف والفشل إلينا. اختبر حزقيا روح القوة حين واجه أكبر قوة في ذلك الحين، أشور، التي استولت وسبّت الكثير من الأمم والشعوب. كما تحدّى حزقيا ما حلّ به من مرض خطير مُستعصي. لكنه إذ تهاون وارتفع قلبه بسبب نصرته وشفائه، وبسبب شهرته حيث صار موضع دهشة الملوك والعظماء، سقط وعرض مملكة يهوذا للمرارة في أيام أحفاده. يُشجّعنا الرسول بولس وأيضاً يحذرنا بقوله: "لأن الله لم يعطينا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢ تي ١ : ٧)؛ "من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط" (١ كو ١٠ : ١٢). خلقنا الله على صورته، وعندما أفسدناها بالعصيان ردها لنا بصلبه وقيامته لكي نحيا بروح النصر والغلبة على الموت وعلى إبليس.

❖ من يسقط من النعمة التي هي ملء المسيح، يسقط فارغاً أمام أعدائه^١.

❖ تأمل ملياً كيف جُبِلت. فكَرّ في المعمل الذي خَرَجْتُ منه طبيعتك. إنها يد الله التي تسلمتك. فالذي جُبِلَ بواسطة الرب لا يكون ملوثاً بالشر، لا يكون فاسداً بالخطية، ولا يسقط من يد الله. أنت إناء شُكِّلتَ بطريقة إلهية وخُلِقَتْ بيدي الله، لذلك مَجْدُ خالقك. لم تُخْلَقْ لأجل شيءٍ آخر غير أن تكون أداةً لتمجيد الله، وهذا الكون بأكمله بمثابة كتاب يذيع مجد الله، مُعَلِّناً لك . يا مَنْ لك عقل تُدرك به الحقيقة: عظمة الله الخفية والظاهرة. لهذا السبب، تذكّر بعناية ما قد قيل^٢.

❖ لا تبيأس من الخلاص، مُسترجِعاً إلى ذاكرتك ما ورد في الكتاب المقدّس أن الذي يسقط يقوم، والضال يعود (إر ٨ : ٤) والمجروح يُشْفَى، والفريسة تهرب (من الوحش)، ومن يعترف بخطيئته لا يُحتَقَر. لا يشاء الرب موت الخاطي، بل بالحري أن يعود ويحيا (حز ١٨ : ٣٢). لا تستهتر، فتكون كالشرير في هوة الشر (أم ١٨ : ٣). إنه الآن وقت لاحتمالك وطول الأناة (عليك) والشفاء والإصلاح. هل عثرت؟ فم. هل أخطأت؟ كَفَّ عن الخطيئة. ولا تقف في طريق الخطاة (مز ١ :

^١ Homily 11:3 on Psalm 7.

^٢ ترجمة: ريمون يوسف. The Origin of Man, homily 2:4.

(١)، بل اهرب. عندما تندم وتتأوه وتخلص، إذ يخرج من العمل صحّة، ومن العرق خلاص^١.
القدّيس باسيليوس الكبير

تجارب حزقيا الملك الثالث

تجارب حزقيا تُماثل تجارب أيوب الثالث، وهي:

١. مقاومة أعدائه له (أي ١: ١٣-٢١). لم يهتم سفر الأخبار بانجازات حزقيا العسكرية والسياسية، إنما أبرز أن خلاصه من جيش آشور تحت قيادة سنحاريب تحقق خلال الصلاة الطاهرة القادرة أن تُغيّر كل شيء، لأن الله يقف مع صاحب القلب المُخلص.
اشترك إشعيا مع حزقيا في الصلاة من أجل الخلاص من جيش سنحاريب (٣٢: ٢٠).
٢. معاناته من المرض (أي ٢: ٧-١٠).
٣. معاناته من أصدقائه (أي ٢: ١١-١٣).

الظروف التي عاش فيها حزقيا الملك

عاش حزقيا الملك في فترة عصيبة حيث امتدت إمبراطورية آشور وتوسّعت جدًّا، وصارت موضع رُعب للأمم المحيطة بيهودا. استسلمت الأمم لسلطان آشور، وأظهرت كل ترحيبٍ لحيشه، حتى يتجنّبوا شره، ومع هذا لم تسلّم أمة ما من عنف آشور وشراسته.
لقد غزا شلمنأسر ملك آشور مملكة إسرائيل، وأخضعها له. وها هو سنحاريب ملك آشور يود أن يغزو مملكة يهوذا ويخضعها لنفسه.

بعد أن قام حزقيا بالإصلاحات الخاصة بالهيكل وعبادة الله الحيّ أثار عدو الخير سنحاريب ليفسد كل ما قام به حزقيا. هذا وقد بدأت بعض الأمم الخاضعة لأشور بالتمرد، فقد نجح الفلسطينيون في التخلّص من سيطرة آشور عليهم. وكان كل من أدوم ويهودا يود أن يكون لهم استقلالهم مثل الفلسطينيين، خاصة وأن فرعون مصر كان يحثهم على ذلك.

عارض إشعيا بقوة هذا التمرد على آشور، ليس فقط لعدم ثقته في مصر التي كانت تثير الأمم على هذا التمرد، وإنما لإدراكه أن سياسة مصر وفلسطين لم تكن حسب مشيئة الله. لقد حثّ النبي الملك حزقيا ألا يشترك في التمرد الذي كانت تحركه كوش ومصر (إش ١٨-١٩).

في نظر الآشوريين في عام ٧١٢ ق.م أن حزقيا قام بهدم المذابح الآشورية التي كانت في أرض

^١ رسالة ٤٤ إلى راهب ساقط.

الموعد، لكنه على الأقل لم يشترك في التمرد العلني الذي قام به الفلسطينيون.

في سنة ٧٠٥ ق.م عندما قُتِلَ سرجون الثاني في معركة مع *Cimmerians* أثناء غزو آسيا الصغرى، تعرّضت الإمبراطورية الأشورية مرة أخرى لمناعب كثيرة بسبب العصيان. واجه الإمبراطور الجديد سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) مناعب من كل جانبٍ. منها أن البابليين ثاروا على آشور، وكانوا يزدادون قوة حتى غلبوا آشور في القرن التالي.

شعر حزقيا أن الوقت قد حان لاستقلال يهوذا، فكان يضغط على بعض الفلسطينيين للتحالف (٢ مل ١٨ : ٨)، كما قام بتقوية حصون أورشليم، وحفر قناة تحت الأرض. كما أرسل مندوبين إلى مصر يطلب عوناً في تمرده. هاجم إشعياء النبي هذا الأسلوب (إش ٣٠ : ١-٧)، لكن الملك لم يُعطِ اهتماماً لنصائح النبي.

احتاج سنحاريب إلى ثلاث سنوات تقريباً ليحارب بابل، وفي عام ٧٠١ ق.م صار مستعداً للتحرك ضد حركات التمرد في الغرب. فقام بتغيير ملك صور الذي التجأ إلى قبرص، وتحطيمه لثورة الفينيقيين سنة ٧٠١ ق.م أدى إلى زوال أعظم أسطول بحري في البحر الأبيض المتوسط. بعد سقوط الفينيقيين، تحقق حزقيا أن سنحاريب سينطلق نحو يهوذا. وبالفعل قام سنحاريب بتدمير ست وأربعين مدينة مُحصّنة في يهوذا، وقام بترحيل سكانها.

هذه هي الظروف التي دارت فيها الأحداث الواردة في هذا الأصحاح. بحسب ما ورد في يوسيفوس لم يكتب سنحاريب بما قدّمه حزقيا له، فوضع في قلبه مُحاصرة المدينة تحت أي ظرف. إذ اقترب سنحاريب من أورشليم حسب حزقيا أن الموت حلّ به، فإنه لم يعد يوجد أي مجال للحوار. لأن الدخول في حوار مع سنحاريب معناه التدمير الكامل للمدينة، فهو لا يقبلُ أقل من هذا. هذا ما حدث سنة ٧٢٢ ق.م في مملكة الشمال، فالمتوقّع أنه سيسبي شعب يهوذا كما قام بسبي السامرة. بهذا لم يكن أمام حزقيا سوى الجهاد حتى الموت.

١. نزول سنحاريب على مدن يهوذا
٢. سنحاريب يتوجّه لمحاربة أورشليم
٣. بعث رسالة من سنحاريب
٤. حزقيا وإشعياء يصليان
٥. إرسال ملك ينقذ حزقيا
٦. مرض حزقيا وشفائه

٢٥-٣١.

٧. ارتفاع قلب حزقيا

٣٢-٣٣.

٨. موت حزقيا ودفنه

١. نزول سنحاريب على مدن يهوذا

وَبَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ وَهَذِهِ الْأَمَانَةِ أَتَى سَنَحَارِيبُ مَلِكَ أَشُورَ،
وَدَخَلَ يَهُودًا، وَنَزَلَ عَلَى الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ،
وَوَطَعَ بِإِخْضَاعِهَا لِنَفْسِهِ. [١]

جاءت الرواية الخاصة بهجوم سنحاريب ملك آشور تكاد تطابق ما ورد في إشعياء ٣٦-٣٩، كلمة بكلمة.

بتدبير إلهي لم تحدث هذه المحنة قبل إتمام الإصلاح، وإلا لتوقّف العمل تمامًا. لعل سنحاريب سمع عن كل ما فعله حزقيا وأمانته لله، وكيف ألهب قلوب شعبه بإبادة كل أثر للعبادة الوثنية. شعر سنحاريب أن هذه الآلهة الوثنية لن تعضد حزقيا ولن تحميه. إن كان عدو الخير قد هيّج سنحاريب ليُحَطِّمَ حزقيا، ويثير شعبه عليه، ظن أن الله لا ينفذهم من يديه، لكن وقد ترك الرب من جانبه سنحاريب يُجَدِّفُ عليه إلى حين، ويتهور جدًا في تجديفه وتحديه لحزقيا والله نفسه، حتى يكشف للشعب قوته وحمايته لهم في أقوى صورة!

٢. سنحاريب يتوجه لمحاربة أورشليم

وَلَمَّا رَأَى حَزَقِيَّا أَنَّ سَنَحَارِيبَ قَدْ أَتَى،
وَوَجَّهُهُ عَلَى مُحَارَبَةِ أورشليم [٢]

يرى القديس كيرلس الكبير أن سنحاريب يرمز إلى الشيطان الذي يرسل من هم تحت سلطانه ليُحَطِّمُوا كنيسة المسيح، ويُحَقِّقُوا هدفه الخبيث، حين يثيرون المعركة ضد أبطال الإيمان، ويسخرون بالمجد الإلهي. لكنه كما يقول: [اليد الإلهية بقوتها لديها الكفاية لخلاص الذين يسلكون في الصلاح، وتحطيم العدو. بالحقيقة إنها تطردهم باتخاذ قرارٍ فعالٍ بقوة لا تُقهر، وتحرّر المدينة المقدسة التي بلا لوم، أي الكنيسة، فإن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦: ١٨).^١]

تَشَاوَرَ هُوَ وَرُؤَسَاؤُهُ وَجَبَّابِرْتُهُ عَلَى طَمِّ مِيَاهِ الْعُيُونِ،
الَّتِي هِيَ خَارِجُ الْمَدِينَةِ، فَسَاعَدُوهُ. [٣]

¹ Commentary on Isaiah, chapter 37.

بحكمة واجه حزقيا الملك الخطر الذي يُهدّده من جهة أشور. "تشاور هو ورؤساؤه وجبابرته"، وأخذ بنصيحتهم وقام بالإجراءات الواقية. خلال الإعداد للحصار، قام حزقيا ورجاله ببذل كل الجهد لتجريد المنطقة من الماء خارج أورشليم. لقد انتفع سكان أورشليم المحاصرين بالماء الذي في القناة التي تحت الأرض. هذه القناة ارتفاعها ستة أقدام، منحوتة في حجارة قوية من ينبوع جيحون إلى بركة سلوام [٣٠].

اهتم حزقيا بتقوية أسوار أورشليم. بعد ذلك حث الشعب على الإيمان بخلص الرب. ما ورد هنا بالتفصيل [٢-٨] لم يرد في الملوك الثاني ولا في كتابات يوسيفوس. ما يليق بنا ملاحظته أن حزقيا فعل كل ما في استطاعته بجانب ثقته في معونة الله. إنه لم ينكر ضرورة كل جهد بشري للدفاع عن المدينة. ثقته في الرب لم تحمل أية غباوة، بل سندته ثقته في الرب ليبذل كل جهد بحكمة مع الرجوع إلى الخبرة. لم يهتم كاتب السفر أن يذكر تاريخ العدو، ولا أسماء مندوبي سنحاريب كما فعل ملوك الثاني. ولا ذكر العدد الضخم من الأشوريين الذين هلكوا [٢١].

فَتَجَمَعَ شَعْبٌ كَثِيرٌ، وَطَمَّوْا جَمِيعَ النِّبَابِيعِ،
وَالنَّهْرَ الْجَارِي فِي وَسْطِ الْأَرْضِ، قَائِلِينَ:

لِمَاذَا يَأْتِي مُلُوكُ أَشُورَ، وَيَجِدُونَ مِيَاهًا غَزِيرَةً؟ [٤]

كان هذا النهر موجوداً في القديم واندثر مع الأيام. أي جيش مهما بلغت إمكانياته إن حُرِمَ من الماء لبضعة أيام هلك. لذلك أسرع لطمّ مياه العيون التي هي خارج المدينة. قام بتحويل المياه إلى داخل المدينة عن طريق أنابيب تحت الأرض.

وَتَشَدَّدَ وَبَنَى كُلَّ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ، وَأَعْلَاهُ إِلَى الْأَبْرَاجِ،
وَسُورًا آخَرَ خَارِجًا، وَحَصَّنَ الْقَلْعَةَ مَدِينَةَ دَاوُدَ،
وَعَمَلَ سِلَاحًا بِكثْرَةٍ وَأَثْرَاسًا. [٥]

اهتم حزقيا أيضاً بالأسوار، وتشدّد، وبني كل السور المنهدم في أيام أبيه آحاز لقلّة الاعتناء به، وأقام أبراجاً عليه. وبني سوراً آخر خارجاً. قام أيضاً بتحصين المدينة، إذ بنى السور المنهدم، كما عيّن رؤساء قتال. الأمانة في خدمة الرب لا تعني التواكل أو التراخي في الأعمال الأخرى. الله هو الذي يُحصّن، ويهب النصر للمتوكّلين عليه، العاملين بحكمة، وليس للمتراخين المهمّلين.

وَجَعَلَ رُؤَسَاءَ قِتَالٍ عَلَى الشَّعْبِ،
وَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ إِلَى سَاحَةِ بَابِ الْمَدِينَةِ،
وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ، قَائِلًا: [٦]

في اجتماع الملك بالقادة خاطبهم بروح الثقة واليقين في عمل الله، أن هذا الغزو سينتهي بالخير لشعب الله. لم يكن مثل أبيه الذي لم يكن له الإيمان ليقويه في وسط الضيق، فقد كانت خطاياهم هي مصدر رُعبه.

تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَابُوا مِنْ مَلِكِ أَشُورَ،
وَمِنْ كُلِّ الْجُمْهُورِ الَّذِي مَعَهُ،
لَأَنَّ مَعَنَا أَكْثَرَ مِمَّا مَعَهُ. [٧]

جاءت كلمات الملك تعكس خبرة شعب الله والمؤمنين عبر الأجيال، فقد اختبر موسى في حربه مع عماليق، كيف غلبهم، فقد بسط يديه على شكل صليب (٢ مل ٦: ١٦)، واختبره أليشع النبي القائل لتلميذه جيحزى: "لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦).

❖ كانت يدا موسى تديران كل الحرب، وهو يهب النصر والاندحار.

إنه مثل الحاكم وفي كَفَّ يديه كان موضوعاً للقيام والسقوط، فنصر ودحَرَ من أراد. ببسط يديه صار مثل الحوذي للمعركة، فأمسك البهي رسنَ الصفوف وقوادهم. حين كان موسى يحني يده كان الشعب ينهزم، وحين كان يرفعها هزمت إسرائيل الشعوب. جرت الحرب بين الجيوش، وأما النصره فمن موسى؛ كانت المعارك في الجبهات وأما فعالياتها فيبيد ثقيل اللسان. لم ينجُ المحاربون بقوتهم، ولا غلب الودعاء بعنايتهم... الذين ألقوا لم ينتصروا، والذين أهملوا لم يخسروا، والذين هربوا لم يتمردوا. الذين حاربوا لم يغلبوا، والذين خسروا لم يبطلوا، والذين سكتوا لم يموتوا. حين قاتلوا بقوتهم لم ينتصروا، لو لم يرفع موسى يده ويقويهم. لم يجدوا بسعيهم على الغلبة عونًا، فإذا ظهرت قوة من الأكمة تقوى صفوفهم. لم ينتصروا بالسيوف المصقولة التي في أيديهم، بل مال ظل من الجبل، فاشتدت المعركة. لم يشقوا الصفوف برماح وسهام تروسهم، وكلما قام ابن عمرام (موسى) على قدميه كثر القتلى. لم يدرهم الأعداء حتى لو سكتوا، لكن لو أهمل موسى قليلاً لركعت الفيالق (الكتائب).

كانت قوة الفريقين عبثًا، لأن القوة التي تُسْقَطُ وتُقِيمُ كانت (تصدر) من قمة الأكمة. فُهِزَّت الشجاعة في المعركة، لأن حرب الصفوف كانت تديرها يدا موسى. صار السلاح المصاغ سخرية مع حامله، لأنه لم يقاوم الظلَّ ويغلبه. سيوف مُسْتَلَّة، وسهام طائرة، وأوتار مطنطنة، لم تقوَ على دحر واحد مُجَرَّدًا من السلاح. صفوف مجتمعة تُهَدَّدُ وترمي وتصرخ وتسخر، ورجل عارٍ ومصلوبٍ على الجبل يحترقهم. خيول مطرودة، وأناس في رُعبٍ، وسلاح يُضْرَبُ، ومصلوب ساكتٌ جُعِلَ له سلطان على النصر. ارتبطت معركة الفريقين وتعلقت بيديه، وبظله سار سلطان الحرب عليهما. خصام جيشين أسيرٍ بالعصا التي معه، والى أية جهة أملت نفسها انتصر الجيش^١.

❖ كان أليشع تحرسه الملائكة، وحيثما يمضي تسير معه القوات.

يُحِيط جيش خدام الله بخائفه، ويُجَبِّهم من الأضرار (مز ٣٤: ٧).

يحيط ساهرو النار به من كل جانب، فلا يقترب منه الخطر ولا التهديد.

أما تلميذه الذي رأى الخيول والقوات العظيمة، فخاف مثل صبي، وارتعب من الأفواج القوية.

خاف وعاد إلى أليشع وهو يرتعب، وقال: آه يا سيدي، كيف نعير من الفرسان؟ (٢ مل ٦: ١٥)

أما أليشع فلم يَخَفْ من الأفواج، ولم يحسب حسابًا لبأس الملوك.

أحاطت به قوات بيت الله، التي كانت أكثر من الجموع المحيطة به.

كان يوجد معه ساهرو النار وخدام اللهب، الذين كانوا أكثر من أن يُحصوا.

ركب أبناء اللهب (الخيول) ضد الأراميين، ليصيروا سورًا لمختار بيت الله هذا.

حالما أمر الملك لياتوا إلى أليشع، أمر الله الخدام، وتطلَّعوا قبالتهم.

أشار ربُّ الكل إلى جوقة اللهب، وامتطت لتطرد المُفسِدين عن أليشع.

ركبوا وخرجوا من معسكر السماويين، ليقلقوا هؤلاء الذين أتوا إلى الجميل.

امتألاً الجبل بفرسان النار وخيول النار والقوات ضد قوة المحاربين.

أحاطوا به حتى ينثروا الجمرات، وينقذوه من أيدي الأراميين، إن اقتربوا منه.

أحاط عبيد الملك بالقرية ليصطادوه، ونزل عبيد الرب على الجبل لينقذوه.

نار الخدام مخفية في أشخاصهم، وصامتة، وحاضرة لتظهر بأسها إن طُلب منها.

^١ راجع الميمر ١٥٨ الدكتور بهنام سوني؛ الخوري بولس الفغالي، ص ١٦٥-١٦٧.

امتطت النار خيول اللهب المخيفة، ووقفت لتحرق إن حدث شيء ما لأليشع^١.

القديس مار يعقوب السروجي

مَعَهُ ذِرَاعٌ بَشَرٍ،

وَمَعَنَا الرَّبُّ إِلَهُنَا لِيُسَاعِدَنَا وَيُحَارِبَ حُرُوبَنَا.

فَاسْتَنْدَ الشَّعْبُ عَلَى كَلَامِ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُودَا. [٨]

سعى الملك إلى تهدئة مخاوفهم، إذ طيَّب قلوبهم، قائلاً: "تشددوا وتشجعوا. لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك آشور، ومن كل الجمهور الذي معه، لأن معنا أكثر مما معه. معه ذراع بشر ومعنا الرب إلهنا، ليساعدنا ويحارب حروبنا". لم يقل "ليساعدنا فنحاربهم، إنما قال: ليساعدنا ويحارب حروبنا"! لقد شجَّعهم إشعياء النبي بقوله: "ولكن هكذا يقول السيد رب الجنود: لا تخف من آشور يا شعبي الساكن في صهيون. يضربك بالقضيب، ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر. لأنه بعد قليل جداً يتم السخط وغضبي في إبادتهم، ويقم عليه رب الجنود سوطاً كضربة مديان عند صخرة غراب، وعصاه على البحر، ويرفعها على أسلوب مصر" (إش ٢٤-٢٦).

يصف إشعياء النبي موقف حزقيا النبي، قائلاً: "الملك ببهائه تنظر عيناك... انظر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً، خيمة لا تنتقل، لا تُفَلَع أوتادها إلى الأبد، وشيء من أطنابها لا ينقطع، بل هناك الرب العزيز..." (إش ٣٣: ١٧-٢١).

٣. بعث رسالة من سنحاريب

بَعْدَ هَذَا أَرْسَلَ سَنَحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ عِيْدَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

(وَهُوَ عَلَى لُخَيْشٍ وَكُلُّ سُلْطَنَتِهِ مَعَهُ)

إِلَى حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُودَا وَإِلَى كُلِّ يَهُودَا الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ، يَقُولُونَ: [٩]

يروي سفر الملوك الثاني (٢ مل ١٨-١٩) قصة تجديف سنحاريب على الله، وصلاة حزقيا، وخلص أورشليم من دمار جيش آشور بأكثر تفصيل، وجاءت هنا باختصار.

يظهر في القصة خبث عدو الخير: كان سنحاريب مشغولاً بمحاصرة لخيخ، لكنه إذ سمع أن حزقيا يقوم بتحصين أورشليم، ويُشدّد شعبه بروح الإيمان، بعث برسلاً يلقون الرعب في قلب حزقيا وشعبه، لكي يُسَلِّموا المدينة قبل أن يأتي بنفسه قائداً جيشه. بخبثٍ وجَه الحديث إلى الشعب، لكي

^١ الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني؛ وترجمة الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ٢٠٠٣، ص ١٢٨-١٣٠).

يزرع ثقتهم وولاءهم لحزقيا. استعرض خلال رسله نصراته على شعوب كثيرة، التي لم تستطع ألتهم أن تحميهم، فلماذا يخدمهم حزقيا بأن إلههم ينقذهم من يديه؟

هَكَذَا يَقُولُ سَنَحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ:

عَلَى مَاذَا تَتَكَلَّمُونَ وَتَقِيمُونَ فِي الْحِصَارِ فِي أُورُشَلِيمَ؟ [١٠]

حسبهم سنحاريب محاصرين قبل أن يتم الحصار، ولم يدرك أنه هو وجيشه سيصيرون مُحاصرين من الله.

أَلَيْسَ حَزَقِيَّا يُغْوِيكُمْ، لِيَذْفَعَكُمْ لِلْمَوْتِ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، قَائِلًا:

الرَّبُّ إِلَهُنَا يُنْقِذُنَا مِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُورَ. [١١]

لم يدرك سنحاريب أن أورشليم تمتلك لنفسها ينابيع المياه الخفية.

أَلَيْسَ حَزَقِيَّا هُوَ الَّذِي أزالَ مُرْتَفَعَاتِهِ، وَمَذَابِحَهُ،

وَقَالَ لِيَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ:

أَمَامَ مَذْبَحٍ وَاحِدٍ تَسْجُدُونَ، وَعَلَيْهِ تُوقِدُونَ؟ [١٢]

أَمَا تَعْلَمُونَ مَا فَعَلْتُهُ أَنَا وَأَبَائِي بِجَمِيعِ شُعُوبِ الْأَرْضِ؟

فَهَلْ قَدِرْتَ إِلَهَةٌ أُمَّمِ الْأَرْضِ أَنْ تَنْقِذَ أَرْضَهَا مِنْ يَدِي؟ [١٣]

❖ كشف ريشاقي عن حقه الهجري، ونطق بكلمات وقحة ضد الله، مفتخرًا بصوت عالٍ على كل المدن التي للأمم والتي أسرها الأشوري، فإنه ليست مدينة منها خلصت بواسطة ألتهما الباطلة. لم يكن (ريشاقي) مُدركًا أنها أخشاب وحجارة، من صنع أيادٍ بشريةٍ ليس إلا. أما إله يهوذا فعلى عكس هذا، بل بالحري إله كل المسكونة، هو الله الحقيقي، ليس بالمُبتدع حديثًا، بل هو خالق كل الأجيال، صانع كل الأشياء، رب القوات. ظن ريشاقي أنه يوجد دليل واضح أنهم جميعًا سوف يصيرون أسرى، حتى وإن جاء الله في عظمته لِيُعَيْبَهُم، فإنه بالحقيقة ليس من بين آلهة اليونانيين من نجح في إنقاذ مدنه أو أرضه التي كُرِّم فيها...

وكما قلت سابقًا، إن كان لم ينقذ أحد آلهة الأمم شعبه، فإن هذا ليس حقيقي بالنسبة لمن هو الله الحقيقي بالطبيعة، فهو الله في عظمته، أما الآلهة الأخرى، فهي من اختراعٍ بشري لا تساوي شيئًا، بينما الأخير هو ضابط كل الأشياء، يَتَمَتَّعُ بِسُلْطَانٍ لَا يُقَهَرُ، وهو رب القوات¹.

¹ Commentary on Isaiah, chapter 36.

القديس كيرلس الكبير

مَنْ مِنْ جَمِيعِ آلِهَةِ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَرَّمَهُمْ آبَائِي،
اسْتَطَاعَ أَنْ يُنْقِذَ شَعْبَهُ مِنْ يَدِي،

حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْهُكْمُ أَنْ يُنْقِذَكُمْ مِنْ يَدِي؟ [١٤]

وَالآنَ لَا يَخْدَعَنَّكُمْ حَرْقِيًّا، وَلَا يُغْوِيَنَّكُمْ هَكَذَا، وَلَا تُصَدِّقُوهُ،
لَأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ إِلَهُ أُمَّةٍ أَوْ مَمْلَكَةٍ أَنْ يُنْقِذَ شَعْبَهُ مِنْ يَدِي وَيَدِ آبَائِي.

فَكَمْ بِالْحَرْبِ الْهُكْمُ لَا يُنْقِذُكُمْ مِنْ يَدِي! [١٥]

وَتَكَلَّمْ عِبِيدُهُ أَكْثَرَ ضِدَّ الرَّبِّ الْإِلَهِ وَضِدَّ حَرْقِيًّا عَبْدَهُ. [١٦]

وَكَتَبَ رِسَائِلَ لِتَغْيِيرِ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، وَلِلتَّكَلُّمِ ضِدَّهُ، قَائِلًا:

كَمَا أَنَّ آلِهَةَ أُمَّمِ الْأَرْضِ لَمْ تُنْقِذْ شُعُوبَهَا مِنْ يَدِي،

كَذَلِكَ لَا يُنْقِذُ إِلَهُ حَرْقِيًّا شَعْبَهُ مِنْ يَدِي. [١٧]

وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ بِالْيَهُودِيِّ إِلَى شَعْبِ أُورُشَلِيمَ،

الَّذِينَ عَلَى السُّورِ لِتَخْوِيفِهِمْ وَتَرْوِيعِهِمْ لِيَأْخُذُوا الْمَدِينَةَ. [١٨]

وَتَكَلَّمُوا عَلَى إِلَهُ أُورُشَلِيمَ كَمَا عَلَى آلِهَةِ شُعُوبِ الْأَرْضِ،

صَنْعَةَ أَيْدِي النَّاسِ. [١٩]

كان سنحاريب يأمل أن يغزو المدينة ويسبي الشعب دون حاجة إلى دخول في معركة معهم. فكثير من الأمم سلّمت نفسها له، بل واستقبلت جيشه بالرقص والغناء، ومع هذا لم يحسن معاملتهم. ما قاله سنحاريب سبق أن قاله أعداء داود: "ليس له خلاص بإلهه" (مز ٣: ٢؛ ٧١: ١١). لقد دعا الله الحيّ "إله أورشليم" [١٩]، حاسبًا إياه إلهًا لمدينة واحدة كسائر آلِهَةِ الْأُمَمِ، وليس خالق السماء والأرض.

٤. حرقيا وإشعيا يصليان

فَصَلَّى حَرْقِيًّا الْمَلِكُ وَإِشْعِيَاءُ بْنُ آمُوصَ النَّبِيُّ لِذَلِكَ،

وَصَرَخَا إِلَى السَّمَاءِ [٢٠]

كانت الضيقة فرصة للصلاة والصراخ إلى الله الساكن في السماوات، مسكن عرشه.

إذ سمع حرقيا الملك من ألياقيم وشبنة كلمات سنحاريب ملك أشور على لسان مندوبه ريشاقي (٢)

مل (١٩: ١)، بعثهما إلى إشعيا النبي، يُعَبِّرَانِ بِمَلَامِحِهِمَا وَمَشَاعِرِهِمَا عَمَّا قَالَهُ رِيشَاقِي. لقد ارتدى

المسوح، وقال لإشعياء: "هكذا يقول حزقيًا: هذا اليوم يوم شدةٍ وتأديبٍ وإهانةٍ، لأن الأجنَّة قد دَنَّتْ إلى المَوْلِد، ولا قوة للولادة!" (٢ مل ١٩ : ٣). اعترف حزقيًا بأن مملكة يهوذا بلا قوة، في وقتٍ تحتاج أن تكون قوية للغاية، لتواجه القوة العظمى في العالم، أي آشور. ما كان يشغل قلب حزقيًا ليس فقط جسارة ريشاقي ليعبِّر الله الحي، وإنما أنه حلَّ يوم شدةٍ وتأديبٍ وإهانةٍ على يهوذا وأورشليم.

لقد شبَّه هذا اليوم بيوم ولادةٍ عسيرةٍ مع عدم وجود قوة للولادة. لقد طالَّت مدة الطلْق، فخارت قوى يهوذا، وصارت عاجزة عن الولادة، ويحتاج الأمر إلى تدخُّل الله نفسه صانع العجائب. فالأمر خطير للغاية، ويحتاج إلى عونٍ إلهي.

صرخ كل من حزقيًا الملك وإشعياء النبي إلى السماء، ولم يكن الساكن في السماء بعيدًا عنهما. بالصلاة إليه كان قريبًا جدًا إليهما.

❖ ذلك الذي يُخلَّص ليس على مسافة بل قريب، وجاءت محصلة الطلبات (بسرعة)، بعد الصلاة مباشرة... غيرة القديسين جديرة بالإطراء جدًّا، وعندما يُساء إلى مجد الله، يهب فرحًا لهم عندما يحزنون^١.

القديس كيرلس الكبير

❖ "هذا اليوم يوم شدةٍ وتأديبٍ وإهانةٍ... رسم تشبيهاً بامرأةٍ تعاني من آلام الولادة، فقد جاء وقت الطلق، وهي عاجزة عن الولادة، بمعنى أننا نحبل بالخوف منك، ونحن نعاني، ونلد بروح الخلاص^٢.

القديس جيروم

٥. إرسال ملاك ينقذ حزقيًا

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ مَلَكَ،

فَأَبَادَ كُلَّ جَبَّارٍ بِأَسٍ وَرَبِّيسٍ وَقَائِدٍ فِي مَحَلَّةٍ مَلِكِ أَشُورَ.

فَرَجَعَ بِخَزْيِ الْوَجْهِ إِلَى أَرْضِهِ.

وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَ إِلَهِهِ، قَتَلَهُ هُنَاكَ بِالسَّيْفِ،

الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أَحْشَائِهِ. [٢١]

¹ Commentary on Isaiah, chapter 37.

² Commentary on Isaiah, 11:37:1-7.

تجديف الأعداء الأشرار يُفِتِ نظر الله، إن صحَّ التعبير، وصراخ شعبه المتألم أيضًا يلفت نظره إليهم.

إذ استخف سنحاريب بإله القوات، لمس بيديه كيف في ليلة واحدة مات ١٨٥ ألفًا من جيشه بدون سلاح بشري. وإذ عاد إلى معبد إلهه نسروخ يحمل مشاعر الغيظ والضيق، إذا به يُقتل بأيدي ابنيه. ❖ إنه يفصح تجاوزات عجرفة الفارسي (الأشوري) وأفكاره الغبية، وبشاعة افتخاره، فإن الفارسيين والأشوريين ينسبون لسلطانهم كل منجزاتهم: غزوه للبلاد، وعبورهم الأنهار^١.

القديس كيرلس الكبير

وَحَلَّصَ الرَّبُّ حَرْقِيًّا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ مِنْ سَنَحَارِيْبَ مَلِكِ أَشُورَ،
وَمِنْ يَدِ الْجَمِيعِ، وَحَمَاهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. [٢٢]

في وسط الضيق يميل الرب أذنه لسمعنا، ويُعطينا أكثر مما نسأل، وفوق ما نطلب. كل ما اشتهاه الملك والشعب هو أن ينقذهم من يد سنحاريب وجيشه، لكن الرب خلَّصهم أيضًا "من يدَّ الجميع، وحماهم من كل ناحية". وأعطاهم كرامة في أعين جميع الأمم.

❖ مات العدد الضخم من الأشوريين ليس بقدرة يهودية، وليس بسحب أحد القوس عليهم، وليس ببراعة الضرب برمح في معركة، ولا بأن استل أحد سيفًا، أو بقوة الخيل، وإنما بمبادرة ملاك. في المعركة حطَّهم بقدرة لا يُعبَّر عنها، فجلب جثثًا ميتة بلا عدد. انظروا فإن سنحاريب مع كونه قائدًا، ارتعب لِمَا حدث بطريقة معجزية، ورجع إلى بيته، وقد سلب منه جيشه تمامًا. عاد إلى نينوى في بؤس^٢.

القديس كيرلس الكبير

٦. مرض حزقياء وشفائه

وَكَانَ كَثِيرُونَ يَأْتُونَ بِتَقْدِمَاتِ الرَّبِّ إِلَى أُورُشَلِيمَ،
وَتُحْفٍ لِحَرْقِيَّا مَلِكِ يَهُودَا،
وَأُعْتَبِرَ فِي أَغْنِ جَمِيعِ الْأُمَمِ بَعْدَ ذَلِكَ. [٢٣]

رأى الشعب بنفسه يد الله القوية التي تحمي من يلجأ إليه، فجاعوا بتقدمات للرب، وهدايا للملك، إذ

^١ Commentary on Isaiah, chapter 37.

^٢ Commentary on Isaiah, chapter 37.

حسبوه صديقاً للرب.

فِي تِلْكَ الْيَّامِ مَرَضَ حَزَقِيَّا إِلَى حَدِّ الْمَوْتِ،
وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ، فَكَلَّمَهُ، وَأَعْطَاهُ عَلَامَةً. [٢٤]

لم يُذَكَّر مرض حزقيا سوى في آية واحدة [٢٤]، فقد سبق وورد ذلك بالتفصيل في ٢ مل ٢٠:
١١-١؛ إش ٣٨: ١-٨، ٢١-٢٢، ويوسيفوس^١.

❖ مرض حزقيا للموت، فقال له النبي إنه يموت وأن يُدَبَّر بيته. الآن قيل هذا ليس عن جهل أنه سيعيش، وسيهرب من النتيجة الرهيبة للمرض كثر لمراحم (الله)، بل بالحري يدعوه ويحثه أن يُصَلِّي، لكي بطلبته ينعم بالرحمة. فإن (الله) فوق كل شيءٍ رءوف على الذين يُحِبُّونَه، ويهب المُخْلِصِينَ طلباتهم، ويقبل صلواتهم التي يُقَدِّمونها كما حدث في هذه الحالة...
يفرح إله الكل بحياتهم التقوية، ويقبل رغبات الذين يمارسون الحياة المستقيمة عندما يراهم في دموع، وترتبط صلواتهم بالتعب^٢.

القديس كيرلس الكبير

أعطاه الرب علامة، وردت في إش ٣٨: ٨ "هأنذا أرجع ظل الدرجات الذي نزل في درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الورا. فرجعت الشمس عشر درجات في الدرجات التي نزلتها". وكما يقول القديس كيرلس الكبير: [لقد تَبَّت إيمانه أن ما وعده به يتحقق، بعلامة خاصة بالشمس برجوع الظل عشر درجات. الآن قيل إن والد حزقيا آحاز صنع بمهارةٍ وحذقٍ عشر درجات في بيته، مثل أولئك الذين يصنعون ساعات لقياس تحركات الشمس. هكذا أوضح الله أن حزقيا سيعود إلى الحياة كانسحاب ظل الشمس، وامتداد النهار بطريقة فريدة. ليس شيء ما ليس في سلطان إله الكل، فما يختاره يتحقق ببساطة بمجرد أنه يريد^٣.]

٧. ارتفاع قلب حزقيا

وَلَكِنْ لَمْ يَرِدْ حَزَقِيَّا حَسْبَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ،

لَأَنَّ قَلْبَهُ ازْتَفَعَ،

فَكَانَ غَضَبٌ عَلَيْهِ وَعَلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ. [٢٥]

¹ Antiq. 10:2:1.

² Commentary on Isaiah, chapter 38.

³ Commentary on Isaiah, chapter 38.

لم يُدرك أحد ممن هم حوله بما سقط فيه حزقيا، إذ بدا كإنسانٍ مؤمنٍ بريءٍ، غير أن الله غضب عليه من أجل كبرياء قلبه وتسامحه الخفي.

مع كل ما لحزقيا من حكمةٍ واستقامةٍ، غير أنه لم يحتمل الكرامة التي قُدِّمَتْ له، خاصة بسبب نصرته على آشور وشفائه من مرضٍ مُستعصى. لم يكن له فضل في شيءٍ، غير أن قلبه ارتفع بسبب الكرامة. لقد قُدِّمَتْ له الأمم المجاورة هدايا، وأرسل ملك بابل سفراء لملاطفته والتودُّد إليه. لقد غلب حزقيا عبادة الأوثان بينما سقط في تأليه نفسه. كان يليق به عوض الكبرياء أن يُرَدَّدَ: "ماذا أُرَدُّ للرب من أجل كثرة إحساناته لي؟" (مز ١١٦ : ١٢).

ما حدث لحزقيا يدعونا إلى الآتي:

١. أن نطلب من روح الله القدوس أن يعمل فينا، حتى لا نتحرف قلوبنا عن طريق الاستقامة.
٢. أن نُقَدِّمَ الشكر لله على أعماله معنا.
٣. أن نصلي من أجل القيادات، حتى لا تسقط فيما سقط فيه داود حين أحصى الشعب، ولا فيما سقط فيه حزقيا الذي ارتفع قلبه.

يوضح لنا إشعياء النبي ما حدث، فإنه إذ أرسل ملك بابل رسائل وهدية إلى حزقيا (إش ٣٩ : ١)، عوض الحديث مع الرسل عن عمل الله معه، فرح بهم حزقيا، وأراهم بيت ذخائره، وكل بيت أسلحته، وكل ما وُجِدَ في خزانته. لم يكن شيء لم يرههم إياه حزقيا في بيته وفي كل ملكه" (إش ٣٩ : ٢-٣).

يرى القديس كيرلس الكبير أنه من الظاهر أرسل ملك بابل الرسل والهدايا لِيُهَيِّئَ حزقيا على شفائه، لكن الحقيقة أن البابليين والكلدانيين كانوا بارعين في الفلك وحركات الكواكب، فدهشوا عندما لاحظوا أن اليوم قد طال بطريقة فريدة لم يستطيعوا تبريرها في دراستهم، وأن هذا تم كتحقيق لوعده الله لحزقيا. كما دهش مردوخ ملك بابل لما فعله الله لإنقاذ أورشليم من حصار ريشاقي (قائد جيش سنحاريب)، وكيف ضرب ملاك الرب في ليلة واحدة ١٨٥ ألفاً، فصاروا جثثاً ميتة (إش ٣٧ : ٣٦-٣٧). لكن حزقيا لم يُمَجِّدْ الله أمامهم، بل سقط في الكبرياء.

❖ وصل الرسل يحملون إعجاب مردوخ لبرِّ حزقيا كثرة لهذه العلامات الإلهية، يسألون الإيمان. من الجانب الآخر، كان يليق لحزقيا أن يُقَدِّمَ حساباً متوهجاً للذين وصلوا إليه من بابل عن عون الله التقدير في الوقت المناسب، وعن عظمة الأعمال المجيدة غير العادية، من سمو عمل الله الفائق، وسلطان رب الجميع الذي لا يُغَلَبُ، فيعودون إلى بلدهم أغنياء بمعرفة الله خلال تعليم المعلمين الذين عيَّنهم (حزقيا)، وبهذا يصيرون سبب نفع للآخرين بنقل ما تَعَلَّمُوهُ. عوض أن يحدث هذا،

حمل البطلان البشري، ونسب شهرته لا للكرامات التي قَدَّمها له الله، وإنما لِعَنَى مملكته^١.

القديس كيرلس الكبير

ثُمَّ تَوَاضَعَ حَزَقِيَّا بِسَبَبِ ارْتِفَاعِ قَلْبِهِ،

هُوَ وَسَكَانُ أُورُشَلِيمَ،

فَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهِمْ غَضَبُ الرَّبِّ فِي أَيَّامِ حَزَقِيَّا. [٢٦]

التواضع أمام الرب هو الطريق العملي للتمتع بمراحمه وحنوه، بينما بسبب الكبرياء يُؤدَّبنا بتسليمتنا في يد الأعداء.

❖ رذيلة الكبرياء مكروهة في عين الله، كما يقول الكتاب المقدس: "أول كبرياء الإنسان، ارتداده عن الرب" (سيراخ ١٠: ١٢). وفي موضع آخر يقول الكتاب: "يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون، فيعطيهم نعمة" (١ بط ٥: ٥). لذلك إذا احتقر أحدهم تواضع المسيح من أجلنا "الذي إذ كان في صورة الله... وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت" (في ٢: ٦-٨). أيضاً إذا ارتفع واندفع نحو السلطة والمراتب العالية والسعي وراء المهارات التي تساعد على الحصول على كل ذلك حتى ولو تعارض مع إيمانه وديانته لا يتفادى ولا يرتجف طالما يحصل على شهواته، بعد ذلك يحدث كما هو مكتوب: "فعمل الشر في عيني الرب" (قض ٣: ٧). فبعد أن يحصل على أعلى درجات القوة (عالمياً)، ويصعد إلى أعلى مراتب العظمة، حينئذ يسقط ويُسَلَّم إلى "كوشان رشعتايم"، إلى واحدٍ من (أتباع) "رئيس سلطان الهواء" (أف ٢: ٢) تماماً مثلما حدث في أيام فرعون (خر ١: ١١)، وفي وقت حيرام ملك صور (١ مل ٩: ١١). فإن الله يذل الشخص الذي يتعالى بشدة، ويضعفه ويتأكل إلى أن يرجع إلى رثده، ويبحث عن الله. إنه عندما يستمر في زهوه وتمجيده لذاته، لا يعرف الله^٢.

العلامة أوريجينوس

❖ أتريد أن تعرف ما هي قوة التوبة؟

أتريد أن تعلم سلاح الخلاص القوي وتدرك قوة الاعتراف؟

حزقيا بالاعتراف ضرب خمسة وثمانين ألفاً ومائة من أعدائه (٢ مل ١٩: ٢٥). يا له من أمر عظيم، لكنه يُحَسَّب قليلاً بالنسبة لما أذكره لك. إذ بالتوبة استطاع الملك أن يحصل على تغيير في

^١ Commentary on Isaiah, chapter 39.

^٢ عظات العلامة أوريجينوس على سفر القضاة: العظة الثالثة، ١. ترجمة الشماس بيثوي بشرى فايز.

القول الإلهي الذي نطق به فعلاً. إذ لما مرض، قال له إشعياء: "أوصي بيتك، لأنك تموت ولا تعيش" (٢ مل ٢٠: ١). هل يمكن أن يقوم استثناء بعد، أو يوجد رجاء شفاء بعدما قال له النبي: "لأنك تموت"؟!^١

لكن حزقيا لم يكف عن التوبة. ويتذكَّر ما هو مكتوب: "متي رجعت وبكيت تخلص" (راجع إش ٣٠: ١٥)، اتَّجَّه بوجهه إلى الحائط وهو على سريريه، رافعاً ذهنه إلى السماء (حيث لا تعوق الحائط بلوغ الصلوات بورع إلى السماء) وقال: "اذكرني يا رب. يكفي أن تذكرني فأشفي!" (راجع إش ٣٨). إنك لا تخضع للزمان، بل أنت خالق القانون. أنت واهب قانون الحياة وتديرها حسب إرادتك، إذ لا تعتمد حياتنا على يوم ميلادنا، ولا على اقتران النجوم معاً في برج واحد كما يظن البعض في غباوة.

ذاك الذي كان يمكنه ألا يرجو الحياة بسبب العبارة النبوية، صار له خمسة عشر عاماً مضافة إلى حياته، وكانت العلامة أن الشمس رجعت إلى خلف عشر درجات (٢ مل ٢٠: ١١). حسناً! من أجل حزقيا رجعت، وأما من أجل المسيح انكسفت. لم ترجع درجات بل انكسفت مُعلنة بذلك الفارق بين حزقيا ويسوع!...

أرجعوا ونوحوا على أنفسكم! أغلقوا أبوابكم وصلُّوا لكي يغفر لكم! صلُّوا لكي ينزع عنكم النار المُحرِّقة، لأن له السلطان أن يطفئ حتى النار، وله قوة أن يبكم حتى الأسود!^١

القديس كيرلس الأورشليمي

وَكَانَ لِحَزَقِيَّا غِنًى وَكَرَامَةٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

وَعَمِلَ لِنَفْسِهِ خَزَائِنَ لِلْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَطْيَابِ وَالْأَتْرَاسِ،

وَكُلَّ أَنْيَّةٍ ثَمِينَةٍ [٢٧]

أغدق الله على حزقيا بعبايا كثيرة وغنى وكرامة، فبنى لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والأطياب والأتراس وكل أنية ثمينة.

وَمَخَازِنَ لِعَلَّةِ الْحِنْطَةِ وَالْمِسْطَارِ وَالزَّيْتِ،

وَإِسْطِبْلَاتٍ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْبَهَائِمِ وَلِلْقُطْعَانِ. [٢٨]

وَعَمِلَ لِنَفْسِهِ أَبْرَاجًا،

^١ مقالاته لطالبي العماد، ٢: ١٦.

وَمَوَاشِي غَنَمٍ وَيَقَرُّ بِكَثْرَةٍ،

لَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جَدًّا. [٢٩]

أعطاه الله فوق ما كان حزقيا يظن: "أعطاه أموالاً كثيرة جداً".

وَحَزَقِيَّا هَذَا سَدًّا مَخْرَجَ مِيَاهِ جَيْحُونَ الْأَعْلَى،

وَأَجْرَاهَا تَحْتَ الْأَرْضِ إِلَى الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ.

وَأَفْلَحَ حَزَقِيَّا فِي كُلِّ عَمَلِهِ. [٣٠]

تحوّلت الضيقة أيضاً للخير، فمن أجل توقُّع هجوم آشور عليه، قام بتحويل مياه جيحون، فجاءت إلى داخل المدينة في البركة العتيقة (إش ٢٢: ١١)، والبركة العليا (إش ٧: ٣)، وفي مكان جديد يُدعى "البركة السفلى" (إش ٢٢: ٩).

جعل حزقيا ينابيع جيحون ونبابيع البحر الجاري يمتدان داخل أسوار أورشليم. يقول المرتل: "كل ينابيعي فيك" (مز ٨٧: ٧)، ويقول الحكيم: "اشرب مياهًا من جبك، ومياهًا جارئة من بئرِكَ" (أم ٥: ٥). كل ينابيعنا هي الثالوث الساكن فينا، يفيض بالحب الإلهي فينا.

❖ توجد آبار عندما توجد مياه خفية جارئة وقوية في الكلمة والتعاليم، عندما تُزال عنها الأمور الدنيئة التي تغطيها. لذلك من الضروري لكل أحد أن يُعدَّ بئرًا لنفسه، لكي ما يحرس الأمر السابق ذكره، القائل: "اشرب مياهًا من جبك *cistern*، ومياهًا جارئة من بئرِكَ" (أم ٥: ٥). بهذا تُدعى أبناء الذين حفروا الآبار، إبراهيم وإسحق ويعقوب. لكننا لا نحفر هوة (حفرة) لئلا نسقط فيها، كما قيل هنا في هذا الموضع. وبهذا نفشل في سماع الكلمات الواردة في إرميا لتوبيخ الخطاة، إذ يقول عنهم الله ما سبق أن أشرنا إليه: "تركوني أنا ينبوع المياه الحية، وحفروا لأنفسهم أحواض أرضية *lakkous*، أحواض أرضية مكسورة، لا تضبط ماءً" (إر ٢: ١٣).^١

القديس باسيليوس الكبير

وَهَكَذَا فِي أَمْرِ سَفَرَاءِ رُؤَسَاءِ بَابِلَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ،

لِيَسْأَلُوا عَنِ الْأَعْجُوبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَرْضِ،

تَرَكَهُ اللَّهُ لِيُجَرِّبَهُ لِيَعْلَمَ كُلَّ مَا فِي قَلْبِهِ. [٣١]

جاء سفراء رؤساء بابل، لا ليحاربوا، إنما ليبتهجوا، ويسألونه عن أمرين:

¹ Homily 11:8 on Psalm 7.

١. كيفية نواله نصره أكيدة وهلاك الأشوريين أعداء بابل الأقوياء.
٢. إذ كانت الشمس هي إلههم لم تخدمهم، بل خدمت الذي يعبد الله الحي، فكرّمته برجوعها عشرة درجات. اعتبروا حزقيا شخصًا عجيبيًا ينحني له إلههم (الشمس) احترامًا. لكن للأسف افتخر حزقيا بغناه، وفرح بتكريم هذه البعثة له، كما جاء في سفر الملوك.

٨. موت حزقيا ودفنه

وَبَقِيَهُ أُمُورِ حَزَقِيَّا وَمَرَاحِمُهُ،
مَكْتُوبَةٌ فِي رُؤْيَا إِشْعِيَاءَ بْنِ أَمْوَصَ النَّبِيِّ،
فِي سَفَرِ مُلُوكِ يَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ. [٣٢]

في هذا الأصحاح ما شغل الكاتب حالة حزقيا الروحية، لا إنجازاته السياسية والعسكرية.

ثُمَّ اضْطَجَعَ حَزَقِيَّا مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ فِي عَقْبَةِ قُبُورِ بَنِي دَاوُدَ،
وَعَمِلَ لَهُ إِكْرَامًا عِنْدَ مَوْتِهِ كُلُّ يَهُودَا وَسَكَانِ أُورُشَلِيمَ.
وَمَلِكٌ مَنَسَى ابْنُهُ عَوَضًا عَنْهُ. [٣٣]

أكرمه الشعب عند موته:

١. كتب إشعيا النبي قصة حياته وأعماله في الرب.
٢. دفنه الشعب في عقبة قبور بني داود.
٣. غالبًا عملوا له حريقة كبيرة، فقد كانت العادة أن تُحرق أطياب ثمينة أثناء إقامة جنازة الملوك، وأيضًا مناحة عظيمة كتلك التي لبوشيا.

من وحي ٢ أي ٣٢

لتكن معي، ولتتحارب حروبي!

❖ إلهي، كم أنت عجيب في حُبِّك لي!
خلفتني لأحيا على الأرض، كما في فردوسٍ مبهج!
بعصيانتي أعطيتك القفا لا الوجه،
عزلت نفسي عنك يا مصدر سعادتي!
تحولت الأرض إلى أرض معركة مع إبليس وقوات الظلمة.

❖ لأسمع صوتك على لسان حزقيا النقي:

لا تخافوا ولا ترتاعوا من ملك آشور،

ومن كل الجمهور الذي معه.

لأن معنا أكثر مما معه!

أنت معنا، تساعدنا وتحارب حروبنا!

أخفتي فيك يا رب القوات،

فلا يقترب مني إبليس وكل قواته.

أنت ترسي وحصني وخلصني!

❖ لن ألجأ إلى ذراع بشري، ولن تسبيني حكمة بشرية،

فإنك تحرك القوات الملائكية لتتقذني.

لقد أتيت بنفسك، وستأتي لتعبر بي إلى الأبدية.

❖ احتاج حزقيا الملك إلى إشعياء ليصلي معه ولأجله.

ها أنا اطلب من كل آبائي وإخوتي الذين في الفردوس.

يسندونني بصلواتهم أمام عرش النعمة.

قلوبهم ملتهبة بالشوق نحو خلاص كل بشر!

تسايبحهم لك ممزوجة بالحب لإخوتهم المجاهدين.

❖ إذ أنقذت حزقيا من جيش آشور،

كما من المرض المستعصي،

سقط في الكبرياء، وافتخر بغناه أمام الغرياء.

غلب الأعداء الذين هم في الخارج،

لكنه انحدر بسبب الكبرياء الذي استعبده.

بالتواضع اقتنتي رحمتك!

هَبْ لي روح التواضع، فأقترب إليك.

ألتصق بك كل أيام غربتي.

احفظني إلى النفس الأخير!

الأصحاح الثالث والثلاثون

الملك مَنْسَى وابنه آمون

يسرد هذا الأصحاح الشر العظيم الذي ارتكبه الملك مَنْسَى (٦٨٧-٦٤٢ ق.م، كان شريكاً في العرش منذ ٦٩٧ ق.م)، وقد جاء الحديث مُطابِقاً كلمة بكلمة بما ورد في (٢ مل ٢١ : ١-٩). تمتع حزقيا بعدة إمكانيات من القوة والسلطة والغنى (٢ أي ٣٢ : ٢٧-٢٩)، لكن لم تتسبب تلك الأمور في بُعْده عن طريق الله ووصاياه. وعلى عكس ذلك نجد مَنْسَى ابنه الذي تولى الحكم كشف المال والسلطة عن خفايا قلبه الداخلية. فالغنى المفاجئ لشخص ما عن طريق الميراث أو أي عمل يكشف عن الأغراض والأهداف الدفينة في القلب. هل هو يخدم الله وإخوته ويُتاجر ويربح، أم يخدم نفسه وأنانيته؟

في تاريخ حزقيا رأينا أن الله يخبره بسبي يهوذا إلى بابل كنتيجة لخضية الكبرياء التي سقط فيها. تواضع حزقيا وشعبه أمام هذا الحكم مما جعل الله يؤجّل تنفيذ القضاء إلى وقتٍ لاحقٍ بعد موت حزقيا. ساء موقف يهوذا في علاقته بالله، واقتيد مَنْسَى مُقْبِداً بالسلاسل إلى بابل، حيث كانت في ذلك الوقت تحت سلطان آشور.

ينقسم حكم مَنْسَى الذي استمر ٥٥ سنة إلى ثلاث مراحل:

١. فترة العبادة الوثنية.

٢. سقوطه في السبي.

٣. رجوعه من السبي، حيث صرخ مَنْسَى كما من أعماق الهاوية، وتذلل أمام إله آبائه، واعترف بخطئه، فصار إنساناً جديداً.

لم يذكر سفر الملوك سقوطه في السبي ولا توبته واعترافه بخطئه، ربما لأن كثرة شروره وبشاعتها واستمراره في ارتكابه لها مدة طويلة أثّرت على الشعب حتى بعد توبته. تجاهل سفر الملوك قصة توبة مَنْسَى؛ لكنه لم ينكرها، إنما كان هدف الكاتب إظهار شر الأمة الذي أدى إلى هلاكهم. أما هنا فذكرت توبته في شيءٍ من التفصيل مع تأكيد غنى مراحم الله وطول أناته وقوة نعمته واهبة التجديد. يرى البعض أن سفر الملوك يهتم بالحديث عما يمسُّ الشعب، أما أخبار الأيام فما يشغله الحالة الشخصية للملك، لذلك لم يذكر سفر الملوك توبة مَنْسَى.

١. شروره وارتداده عن الله ١٠-١
 ٢. توبته ونجاحه ١٧-١١
 ٣. ختام ملكه ٢٠-١٨
 ٤. الملك آمون وشروره ٢٥-٢١
- * صلاة مَنْسَى

١. شروره وارتداده عن الله

كَانَ مَنْسَى ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. [١]

وُلِدَ بعد ثلاث سنوات من امتداد عُمر أبيه حزقيا. هذا يجعل البعض يتساءل: هل كان سبب حزن حزقيا على موته حين جاءه إشعيا يخبره بأنه سيموت، أنه لم يكن لديه ابن يرثه (٢ مل ٢٠: ١)؟ وفي نفس الوقت يتساءل البعض: إن كان حزقيا لم يكن قد أنجب ابناً يرثه، كيف قال له إشعيا النبي: "هوذا أيام يحمل فيها كل ما في بيتك... ويؤخذ من بنيك الذين يخرجون منك الذين تلداهم، فيكونون خصيانا في قصر ملك بابل" (٢ مل ٢٠: ١٧-١٨)؟

يمكن القول بأنه إلي يوم مرضه الشديد ومجيء إشعيا إليه يخبره أنه لا يعيش لم يكن قد أنجب ابناً، وكان النبي يتحدث عما سيحدث لأبنائه أنهم يكونون خصياناً في قصر ملك بابل بروح النبوة، أنه إذ يوهب خمسة عشر عامًا ينجب أبناء، وغالبًا ما كان مَنْسَى هو الابن الأكبر. تُرَى هل أهمل حزقيا التقى في تربية ابنه، فصار الابن مدلاً، لا يلتزم في طفولته وصباه بحياة روحية لائقة؟ أم أنه اهتم به، ولكن بعد موت حزقيا انحرف الصبي مَنْسَى وراء الشهوات وأعطى أذنه لمشيرين أشرار؟

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ حَسَبَ رَجَاسَاتِ الْأُمَمِ،

الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٢]

سلك مَنْسَى حسب رجاسات الأمم:

أولاً: قام ببناء أو سمح بإعادة بناء المعابد الوثنية في البلاد، مُحَطِّمًا ما فعله حزقيا أبوه.

ثانياً: قام بتدنيس هيكل الرب نفسه، بإقامة مذابح وثنية في داخله [٤-٥].

ثالثاً: أعاد تقديم الذبائح البشرية، مُقَدِّمًا أبناءه ذبائح.

رابعاً: انشغل بالسحر والخزعلات [٦].

سُجِّلَتْ خطايا مَنْسَى فِي ٢ مِل ٢١: ٣-٦؛ إِر ٧: ٣١، جَاءَ فِيهَا: "وَبِنَا مَرْتَفَعَاتٍ تُوْفَةُ الَّتِي فِي مَادِي ابْنِ هَنُومٍ، لِيَحْرِقُوا بَنِيهِمْ وَبِنَاتِهِمْ بِالنَّارِ الَّتِي لَمْ أَمْرُ بِهِ وَلَا صَعِدَ عَلَيَّ قَلْبِي".

يَقِفُ الْقَارِئُ فِي ذَهْوِلٍ لِلتَّحَوُّلِ السَّرِيعِ فِي جَيْلٍ وَاحِدٍ، مِنْ مَلِكٍ يُكْرَسُ طَاقَاتِهِ لِلْعَمَلِ لِحَسَابِ مَلَكُوتِ اللَّهِ إِلَى ابْنِهِ الَّتِي يَهْدِمُ كُلَّ مَا فَعَلَهُ وَالِدُهُ، وَيَبْذُلُ كُلَّ طَاقَاتِهِ لِلْعَمَلِ لِحَسَابِ الْعِبَادَةِ الْوَتْنِيَّةِ.

يَرَى الْبَعْضُ أَنْ خِلاصَ أُورُشَلِيمَ فِي أَيَّامِ حَزَقِيَّا بِطَرِيقَةٍ مَفَاجِئَةٍ دُونَ الدَّخُولِ فِي مَعْرَكَةٍ جَعَلَ الْبَعْضُ يَحْسِبُونَ أَنَّ أُورُشَلِيمَ لَمْ وَلَنْ تَسْقُطَ يَوْمًا مَا مَهْمَا كَانَ شَرُّ الْقَائِدِ وَالشَّعْبِ. عَلَى هَذَا أُعْطِيَ مَنْسَى الْعِنَانَ لِنَفْسِهِ لِلْمَلَذَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ. هَذَا مَا حَدَّثَ مِنْهُ إِرْمِيَا النَّبِيُّ (إِر ٧: ٤).

هَذَا وَكَانَ مَنْسَى قَاتِلًا وَعَنيفًا حَتَّى قَدَّمَ أَبْنَاءَهُ ذَبَائِحَ ٢ مِل ٢١: ٣-١١. كَتَبَ يَوْسِفُوسُ الْمَوْرُخُ الْيَهُودِي عَنْهُ: [ذَبَحَ بِطَرِيقَةٍ بَرْبَرِيَّةٍ كُلَّ الْأَتْقِيَاءِ بَيْنَ الْيَهُودِ، وَلَمْ يَعْبِ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْتُلُ بَعْضًا مِنْهُمْ، حَتَّى صَارَتْ أُورُشَلِيمَ تَقْبِضُ بِالْدَمِ].^١

أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الْمَرْمُوقِينَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ مَنْسَى هُوَ الْعَظِيمُ إِشْعِيَاءُ. جَاءَ فِي قِصَّةٍ عَنْ اسْتِشْهَادِهِ أَنَّ الْمَلِكَ أَمَرَ بِنَشْرِهِ، وَقَطَعَ جِسْمَهُ إِلَى قِطْعَتَيْنِ.^٢

وَعَادَ فَبَنَى الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا حَزَقِيَّا أَبُوهُ،

وَأَقَامَ مَذَابِحَ لِلْبُعْلِيمِ، وَعَمِلَ سَوَارِي،

وَسَجَدَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. [٣]

حَطَّمَ كُلَّ الْإِصْلَاحِ الَّتِي قَامَ بِهِ حَزَقِيَّا أَبُوهُ، فَإِنْ كَانَ حَزَقِيَّا قَدْ كَرَسَ حَيَاتِهِ لِإِعَادَةِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ الْحَيِّ، جَاءَ ابْنُهُ يُكْرَسُ حَيَاتَهُ لِتَحْطِيمِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَنَشْرِ الْعِبَادَةِ الْوَتْنِيَّةِ.

وَبَنَى مَذَابِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،

الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ فِي أُورُشَلِيمَ يَكُونُ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ. [٤]

وَبَنَى مَذَابِحَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ فِي دَارِي بَيْتِ الرَّبِّ. [٥]

وَعَبَّرَ بَنِيهِ فِي النَّارِ فِي وَادِي ابْنِ هَنُومَ،

وَعَافَ وَتَفَاعَلَ وَسَحَرَ.

وَأَسْتَخْدَمَ جَانًا وَتَابِعَةً،

¹ Antiq. 10:3:1.

² The Martyrdom of Isaiah.

وَأَكْثَرَ عَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ لِإِعَازَتِهِ. [٦]

نجس بيت الرب بعبادة الأوثان، وعبر بنيه في النار لئله ملوك. جعل وسائط الشيطان الشريرة مصادر إرشاده واستشاراته. كان أشبه بالذين يعبدون الشيطان في العصر الحديث.

وَوَضَعَ تَمَثَالَ الشَّكْلِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي بَيْتِ اللَّهِ،
الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَلِسُلَيْمَانَ ابْنِهِ فِي هَذَا النَّبِيِّ وَفِي أُورُشَلِيمَ،
الَّتِي اخْتَرْتُ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ أَضَعُ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ. [٧]

تمثال الشكل هو تمثال للملك ليعبدوه كإله.

وَلَا أَعُودُ أُزْحِجُ رِجْلَ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي عَيَّنْتُ لِآبَائِهِمْ،
وَذَلِكَ إِذَا حَفِظُوا وَعَمِلُوا كُلَّ مَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ،
كُلَّ الشَّرِيعَةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ عَنْ يَدِ مُوسَى. [٨]

استخف باختيار الرب صهيون مكان راحته إلى الأبد، وإسرائيل شعبه الذي أقام معهم ميثاقاً.

وَلَكِنْ مَنْسَى أَضَلَّ يَهُودًا وَسَكَانَ أُورُشَلِيمَ لِيَعْمَلُوا
أَشْرًا مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٩]

انحرف منسى دفع بالمملكة سريعاً إلى الهاوية للتباين بين حكمه وحكم أبيه، حتى صارت يهوذا أشراً من الأمم.

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مَنْسَى وَشَعْبَهُ، فَلَمْ يُصْغُوا. [١٠]

لم يصغ منسى وشعبه لصوت الرب. يلاحظ في هذا كله الآتي:

١. أنه ليس بالأمر الغريب ولكنه مُحزِنٌ للغاية أن بعض الأبناء الذين تَرَبُّوا في بيوت مُقدَّسة وصالحة، يُفَاقِمُونَ الله، ويحرمون أنفسهم من نعمته. لذا يليق بالوالدين أن يطلبوا باستمرار أن تعمل نعمة الله في أبنائهم وأحفادهم. إنهم يستطيعون أن يُقدِّموا لأبنائهم غنى وكرامة زمنية، أما التقوى، فثقتناج إلى نعمة الله أن تعمل فيهم.

٢. يليق بالكنيسة التي تسلك بالروح أن تطلب بإلحاح من الله ألا تتحرف الأجيال القادمة، بل أن تنمو في الروح، وتكون أكثر روحانية مما هي عليه.

٢. توبته ونجاحه

فَجَلَبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ رُوسَاءَ جُنْدٍ مَلِكِ أَشُورَ،

فَأَخَذُوا مَنَسَى بِخِرَامَةَ وَقَيْدُوهُ بِسَلْسِلٍ نُحَاسٍ،

وَدَهَبُوا بِهِ إِلَى بَابِلَ. [١١]

كلمة "بابل" هنا لا تعني مدينة بابل، وإنما منطقة بابلون، أو بابلونيا *Bablonia* في الإمبراطورية الأشورية، كانت نينوى في منطقة بابلون، وهي حاليًا في العراق.

إذ قاوم مَنَسَى الله نفسه وعبد الأوثان، أدَّله رئيس جيش أشور الوثني. هكذا إن كان عدو الخير يبذل كل الجهد ليغري المؤمنين على الشرِّ، فإنه إذ يسقط المؤمن في الشر، يذله الشر نفسه.

قيل إن لسبي مَنَسَى قصة، فقد كان ملك أشور غالبًا أشور بانيبال، وكان أخوه يحكم في بابل كنائب عنه. يبدو أن أخاه قام بحركة تمرد ضد أشور بانيبال، وكان ذلك غالبًا في عام ٦٤٨ ق.م. قام أشور بانيبال بإخماد الحركة واشتبه أن مَنَسَى من بين المشتبه فيهم أن لهم دورًا في حركة التمرد، فأراد أن يذَّله.

لم يأخذ مَنَسَى في محنته موقف العناد كما فعل آحاز، الذي ضاعف تعدييه.

غضب الله حب وحنو!

دُهِشْتُ لعمل الله العجيب؛ فبينما كانت كلمات الفقرات التالية أمامي لأكتب تعليقًا عليها، إذا بأحد الأحباء يتصل بي ليعاتبني لأنني وسط أحاديثي عن تعزيات رب المجد يسوع للكثيرين في أحداث انفجار السيارة المُفَخَّخة ليلة رأس السنة (٢٠١١م) أمام كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس بالإسكندرية والبركات العجيبة التي قدَّماها الله للكنيسة، يلزمننا أن نذكر بأن هذه التجربة دعوة لكل مؤمنٍ ليمارس بحق التوبة، لأن الله يغضب علينا كأولاد لله نتهاون أحيانًا مع الخطية.

غضب الله خاصة نحو كنيسته أو أولاده ليس انتقامًا كانتقام البشر، ولا يصدر عن بغضه، فإن الله كلي الحب لكل البشرية، خاصة للملتصقين به.

تكشف كلمات القديس مار يعقوب السروجي التالية عن سمو غضب الله وعذوبته. فالله يدعونا أن نحمل صورته، ويدعونا أن نسعى بلا توقُّفٍ كل حياتنا "إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف ٤: ١٣).

يسمح الله بالضيقَات لأنها تسندنا بنعمته أن ننضم إلى فئة شبه السمانيين، إن صحَّ لنا القول.

❖ المجد لك، يا ربي، إذ بكل الوسائل والطرق تُريد أن تريح كل من يسمع بتمييزٍ (وتعقلٍ).

بالبرِّ والنعمة، تتقدَّم كطبيبٍ لكل محتاجٍ إلى الصحة.

من هنا يهتم محيي الكل أن يشفي، لأنه قادر أن يحيي كل البشر.

معه الغضب وأيضًا له الغفران؛ الغيرة والحقن؛ موجود فيه السلام والحب.
في جانبٍ واحدٍ يفيض بالعطاء العظيم لسائليه، وفي الجانب الآخر يمنع قطرة (ماء) عن طالبيه.
رحمته تمتزج بالخوف، وأيضًا انتقامه بالحنو العظيم.
يُهَدِّد وَيُفْرِح؛ مملوء رحمة وكثير الانتقام.
في جانبٍ واحدٍ دعا اللص ليدخل الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣)، وفي الجانب الآخر طرد من عنده
صانعي القوات (مت ٧ : ٢٢).
في وقتٍ تَقَبَّل من زانية دموعها (لو ٧ : ٤٤)؛ وفي وقت آخر منع بنات أورشليم أن يبكين (لو
٢٣ : ٢٨).
في موضعٍ أعطى دينارًا للفعلة الآخرين (مت ٢٠ : ٩)؛ وفي موضعٍ آخر أخرج الكهنة من ملكوته
(مت ٨ : ١٢).
لم يعرف هؤلاء الذين أخرجوا الشياطين باسمه (مت ٧ : ٢٢)؛ وللص قال: اليوم تكون معي في
الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣).
دعا واحدًا من العشارين أن يتبعه (مت ٩ : ٩)؛ وآخر زاحم أن يأتي خلفه، ولم يعطه ذلك (مت
٨ : ١٩-٢٠).
هذا جميعه لأجل حياة البشر؛ بكل وسيلة لا يسمح أن يهلك ولا واحد من بيت الأب.
خَوْف الصالحين لنلا يستندوا على الافتخار؛ وشَجَع الأشرار لنلا يسقطوا في قطع الرجاء.
بحكمته وَبِح أولئك من الكبرياء؛ وبنعمته دعا هؤلاء للتوبة.
قال: إن كنت تصنع قوات وتفتخر لست تعرفني؛ ومن كان عشارًا وفيه حب، فليأت إلي.
من يخرج الشياطين وينتفخ هو فاعل إثم؛ وإن كانت زانية تبكي فهي خير منه بكثير.
وضع للمنجاسين أساس الجحيم؛ وحثَّ المتكاسلين بالفعلة الآخرين.
بساعةٍ واحدةٍ شَوَّق هؤلاء للتوبة، وأولئك خَوْفهم حين قال: هوذا الأولون يصيرون آخرين،
ويكونون في ملكوت السماوات (مت ٢٠ : ١٦).
أيها الخاطي، لك رجاء عظيم إن كنت تتوب؛ وخَوْف البار وأرعبه لنلا يتراخي.
يبدو قاسيًا على الصالحين؛ ويوقظ الغضب على الأبرار.
إنه بسيط مع الأشرار، ومملوء تحنُّنًا على الخطاة...
هذا الطبيب مملوء حكمة، ومع الكل يصير كالكل، وبمهاره يعطي العون لكل أحد.

من كان صحيحًا يعطيه طعامًا قويًا، ويُقدِّم للمرضى كل واحدٍ ما يناسبه^١.

القديس مار يعقوب السروجي

وَلَمَّا تَضَاقَ طَلَبَ وَجْهَ الرَّبِّ إِلَهِهِ،

وَتَوَاضَعَ جِدًّا أَمَامَ إِلَهِهِ أَبِيهِ [١٢]

جاء في النسخة الكلدانية الإضافة التالية: [إذ صنع الكلدانيون بغلاً نحاسياً، وكان مملوءاً تقوياً، ووضعوه في داخله، أشعلوا ناراً حوله، وإذ كان في هذا البؤس، طلب عوناً من الأصنام التي صنعها، لم ينل شيئاً، إذ لا تتفع في شيء. لذلك تاب، وصلّى أمام الرب إلهه، وتواضع جداً في عيني الرب إله آبائه^٢.]

قدم مَنْسَى توبة، وأصلح من طريقه، لكن بقيت آثار الشرور التي مارسها لمدة طويلة وسط الرؤساء والشعب، حتى عندما قام يوشيا الملك بإصلاحاته فيما بعد لم يستطع أن يُغَيِّرَ مصير أورشليم وسقوطها أمام البابليين. وحسبَ هذا الانهيار أو السبي البابلي بسبب خطايا مَنْسَى (٢ مل ٢٤: ٣).

استجاب الله لتوبة مَنْسَى بالرغم من كثرة شروره، ومرارة آثارها على الرؤساء والشعب، ذلك لأن توبته جاءت حسب مَسْرَةَ الله، إذ قيل هنا:

١. **طلب الرب [١٢]:** قد يعترف الإنسان بشره مثل يهوذا بعدما خان السيد المسيح، لكنه لم يطلب الرب. فالعنصر الرئيسي في التوبة ليس معرفة خطايانا واعترافنا بها فحسب، وإنما يلزم تقديم الجانب الإيجابي وهو الشوق نحو الرجوع إلي الرب والاتصاق به وخدمته. هذا ما نلمسه في توبة بطرس الرسول بعد جرده للرب. وها نحن نلمسه هنا مع مَنْسَى.

٢. **التواضع أمام الرب [١٢]** فإن الرب قريب من المتواضعين.

٣. **الصلاة لله [١٣]**، فطلب الرب من كل القلب والتواضع أمامه زكياه أمام الله بالصلاة إليه.

❖ ليس هناك من يحزننا مثل ذلك الساقط في الخطية، الذي يتذكّر خطاياه ليتلذذ بالأمر الجسدية الأرضية، بدلاً من أن ينشغل ذهنه بسبل معرفة الله الجميلة!

فأدم أخفى نفسه عندما عرف بحضور الله. راعباً في الاختباء عندما دعاه الله بذلك الأمر الذي جرح به نفسه (عدم ملاقاته الرب)، قائلاً: "آدم أين أنت؟" (تك ٣: ٩). بمعنى "أين تخفي نفسك؟ لماذا

^١ راجع ميمر بدير القديس مقاريوس على التوبة.

^٢ Adam Clarke Commentary.

تختبئ؟ لماذا تهرب من الله الذي كنت تتوق إلى رؤيته؟!"

القديس أمبروسيو

❖ كما أن الأرض لا تعطي ثمارًا بغير بذار... هكذا الإنسان لا يستطيع أن يصنع توبة بغير التواضع وتعب الجسد.

القديس إشعياء الإسقيطي

❖ الصلاة الممتدة والدموع الغزيرة تجتذبان الله للرحمة.

العلامة أوريغينوس

❖ سبيلنا نحن أيضًا أن نتوسل إلى الله، لكي يُجَرِّدَنَا من الإنسان العتيق ويلبسنا المسيح السماوي... لأن الرب عندما شاء أن يشبعنا بذوق ملكوته قال: بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئًا (يو ١٥: ٥). يجب على كل واحد منا أن يغضب نفسه على التوسل إلى الله، لكي يُحَسَّبَ أهلًا لنوال كنز الروح السماوي، لكي يقدر بلا تعبٍ وصعوبة أن يُتَمَّ وصايا الرب كلها بطهارة وبدون عيب^١.

القديس مقاريوس الكبير

وَصَلَّى إِلَيْهِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَمِعَ تَضَرُّعَهُ،

وَزَدَّهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى مَمْلَكَتِهِ.

فَعَلِمَ مَنْسَى أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ. [١٣]

لا نعلم المدة التي قضاها في السبي، ولا كيف عاد من السبي.

اقتبس آدم كلارك إضافة غالبًا من النسخة الكلدانية حيث واضح أنها تكملة للإضافة السابقة في (ع ١٢). [إذ كان يصلي هكذا (وهو في البغل النحاسي) خرج كل الملائكة الرؤساء إلى أبواب الصلاة التي في السماء، وأغلقوا كل أبواب الصلاة وكل النوافذ والمنافذ التي للسماء، لئلا تُسْمَعَ صلاته. للحال تحركت مراحم خالق العالم، الذي يبسط يمينه لاستقبال الخطاة الذين يتحوّلون إلى مخافته، والذين تتسحق رغبات قلوبهم بالتوبة. عندئذ صنع نافذة في السماء تحت عرش مجده وسمع صلاته، وقبل طلبته بحنوٍ. وعندما هزّت كلمة الرب الأرض، انفجر البغل وهرب (الملك). عندئذ خرج الروح من بين أجنحة الكاروبيم الذين أوحى لهم خلال مرسوم كلمة الرب، عاد إلى مملكته في أورشليم. عندئذ عرف مَنْسَى أن الرب الإله هو الذي صنع هذه العجائب والآيات، وعاد إلى الرب بكل

^١ للمؤلف: تلمنتي لأب اعترافي، ١٩٧٤، ص ٨٢.

قلبه. ترك مَنْسَى كل أصنامهم، ولم يعد يعبدها بعد^١].

هذه الإضافة وإن أبرزت حنو الله غير أنها لا تتفق مع نظرة الكتاب المقدس نحو القوات السماوية التي تنتهي خلاص البشرية، وتُسَبِّح الرب المُخْلِص من أجل محبته للبشر. سمح الله بمذلة مَنْسَى في صورة مُرَّة، لئلا يذهب إلى بابل بدون مَذَلَّة، فيعبد آلهة البابليين. راجع مَنْسَى نفسه، وأدرك أن الآلهة التي تعبد لها عاجزة عن مساعدته، وأنه لا طريق للخلاص إلا بالرجوع إلى الله الحي بالتوبة والتواضع.

أما ثمار توبته فهي:

١. عِلِمَ مَنْسَى أن الرب هو الله [١٣]. ما لم يستطع أن يتعلّمه من والده التقى وهو في القصر الملكي مُدَلِّلاً، أدركه وهو مُقَيَّد بسلاسل من نحاس وممسوك بخزامة، يعيش في بابل في مَذَلَّة.
٢. اهتم ببناء أسوار لمدينته [١٤]، كما بنى أسوار عالية لأعماقه لحفظها من العدو غير المنظور.

٣. أزال الآلهة الغربية وطرحها خارج المدينة [١٥]، وقال لها: "خرجي" (إش ٣٣: ٢٢).
٤. عاد إلى عبادة الله الحيّ "ورَمَّ مذبح الرب" [١٦]، الذي أهمل لمدة طويلة أو قام كهنة الأوثان بتكسيهه. وذبح عليه ذبائح سلامة وشكر. صار يشكر الله على خلاصه.
كما سبق أن أضلَّ شعبه، ودفعهم لعبادة الأوثان، بعد توبته "أمر يهوذا أن يعبدوا الرب إله إسرائيل" [١٦]. استطاع أن يُبْعِدَهم عن الآلهة الكاذبة، لكنهم استمروا يعبدون الرب على المرتفعات [١٧].

يقول عنه يوسيفوس أنه في كل بقية حياته تعيّر إلى الأفضل، ونظّر إليه كرجلٍ مبارك.

❖ أبناؤنا الأعباء، لقد سمعنا كيف عاقبه الرب الإله إلى حين ذلك الذي أدمن الوثنية، وذبح أشخاصاً أبرياء كثيرين، ومع هذا قبله عندما تاب، وغفر له معاصيه، ورَدَّه إلى مملكته. فإنه ليس فقط يغفر للتائبين، بل ويردّهم إلى كرامتهم السابقة^٢.

الدسقولية

❖ كان مَنْسَى شريراً إلى أبعد حد (٢ مل ٢١: ٢-٧). لقد نشر إشعياء ومزّقه، وتدنّس بكل العبادات الوثنية، ولطخ أورشليم بدم الأبرياء. لكنه عندما أسر، استخدم خبرته في محنته مستعيناً بالتوبة

¹ Adam Clarke Commentary.

² Constitutions of the Holy Apostles, Book 2: 3: 22.

كعلاج، إذ يقول الكتاب عنه إنه تواضع جداً أمام الرب، وصَلَّى إليه، فاستجاب له، ورَدَّه إلى مملكته (٢ أي ٣٣: ١٢). فإن كانت التوبة قد أنقذت مَنْ نَشَرَ النبي ومَرْقَه، أفما تُخَلِّصُك أنت يا من لم ترتكب مثل هذا الشر العظيم؟!^١

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ ينصت الآب إليك وأنت تتكلم في داخل نفسك، ويسرع لمقابلتك. عندما تكون لا تزال بعيداً يراك ويركض.

إنه ينظر ما في داخل قلبك، ويُسرِع حتى لا يؤخرَكَ أحد، بل ويحتضنك.

"مقابلته لك" هي سبق معرفته، و"احتضانه لك" هو إعلان رحمته، وتعبير عن حُبِّه الأبوي.

يقع على عنقك لكي يُقِيمَكَ أنت الساقط تحت ثقل الخطايا، ولكي يُرجِعَكَ إلى السماء إذ اتجهت إلى الأرض، فتطلب خالقك.

يقع المسيح على عنقك، لكي يُخَلِّصَ عنقك من نير العبودية، فيحملك نيره الهين (مت ١١:

٣٠)...

يقع على عنقك بقوله: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري

عليكم" (مت ١١: ٢٨). هكذا يحتضنك الرب عندما تتوب.^٢

القديس أمبروسيو

❖ أيها الحق الكلي القداسة، كيف أُغَنِّي لك!

لقد نذرت هذا اليوم أن يكون عيداً لك.

لكنني أنا معتم قبل أن يحلَّ الليل.

بالتأكيد أُقدِّمُ صلّاتي، لكنني أحسب أنني قادر على حفظ شعاع مصباحك في هذا الشعاع الخالي

من العيوب، والبهية.

لكن قدمي قد زلّت، وإذ سقطت أرضاً جاء عدوي المُظْلِم، وسلبني لهيب السماء!

أعِنْ ظلمتي، حتى أصير يا رب نوراً!

القديس غريغوريوس النزينزي

^١ مقالاته لطالبي العماد، ٢: ١٤.

^٢ In Luc 15: 11-32.

❖ يا ابن الله افتح لي بَحْبِكَ الباب العظيم؛ أنت هو الباب وطريق الحياة للسائرين فيك. أيها الصاحب (الصديق) الصالح، معك أسير إلى الذي أرسلك؛ لأن الشرير بالتصاقه بالعالم صحبه كثيرون.

بك أتَقَدَّم للحديث معك، يا مُعَلِّم الحياة، لأن بدونك لا يستطيع إنسان أن ينظر أبيض^١.
القديس مار يعقوب السروجي

وَبَعْدَ ذَلِكَ بَنَى سُورًا خَارِجَ مَدِينَةِ دَاوُدَ عَزْبًا إِلَى جِيحُونَ فِي الْوَادِي،
وَالِي مَدْخَلِ بَابِ السَّمَكِ،
وَحَوِّطَ الْأَكْمَةَ بِسُورٍ وَعَلَاهُ جِدًّا.

وَوَضَعَ رُؤَسَاءَ جَبُوشِ فِي جَمِيعِ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ فِي يَهُوذَا. [١٤]
ربما أعاد بناء نقط الضعف في السور وقوّأها، وكان قد قام الأشوريون بهدمها.

وَأزَالَ الْآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ وَالصَّنَمَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ،
وَجَمِيعِ الْمَذَابِحِ الَّتِي بَنَاهَا فِي جَبَلِ بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي أُورُشَلِيمَ،
وَطَرَحَهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ. [١٥]

قام بكل ما في استطاعته أن يفعله من إزالة الأصنام التي أقامها والده، وتطهير العبادة لله الحقيقي. لقد طرح ما يمت للعبادة الوثنية خارج المدينة، وكان يلزمه تدميرها. لكن للأسف أعادها ابنه فيما بعد.

وَرَمَمَ مَذْبَحَ الرَّبِّ وَذَبَحَ عَلَيْهِ ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ وَشُكْرِ،
وَأَمَرَ يَهُوذَا أَنْ يَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ. [١٦]
إِلَّا أَنَّ الشَّعْبَ كَانُوا بَعْدُ يَذْبَحُونَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ،
إِنَّمَا لِلرَّبِّ إِلَهُهُمْ. [١٧]

جاء في الترجوم: [مع ذلك ذبح الشعب على المرتفعات، ولكن فقط لاسم كلمة الرب إلههم].^٢

٣. ختام مُلْكِهِ

وَبَقِيَّةُ أُمُورٍ مَنَسَى وَصَلَاتُهُ إِلَى إِلَهِهِ،

^١ راجع ميمر بدير القديس مقاريوس على التوبة.

^٢ Adam Clarke Commentary.

وَكَلَّمَ الرَّائِيْنَ الَّذِيْنَ كَلَّمُوهُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ،

هِيَ فِي أَخْبَارِ مَلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٨]

كلام الرائيين الذين كلموه باسم الرب إله إسرائيل: جاء في الترجوم: [التي قيلت له باسم كلمة

الرب إله إسرائيل^١].

يبدو أن بعد توبته أراد أن يشهد الله عن طول أناته ورحمته، فأرسل اعترافه إلى الرائيين (الأنبياء) الذين "كلموه باسم الرب". أراد أن يفرح قلوب الأنبياء الذين سبقوا ووخوه على ما كان يفعله ولم يسمع لهم زمانًا طويلًا.

وَصَلَاتُهُ وَالِاسْتِجَابَةُ لَهُ وَكُلُّ خَطَايَاهُ وَخِيَانَتُهُ،

وَالْأَمَاكِنُ الَّتِي بَنَى فِيهَا مُرْتَفَعَاتٍ، وَأَقَامَ سَوَارِيَّ وَتَمَاثِيلَ قَبْلَ تَوَاضُعِهِ،

مَكْتُوبَةٌ فِي أَخْبَارِ الرَّائِيْنَ. [١٩]

❖ ارتكب منسى رجاسات بلا عدد، ومدَّ يده ضد القديسين، وأدخل الرجاسات إلى الهيكل، وملاً المدينة بالقتلى، وصنع أمورًا أخرى تعدت كل حدود، ومع هذا بعد كل هذا الشر العظيم والمستمر، غسل نفسه من كل هذه الأشياء. كيف؟ وبأية طريقة؟ بالتوبة!^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثُمَّ اضْطَجَعَ مَنْسَى مَعَ آبَائِهِ

فَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ وَمَلِكٌ أَمُونُ ابْنُهُ عَوِضًا عَنْهُ. [٢٠]

كثيرًا ما يُظهِرُ اللهُ مِصَادِقَتَهُ لِلْمَلِكِ أَوْ عَدَمَ رِضَاهُ عَنْهُ خِلَالِ دَفْنِهِ:

١. دُفِنَ كَثِيرٌ مِنْ مَلُوكِ يَهُودَا فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ فِي مَقَابِرِ الْمَلُوكِ، وَلَيْسُوا دَائِمًا الْأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

٢. حُرِّمَ الْبَعْضُ مِنْ هَذَا الْمَدْفَنِ، إِذْ قِيلَ عَنْ يُوَاشَ الَّذِي قَتَلَ الْكَاهِنَ زَكَرِيَّا بْنِ يَهُوِيَادَاعَ: "دَفَنُوهُ

فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَلَمْ يَدْفِنُوهُ فِي قُبُورِ الْمَلُوكِ" (٢٤: ٢٥).

٣. دُفِنَ عَزْرِيَّا أَوْ عَزْرِيَا فِي حَقْلِ الْمَقْبَرَةِ الَّتِي لِلْمَلُوكِ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ أُبْرِصَ، لِأَنَّهُ حَاوَلَ اقْتِحَامَ

العمل الكهنوتي الذي لا يحق له (٢٦: ٢٣).

٤. آحاز المرتد عن الإيمان "دفنوه في المدينة في أورشليم، لأنهم لم يأتوا به إلى قبور ملوك

إسرائيل" (٢٨: ٢٧).

¹ Adam Clarke Commentary.

² St. John Chrysostom: Homilies on St. Matthew, hom 22:6.

٥. مَنَسَى دُفْنَ فِي بَيْتِهِ [٢٠] أَوْ فِي بَسْتَانِ بَيْتِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْمُلُوكِ (٢ مل ٢١: ١٨). يبدو أنه اختار هذا بنفسه، إذ شعر في أعماقه أنه غير مستحق أن يُدْفَنَ في المقابر الملكية.
٦. الأربعة ملوك الذين في نهاية ملوك يهوذا ثلاثة منهم (يهوآحاز ويهوياكين وصدقيا) ماتوا في مصر أو في بابل. ويهوياكين تحقق فيه القضاء المُعلن في إرميا: "وتكون جثته مطروحة للحر نهارًا، وللبرد ليلاً" (إر ٣٦: ٣٠).

٤. الملك آمون وشروره

كَانَ آمُونُ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ فِي أُورُشَلِيمَ. [٢١]

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ كَمَا عَمِلَ مَنَسَى أَبُوهُ،

وَدَبِحَ آمُونُ لِجَمِيعِ التَّمَاثِيلِ الَّتِي عَمِلَ مَنَسَى أَبُوهُ وَعَبَدَهَا. [٢٢]

أخطأ مَنَسَى الملك، لأنه عندما تاب نزع الأوثان وألقاها خارج المدينة، ولم يبق بحرقها أو سحقها كما طلبت الشريعة (تث ٧: ٥). لذلك لما ملك آمون عرف أن يجدها، وقام حالاً بنصبها وتقديم ذبائح لها.

وَلَمْ يَتَوَاضِعْ أَمَامَ الرَّبِّ كَمَا تَوَاضِعَ مَنَسَى أَبُوهُ،

بَلِ اِزْدَادَ آمُونُ إِثْمًا. [٢٣]

عاد إلى ما فعله أبوه قبل توبته، فأعاد تأسيس العبادة الوثنية، ولم يتواضع مثل أبيه، بل ازداد إثماً [٣٣].

قُتِلَ فِي بَيْتِهِ وَلَمْ يَذَكَرْ أَخْبَارُ الْأَيَّامِ أَيْنَ دُفِنَ. جاء في ٢ مل ٢١: ٢٦ أنه دُفِنَ مِثْلَ أَبِيهِ فِي بَسْتَانِ عَرِيَا.

كان الشر متغلغلاً في قلب آمون حتى بعد توبة أبيه، لهذا ففي فترة سنتين "ازداد آمون إثماً" عمًا فعله أبوه.

لم يُفدَّم آمون توبة في تواضع كما فعل أبوه [٢٣]. ربما وضع آمون في قلبه أن يتوب في أواخر أيامه مثل أبيه، فإن أباه حكم خمسة وخمسين عامًا، بينما قُتِلَ آمون بعد سنتين من استلامه الحكم.

وَقَتَنَ عَلَيْهِ عَبِيدُهُ وَقَتَلُوهُ فِي بَيْتِهِ. [٢٤]

وَقَتَلَ شَعْبُ الْأَرْضِ جَمِيعَ الْفَاتِنِينَ عَلَى الْمَلِكِ آمُونِ،

وَمَلِكُ شَعْبِ الْأَرْضِ يُوشِيَّا ابْنُهُ عَوَضًا عَنْهُ. [٢٥]

صلاة مَنَسَّى

وردت صلاة مَنَسَّى في الترجمة السبعينية تحت عنوان "صلاة مَنَسَّى ملك يهوذا أثناء سبيهِ في بابل"، وهي تُقْرَأُ أو يُسَبَّحُ بها في ليلة أبوغالمسيس، جاء فيها:

"أنت يا رب لم تجعل التوبة للصدّيقين إبراهيم وإسحق ويعقوب، هؤلاء الذين لم يخطئوا إليك. بل جعلت التوبة لمتلي أنا الخاطي.

لأنني أخطأت أكثر من عدد رمل البحر".

اعترف بخطيئة ويشاعتها، وصلّى:

"أطلب إليك يا رب اغفر لي، ولا تهلكني بأثامي".

يدعو الله: "أنت إله التائبين"، ويختتم صلاته: "فأسبِّحك كل أيام حياتي".

لقد أدّت الضيقة غرضها، فقدم مَنَسَّى التوبة بأمانة، لذلك: "استجاب له، وسمع تضرعه، وردّه إلى

أورشليم إلى مملكته". ففيه "أظهر الله كل أناة" (١ تي ١: ١٦؛ إش ١: ١٨).

أبواب حُبِّكَ مفتوحة لكل خاطي

❖ لك المجد يا مُخَلَّصي الصالح!

تركْتَ مَنْسَى الشرير يحكم خمسة وخمسين عامًا.

أُطَلَّتْ أُنَاتُكَ عليه، حتى يرجع إليك.

كَرَّسَ كل طاقاته لنشر عبادة الأصنام.

نَجَّسَ بيوتك المقدس ومذبحك الطاهر.

أقام لنفسه تمثالاً في بيتك،

وكانه يود أن يجلس علي عرشك الإلهي.

قَدَّمَ من أبنائه ذبائح للشياطين.

سَلَّمَ من أبنائه للحرق، حاسباً هذا عبادة!

مارس بوحشية ما لا تفعله الحيوانات المفترسة.

❖ جلب عليه شره مرارةً لا تُحْتَمَل.

سيق كحيوانٍ إلي أرض السبي.

وعاش في ذلٍ وعارٍ.

سمحت له بالتأديب ليس انتقاماً لما فعله،

إنما كمشرط في يد طبيبٍ.

تطلب شفاءه وخلصه ومجده الأبدي!

❖ حين تحرَّكَ قلبه بالتوبة، تحرَّكت السماء منهللة،

لم تحتمل تنهَّدات قلبه ودموعه.

غفرت له كل ما فعله.

أعدته إلي مملكته في أورشليم.

فتحت يا مُخَلَّصي باب الرجاء لكل الخطاة.

من لا يرجع إليك يا غافر الخطية، ليتطهر بدمك الثمين؟

من لا يُسَبِّحُكَ يا من تعدُّ لنا الأمجاد؟!

إصلاحات يوشيا الملك

٢ أخبار الأيام ٣٤-٣٥

من بين العشرين ملكاً ليهودا تسعة عشر ملكاً وعتليا الملكة، يمكن أن يقال إنه يوجد فقط ثمانية ملوك يُدعون صالحين، وإن كان بعضهم صارت لهم أخطاء جسيمة. هؤلاء الثمانية هم آسا، ويهوشافاط، ويواش، وأمصيا، وعزيا (عزريا)، ويوثام، وحزقيا، ويوشيا.

أما يوشيا فيُعتبر أحد عظماء ملوك يهوذا المُصلحين وآخرهم، قَدَّمه إرميا مثلاً كان يليق بخلفائه أن يقتدوا به، قائلاً عنه: "أما أكل أبوك وشرب وأجرى حقاً وعدلاً، حينئذٍ كان له خير. قضى قضاء الفقير والمسكين، حينئذٍ كان خيراً. أليس ذلك معرفتي، يقول الرب؟" (إر ٢٢: ١٥-١٦).^١

من العجيب أن الله يسمح بحركة إصلاح قبل السبي بفترة قصيرة، بعد حكمي مَنَسَّى وأمون، اللذين أغرقا يهوذا في الوثنية والخطية. أراد أن يُعطي رجاءً، أنه في كل العصور يوجد خلاص لكل من يطلب أن يرجع إليه.

جاء عصر يوشيا الذي يُعتبر آخر ضوء تبعثه الشمعة الأخيرة التي كادت أن تنطفئ، يتبعها ليل طويل حالك السواد، حتى يأتي الملك الحقيقي، يُشرق بنور برّه على الجالسين في الظلمة.

تبقى حياة الملك يوشيا صورة مبهجة تملأ النفس رجاءً، فقد وُلِد من أب شرير وعن جدٍ شرير، وفي جو ديني فاسد، وفي قصر ملوكي مُنحل بالفساد، وتسلّم كرسي العرش في الثامنة من عمره تحت وصاية أناسٍ لا يباليون بما هو الله. ومع هذا فقد التصق بالرب، وبدأ حركة الإصلاح على مستوى الهيكل وكل يهوذا وحتى إسرائيل قدر استطاعته.

لقد سمح الله بظهور هذه الشخصية قبل دمار يهوذا وإسرائيل تماماً ليختبر الشعب والقادة سنوات مجيدة تكون شاهدة عليهم بأنهم كانوا قادرين على اختيار طريق الرب.

انَّسَم عصره بالأمور الهامة التالية:

١. انهيار أشور تدريجياً أعطى فرصة ليوشيا أن يبدأ بالاستقلال والتحرير من أشور.
٢. اهتمامه بترميم الهيكل أدَّى به إلى اكتشاف سفر الشريعة في السنة الثامنة عشرة من حُكمه (٢ مل ٢٢: ٣). وقراءة السفر قاد إلى تجديد العهد بين الملك وكل الشعب مع الله.
٣. الاحتفال بعيد الفصح.

¹ The Wiersbe Bible Commentary, p. 724.

الأصحاح الرابع والثلاثون

الملك يوشيا

وُلد عام ٦٤٨ ق.م، وتولَّى العرش سنة ٦٤٠ ق.م (حتمًا كان تحت الوصاية)، وصار أبًا في السادسة عشرة من عمره (٣٦: ٢). في عام ٦٢٨ ق.م صارت المملكة بين يديه، وقام بالإصلاحات الدينية [٣-٧]. ويلاحظ في إصلاحاته الآتي^١:

١. نزع الآلهة الكنعانية، وكانت قد نزعت الآلهة الأشورية بواسطة الملك منسى (٣٣: ١٥).
٢. امتدَّ إصلاحه إلى أسباط منسى وإفرايم وشمعون، فطهر أراضيها من الأوثان. استطاع أن يفعل هذا، لأن آشور بدأت تضعف عسكريًا، ولم تعد تستطيع أن تقترب من أورشليم. فقد مات آخر إمبراطور آشوري قوي آشوربانيبال *Assurbanipal* (٦٦٨-٦٣٣ ق.م) ولم يعد أحد من خلفائه قادرًا على تهديد الجانب الغربي من الهلال الخصيب. اقترب وقت ثورة نبوخذنصر البابلي على آشور (٦٢٦-٦٠٥ ق.م). سقطت آشور أمام بابل في ٦١٤ ق.م، ونيوى في عام ٦١٢ ق.م، وحران في عام ٦١٠ ق.م، ولم يعد لأشور المُرعبة كيان بعد.
- كان إرميا النبي وراء إصلاحات يوشيا، فقد وُلد عام ٦٤٠ ق.م نفس السنة التي استلم فيها يوشيا العرش، وتسلَّم النبوة بعد اكتشاف سفر الشريعة وكان عُمرُ إرميا ١٨ سنة عند اكتشاف السفر، ولذلك اشتكى إرميا بأنه وُلدَ عاجز عن القيام بالعمل النبوي (إر ١: ٦).
- ارتبطت إصلاحات الهيكل باكتشاف سفر الشريعة. يقول الدارسون منذ العصور الآبائية إنه سفر التثنية أو جزء مُعيَّن منه.

١. شخصية يوشيا الملك ٢-١.
 ٢. غيرته لإبادة الأوثان ٧-٣.
 ٣. اهتمامه بإصلاح الهيكل ١٣-٨.
 ٤. العثور على سفر الشريعة ٢٨-١٤.
 ٥. قراءة الشريعة في محفل عام ٣٣-٢٩.
- سبق أن عرض سفر الملوك الثاني (٢ مل ٢٢) الكثير من هذه الأمور.

^١ Cf. Patrick Henry Reardon: *Chronicles of History and Worship*, 2 Chronicles 34.

١. شخصية يوشيا الملك

كَانَ يُوشِيَا ابْنَ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. [١]
وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ،
وَسَارَ فِي طُرُقِ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَلَمْ يَجِدْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا. [٢]

سار يوشيا في "طرق داود أبيه"، قيل هذا عن اثنين من أجداده العظام وهما يهوشافاط وحزقيا. يعني هذا التعبير أن هؤلاء الملوك كانوا يضعون أمام أعينهم أبيهم داود نموذجًا لهم في محبته المخلصة للرب ولشعبه، وفي عبادته المتهلهة بالروح.

مع استقامة قلب الملك، غير أن الشعب لم يكن قلبه مستقيمًا. ففي عصره قال إرميا عن مملكة يهوذا: "لم ترجع إليّ أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها، بل بالكذب يقول الرب" (إر ٣: ١٠).

لم يكن غير مبالٍ بالحياة المقدسة، وفي غيرته لم يتعدى حدوده، بهذا لم ينحرف يمينًا في بر ذاتي واعتداد بذراعه البشري، ولا شمالًا بتهاونه وتراخيه مع الشر. سار في الطريق الملوكي الذهبي. عمل المستقيم في عيني الرب، لكنه كطفلٍ صغيرٍ ترك تدبير الأمور في أيدي آخرين.

"لم يجد يمينًا ولا يسارًا"، لأن عيني قلبه لم تتطلعا من حوله يمينًا أو يسارًا ولا خلفه، ينسى ما هو وراء، ويمتد إلى قدام (في ٣: ١٣)، كان يتطلع إلى فوق، يطلب السماوي. وكما يقول الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو ٣: ١).

❖ رقص بولس روحياً عندما امتد إلى قدام من أجلنا، ونسي ما هو وراء، واضعًا هدفه قدامه، طالبًا نوال مكافأة المسيح... هذا الرقص يصحبه الإيمان، وترافقه النعمة^١.

القديس أمبروسيوس

❖ كان يركض على الأرض، والمكافأة متدلية من السماء. إذن ركض على الأرض، وصعد بالروح. انظروا فإنه يبسط نفسه إلى خارج، انظروا إنه مُتعلق بالمكافأة^٢.

❖ إن كنت مكتفيًا، فأنت مفقود. تقدّم، احتفظ بالتقدّم. لا تقف في ذات الموضوع، ولا ترجع إلى الوراء، ولا تخرج من الطريق.

¹ Concerning Repentance, 2:43.

² Sermons on N.T. Lessons, 41 :6.

القديس أغسطينوس

❖ يليق بنا حتى إن أوكّل إلينا أقل الأعمال أن نمارسها بغيره عظيمةٍ وحبٍ، عالمين أن ما يُصنَع بالله ليس تافهًا، بل يقابله ملكوت السماوات^١.

القديس باسيليوس الكبير

٢. غيرته لإبادة الأوثان

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مُلْكِهِ، إِذْ كَانَ بَعْدَ فَتَى،
ابْتَدَأَ يَطْلُبُ إِلَهَ دَاوُدَ أَبِيهِ.

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ ابْتَدَأَ يَطْهَرُ يَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ،
مِنَ الْمُزْتَفَعَاتِ وَالسَّوَارِي وَالْتَّمَائِيلِ وَالْمَسْبُوكَاتِ. [٣]

واضح أن نبوات إرميا المبكرة (إر ٢-٣) كانت متزامنة مع مجهودات يوشيا الأولى في اقتلاعه وإباده للوثنية، وقد جاءت هذه النبوات تسنده في عمله هذا^٢.

بدأت النبوات بكلمات تشجيع يُوجِّهها الرب لشعبه بكونه يُمَثِّلُ العروس المخطوبة له، وأنه لا ينسى غيرة صباها ومحبتها له وذهابها ورائه في البرية (إر ٢: ١-٢). وأن الله يتطلع إلى إسرائيل بكونه قدسًا للرب (إر ٢: ٣). وأما في عتابه، فيوضِّح الآتي:

١. لم تستبدل أمةً ما آلهتها، أما إسرائيل فسرعان ما يستبدل إليه الحقيقي المُحب والعامل لحساب شعبه بأصنام ميتة (إر ٢: ١١).

٢. ارتكب شعبه شرًّا: الأول إنه ترك إلهه الينبوع الحي، والثاني نقر لنفسه آبارًا لا تضبط ماءً (إر ٢: ١٣).

أدرك يوشيا الفساد الذي تعيش فيه يهوذا على مستوى القصر الملكي ورجال الدولة والقادة الدينيين، فابتدأ يطلب إله داود أبيه. طلبه في سنة المُبَكَّر، لأن من يبكر إلى الرب يجده (أم ٨: ١٧).

لم يستطع يوشيا أن يبدأ الإصلاح إلا في الثانية عشرة من استلامه العرش، وهو بعد فتى حيث بلغ العشرين من عمره، حيث رُفِعَتْ عنه الوصاية، وأمسك بزمام الحُكْم كله في يديه. هكذا يليق

¹ Catena Aurea.

² Barnes' Notes.

بالشباب أن يطلب الرب في سنٍ مبكر ما استطاعوا.

إن كان الملك منسّى قد أزال الأصنام، فإن يوشيا لم يقف عند إزالتها، بل قام بتكسيورها وسحقها ورشها على قبور الذين ذبحوا لها، حتى لا يبقى لها أية آثار، ولكي يدرك الكل أن الذين ذبحوا لأوثان لم ينالوا سوى التراب الدنس الذي من سحق التماثيل.

وَهَدَمُوا أَمَامَهُ مَذَابِحَ الْبَغْلِيمِ وَتَمَاثِيلَ الشَّمْسِ الَّتِي عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ،
قَطَعُوهَا وَكَسَّرَ السَّوَارِيَ وَالتَّمَاثِيلَ وَالْمَسْبُوكَاتِ،
وَدَقَّهَا وَرَشَّهَا عَلَى قُبُورِ الَّذِينَ ذَبَحُوا لَهَا. [٤]

كم من المرات هُدمت مذابح البعليم، لكن للأسف كلما ارتدَّ ملك إلى الوثنية وجد في القادة الدينيين والسياسيين، وفي الشعب رغبة حارة وقوية لإقامة مذابح وثنية وتماثيل وسواري. لم يطرح التماثيل خارج المدينة كما سبق ففعل جده منسّى عند توبته، وإنما قام بتكسيورها وسحقها كالتراب. بغيرته كان له تأثير لا في يهوذا وأورشليم فقط، وإنما حتى في بعض مدن إسرائيل.

وَأَحْرَقَ عِظَامَ الْكَهَنَةِ عَلَى مَذَابِحِهِمْ،
وَطَهَّرَ يَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ. [٥]

أمر بحرق عظام كهنة الأوثان (٢ مل ٢٣: ٥).

وَفِي مُدُنٍ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمَ وَشَمْعُونَ إِلَى نَفْتَالِي مَعَ خَرَابِهَا حَوْلَهَا [٦]

كان لإصلاحات يوشيا صداها، ليس فقط في يهوذا، وإنما حتى في مُدُنٍ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمَ وَشَمْعُونَ إلى نفتالي، هذه التي كانت تابعة لمملكة إسرائيل.

عندما يخدم المؤمن إلهه بإخلاص ونقاوة قلب، يعمل روح الله ليجتذب حتى الذين ليس له علاقة بهم، ليرجعوا إلى الرب. حقاً إن الحق الإلهي له جاذبيته في حياة السالكين بالروح، ليعمل من خلالهم في حياة الآخرين. هذا يدفعنا للدخول إلى العمق في علاقتنا مع الله، والصلاة من أجل خلاص العالم حتى بالنسبة لمقاومي الحق الانجيلي والكنيسة.

هَدَمَ الْمَذَابِحَ وَالسَّوَارِيَ وَدَقَّ التَّمَاثِيلَ نَاعِمًا،
وَقَطَعَ جَمِيعَ تَمَاثِيلِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ،
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٧]

٣. اهتمامه بإصلاح الهيكل

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ،
بَعْدَ أَنْ طَهَّرَ الْأَرْضَ وَالْبَيْتَ،
أَرْسَلَ شَافَانَ بْنَ أَصْلَبَا وَمَعْسِيَا رُئِيسَ الْمَدِينَةِ وَيُوَآخَ بْنَ يُوَآحَازَ الْمُسَجَّلَ،
لِأَجْلِ تَرْمِيمِ بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهُهِ. [٨]

بعد أن طهر بيت الرب من الرجاسات التي كانت فيه، ابتداءً في إعداده لممارسة العبادة. لم يقف الإصلاح عند الجانب السلبي من إزالة الشر وسحقه، وإنما قام بالعمل الإيجابي من إصلاح الهيكل وممارسة العبادة الحقيقية. في بداية الإصلاح بدأ يطلب إله داود أبيه [٣]، الآن قد أزال كل أثر للوثنية، وبدأ الإصلاح الإيجابي، شعر بالعلاقة الشخصية مع الله فدعى الله "الرب إلهه" [٨].
المُسَجَّل: ضابط *officer* ذو مكانة عالية في السلطة اليهودية، فهو ليس مجرد مُسَجَّل للأحداث فحسب، إنما مسؤول رفيع المكانة أو رئيس لمجلس الملك، ربما يشير لقبه إلى وظيفته كمُشير للملك. في أيام داود ظهر المُسَجَّل وسط رئيس الجيش (٢ صم ٨: ١٦؛ ٢٠: ٢٤؛ ١ أي ١٨: ١٥). في حُكْم حزقيا كان المُسَجَّل بالاشتراك مع القائم البيت والكتاب يُمَثِّلُونَ الْمَلِكَ (٢ مل ١٨: ١٨، ٣٧). وهنا نراه مُكَلَّفًا مع رئيس المدينة بترميم بيت الرب، مما يشير إلى سمو عمله^١.

فَجَاءُوا إِلَى حِقْيَا الْكَاهِنِ الْعَظِيمِ،
وَأَعْطُوهُ الْفِضَّةَ الْمُدْخَلَةَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الَّتِي جَمَعَهَا اللَّاويُونَ حَارِسُو الْبَابِ،
مِنْ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمَ وَمِنْ كُلِّ بَقِيَّةِ إِسْرَائِيلَ،
وَمِنْ كُلِّ يَهُودَا وَيَنْيَامِينَ،
ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٩]

اشترك الكل في عمل الإصلاح، فقد بدأ الملك بالعمل، وقام اللاويون بجمع فضة من الشعب للخدمة، وسَلَّمَ اللاويون الفضة لرئيس الكهنة حلقياء، الذي صار ينفق على حركة الإصلاح [١٠-١١]. فالقائد الناجح هو الذي يُشْرِكُ الكثيرين معه، ولا يركز العمل في شخصه وحده.
نزع البعض من مَنَسَّى وأفرايم وبقية الأسباط التي في الشمال، وعاشوا في يهوذا.

وَدَفَعُوهَا لِأَيْدِي عَامِلِي الشُّغْلِ الْمُؤَكَّلِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
فَدَفَعُوهَا لِعَامِلِي الشُّغْلِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،

¹ Cyclopedia of Biblical, Theological and Ecclesiastical Literature, Q - Red Heifer, by James Strong & John McClintock.

لَأَجْلِ إِصْلَاحِ الْبَيْتِ وَتَرْمِيمِهِ. [١٠]

استطاع رجلٌ واحدٌ مُخْلِصٌ، الملك يوشيا، أن يُعْطِيَ الفرصةَ لأعداد كبيرة للكشف عما في قلوبهم من روح الأمانة والرغبة الحارة في العمل لحساب الرب.

لم يعمل الملك وحده، إنما أرسل اللاويين ليشارك كل الشعب في المساهمة في إصلاح البيت. قدّم اللاويون ما كانوا يجمعونه إلى ثلاثة أمناء [٨]، وهؤلاء بدورهم قدّموه إلى رئيس الكهنة [٩]. دُفِعَت الأموال المجموعة إلى الوكلاء والعاملين، وهؤلاء كانوا أمناء مجتهدين [١٢].

وَأَعْطَوْهَا لِلنَّجَّارِينَ وَالْبَنَائِينَ، لِيَشْتَرُوا حِجَارَةً مَنْحُوتَةً وَأَخْشَابًا لِلْوُصَلِ

وَلَأَجْلِ تَسْقِيفِ الْبُيُوتِ الَّتِي أَخْرَبَهَا مُلُوكُ يَهُودَا. [١١]

يُقْصَدُ بالبُيُوتِ هنا الغرف التي كانت تُحِيطُ بالهيكل من ثلاثة جوانب منه (١ مل ٦: ٥)، أو المباني الخارجية المُلْحَقَةُ بالساحات. يُقْصَدُ بملوك يهوذا منسى وأمون^١.

يمكننا أن نتطلع إلى شخصية يوشيا كنموذج عملي للقائد الناجح:

١. لا يعتمد نجاح القائد الصالح الحي ولا سلطانه على عمره، فقد تسلّم الملك العرش في الثامنة من عمره (٣٤: ١)، وقام بتطهير أورشليم ويهوذا وهو في العشرين من عمره (٣٤: ٣)، وبلا شك وجد مقاومة من الجماهير التي كانت تعبد الأصنام في المرتفعات، وترتبط بالسواري والمسبوكات. هذا مع مقاومة الأعداد الغفيرة من الكهنة الوثنيين وعائلاتهم ومن المنتفعين من هذه العبادة، وأيضًا من الذين كانوا مُعجِبِينَ ببعض التماثيل والمسبوكات.

٢. وُلِدَ هذا الطفل الذي صار ملكًا من أبٍ شريرٍ (أمون) وجِدَّهُ مَنْسَى الذي وإن كان قد تاب في آخر حياته، غير أنه ملك لمدة خمسة وخمسين سنة، أفسد خلالها كل أرض يهوذا. وكان جو القصر الملكي في عهد جدّه وأبيه مملوءً بالرجاسات، غير أنه بلا شك كان لوالدته أثرها عليه. جلس على العرش وسط رجال الدولة والقصر الفاسدين، ومع هذا تحدّى هذه الظروف التي أحاطت به.

٣. سرُّ نجاح يوشيا أنه لم يركز الإصلاح في يده وحده، بل نجح في خلق قيادات جادة في الإصلاح بين الكهنة واللاويين والرؤساء والشعب، حتى بين العمال البنائين والنجارين. نجاح القائد في تشغيل الطاقات مع توجيهها في غير دكتاتورية (٣٤: ٨-١٣).

¹ Barnes' Notes.

٤. ارتباطه بالشريعة أو الوصية الإلهية، والتزامه بها، ومساندة الكل أن يقتدي به في إقامة عهدٍ مع الرب (٣٤: ١٤-٢١).

٥. في تواضع حقيقي كان يستشير أناس الله، مثل خلدة النبية (٣٤: ٢٢).

٦. بث روح الفرح الروحي، إذ احتفل بعيد الفصح، "لم يُعمل فصح مثله في إسرائيل من أيام صموئيل النبي" (٣٥: ١٨). هذا بث في القادة روح الرجاء!

وَكَانَ الرَّجَالُ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ بِأَمَانَةٍ،
وَعَلَيْهِمْ وَكَلَاءٌ يَحْتُ وَعُوبِدِيَّا اللَّاَوِيَّانِ مِنْ بَنِي مَرَارِي،
وَزَكَرِيَّا وَمَشَلَّمُ مِنْ بَنِي الْقَهَاتِيِّينَ لِأَجْلِ الْمُنَاطَرَةِ،
وَمِنَ اللَّاَوِيِّينَ كُلِّ مَاهِرٍ بِآلَاتِ الْغِنَاءِ. [١٢]

انفرد سفر أخبار الأيام بالحديث عن اللاويين من حيث تعهدهم بالإشراف المالي على ترميم الهيكل [١١-١٣]، هذا أدى إلى اكتشاف سفر شريعة الرب. هذا ما يكشف عن اهتمام اللاويين والكهنة بإصلاحات يوشيا.

لا نتعجب من ربط الكاتب بين أمانة عمال البناء والنجارين وغيرهم بالقول "ومن اللاويين كل ماهرٍ بآلات الغناء"، ولعل هؤلاء الرجال ساهموا في العمل بالترثم بالمزامير والتسابيح المُفرحة، فخلقت جوًّا من الفرح والبهجة، مما سند الكل في عمله. فالفرح هو سمة صحيحة للمجتمع الروحي، قادر أن يسند كل يدٍ للعمل الجاد بروحانية وأمانة لحساب الملك السماوي. وكما أن الفرح في الرب يسند النفس في جهادها، فإن الحزن المُفرط يُحطِّم النفس ويبعث حالة من الإحباط، كما يُفسد العقل.

❖ "أحسنوا العزف لمجده بالرباب بهتافٍ" (مز ٣٣: ١). كانوا مثل جنودٍ مُلتزمين انتصروا على أعدائهم، فرفعوا أصواتهم بهتافات النصر.

لقد قال: "تقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣)، فمن هو الإنسان الذي يستطيع أن يحارب الشرير دون أن يختبئ في ظل قدرة قائده؟ ونحن في ملء الرجاء فيه، نطرح عدونا ونصييه بالسهام...

التهتاف صرخة غير منطوقة بكلمات، يتفق عليها جميع المحاربين، ويطلقونها بنفس واحدة، وقد ارتبطوا جميعًا برباط المحبة^١.

^١ تفسير المزمور ٣٣ (٣٢).

❖ لا تُحْبِطُ، فإن الحزن الزائد يصير مصدرًا للخطية. يفيض الحزن على العقل (يفسده)، يُسَبِّب العجز ارتباكًا، ويؤدِّد الاضطراب أفكار جحود^١.

القديس باسيليوس الكبير

❖ "أخيرًا يا إخوتي افرحوا في الرب" يقول بحق "في الرب"، وليس "حسب العالم"، فإن هذا ليس بفرح. يقول إن هذه المتاعب التي بحسب المسيح تجلب فرحًا^٢.

❖ تحفظ من أن تحوط نفسك بطاغية الحزن. يمكنك أن تسيطر على نفسك، فإن العاصفة ليست أعظم من مهارتك.

❖ الحزن المُفْرِط أمر مرعب يؤدِّد موتًا. لذلك يقول بولس: "لئلا يُبتَلَع مثل هذا من الحزن المُفْرِط" (٢ كو ٢: ٧)^٣.

❖ يمكن للشيطان أن يُحَطِّم حتى تحت مظهر التقوى. فإنه يقدر أن يُحَطِّم ليس فقط بأن يقود الشخص إلى الزنا بل وأحيانًا بالعكس بالحزن المُفْرِط الذي يجعل اليأس يتبع التوبة... إنه يقاثلنا بسلاحنا لا بسلاحه^٤.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَكَانُوا عَلَى الْحُمَالِ وَوُكَلَاءَ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ شُغِلَ فِي خِدْمَةِ فِخْدَمَةٍ.

وَكَانَ مِنَ اللَّاويِيِّنَ كُتَّابٌ وَعُرَفَاءٌ وَبَوَابُونَ. [١٣]

صورة رائعة للعمل الجماعي الذي دستوره الحب والاحترام المتبادل، فالكل يعمل حسب موهبته، يعترف كل واحد بدوره، ويخدم الآخرين بالحب، لبنيان كنيسة الله، ومجد اسمه القدوس.

١. الملك يقود حركة الإصلاح. ٢. اللاويون يجمعون الفضة لحساب الهيكل.

٣. الشعب يدفع بسخاء. ٤. رئيس الكهنة يتقبَّل العطايا للإنفاق.

٥. النجارون والبنائون والحُمَال يعملون بأمانة.

٦. الوكلاء بروح الحب يُدَبِّرون الأعمال.

٧. فرقُ التسييح من اللاويين يخلقون جوًّا من الفرح الروحي.

¹ In the Time of Famine and Drought, 5.

² Homilies on Philippians, homily 10.

³ Homilies on St. John, 78:1.

⁴ In 2 Cor. Hom. 4:5.

جاءت كلمة "كُتَّاب" هنا لا لتعني طبقة معينة، إنما هم مجموعة من اللاويين تأسست لحفظ الكتابات الخاصة بالشريعة والنبوات، غالبًا ما قام حزقيا الملك بتخصيص بعض اللاويين لحفظ النبوات على وجه الخصوص^١.

٤. العثور على سفر الشريعة

وَعِنْدَ إِخْرَاجِهِمُ الْفِضَّةَ الْمُدْخَلَةَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،

وَجَدَ حَلْقِيَا الْكَاهِنُ سِفْرَ شَرِيعَةِ الرَّبِّ بِيَدِ مُوسَى. [١٤]

إذ بدأوا في العمل وجد رئيس الكهنة حلقيا سفر شريعة الرب في بيت الرب. وجد النبيوع الذي يفيض بمياه الراحة السماوية. وُجِدَ سِفْرُ الشَّرِيعَةِ الَّذِي كَانَ مَفْقُودًا بسبب تراخي الملوك وعدم مبالاتهم بالشركة مع الله، وكان العثور على هذه النسخة له فاعليته على الملك ورجال المملكة والقادة والشعب، وساد جو الفرح والتهليل في المملكة كلها.

ألا يليق بنا أن نشكر الله ونُسَبِّحَه، لأن الكتاب المقدس صار في متناول يد الجميع، ولم يعد الإنجيل مصدر الفرح نادراً. لم تعد كلمة الرب عزيزة. أي عُدْرٌ نُقَدِّمُه إن أهملنا التمتع بكلمة الرب!؟

فَقَالَ حَلْقِيَا لِشَافَانَ الْكَاتِبِ:

قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ.

وَسَلَّمَ حَلْقِيَا السَّفْرَ إِلَى شَافَانَ. [١٥]

فَجَاءَ شَافَانُ بِالسَّفْرِ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ:

كُلُّ مَا أَسْلَمَ لِيَدِ عِبِيدِكَ هُمْ يَفْعَلُونَهُ. [١٦]

وَقَدْ أُرْعَوُا الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،

وَدَفَعُوهَا لِيَدِ الْوُكَلَاءِ، وَيَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ. [١٧]

وَأخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبَ الْمَلِكِ:

قَدْ أَعْطَانِي حَلْقِيَا الْكَاهِنُ سِفْرًا.

وَقَرَأَ فِيهِ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ. [١٨]

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ الشَّرِيعَةِ مَرَّقَ نِيَابَهُ [١٩]

ارتعب الملك والشعب بعد اكتشاف سفر الشريعة، وإدراك كسرهم لبعض الشرائع، فقد شعر بأن

¹ Barnes' Notes.

إصلاحاته هذه لا تعفيه من كسره للشرائع. ربما لأول مرّة يسمع يوشيا كلمة الرب، فمزّق ثيابه [١٩]، وتهلل بالرب إلهه [٢٧]. حقًا يليق بنا أن نمزّق قلوبنا لا ثيابنا. في تواضع وانسحاق مزّق الملك ثيابه الملوكية، وأرسل لیسألوا الرب عما يفعله، حتى يرفع غضبه، لا عن أسرته ولا عن دولته فحسب، بل وحتى عن إسرائيل التي كانت مُنشقّة عن المملكة.

وَأَمَرَ الْمَلِكُ حَلْقِيَا وَأَخِيْقَامَ بَنَ شَافَانَ وَعَبْدُونَ بَنَ مِيخَا

وَشَافَانَ الْكَاتِبَ وَعَسَايَا عَبْدَ الْمَلِكِ: [٢٠]

أَذْهَبُوا، اسْأَلُوا الرَّبَّ مِنْ أَجْلِي،

وَمِنْ أَجْلِ مَنْ بَقِيَ مِنْ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا،

عَنْ كَلَامِ السَّفَرِ الَّذِي وُجِدَ،

لَأَنَّهُ عَظِيمٌ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذِي انْكَبَ عَلَيْنَا،

مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَنَا لَمْ يَحْفَظُوا كَلَامَ الرَّبِّ،

لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي هَذَا السَّفَرِ. [٢١]

لم يخجل الملك من أن يطلب من الكاهن والكااتب وغيرهما أن يسألوا الرب من أجل ما يلزم أن يفعله. في سفر الأعمال سأل المُستمعون لكلمة الرب: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أع ٢: ٣٧). وبنفس الروح قال السجّان: "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" (أع ١٦: ٣). وقيل في إشعياء: "إن كنتم تطلبون، فاطلبوا" (إش ٢١: ١٢).

كان يوشيا يشعر بالتزامه برعاية الأسباط العشرة كما بسطي يهوذا وبنيامين. ضمت خدمته كل الأسباط، لأن ما كان يشغله هو خلاص الكل، ورجوعهم إلي الله. أما بالنسبة للمسيحي فيليق به وقد التصق بالمُخلص محب البشر، أن يتّسع قلبه بالحبّ لكل البشرية، مشتهياً خلاص الكل.

❖ التقرب بنفسٍ واحدةٍ إلى الله بالتوبة أفضل عند الله من جميع القرابين؛ إذ ليس في العالم عند الله أفضل من النفس الإنسانية. لأن كل ما في العالم يزول إلاّ النفس فإنها لا تزول.

القديس يوحنا الدرجي

❖ إن رأيتَ حمارًا ساقطًا، فإنك تُقيمه دون أن تسأل عن صاحبه، أليس بالأكثر جدًّا بالنسبة للإنسان الساقط، ألاّ تسأل لمن هذا؟ إنه ملك الله، حتى وإن كان وثنيًا... حتى وإن كان غير مؤمن، فإنه

يحتاج إلى عون!

❖ لنولول عليهم أشد من ولولة النساء النادبات، لأنهم يجهلون خلاصهم، لأن المرأة لا تحب الرجل هكذا كما نحب نحن كافة الناس لنجذبهم إلى الخلاص.

❖ إن كان يونانياً (أممياً) أو أيًا من كان فلننح عليه، لأن ذكر الصليب عنده جهالة، مع أنه حكمة الإله وقوته!

❖ إن رأيت أعمى سيسقط في هوة، أما تمد يدك إليه وتسندته حالاً، فكيف إذن يسوغ لنا أن نرى إخوتنا ساقطين في مثل هذه المخاطر ولا نمد إليهم يد الإعانة وهم مُشرفون على السقوط في الحفرة الجهنمية الخالدة؟

❖ يجب علينا أن نُظهِرَ الحب الأخوي والتدبير اللائق نحو بني طبيعتنا، ونَتَحَمَّلَهَا بالمحبة التي هي رأس الفضائل، التي بدونها لا يستطيع أحد أن ينجو. لهذا لا تفتر أيها الحبيب أبداً، بل كن ناصحاً لأخيك، ولو قذفك وأرهبك بالضرر والخسارة. فأظهِر له جناح الحنو وأطل أناتك عليه، حتى تريح نفسه، ولو بالغ في عداته لك. فعليك أن تفرح، إذ يكون الإله نفسه محباً وصديقاً، لأن النفس ثمينة جداً ولا يُوازِيها العالم بأسره. ورجوع نفسٍ واحدة إلى طريق الحق والصواب أفضل من ربوات الأموال التي تُقدِّمها رحمة...

ومتى رأيت إنساناً محتاجاً إلى شفاء روحي أو جسدي، لا تقل في نفسك إن هذا من عمل فلان أن ينفذه من شره ويشفيه، فإنني من الشعب لي زوجة وأولاد، وهذا من عمل الكهنة والرهبان. أجبني يا هذا: هل لو وجدت وعاءً مملوءً ذهباً تقول في نفسك لم لا يأخذ هذا الوعاء فلان أو فلان؟... بل تبادل كالدئب الخاطف وتأخذه قبل أي إنسان! ليكن لك هذا الاشتياق نحو إخوتك الساقطين، واضعاً في نفسك أنك وجدت كنزاً ثميناً جداً، هو اعتناؤك بخلاص أخيك. هوذا الله يقول على فم رسوله إن أنقذت إنساناً ضالاً تخلص نفساً من الموت (١ يو ٥: ٢٠).

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَذَهَبَ حَلْقِيَا وَالَّذِينَ أَمَرَهُمُ الْمَلِكُ إِلَى خَلْدَةَ النَّبِيِّ امْرَأَةَ سَلُومَ بْنِ ثَوْقَةَ بْنِ حَسْرَةَ حَارِسِ الثِّيَابِ،
وَهِيَ سَاكِنَةٌ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَكَلَّمُوهَا هَكَذَا. [٢٢]

لم يستشِر حلقيا إرميا النبي ولا صفنيا النبي الذي كان أحد المُقرَّبين من الملك يوشيا (صف ١:

¹ In Hebr. hom 10: 8.

١). ربما لأن إرميا لم يكن في أورشليم بل كان في قرية عائلته (عناثوث)، وصفنيا كان خارج المدينة. لذلك التجأت اللجنة التي عيّنها الملك إلى خدة النبية الأرملة والتي كان زوجها يعمل في البلاط الملكي في حفظ الملابس والحلي الملكية^١. ذكر الكتاب المقدس خدة من بين نبيات أخريات، مثل مريم أخت هارون (خر ١٥: ٢٠)، ودبورة القاضية والنبية (قض ٤: ٤)، ونوعدية (نح ٦: ١٤)، وزوجة إشعياء النبي (إش ٨: ٣)؛ حنة (لو ٢: ٣٦)، أربعة بنات فيلبس (أع ٢١: ٨-٩).

فَقَالَتْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ:

قُولُوا لِلرَّجُلِ الَّذِي أَرْسَلَكُمْ إِلَيَّ. [٢٣]

جاء حديث خدة مع مندوبي الملك ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مُوجَّهٌ إلى يوشيا كإنسان من بين كل رجال إسرائيل أمام شريعة الله، فانه إذ تواضع أمام الرب يضمه من وجه الشرِّ القادم.

القسم الثاني: مُوجَّهٌ إلى يوشيا كملك يهوذا مسئول عن كل الأمة، فإنه إذ ملأ شر الأمة الكأس، فإن تأديباً مرّاً سيحلُّ بها بعد موت يوشيا الصالح.

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سَكَانِهِ،

جَمِيعَ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي السَّفَرِ الَّذِي قَرَأُوهُ أَمَامَ مَلِكِ يَهُوذَا. [٢٤]

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُونِي، وَأَوْقَدُوا لِآلِهَةٍ أُخْرَى لِيَغِيظُونِي بِكُلِّ أَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ.

وَيُنْسَكِبُ غَضَبِي عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا يَنْظَفِي. [٢٥]

أكدت لهم النبية خدة بأن شرور يهوذا قد طفق كيلها، وأن التأديب سيحلُّ بها كما بإسرائيل. غير أن التأديب لا يحلُّ عليهم في أيام يوشيا. وإذ كان يوشيا شاباً ظنَّ الشعب أن التأديب لن يلحق بهم، ولم يدركوا أن يوشيا يموت صغير السن، في الثلاثين من عمره.

استمر الملك في تواضعه، وقرأ السفر في حضور القادة. ومن أمكنهم الحضور، ولم يُخفِ عنهم خطورة الموقف، حتى لا يتراخوا ويهملوا في التوبة.

وَأَمَّا مَلِكُ يَهُوذَا الَّذِي أَرْسَلَكُمْ لِتَسْأَلُوا مِنَ الرَّبِّ، فَهَكَذَا تَقُولُونَ لَهُ:

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنْ جِهَةِ الْكَلَامِ الَّذِي سَمِعْتَ: [٢٦]

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ رَقَّ قَلْبُكَ، وَتَوَاضَعْتَ أَمَامَ اللَّهِ،

¹ The Wiersbe Bible Commentary OT, 725

حِينَ سَمِعْتَ كَلَامَهُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ،
وَتَوَاضَعْتَ أَمَامِي، وَمَزَّقْتَ ثِيَابَكَ، وَبَكَيْتَ أَمَامِي،
يَقُولُ الرَّبُّ قَدْ سَمِعْتُ أَنَا أَيْضًا. [٢٧]
هَنَذَا أَضْمُكَ إِلَى آبَائِكَ، فَتُضَمُّ إِلَى قَبْرِكَ بِسَلَامٍ،
وَكُلُّ الشَّرِّ الَّذِي أَجْلَبُهُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ لَا تَرَى عَيْنَاكَ.
فَرُدُّوا عَلَى الْمَلِكِ الْجَوَابَ. [٢٨]

لقد طلب يوشيا أن يرفع الله غضبه عن الشعب كله، لكن إذ كانت الخطية متأصلة في الشعب، ويحملون في داخلهم عنادًا خفيًا، وهب الله يوشيا بركة خاصة، إذ يقول: "هأنذا أضمك إلى آبائك، فتضم إلى قبرك بسلام..." [٢٨].

أراد الرب أن يضمه إلى آبائه وإلى قبره بسلام من وجه الشر القادم، بسبب إصرار القادة والشعب على الرجوع إلى الشر والفساد بعد موته.

٥. قراءة الشريعة في محفل عام

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَجَمَعَ كُلَّ شَيْوخَ يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ [٢٩]

بعد سماع الناموس ورسالة الله من النبوة خلدة، لم يبأس ولا تراخ، بل دعا كل القادة والشعب، الكبار والصغار، الشيوخ والشبان، الأغنياء والفقراء، ووقف الملك ليقرا الناموس بنفسه، وكان متأثرًا جدًا، فحرَّك مشاعر السامعين.

وَصَعِدَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
مَعَ كُلِّ رِجَالِ يَهُودَا وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ وَالْكَهَنَةَ وَاللَّاوِيِّينَ وَكُلَّ الشَّعْبِ،
مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ.

وَقَرَأَ فِي آذَانِهِمْ كُلَّ كَلَامِ سِفْرِ الْعَهْدِ الَّذِي وُجِدَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [٣٠]

"كل الشعب، من الكبير إلى الصغير": أدرك الملك أن بيت الرب مفتوح للجميع، وأن الدخول في عهد مع الرب يلتزم به الكبير كما الصغير.

كلمة الله فعالة في حياة الجميع، تُقدِّم لا لسنٍ معين، بل للطفل كما الشيخ والرجل كما المرأة، للفتيان كما للشباب. لقد أراد الملك أن يتمتع الشعب كله بشريعة الرب، بكونها هي غنى النفس وسندها في تعربُّها في هذا العالم، تملأها بالرجاء والفرح الحقيقي، مع السلام الداخلي.

❖ الشعب الذي كان منتسباً للأمم في حدائته، وهو الذي كان يسير في طرقٍ معوجةٍ قبل قبوله الإيمان. كيف يمكن لهذا الشعب أن يُقَوِّمَ طريقه إلا بحفظه أقوالك، أي كلمات الرب؟!

العلامة أوريجينوس

❖ بما أن ذكر الله يجعلنا نهرب من الشباك الشيطانية، وحيث إنني كرسيت لك يا إلهي كل عقلي وكل إدراكي، لذا فأنا لا أستحق أن أمكث خارج وصاياك.

البابا أثناسيوس الرسولي

وَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَى مَنْبَرِهِ،

وَقَطَعَ عَهْدًا أَمَامَ الرَّبِّ لِلذَّهَابِ وَرَاءَ الرَّبِّ،

وَلِحِفْظِ وَصَايَاهُ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَكُلِّ نَفْسِهِ،

لِيَعْمَلَ كَلَامَ الْعَهْدِ الْمَكْتُوبِ فِي هَذَا السَّفَرِ. [٣١]

قبل أن يطلب الملك من الشعب أن يقطعوا عهداً مع الله، قطع هو عهداً وهو على المنبر، وتعهّد

بحفظ وصايا الرب بكل قلبه وكل نفسه حسب ما هو مكتوب في السفر، مهما لاقى من متاعبٍ.

❖ من هم هؤلاء الذين لا يحفظون عهدك، إلا الذين حادوا عن شهادات الله، ولم يحتملوا متاعب

مضطهديهم الكثيرين؟ الآن هذا هو العهد أن من يغلب يُكَلَّل. فالذين لا يحتملون الاضطهاد إذ

ينحرفون عن شهادات الله لا يحفظون العهد. هؤلاء رأهم المرثل وذاب أسي لأنه أحبهم. فالغيرة

حسنة، هذه النابعة عن الحب لا الحسد. أضاف بخصوص الذين فشلوا في حفظ الناموس: "لأنهم

لأقوالك لم يحفظوا"، لأنهم صاروا جاحدين في ضيقاتهم.

القدّيس أغسطينوس

وَأَوْقَفَ كُلَّ الْمَوْجُودِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَبِنْيَامِينَ،

فَعَمِلَ سَكَّانُ أُورُشَلِيمَ حَسَبَ عَهْدِ اللَّهِ إِلَهُ آبَائِهِمْ. [٣٢]

إذ قطع الملك عهداً مع الله، طلب من كل الموجودين أن يقفوا في خوف الله عندما قرأ بنود العهد

ليشهدوا بالتصديق علي العهد، وحفظه بكل إخلاص وأمانة.

أمام ما سمعه الملك من مندوبيه عن رسالة الله بخصوص الأمة، جمع الكهنة والأنبياء والشعب،

وسألهم أن يُقيموا عهداً مع الله. هذا الأمر كان يرافق الرجوع إلى الله. فعندما كان الجيل الجديد يستعد

لدخول أرض الموعد تحت قيادة يشوع، جدّد موسى العهد قبل انتقاله، كما جاء في سفر التثنية. وفي

مناسبتين قام يشوع بتجديد العهد مع الله (يش ٨ : ٣٤ الخ؛ يش ٢٤). وهكذا فعل صموئيل (١ صم

٧: ٢ الخ؛ ١ صم ١٢)، وأيضًا بعد أن أعاد نحemia بناء سور أورشليم صَلَّى عزرا واعترف وهو يبكي وكان ساقطًا أمام بيت الرب، واجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدًا من الرجال النساء والأولاد، لأن الشعب بكى بكاء عظيمًا (عز ١٠: ١).^١

هكذا يليق بكنيسة المسيح في كل بلد أن تجتمع دومًا لتُجَدِّدَ عهدها مع مُخْلِصِهَا بقيادة روحه القدس الذي وهبه لها في يوم الخمسين، الذي سكن فينا في سري المعمودية والميرون، لنحيا بالحق كجسد المسيح السالك بالروح.

وَأَزَالَ يَوْشِيَا جَمِيعَ الرَّجَاسَاتِ مِنْ كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي لِبَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَجَعَلَ جَمِيعَ الْمُؤَجُّودِينَ فِي أُورُشَلِيمَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهُهُمْ.
كُلُّ أَيَّامِهِ لَمْ يَحِيدُوا مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلَهُ آبَائِهِمْ. [٣٣]

كان للملك أثره على الشعب، فلم يحدوا من وراء الرب إله آبائهم كل أيام حياته، لكن قلوبهم كانت منجذبة للأصنام ورجاسات الوثنية. كان قذوة ومثلاً، عرف أن يكسبهم للرب، لا بالأوامر المشددة، بل بالحب.

حقًا وُجِدَ كثيرون لم يرجعوا بكل قلوبهم، بل بالكذب (إر ٦-١٠). قيل عن يهوذا في أيامه إنها مضت وزنت (إر ٣: ٨).

ففي العام الثالث والعشرين لهذا الحكم، أي بعد أربعة أو خمسة أعوام "أغاظوا الله بأعمال أيديهم" (إر ٢٥: ٣-٧).

كان يوشيا مخلصًا في علاقته مع الله، لكن عامة الشعب مع تجاوبهم مع إصلاحاته، لم تكن قلوبهم نقية تمامًا. كل إصلاح يحتاج إلى روح الله يُحَرِّكُ القلب، ويرفعه كما إلى السماء، ليجد عذوبة صادقة في الشركة مع الله.

ما فعله يوشيا الملك العظيم هو نموذج لكل قائد في الكنيسة أن يُقَدِّمَ توبة وتجديدًا للعهد مع ربنا يسوع، ويحث من هم حَوْلَهُ للتوبة الصادقة، سواء كان هذا القائد أسقفًا أو كاهنًا أو شماسًا أو خادمًا أو خادمة في التربية الكنسية واجتماعات الشباب أو أب أسرة أو والدة. لنبدأ بأنفسنا كما بدأ الملك النقي يوشيا بنفسه حين دعا شعبه إلى التوبة والرجوع عن كل الرجاسات التي سقطوا فيها.

¹ The Wiersbe Bible Commentary OT, 726.

أُرْسِلْ أَيُّهَا الْقُدُوسُ رِعَاةَ حَسَبِ قَلْبِكَ!

- ❖ **نَفْسِي تَتَهَلَّلُ بِعَمَلِكَ الْعَجِيبِ، يَا أَيُّهَا الرَّاعِي الصَّالِحِ.**
أرسلت يوشيا ليملك وهو في الثامنة من عمره.
كيف رعى شعبك باستقامة وهو طفل صغير؟
من يُصدِّق أنه ابن آمون الشرير وحفيد مَنْسَى؟
تُرى من الذي حرَّك قلبه نحو الاستقامة منذ طفولته؟
نعمتك العجيبة، وحُبك لشعبك أرسلنا هذا الملك المستقيم!
- ❖ **تُرى كيف عاش هذا الملك الراعي كل أيامه باستقامة؟**
في أيامه كان إرميا لا يكف عن البكاء، كانت جدران قلب إرميا توجعه.
كان الفساد قد بلغ حتى إلي هيكل المقدس،
في شبابه المبكر طهر الملك يهوذا وأورشليم.
أزال المرتفعات والسرايري والتماثيل والمسبوكات.
قام بترميم بيتك لكي يُعيدَ العبادة لك.
- ❖ **أرسلته في وسط الظلمة، ليحمل سراجك المنير.**
تحرك بقوة في رجاءٍ مُفرح دون إحباط.
قاد حركة الإصلاح بنفسه واستمر بلا يأس.
غيرته وحكمته وتقواه والتصاقه بك دفع الكثيرين للعمل معه.
نعمتك جذبت الكثيرين حوله ليعملوا معه.
قدَّم الشعب عطايا للهيكَل بسخاء.
وبغيرة مقدسة جمع اللاويون الفضة لحساب الهيكل.
وتقبَّل رئيس الكهنة العطايا للإنفاق على الإصلاح.
والتهبت قلوب النجارين والبنائين والحُمَّال للعمل بأمانة وإخلاصٍ.
ووقف خورس اللاويين يُسبِّحونك كمن هم في السماء.
لم يكن أحد محتاجًا إلي من يدفعه للعمل.

نعمتك العجيبة العاملة في يوشيا، عملت في الجميع.

❖ أُرْسِلْ لنا رعاة مثل يوشيا الذي لم ينهمك في إدارة المملكة،

ولا في إصلاح الهيكل على حساب شريعتك المقدسة!

أَحْنَى الملك رأسه بمخافة ليسمع الشريعة.

في تواضعٍ انسحق قلبه ومَزَّق ثيابه.

طلب من كل من هم حوله أن يُصَلُّوا عنه.

❖ يا لقلب هذا الملك العجيب!

يطلب الصلاة عنه كخاطي،

ويطلب الصلاة عن كل الأسباط.

قَبْهُ مُسَّع، يطلب خلاص حتى الأسباط التي سبق أن انشقت!

❖ في تواضعٍ أُرْسِلْ إلى خلدة النبية يسألها.

صعد إلى بيت الرب مع كل رجال يهوذا والكهنة واللاويين والشعب.

وقف على المنبر يقطع عهدًا مع الرب.

وسأل الموجودين أن يقفوا في مخافة الرب.

❖ هوذا الحصاد كثير، والفعلة قليلون.

لنُرْسِلْ فعلة يسلكون طريقك بلا انحرافٍ.

أنت فاحص القلوب، وواهب الحب بنعمتك.

أنت هو الراعي الصالح، تعمل خلال من تُرْسِلهم!

أُرْسِلْ أيها القدوس في كل الأجيال رعاة رعاة حسب قلبك.

الأصحاح الخامس والثلاثون

يوشيا والاحتفال بالفصح

بداية حسنة ونهاية مُحزنة

يُقَدِّم لنا الكتاب المقدس تحذيرًا لئلا نبدأ حسناً ولا نكمل، إذ نسحب أيدينا من يد الرب، ونعطيهِ القفا لا الوجه، فنسقط في الشر أو العناد مع الرب ولو إلى حين. وفيما يلي بعض ملوك يهوذا (مملكة الجنوب) ابتدأوا ولم يُكْمَلُوا:

١. الملك آسا: عمل ما هو صالح ومستقيم في عيني الرب (١ مل ١٥ : ١١؛ ٢ أي ١٤ : ٢).
- في آخر أيامه اعتمد على ملك آرام طالباً معونته ضد إسرائيل (٢ أي ١٦ : ٤)، ولم يطلب مشورة الله.
٢. يهوشافاط (١ مل ٢٢ : ٤٣) أخطأ، إذ صاهر الملك أخاب الشرير، وخرج مع أخاب للحرب (٢ أي ١٩ : ٢-٣).
٣. يواش أو يهواش (٢ أي ٢٤ : ٢) عمل المستقيم في أيام يهوياذا الكاهن التقي. وإذ مات الكاهن سلك حسب مشورة رؤساء يهوذا الذين خدعوه، فترك عبادة الرب، وعندما وبَّخه زكريّا بن يهوذا أمر برجمه. وقام اثنان غالباً يعيشان في قصره باغتياله (٢ أي ٢٤ : ٢٦).
٤. أمصيا (٢ أي ٢٥ : ١)، أطاع الرب، لكنه فيما بعد عبد أصنام الأدميين، كما تَحَدَّى ملك إسرائيل في تشامخ، أُغتيل في لخيش (٢ أي ٢٥ : ٢٧).
٥. عُزِّيّا: بدأ بحياة مستقيمة، وانتهت بتشامخه واغتصابه العمل الكهنوتي، فأصيب بالبرص، وأكمل حياته في بيت المرض، وتسلَّم ابنه العرش (٢ أي ٢٦).
٦. حزقيا الملك: رجل الإصلاح العجيب، لكن في أواخر حياته استعرض غناه أمام مندوبي ملك بابل عوض تمجيد الرب، فأرسل إليه الرب إشعياء النبي يُوبِّخه (٢ أي ٢٩-٣٢).
٧. يوشيا الملك رجل الإصلاح الغيور، للأسف تَدَخَّل في معركة ضد نحو ملك مصر الذي تَحَرَّك عندما سمع عن هزيمة أشور أمام البابليين. تَدَخَّل فيما لا يعنيه، وكان نتيجة ذلك أنه جُرِحَ في معركة كركميش ومات (٢ أي ٣٥ : ٢٣).

الاحتفال بالفصح

يُقَدِّم لنا هذا الأصحاح صفحة جديدة لإصلاحات يوشيا الملك وهي حفظ فصح الرب. قام الملك يوشيا بالاحتفال بعيد الفصح بطريقة رائعة، حتى قيل إنه لم يُحتفل بمثله منذ أيام صموئيل النبي. هذا الاحتفال يثير فينا تساؤلات كثيرة منها الآتي:

١. من الذي حث الملك على هذا العمل المُفْرِح؟ هل قَدِّمَتْ له والدته هذا الفكر ليقْتدي بجدّه حزقيا الملك رجل الإصلاح العجيب؟ فقد سلك على منواله من جهة تطهير الأرض من الأوثان ورجاساتها والاهتمام بعبادة الله الحي والاحتفال بعيد الفصح، أم قام هو بدراسة الشريعة وأدرك أهمية هذا الاحتفال؟ ما هي دوافعه حين بذل كل هذا الجهد للاحتفال بالعيد؟ هل أراد أن يسلك حسب الشريعة التي أَحَبَّها بكل قلبه، ووجد سعادته في الطاعة لها والالتصاق بالرب؟

٢. تُرَى هل كانت نفسه مُرَّة من جهة روح البؤس الذي ساد الدولة بسبب انحرافها عن الله مصدر السعادة، في عصري جدّه مَنَسَى ووالده آمون، فاشتهدى أن يرد الكل إلى الله مَصْدَر الفرح؟ هل أدرك أن ذبيحة الفصح ستجمع الأسباب كلها بروح الحب والوحدة والرجوع إلى الله؟ على أي الأحوال، احتفاله بعيد الفصح أبرز شخصيته كقائد حي، اقتدى بحزقيا الملك، وكلاهما سلكا في طريق أبيهما داود كنموذج للقائد الصالح.

سبق أن ورد الحديث عن حفظ الفصح في سفر الملوك الثاني ولكن بإيجاز (٢ مل ٢٣: ٢١-٢٣)، تَمَّ ذلك في أورشليم في نفس العام الذي أكتشف فيه سفر الشريعة. ورد هنا بأكثر تفصيل. قام الملكان المُصلِحان حزقيا ويوشيا بالاحتفال بعيد الفصح، وذلك كجزء حيوي في إحياء العبادة، إذ كان الفصح يُحَسَّب أعظم الأعياد اليهودية. قيل في سفر الملوك الثاني "إنه لم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة" (٢ مل ٢٣: ٢٢).

١. الاهتمام بالاحتفال بالفصح ١-١٩.
٢. دخوله في معركة مع فرعون ٢٠-٢٣.
٣. موته وحزن الشعب الشديد عليه ٢٤-٢٧.

١. الاهتمام بالاحتفال بالفصح

وَعَمِلَ يَوْشِيَا فِي أُورُشَلِيمَ فِصْحًا لِلرَّبِّ،

وَدَبَّحُوا الْفِصْحَ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ. [١]

كل الأعياد التي وردت في العهد القديم، سواء الأسبوعية (السبت) أو الشهرية أو السنوية (لا

(٢٣)، لها رسالتها الروحية حيث ترمز لعمل السيد المسيح الخلاصي خلال صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء. أما عيد الفصح فله تقديره الخاص، إذ يذكّر اليهود كيف أطلقهم من عبودية فرعون (رمز إبليس) إلى جبل سيناء لاستلام الشريعة وإقامة خيمة الاجتماع (كرمزٍ للانطلاق إلى كنعان السماوية). في هذا العيد يتذكّر الشعب أنه شعب مختار من الله ليتمتع بإقامة عهدٍ معه، ويشير إلى تمتعنا بالأمجاد الأبدية.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن عيد الفصح المسيحي هو عيد يومي في حياة المؤمن المُلتهب بالروح، هو عيد الانطلاق المُستمر إلى عربون الحياة السماوية.

تمّ الاحتفال بعيد الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول حسب الشريعة تمامًا، وليس من الشهر الثاني مثل فصح حزقيا، لأن الكهنة واللاويين تهبأوا وتقدّسوا للربّ. في الاحتفال الذي قام به حزقيا، نلاحظ الغيرة الشديدة للشعب مع شيءٍ من التقوى، الأمر المفقود هنا. إذ كان الشعب يحتفل به مجارةً للملك [١٧-١٨]. حمل هنا الشعب صورة التقوى وهم ينكرون قوتها (٢ تي ٣: ٥).

يمكننا القول إن الرؤساء والخدام أعطوا من جانبهم نوعًا من العناية لتتمّ الخدمة بالوقار اللازم، مما يُعوّض النقص في روح الشعب.

❖ إنه عيد كل أيام حياتنا. فمع قوله "لنحفظ العيد" لم يقل هذا بخصوص حلول الفصح أو البنطقستي، وإنما يشير إلى كل الزمن كعيد للمسيحيين، وذلك بسبب سمو الخيرات التي نَنقَبَلُها... إنه عيد يمتدّ كل زماننا. لذلك يقول بولس: "افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا" (في ٤: ٤). في أيام العيد لا يرتدي أحد ثيابًا قذرة. هكذا لبيتنا نحن أيضًا لا نفعل ذلك. فقد تحقّق الزواج، الزواج الروحي، لأنه يقول: "يُسبِّه ملكوت السماوات إنسانا ملكًا صنع عرسًا لابنه" (مت ٢٢: ٢)¹.

❖ كان اليهود دائمًا ينسون إحسان الله لهم. لهذا ربط الله معنى هذه الأمور وإحسانه، ليس فقط بزمنٍ معين بل وبعاداتهم مثل الأكل. لهذا كانوا يأكلونه (الفصح) متمنطقين وأحذيتهم في أرجلهم (خر ١٢: ١١). فإن سئلو عن السبب يقولون: كنا مستعدّين للرحلة، كنا على وشك الخروج من مصر إلى أرض الموعد، كنا مستعدّين لخروجنا. هذا إذن هو الرمز التاريخي. لكن الحقيقة هي أننا نحن أيضًا نأكل فصحنا المسيح، لأنه قد دُبِحَ لأجلنا. ماذا إذن؟ يلزمنا أن نأكله متمنطقين وأحذيتنا في

¹ In 1 Corinth., hom. 15:6.

أرجلنا. لماذا؟ لنكون نحن أيضًا مستعدين لخروجنا، لرحيلنا من هنا^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأَقَامَ الْكَهَنَةَ عَلَى حِرَاسَاتِهِمْ وَشَدَّدَهُمْ لِحِدْمَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٢]

حثَّ الملك الكهنة واللاويين ووجَّههم وشجَّعهم للقيام بواجبهم. وذلك كما فعل الرسول بولس، إذ كتب: "قولوا لأرخبس انظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تُنمَّها" (كو ٤ : ١٧).
لم يغتصب الملك عمل رئيس الكهنة أو الكهنة كما فعل شاول الملك حين قدَّم ذبيحة عندما تأخر صموئيل النبي، لكنه حث الجميع على العمل ووجَّههم حسب ما ورد في الشريعة [٦].

**وَقَالَ لِللَّاوِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَلِّمُونَ كُلَّ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا مُقَدَّسِينَ لِلرَّبِّ:
اجْعَلُوا تَابُوتَ الْقُدْسِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ.
لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى الْأَكْتافِ.**

الآن اخدموا الربَّ إلهكم وشعبه إسرائيل. [٣]

مرة أخرى يضع اللاويون تابوت العهد في قدس الأقداس، فقد طلب الملك من اللاويين أن يردوا تابوت العهد إلى بيت الرب. ربما كان آمون قد استبعده من مكانه أو أخفاه بعض الكهنة خشية أن يدركه الملك آمون، وربما أخرجه أثناء الإصلاح والبناء في أيام الملك يوشيا.
بقوله "ليس لكم أن تحملوا على الأكتاف"، يطلب استقرار التابوت كممثل للحضرة الإلهية في بيت الرب بعد إزالة كل الأصنام والرجاسات الوثنية... بعد استقرار تابوت العهد قدس الأقداس، يتفرعون لخدمة الله (تقديم الذبائح الخ) وتعليم الشعب.

بقوله لللاويين: "ادعموا الرب إلهكم وشعبه" يؤكد دورهم كقادة أن يدركوا مركزهم كخدم يتهللون بخدمة الله وشعبه، وليس بطلب السلطة عليهم وإصدار الأوامر والنواهي (٢ كو ٤ : ٥). كما تحمل العبارة نوعًا من التعديل في خدمة اللاويين، إذ قاموا بالآتي:

أ. عندما اتخذوا مكانهم في القدس، ذبحوا الفصح وأعدَّوه لإخوتهم.

ب. كانوا في خدمة الكهنة.

ج. خصصوا المحرقات، وقاموا بشوي الفصح بالنار، وطبخوا ذبائح السلامة للشعب.

د. أعدوا أنصبته وأنصبه بني هرون.

¹ In Ephes., hom. 23.

هـ. اهتموا بتنفيذ ما وُجِدَ في كل كتابات الوحي، خاصة التسبيح بواسطة فِرَقِ الْمُعَنِّين، وترتيب العبادة في بيت الرب.

وَأَعِدُّوا بُيُوتَ آبَائِكُمْ حَسَبَ فِرْقِكُمْ،
حَسَبَ كِتَابَةِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
وَحَسَبَ كِتَابَةِ سُلَيْمَانَ ابْنِهِ. [٤]

"حسب فِرْقِكُمْ"، أي طلب أن يكون الاحتفال بتدبيرٍ ونظامٍ، كل حسب موهبته، وحسبما ورد في الشريعة الموسوية، وكما سلك داود وسليمان [٤]. لم يضع نظامًا جديدًا، ولا غَيَّرَ في الطقس.

وَقِفُّوا فِي الْقُدْسِ حَسَبَ أَقْسَامِ بُيُوتِ آبَاءِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي الشَّعْبِ،
وَفِرَقِ بُيُوتِ آبَاءِ اللَّاوِيِّينَ. [٥]

طلب أن تكون خدمة الكهنة واللاويين بنظامٍ وتدبيرٍ، فتوجد مجموعة لخدمة القادمين من كل سبط للاحتفال بالعيد، فتشعَّرَ جميع الأسباط أنها موضع اهتمام اللاويين.

وَأَذْبَحُوا الْفِصْحَ وَتَقَدَّسُوا،
وَأَعِدُّوا إِخْوَتَكُمْ لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كَلَامِ الرَّبِّ عَنْ يَدِ مُوسَى. [٦]

أدرك الملك أن اللاويين لا يقدرّون على خدمة شعب الله ما لم يُقدِّموا الفصح، أي خلال الصليب واهب العبور من العبودية إلى مجد حرية أولاد الله، وأن يتقدسوا [٦].

بلا شك أن كثيرين كانوا يجهلون ما تتطلبه الشريعة بخصوص الاحتفال بعيد الفصح، ودور الشعب في تقديم خروف الفصح، لذا وجب على اللاويين أن يُعدُّوا الشعب للتصرف بحكمةٍ وتدبيرٍ حسنٍ حسب ما ورد في الشريعة.

وَأَعْطَى يُوْشِيَّا لِبَنِي الشَّعْبِ عَنَمًا حُمْلَانًا وَجِدَاءَ،
جَمِيعَ ذَلِكَ لِلْفِصْحِ لِكُلِّ الْمُؤَجُّودِينَ إِلَى عَدَدِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْبُقَرِ.
هَذِهِ مِنْ مَالِ الْمَلِكِ. [٧]

بدأ الملك بالعطاء من ماله بفيضٍ لشعب الله، حتى يشاركوه احتفاله بالعيد المقدس. تحمَّلَ الملك والرؤساء الذين اقتدوا به الكثير من تكلفة الاحتفال، إذ لم يكن الشعب قادرًا على الإنفاق عليه، لأنه لم تكن لدى الشعب الغيرة الكافية للقيام بالاحتفال. لذلك: قَدَّمَ الملك ٣٠٠٠٠ من الغنم والحملان، ٣٠٠٠ من البقر، من ماله الخاص [٧].

قَدَّمَ الرُّؤَسَاءَ ٢٦٠٠ من الحملان، ٣٠٠ من البقر [٨].

قَدَّمَ رُؤَسَاءَ اللّٰوِيِّينَ ٥٠٠٠ من الحملان، ٥٠٠ من البقر [٩].

وَرُؤَسَاؤُهُ قَدَّمُوا تَبْرُعًا لِلشَّعْبِ،

وَالكُهَنَةَ وَاللّٰوِيِّينَ حِلْقِيًا وَزَكَرِيَّا وَيَحْيِيئِيلَ رُؤَسَاءَ بَيْتِ اللَّهِ.

أَعْطُوا الكُهَنَةَ لِلْفِصْحِ أَلْفَيْنِ وَسِتِّ مِئَةٍ مِنَ النِّعَمِ وَمِنَ البَقَرِ ثَلَاثَ مِئَةٍ. [٨]

كما قَدَّمَ الملك من ماله هكذا اقتدى به الرؤساء، وقَدَّموا الكثير للشعب والكهنة واللاويين.

انشغال الملك بممارسة الاحتفال بعيد الفصح في صورة مثالية فريدة، كشف عما في قلبه من جهة الفقراء. قَدَّمَ من جانبه الكثير للشعب بسخاءٍ وفرح. وطلب من الرؤساء أن يشاركوه بركة العطاء، فسألهم أن يُقَدِّموا تبرعات للشعب. كما طلب من الكهنة واللاويين المُقَدِّرِينَ أن يُقَدِّموا بسخاء للكهنة المحتاجين. لقد اختبر الملك بركة العطاء!

❖ إن أخذ كل واحدٍ فقط ما يحتاج إليه، وأعطى البقية للمحتاجين، لما وُجِدَ بعد غني أو فقير^١.

❖ الذين يُجِبُّون قريبتهم مثل أنفسهم، لا يفتنون شيئاً أكثر منه، ومع هذا تشعر أنك تملك الكثير!

كيف يتحقق هذا إلا بكونك تُفَضِّلُ التَّمَنُّعَ بتعزيات الكثيرين؟

بقدر ما تفتني ثروة أكثر، يزداد عجزك في الحب.

إن كنتَ بالحق تُحِبُّ قريبتك، كان يليق بك أن تتجرَّد منذ وقت طويل من هذه الثروة. لكن الآن مقتنياتك صارت جزءً منك أكثر من أعضاء جسمك نفسه، وصار الحرمان منها أكثر مرارة من بتر عضو من أطرافك.

هل أعطيت ثياباً للعرايا؟ هل تعطي خبزك للجياع؟ هل فتحت بابك لكل غريب؟ هل صرت أباً (أو أمًا) للأيتام؟ هل حسبت آلام العاجزين آلامك؟ أية أموال ستتركها هذه التي تحزن عليها بفقدانك لها؟ هل صممت منذ زمن طويل أن تُعْطِيَ المحتاجين، فكيف لا تحتمل الآن توزيع ما تبقى معك؟ في المواسم لا يتأسف الناس على إنفاق ما بأيديهم لكي يفتنوا ما هو لازم للعديد. بالحري إنه الأرخص أن يفتنوا سلعةً ثمينة، فيسرون بالأكثر بمثل هذه الصفقة. لكنك تحزن عندما تترك الذهب والفضة والممتلكات، أي الحجارة والتراب، لكي تفتني الحياة المُطَوَّبَةُ^٢.

^١ Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 771.

^٢ *To the Rich*, 1.

❖ عندما تُوزَّع الثروة بالطريقة التي يوجهنا إليها ربنا بالطبيعة ترجع إليك، وعندما تُجمَع (في المخزن) تتبدَّد طبيعياً. إن حاولت الاحتفاظ بها لن تتألفها، وإن قُمت بتوزيعها لا تفقدتها. "فَرَّقْ، أعطى المساكين، برّه قائم إلى الأبد" (مز ١١٢ : ٩) ^١.

❖ بقدر ما تكون بالأكثر مُحبًّا للغنى، فلنحرص ألا نترك شيئاً من ممتلكاتك يُفقد. لتجعل كل شيء بالحق هو لك، حوّل كل شيء إلى العالم الأبدي. لا تترك شيئاً من ثروتك للغرباء... أعد نفسك مُقدِّماً لدفنك. أعمال التقوى هي أفضل كفن. لتجعل ربحك مرتدياً ثياباً فخمة بأعمالك الصالحة؛ حوّل ثروتك إلى زينة حقاً لا تتفصل عنك. احتفظ بكل شيء معك عندما ترحل. اقتد في هذا بالمسيح المُشير الصالح الذي يُحبُّك. صار فقيراً من أجلنا ليجعلنا أغنياء بفقره (٢ كو ٨ : ٩)، وقَدَّم نفسه فدية عن الكل (١ تي ٢ : ٦). لنقتدي به، فإنه حكيم، وعارف بكل شيء، ومنتظره، إذ هو يُحبُّنا، أو لنعطه مقابل عطائه، لأنه هو المُنعم علينا. على أي الأحوال لنمارس ما أمرنا به، لنصير ورثة الحياة الأبدية في المسيح نفسه الذي يليق به المجد والسلطان إلى أبد الأبد، آمين ^٢.

القديس باسيليوس الكبير

وَكُونْتِنَا وَشَمَعْنَا وَنَشْنِئِلْ أَخَوَاهُ وَحَشَبْنَا وَيَعِينِيلْ وَيُورَابَادُ رُؤَسَاءُ اللَّائِيَيْنِ،
قَدَّمُوا لِلَّائِيَيْنِ لِلْفِصْحِ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْغَنَمِ وَمِنَ الْبَقَرِ خَمْسَ مِئَةٍ. [٩]
فَتَهَيَّاتِ الْخِدْمَةَ، وَقَامِ الْكَهَنَةَ فِي مَقَامِهِمْ،
وَاللَّائِيُونَ فِي فَرَقِهِمْ حَسَبَ أَمْرِ الْمَلِكِ. [١٠]

عَهَدَ الملك الإعداد لهذا الاحتفال إلى اللاويين الموثوق فيهم والذين يقومون بذبح حملان الفصح [٣-٥]. كان اللاويون يقومون كمُساعدين للكهنة وكمُسَبِّحين وبُؤَابِين [١٠-١٥]. قام الكهنة واللاويون بمراسيم عيد الفصح حسب أمر الملك، وحسب ما يتطلبه الناموس.

صورة رائعة للعمل الجماعي بروح الحبِّ والفرح والتهلِيل. مارس الكهنة واللاويون أعمالهم، فذبخوا حملان الفصح في دار الهيكل، وقام الكهنة برش الدم على المذبح. وقام اللاويون بسلخ الجلد، وأخذوا أجزاء مُعَيَّنة وقاموا بشيها، وقَدَّمُوا اللحم للشعب حسب عشايرهم. أما الذبائح الأخرى التي للشكر، فقاموا بطبخها في القدور والمراجل [١٣].

¹ To the Rich, 2.

² To the Rich, 9.

وَدَبَّحُوا الْفِصْحَ. وَرَشَّ الْكَهَنَةُ مِنْ أَيْدِيهِمْ.

وَأَمَّا اللاويُونَ فَكَانُوا يَسْلُخُونَ. [١١]

كان الشعب نفسه يقوم بذبح الخروف (الفصح)، ويُقدِّمون الدم للكهنة لرشه أمام المذبح، ويقوم اللاويون بسلخه، ويعدون لتمليحه^١.

كان اللاويون يُعدُّون الطعام للكهنة، لأن الكهنة كانوا مشغولين بالمذبح طول اليوم.

وَرَفَعُوا الْمُخْرَقَةَ لِيُعْطُوا حَسَبَ أَفْسَامِ بِيُوتِ الْآبَاءِ لِبَنِي الشَّعْبِ،

ليُقَرَّبُوا لِلرَّبِّ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ مُوسَى. وَهَكَذَا بِالْبَقَرِ. [١٢]

لقد دعا البقية الباقية في مملكة إسرائيل للاشتراك في الاحتفال كما سبق ففعل حزقيا الملك. لم يكن الاحتفال مثل أي عيد عادي، إنما جاء فريداً، فجمع شمل إسرائيل في وحدةٍ وحبٍ. عزلوا من خرفان الحمل الأجزاء التي تُحرق على المذبح. وأعطوا هذه الأجزاء إلى مقدِّمي الذبائح ليرفعوها على المذبح ويُسَلِّموا للكهنة الذين يُقدِّسونها^٢.

وَشَوُّوا الْفِصْحَ بِالنَّارِ كَالْمَرْسُومِ.

وَأَمَّا الْأَقْدَاسُ فَطَبَّخُوهَا فِي الْفُؤُورِ وَالْمَرَاجِلِ وَالصَّحَافِ،

وَيَادَرُوا بِهَا إِلَى جَمِيعِ بَنِي الشَّعْبِ. [١٣]

كان لحم الفصح يُشوى بالنار، ولحم ذبائح الخطية يُطبخ.

وَبَعْدَ أَعْدَاوِ الْأَنْفُسِهِمْ وَلِلْكَهَنَةِ،

لأنَّ الكهنة بني هارون كانوا على إصعادِ الْمُخْرَقَةِ وَالشَّحْمِ إِلَى اللَّيْلِ.

فَأَعَدَّ اللَّاوِيُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْكَهَنَةِ بَنِي هَارُونَ. [١٤]

وَالْمُعْتُونُ بَنُو آسَافَ كَانُوا فِي مَقَامِهِمْ حَسَبَ أَمْرِ دَاوُدَ،

وَأَسَافَ وَهَيْمَانَ وَيِدُوثُونَ رَائِي الْمَلِكِ.

وَالْيَوَّابُونَ عَلَى بَابِ فَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَحِيدُوا عَنْ خِدْمَتِهِمْ،

لأنَّ إِخْوَتَهُمُ اللَّاوِيِّينَ أَعْدَاوُ لَهُمْ. [١٥]

لما كان التسبيح جزءاً حياً في العبادة، خاصة في الاحتفال بالعيد، قام الْمُعْتُونُ بَنُو آسَافَ بالتسبيح، واشترك فيه أساف وهيمان ويوثون الرائي، فصار جو الاحتفال تسوده البهجة والفرح.

¹ Adam Clarke Commentary.

² Barnes' Notes.

والتزم البوابون بعملهم وخدمتهم مثل بقية اللاويين... يبقون في مواقعهم، بينما يقوم اللاويون بالذبح، ويحضرون لهم نصيبهم من الحملان^١. ومارس المُعْتُون عملهم، وأيضًا البوابون. اهتم المُعْتُون بعزف التسابيح المُفرحة، واهتم البوابون بحراسة الأبواب لكي لا يدخل شيء دنس أو نجس إلى الهيكل. هكذا يمتزج الفرح الروحي بالحياة المقدسة.

فَتَهَيَّأَ كُلُّ خَدَمَةِ الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِعَمَلِ الْفِصْحِ،

وَإِصْغَادِ الْمُحْرَقَاتِ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ حَسَبَ أَمْرِ الْمَلِكِ يُوْشِيَا. [١٦]

يُفَصِّدُ بِالْقَوْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ فَقَطْ يَوْمَ الْفِصْحِ، بَلِ السَّبْعَةَ أَيَّامَ التَّالِيَةِ.

وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَوْجُودُونَ الْفِصْحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَعِيدَ الْفَطِيرِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. [١٧]

وَلَمْ يُعْمَلْ فِصْحٌ مِثْلَهُ فِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيَّامِ صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ.

وَكُلُّ مَلُوكِ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْمَلُوا كَالْفِصْحِ الَّذِي عَمَلَهُ يُوْشِيَا،

وَالْكَهَنَةُ وَاللَّوِيُّونَ وَكُلُّ يَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ الْمَوْجُودِينَ وَسَكَانَ أُورُشَلِيمَ. [١٨]

كان الاحتفال عظيمًا، حُسب معادلًا لما حدث في أيام صموئيل، كما يُعتبر عملاً ليتورجيًا.

بسبب قلب يوشيا الناري، بالرغم مما كان فيه الشعب من فتورٍ، فقد اشترك كل خادمٍ بدوره في

العمل بكل قوةٍ وهمّةٍ نشاطٍ وبروح الفرح. لم يكن يوشيا في غنى داود وسليمان ويهوشافاط وحزقيا،

لكن جو الاحتفال المُفرح لم يكن مثله منذ أيام صموئيل النبي. لقد ساهم الملك بروحه وغيرته، وأيضًا

من ماله الخاص.

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ لِمَلِكِ يُوْشِيَا عَمِلَ هَذَا الْفِصْحُ. [١٩]

شعر المحتفلون بالعيد أنهم لا يمارسون عملاً يذكرون به ما حدث في الماضي، إنما يتمتعون بالله

المُخْلِصَ للشعب في أرض مصر ومُخْلِصَهُمْ عَلَى الدَّوَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ. هذا كان رمزًا

لما فعله السيد المسيح وورثته الكنيسة لتحميا به. وكما يقول الرسول بولس: "لأن فصحنا أيضًا المسيح

قد دُبِحَ لأجلنا، إذًا لنعبد لا بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخبث، بل ببطير الإخلاص والحق" (٢

كو ٥: ٧-٨).

٢. دخوله في معركة مع فرعون

لقد سقطت نينوى، عاصمة آشور. ولم تكن هزيمة آشور أمام البابليين تُمثّل أخبارًا سارة بالنسبة

¹ Barnes' Notes.

لنخو (٦١٠-٥٩٤ ق.م) ملك مصر الجديد، فقد أدرك أنه بعد أن يقضي البابليون على آشور سيتهجرون نحو مصر لمقاومتها. لذلك اتجه نحو بجيشه نحو الفرات بقصد صد تحركات البابليين وجيش مادى نحوهم. كان لايد أن يعبر على يهوذا، ولم يكن في قلب نحو أية عداوة من جهة يهوذا. لكن يوشيا أخطأ إذ دخل في معركة مع نحو، كان في غنى عنها. ربما قام يوشيا بذلك من أجل الصداقة التي كانت بين جدّه حزقيا مع بابل (٣٢: ٣١)، وأن كل الأرض المقدسة (إسرائيل ويهوذا) قد عانت الكثير من الآشوريين. إذ التقى الجيشان في سهل أرمجدون، عند تل مجدو أصيب يوشيا بجراحات خطيرة، نُقل إلى أورشليم ومات هناك.

بَعْدَ كُلِّ هَذَا حِينَ هَيَّا يُوْشِيَا الْبَيْتَ،

صَعَدَ نَحْوُ مَلِكِ مِصْرَ إِلَى كَرْمَيْشَ لِيُحَارِبَ عِنْدَ الْفُرَاتِ.

فَخَرَجَ يُوْشِيَا لِلِقَائِهِ. [٢٠]

مرّ ثلاثة عشر عاما من الاحتفال بعيد الفصح إلى يوم موته، لم نسمع شيئا عن هذه الفترة. يرى البعض أن الشعب في هذه الفترة لم يتخلّ عن خطاياهم.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلًا يَقُولُ:

مَا لِي وَلك يَا مَلِكِ يَهُودَا! لَسْتُ عَلَيْكَ أَنْتِ الْيَوْمَ،

لَكِنْ عَلَى بَيْتِ حَرْبِي، وَاللّهِ أَمَرَ بِإِسْرَاعِي.

فَكَفَّ عَنِ اللَّهِ الَّذِي مَعِي فَلَا يُهْلِكُكَ. [٢١]

لقد أخطأ يوشيا بسبب تسرّعه في الدخول في معركة مع نحو ملك مصر دون سبب. لم يستشر يوشيا الرب قبل دخوله في المعركة. أرسل إليه ملك مصر سفراء ليحذّره من الدخول في المعركة. فمع كونه رجلاً باراً وتقياً، لكن كان يليق به أن يحترم شريعة التعاون الدولي ولا يبدأ بالدخول في معركة لا لزوم لها. يدعو الترجوم: " فرعون الكسيح".

مع كل هذه الأعمال المجيدة، أخطأ يوشيا إذ لم يسمع لكلام الله على فم نحو، دخل في معركة بين الأمم لم تكن تخص شعب الله. الدخول في معارك الناس، والمشاركة في سياستهم والانشغال في خططهم، يدفع إلى الفشل التام. يليق بنا أن نرجع إلى الله ضابط التاريخ، اليد العليا في كل ما يجري في العالم.

يرى البعض أن نحو في انطلاقه نحو آشور لم يكن هدفه مساعدة آشور ضد بابل، لأنه وُجِدَتْ عداوة بين مصر وأشور. إنما تطلع نحو إلى المعركة بين بابل وأشور فرصة لمقاومة بابل التي تهاجم

أشور، إذ كان يتطلع إلى بابل أنها ستخلف آشور، وتبقى في عداوة ضد مصر. فأراد أن يقاوم بابل، لا دفاعاً عن آشور، وإنما دفاعاً عن مصر التي ستحاربها بابل بعد نصرتها على آشور. وأن ما يفعله نحو أمر شخصي يمسُّ مصر، لا علاقة له بيهودا، لأن جيوش مصر وأشور كانت تعبر من وإلى سوريا دون أن تَمَسَّ أرض أورشليم أثناء عبورها الطريق الساحلي.^١

"الله أمر بإسراعي": كان فرعون وثنيًا، لكن كثير من النقوش القديمة تظهر أن ملوك مصر يعرفون بطريقة ما وجود إله أسمى فريد. وأن ما ينطق به هنا إنما بوحى من هذا الإله.^٢

وَلَمْ يُحَوَّلْ يُوْشِيَّا وَجْهَهُ عَنْهُ،

بَلْ تَتَكَرَّرُ لِمُقَاتَلَتِهِ وَلَمْ يَسْمَعْ لِكَلَامِ نَحُو مِنْ فَمِ اللَّهِ،

بَلْ جَاءَ لِيُحَارِبَ فِي بُقْعَةٍ مَجْدُو. [٢٢]

إذ أخطأ يوشيا في إثارة الحرب بلا سبب تحدث الله معه، لا خلال فم نبي أو كاهن، ولا برويا أو حلم، بل على لسان الملك الوثني نحو، "ولم يسمع لكلام نحو من فم الله".

لم يسلك الملك يوشيا على مثال أبيه، إذ لم يسأل الله: "هل أصعد؟ هل تُسَلِّمهم في يدي؟"... ربما لهذا السبب تحدّث الله معه خلال الملك الوثني. وكأن ما نطق به الملك الوثني هو نبوة؛ وبالفعل تحققت.

وَأَصَابَ الرُّمَاهُ الْمَلِكِ يُوْشِيَّا،

فَقَالَ الْمَلِكُ لِعَبِيدِهِ: انْقُلُونِي، لِأَنِّي جُرِحْتُ جَدًّا. [٢٣]

أخطأ يوشيا فنال تأديبًا، إذ قُتل وهو في سن شبابه، لكن الله لم ينسَ عمله الصالح واستقامة قلبه. لا نعجب من بكاء إرميا وراثته يوشيا، فقد رأى بروح النبوة ما سيحلُّ بالشعب بعد موته.

٣. موته وحزن الشعب الشديد عليه

فَنَقَلَهُ عِبِيدُهُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ،

وَأَرْكَبُوهُ عَلَى الْمَرْكَبَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي لَهُ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ،

فَمَاتَ وَدُفِنَ فِي قُبُورِ آبَائِهِ.

وَكَانَ كُلُّ يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ يَتُوحُونَ عَلَى يُوْشِيَّا. [٢٤]

¹ Barnes' Notes.

² Barnes' Notes.

ربما كانت هذه المركبة مرافقة لمركبة الملك، وهي لا تحمل أية علامات ملوكية، نُقِلَ إليها في سرية، حتى لا تُوجَّه إليه ضربات من العدو. وربما قد تعطلت مركبة الملك وأصيب.

وَرَأَى إرميا يُوْشِيَا.

وَكَانَ جَمِيعُ الْمُغْنِيَيْنِ وَالْمُغَنِّيَاتِ يَنْدُبُونَ يُوْشِيَا فِي مَرَاتِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ،

وَجَعَلُوهَا فَرِيضَةً عَلَى إِسْرَائِيلَ. وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي الْمَرَاتِي. [٢٥]

كتب إرميا مراثيه في موت يوشيا، إذ أدرك أن الرجاء الأخير للحكم بحسب فكر الله قد انتهى بهذا الملك النقي. رجع كثير من القادة والشعب إلى الشر، ومع هذا لم يستطع الكل أن يكف عن رثاء هذا الملك الصالح عبر الأجيال، فالحياة المقدسة تحمل في داخلها قوة وشهادة لا يقدر الشر أن ينكرها أو يتجاهلها أو يقاومها. لا نعجب إن كان إرميا النبي رثاء، فقد أدرك أن بموته انتهى آخر فصل من الإصلاحات في يهوذا، وقد رأى ما سيحلُّ بيهوذا من فسادٍ بعد موت هذا الملك الصالح، فقد توقَّع النبي الشر القادم على يهوذا.

كانت عينا إرميا تتجه نحو المسيا (مرا ٤ : ٢٢ ؛ ٥ : ١٩).

ما نعجب له هو رثاء الشعب بهذه الصورة، لكن ربما خلال إعلانات إرميا النبي أدركوا أن بموت هذا الملك اقترب جدًّا يوم التأديب المرّ، فكانوا سيكون حالهم.

أحد أسباب هذا الحزن غير الطبيعي أنه لم يسبق قط بين ملوك يهوذا أن سقط أحدهم في معركة ذهب إليها هكذا بغير حكمة.

لم يُعثر بعد على رثاء إرميا الملك يوشيا (٣٥ : ٢٥). يرى البعض إن ما يشير إليه هنا هو سفر المراثي كله، والبعض يرى أنه الأصحاح الرابع وحده من السفر، لكن غالبية الدارسين يرون أن المراثي التي يتحدث عنها هنا مفقودة.

جاء في الترجوم: إناح إرميا على يوشيا بمراتٍ عظيمة، وكل الرؤساء والرئيسات ينشدون هذه المراثي الخاصة بيوشيا إلى يومنا هذا، ويوجد قانون في إسرائيل أن ينوحوا كل سنة على يوشيا. هوذا هذه كُتِبَتْ في كتاب المراثي التي سجَّلها باروخ من فم إرميا^١.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُوْشِيَا وَمَرَاتِمُهُ حَسْبَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ. [٢٦]

وَأُمُورُهُ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذا. [٢٧]

¹ Adam Clarke Commentary.

جاء في الترجوم: [الأمر الأولى التي فعلها في طفولته، والأخيرة التي صنعها في شبابه، وكل الأحكام التي نطق بها منذ السنة الثامنة من تولّيه المملكة إلى السنة الثامنة عشرة عندما نما وبدأ في إصلاح مَقدِس الرب، وكل ما أحضره مما لديه إلى يد القضاء لتطهير كل من بيت إسرائيل ويهوذا من كل دنسٍ، فما هي مكتوبة في سفر ملوك بيت إسرائيل وبيت يهوذا¹.]

من وحي ٢ أي ٣٥

لأحتفل بالفصح المسيحي، وأتزيّن بالحُبِّ الحقيقي!

❖ في طاعة للشريعة احتفل يوشيا بالفصح.

قَدِّمَ لَكَ طاعة وحبًّا وعطاءً.

سكب روح الفرح على القيادات والشعب.

هَبَّ لي أن أحتفل بك كل يوم، يا أيها الفصح الحقيقي!

أنت هو فصحنا،

لا لتتذكر تحررًا من عبودية فرعون،

وإنما تهينا بصليبك أن نُحَطِّمَ إبليس عدو البشرية.

بك ننطلق من الأرض كما إلى السماء عيناها.

بك لا أدعو كل أسباط إسرائيل للاحتفال.

إنما أشتهي أن تتعم البشرية كلها بخلاصك!

❖ لتحسب كل أيامي عيدًا لا ينقطع.

تتهلل نفسي بخلاصك،

وتحمذك على أعمال حُبِّك وحنوك ورايتك.

لستُ أَقْدِمُ حملًا للذبح،

إنما تتهلل نفسي مع الرسول بولس القائل:

مع المسيح صلبتُ،

فأحيا لا أنا، بل يحيا المسيح فيَّ.

لك المجد يا فصحنا المبدول لأجلنا،

¹ Adam Clarke Commentary.

واهب القيامة والحياة الأبدية والأمجاد السماوية.

❖ أعلن يوشيا حُبّه بتقديم الكثير،

بل وطلب من الأغنياء أن يتمتعوا معه ببركة العطاء.

ذاق عذوبة الحب،

فاشتهى أن يُشاركه الكل خبرته.

❖ بترتيبٍ ونظامٍ، وفي إبداعٍ استمع الكل لخوَرُس اللاويين.

حسب الكل أنفسهم كمن هم في السماء.

وقَبِلت مع ذبائحهم ذبائح التسبيح والحمد.

هذه هي مسرّتكَ، أن تشترك البشرية مع السمائيين،

ويصير الكل خوَرُس تسبيحٍ، يَنسَم بالفرح والحب!

❖ هَبْ لي أن يتناغم جسدي مع نفسي، وقلبي مع فكري، في التسبيح لك!

وليعزف روحك القدوس على أوتار قلبي.

وليتناغم كل ما في داخلي ككَيْتَارَةٍ فريدة!

لندعو حواسي وعواظي تعمل مع أفكارِي بروح الحُبِّ.

نعم ليحتفل العالم كله بك، يا فصحننا العجيب.

ولنتهلل السماء بك، يا مُخَلَّص البشرية!

الأصحاح السادس والثلاثون

إلى السبي والعودة منه

آخر ملوك يهوذا

قام حزقيا الملك بتطهير أرض يهوذا من نشر العبادة الوثنية ورجاستها على يد أبيه آحاز، ومَنَسَى قام بتطهيرها عند توبته في أواخر أيام حياته بعد قضاء مدة طويلة من حُكْمِهِ في الفساد، ويوشيا قام بذات العمل لتطهيرها مما فعله والده آمون، أما بعد يوشيا آخر ملك صالح، وفي خلال اثنين وعشرين عامًا كان الأربعة ملوك الذين جاءوا بعده أشرارًا. وقد عَجَّل حُكْمَهُم الفساد بحلول التأديب القاسي. بدأ الشعور بظُرْب زوال استقلال يهوذا يسيطر على الكثيرين. كان لانهبهار أشور وزوال إمبراطوريتها أثارها على المنطقة الغربية من الهلال الخصيب. لقد حلَّ الخراب على يهوذا وأورشليم تدريجيًا، لكي يُعْطِي فرصة للتوبة، لأن الله لا يشاء موت الخطة مثل أن يرجعوا إليه فيحيوا.

سُجِّلَ أغلب تاريخ هؤلاء الملوك في سفر ملوك الثاني. اختصر الكاتب هنا الحديث عن هذه الفترة المَرَّة التي عاشت فيها مملكة يهوذا.

في الحقيقة دمار يهوذا لم يأتِ بسبب قوة الإمبراطورية البابلية، إنما بسبب فساد يهوذا، فبإصرارها على انعزالها عن الإله الحقيقي مصدر حياتها دفعها إلى الدمار الكامل. ما حلَّ بها أشبه بارتكاب جريمة انتحار، قام بها هؤلاء الملوك الأربعة ومعهم القيادات المدنية والدينية والشعب أيضًا، فإن أُجْرَةَ الخطية هي موت (رو ٦: ٢٣).

يؤكد كثير من آباء الكنيسة مثل القديس مقاريوس الكبير أن الخطية تحمل فسادها فيها، فالشرير المصنم على شره، يهلك كثمرة طبيعية للشر مُحَقَّق الفساد. لا يحتاج الشرير إلى من يردعه ويعاقبه، إنما ما يفعله يُقَدِّم له المرارة والموت! يشرب من ذات الكأس التي ملأها لنفسه، اللهم إلا إذا ألقى بالكأس خلال التوبة وتمتَّعته بالشركة مع مُخْلِصه، وجهاده الجاد خلال الإرادة المقدسة في الرب.

❖ كل شخصٍ: يهودي أو يوناني، غني أو فقير، صاحب سلطة أو في مركز عام، الإمبراطور أو الشحاذ، "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" [٣٤]. إن عرف الناس عبوديتهم يرون كيف يقفون الحرة.

المولود حُرًا ويسببه البرابرة يتحوَّل من حُرٍ إلى عبدٍ، وإذ يسمع عنه شخص آخر يتحنَّن عليه،

ويتطلع أن لديه مالاً فيفديه، يذهب إلى البرابرة، ويعطيهم مالاً ويفدي الرجل. إنه بالحق يرد له الحرية، إذ ينزع الظلم... إني أسأل الذي افتدي: هل أخطأت؟ يجيب "أخطأت". إذن لا تقتخر بنفسك أنك قد افتديت، ولا تقتخر يا من افتديته، بل ليهرب كلاكما إلى الفادي الحقيقي. إنه جزئياً يُدعى الذين تحت الخطية عبيداً، إنهم يدعون أمواتاً.

ما يخشاه الإنسان حلول السبي عليه الذي جلبه الإثم عليه فعلاً. لماذا؟ هل لأنهم يبدون أنهم أحياء؟ هل أخطأ القائل: "دَع الموتى يدفنون موتاهم" (مت ٨: ٢٢)؟ إذن فكل الذين تحت الخطية هم أموات، عبيد أموات، أموات في خدمتهم، وخدام (عبيد) في موتهم^١.

❖ الآن قيل: "لقد أنتن (لعازر) لأن له أربعة أيام" (يو ١١: ٣٩). فإنه بالحقيقة تبلغ النفس إلى هذه العادة التي أتحدث عنها بنوع من التقدّم أربع مرات. المرحلة الأولى: هي كما لو كانت إثارة اللذة التي في القلب. والثانية: هي قبولها. والثالثة: هي تحوّلها إلى عمل. والرابعة: تحوّلها إلى عادة.

يوجد من يلقون عنهم الأمور الشريرة عن أفكارهم، كأنهم لا يجدون فيها لذة. ويوجد من يجدون فيها لذة، ولكنهم لا يوافقونها. هنا لا يكمل الموت، لكن يحمل بداية معينة، فقد أضيف إلى الشعور باللذة موافقة. في الحال تحدث إدانة للشخص. بعد الموافقة يحدث تقدّم للموافقة، إذ تتحوّل إلى عملٍ ظاهرٍ.

والعمل يتحوّل إلى عادة. فيحدث نوع من اليأس، حتى يُقال: "قد أنتن لأن له أربعة أيام". لذلك جاء الرب هذا الذي كل الأمور بالنسبة له سهلة. ومع هذا فوجد في هذه الحالة كما لو كانت هناك صعوبة. لقد اضطرب بالروح، وأظهر الحاجة إلى احتجاجٍ كثيرٍ وعونٍ، ليقيم الذين تَسَّؤوا بالعادة. ولكن عند صرخة الرب تجرّت أربطة الضرورة. ارتعبت قوات الجحيم، وعاد لعازر حياً. فإن الرب ينفذ حتى من العادات الشريرة. هذا الذي له أربعة أيام ميئاً، بالنسبة للرب وحده يُحسَب راقداً هذا الذي يريد الرب أن يقيمه^٢.

القديس أغسطينوس

❖ إن بقيت فيما يخص التراب، فستتحوّل إليه في النهاية. يليق بك أن تتغيّر، يجب أن تتحوّل، يجب

¹ Sermon on N.T. Lessons, 84:3.

² Sermon on N.T. Lessons, 48:6.

أن تصير سماويًا^١.

العلامة أوريغينوس

❖ تتقاذف الأمواج العاتية من هم ليسوا مع يسوع، وقد انفصلوا عنه أو بدوا غائبين عنه، بانصرافهم عن شرائعه المقدسة. فانفصلوا بسبب الخطية عن ذلك القادر أن يُخَلِّصَ. فإن كان الأمر ثقيلًا علينا أن نكون في ظلمة روحية، فإن كنا مُتَّقَلِّين بسبب ابتلاع بحر الملذات المريرة، فلنَقْبَل يسوع، لأنه هو يُخَلِّصنا من المخاطر ومن الموت في الخطية.

القدیس كيرلس الكبير

١. يهوآحاز (٣ شهور، عزَّلتَه مصر) ٤-١.
٢. يهوياقيم (١١ سنة، أَسْرَه ملك بابل) ٨-٥.
٣. يهوياكين (٣ أشهر و ١٠ أيام، أَسْرَه ملك بابل) ١٠-٩.
٤. صدقيا (١١ سنة، تمرد على بابل) ١٦-١١.
٥. مذبحه الجماهير ١٧.
٦. دمار المدينة والهيكل ١٩-١٨.
٧. سبي الشعب ٢١-٢٠.
٨. العودة من السبي ٢٣-٢٢.

١. يهوآحاز (٣ شهور، عزلته مصر)

وَأَخَذَ شَعْبُ الْأَرْضِ يَهُوآحَازَ بَنَ يُوْشِيَا،

وَمَلَكُوهُ عَوَضًا عَنْ أَبِيهِ فِي أُورُشَلِيمَ. [١]

للأسف ارتكب يوشيا الملك النقي خطأ فاحشًا بانطلاقه للدخول في معركة ضد نخو، دون أن يسأل الرب، ودون أن يدرك أن بابل هي العدو الأخطر على يهوذا من أشور. تتكرر يوشيا في المعركة، وأصيب بجرح خطير أدَّى إلى وفاته. ويموت يوشيا فقدت يهوذا استقلالها، وصارت خاضعة لمصر لمدة ثلاث أو أربع سنوات (٦٠٩-٦٠٦ ق.م). انسحبت مصر، لتسيطر بابل على يهوذا.

حسب ما ورد في (١ أي ٣: ١٥-١٦)، كان ليوشيا أربعة أبناء:

١. يوحانان *Johanana*: وهو البكر، لا نَعْلَم عنه شيء، ويُظَن أنه مات في طفولته.

¹ Homilies on Genesis, 9.

٢. الياقيم *Eliakim*. ٣. صدقيا.

٤. شلوم، وعُرفَ باسم يهوآحاز *Jehoahaz*: أقام الشعب هذا الابن الأصغر ليجلس على العرش عوض والده. تغيّر اسمه من شلوم *Shallum* (إر ٢٢: ١١) إلى يهوآحاز عند تجليسه.

كَانَ يَهُوآحَازُ ابْنَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ [٢]

يبدو أن الياقيم كان يُفضّل مصر على بابل من الجانب السياسي، أما يهوآحاز فكان يُفضّل التحالف مع بابل ضد مصر مثل أبيه يوشيا. لذلك عندما التقى نحو مع يهوآحاز في ريلة - المقر العسكري المصري - قيّده بسلاسل وأخذه سجيناً في مصر حيث مات هناك. وقد تنبأ عن ذلك إرميا عندما طالب الشعب ألا يبكي على موت يوشيا، بل يحزن على ابنه الذي يخلفه شلوم (يهوآحاز) الذي لا يعود يرى يهوذا بعد (إر ٢٢: ١٠-١٢). هكذا خلع يهوآحاز الشرير، الذي لم يدم مُلكه سوى ثلاثة أشهر، وفرض غرامة كبيرة على يهوذا. وأقام أخاه ألياقيم بدلاً منه، وغيّر اسمه إلى يهوياقيم.

وَعَزَلَهُ مَلِكُ مِصْرَ فِي أُورُشَلِيمَ،

وَعَرَمَ الْأَرْضَ مِئَةَ وَزْنَةَ مِنَ الْفِضَّةِ وَبِوِزْنَةِ مِنَ الذَّهَبِ. [٣]

اعتبر نحو أنه هزم يهوذا، وصارت تحت ولايته خاضعة له، وإذ أقام الشعب يهوآحاز ملكاً دون العودة إليه، عزله وأقام أخاه عوضاً عنه، لا لسبب سوى إعلان سلطانه على يهوذا.

وَمَلَكَ مَلِكُ مِصْرَ ألياقِيمَ أَخَاهُ عَلَى يَهُوذاً وَأُورُشَلِيمَ،

وَعَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُوَيَاقِيمَ. وَأَمَّا يَهُوآحَازُ أَخُوهُ فَأَخَذَهُ نُحُو،

وَأَتَى بِهِ إِلَى مِصْرَ. [٤]

كان الشعب يظن أن يهوآحاز سيعود من مصر ويجلس على العرش، لكن تحقّق ما تنبأ به إرميا. هذه هي ثمرة الخطية؛ يفقد الإنسان روح الملوكية ولا يُعَين أورشليم العليا، بل يعيش كما في أرض العبودية في مدلّة كما عاش يهوآحاز في مصر في مرارة وحزن حتى مات.

يشير نحو إلى الخطية التي نرتكبها، فتصير كملكٍ مستبدٍ، تأسّرنا وتدخل بنا إلى أرض العبودية.

❖ الهلاك هو البُعد عن الله، فإنه ليس للقوات المُعادية مَأربٍ آخر غير هلاكنا. حين تَرَقَّبوني لإهلاكي، فهمت شهادتك، ولم أبتعد عنها^١.

^١ المؤلف: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

العلامة أوريجينوس

❖ أمور النعمة يصحبها فرح وسلام ومحبة وحق... أما أشكال الخطية فيصحبها اضطراب وليس محبة ولا فرح نحو الله^١.

القديس مقاريوس الكبير

❖ إذ أنا ملوم بكل غضن خطاياي، أقضي أيامي وليالي في رُعبٍ، لكنني إذ أنظر الله يحلُّ القيود ويسند النفس المتواضعة المُرتعبة، يقول لي وأنا منبطح في قبر شرّي: "جبروم هلم خارجاً"^٢.

القديس جبروم

❖ مادمت تحمل جسداً قابلاً للموت تحاربك الخطيئة؛ لكن لبيتك لا تجعلها تملك... أي اقطع رغباتها. فإن بدأت تُطيعها تملك عليك. ماذا يعني "تطيع"؟ تخضع أعضاؤك كآلات إثم للخطيئة^٣.

❖ مادامت الخطيئة موجودة في أعضائك فلا تجعل لها سلطاناً عليك لتملك، وإنما على الأقل اطرد لها ولا تطع متطلباتها. هل يثور فيك الغضب؟ لا تُخضع له لسانك بالنطق بكلمة شريرة، ولا تُخضع له يدك أو قَدَمك كأن تضرب بهما. ما كان يمكن للغضب غير المتعقل أن يثور فيك لو لم توجد الخطيئة في أعضائك، ولكن أطرده قوتها الحاكمة، فلا يكون لها أسلحة لمحاربتك، عندئذ تتعلم هي ألا تثور فيك إذ تجد نفسها بلا أسلحة... هكذا يليق بكل أحد أن يجاهد إذ يبغي الكمال، حتى إذ تجد الشهوة نفسها بلا استجابة من الأعضاء تقل يوماً فيوماً خلال رحلتها^٤.

القديس أغسطينوس

٢. يهوياقيم (١١ سنة، أسره ملك بابل)

كَانَ يَهُوَيَاقِيمُ ابْنُ خَمْسِينَ وَعَشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،

وَمَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهِي. [٥]

عَلَيْهِ صَعِدَ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ،

وَقَيَّدَهُ بِسَلْسِلٍ نَحَاسٍ لِيَذْهَبَ بِهِ إِلَى بَابِلَ [٦]

^١ عظة ٣:٧.

^٢ Fifth Letter to Florentium. PL 22:336 (in mizne the fourth letter)

^٣ Serm on N.T. 78: 8, 12.

^٤ On Contenance 8; In Ioan. tr 41: 12.

صعد نبوخذنصر ملك بابل عليه، وقبّده بسلاسل نحاس، وذهب به إلى بابل، كما سلب آنية الهيكل [٧]. مات ميتة فاعل شر (إر ٣٦: ٣٠).

يهوآحاز يُمَثِّلُ الإنسان المُصَمَّم على شرّه، يفقد ملوكيته ووطنه السماوي، لتملك الخطية عليه! أما يهوياقيم، فيشير إلى الشرير الذي يصعد إليه ملك بابل (رمز الشيطان) ويُقبّده بسلاسل ويذهب به إلى بابل (البلبله). وكأن ثمار الخطية هي:

١. عوض السلطان المُعطى للإنسان أن يدوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو ١٠: ١٩)، يرتفع عليه العدو، ليطأ عليه ويذله.

٢. يحرمه من الحرية ويُقبّده بسلاسل مرّة.

٣. يحرمه من المعرفة والحكمة والتعقل، إذ يدخل به إلى بابل.

وعلى العكس بالتوبة يتمتع المؤمن بالآتي:

١. ينعم بالسلطان ليطأ قوات الظلمة.

٢. يتمتع بحرية مجد أولاد الله.

٣. ينعم بمعرفة مُتجدّدة وحكمة نامية وتعقلًا في كل شيء.

يعتبر البعض أن مدة السبعين عامًا للسبي التي تنبأ عنها إرميا بدأت منذ قبض على يهوياقيم وقبّده بالسلاسل وأُرسِلَ إلى بابل^١.

❖ كما أن الطبيب يكره مرض المريض ويعمل بمقاييس الشفاء لينزع المرض ويشفي العليل، هكذا الله يعمل بنعمته فينا، ليُبَدِّدَ الخطية ويتحرّر الإنسان^٢.

❖ من ثمَّ يقول الرسول ما نبدأ نحن نقوله: "فإني أُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن" (رو ٧: ٢٢). هنا إذن نصير أحرارًا عندما نُسر بناموس الله، لأن الحرية لها الفرح. فإنك مادمت تفعل الصلاح عن خوفٍ، فإن الله لا يكون موضع مسرّتك. لتجد مسرّتك فيه فتكون حرًا. لا تخف العقوبة بل أحبّ البرّ. هل لازلت لا تحب البرّ؟ خفّ من العقوبة حتى تتال محبة البرّ^٣.

❖ لا يقل المسيحي إنني حرّ، أفعّل ما يحلو لي، ليس لأحد أن يكبح إرادتي مادمت حرًا. إن كنت بهذه الحرية ترتكب خطية فأنت عبد للخطية. لا تُفسد حريتك بالتحرّر للخطية، إنما لاستخدامها

¹ Adam Clarke Commentary.

² St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 9.

³ St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 10.

في عدم ارتكاب الخطيَّة. "فإنكم إنما دُعيتُم للحرية أيها الإخوة، غير أنه لا تُصَيِّرُوا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً" (غل ٥ : ١٢).^١

القديس أغسطينوس

❖ لا نعتبر الأحرار هم أولئك الأحرار بحسب مركزهم، بل الذين هم بحق أحرار في حياتهم وطبعمهم... حرية النفس وطوباويتها هما نتيجة النقاء الحقيقي والازدراء بالزمنيات.^٢

❖ الإنسان الحُرّ هو ذلك الذي لا تستعبده الملمات، بل يتحكّم في الجسد بتميز صالح وعفة، قانعاً بما يعطيه الله، مهما كان قليلاً، شاكرًا إياه من كل قلبه.^٣

القديس أنبا أنطونيوس

وَأَتَى نَبُوخَدَنْصَرُ بِبَغْضِ آيَةِ الرَّبِّ إِلَى بَابِلَ،

وَجَعَلَهَا فِي هَيْكَلِهِ فِي بَابِلَ. [٧]

إذ سلك الملك والقادة والشعب في الشرّ، وعبدوا الأوثان، سُحِبَتْ أواني الهيكل التي كانت تُحسَب أفضل الأواني في المعابد في العالم، وصارت لخدمة آلهة الأمم تأديبًا ليهودًا. كان الأنبياء الكذبة يتكلمون بالناعامات، قائلين بأنها سترجع سريعًا (إر ٢٧ : ١٦). غير أن إرميا النبي تنبأ أن بقية الأواني ستُحمل إلى بابل بعد سبيهم (إر ٢٧ : ٢١-٢٢)، وقد تمّ ذلك.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يَهُوْيَاقِيمَ وَرَجَاسَاتِهِ الَّتِي عَمِلَ وَمَا وُجِدَ فِيهِ،

مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا.

وَمَلِكُ يَهُوْيَاقِيمُ ابْنُهُ عَوَضًا عَنْهُ. [٨]

بخصوص الرجاسات التي مارسها يهوياقيم، يبدو أنه أعاد كل ما يمُسُّ العبادة الوثنية ورجاساتها التي أزالها والده يوشيا (راجع إر ٧ : ٩، ٣٠-٣١؛ ١٩ : ٣-١٣؛ ٢٥ : ١).^٤

"وما وُجِدَ فِيهِ" [٨]: يرى البعض أنه يقصد ما وُجِدَ فِيهِ من خيانة لملك بابل، غير أن بعض المُفسِّرين اليهود يرون أنها كانت علامات خاصة أو أختام وُجِدَتْ في جثمانه، كانت تُصنَع تكريمًا للأوثان؛ وكانت كتابة الوشم على الجسم مُحَرَّمَةٌ (لا ١٩ : ٢٨).

^١ In Ioan tr 41: 8.

^٢ الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ٣٤.

^٣ الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ٤٣.

^٤ Barnes' Notes.

٣. يهوياكين (٣ أشهر و ١٠ أيام، أَسْرَهُ ملك بابل)

كَانَ يَهُوْيَاكِينُ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ.
وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. [٩]

جاء في المخطوطات اليونانية "ثمانية عشر عاماً"، عوض ثمانية أعوام.

ورد هنا أن يهوياكين أو يكونيا بن يهوياقيم كان ابن ثماني سنين حين ملك، وجاء في سفر الملوك أنه كان ابن ثمانية عشر سنة، يبدو أنه كان شريكاً في الحُكْم مع أبيه وهو في الثامنة من عمره، وتسلم العرش بمفرده في الثمانية عشر.

عندما ملك أويل مردوخ على بابل رَدَّه بعد ٣٧ سنة من سبيهِ (٢ مل ٢٥: ٢٧-٣٠)، وهي غير

مذكورة هنا.

وَعِنْدَ رُجُوعِ السَّنَةِ، أَرْسَلَ الْمَلِكُ نُبُوخَذَنْصَرُ،
فَأَتَى بِهِ إِلَى بَابِلَ مَعَ آنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الثَّمِينَةَ،
وَمَلَكَ صِدْقِيَا أَخَاهُ عَلَى يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ. [١٠]

لقد اختار الملوك الفاسدون بإرادتهم عبادة الأوثان، لذلك سمح الله أن تذهب آنية بيت الرب إلى هياكل الأوثان ببابل. هكذا عندما يختار الإنسان طريق الخطية بإرادته من أجل الملذات الجسدية، يتركه الله فيستعبده إبليس الشرير.

دُعِيَ صديقيا أخاً ليهوياكين مع أنه عمه، وهو تعبير يُستخدَم عن القرابة، كما قال إبراهيم لابن أخيه لوط إنهما أخوان.

٤. صديقيا (١١ سنة، تمرد على بابل)

كَانَ صِدْقِيَا ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. [١١]

كان اسم صديقيا متانيا، وقد غيّر ملك بابل اسمه إلى صديقيا (٢ مل ٢٤: ١٧).

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهِهِ،

وَلَمْ يَتَوَاضِعْ أَمَامَ إِزْمِيَا النَّبِيِّ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. [١٢]

كان الملوك يَعْلَمُونَ تاريخ مملكتهم، ويدركون أنهم شعب الله، ويُقدِّم لهم تاريخهم شهادة عملية أنه

لا خلاص لهم ما لم يلتصقوا بالإله الحي، فيثبتوا على العرش بكونهم من بيت داود التقي، ومع هذا كانوا يسعون بكل طاقتهم لنشر العبادات الوثنية ومقاومة عبادة الله الحي. لم يرتدعوا بالتأديبات الإلهية بالرغم مما عانوا منه في مذلة!

وَتَمَرَّدَ أَيْضًا عَلَى الْمَلِكِ نَبُوخَذَنْصَرَ الَّذِي حَلَفَهُ بِاللَّهِ،

وَصَلَّبَ عُنُقَهُ، وَقَوَّى قَلْبَهُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ [١٣]

من الخطايا التي ارتكبتها صدقيا أنه كسر الحلف الذي أقسم به (حز ١٧: ١٨-٢٠؛ ٢١: ٢٥). تمّ الخراب في صورة بشعة بسبب حماقة صدقيا الذي تمرد على ملك بابل. يلوم الكتاب صدقيا لعدم سماعه مشورة إرميا آخر أنبياء ما قبل السبي، وتمرده على نبوخذنصر ملك بابل الذي وضعه تحت التأديب الإلهي، وحنث بالقسم الذي باسم الرب.

كان لدى صدقيا فرصة للتوبة، هو ورجال قصره، وذلك خلال كرازة إرميا النبي وأنبياء آخرين (إر ٣٧: ٢)، لكنهم رفضوا بعناد، مما أدى إلى دمار المملكة تمامًا.

حَتَّى أَنْ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكُهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ،

حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الْأُمَمِ،

وَنَجَسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. [١٤]

للأسف الذي قام بتدنيس الهيكل وعبادته كل من شعب الله وأعدائهم في مقاومتهم لهوية إسرائيل. سلّمهم الرب للهوان، لأنهم سلّموا قلوبهم للفساد ونجسوا بيت الرب.

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلَهَ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلًا،

لَأَنَّهُ شَفِيقٌ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ [١٥]

فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللَّهِ وَرَدَّلُوا كَلَامَهُ، وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ،

حَتَّى ثَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءً. [١٦]

أشار السفر إلى تصلّف القادة وعدم أخذهم تحذيرات رجال الله لهم بشيء من الجدّة [١٥]، مثل ما ورد في إرميا النبي (٧: ١٣، ٢٥؛ ٣-٤: ٢٦؛ ٥: ٢٩؛ ١٠: ٣٥؛ ١٥: ٤٤؛ ٤: ٤٤ راجع ١١: ٧؛ ٣٢: ٣٣). في جهالة لم يسمعوا لتحذيرات الله بواسطة أنبيائه، وإنما تعاملوا معهم بهزءٍ وسُخرية واستخفاف، بهذا لم يعد يوجد علاج سوى التأديب القاسي خلال السبي البابلي. تفاقم الأمر وامتألت الكأس بشروهم بسبب سوء معاملتهم للأنبياء الذين أرسلهم الرب ليحذروهم من شرورهم.

٥. مذبحه الجماهير

فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ مَلِكِ الْكَلْدَانِيِّينَ،

فَقَتَلَ مُخْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ.

وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى فِتَى أَوْ عَذْرَاءَ وَلَا عَلَى شَيْخٍ أَوْ أَشْيَبٍ،

بَلْ دَفَعَ الْجَمِيعَ لِيَدِهِ. [١٧]

يُصَوِّرُ لَنَا الْخَرَابَ الَّذِي لَحِقَ بِيَهُودًا كَالآتِي:

١. قَتَلَ الْجَمَاهِيرَ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ (حز ٩: ٦-٧؛ مرا ٢: ٧، ٢٠)، فَقَدَ لَجَأُوا إِلَى بَيْتِ

الرَّبِّ لِيَحْمِيَهُمْ مِنَ الْبَابِلِيِّينَ، بَيْنَمَا قَامُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ بِتَنْجِيْسِهِ بِأَوْثَانِ الْأُمَمِ [١٤].

٢. سَلَبُ كُلِّ مَا كَانَ قَدْ تَبَقَّى مِنْ آتِيَةِ فِي الْهَيْكَلِ، وَمَا فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْوتِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَاءِ

يَهُودًا [١٨].

٣. حَرَّقُ الْهَيْكَلِ، وَهَدْمُ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ وَقُصُورِهَا [١٩]، وَمَا لَمْ يَحْمَلُوهُ مِنْ آتِيَةِ أَهْلَكُوهَا.

٤. سَبَى مِنْ تَبَقَّى مِنَ الْقَتْلِ إِلَى بَابِلَ [٢٠].

٦. دمار المدينة والهيكل

وَجَمِيعُ آتِيَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ، وَخَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ،

وَخَزَائِنِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَائِهِ،

أَتَى بِهَا جَمِيعًا إِلَى بَابِلَ. [١٨]

وَأَحْرَقُوا بَيْتَ اللَّهِ، وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ،

وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ،

وَأَهْلَكُوا جَمِيعَ آتِيَتِهَا الثَّمِينَةِ. [١٩]

تَمَّ الدَّمَارُ الْكَامِلُ لِلْهَيْكَلِ وَخَرَابِ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ:

١. اغتصاب كل الآتية التي للهيكل وفي خزانة القصر الملكي وقصور الرؤساء، وإرسالها إلى

بابل [١٨]

٢. حَرَّقُ الْهَيْكَلِ، بَيْتِ اللَّهِ، وَتَدْمِيرُهُ تَمَامًا، لَا وَجُودَ لَهُ.

٣. هَدْمُ سُورِ أُورُشَلِيمَ، فَفَقَدَتْ حِصَانَتَهَا.

٤. حَرَقَ الْقُصُورَ الْخَاصَةَ بِالْمَلِكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَكُلَّ الْقَادَةَ.

٥. تحطيم كل الأواني الثمينة، وتحويلها إلى سبائك ذهبية وفضية، ولم يُتْرَك إلا قلة قليلة نُقِلَتْ كما هي إلى بابل.

❖ لستُ أنكر أن أورشليم الأولى قد خُرِّتْ بسبب شرِّ سكانها، لكنني أتساءل: ألا يليق بك البكاء على أورشليمك الروحية!؟

إن أخطأ أحد بعد قبوله أسرار الحق، فإنه يُبَكِّي عليه، لأنه كان من أورشليم ولم يعد بعد...
لئيك على أورشليمنا، لأنه بسبب الخطية يحيط بها الأعداء (الأرواح الشريرة) بمترسمة ويحاصرونها، ولا يتركون فيها حجراً على حجرٍ، خاصة لو أن هذا الإنسان كان قد سبق فمارس العفة زماناً والطهارة سنوات طويلة، فتنثر فيه شهوات الجسد ويفقد نقاوته وعفته ليسقط في الزنا، ولا يُتْرَك فيه حجر على حجر، كقول حزقيال: "كل برّه الذي عمله لا يُدْكَر" (حز ١٨ : ٢٤).

العلامة أوريجينوس

٧. سبي الشعب

وَسَبَى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ إِلَى بَابِلَ،

فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عَبِيداً إِلَى أَنْ مَلَكَتْ مَمْلَكَةُ فَارِسَ [٢٠]

استخدمهم نبوخذنصر وخلفاؤه كعبيد في أعمال السخرة في إنشاءاتهم التي قاموا بها. إذ رفض الملوك والقادة والشعب الالتصاق بالله الذي وهبهم الكثير من البركات وجاء بهم إلى أرض الموعد، سمح لهم بالذهاب إلى بابل حيث دُعي أبوهم إبراهيم رجل الإيمان بالخرج منها، فينال نسله الكثير من البركات في أرض الموعد. وكأنه يدعوهم أن يقتدوا بأبيهم إبراهيم فينالوا ما فقدوه بسبب رفضهم للإيمان. ليس من وسيلة للرجوع إلى أورشليم سوى الإيمان والتوبة الصادقة.

❖ من الأفضل للقارئ أن يتأمل في نفسه، في طريقة حياته، وفي ندرة السمو الحقيقي. تذكر أنه عندما أقتيد كل يهودا إلى السبي عند مجيء نبوخذنصر وأُرسِل الآلاف إلى بابل كأسرى، بقي إرميا وحده يُسَبِّح الله. لقد ألقوه (رجال ملك يهودا) في جبٍ به وَحَلْ (إر ٣٨ : ٦) مع هذا فإن نفس هذا الرجل كانت أكثر حسماً في تقرير مصير إسرائيل^١.

القديس جيروم

لِإِكْمَالِ كَلَامِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرمِيَا،

^١ Homily 54 (Fathers of the Church , v. 48 p. 390).

حَتَّى اسْتَوَفَّتِ الْأَرْضُ سُبُوتَهَا،

لَأَنَّهَا سَبَّتَتْ فِي كُلِّ أَيَّامِ خَرَابِهَا لِإِكْمَالِ سَبْعِينَ سَنَةً. [٢١]

امتدَّ سبي يهوذا إلى سبعين عامًا من سنة ٥٨٧ ق.م حيث سقطت أورشليم إلى سنة ٥١٧ ق.م [٢٠]. لم تتحقَّق العودة من السبي مصادفةً أو جزافًا، فقد بشرَّ بها النبي الباكي إرميا (إر ٢٥: ١٠-١٢).

"حتى استوفت الأرض سبوتها": لم تكن كلمة "العقاب" أو "التأديب" هي آخر المطاف في السفر، إنما التمتع براحة السبت هي النهاية، فقد عادوا من السبي في السنة السبعين من السبي، أي السنة السبتية (لا ٢٦: ٢٤-٣٥). فالسبي هو فترة تطهير للشعب، ولا بد للسبي أو التأديب من نهاية. هذه السبعون سنة تُعادل السبوت التي كسرها اليهود، وعض الاحتفال والعبادة لله، انشغلوا بالأعمال الزمنية لمكاسب أرضية. من أجل الطمع لم يحفظوا السبت والسنة السبتية، فكانوا يعملون في الأرض في أيام السبوت، كما في السنة السابعة كسبت للرب، لذلك صارت الأرض خربة دون زراعة، مُجبرين حتى تُستوفى السبوت التي لم يحفظها الشعب عبر الأجيال. قيل: "حينئذٍ تستوفي الأرض سبوتها كل أيام وحشتها وأنتم في أرض أعدائكم، حينئذٍ تسبَّت الأرض، وتستوفي سبوتها" (لا ٢٦: ٣٤).

٨. العودة من السبي

وَفِي السَّنَةِ الْأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ،

لَأَجْلِ تَكْمِيلِ كَلَامِ الرَّبِّ بِفَمِ إِزْمِيَا نَبِّةِ الرَّبِّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ،

فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَكَذَا بِالْكِتَابَةِ، قَائِلًا: [٢٢]

ختم سفر أخبار الأيام الثاني بتحقيق نبوة إرميا النبي بالوعد من السبي في نهاية السبعين عامًا. هكذا مع ما كشفه السفر عن فساد غالبية الملوك مع القادة والشعب، يبقى الله أمينًا ويُعلن مراحمه وتحقيق وعوده الإلهية.

لقد تحقَّق الوعد الإلهي الذي نطق به بفم إرميا النبي عن العودة من السبي بعد سبعين عامًا، وكان رمزًا لتمتعنا بالتحرُّر من سبي إبليس والخطية بعمل السيد المسيح الخلاصي.

هَكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكِ فَارِسَ،

إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَ السَّمَاءِ قَدْ أَغْطَانِي جَمِيعَ مَمَالِكِ الْأَرْضِ،

وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا.

مَنْ مِنْكُمْ مِنْ جَمِيعِ شَعْبِهِ الرَّبُّ إِلَهُهُ مَعَهُ وَلْيَصْعُدْ. [٢٣]

هكذا بهذه الخاتمة يكشف الكاتب عن غاية السفر وهو أن الله ضابط التاريخ يطلب عودتنا إلى الحياة الفردوسية، وأن يُقِيمَ ملكوته في أورشليم الداخلية، أي في قلوبنا.

❖ حتى بالنسبة للحرية في هذه الحياة، أين هو الحق عندما تقولون: "لم نُستَعَبِدْ لأحدٍ قط"؟ ألم يُبِعَ يوسف (تك ٣٧: ٢٨)؟ ألم يذهب الأنبياء القديسون إلى السبي (٢ مل ٢٤؛ خر ١: ١)؟ مرة أخرى أليست هذه الأمة عندما كانت تصنع اللبن في مصر خدمت حكامًا عنفاء ليس في ذهب وفضة بل في صنع الطوب (خر ١: ١٤)؟ إن كنتم لم تُستَعَبِدُوا قط لأحدٍ يا أيها الشعب الجاحد، فلماذا يُذَكِّرُكم الله باستمرار أنه خَلَّصَكم من بيت العبودية (خر ١٣: ٣؛ تث ٥: ٦)؟... كيف تدفعون الجزية للرومان، والتي من خلالها أقمتم فخًا لتصطادوا الحق فيه عندما قلتُم: "هل يجوز أن نعطي الجزية لقيصر؟" وذلك حتى إن قال يجوز ذلك تتهمونه بسرعة أنه يسيء إلى حرية نسل إبراهيم، وإن قال لا يجوز تشتكونه أمام ملوك الأرض بكونه يمنع الجزية لمثل هؤلاء؟^١

القديس أغسطينوس

❖ "سَبَى سَبِيًّا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا" (أف ٤: ٨). **عندما ارتفع على الصليب المُقَدَّس سَمَرُ الخطية التي انتزعتنا من الفردوس على الصليب، وسبى سببًا كما هو مكتوب...**

نتيجة سقوط آدم سبانا عدونا، وأمسك بنا، وجعلنا تحت سلطانه. عندئذٍ صارت نفوس البشر بعد تركها الجسد تذهب إلى الجحيم، إذ أُغْلِقَ الفردوس أمامها. لذلك إذ ارتفع المسيح على الصليب المقدس واهب الحياة **اختطفنا بدمه من السبي** الذي استُعبدنا فيه خلال سقوطنا. بمعنى آخر **أمسك بنا من يد العدو، وجعلنا مسبيين له بغلبته** وطرده ذاك الذي سبق فسبانا. هذا هو السبب الذي لأجله يُقال: "سبى سببًا"^٢.

الأب دوروثيوس من غزة

❖ **رجع يسوع ممثلًا من الروح القدس إلى البرية يتحدَّى إبليس، فلو لم يُجَرِّبه إبليس، لما انتصر الرب لأجلي بطريقة سرية، مُحَرِّرًا آدم من السبي.**

القديس أمبروسيوس

^١ St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 2.

^٢ Comm. on Easter Hymn.

أُطْلِقْتِي مِنْ هَذَا السَّبْيِ!

- ❖ دفع الملوك الأشرار بيهودا إلى السبي البابلي.
سَبَتْ يهوذا نفسها بنفسها في عبودية الأوثان.
فَأَعْطَيْتَهَا سَوْءَ قَلْبِهَا، حَيْثُ سَبَاها مَلِكُ بَابِلِ الوَثْنِي.
شَرِبْتَ مِنَ الكَأْسِ المُرِّ الَّذِي مَلَأْتَهُ لِنَفْسِهَا.
فَقَدَّتْ اسْتِقْلَالَها وَحُرِّيَّتَها وسَلَامَها وَفَرِحَها مَعَ كُلِّ خَيْرَاتِها.
وَأَنْتِ يَا كُلِّي الصَّلَاحِ، حَزَّرْتِها مِنَ السَّبْيِ،
لِتَتَرَقَّبَ مَجِيئَكَ لِاتْفِيدِها وَحَدَها، بَلْ تَفْدِي العالَمَ كُلَّهُ.
جِئْتِ إِلَى أَرْضِنا، تُحَرِّرُ البَشَرِيَّةَ مِنَ أَسْرِ الخَطِيئَةِ وَعبودِيَّةِ إبْلِيسِ!
- ❖ مَعَ كُلِّ مَلِكٍ شَرِيرٍ لِيَهُودَا أَكْتَشَفَ ضَعْفَاتِي،
فَأَصْرَخْتُ إِلَيْكَ طَالِبًا عَمَلَ نِعْمَتِكَ فِي حَيَاتِي!
يَهُوآحاز الشَّرِيرِ عَزَلَهُ مَلِكُ مِصْرَ.
قَبِدَهُ بِسَلْسَلِ، وَأَخَذَهُ سَجِيئًا فِي مِصْرَ،
وَفَرَضَ جَزِيَّةً ثَقِيلَةً عَلَى يَهُودَا.
خَلالَ خَطَايَايَ تَسَلَّلَ رَئِيسُ هَذَا العالَمِ إِلَى قَلْبِي.
نَزَعَ عَنِّي مَلِكُوتَكَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرِكَةِ بَيْنِكَ وَبَيْنِهِ!
قَبِدَنِي بِسَلْسَلِ المَلذاتِ وَسَحَبِنِي مِنَ الفِكرِ السَّمَاوِيِّ.
أَحَدَرْنِي إِلَى الهَاوِيَّةِ، وَحَمَلْتُ نِيرَهُ الثَّقِيلَ، عَوَضَ نِيرِ وَصَايَاكَ الحَلْوِ!
- ❖ أَقامَ مَلِكُ مِصْرَ اليَاقِيمَ مَلَكًا، وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُوَيَاقِيمَ.
صَعَدَ مَلِكُ بَابِلِ إِلَيْهِ، وَقَبِدَهُ بِسَلْسَلِ نَحاسَ،
قَادَهُ فِي مَذَلَّةٍ وَعَارٍ وَسَلَبَ أَوَانِي الهَيْكَلِ المَقْدَسِ،
وَحَمَلَهَا إِلَى هَيْكَلِ الأوثانِ فِي بَابِلِ وَسَطِ الرِجاساتِ.
يَا لَعُنْ عَدُوَّ الخَيْرِ، إِذْ أَسَمَحَ لَهُ بِالدخولِ إِلَى أَفكارِي وَعَواظِي،
أَفْقَدَنِي هَوِيَّتِي كَمُؤْمِنٍ وَاسْتَبَدَلَ العَدُوَّ اسْمِي،

عَوَّضَ كَوْنِي ابْنًا لِهِنَّ، صرْتُ عَبْدًا لِإِبْلِيسَ.

يسلب كل طاقاتي وموهبي وقدراتي.

عوض استخدامها لحساب ملكوت الله،

صارت آلات إثم لحساب مملكة إبليس!

أفسد جسدي مع نفسي وكل كياني.

عَوَّضَ كَوْنِي هَيْكَلًا لَكَ، يسكنه روحك القدوس،

صرْتُ إِنَاءً فَاسِدًا لِلهَوَانِ وَالرَّذِيلَةِ!

ارحمني يا إله المستحيلات! قدّسني يا أيها القدوس القدير!

❖ سلك يهوياكين في ذات موكب الأشرار الفاسدين،

فأسرّه ملك بابل وأتى به مع بقية آنية بيت الرب الثمينة.

ارحمني يا حكمة الله، وانزع عني فسادي.

فأحرر من مدينة بابل حيث بلبلت الأفكار وفسادها!

أتمتع بعطاياك الثمينة، عوض ما سلبه العدو مني!

❖ ارحمني لئلا أسلك طريق صدقيا المتمرد.

لأسمع لصوتك خلال أنبيائك،

حتى لا أنجس بيتك، أي جسدي، الذي قدّسته بدمك الثمين.

بك أحرر من ملك بابل الذي دمّر مدينة أورشليم وهيكلك.

توبني فأتوب، إشفني فأشفي،

طهرني فأتطهر، قدّسني فأقدّس.

اشتهدت العودة إلى أحضانك الإلهية.

ارفع قلبي إلى سماواتك.

لك المجد يا من تقيم من الأرض سماءً، ومن البشر ملائكة!

ها أنا أراك تشتهي أن تحمل البشرية، وتدخّل بها إلى سماواتك!

المحتويات

مقدمة في أخبار الأيام الثاني

٧

طلب وجه الملك السماوي

مملكة بيت داود، سليمان الملك، الملوك بعد الانقسام، نداء كورش بالعودة من السبي، ملامح السفر، أقسام السفر.

من وحي أخبار الأيام الثاني: هَبْ لي أن أبني بيتك المُقَدَّس!

الباب الأول

مُلْك سليمان

١٧

أخبار الأيام الثاني ١-٩

حُكْم سليمان أخبار الأيام ١-٩، مُلْك سليمان وبرّ المسيح.

١٩

الأصْحاح الأول: بدء حُكْم سليمان
١. الرب يُعظّم سليمان، ٢. خيمة الاجتماع أولاً، ٣. المذبح والذبائح، ٤. الله يتراءى لسليمان، ٥. سليمان يطلب الحكمة والمعرفة، ٦. الله يعطي أكثر مما نسال، ٧. سليمان ومركباته وخيله.
من وحي ٢ أي ١: في رفقتك أسلك الطريق الملوكي.

٣١

الأصْحاح الثاني: الإعداد لبناء بيت الرب
١. الإعداد الداخلي للبناء، ٢. يطلب رجلاً ماهراً من ملك صور، ٣. طلب أفضل أنواع الخشب، ٤. التعهّد بإعالة العاملين، ٥. رسالة ملك صور إليه، ٦. شركة الأجنبيين في العمل.
من وحي ٢ أي ٢: ماذا تريد يا رب أن أفعل؟

٤٣

الأصْحاح الثالث: بناء بيت الرب
١. مكان وزمان بناء الهيكل، ٢. أبعاد الهيكل وزينته، ٣. الكاروبان في قدس الأقداس، ٤. حجاب الهيكل، ٥. العمودان. تحذير.
من وحي ٢ أي ٣: لثَقِّم هيكل قدسك العجيب في داخلي!

٥٤

الأصْحاح الرابع: الأثاث المعدني والأواني المقدسة
١. المذبح النحاسي، ٢. البحر المسبوك (الحوض أو الجرن)، ٣. المنائر الذهبية والموائد، ٤. أبواب دار الكهنة، ٥. أواني مقدسة وغيرها.
من وحي ٢ أي ٤: ما أعظم عمل يديك في داخلي!؟

الأصاحح الخامس: تسليم الهيكل للرب ٦٥

١. إدخال الأقداس إلى البيت، ٢. إصعاد تابوت العهد إلى البيت، ٣. تقديم نشيد الحمد لله، ٤. السحابة ومجد الرب يملأ البيت.

من وحي ٢ أي ٥: لتستريح يا رب في قلبي!

الأصاحح السادس: بيت الرب ومباركة الجمهور ٧٣

١. لقاء مع الساكن في الضباب، ٢. الملك يبارك كل الجمهور، ٣. صلاة أمام مذبح الرب: أ. مطالبة الرب بوعوده، ب. الله قاضي الشعب الرحوم، ج. الله قائد الجيش ومُحرّر الشعب، د. الله قابل التوبة، هـ. الله المُترَفِّق بكل الشعوب، و. الله المُدافع عن مؤمنيه، ز. قوة الصلاة في بيته، ح. اذكر مراحم داود عبدك.

من وحي ٢ أي ٦: أجتو وأبسط يديّ نحوك!

الأصاحح السابع: استجابة الله لصلاة سليمان ٩٦

١. استجابة الصلاة علانية، ٢. عجز الكهنة عن دخول بيت الرب، ٣. ذبائح حيوانية مع ذبائح تسبيح، ٤. احتفالات مبهجة، ٥. الرب يتراءى لسليمان، ٦. تحذير من الانحراف عن الوصية من وحي ٢ أي ٧: لتعلن سكناك في أعماقي.

الأصاحح الثامن: إنشاءات سليمان واهتماماته ١١٣

علاقة سليمان بالأمم، ١. المدن التي بناها سليمان، ٢. العمّال الذين استخدمهم سليمان، ٣. اهتمامه بزوجته خارج مدينة داود، ٤. ترتيب خدمة الهيكل، ٥. علاقاته التجارية مع دول أجنبية. من وحي ٢ أي ٨: لأقدم لك ذبيحة يومية وتسبيحاً لا ينقطع!

الأصاحح التاسع: ملكة سبأ وشهرة سليمان العالمية ١٢٣

١. زيارة ملكة سبأ لسليمان وتكريمها له، ٢. عظمة بلاط سليمان وثروته، ٣. ختام حكمه. من وحي ٢ أي ٩: لأنتقي بك وأقتنيك يا حكمة الله!

الباب الثاني

الملوك بعد سليمان

١٣٧

أخبار الأيام الثاني ١٠-٣٦

١٣٢

من رجعاً إلى السبي من رجعاً إلى السبي

خلفاء سليمان، انقسام المملكة، أساسات الإصلاح، أنبياء هذا العصر.

الأصاحح العاشر: انشفاق في عصر ربيعام ١٤٣

١. جهالة ربيعام، ٢. تطرّف المنقسمين، ٣. نبذهم ربيعام.
- من وحي ٢ أي ١٠: تَسَلَّمْ يا رب عجلة القيادة!

الأصاحح الحادي عشر: محاولات ربيعام الفاشلة ١٥٥

١. محاولة استعادة العشرة أسباط، ٢. مساعي ربيعام لحفظ السبطين، ٣. عودة الكهنة واللاويين، ٤. زوجات ربيعام وأولاده.
- من وحي ٢ أي ١١: عجيبة هي محبتك يا أيها القدوس!

الأصاحح الثاني عشر: انحدار ربيعام المُحزِن ١٦٦

١. ربيعام وشعبه يفعلون الشر، ٢. تسليمهم ليشيشق ملك مصر، ٣. شمعيًا يدعوهم للتوبة، ٤. توبة الرؤساء والملك، ٥. الرب يرجع عن غضبه، ٦. شخصية ربيعام.
- من وحي ٢ أي ١٢: بِحُبِّكَ تُؤَدِّبُ لَكَي تُخَلِّصَ!

الأصاحح الثالث عشر: الملك أبيًا بن ربيعام ١٧٦

١. أبيًا ملك على يهوذا، ٢. احتشاد جيشه ضد يربعام، ٣. خطاب أبيًا ليربعام وشعبه، ٤. هزيمة إسرائيل أمام يهوذا، ٥. ختام حياته.
- من وحي ٢ أي ١٣: أنت هو حصني وتُصِرْتِي وخالصي!

الأصاحح الرابع عشر: آسا ملك يهوذا ١٨٦

١. تقوى الملك آسا، ٢. سياسة الملك آسا، ٣. نصرته على الكوشيين.
- من وحي ٢ أي ١٤: بذراعك الإلهي قَدَّسْني وخالصني!

الأصاحح الخامس عشر: إصلاحات آسا الداخلية - الدخول في عهد مع الله ١٩٧

١. رسالة إلهية له على فم نبي، ٢. غيرته لإزالة الأوثان، ٣. الغنائم التي كُرِّسَتْ لله، ٤. الدخول في عهد مع الله، ٥. إصلاح في البلاط الملكي، ٦. ترك المرتفعات، ٧. إدخال المقدسات إلى بيت الرب، ٨. سلام عظيم للمملكة.
- من وحي ٢ أي ١٥: قَدَّسْ أيامي، وأَعْلِنْ عن سكنائك في!

الأصاحح السادس عشر: انحدار آسا في أواخر أيامه ٢١٦

١. معاهدة حمقاء مع بنهدد ملك آرام، ٢. توبيخ الله له بواسطة نبي، ٣. استيلاء آسا من النبي،

٤ . مرض آسا وموته.

من وحي ٢ أي ١٦: هَبْ لِي قَلْبًا مُسْتَقِيمًا وَإِرَادَةً مُقَدَّسَةً! فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَنْصُرُ بِي!

الإصلاح الروحي في عصر يهوشافاط

٢٢٨

أخبار الأيام الثاني ١٧-٢٠

الأصاح السابع عشر: حياة يهوشافاط ومُلكه

١. تَبُوُّهُ يهوشافاط العرش وثناته، ٢. تقوى يهوشافاط وحفظه للوصية، ٣. اهتمامه بالتعليم والعبادة لله، ٤. تأثيره على الممالك المجاورة، ٥. قوته العسكرية.

من وحي ٢ أي ١٧: إلهي أنت هو سرُّ نجاحي!

٢٤١ الأصاح الثامن عشر: تحالف يهوشافاط مع آخَاب

١. ارتباط يهوشافاط بأخَاب الشرير، ٢. مشاركة آخَاب لاستعادة راموت جلعاد، ٣. استشارة الأنبياء الكذبة، ٤. يهوشافاط يطلب نبياً للرب، ٥ الرب ينقذ يهوشافاط، ٦. جرح آخَاب وموته.

من وحي ٢ أي ١٨: تحالف فاسد وشرير!

٢٥٥ الأصاح التاسع عشر: عودة إلى أورشليم

١. رجوعه بسلام إلى أورشليم، ٢. توبيخه على تحالفه مع آخَاب، ٣. اهتمامه بإصلاح المملكة، ٤. تعليماته للقضاة في المحاكم الصغرى، ٥. تعليماته للقضاة في المحاكم العليا.

من وحي ٢ أي ١٩: رُدُّنِي إِلَى أُورْشَلِيمِ الْعَلِيَا!

٢٦٨ الأصاح العشرون: الغزو الأجنبي والخلاص منه بالتسبيح

الحرب مرة أخرى، ١. الغزو الأجنبي، ٢. الالتجاء إلى الله ، ٣. إرسال نبي يؤكد النصر، ٤. التسبيح سلاح النصر، ٥. هزيمة الأعداء، ٦. ذبيحة الشكر، ٧. ختام حياة يهوشافاط.

من وحي ٢ أي ٢٠: هَبْ لِي رُوحَ الْفَرَحِ بِي وَسَطَ الْمَعْرَكَةِ!

٢٨٥ الأصاح الحادي والعشرون: يهورام: ذهب غير مأسوفٍ عليه

١. اعتلاء يهورام العرش، ٢. تثبيت عرشه بقتل إخوته، ٣. سلوكه في طريق إسرائيل، ٤. غلبته على أدوم كعطية إلهية، ٥. نبوة إيليا ضده، ٦. هزيمته أمام الأمم، ٧. تأديبه بالمرض، ٨. دَهَبَ غير مأسوفٍ عليه.

من وحي ٢ أي ٢١: هَبْ لِي رُوحَ الْمُلُوكِيَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

الأصاح الثاني والعشرون: الملك أخزيا بن يهورام وعتليا الملكة المتعطشة للدماء ٢٩٧

١. أخزيا ملك يهوذا، ٢. أخزيا يسلك في طريق آخاب، ٣. اشتراك أخزيا مع يهورام في الحرب، ٤. ياهو يقتل أخزيا، ٥. اغتصاب عتليا أم أخزيا للعرش، ٦. إخفاء يهوآش بن أخزيا في الهيكل.
من وحي ٢ أي ٢٢: هَبْ لي روح الرعاية والقيادة.

الأصاح الثالث والعشرون: تجليس يوأش بن أخزيا ملكاً واغتيال عتليا ٣٠٥

١. يهوئاداع يُعد الشعب لاستقبال يوأش، ٢. يهوئاداع يُظهر الملك أمام الشعب، ٣. قتل عتليا مغتصبَةَ العرش، ٤. إصلاحات الملك.
من وحي ٢ أي ٢٣: لتملِّك في قلبي، وتقتل كل شر فيه!

الأصاح الرابع والعشرون: انحراف الملك يوأش ٣١٧

١. إصلاح الهيكل، ٢. إعادة العبادة في الهيكل، ٣. ارتداد الملك وتحذيره، ٤. قتل زكريا النبي، ٥. غزو الأراميين له، ٦. قتله ودفنه.
من وحي ٢ أي ٢٤: احفظني من نفسي!

الأصاح الخامس والعشرون: أمصيا ملك يهوذا ٣٣١

١. انتقم لوالده بعدلٍ، ٢. طاعته للرب، ٣. انتصاره على أدوم، ٤. عبادته لأصنام الأدميين، ٥. تحديده لملك إسرائيل، ٦. نهاية مُخزية.
من وحي ٢ أي ٢٥: بداية مُفرحة ونهاية مُخزية!

الأصاح السادس والعشرون: عَزِّيَا (عزريا) الملك ٣٤٤

١. سلوكه باستقامة في الرب، ٢. نصرته في الحروب، ٣. إنشاءاته، ٤. أعمال التنظيم، ٥. تشامخه واقتحام الكهنوت، ٦. إصابته بالبرص، ٧. عزله وموته.

ملحق أخبار الأيام الثاني ٢٦: عَزِّيَا الملك وإشعيا النبي للقسيس مار يعقوب السروجي .. ٣٥٩

ابنة إبراهيم أفسدت ملوكها، الملك عَزِّيَا يخطف دور الكهنوت (٢ أي ٢٦)، سلطتان متكاملتان: الكهنوت يأمر الأرواح والملوكية تأمر الأجساد، الكاهن عَزَّرِيَا يؤنب الملك عَزِّيَا على فعله، غضب عَزِّيَا من عَزَّرِيَا الكاهن، عَزِّيَا يلبس قميص البرص، القلب النقي والأفكار الطاهرة هي بخور مُقدَّس يتصاعد أمام الله، السيرافيم يؤمنون بسرِّ الثالوث الذي علَّموه لإشعيا، الثلاثة تقديسات تعني مساواة الأقانيم في الثالوث، لا يؤمن اليهود بأن للآب ابناً كشفه لبني سرِّه، جمره إشعيا ترمز إلى سرِّ جسد ابن الله (إش ٦: ٦-٧)، الطبيعة والكتاب يبرهnan على الابن وعلى الثالوث، براهين للابن: الشمس

وضوعها والشجرة وثمرتها والنفس وكلمتها، إشعياء يركز بالثالوث، طوبى للكنيسة التي تؤمن بالثالوث.

من وحي ٢ أي ٢٦: هَبْ لِي رُوحَ التَّوَّاضِعِ، فَاتَّشَبَّهْ بِكَ يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ!

الأصاحح السابع والعشرون: يوثام الملك ٣٧٤

١. عمل المستقيم في عَيْنِي الرب، ٢. إنشأته، ٣. نصرته على بني عمون، ٤. سرّ قوته ونجاحه، ٥. مُدَّة حكمه وموته.

من وحي ٢ أي ٢٧: لتَحْمَلِ الْكُلَّ عَلَى ذِرَاعِيكَ يَا مُخَلَّصَ الْعَالَمِ!

الأصاحح الثامن والعشرون: الملك آحاز الشرير ٣٨١

لم يصنع شيئاً صالحاً! ١. شرُّ آحاز العظيم، ٢. انهياره أمام ملك آرام، ٣. انهياره أمام ملك إسرائيل، ٤. عوبيد يوَيْخ جيش إسرائيل، ٥. التجاؤهُ إلى آشور باطلاً، ٦. التجاؤهُ إلى آلهة دمشق، ٧. التجاؤهُ إلى آلهة أخرى، ٨. موت مُحزّي.

من وحي ٢ أي ٢٨: لتَطْرُدِ كُلَّ خَطِيئَةٍ مِنْ قَلْبِي، فَاسْتَرِيحْ بِكَ!

ملحق أخبار الأيام الثاني ٢٨: لَقَطَاتٌ سَرِيعَةٌ مِنْ مَقَالٍ تُنَشِئَةُ الْأَطْفَالِ وَالْمَجْدُ الْبَاطِلُ لِلْقَدِيسِ يُوْحَنَّا

الذهبي الفم ٣٩٢

أهمية تربية الأطفال، تربية الأطفال عمل مقدس! لتقتدوا بالآباء المهتمين بأبنائهم، نصائح للوالدين: ١. اختيار اسمه، ٢. تعليمه الرضا والقناعة، ٣. توجيهه نحو الأسفار المقدسة، ٤. سلّمه في يدي الرب! ٥. اهتمام الله نفسه بتربية الأبناء، ٦. تقدير قيمة الطفل وقدراته، ٧. التحذير من العقوبات البدنية! ٨. ليكن تعليم الطفل وتدريبه حسب قدراته، ٩. التعليم بالقدوة، ١٠. الاهتمام بمن لهم تأثير على الطفل، ١١. الاهتمام بتقديس حواس الطفل، ١٢. نفاوة القلب، ١٣. العفة والطهارة في حياة أبنائنا، ١٤. أولوية الحكمة في تربية الأبناء، ١٥. حفظهم من العادات الوثنية، ١٦. عدم بث مفاهيم خاطئة في أذهان الأبناء، ١٧. اهتم بخلاص أولادك! ١٨. الاهتمام بتعليم الأبناء وتدريب الأمور الزمنية، ١٩. تشجيع الأبناء على التكريس، ٢٠. رَبِّ ابْنِكَ فَلَا يُرَبِّيهِ الزَّمَنُ! ٢١. جريمة الإهمال في تربية الأبناء، ٢٢. يهَيِّئْهُمْ لِلزَّوْجِ الْمَقْدَّسِ.

الإصلاح في عصر حزقيا الملك

٤٠٦

الأصحاحات ٢٩-٣٢

إصلاحات حزقيا ٤٠٧

الأصاحح التاسع والعشرون: حزقيا الملك وتقديس بيت الرب ٤٠٨
١. أعاد الكهنة واللاويين إلى بيت الرب، ٢. حثّ اللاويين على تطهير الهيكل، ٣. التكفير عن خطايا الحكم السابق، ٤. الاهتمام بذبائح التسييح والمُحرّقات.
من وحي ٢ أي ٢٩: الطهارة والنجاح.

الأصاحح الثلاثون: حزقيا يدعو المملكتين لعيد الفصح والفطير ٤٢٦
١. دعوة المملكتين للاحتفال بالعيد، ٢. تأجيل الاحتفال للشهر الثاني، ٣. الحثّ على الاحتفال، ٤. إقامة الاحتفال بالعيد.
من وحي ٢ أي ٣٠: فرّح قلوب شعبيك بك!

الأصاحح الحادي والثلاثون: الاهتمام ببيت الرب ٤٤١
١. هدم بقايا الوثنية في المملكتين، ٢. الاهتمام بتنظيم فرق الكهنة، ٣. الاهتمام بإعالة الكهنة وعائلاتهم: أ. تقديم هبة من الملك لدعم الخدمة، ب. حثّ الشعب على زيادة حصة الكهنة، ج. سخاء الشعب، د. تعيين مُفوضين لتوزيع ما يُجمَع، هـ. التهاب قلب الملك للعمل.
من وحي ٢ أي ٣١: لأسكن في بيتك، وأتزيّن بوصاياك!

الأصاحح الثاني والثلاثون: بالإيمان حزقيا الملك يتحدّى أشور والمرض ٤٥٧
روح القوة لا روح الفشل! تجارب حزقيا الملك الثلاث، الظروف التي عاش فيها حزقيا الملك. ١.
نزول سنحاريب على مدن يهوذا، ٢. سنحاريب يتوجّه لمحاربة أورشليم، ٣. بعث رسالة من سنحاريب، ٤. حزقيا وإشعيا يصليان، ٥. إرسال ملك ينقذ حزقيا، ٦. مرض حزقيا وشفائه، ٧.
ارتفاع قلب حزقيا، ٨. موت حزقيا ودفنه.
من وحي ٢ أي ٣٢: لتكن معي، ولتجارب حروبي!

الأصاحح الثالث والثلاثون: الملك منسى وابنه آمون ٤٧٦
١. شروره وارتداده عن الله، ٢. توبته ونجاحه، ٣. ختام مُلكه، ٤. الملك آمون وشروره. صلاة منسى.

من وحي ٢ أي ٣٣: أبواب حُبك مفتوحة لكل خاطي.

إصلاحات يوشيا الملك

٢ أخبار الأيام ٣٤-٣٥ ٤٩١

الأصاحح الرابع والثلاثون: الملك يوشيا ٤٩٢

١. شخصية يوشيا الملك، ٢. غيرته لإبادة الأوثان، ٣. اهتمامه بإصلاح الهيكل، ٤. العثور على سفر الشريعة، ٥. قراءة الشريعة في محفلٍ عام.

من وحي ٢ أي ٣٤: أُرْسِلْ أَيُّهَا الْقُدُوسُ رِعَاةَ حَسَبِ قَلْبِكَ!

الأصحاح الخامس والثلاثون: يوشيا والاحتفال بالفصح ٥٠٩

بداية حسنة ونهاية مُحزنة، الاحتفال بالفصح، ١. الاهتمام بالاحتفال بالفصح، ٢. دخوله في معركة مع فرعون، ٣. موته وحزن الشعب الشديد عليه.

من وحي ٢ أي ٣٥: لأحتفل بالفصح المسيحي، وأتزيّن بالحُبِّ الحقيقي!

الأصحاح السادس والثلاثون: إلى السبي والعودة منه ٥٢٣

آخر ملوك يهوذا، ١. يهوآحاز (٣ شهور، عزَلته مصر)، ٢. يهوياقيم (١١ سنة، أُسره ملك بابل)، ٣. يهوياكين (٣ أشهر و١٠ أيام، أُسره ملك بابل)، ٤. صدقيا (١١ سنة، تمرد على بابل)، ٥. مذبحه الجماهير، ٦. دمار المدينة والهيكل، ٧. سبي الشعب، ٨. العودة من السبي.

من وحي ٢ أي ٣٦: أَطْلُقْنِي مِنْ هَذَا السَّبْيِ!

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد

- ١ إنجيل متى (٢٤) رسالة يهوذا
- ٢ إنجيل مرقس (٢٥) رؤيا يوحنا اللاهوتي
- ٣ إنجيل لوقا
- ٤ إنجيل يوحنا (جزءان)
- ٥ أعمال الرسل (جزءان)
- ٦ رسالة رومية
- ٧ كورنثوس الأولى
- ٨ كورنثوس الثانية
- ٩ غلاطية
- ١٠ أنسس
- ١١ الرسالة إلى فيلبس
- ١٢ الرسالة إلى كولوسي
- ١٣ تسالونيكي الأولى
- ١٤ تسالونيكي الثانية
- ١٥ تيموثاوس الأولى
- ١٦ تيموثاوس الثانية
- ١٧ الرسالة إلى تيطس
- ١٨ الرسالة إلى فلبيون
- ١٩ الرسالة إلى العبرانيين
- ٢٠ رسالة يعقوب
- ٢١ رسالة بطرس الأولى
- ٢٢ رسالة بطرس الثانية
- ٢٣ رسائل يوحنا الثلاث

العهد القديم

- ١ التوراة
- ٢ الخروج
- ٣ اللاويين
- ٤ اللاويين
- ٥ التثنية
- ٦ يشوع
- ٧ القضاة
- ٨ راعوث
- ٩ صموئيل الأول
- ١٠ صموئيل الثاني
- ١١ ملوك أول
- ١٢ ملوك الثاني
- ١٣ أخبار الأيام الأول
- ١٤ عزرا
- ١٥ نحميا
- ١٦ يهوويت
- ١٧ أستير
- ١٨ أيوب (٤ أجزاء)
- ١٩ الازمير
- ٢٠ للأشال (٣ أجزاء)
- ٢١ الجامعة
- ٢٢ نشير الأناشير
- ٢٣ حكمة سليمان

يُطلب من

❖ مكتبة مارمرقس بالأنبارويس / العباسية / القاهرة - ت: ٢٤٨٨٢٤٥٤

❖ كنيسة مارجرس - سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٥٩١٩٨٨٨ / ٣